البداية والنهاية

تأليف

أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

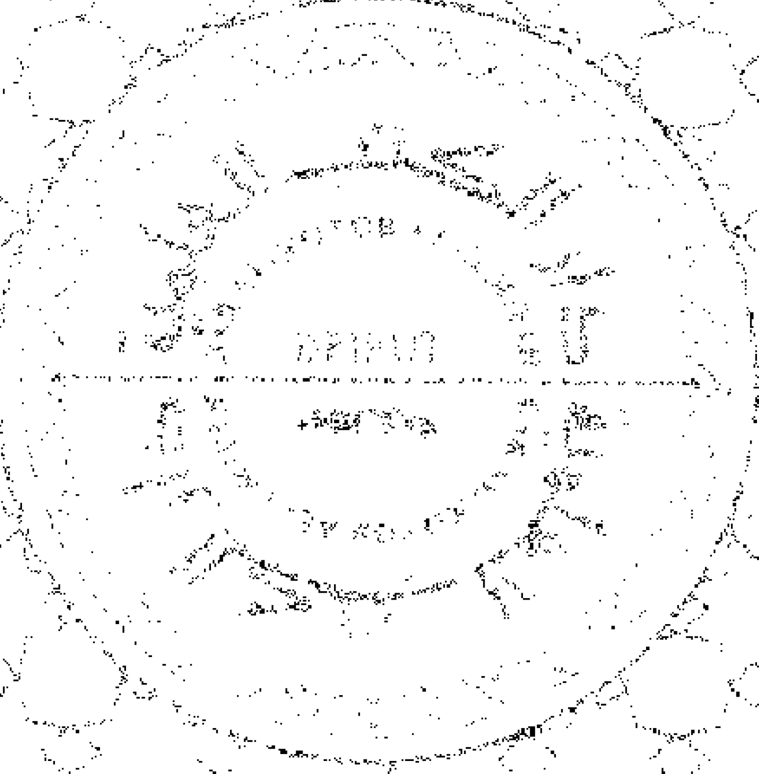
دققه وقابل مخطوطاته
الشيخ علي محمد معوض
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

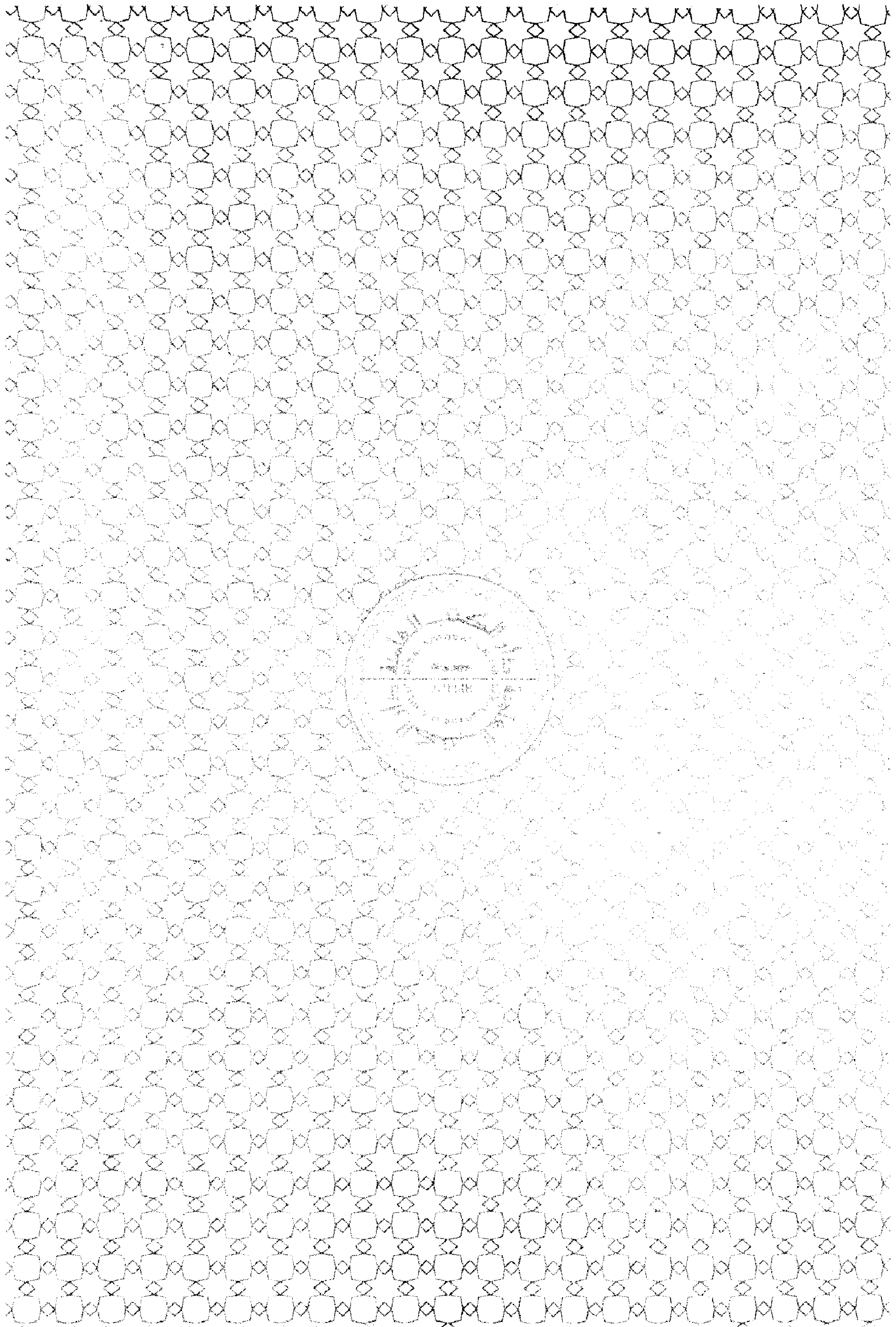
وضع حواشيه
دكتور أحمد أبو ملحم
دكتور علي نجيب عطوي
الأستاذ فؤاد السيد
الأستاذ مهدي ناصر الدين
الأستاذ علي عبد الساتر

المجلد السادس
١١-١٢

السنوات ٢٤٩ - ٥٨٨ من الهجرة النبوية

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان





البداية والنهاية

تأليف

أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤هـ

وثقه وقابل مخطوطاته

الشيخ علي محمد معوض — الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وضع حواشيه

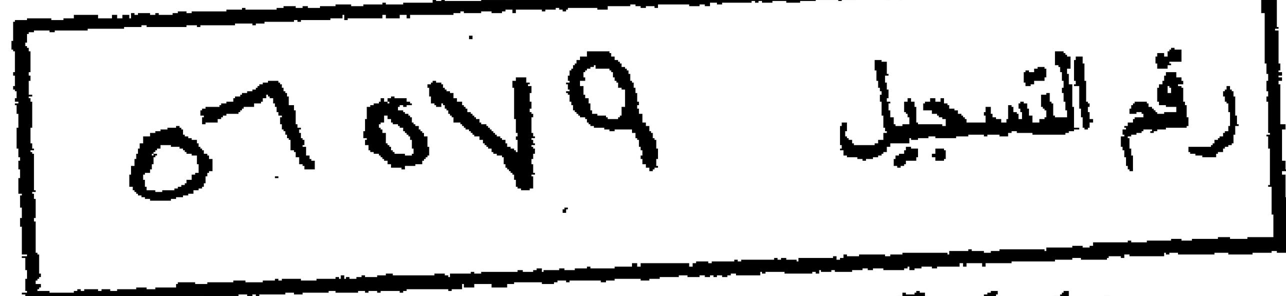
دكتور أحمد أبو ملحم — دكتور علي نجيب عطوي

الأستاذ فؤاد السيد — الأستاذ مهدي ناصر الدين

الأستاذ علي عبد الساتر



الجزء الحادي عشر



المحتوى:

السنوات ٢٤٩ - ٤٠٥ من الهجرة النبوية

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلميـة
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ١١ـ٩٤٢٤ بيروت ـ لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-2781-0



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

خلافة المستعين بالله

وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم. بويع له بالخلافة يوم مات المنتصر، بايعه عموم الناس، ثم خرجت عليه شرذمة من الأتراك يقولون: يا معتز يا منصور. فالتف عليهم خلق، وقام بنصر المستعين جمهور الجيش، فاقتتلوا قتالاً شديداً أياماً فقتل منهم خلق من الفريقين، وانتهبت أماكن كثيرة من بغداد، وجرت فتن منتشرة كثيرة جداً، ثم استقر الأمر للمستعين فعزل وولّى وقطع ووصل، وأمر ونهى أياماً ومدة غير طويلة. وفيها مات بغا الكبير في جمادى الآخرة منها، فولي الخليفة مكانه ولده، موسى بن بغا. وقد كانت له همم عالية وآثار سامية، وغزوات في المشارق والمغارب متوالية [وفي هذه السنة ابتاع المستعين من أبي عبد الله المعتز شيئاً كثيراً](1) وكان له من المتاع والضياع ما قيمته عشرة آلاف دينار. وترك عشر حبات جوهر قيمتها ثلاثة آلاف [ألف](2) دينار، وثلاث حبات سلا(3) ذهباً وورقاً.

وفيها عدا(4) أهل حمص على عاملهم فأخرجوه من بين أظهرهم، [فبعث إليهم المستعين](5) فأخذ منهم المستعين مائة رجل من سراتهم(6) وأمر بهدم سورهم. وفيها حج بالناس محمد بن سليمان الزينبي رحمه الله.

وفيها توفي من الأعيان: **أحمد بن صالح. والحسين بن علي الكرابيسي. وعبد الجبار بن العلاء. وعبد الملك بن شعيب. وعيسى بن حماد. ومحمد بن حميد الرازي. ومحمد بن العلاء(7) وأبو كريب. ومحمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي.**

واسمه سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي أبو حاتم [السختياني](8) النحوي اللغوي صاحب المصنفات الكثيرة وكان بارعاً في اللغة. اشتغل فيها على أبي عبيد والأصمعي، وأكثر الرواية عن أبي زيد الأنصاري. وأخذ عنه المبرّد وابن دريد وغيرهما. وكان صالحاً كثير الصدقة والتلاوة، وكان يتصدق كل يوم بدينار ويقرأ في كل أسبوع ختمة(9)، وله شعر كثير منه قوله:

---

(1) ما بين معقوفين سقط في ط.
(2) سقط في ط.
(3) السّلا: الخالص من كل شيء.
(4) عدا: هجم، ثار.
(5) سقط في ط.
(6) السراة: السادة.
(7) سقط في ط.
(8) سقط في ط.
(9) الختمة: قراءة القرآن الكريم بكامله.

أَبْــرَزُوا وَجْــهَــهُ الـجَـمِـيــلَ ولامُـــوا مَـــنِ افْـــتُـــتِـــنْ
لَـــوْ أَرَادُوا صِـــيَـــانَـــتِـــي سَـــتَـــرُوا وَجْـــهَـــهُ الـحَـسَـنْ

[قال ابن خلكان][١] كانت وفاته في المحرم، وقيل في رجب من هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين

في يوم الجمعة للنصف من رجب التقى جمع من المسلمين وخلق من الروم بالقرب من ملطية، فاقتتلوا قتالاً شديداً، قتل من الفريقين خلق كثير، وقتل أمير المسلمين عمر بن عبد الله بن الأقطع، وقتل معه ألفا رجل من المسلمين، وكذلك قتل علي بن يحيى الأرمني، وكان أميراً في طائفة من المسلمين أيضاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد كان هذان الأميران من أكبر أنصار الإسلام. ووقعت فتنة عظيمة ببغداد في أول يوم من صفر من هذه السنة، وذلك أن العامة كرهوا جماعة من الأمراء الذين قد تغلبوا على أمر الخلافة وقتلوا المتوكل واستضعفوا المنتصر والمستعين بعده، فنهضوا إلى السجن فأخرجوا من كان فيه، وجاؤوا إلى أحد الجسرين فقطعوه وضربوا الآخر بالنار، وأحرقوا ونادوا بالنفير[٢] فاجتمع خلق كثير وجم غفير، ونهبوا أماكن متعددة، وذلك بالجانب الشرقي من بغداد. ثم جمع أهل اليسار[٣] أموالاً كثيرة من أهل بغداد لتصرف إلى من ينهض إلى ثغور المسلمين لقتال العدو عوضاً عن من قتل من المسلمين هناك، فأقبل الناس من نواحي الجبال وأهواز وفارس وغيرها لغزو الروم، وذلك أن الخليفة والجيش إلى بلاد الروم وقتال أعداء الإسلام وقد ضعف جانب الخلافة واشتغلوا بالقيان والملاهي، فعند ذلك غضبت العامة من ذلك وفعلوا ما ذكرنا. ولتسع بقين من ربيع الأول نهض عامة أهل سامرا إلى السجن فأخرجوا من فيه أيضاً كما فعل أهل بغداد وجاءهم قوم من الجيش يقال لهم الزرافة فهزمتهم العامة، فعند ذلك ركب وصيف وبغا الصغير وعامة الأتراك فقتلوا من العامة خلقاً كثيراً، وجرت فتن طويلة ثم سكنت.

وفي منتصف ربيع الآخر وقعت فتنة بين الأتراك وذلك أن المستعين كان قد فوض أمر الخلافة والتصرف في أموال بيت المال إلى ثلاثة وهم أتامش التركي، وكان أخص من عند الخليفة وهو بمنزلة الوزير، وفي حجره العباس بن المستعين يربيه ويعلمه الفروسية. وشاهك الخادم، وأم الخليفة. وكان لا يمنعها شيئاً تريده، وكان لها كاتب يقال له سلمة بن سعيد النصراني. فأقبل أتامش فأسرف في أخذ الأموال حتى لم يُبق ببيت المال شيئاً، فغضب الأتراك من ذلك، وغاروا منه فاجتمعوا وركبوا عليه وأحاطوا بقصر الخلافة وهو عند المستعين، ولم يمكنه منعه منهم ولا دفعهم عنه، فأخذوه صاغراً فقتلوه وانتهبوا أمواله

---

(١) سقط في ط.
(٢) النفير: التأهب والاستعداد.
(٣) أهل اليسار: من اليسر، أي الذين يمتلكون أموالاً ويعيشون في بحبوحة.

وحواصله ودوره، واستوزر الخليفة بعده أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد، وولّى بغا الصغير فلسطين، وولّى وصيفاً الأهواز، وجرى خبط[(١)] كثير وشر كثير، ووهن الخليفة وضعف. وتحركت المغاربة بسامرا في يوم الخميس لثلاث خلون من جمادى الآخرة، فكانوا يجتمعون فيركبون ثم يتفرقون. وفي يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الأولى، وهو اليوم السادس عشر من تموز، مطر أهل سامرا مطراً عظيماً برعد شديد، وبرق متصل وغيم منعقد مطبق والمطر مستهل كثير من أول النهار إلى اصفرار الشمس، وفي ذي الحجة أصاب أهل الري زلزلة شديدة جداً، وتبعتها رجفة هائلة تهدمت منها الدور ومات منها خلق كثير، وخرج بقية أهلها إلى الصحراء. وفيها حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام وهو والي مكة وفيها توفي من الأعيان: **أيوب بن محمد الوزان. والحسن بن الصباح البزار** صاحب كتاب السنن **ورجاء بن مرجى الحافظ. وعبد بن حميد** صاحب التفسير الحافل. **وعمرو بن علي الفلاس.**

وعلي بن الجهم: بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسد القرشي السامي من ولد سامة بن لؤيّ الخراساني ثم البغدادي، أحد الشعراء المشهورين وأهل الديانة المعتبرين. وله ديوان شعر فيه أشعار حسنة، وكان فيه تحامل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان له خصوصية بالمتوكل ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان وأمر نائبه بها أن يضربه مجرداً ففعل به ذلك، ومن مستجاد شعره: [الوافر]

بَلاءٌ لَيْسَ يَعْدِلُهُ بَلاءٌ ... عَدَاوَةُ غَيْرِ ذي حَسَبٍ وَدِينِ
يُبِيحُكَ[(٢)] مِنْهُ عِرْضاً لَمْ يَصُنْهُ ... وَيَرْتَعُ[(٣)] مِنْكَ في عِرْضٍ مَصُونِ

قال ذلك في مروان بن حفصة حين هجاه فقال في هجائه له: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما الجَهْمُ بْنُ بَدْرٍ بِشَاعِرٍ ... وَهٰذا عَلَى بُعْدِهِ يَدَّعِي الشِّعْرَا
وَلٰكِنْ أَبِي قَدْ كَانَ جَاراً لِأُمِّهِ ... فَلَمَّا ادَّعَى الأَشْعَارَ أَوْهَمَنِي أَمْرَا

كان علي بن الجهم قد قدم الشام ثم عاد قاصداً العراق، فلما جاوز حلب ثار عليه أناس من بني كلب فقاتلهم فجرح جرحاً بليغاً فكان فيه حتفه، فوجد في ثيابه رقعة مكتوب فيها:

يا رَحْمَتَا لِلْغَرِيبِ بِالبَلَدِ النَّا ... زِحِ[(٤)] مَاذا بِنَفْسِهِ صَنَعَا
فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا ... بِالعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَمَا انْتَفَعَا

كانت وفاته بهذا السبب في هذه السنة.

---

(١) الخبط: الفوضى.
(٢) يبيحك: يظهر لك ويكشف.
(٣) يرتع: يعيش في متسع ووفرة.
(٤) البلد النازح: البعيد.

ثم دخلت سنة خمسين ومائتين من الهجرة

فيها كان ظهور أبي الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه أم الحسين فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وذلك أنه أصابته فاقة شديدة فدخل سامرا فسأل وصيفاً أن يجري عليه رزقاً فأغلظ له القول. فرجع إلى أرض الكوفة فاجتمع عليه خلق من الأعراب، وخرج إليه خلق من أهل الكوفة، فنزل على الفلوجة وقد كثر الجمع معه، فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق إلى عامل بالكوفة ـ وهو أبو أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان ـ يأمره بقتاله. ودخل يحيى بن عمر قبل ذلك في طائفة من أصحابه إلى الكوفة فاحتوى على بيت مالها فلم يجد فيه سوى ألفي دينار وسبعين ألف درهم، وظهر أمره بالكوفة وفتح السجنين وأطلق من فيهما، وأخرج نواب الخليفة منها وأخذ أموالهم واستحوذ عليها، واستحكم أمره بها، والتف عليه خلق من الزيدية وغيرهم، ثم خرج من الكوفة إلى سوادها ثم كرّ راجعاً إليها، فتلقاه عبد الرحمن بن الخطاب الملقب وجه الفلس، فقاتله قتالاً شديداً فانهزم وجه الفلس ودخل يحيى بن عمر الكوفة ودعا إلى الرضى من آل محمد، وقوي أمره جداً، وصار إليه جماعة كثيرة من أهل الكوفة، وتولاه أهل بغداد من العامة وغيرهم ممن ينسب إلى التشيع، وأحبوه أكثر من كل من خرج قبله من [الخارجين من][1] أهل البيت، وشرع في تحصيل السلاح وإعداد آلات الحرب وجمع الرجال. وقد هرب نائب الكوفة منها إلى ظاهرها، واجتمع إليه أمداد كثيرة من جهة الخليفة مع محمد بن عبد الله بن طاهر، واستراحوا وجمعوا خيولهم، فلما كان اليوم الثاني عشر من رجب أشار من أشار على يحيى بن عمر ممن لا رأي له، أن يركب ويناجز الحسين بن عبد الله[2]، ويكبس جيشه، فركب في جيش كثير فيه خلق من الفرسان والمشاة أيضاً من عامة أهل الكوفة بغير أسلحة، فساروا إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في ظلمة آخر الليل، فما طلع الفجر إلا وقد انكشف أصحاب يحيى بن عمر، وقد تقنطر به فرسه ثم طعن في ظهره فخرّ أيضاً، فأخذوه وحزوا رأسه وحملوه إلى الأمير فبعثوه إلى ابن طاهر فأرسله إلى الخليفة من الغد مع رجل يقال له عمر بن الخطاب، أخي عبد الرحمن بن الخطاب، فنصب بسامرا ساعة من النهار ثم بعث به إلى بغداد فنصب عند الجسر، ولم يمكن نصبه من كثرة العامة فجعل في خزائن السلاح. ولما جيء برأس يحيى بن عمر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر دخل الناس يهنئونه بالفتح والظفر، فدخل عليه أبو هاشم داود بن الهيثم الجعفري فقال له: أيها الأمير! إنك لتهنّى بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حياً لعزّي به، فما رد عليه شيئاً ثم خرج أبو هاشم الجعفري وهو يقول:

---

(١) سقط في ط.

(٢) في ط: إسماعيل.

يَـا بَـنِـي طَـاهِـرٍ كُـلُـوهُ وَبِـيّـاً[١] إنَّ لَـحْـمَ الـنَّـبِـيِّ غَـيْـرُ مَـرِيّ
إنَّ وِتْـراً يَـكُـونُ طَـالِـبَـهُ الـلَّـ ـهُ لَـوِتْـرٌ نَـجَـاحُـهُ بِـالـحَـرِيّ[٢]

وكان الخليفة [المستعين][٣] قد وجه أميراً إلى الحسين بن إسماعيل نائب الكوفة، فلما قتل يحيى بن عمر دخلوا الكوفة فأراد ذلك الأمير أن يضع في أهلها السيف فمنعه الحسين وأمن الأسود والأبيض، وأطفأ الله هذه الفتنة [ثم خرج رجل آخر من اهل البيت أيضاً][٤].

فلما كان رمضان من هذه السنة خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب بناحية طبرستان، وكان سبب خروجه أنه لما قتل يحيى بن عمر أقطع المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر طائفة من أرض تلك الناحية، فبعث كاتباً له يقال له جابر بن هارون، وكان نصرانياً ، ليتسلم تلك الأراضي، فلما انتهى إليهم كرهوا ذلك جداً وأرسلوا إلى الحسن بن زيد هذا فجاء إليهم فبايعوه والتفت عليه جملة الديلم وجماعة الأمراء في تلك النواحي، فركب فيهم ودخل آمل طبرستان وأخذها قهراً، وجبى خراجها، واستفحل[٥] أمره جداً، ثم خرج منها طالباً لقتال سليمان بن عبد الله أمير تلك الناحية، فالتقيا هنالك فكانت بينهما حروب ثم انهزم سليمان هزيمة منكرة، وترك أهله وماله ولم يرجع دون جرجان فدخل الحسن بن زيد سارية فأخذ ما فيها من الأموال والحواصل، وسيَّر أهل سليمان إليه مكرمين على مراكب، واجتمع للحسن بن زيد إمرة طبرستان بكمالها. ثم بعث إلى الري فأخذها أيضاً وأخرج منها الطاهرية، وصار إلى جند همذان ولما بلغ خبره المستعين ـ وكان مدبر ملكه يومئذٍ وصيف التركي ـ اغتم لذلك جداً واجتهد في بعث الجيوش والأمداد لقتال الحسن بن زيد هذا.

وفي يوم عرفة منها ظهر بالري أحمد بن عيسى بن حسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب فصلَّى بالناس يوم العيد أحمد بن عيسى هذا ودعا إلى الرضى من آل محمد، فحاربه محمد بن علي بن طاهر فهزمه أحمد بن عيسى هذا واستفحل أمره. وفيها وثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن فقتلوه في رجب، فوجه المستعين إليهم موسى بن بغا الكبير فاقتتلوا بأرض الرستن فهزمهم وقتل جماعة من أهلها وأحرق أماكن كثيرة منها، وأسر أشراف أهلها. وفيها وثبت الشاكرية والجند في أرض فارس على عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم فهرب منهم فانتهبوا داره وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن.

(١) الوبيّ: الذي فيه وباء.
(٢) الوتر: الثأر. والحريّ: الجرير.
(٣) سقط في ط.
(٤) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٥) استفحل الأمر: استطار وعظم.

وفيها غضب الخليفة على جعفر بن عبد الواحد ونفاه إلى البصرة. وفيها أسقطت مرتبة جماعة من الأمويين في دار الخلافة.

وفيها حج بالناس جعفر بن الفضل أمير مكة.

وفيها توفي من الأعيان: **أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح. والبزي** أحد القراء المشاهير. **والحارث بن مسكين. وأبو حاتم السجستاني**. وقد تقدم ذكره في التي قبلها. **وعياد بن يعقوب الرواجي وعمرو بن بحر الجاحظ** صاحب الكلام والمصنفات. **وكثير بن عبيد الحمصي. ونصر بن علي الجهضمي**.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين

فيها اجتمع رأي المستعين وبغا الصغير ووصيف على قتل باغر التركي، وكان من قواد الأمراء الكبار الذين باشروا قتل المتوكل، وقد اتسع إقطاعه وكثرت أعماله، فقتل ونهبت دار كاتبه دليل بن يعقوب النصراني، ونهبت أمواله وحواصله، وركب الخليفة في حراقة من سامرا إلى بغداد فاضطربت الأمور بسبب خروجه، وذلك في المحرم. فنزل دار محمد بن عبد الله بن طاهر. وفيها وقعت فتنة شنعاء بين جند بغداد وجند سامرا، ودعا أهل سامرا إلى بيعة المعتز، واستقر أمر أهل بغداد على المستعين، وأخرج المعتز وأخوه المؤيد من السجن فبايع أهل سامرا المعتز واستحوذ على حواصل بيت المال بها فإذا فيها خمسمائة ألف دينار، وفي خزانة أم المستعين ألف ألف دينار، وفي حواصل العباس بن المستعين ستمائة ألف دينار، واستفحل أمر المعتز بسامرا. وأمر المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر أن يحصن بغداد ويعمل في السورين والخندق، وغرم على ذلك ثلاثمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار، ووكل بكل باب أميراً يحفظه، ونصب على السور خمسة مجانيق[١]، منها واحد كبير جداً، يقال له الغضبان، وست عرادات[٢] وأعدوا آلات الحرب والحصار والعدد، وقطعت القناطر من كل ناحية لئلا يصل الجيش إليهم. وكتب المعتز إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يدعوه إلى الدخول معه في أمره، ويذكره ما كان أخذه عليهم أبوه المتوكل من العهود والمواثيق، من أنه ولي العهد بعده فلم يلتفت إليه بل ردّ عليه واحتج بحجج يطول ذكرها. وكتب كل واحد من المستعين والمعتز إلى موسى بن بغا الكبير وهو مقيم بأطراف الشام لحرب أهل حمص يدعوه إلى نفسه ويبعث إليه بألوية يعقدها لمن اختار من أصحابه، وكتب إليه المستعين يأمره بالمسير إليه إلى بغداد ويأمره أن يستنيب[٣] في عمله، فركب مسرعاً فسار إلى سامرا فكان مع المعتز على المستعين. كذلك هرب عبد الله بن بغا الصغير من عند أبيه من بغداد إلى المعتز، وكذلك غيره من الأمراء والأتراك. وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن

(١) المجانيق: جمع منجنيق، وهو آلة حربية ترمي بالحجارة وغيرها من القذائف وتستعمل أوقات الحصار.

(٢) العرادات: جمع عرادة، وهي آلة حربية كالمنجنيق تستعمل لدك الحصون ورمي الأحجار.

(٣) يستنيب: يجعل من ينوب عنه.

المتوكل على حرب المستعين وجهز معه جيشاً لذلك، فسار في خمسة آلاف من الأتراك وغيرهم نحو بغداد، وصلّى بعكبرا يوم الجمعة، ودعا لأخيه المعتز. ثم وصل إلى بغداد في ليلة الأحد لسبع خلون من صفر فاجتمعت العساكر هنالك، وقد قال رجل يقال له باذنجانة كان في عسكر أبي أحمد:

يَا بَنِي طَاهِرٍ أَتَتْكُمْ جُنُودُ اللّـ ـهِ وَالمَوْتُ بَيْنَهَا مَنْثُورُ
وَجُيُوشٌ أَمَامَهُنَّ أَبُو أَحْمَـ ـدَ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

ثم جرت بينهما حروب طويلة وفتن مهولة جداً قد ذكرها ابن جرير مطولة، ثم بعث المعتز مع موسى بن أرشناس ثلاثة آلاف مدداً لأخيه أبي أحمد فوصلوا لليلة بقيت من ربيع الأول فوقفوا في الجانب الغربي عند باب قُطْرَبُل[1]، وأبو أحمد وأصحابه على باب الشماسية، والحرب مستعرة والقتال كثير جداً، والقتل واقع.

قال ابن جرير: وذكر أن المعتز كتب إلى أخيه أبي أحمد يلومه على التقصير في قتال أهل بغداد فكتب إليه أبو أحمد:

لِأَمْرِ المَنَايَا عَلَيْنَا طَرِيقُ وَلِلدَّهْرِ فِينَا اتِّسَاعٌ وَضِيقُ
وَأَيَّامُنَا عِبَرٌ لِلْأَنَامِ فَمِنْهَا البُكُورُ وَمِنْهَا الطُّرُوقُ[2]
وَمِنْهَا هَنَاتٌ[3] تُشِيبُ الوَلِيدَ وَيَخْذُلُ فِيهَا الصَّدِيقَ الصَّدِيقُ
وَسُورٌ عَرِيضٌ لَهُ ذِرْوَةٌ تَفُوتُ العُيُونُ وَبَحْرٌ عَمِيقُ
قِتَالٌ مُبِيدٌ وَسَيْفٌ عَتِيدٌ وَخَوْفٌ شَدِيدٌ وَحِصْنٌ وَثِيقُ
وَطُولُ صِيَاحٍ لِدَاعِي الصَّبَاحِ الـ ـسِّلَاحَ السِّلَاحَ فَمَا يَسْتَفِيقُ
فَهَذَا طَرِيحٌ وَهَذَا جَرِيحٌ وَهَذَا حَرِيقٌ وَهَذَا غَرِيقُ
وَهَذَا قَتِيلٌ وَهَذَا تَلِيلٌ[4] وَآخَرُ يَشْدَخُهُ المَنْجَنِيقُ[5]
هُنَاكَ اغْتِصَابٌ وَثَمَّ انْتِهَابٌ وَدُورٌ خَرَابٌ وَكَانَتْ تَرُوقُ
إِذَا مَا سَمَوْنَا إِلَى مَسْلَكٍ وَجَدْنَاهُ قَدْ سُدَّ عَنَّا الطَّرِيقُ
فَبِاللهِ نَبْلُغُ مَا نَرْتَجِيهِ وَبِاللهِ نَدْفَعُ مَا لَا نُطِيقُ

قال ابن جرير: هذا الشعر ينشد لعلي بن أمية في فتنة المخلوع والمأمون، وقد استمرت الفتنة والقتال ببغداد بين أبي أحمد أخي المعتز وبين محمد بن عبد الله بن طاهر

---

(١) قطربل: بلدة بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر.

(٢) الطروق: الدخول ليلاً.

(٣) الهنات: الدواهي.

(٤) التليل: الصريع.

(٥) يشدخ: يشج.

نائب المستعين، والبلد محصور وأهله في ضيق شديد جداً، بقية شهور هذه السنة، وقتل من الفريقين خلق كثير في وقعات متعددات، وأيام نحسات، فتارة يظهر أصحاب أبي أحمد ويأخذون بعض الأبواب فتحمل عليهم الطاهرية فيزيحونهم عنها، ويقتلون منهم خلقاً ثم يتراجعون إلى مواقفهم ويصابرونهم[١] مصابرة عظيمة. لكن أهل بغداد كلما همّ إلى ضعف بسبب قلة الميرة[٢] والجلب إلى داخل البلد، ثم شاع بين العامة أن محمد بن عبد الله بن طاهر يريد أن يخلع المستعين ويبايع المعتز، وذلك في أواخر السنة، فتنصل من ذلك واعتذر إلى الخليفة وإلى العامة. وحلف بالأيمان الغليظة فلم تبرأ ساحته من ذلك حق البراءة عند العامة، واجتمعت العامة والغوغاء إلى دار ابن طاهر والخليفة نازل بها، فسألوا أن يبرز لهم الخليفة ليروه ويسألوه عن ابن طاهر أهو راضٍ عنه أم لا. وما زالت الضجة والأصوات مرتفعة حتى برز لهم الخليفة من فوق المكان الذي هم فيه وعليه السواد ومن فوقه البردة النبوية وبيده القضيب، وقال لهم فيما خاطبهم به: أقسمت عليكم بحق صاحب هذه البردة والقضيب لما رجعتم إلى منازلكم ورضيتم عن ابن طاهر فإنه غير متهم لدي. فسكت الغوغاء ورجعوا إلى منازلهم، ثم انتقل الخليفة من دار ابن طاهر إلى دار روق[٣] الخادم، وذلك في أوائل ذي الحجة، وصلّى بهم العيد يوم الأضحى في الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر، وبرز الخليفة يومئذٍ للناس وبين يديه الحربة وعليه البردة وبيده القضيب وكان يوماً مشهوداً ببغداد على ما بأهلها من الحصار والغلاء بالأسعار، وقد اجتمع على الناس الخوف والجوع المترجمان لباس الجوع والخوف، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

ولما تفاقم الأمر واشتد الحال وضاق المجال وجاع العيال وجهد الرجال، جعل ابن طاهر يظهر ما كان كامناً في نفسه من خلع المستعين، فجعل يعرض له في ذلك ولا يصرح، ثم كاشفه به وأظهره له وناظره فيه وقال له: إن المصلحة تقتضي أن تصالح عن الخلافة على مال تأخذه سلفاً وتعجيلاً، وأن يكون لك من الخراج في كل عام ما تختاره وتحتاجه، ولم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى أجاب إلى ذلك وأناب. فكتب فيما اشترطه المستعين في خلعه نفسه من الخلافة كتاباً، فلما كان يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة ركب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى الرصافة وجمع القضاة والفقهاء وأدخلهم على المستعين فوجاً فوجاً يشهدون عليه أنه قد صير أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، وكذلك جماعة الحجاب والخدم، ثم تسلم منه جوهر الخلافة، وأقام عند المستعين إلى هوي[٤] من الليل. وأصبح الناس يذكرون ويتنوعون فيما يقولون من الأراجيف[٥]. وأما ابن طاهر فإنه أرسل

(١) يصابرونهم: يقاتلونهم بصبر وثبات.
(٢) الميرة: المؤونة.
(٣) في ط: رزق.
(٤) هويّ من الليل: قسم منه.
(٥) الأراجيف: الخوض في ذكر الفتن والفساد.

بالكتاب مع جماعة من الأمراء إلى المعتز بسامرا، فلما قدموا عليه بذلك أكرمهم وخلع عليهم وأجازهم فأسنى جوائزهم. وسيأتي ما كان من أمره أول السنة الداخلة.

وفيها كان ظهور رجل من أهل البيت أيضاً بأرض قزوين وزنجان في ربيع الأول منها وهو الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويعرف بالكواكبي[1]. وسيأتي ما كان من أمره هناك. ـ وفيها خرج إسماعيل بن يوسف العلوي، وهو ابن أخت موسى بن عبيد الله الحسني، وسيأتي ما كان من أمره أيضاً. وفيها خرج بالكوفة أيضاً رجل من الطالبيين وهو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن حسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فوجّه إليه المستعين مزاحم بن خاقان فاقتتلا فهزم العلوي وقتل من أصحابه بشر كثير. ولما دخل مزاحم الكوفة حرق بها ألف دار ونهب أموال الذين خرجوا معه، وباع بعض جواري الحسين بن محمد هذا، وكانت معتقة[2] على باب المسجد الجامع.

وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب بمكة فهرب منه نائبها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى، فانتهب [إسماعيل بن يوسف][3] منزله ومنازل أصحابه وقتل جماعة من الجند وغيرهم من أهل مكة، وأخذ ما في الكعبة من الذهب والفضة والطيب وكسوة الكعبة، وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار، ثم خرج إلى المدينة النبوية فهرب منه نائبها أيضاً علي بن الحسين بن علي بن إسماعيل، ثم رجع إسماعيل بن يوسف إلى مكة في رجب فحصر أهلها حتى هلكوا جوعاً وعطشاً فبيع الخبز ثلاث أواق بدرهم، واللحم الرطل بأربعة، وشربة الماء بثلاثة دراهم، ولقي منه أهل مكة كل بلاء، فترحل عنهم إلى جدة ـ بعد مقامه عليهم سبعة وخمسين يوماً ـ فانتهب أموال التجار هنالك وأخذ المراكب وقطع الميرة عن أهل مكة ثم عاد إلى مكة لا جزاه الله خيراً عن المسلمين. فلما كان يوم عرفة لم يمكن الناس من الوقوف نهاراً ولا ليلاً، وقتل من الحجيج ألفاً ومائة، وسلبهم أموالهم ولم يقف بعرفة عامئذٍ سواه ومن معه من الحرامية، لا تقبّل الله منهم صرفاً ولا عدلاً. وفيها وهن أمر الخلافة جداً.

وفيها توفي من الأعيان: إسحاق بن منصور الكوننج وحميد بن زنجويه. وعمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي. وأبو البقي هشام بن عبد الملك اليزني والله أعلم.

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين

«ذكر خلافة المعتز بالله بن المتوكل على الله بعد خلع المستعين نفسه».

---

(١) في ط: بالكوكبي.

(٢) معتقة: أي محررة من الرقّ بإعتاق سيدها لها.

(٣) سقط في ط.

استهلت هذه السنة وقد استقرت الخلافة باسم أبي عبد الله محمد المعتز بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، وقيل إن اسم المعتز أحمد، وقيل الزبير، وهو الذي عوّل عليه ابن عساكر وترجمه في تاريخه. فلما خلع المستعين نفسه من الخلافة وبايع للمعتز دعا الخطباء يوم الجمعة رابع المحرم من هذه السنة بجوامع بغداد على المنابر للخليفة المعتز بالله، وانتقل المستعين من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل هو وعياله وولده وجواريه، ووكّل بهم سعيد بن رجاء في جماعة معه، وأخذ من المستعين البردة(١) والقضيب والخاتم، وبعث بذلك إلى المعتز ثم أرسل إليه المعتز يطلب منه خاتمين من جوهر ثمين عنده يقال لأحدهما برج وللآخر جبل. فأرسلهما وطلب المستعين أن يسير إلى مكة فلم يمكن، فطلب البصرة فقيل له إنها وبيئة(٢). فقال إن ترك الخلافة أوبأ منها. ثم أذن له في المسير إلى واسط فخرج ومعه حرس يوصلونه إليها نحواً من أربعمائة. واستوزر المعتز أحمد بن أبي إسرائيل وخلع عليه وألبسه تاجاً على رأسه. ولما تمهد أمر بغداد واستقرت البيعة للمعتز بها ودان(٣) له أهلها واجتمع [بها](٤) شمله وقدمتها الميرة من كل جانب، واتسع الناس في الأرزاق والأطعمة، ركب أبو أحمد منها في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة من المحرم إلى سامرا وشيّعه ابن طاهر في وجوه الأمراء، فخلع أبو أحمد على ابن طاهر خمس خلع وسيفاً ورده من الطريق إلى بغداد. وقد ذكر ابن جرير مدائح الشعراء في المعتز وتشفّيهم(٥) بخلع المستعين، فأكثر من ذلك جداً، فمن ذلك قول محمد بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان في مدح المعتز وذم المستعين كما جرت به عادة الشعراء:

إنَّ الأُمُورَ إلى المُعْتَزِّ قَدْ رَجَعَتْ ... وَالمُسْتَعِينُ إلَى حَالاتِهِ رَجَعَا
وَكَانَ يَعْلَمُ أنَّ المُلْكَ لَيْسَ لَهُ ... وَأنَّهُ لَكَ لَكِنْ نَفْسَهُ خَدَعَا
وَمَالِكُ المُلْكِ مُؤْتِيهِ وَنَازِعُهُ ... آتَاكَ مُلْكاً وَمِنْهُ المُلْكَ قَدْ نَزَعَا
إنَّ الخِلافَةَ كَانَتْ لا تُلائِمُهُ ... كَانَتْ كَذَاتِ حَلِيلٍ زُوِّجَتْ مُتَعَا(٦)
ما كَانَ أَقْبَحَ عِنْدَ النَّاسِ بِيعَتَهُ ... وَكَانَ أَحْسَنَ قَوْلِ النَّاسِ قَدْ خُلِعَا
لَيْتَ السَّفِينَ إلى قَافٍ دَفَعْنَ بِهِ ... نَفْسِي الفِدَاءُ لِمِلاَّحٍ بِهِ دَفَعَا
كَمْ سَاسَ قَبْلَكَ أَمْرَ النَّاسِ مِنْ مَلِكٍ ... لَوْ كَانَ حُمِّلَ مَا حُمِّلْتَهُ ظَلَعَا(٧)

---

(١) البردة: هي بردة النبيّ ﷺ.
(٢) وبيئة: كثيرة الوباء.
(٣) دان: خضع.
(٤) سقط في ط.
(٥) تشفيهم: سرورهم.
(٦) زوجت متعاً: من زواج المتعة.
(٧) الظلع: العرج.

أَمْسَى بِكَ النَّاسُ بَعْدَ الضِّيقِ في سَعَةٍ وَاللهُ يَجْعَلُ بَعْدَ الضِّيقِ مُتَّسَعَا
وَاللهُ يَدْفَعُ عَنْكَ السُّوءَ مِنْ مَلِكٍ فَإِنَّهُ بِكَ عَنَّا السُّوءَ قَدْ دَفَعَا

وكتب المعتز من سامرا إلى نائب بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر أن يسقط اسم وصيف وبغا ومن كان في رسمهما في الدواوين وعزم على قتلهما، ثم استرضى عنهما فرضي عنهما. وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه إبراهيم الملقب بالمؤيد من ولاية العهد وحبسه، وأخاه أبا أحمد، بعدما ضرب المؤيد أربعين مقرعة. ولما كان يوم الجمعة خطب بخلعه وأمره أن يكتب كتاباً على نفسه بذلك، وكانت وفاته بعد ذلك بخمسة عشر يوماً، فقيل إنه أدرج في لحاف سمور[1] وأمسك طرفاه حتى مات غماً، وقيل بل ضرب بحجارة من ثلج حتى مات برداً وبعد ذلك أخرج من السجن ولا أثر به فأحضر القضاة والأعيان فشهدوا على موته من غير سبب ولا أثر، ثم حمل على حمار ومعه كفنه إلى أمه فدفنته.

ذكر مقتل المستعين

في شوّال منها كتب المعتز إلى نائبه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بتجهيز جيش نحو المستعين فجهز أحمد بن طولون التركي فوافاه فأخرجه لست بقين من رمضان فقدم به القاطول لثلاث مضين من شوّال ثم قتل، فقيل ضرب حتى مات، وقيل بل غرق في دجيل، وقيل بل ضربت عنقه. وقد ذكر ابن جرير أن المستعين سأل من سعيد بن صالح التركي حين أراد قتله أن يمهله حتى يصلّي ركعتين، فأمهله، فلما كان في السجدة الأخيرة قتله وهو ساجد، ودفن جثته في مكان صلاته، وخفي أثره وحمل رأسه إلى المعتز فدخل به عليه وهو يلعب بالشطرنج، فقيل هذا رأس المخلوع. فقال: ضعوه حتى أفرغ من الدست[2]. فلما فرغ نظر إليه وأمر بدفنه، ثم أمر لسعيد بن صالح الذي قتله بخمسين ألف درهم، وولاّه معونة البصرة وفيها مات **إسماعيل بن يوسف العلوي** الذي فعل بمكة ما فعل كما تقدم من إلحاده في الحرم، فأهلكه الله في هذه السنة عاجلاً ولم يُنظره.

وفيها مات أحمد بن محمد المعتصم وهو المستعين بالله كما تقدم. وإسحاق بن بهلول، وزياد بن أيوب ومحمد بن بشار [بندار][3]**. وغندر. وموسى بن المثنى الزمن. ويعقوب بن إبراهيم الدورقي.**

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

في رجب منها عقد المعتز لموسى بن بغا الكبير على جيش قريب من أربعة آلاف ليذهبوا إلى قتال عبد العزيز بن أبي دلف بناحية همذان، وذلك لأنه خرج عن الطاعة وهو

(١) أي من فراء السمور. (٢) الدست: المجلس. (٣) سقط في ط.

في نحو من عشرين ألفاً بناحية همذان، فهزموا عبد العزيز في أواخر هذا السنة هزيمة فظيعة، ثم كانت بينهم وقعة أخرى في رمضان عند الكرج فهزم عبد العزيز أيضاً، وقتل من أصحابه بشر كثير، وأسروا ذراري كثيرة حتى أسروا أم عبد العزيز أيضاً، وبعثوا إلى الخليفة المعتز سبعين حملاً من الرؤوس وأعلاماً كثيرة، وأخذ من عبد العزيز ما كان استحوذ عليه من البلاد. وفي رمضان منها خلع [المعتز](١) على بغا الشرابي وألبسه التاج والوشاحين. وفي يوم عيد الفطر كانت وقعة هائلة عند مكان يقال له البوازيج، وذلك أن رجلاً يقال له مساور بن عبد الحميد حكم فيها والتف عليه نحو من سبعمائة من الخوارج، فقصد له رجل يقال له بندار الطبري في ثلاثمائة من أصحابه، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً! فقتل من الخوارج نحو من خمسين، وقتل من أصحاب بندار مائتان وقيل وخمسون رجلاً. وقتل بندار فيمن قتل رحمه الله. ثم صمد مساور إلى حلوان فقاتله أهلها وأعانهم حجاج أهل خراسان فقتل مساور منهم نحواً من أربعمائة قبَّحه الله. وقتل من جماعته كثيرون أيضاً. ولثلاث بقين من شوال قتل وصيف التركي وأرادت العامة نهب داره في سامرا ودور أولاده فلم يمكنهم ذلك، وجعل الخليفة المعتز ما كان إليه إلى بغا الشرابي. وفي ليلة أربع عشرة من ذي القعدة من هذه السنة خسف القمر حتى غاب أكثره وغرق نوره، وعند انتهاء خسوفه مات محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق ببغداد. وكانت علَّته قروحاً في رأسه وحلقه فذبحته، ولما أتي به ليصلَّى عليه اختلف أخوه عبيد الله وابنه طاهر وتنازعا الصلاة عليه حتى جذبت السيوف وترامى الناس بالحجارة، وصاحت الغوغاء يا طاهر يا منصور: فمال عبيد الله إلى الشرقية ومعه القواعد وأكابر الناس، فدخل داره وصلى عليه ابنه وكان أبوه قد أوصى إليه. وحين بلغ المعتز ما وقع بعث بالخلع والولاية إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فأطلق عبيد الله الذي قدم بالخلع خمسين ألف درهم. وفيها نفى المعتز أخاه أبا أحمد من سر من رأى إلى واسط، ثم إلى البصرة. ثم رد إلى بغداد أيضاً. وفي يوم الاثنين منها سلخ ذي القعدة التقى موسى بن بغا الكبير [هو](٢) والحسين بن أحمد الكوكبي الطالبي الذي خرج في سنة إحدى وخمسين عند قزوين فاقتتلا قتالاً شديداً، ثم هزم الكوكبي وأخذ موسى قزوين وهرب الكوكبي إلى الديلم. وذكر ابن جرير عن بعض من حضر هذه الوقعة أن الكوكبي حين التقى أمر أصحابه أن يتترسوا بالجحف(٣) ـ وكانت السهام(٤) لا تعمل فيهم ـ فأمر موسى بن بغا أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم من النفط ثم حاولوهم وأروهم أنهم قد انهزموا منهم، فتبعهم أصحاب الكوكبي، فلما توسطوا الأرض التي فيها النفط أمر عند ذلك بإلقاء النار فيه فجعل النفط يحرق أصحاب الكوكبي ففروا سراعاً هاربين، وكرّ عليهم موسى وأصحابه

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.
(٣) يتترسوا: يحتموا والجحف: جمع جحفة وهي الترس من جلد بلا خشب.
(٤) في ط: السهم.

فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهرب الكوكبي إلى الديلم، وتسلم موسى قزوين. وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبي.

وفيها توفي من الأعيان: **أبو الأشعث. وأحمد بن سعيد الدارمي.**

وسريّ السقطي: أحد كبار مشايخ الصوفية. وهو السريّ بن المغلس السقطي [البغدادي][١]. تلميذ معروف الكرخي. حدث عن هشيم وأبي بكر بن عياش وعلي بن عراب ويحيى بن يمان ويزيد بن هارون وغيرهم. وعنه ابن أخته الجنيد بن محمد. وأبو الحسن النوري ومحمد بن الفضل بن جابر السقطي وجماعة. وكانت له دكان يتجر فيها فمرت به جارية قد انكسر إناء كان معها تشتري فيه شيئاً لسادتها، فجعلت تبكي فأعطاها سريّ شيئاً تشتري بدله، فنظر معروف إليه وما صنع بتلك الجارية فقال له: بغّض الله إليك الدنيا فوجد الزهد من يومه. وقال سري: مررت في يوم عيد فإذا معروف ومعه صغير شعث الحال[٢] فقلت: ما هذا؟ فقال: هذا كان واقفاً عند صبيان يلعبون بالجوز وهو منكس ، فقلت له: ما لك لا تلعب كما يلعبون؟ فقال: أنا يتيم ولا شيء معي أشتري به جوزاً ألعب به. فأخذته لأجمع له نوى يشتري به جوزاً يفرح به. فقلت ألا أكسوه وأعطيه شيئاً يشتري به جوزاً؟ فقال أوَ تفعل؟ فقلت: نعم. فقال خذه أغنى الله قلبك. قال سريّ: فصغرت عندي الدنيا حتى لهي أقلّ شيء. وكان عنده مرة لوز فساومه رجل على الكر[٤] بثلاثة وستين ديناراً، ثم ذهب الرجل فإذا اللوز يساوي الكرّ تسعين ديناراً فقال له: إني أشتري منك الكر بتسعين ديناراً. فقال له إني إنما ساومتك بثلاثة وستين ديناراً وإني لا أبيعه إلا بذلك، فقال الرجل: أنا أشتري منك بتسعين ديناراً. فقال لا أبيعك هو بما ساومتك عليه. فقال له الرجل: إن من النصح أن لا أشتري منك إلا بتسعين ديناراً. وذهب فلم يشتر منه. وجاءت امرأة يوماً إلى سري فقالت: إن ابني قد أخذه الحرسي وإني أحب أن تبعث إلى صاحب الشرطة لئلا يضرب، فقام فصلّى فطوّل في الصلاة وجعلت المرأة تحترق في نفسها، فلما انصرف من الصلاة قالت المرأة: الله الله في ولدي. فقال لها: إني إنما كنت في حاجتك. فما رام مجلسه الذي صلّى فيه حتى جاءت امرأة إلى تلك المرأة فقالت لها: ابشري فقد أطلق [المتولي][٥] ولدك وها هو في المنزل. فانصرفت إليه. وقال سري: أشتهي أن آكل أكلة ليس لله فيها عليّ تبعة[٦]، ولا لأحد عليّ فيها منّة[٧]. فما أجد إلى ذلك سبيلاً. وفي

---

(١) سقط في ط.

(٢) شعث الحال: أي تبدو عليه علامات الفقر.

(٣) في ط: منكسر.

(٤) الكرّ: مكيال قيل إنه أربعون إردباً أو غير ذلك.

(٥) سقط في ط.

(٦) التبعة: الإثم.

(٧) المنة: الفضل.

رواية عنه أنه قال: إني لأشتهي البقل من ثلاثين سنة فما أقدر عليه. وقال: احترق سوقنا فقصدت المكان الذي فيه دكاني فتلقاني رجل فقال: ابشر فإن دكانك قد سلمت. فقلت: الحمد لله. ثم ذكرت ذلك التحميد إذ حمدت الله على سلامة دنياي وإني لم أواسِ الناس فيما هم فيه، فأنا أستغفر الله منذ ثلاثين سنة. رواها الخطيب عنه. وقال: صليت وردي[1] ذات ليلة ثم مددت رجلي في المحراب فنوديت: يا سري هكذا تجالس الملوك؟ قال فضممت رجلي وقلت: وعزتك لا مددت لرجلي أبداً.

وقال الجنيد: ما رأيت أعبد من سريّ السقطي. أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في علة الموت.

وروى الخطيب عن أبي نعيم عن جعفر الخلدي عن الجنيد قال: دخلت عليه أعوده فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

كَيفَ أَشْكُو إلى طَبِيبِي مَا بِي ... وَالَّذِي قَدْ أَصَابَنِي مِنْ طَبِيبِي

قال: فأخذت المروحة لأروّح عليه فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق من داخل؟ ثم أنشأ يقول:

القَلْبُ مُحْتَرِقٌ وَالدَّمْعُ مُسْتَبِقٌ ... وَالكَرْبُ مُجْتَمِعٌ وَالصَّبْرُ مُفْتَرِقُ
كَيْفَ القَرَارُ عَلى مَنْ لا قَرَارَ لَهُ ... مِمَّا جَنَاهُ الهَوَى وَالشَّوْقُ وَالقَلَقُ
يا رَبِّ إنْ كَانَ شَيْءٌ لِي بِهِ فَرَجٌ ... فَامْنُنْ عَلَيَّ بِهِ مَا دَامَ بِي رَمَقُ[2]

قال: فقلت له: أوصني، قال: لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأبرار الأخيار. وقد ذكر الخطيب وفاته يوم الثلاثاء لست خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد أذان الفجر، ودفن بعد العصر بمقبرة الشونيزي، وقبره ظاهر معروف، وإلى جنبه قبر الجنيد. وروي عن أبي عبيدة بن حريوبة قال: رأيت سرياً في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ولكل من شهد جنازتي. فقلت: فإني ممّن حضر جنازتك وصلّى عليك. قال: فأخرج درجاً فنظر فيه فلم ير فيه اسمي، فقلت: بلى! قد حضرت فإذا اسمي في الحاشية. وحكى ابن خلكان قولاً أن سرياً توفي سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة ست وخمسين فالله أعلم.

قال ابن خلكان: وكان السريّ ينشد كثيراً:

ولمّا ادعيتُ الحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنِي ... فَمَا لِي أَرَى الأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا[3]
فلا حُبَّ حَتَّى يَلْصَقَ الجِلْدُ بِالحَشَى ... وَتَذْهَلَ حَتَّى لا تُجِيبَ المُنَادِيَا

---

(١) الورد: الجزء من القرآن يقرأه الإنسان كل ليلة.

(٢) الرمق: بقية الروح.

(٣) كواسياً: أي مليئة لحماً.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

فيها أمر الخليفة المعتز بقتل بغا الشرابي ونصب رأسه بسامرا ثم ببغداد وحرقت جثته وأخذت أمواله وحواصله. وفيها ولي الخليفة أحمد بن طولون الديار المصرية، وهو باني الجامع المشهور بها.

وحج بالناس فيها علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد.

وتوفي فيها من الأعيان: **زياد بن أيوب الحسياني. وعلي بن محمد بن موسى الرضى**، يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ببغداد. وصلّى عليه أبو أحمد المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد. ودفن بداره ببغداد. **ومحمد بن عبد الله المخرمي. ومؤمل[(١)] بن إهاب.**

وأما أبو الحسن علي الهادي

فهو ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن علي بن أبي طالب أحد الأئمة الاثني عشرية، وهو والد الحسن بن علي العسكري والد المنتظر عند الفرقة الضالة الجاهلة الكاذبة الخاطئة. وقد كان عابداً زاهداً نقله المتوكل إلى سامرا فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر. ومات بها في هذه السنة. وقد ذكر للمتوكل أن بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرة من الناس، فأرسل كبسة[(٢)] فوجدوه جالساً مستقبل القبلة وعليه مدرعة[(٣)] من صوف وهو على التراب ليس دونه حائل، فأخذوه كذلك فحملوه إلى المتوكل وهو على شرابه، فلما مثل بين يديه أجلّه وأعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله الكأس الذي في يده فقال: يا أمير المؤمنين لم يدخل باطني ولم يخالط لحمي ودمي قط، فاعفني منه. فأعفاه ثم قال له: أنشدني شعراً فأنشده:

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ الأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ ... غُلْبُ الرِّجَالِ فَمَا أَغْنَتْهُمُ القُلَلُ[(٤)]
وَاسْتُنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعَاقِلِهِمْ ... فَأُودِعُوا حُفَراً يَا بِئْسَ مَا نَزَلُوا
نَادَى بِهِمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا قُبِرُوا ... أَيْنَ الأَسِرَّةُ وَالتِّيجَانُ وَالحُلَلُ
أَيْنَ الوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنَعَّمَةً ... مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الأَسْتَارُ وَالكِلَلُ[(٥)]
فَأَفْصَحَ القَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَلَهُمْ ... تِلْكَ الوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ
قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا دَهْراً وَمَا لبسوا ... فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا

---

(١) في ط: موهل.
(٢) في ط: فبعث فكبسه.
(٣) المدرعة: ثوب من صوف يستر البدن كالعباءة.
(٤) القلل: جمع قلة، وهي قمة الجبل.
(٥) الكلل: جمع كلة، وهي الستر الرقيق.

قال: فبكى المتوكل حتى بلّ الثرى، وبكى من حوله بحضرته، وأمر برفع الشراب وأمر له بأربعة آلاف دينار، وتحلل منه ورده إلى منزله مكرماً رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

فيها كانت وقعة بين مفلح وبين الحسن بن زيد الطالبي فهزمه مفلح ودخل آمل طبرستان وحرق منازل الحسن بن زيد ثم سار وراءه إلى الديلم. وفيها كانت محاربة شديدة بين يعقوب بن الليث وبين علي بن الحسين بن قريش بن شبل، فبعث علي بن الحسين رجلاً من جهته يقال له طوق بن المغلس، فصابره أكثر من شهر ثم ظفر يعقوب بطوق فأسره فأسر وجوه أصحابه، ثم سار إلى علي بن الحسين هذا فأسره وأخذ بلاده ـ وهي كرمان ـ فأضافها إلى ما بيده من مملكة خراسان سجستان: ثم بعث يعقوب بن الليث بهدية سنية إلى المعتز: دواب وبازات وثياب فاخرة، وفيها ولّى الخليفة سليمان بن عبد الله بن طاهر نيابة بغداد والسواد في ربيع الأول منها. وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل كاتب المعتز والحسن بن مخلد كاتب قبيحة أم المعتز وأبا نوح عيسى بن إبراهيم، وكانوا قد تمالؤوا[1] على أكل بيت المال، وكانوا دوّاوين وغيرهم، فضربهم وأخذ خطوطهم بأموال جزيلة يحملونها، وذلك بغير رضى من المعتز في الباطن واحتيط على أموالهم وحواصلهم وضياعهم وسموا الكتاب الخونة وولّى الخليفة عن قهر غيرهم.

وفي رجب منها ظهر عيسى بن جعفر وعلي بن زيد الحسنيان بالكوفة وقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى واستفحل أمرهما بها.

موت الخليفة المعتز بن المتوكل

ولثلاث بقين من رجب من هذه السنة خلع الخليفة المعتز بالله، ولليلتين مضتا من شعبان أظهر موته. وكان سبب خلعه أن الجند اجتمعوا فطلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم، فسأل من أمه أن تقرضه مالاً يدفعهم عنه به فلم تعطه. وأظهرت أنه لا شيء عندها، فاجتمع الأتراك على خلعه فأرسلوا إليه ليخرج إليهم فاعتذر بأنه قد شرب دواء وأن عنده ضعفاً، ولكن ليدخل إليّ بعضكم. فدخل إليه بعض الأمراء فتناولوه بالدبابيس يضربونه وجروا برجله وأخرجوه وعليه قميص مخرق ملطخ بالدم، فأقاموه في وسط دار الخلافة في حر شديد حتى جعل يراوح بين رجليه من شدة الحر، وجعل بعضهم يلطمه وهو يبكي ويقول له الضارب اخلعها والناس مجتمعون ثم أدخلوه حجرة مضيّقاً عليه فيها. وما زالوا عليه بأنواع العذاب حتى خلع نفسه من الخلافة وولّى بعده المهتدي بالله كما سيأتي. ثم سلموه إلى من يسومه سوء العذاب بأنواع المثلات[2]، ومنع من الطعام والشراب ثلاثة

(١) تمالؤوا: اتفقوا فيما بينهم.

(٢) المثلات: ألوان التعذيب وأنواعه.

أيام حتى جعل يطلب شربة من ماء البئر فلم يسق، ثم أدخلوه سرباً فيه جص جير فدسوه فيه فأصبح ميتاً، فاستلوه من الجص سليم الجسد وأشهدوا عليه جماعة من الأعيان أنه مات وليس به أثر، وكان ذلك في اليوم الثاني من شعبان من هذه السنة، وكان يوم السبت، وصلّى عليه المهتدي بالله، ودفن مع أخيه المنتصر إلى جانب قصر الصوامع، عن أربع وعشرين سنة. وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً وكان طويلاً جسيماً وسيماً أقنى الأنف[1] مدور الوجه حسن الضحك أبيض أسود الشعر مجعده، كثيف اللحية حسن العينين ضيق الحاجبين أحمر الوجه وقد أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل في جودة ذهنه وحسن فهمه وأدبه حين دخل عليه في حياة أبيه المتوكل، كما قدمنا في ترجمة أحمد. وروى الخطيب عن علي بن حرب قال: دخلت على المعتز فما رأيت خليفة أحسن وجهاً منه، فلما رأيته سجدت فقال: يا شيخ تسجد لغير الله؟ فقلت: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد النبيل، ثنا بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه عن جده «أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى ما يفرح به أو بشّر بما يسره سجد شكراً لله عزّ وجلّ». وقال الزبير بن بكار: سرت إلى المعتز وهو أمير فلما سمع بقدومي خرج مستعجلاً إليّ فعثر فأنشأ يقول:

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ ... وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ[2] الرِّجْلِ

فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ ... وَعَثْرَتُهُ فِي الرِّجْلِ تَبْرَا[3] عَلَى مَهْلِ

وذكر ابن عساكر أن المعتز لما حذق القرآن في حياة أبيه المتوكل اجتمع أبوه والأمراء لذلك وكذلك الكبراء والرؤساء بسر من رأى، واختلفوا لذلك أياماً عديدة، وجرت أحوال عظيمة. ولما جلس وهو صبي على المنبر وسلم على أبيه بالخلافة، وخطب الناس نثرت الجواهر والذهب والدراهم على الخواص والعوام بدار الخلافة، وكان قيمة ما نثر من الجواهر يساوي مائة ألف دينار، ومثلها ذهباً، وألف ألف درهم غير ما كان من خلع وأسمطة وأقمشة مما يفوت الحصر، وكان وقتاً مشهوداً لم يكن سروراً بدار الخلافة أبهج منه ولا أحسن. وخلع الخليفة على أم ولده المعتز قبيحة خلعاً سنية، وأعطاها وأجزل لها العطاء، وكذلك خلع على مؤدب ولده وهو محمد بن عمران، أعطاه من الجوهر والذهب والفضة والقماش شيئاً كثيراً جداً والله سبحانه وتعالى أعلم.

خلافة المهتدي بالله

أبي محمد عبد الله محمد بن الواثق بن المعتصم بن هارون، كانت بيعته يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب من هذه السنة بعد خلع المعتز نفسه بين يديه وإشهاده على عليه بأنه عاجز

(١) أقنى الأنف: الذي ارتفع أعلى أنفه واحدودب وسطه وضاق منخراه.

(٢) العثرة: الذلة.

(٣) تبرا: تشفى.

عن القيام بها، وأنه قد رغب إلى من يقوم بأعبائها. وهو محمد بن الواثق بالله، ثم مد يده فبايعه قبل الناس كلهم، ثم بايعه الخاصة ثم كانت بيعة العامة على المنبر، وكتب على المعتز كتاباً أشهد عليه فيه بالخلع والعجز والمبايعة للمهتدي. وفي آخر رجب وقعت في بغداد فتنة هائلة، وثبت فيها العامة على نائبها سليمان بن عبد الله بن طاهر ودعوا إلى بيعة أحمد بن المتوكل أخي المعتز، وذلك لعدم علم أهل بغداد بما وقع بسامرا من بيعة المهتدي، وقتل من أهل بغداد وغرق منهم خلق كثير، ثم لما بلغهم بيعة المهتدي سكنوا، وإنما بلغتهم في سابع شعبان - فاستقرت الأمور واستقر المهتدي في الخلافة. وفي رمضان من هذه السنة ظهر عند قبيحة أم المعتز أموال عظيمة، وجواهر نفيسة. كان من جملة ذلك ما يقارب ألفي ألف دينار، ومن الزمرد الذي لم ير مثله مقدار مكوك[1]، ومن الحب الكبار مكوك، وكيلجة[2] ياقوت أحمر مما لم ير مثله أيضاً. وقد كان الأمراء طلبوا من ابنها المعتز خمسين ألف دينار تصرف في أرزاقهم وضمنوا له أن يقتلوا صالح بن وصيف فلم يكن عنده من ذلك شيء، فطلب من أمه قبيحة هذه قبّحها الله فامتنعت أن تقرضه ذلك، فأظهرت الفقر والشح، وأنه لا شيء عندها. ثم لما قتل ابنها وكان ما كان، ظهر عندها من الأموال ما ذكرنا. وكان عندها من الذهب والفضة والآنية شيء كثير، وقد كان لها من الغلات في كل سنة ما يعدل عشرة آلاف دينار، وقد كانت قبل ذلك مختفية عند صالح بن وصيف عدو ولدها، ثم تزوجت به وكانت تدعو عليه تقول: اللهم اخز صالح بن وصيف كما هتك ستري وقتل ولدي وبدّد شملي وأخذ مالي وغرّبني عن بلدي وركب الفاحشة منّي. ثم استقرت الخلافة باسم المهتدي بالله. وكانت بحمد الله خلافة صالحة. قال يوماً للأمراء: إني ليست لي أم لها من الغلات ما يقاوم عشرة آلاف دينار، ولست أريد إلا القوت فقط لا أريد فضلاً على ذلك إلا لإخوتي، فإنهم مستهم الحاجة.

وفي يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان أمر صالح بن وصيف بضرب أحمد بن إسرائيل الذي كان وزيراً، وأبي نوح عيسى بن إبراهيم الذي كان نصرانياً فأظهر الإسلام، وكان كاتب قبيحة، فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط بعد استخلاص أموالهما ثم طيف بهما على بغلين منكسين فماتا وهما كذلك، ولم يكن ذلك عن رضى المهتدي ولكنه ضعيف لا يقدر على الإنكار على صالح بن وصيف في بادىء الأمر. وفي رمضان في هذه السنة وقعت فتنة ببغداد أيضاً بين محمد بن أوس ومن تبعه من الشاكرية والجند وغيرهم، وبين العامة والرعاع، فاجتمع من العامة نحو من مائة ألف وكان بين الناس قتال بالنبال والرماح والسوط، فقتل خلق كثير ثم انهزم محمد بن أوس وأصحابه فنهبت العامة ما وجدوا من أمواله، وهو ما يعادل ألفي ألف فرنك أو نحو ذلك. ثم اتفق الحال على إخراج محمد بن أوس من بغداد إلى أين أراد. فخرج منها خائفاً طريداً، وذلك لأنه لم يكن عند الناس مرضيّ السيرة بل كان جباراً عنيداً، وشيطاناً مريداً[3]،

---

(١) المكوك: ميكال يسع صاعاً ونصف الصاع.

(٢) الكيلجة: ميكال.

(٣) المريد: الخبيث المتمرد الشرير.

وفاسقاً شديداً، وأمر الخليفة بأن ينفى القيان والمغنون من سامرا، وأمر بقتل السباع والنمور التي في دار السلطان، وقتل الكلاب المعدة للصيد أيضاً. وأمر بإبطال الملاهي ورد المظالم وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وجلس للعامة. وكانت ولايته في الدنيا كلها من أرض الشام وغيرها مفترقة. ثم استدعى الخليفة موسى بن بغا الكبير إلى حضرته ليتقوّى به على من عنده من الأتراك ولتجتمع كلمة الخلافة، فاعتذر إليه من استدعائه مما هو فيه من الجهاد في تلك البلاد.

ذكر خارجي آخر ادعى أنه من أهل البيت [ظهر][١] بالبصرة

في النصف من شوّال ظهر رجل بظاهر البصرة زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يكن صادقاً وإنما كان عسيفاً - يعني أجيراً - من عبد القيس، واسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم، وأمه قرة بنت علي بن رحيب بن محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة، وأصله من قرية من قرى الري. قاله ابن جرير، قال: وقد خرج أيضاً في سنة تسع وأربعين ومائتين بالنجدين فادعى أنه علي بن محمد بن الفضل بن الحسين بن عبد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب، فدعا الناس بهَجَر إلى طاعته فاتبعه جماعة من أهل هجر، ووقع بسببه قتال كثير وفتن كبار، وحروب كثيرة، ولما خرج خرجته هذه الثانية بظاهر البصرة التف عليه خلق من الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ[٢]، فعبر بهم دجلة فنزل الديناري، وكان يزعم لبعض الجهلة من معه أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة، وكان يدعي أنه يحفظ سوراً من القرآن في ساعة واحدة جرى بها لسانه لا يحفظها غيره في مدة دهر طويل، وهنّ سبحان والكهف وصّ وعمّ. وزعم أنه فكّر يوماً وهو في البادية إلى أي بلد يسير فخوطب من سحابة أن يقصد البصرة فقصدها، فلما اقترب منها وجد أهلها مفترقين على شعبتين، سعدية وبلالية، فطمع أن ينضم إلى إحداهما فيستعين بها على الأخرى فلم يقدر على ذلك، فارتحل إلى بغداد فأقام بها سنة وانتسب بها إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد، وكان يزعم بها أنه يعلم ما في ضمائر أصحابه، وأن الله يعلمه بذلك، فتبعه على ذلك جهلة من الطغام[٣]، وطائفة من الرعاع العوام. ثم عاد إلى أرض البصرة في رمضان فاجتمع مع بشر كثير ولكن لم يكن معهم عُدد يقاتلون بها فأتاهم جيش من ناحية البصرة فاقتتلوا جميعاً، ولم يكن في جيش هذا الخارجي سوى ثلاثة أسياف، وأولئك الجيش معهم عدد وعُدد ولبوس، ومع هذا هزم أصحاب هذا الخارجي ذلك الجيش، وكانوا في أربعة آلاف مقاتل، ثم مضى نحو البصرة بمن معه فأهدى له رجل من أهل جبى فرساً فلم يجد لها سرجاً ولا لجاماً، وإنما ألقى عليها حبلاً وركبها وسنّف[٤] حنكها بليف، ثم صادر رجلاً وتهدده بالقتل فأخذ منه مائة وخمسين ديناراً وألف درهم، وكان هذا أول مال نهبه من هذه البلاد، وأخذ من آخر ثلاثة

(١) سقط في ط.

(٢) السباخ: الأرض ذات النز والملح.

(٣) الطغام: أراذل الناس.

(٤) سنّف: شدّه بالسناف، وهو حزام يشد به الرحل.

براذين[١]، ومن موضع آخر شيئاً من الأسلحة والأمتعة، ثم سار في جيش قليل السلاح والخيول، ثم جرت بينه وبين نائب البصرة وقعات متعددة، يهزمهم فيها وكل ما لأمره يقوى وتزداد أصحابه ويعظم أمره ويكثر جيشه، وهو مع ذلك لا يتعرض لأموال الناس ولا يؤذي أحداً، وإنما يريد أخذ أموال السلطان. وقد انهزم أصحابه في بعض حروبه هزيمة عظيمة ثم تراجعوا إليه واجتمعوا عليه، ثم كرّوا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين، وكان لا يؤتى بأسير إلا قتله ثم قوي أمره وخافه أهل البصرة، وبعث الخليفة إليها مدداً ليقاتلوا هذا الخارجي وهو صاحب الزنج قبحه الله، ثم أشار عليه بعض أصحابه أن يهجم بمن معه على أهل البصرة فيدخلونها عنوة فهجّن آراءهم[٢] وقال: بل نكون منها قريباً حتى يكونوا هم الذين يطلبوننا إليها ويخطبوننا عليها. وسيأتي ما كان من أمره وأمر أهل البصرة في السنة المستقبلة إن شاء الله. وفيها حج بالناس علي بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن عباس.

وفيها توفي:

الجاحظ [وهو أبو عثمان عمرو بن بحر سحنون الكناني الليثي البصري المعروف بالجاحظ][٣] المتكلم المعتزلي

وإليه تنسب الفرقة الجاحظية لجحوظ عينيه، ويقال له الحدقي وكان شنيع المنظر سيىء المخبر رديء الاعتقاد، ينسب إلى البدع والضلالات، وربما جاز به بعضهم إلى الانحلال حتى قيل في المثل يا ويح من كفره الجاحظ. وكان بارعاً فاضلاً قد أتقن علوماً كثيرة وصنف كتباً جمة تدل على قوة ذهنه وجودة تصرفه. ومن أجلِّ كتبه كتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبيين. قال ابن خلكان: وهما أحسن مصنفاته وأمتعها وقد أطال ترجمته بحكايات ذكرها عنه. وذكر أنه أصابه الفالج في آخر عمره، وحكي أنه قال: أنا من جانبي الأيسر مفلوج لو قرض بالمقاريض[٤] ما علمت، وجانبي الأيمن منضرس[٥] فلو مرت به ذبابة لألمتني، وبي حصاة، وأشد ما عليَّ ست وتسعون سنة. وكان ينشد:

أَتَـرْجُـو أَنْ تَـكُـونَ وَأَنْـتَ شَـيْـخٌ ... كَـمَـا قَـدْ كُـنْـتَ أَيَّـامَ الـشَّـبَـابِ

لَـقَـدْ كَـذَبَـتْـكَ نَـفْـسُـكَ لَـيْـسَ ثَـوْبٌ ... دَرِيـسٌ[٦] كَـالـجَـدِيـدِ مِـنَ الـثِّـيَـابِ

وفيها توفي عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي وعبد الله بن هاشم الطوسي

(١) البرذون: دابة دون الحصان غليظة الأعضاء ضخمة تتخذ للحمل.
(٢) هجّن آراءهم: ضعّفها وردها.
(٣) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٤) المقاريض: جمع مقراض، وهو المقصّ.
(٥) في ط: منقرس: والمنضرس: المتأكل. والمنقرس: المصاب بالنقرس.
(٦) الثوب الدريس: الدرس البالي.

والخليفة أبو عبد الله المعتز بن المتوكل. ومحمد بن عبد الرحيم الملقب صاعقة.

محمد بن كرّام [صاحب المسند المشهور وقد سمعناه بعلو][١]

الذي تنسب إليه الفرقة الكرّامية. وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول وأصحابه وغيرهم وهو محمد بن كرام ـ بفتح الكاف وتشديد الراء، على وزن جمال ـ بن عراف بن حزامة بن البراء، أبو عبد الله السجستاني العابد، يقال إنه من بني تراب، ومنهم من يقول محمد بن كرام بكسر الكاف وتشديد الراء وهو الذي سكن بيت المقدس إلى أن مات، وجعل الآخر شيخاً من أهل نيسابور. والصحيح الذي يظهر من كلام أبي عبد الله الحاكم وابن عساكر أنهما واحد، وقد روى ابن كرام عن علي بن حجر وعلي بن إسحاق الحنظلي السمرقندي، سمع منه التفسير عن محمد بن مروان عن الكلبي، وإبراهيم بن يوسف الماكناني، ومالك بن سليمان الهروي، وأحمد بن حرب، وعتيق بن محمد الجسري، وأحمد بن الأزهر النيسابوري، وأحمد بن عبد الله الحوساري، ومحمد بن تميم الفارياني، وكانا كذابين وضاعين وغيرهم. وعنه محمد بن إسماعيل بن إسحاق وأبو إسحاق بن سفيان وعبد الله بن محمد القيراطي، وإبراهيم بن الحجاج النيسابوري. وذكر الحاكم أنه حبس في حبس طاهر بن عبد الله فلما أطلقه ذهب إلى ثغور الشام ثم عاد إلى نيسابور فحبسه محمد بن طاهر بن عبد الله وأطال حبسه وكان يتأهب لصلاة الجمعة ويأتي إلى السجان فيقول: دعني أخرج إلى الجمعة، فيمنعه السجّان فيقول: اللهم إنك تعلم أن المنع من غيري. وقال غيره: أقام ببيت المقدس أربع سنين، وكان يجلس للوعظ عند العمود الذي عند مشهد عيسى عليه السلام واجتمع عليه خلق كثير ثم تبين لهم أنه يقول: إن الإيمان قول بلا عمل فتركه أهلها ونفاه متوليها إلى غور زغر فمات بها، ونقل إلى بيت المقدس. مات في صفر من هذه السنة.

وقال الحاكم: توفي ببيت المقدس ليلاً ودفن بباب أريحا عند قبور الأنبياء عليهم السلام، وله ببيت المقدس من الأصحاب نحو من عشرين ألفاً والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين

في صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من المحرم قدم موسى بن بغا الكبير إلى سامرا فدخلها في جيش هائل قد عباه ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين، فأتوا دار الخلافة التي فيها المهتدي جالساً لكشف المظالم فاستأذنوا عليه فأبطأ الإذن ساعة، وتأخر عنهم فظنوا في أنفسهم أن الخليفة إنما طلبهم خديعة منه ليسلط عليهم صالح بن وصيف، فدخلوا عليه هجماً فجعلوا يراطنونهم[٢] بالتركي ثم عزموا فأقاموه من مجلسه وانتهبوا ما كان فيه، ثم أخذوه مهاناً إلى دار أخرى فجعل يقول لموسى بن بغا: ما لك ويحك؟ إني إنما أرسلت

---

(١) سقط في ط.

(٢) المراطنة: التكلم بالكلام الأعجمي.

إليك لأتقوى بك على صالح بن وصيف. فقال له موسى: لا بأس عليك احلف لي أنك لا تريد بي خلاف ما أظهرت. فحلف له المهتدي فطابت الأنفس وبايعوه بيعة ثانية مشافهة وأخذوا عليه العهود والمواثيق أن لا يمالىء صالحاً عليهم، واصطلحوا على ذلك. ثم بعثوا إلى صالح بن وصيف ليحضرهم للمناظرة في أمر المعتز ومن قتله صالح بن وصيف من الكتاب وغيرهم، فوعدهم أن يأتيهم، ثم اجتمع بجماعة من الأمراء من أصحابه وأخذ يتأهب لجمع الجيوش عليهم، ثم اختفى من ليلته لا يدري أحد أين ذهب في تلك الساعة، فبعثوا المنادية تنادي عليه في أرجاء البلد وتهددوا من أخفاه فلم يزل مختفياً إلى آخر صفر على ما سنذكر، وورد سليمان بن عبد الله بن طاهر إلى نيابة بغداد، وسلم الوزير عبد الله بن محمد بن يزداد إلى الحسن بن مخلد الذي كان أراد صالح بن وصيف قتله مع ذينك الرجلين، فبقي في السجن حتى رجع إلى الوزارة.

ولما أبطأ خبر صالح بن وصيف على موسى بن بغا وأصحابه قال بعضهم لبعض: اخلعوا هذا الرجل يعني الخليفة ـ فقال بعضهم: أتقتلون رجلاً صَوّاماً قوّاماً[١] لا يشرب الخمر ولا يأتي الفواحش؟ والله إن هذا ليس كغيره من الخلفاء ولا تطاوعكم الناس عليه. وبلغ ذلك الخليفة فخرج إلى الناس وهو متقلد سيفاً فجلس على السرير واستدعى بموسى بن بغا وأصحابه فقال: قد بلغني ما تمالأتم[٢] عليه من أمري، وإني والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنّط[٣] وقد أوصيت أخي بولدي، وهذا سيفي، والله لأضربن به ما استمسك قائمه[٤] بيدي، والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن بدلها منكم، أو ليذهبن بها أكثركم، أما دين؟ أما حياء؟ أما تستحيون؟ كم يكون هذا الإقدام على الخلفاء والجرأة على الله عزّ وجلّ وأنتم لا تبصرون؟ سواء عندكم من قصد الإبقاء عليكم والسيرة الصالحة فيكم، ومن كان يدعو بأرطال الشراب المسكر فيشربها بين أظهركم وأنتم لا تنكرون ذلك، ثم يستأثر بالأموال عنكم وعن الضعفاء، هذا منزلي فاذهبوا فانظروا فيه وفي منازل إخوتي ومن يصل بي هل ترون فيها من آلات الخلافة شيئاً، أو من فرشها أو غير ذلك؟ وإنما في بيوتنا ما في بيوت آحاد الناس، ويقولون إني أعلم علم صالح بن وصيف، وهل هو إلا واحد منكم؟ فاذهبوا فاعلموا علمه فأبلغوا شفاء نفوسكم فيه وأما أنا فلست أعلم علمه. قالوا: فاحلف لنا على ذلك، قال أما اليمين فإني أبذلها لكم، ولكن أدخرها لكم حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدلين وأصحاب المراتب في غدٍ إذا صليت صلاة الجمعة. قال: فكأنهم لانوا لذلك قليلاً. فلما كان يوم الأحد لثمان بقين من صفر ظفروا بصالح بن وصيف فقتل وجيء برأسه إلى المهتدي بالله وقد انفتل من صلاة المغرب، فلم يزد على أن

(١) القوّام: المكثر من الصلاة.

(٢) تمالأتم: اتفقتم وتآمرتم.

(٣) متحنط: مستعد للموت، والحنوط: الطيب الذي يوضع على الميت.

(٤) قائم السيف: مقبضه.

قال: واروه[١]. ثم أخذ في تسبيحه وذكره. ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين رفع الرأس على رمح ونودي عليه في أرجاء البلد: هذا جزاء من قتل مولاه. وما زال الأمر مضطرباً متفاقماً وعظم الخطب حتى أفضى إلى خلع الخليفة المهتدي وقتله رحمه الله.

خلع المهتدي بالله وولاية المعتمد أحمد بن المتوكل [وإيراد شيء من فضائل المهتدي][٢]

لما بلغ موسى بن بغا أن مساور الشاري قد عاث بتلك الناحية فساداً ركب إليه في جيش كثيف ومعه مفلح وبايكباك التركي فاقتتلوا هم ومساور الخارجي ولم يظفروا به بل هرب منهم وأعجزهم، وكان قد فعل قبل مجيئهم الأفاعيل المنكرة فرجعوا ولم يقدروا عليه. ثم إن الخليفة أراد أن يخالف بين كلمة الأتراك فكتب إلى بايكباك أن يتسلم الجيش من موسى بن بغا ويكون هو الأمير على الناس وأن يقبل بهم إلى سامرا فلما وصل إليه الكتاب أقرأه موسى بن بغا فاشتد غضبه على المهتدي واتفقا عليه وقصدا إليه إلى سامرا، وتركا ما كانا فيه. فلما بلغ المهتدي ذلك استخدم من فوره جنداً من المغاربة والفراعنة والأشروسية والأرزكشية والأتراك أيضاً، وركب في جيش كثيف فلما سمعوا به رجع موسى بن بغا إلى طريق خراسان وأظهر بايكباك السمع والطاعة، فدخل في ثاني عشر رجب إلى الخليفة سامعاً مطيعاً، فلما أوقف بين يديه وحوله الأمراء والسادة من بني هاشم شاورهم في قتله فقال له صالح بن علي بن يعقوب بن أبي جعفر المنصور: يا أمير المؤمنين لم يبلغ أحد من الخلفاء في الشجاعة ما بلغت، وقد كان أبو مسلم الخراساني شراً من هذا وأكثر جنداً، ولما قتله المنصور سكنت الفتنة وخمد صوت أصحابه. فأمر عند ذلك بضرب عنق بايكباك ثم ألقى رأسه إلى الأتراك، فلما رأوا ذلك أعظموه وأصبحوا من الغد مجتمعين على أخي بايكباك طغوتيا فخرج إليهم الخليفة فيمن معه فلما التقوا خامرت[٣] الأتراك الذين مع الخليفة إلى أصحابهم وصاروا إلباً[٤] واحداً على الخليفة، فحمل الخليفة فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ثم حملوا عليه فهزموه ومن معه فانهزم الخليفة وبيده السيف صلتاً[٥] وهو ينادي: يا أيها الناس انظروا خليفتكم. فدخل دار أحمد بن جميل صاحب المعونة، فوضع فيها سلاحه ولبس البياض وأراد أن يذهب فيختفي، فعاجله أحمد بن خاقان منها فأخذه قبل أن يذهب، ورماه بسهم وطعن في خاصرته به وحمل على دابة وخلفه سائس وعليه قميص وسراويل حتى أدخلوه دار أحمد بن خاقان، فجعل من هناك يصفعونه ويبزقون في وجهه، وأخذ خطه بستمائة ألف دينار، وسلموه إلى رجل فلم يزل يجأ[٦] خصيتيه ويطؤهما حتى مات رحمه الله. وذلك يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب.

---

(١) واروه: ادفنوه.
(٢) سقط في ط.
(٣) خامرت: خالطت.
(٤) إلباً: جماعة واحدة.
(٥) صلتاً: مشهوراً.
(٦) يجأ: يضرب ويطعن.

وكانت خلافته أقل من سنة بخمسة أيام، وكان مولده في سنة تسع عشرة، وقيل خمس عشرة ومائتين، وكان أسمر رقيقاً أحني[١] حسن اللحية يكنى أبا عبد الله وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد ودفن بمقبرة المنتصر بن المتوكل.

قال الخطيب: وكان من أحسن الخلفاء مذهباً وأجودهم طريقة وأكثرهم ورعاً وعبادة وزهادة. قال: وروى حديثاً واحداً قال: حدَّثني علي بن هشام بن طراح عن محمد بن الحسن الفقيه عن ابن أبي ليلى ـ وهو داود بن علي ـ عن أبيه عن ابن عباس قال قال العباس: يا رسول الله ما لنا في هذا الأمر؟ قال: «لِيَ النُّبُوَّةُ وَلَكُمُ الخِلافَةُ، بِكُمْ يُفْتَحُ هٰذَا الأَمْرُ وَبِكُمْ يُخْتَمُ». وقال للعباس: «مَنْ أَحَبَّكَ نَالَتْهُ شَفَاعَتِي، وَمَنْ أَبْغَضَكَ لا نَالَتْهُ شَفَاعَتِي». وروى الخطيب أن رجلاً استعان المهتدي على خصمه فحكم بينهما بالعدل فأنشأ الرجل يقول:

حَكَّمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَجُ[٢] مِثْلُ القَمَرِ الزَّاهِرِ
لا يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ وَلا يُبَالِي غَبنَ[٣] الخَاسِرِ

فقال له المهتدي: أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقالتك، ولست أغتر بما قلت. وأما أنا فإني ما جلست مجلسي هذا حتى قرأت ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧] قال: فبكى الناس حوله فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم. وقال بعضهم: سرد[٤] المهتدي الصوم من حين تولى إلى حين قتل رحمه الله. وكان يحب الاقتداء بما سلكه عمر بن عبد العزيز الأموي في خلافته من الورع والتقشف وكثرة العبادة وشدة الاحتياط، ولو عاش ووجد ناصراً لسار سيرته ما أمكنه، وكان من عزمه أن يبيد الأتراك الذين أهانوا الخلفاء وأذلوهم، وانتهكوا منصب الخلافة.

وقال أحمد بن سعيد الأموي: كنا جلوساً بمكة وعندي جماعة ونحن نبحث في النحو وأشعار العرب، إذ وقف علينا رجل نظنه مجنوناً فأنشأ يقول:

أَمَا تَسْتَحُونَ الله يا مَعْدِنَ النَّحْوِ شُغِلْتُمْ بِذَا وَالنَّاسُ في أَعْظَمِ الشُّغْلِ
إِمَامُكُمُ أَضْحَى قَتِيلاً مُجَنْدَلاً وَقَدْ أَصْبَحَ الإِسْلامُ مُفْتَرِقَ الشَّمْلِ
وَأَنْتُمْ عَلَى الأَشْعَارِ وَالنَّحْوِ عُكَّفاً تَصِيحُونَ بِالأَصْوَاتِ فِي أَحْسَنِ السُّبْلِ

قال فنظرنا وأرخنا ذلك اليوم فإذا المهتدي بالله قد قتل في ذلك اليوم، وهو يوم الاثنين لأربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين.

---

(١) أحني: أحدب.

(٢) الأبلج: الأبيض الحسن الوجه.

(٣) الغبن: الانتقاص والخداع في البيع والشراء.

(٤) سرد الصوم: واصله.

خلافة المعتمد على الله

وهو أحمد بن المتوكل على الله ويعرف بابن فتيان، بويع له بالخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب في هذه السنة في دار الأمير يارجوخ وذلك قبل خلع المهتدي بأيام، ثم كانت بيعة العامة يوم الاثنين لثمان مضت من رجب، قيل ولعشرين بقين من رجب دخل موسى بن بغا ومفلح إلى سر من رأى فنزل موسى في داره وسكن وخمدت الفتن هنالك، وأما صاحب الزنج المدَّعي أنه علوي فهو محاصر للبصرة وجيوش الخليفية في وجهه دونها، وهو في كل يوم يقهرهم ويغنم أموالهم وما يفد إليهم في المراكب من الأطعمة وغيرها، ثم استحوذ بعد ذلك على الأبلة وعبادان وغيرهما من البلاد وخاف منه أهل البصرة خوفاً شديداً، وكلما لأمره في قوة وجيوشه في زيادة، ولم يزل ذلك دأبه إلى انسلاخ هذه السنة.

وفيها خرج رجل آخر بالكوفة يقال له علي بن زيد الطالبي، وجاءه جيش من جهة الخليفة فكسره الطالبي واستفحل أمره بالكوفة وقويت شوكته، وتفاقم أمره. وفيها وثب محمد بن واصل التميمي على نائب الأهواز الحارث بن سيما الشرابي. فقتله واستحوذ على بلاد الأهواز. وفي رمضان منها تغلب الحسن بن زيد الطالبي على بلاد الري فتوجه إليه موسى بن بغا في شوال، وخرج الخليفة لتوديعه. وفيها كانت وقعة عظيمة على باب دمشق بين أماجور نائب دمشق - ولم يكن معه إلا قريب من أربعمائة فارس - وبين ابن عيسى ابن الشيخ، وهو في قريب من عشرين ألفاً، فهزمه أماجور وجاءت ولاية من الخليفة لابن الشيخ على بلاد أرمينية على أن يترك أهل الشام، فقبل ذلك وانصرف عنهم. وفيها حج بالناس محمد بن أحمد بن عيسى المنصور، وكان في جملة من حج أبو أحمد بن المتوكل. فتعجل وعجل السير إلى سامرا فدخلها ليلة الأربعاء لثلاث بقيت من ذي الحجة من هذه السنة. وفيها توفي المهتدي بالله الخليفة كما تقدم رحمه الله تعالى.

والزبير بن بكار

ابن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري قاضي مكة. وقدم بغداد وحدث بها. وله كتاب أنساب قريش، وكان من أهل العلم بذلك، وكتابه في ذلك حافل جداً. وقد روى عنه ابن ماجة وغيره، ووثقه الدارقطني والخطيب وأثنى عليه وعلى كتابه وتوفي بمكة عن أربع وثمانين سنة في ذي القعدة من هذه السنة.

الإمام محمد بن إسماعيل البخاري

صاحب الصحيح، وقد ذكرنا له ترجمة حافلة في أول شرحنا لصحيحه، ولنذكر ها هنا نبذة يسيرة من ذلك فنقول: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزدزبه الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري الحافظ، إمام أهل الحديث في زمانه، والمقتدى به في

أوانه، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه، وكتابه الصحيح يستقي بقراءته الغمام، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه، وكذلك سائر أهل الإِسلام، ولد البخاري رحمه الله في ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ومات أبوه وهو صغير فنشأ في حجر أمه فألهمه حفظ الحديث وهوى الكتب[1]، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً، وحج وعمره ثماني عشرة سنة. فأقام بمكة يطلب بها الحديث، ثم رحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها، وكتب عن أكثر من ألف شيخ. وروى عنه خلائق وأمم. وقد روى الخطيب البغدادي عن الفربري أنه قال: سمع الصحيح من البخاري معي نحو من سبعين ألفاً لم يبق منهم أحد غيري. وقد روى البخاري من طريق الفربري كما هي رواية الناس اليوم من طريقه، وحماد بن شاكر وإبراهيم بن معقل وطاهر بن مخلد. وآخر من حدث عنه أبو طلحة منصور بن محمد بن علي البردي النسفي وقد توفي النسفي هذا في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. ووثقه الأمير أبو نصر بن ماكولا. وممن روى عن البخاري مسلم في غير الصحيح، وكان مسلم يتلمذ له ويعظمه، وروى عنه الترمذي في جامعه، والنسائي في سننه في قول بعضهم. وقد دخل بغداد ثمان مرات، وفي كل منها يجتمع بالإِمام أحمد فيحثه أحمد على المقام ببغداد ويلومه على الإقامة بخراسان. وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفىء سراجه، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى حتى كان يتعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة. وقد كان أصيب بصره وهو صغير فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال يا هذه قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعائك، أو قال بكائك، فأصبح وهو بصير.

وقال البخاري. فكرت البارحة فإذا أنا قد كتبت لي مصنفات نحواً من مائتي ألف حديث مسندة. وكان يحفظها كلها. ودخل مرة إلى سمرقند فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها، فركبوا أسانيد وأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وخلطوا الرجال في الأسانيد وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قرؤوها على البخاري فرد كل حديث إلى إسناده، وقوّم تلك الأحاديث كلها، وما تعنتوا عليه فيها، ولم يقدروا أن يعلقوا[2] عليه سقطة في إسناد[3] ولا متن[4]. وكذلك صنع في بغداد. وقد ذكروا أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظه من نظرة واحدة. والأخبار عنه في ذلك كثيرة.

وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه.

فقال الإِمام أحمد: ما أخرجت خراسان مثله.

---

(١) في ط: وهو في المكتب.

(٢) يعلقوا: يمسكوا.

(٣) الإسناد: أي ذكر الرجال الذين رووا الحديث واحداً بعد واحد.

(٤) المتن: النص.

وقال علي بن المديني: لم ير البخاري مثل نفسه.

وقال إسحاق بن راهويه: لو كان في زمن الحسن لاحتاج الناس إليه في الحديث ومعرفته وفقهه.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن تمير: ما رأينا مثله. وقال علي بن حجر: لا أعلم مثله.

وقال محمود بن النظر بن سهل الشافعي: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فضلوه على أنفسهم.

وقال أبو العباس الدعولي: كتب أهل بغداد إلى البخاري:

المُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ ما حَيِيتَ لَهُمْ ... وَلَيْسَ بَعْدَكَ خَيْرٌ حِينَ تُفْتَقَدُ

وقال الفلاس: كل حديث لا يعرفه البخاري فليس بحديث.

وقال أبو نعيم أحمد بن حماد: هو فقيه هذه الأمة.

وكذا قال يعقوب بن إبراهيم الدورقي.

ومنهم من فضله في الفقه والحديث على الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه.

وقال قتيبة بن سعيد: رحل إليّ من شرق الأرض وغربها خلق فما رحل إليَّ مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

وقال مرجّى بن رجاء: فضل البخاري على العلماء كفضل الرجال على النساء - يعني في زمانه - وأما قبل زمانه مثل قرب الصحابة والتابعين فلا. وقال هو آية من آيات الله تمشي على الأرض.

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: محمد بن إسماعيل البخاري أفقهنا وأعلمنا وأغوصنا وأكثرنا طلباً.

وقال إسحاق بن راهويه: هو أبصر مني.

وقال أبو حاتم الرازي: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق.

وقال عبيد الله العجلي: رأيت أبا حاتم وأبا زرعة يجلسان إليه يسمعان ما يقول، ولم يكن مسلم يبلغه، وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلي بكذا وكذا، وكان حيياً فاضلاً يحسن كل شيء. وقال غيره: رأيت محمد بن يحيى الذهلي يسأل البخاري عن الأسامي والكنى والعلل، وهو يمر فيها كالسهم، كأنه يقرأ قل هو الله أحد.

وقال أحمد بن حمدون القصار: رأيت مسلم بن الحجاج جاء إلى البخاري فقبل بين عينيه وقال: دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله، ثم سأله عن حديث كفارة المجلس فذكر له علّته فلما فرغ قال له مسلم لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك.

وقال الترمذي: لم أرَ بالعراق ولا في خراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد

أعلم من البخاري، وكنا يوماً عند عبد الله بن منير فقال للبخاري: جعلك الله زين هذه الأمة.
قال الترمذي: فاستجيب له فيه.

وقال ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء[١] أعلم بحديث رسول الله ﷺ ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري، ولو استقصينا ثناء العلماء عليه في حفظه وإتقانه وعلمه وفقهه وورعه وزهده وعبادته لطال علينا، ونحن على عجل من أجل الحوادث والله سبحانه المستعان. وقد كان البخاري رحمه الله في غاية الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد في الدنيا دار الفناء، والرغبة في الآخرة دار البقاء. وقال البخاري: إني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد يطالبني أني اغتبته. فذكر له التاريخ وما ذكر فيه من الجرح والتعديل[٢] وغير ذلك. فقال: ليس هذا من هذا، قال النبي ﷺ: «ائذنوا لَهُ فَلَبِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ» ونحن إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا. وقد كان رحمه الله يصلّي في كل ليلة ثلاث عشرة ركعة، وكان يختم القرآن في كل ليلة من رمضان ختمة، وكانت له جدة ومال جيد ينفق منه سراً وجهراً، وكان يكثر الصدقة بالليل والنهار، وكان مستجاب الدعوة مسدد الرمية شريف النفس، بعث إليه بعض السلاطين ليأتيه حتى يسمع أولاده عليه فأرسل إليه: في بيته العلم والحلم يؤتى - يعني إن كنتم تريدون ذلك فهلموا إليّ - وأبى أن يذهب إليهم. والسلطان خالد بن أحمد الذهلي نائب الظاهرية ببخارى، فبقي في نفس الأمير من ذلك، فاتفق أن جاء كتاب من محمد بن يحيى الذهلي بأن البخاري يقول لفظه بالقرآن مخلوق - وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام وصنف البخاري في ذلك كتاب أفعال العباد - فأراد الأمير أن يصرف الناس عن السماع من البخاري، وقد كان الناس يعظمونه جداً، وحين رجع إليهم نثروا على رأسه الذهب والفضة يوم دخل بخارى عائداً إلى أهله، وكان له مجلس يجلس فيه للإملاء بجامعها فلم يقبلوا من الأمير، فأمر عند ذلك بنفيه من تلك البلاد، فخرج منها ودعا على خالد بن أحمد فلم يمض شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادي على خالد بن أحمد على أتان، وزال ملكه وسجن ببغداد حتى مات، ولم يبق أحد يساعده على ذلك إلا ابتلي ببلاء شديد، فنزح البخاري من بلده إلى بلدة يقال لها خرتنك على فرسخين من سمرقند، فنزل عند أقارب له بها وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه حين رأى الفتن في الدين، لما جاء في الحديث: «وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنَا إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونِينَ». ثم اتفق مرضه على إثر ذلك. فكانت وفاته ليلة عيد الفطر - وكانت ليلة السبت - عند صلاة العشاء، وصلّي عليه يوم العيد بعد الظهر من هذه السنة - أعني سنة ست وخمسين ومائتين - وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، وفق ما أوصى به، وحين ما دفن فاحت من قبره رائحة غالية[٣] أطيب من ريح المسك ثم دام ذلك أياماً ثم

(١) أديم السماء: وجهها.

(٢) الجرح: أي رد رواية الحديث وانتقاص صاحبها والتعديل: الشهادة له بالثقة والأمانة.

(٣) الغالية: الطيب، أو نوع منه.

جعلت ترى سواري بيض [مستطيلة][1] بحذاء قبره. وكان عمره يوم مات اثنتين وستين سنة. وقد ترك رحمه الله علماً نافعاً لجميع المسلمين، فعلمه لم ينقطع بل هو موصول بما أسداه من الصالحات في الحياة، وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاّ مِنْ ثَلاثٍ، عِلْم يُنْتَفَعُ بِهِ» الحديث رواه مسلم وشرطه في صحيحه هذا أعز من شرط كل كتاب صنف في الصحيح، لا يوازيه فيه غيره، لا صحيح مسلم ولا غيره. وما أحسن ما قال بعض الفصحاء من الشعراء:

صَحِيحُ البُخَارِيّ لَوْ أنْصَفُوهُ ... لَمَا خُطَّ إلاّ بِمَاءِ الذَّهَبْ
هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ الهُدَى والعَمَى ... هُوَ السَّدُّ بَيْنَ الفَتى وَالعَطَبْ
أَسَانِيدُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ ... أَمَامَ مُتُونٍ لَهَا كَالشُّهُبْ
بِهَا قَامَ مِيزَانُ دِينِ الرَّسُولِ ... وَدَانَ بِهِ العُجْمُ بَعْدَ العَرَبْ
حِجَابٌ مِنَ النَّارِ لا شَكَّ فِيهِ ... يُمَيِّزُ بَيْنَ الرِّضَى وَالغَضَبْ
وَسِتْرٌ رَقِيقٌ إلى المُصْطَفَى ... وَنَصٌّ مُبِينٌ لِكَشْفِ الرِّيَبْ[2]
فَيَا عَالِماً أَجْمَعَ العَالِمُو ... نَ عَلَى فَضْلِ رُتْبَتِهِ فِي الرُّتَبْ
سَبَقْتَ الأئِمَّةَ فِيمَا جَمَعْتَ ... وَفُزْتَ عَلَى زَعْمِهِمْ بِالقَصَبْ[3]
نَفَيْتَ الضَّعِيفَ مِنَ النَّاقِلِـ ... ـينَ وَمَنْ كَانَ مُتَّهَماً بِالكَذِبْ
وَأَبْرَزْتَ فِي حُسْنِ تَرْتِيبِهِ ... وَتَبْوِيبِهِ عَجَباً لِلْعَجَبْ
فَأَعْطَاكَ مَوْلاكَ مَا تَشْتَهِيهِ ... وَأَجْزَلَ حَظَّكَ فِيمَا وَهَبْ

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

فيها ولي الخليفة المعتمد ليعقوب بن الليث بلخ وطخارستان وما يلي ذلك من كرمان وسجستان والسند وغيرها. وفي صفر منها عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن وأضاف إليه في رمضان نيابة بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز وفارس، وأذن له أن يستنيب في ذلك كله. وفيها تواقع سعيد الحاجب وصاحب الزنج في أراضي البصرة فهزمه سعيد الحاجب واستنقذ من يده خلقاً من النساء والذرية، واسترجع منه أموالاً جزيلة. وأهان الزنج غاية الإهانة. ثم إن الزنج بيتوا سعيداً وجيشه فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ويقال إن سعيد بن صالح قتل أيضاً. ثم إن الزنج التقوا هم ومنصور بن جعفر الخياط في جيش كثيف فهزمهم صاحب الزنج المدعي أنه طالبي، وهو كاذب.

قال ابن جرير: وفيها ظفر ببغداد بموضع يقال له بركة زلزل برجل خناق قد قتل خلقاً من النساء كان يؤلف المرأة ثم يخنقها ويأخذ ما عليها، فحمل إلى المعتمد فضرب بين يديه ألفي

(١) سقط في ط. (٢) الريب: الشك. (٣) القصب: السبق.

سوط وأربعمائة، فلم يمت حتى ضربه الجلادون على أنثييه بخشب العُقابين[١] فمات، ورد إلى بغداد وصلب هناك، ثم أُحرق جسده. وفي ليلة الرابع عشر من شوال من هذه السنة كسف القمر وغاب أكثره . وفي صبيحة هذا اليوم دخل جيش الخبيث الزنجي إلى البصرة قهراً فقتل من أهلها خلقاً وهرب نائبها بغراج ومن معه، وأحرق الزنج جامع البصرة ودوراً كثيرة، وانتهبوها ثم نادى فيهم إبراهيم بن المهلبي أحد أصحاب الزنجي الخارجي: من أراد الأمان فليحضر. فاجتمع عنده خلق كثير من أهل البصرة فرأى أنه قد أصاب فرصة فغدر بهم وأمر بقتلهم، فلم يفلت منهم إلا الشاذ. كانت الزنج تحيط بجماعة من أهل البصرة ثم يقول بعضهم لبعض: كيلوا ـ وهي الإشارة بينهم إلى القتل ـ فيحملون عليهم بالسيوف فلا يسمع إلا قول أشهد أن لا إله إلا الله، من أولئك المقتولين وضجيجهم عند القتل ـ أي صراخ الزنج وضحكهم ـ فإنا لله وإنا إليه راجعون. وهكذا كانوا يفعلون في كل محال البصرة في عدة أيام نحسات، وهرب الناس منهم كل مهرب، وحرقوا الكلأ[٢] من الجبل إلى الجبل، فكانت النار تحرق ما وجدت من شيء من إنسان أو بهيمة أو آثار أو غير ذلك، وأحرقوا المسجد الجامع [وقد قتل هؤلاء جماعة كثيرة من الأعيان والأدباء والفضلاء. والمحدثين والعلماء. فإنا لله وإنا إليه راجعون][٣]. وكان هذا الخبيث قد أوقع في أهل فارس وقعة عظيمة، ثم بلغه أن أهل البصرة قد جاءهم من الميرة شيء كثير وقد اتسعوا بعد الضيق فحسدهم على ذلك، فروى ابن جرير عن من سمعه يقول: دعوت الله على أهل البصرة فخوطبت فقيل: إنما أهل البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها، فإذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة فأوّلت الرغيف القمر وانكساره انكسافه، وقد كان هذا شائعاً في أصحابه حتى وقع الأمر طبق ما أخبر به. ولا شك أن هذا كان معه شيطان يخاطبه، كما كان يأتي الشيطان مسيلمة وغيره. قال: ولما وقع ما وقع من الزنج بأهل البصرة قال هذا الخبيث لمن معه: إني صبيحة ذلك دعوت الله على أهل البصرة فرفعت لي البصرة بين السماء والأرض ورأيت أهلها يقتلون ورأيت الملائكة تقاتل مع أصحابي وإني لمنصور على الناس والملائكة تقاتل معي، وتثبت جيوشي، ويؤيدونني في حروبي. ولما صار إليه العلوية الذين كانوا بالبصرة انتسب هو حينئذٍ إلى يحيى بن زيد، وهو كاذب في ذلك بالإجماع، لأن يحيى بن زيد لم يعقب إلا بنتاً ماتت وهي ترضع، فقبّح الله هذا اللعين ما أكذبه وأفجره وأغدره.

وفيها في مستهل ذي القعدة وجه الخليفة جيشاً كثيفاً مع الأمير محمد ـ المعروف بالمولد ـ لقتال صاحب الزنج، فقبض في طريقه على سعد بن أحمد الباهلي الذي كان قد تغلب على أرض البطائح وأخاف السبيل. وفيها خالف محمد بن واصل الخليفة بأرض فارس وتغلب عليها. وفيها وثب رجل من الروم يقال له بسيل الصقلبي على ملك الروم

(١) العقابين: نوع من الشجر.

(٢) الكلأ: الزروع والمراعي.

(٣) ما بين معقوفين زيادة من النسخة المصرية.

ميخائيل بن توفيل فقتله واستحوذ على مملكة الروم، وقد كان لميخائيل في الملك على الروم أربع وعشرون سنة. وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق العباسي.

وفيها توفي من الأعيان:

الحسن بن عرفة بن يزيد: صاحب الجزء المشهور المروي، وقد جاوز المائة بعشر سنين، وقيل بسبع، وكان له عشرة من الولد سماهم بأسماء العشرة. وقد وثقه يحيى بن معين وغيره، وكان يتردد إلى الإمام أحمد بن حنبل ولد في سنة خمسين ومائة، وتوفي في هذه السنة عن مائة وسبع سنين.

وأبو سعيد الأشج. ويزيد بن أخرم الطائي. والرواسي ذبحهما الزنْج في جملة من ذبحوا من أهل البصرة. **وعلي بن خشرم [كما قدمنا قصتهم قبحهم الله لما قتلوا من المسلمين رحمهم الله]**[١]. أحد مشايخ مسلم الذي يكثر عنهم الرواية. **والعباس بن الفرج أبو الفضل الرياشي** النحوي اللغوي. كان عالماً بأيام العرب والسير وكان كثير الاطلاع ثقة عالماً، روى عن الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما، وعنه إبراهيم الحربي، وأبو بكر بن أبي الدنيا وغيرهما قتل بالبصرة في هذه السنة. قتله الزنج ذكره ابن خلكان في الوفيات وحكى عنه الأصمعي أنه قال: مرّ بنا أعرابي ينشد ابنه فقلنا له صفه لنا. فقال: كأنه دنينير. فقلنا: لم نره، فلم نلبث أن جاء يحمله على عنقه أسيود كأنه سفل قدر. فقلت: لو سألتنا عن هذا لأرشدناك، إنه منذ اليوم يلعب ههنا مع الغلمان. ثم أنشد الأصمعي:

نِـعْـمَ ضَـجِـيـعُ الـفَـتَـى إذا بَـرَدَ ... الـلَّـيْـلُ سُـحَـيْـراً وقَـرْقَـفَ الـصـرد

زَيَّـنَـهَـا الله فِـي الـفُـؤَادِ كَـمَـا ... زُيِّـنَ فـي عَـيْـنِ وَالِـدٍ وَلَـدُ

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين

في يوم الاثنين لعشر بقين من ربيع الأول عقد الخليفة لأخيه أبي أحمد على ديار مصر وقنسرين والعواصم، وجلس يوم الخميس في مستهل ربيع الآخر فخلع على أخيه وعلى مفلح وركبا نحو البصرة في جيش كثيف في عدد وعُدد، فاقتتلوا هم والزنج قتالاً شديداً فقتل مفلح للنصف من جمادى الأولى، أصابه سهم بلا نصل في صدره فأصبح ميتاً، وحملت جثته إلى سامرا فدفن بها. وفيها أسر يحيى بن محمد البحراني أحد أمراء صاحب الزنج الكبار، وحمل إلى سامرا فضرب بين يدي المعتمد مائتي سوط ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف، ثم أخذ[٢] بالسيوف ثم ذبح ثم أحرق، وكان الذين أسروه جيش أبي أحمد في وقعة هائلة مع الزنج قبّحهم الله. ولما بلغ خبره صاحب الزنج أسف على ذلك ثم قال: لقد خوطبت فيه قيل لي: قتله كان خيراً لك. لأنه كان شرهاً يخفي من المغانم خيارها وقد كان

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) في ط: خبط.

صاحب الزنج [المدعي إلى غير أبيه][1] يقول لأصحابه: لقد عرضت علي النبوة فخفت أن لا أقوم بأعبائها فلم أقبلها.

وفي ربيع الآخر منها وصل سعيد بن أحمد الباهلي إلى باب الخليفة فضرب سبعمائة سوط حتى مات ثم صلب. وفيها قتل قاضٍ وأربعة وعشرون رجلاً من أصحاب صاحب الزنج عند باب العامة بسامرا. وفيها رجع محمد بن واصل إلى طاعة السلطان وحمل خراج فارس وتمهدت الأمور هناك [واستقرت على السوء][2]. وفيها في أواخر رجب كان بين أبي أحمد وبين الزنج وقعة هائلة فقتل منها خلق من الفريقين. ثم استوخم أبو أحمد منزله فانتقل إلى واسط فنزلها في أوائل شعبان، فلما نزلها وقعت هناك زلزلة شديدة وهدة عظيمة، تهدمت فيها بيوت ودور كثيرة، ومات من الناس نحو من عشرين ألفاً. وفيها وقع في الناس وباء شديد وموت عريض ببغداد وسامرا وواسط وغيرها من البلاد، وحصل للناس ببغداد داء يقال له القفاع. وفي يوم الخميس لسبع خلون من رمضان أخذ رجل من باب العامة بسامرا ذكر عنه أنه يسب السلف فضرب ألف سوط حتى مات. وفي يوم الجمعة ثامنه توفي الأمير يارجوخ فصلَّى عليه أخو الخليفة أبو عيسى وحضره جعفر بن المعتمد على الله. وفيها كانت وقعة هائلة بين موسى بن بغا وبين أصحاب الحسين بن زيد ببلاد خراسان فهزمهم موسى هزيمة فظيعة. وفيها كانت وقعة بين مسرور البلخي وبين مساور الخارجي فكسره مسرور وأسر من أصحابه جماعة كثيرة. وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق المتقدم ذكره.

وفيها توفي من الأعيان: **أحمد بن بديل وأحمد بن حفص. وأحمد بن سنان القطان. [وأحمد بن الفرات وحميد بن الربيع]**[3] **ومحمد بن يحيى الذهلي. ويحيى بن معاذ الرازي.**

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين

في يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر رجع أبو أحمد بن المتوكل من واسط إلى سامرا وقد استخلف على حرب الزنج محمد الملقب بالمولد، وكان شجاعاً شهماً. وفيها بعث الخليفة إلى نائب الكوفة جماعة من القواد فذبحوه وأخذوا ما كان معه من المال فإذا هو أربعون ألف دينار. وفيها تغلب رجل جمال يقال له شركب الجمال على مدينة مرو فانتهبها وتفاقم أمره وأمر أتباعه هناك. ولثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة توجه موسى بن بغا إلى حرب الزنج، وخرج المعتمد لتوديعه وخلع عليه عند مفارقته له، وخرج عبد الرحمن بن مفلح إلى بلاد الأهواز نائباً عليها، وليكون عوناً لموسى بن بغا على حرب صاحب الزنج الخبيث، فهزم عبد الرحمن بن مفلح جيش الخبيث وقتل من الزنج خلقاً كثيراً وأسر طائفة كبيرة منهم وأرعبهم رعباً كثيراً بحيث لم يتجاسروا على مواقفته مرة ثانية، وقد حرّضهم الخبيث كل التحريض فلم ينجع ذلك فيهم، ثم تواقع عبد الرحمن بن مفلح

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط. (٣) سقط في ط.

وعلي بن أبان المهلبي وهو مقدم جيوش صاحب الزنج فجرت بينهما حروب يطول شرحها، ثم كانت الدائرة على الزنج ولله الحمد. فرجع علي بن أبان إلى الخبيث مغلوباً مقهوراً، وبعث عبد الرحمن بالأسارى إلى سامرا فبادر إليهم العامة فقتلوا أكثرهم وسلبوهم قبل أن يصلوا إلى الخليفة.

وفيها دنا ملك الروم لعنه الله إلى بلاد سُميساط ثم إلى ملطية فقاتله أهلها فهزموه وقتلوا بطريق البطارقة من أصحابه، ورجع إلى بلاده خاسئاً وهو حسير. وفيها دخل يعقوب بن الليث إلى نيسابور وظفر بالخارجي الذي كان بهراة ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة فقتله وحمل رأسه على رمح وطيف به في الآفاق. ومعه رقعة مكتوب فيها ذلك.

وفيها حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن يعقوب بن سليمان بن إسحاق بن علي بن عبد الله بن عباس.

وفيه توفي من الأعيان: إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق أبو إسحاق الجوزجاني خطيب دمشق وإمامها وعالمها وله المصنفات المشهورة المفيدة، منها المترجم فيه علوم غزيرة وفوائد كثيرة. **وأحمد بن إسماعيل السهمي وحجاج بن يوسف الشاعر ومحمد بن آدم [والله أعلم]**[1].

ثم دخلت سنة ستين ومائتين

فيها وقع غلاء شديد ببلاد الإسلام كلها حتى أجلى أكثر أهل البلدان منها إلى غيرها ولم يبق بمكة أحد من المجاورين حتى ارتحلوا إلى المدينة وغيرها من البلاد، وخرج نائب مكة منها. وبلغ كُرّ الشعير ببغداد مائة وعشرين ديناراً، واستمر ذلك شهوراً. وفيها قتل صاحب الزنج علي بن زيد صاحب الكوفة، وفيها أخذ الروم من المسلمين حصن لؤلؤة.

وفيها حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المذكور قبلها.

وفيها توفي من الأعيان: **الحسن بن محمد الزعفراني، وعبد الرحمن بن شرف. ومالك بن طوق** صاحب الرحبة الذي تنسب إليه وهو مالك بن طوق، ويقال للرحبة رحبة مالك بن طوق **وحنين بن إسحاق العبادي**، الذي عرّب كتاب إقليدس وحرره بعد ثابت بن قرة. وعرّب حنين أيضاً كتاب المجسطي وغير ذلك من كتب الطب من لغة اليونان إلى لغة العرب، وكان المأمون شديد الاعتناء بذلك جداً، وكذلك جعفر البرمكي قبله ولحنين مصنفات كثيرة في الطب، وإليه تنسب مسائل حنين، وكان بارعاً في فنه جداً، توفي يوم الثلاثاء لست خلون من صفر من هذه السنة. قاله ابن خلكان.

سنة إحدى وستين ومائتين

فيها انصرف الحسن بن زيد من بلاد الديلم إلى طبرستان وأحرق مدينة شالوس

(١) سقط في ط.

لممالأتهم يعقوب بن الليث عليه. وفيها قتل مساور الخارجي يحيى بن حفص الذي كان يلي طريق خراسان في جمادى الآخرة فشخص إليه مسرور البلخي ثم تبعه أبو أحمد بن المتوكل فهرب مساور فلم يلحق. وفيها كانت وقعة بين ابن واصل الذي تغلب على فارس وبين عبد الرحمن بن مفلح فكسره ابن واصل وأسره وقتل طاشتمر واصطلم[1] الجيش الذين كانوا معه فلم يفلت منهم إلا اليسير، ثم سار ابن واصل إلى واسط يريد حرب موسى بن بغا فرجع موسى إلى نائب الخليفة وسأل أن يعفى من ولاية بلاد المشرق لما بها من الفتن، فعزل عنها وولاًها الخليفة إلى أخيه أبي أحمد. وفيها سار أبو الساج إلى حرب الزنج فاقتتلوا قتالاً شديداً وغلبتهم الزنج ودخلوا الأهواز فقتلوا خلقاً من أهلها وأحرقوا منازل كثيرة، ثم صرف أبو الساج عن نيابة الأهواز وخربها الزنج وولّى الخليفة ذلك إبراهيم بن سيما. وفيها تجهز مسرور البلخي في جيش لقتال الزنج. وفيها ولّى الخليفة نصر بن أحمد بن أسد اللباني ما وراء نهر بلخ وكتب إليه بذلك في شهر رمضان. وفي شوّال قصد يعقوب بن الليث حرب بن واصل فالتقيا في ذي القعدة فهزمه يعقوب وأخذ عسكره وأسر رجاله وطائفة من حرمه وأخذ من أمواله ما قيمته أربعون ألف ألف درهم. وقتل من كان يمالئه وينصره من أهل تلك البلاد. وأصلح الله به تلك الناحية.

ولاثنتي عشرة ليلة خلت من شوّال ولّى المعتمد على الله ولده جعفراً العهد من بعده وسمّاه المفوض إلى الله وولاّه المغرب وضم إليه موسى بن بغا وولاية إفريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان وغير ذلك، وجعل الأمر من بعد ولده لأبي أحمد المتوكل ولقبه الموفق بالله وولاّه المشرق وضم إليه مسرور البلخي وولاه بغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكسكر وكور دجلة والأهواز وفارس وأصبهان والكرخ والدينور والري وزنجان والسند، وكتب بذلك مكاتبات وقرئت في الآفاق، وعلق منها نسخة بالكعبة وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق.

وفيها توفي من الأعيان: **أحمد بن سليمان الرهاوي. وأحمد بن عبد الله العجلي. والحسن بن أبي الشوارب** بمكة. **وداود بن سليمان الجعفري. وشعيب بن أيوب. وعبد الله بن الواثق أخو المهتدي بالله. وأبو شعيب السوسي. وأبو يزيد البسطامي** أحد أئمة الصوفية. **وعلي بن إشكاب وأخوه أبو محمد ومسلم بن الحجاج صاحب الصحيح**. رحمهم الله تعالى.

الإمام مسلم: ذكر شيء من ترجمته بالاختصار

هو مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري أحد الأئمة من حفاظ الحديث صاحب الصحيح الذي هو تلو صحيح البخاري عند أكثر العلماء، وذهبت المغاربة وأبو علي النيسابوري من المشارقة إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخاري، فإن أرادوا تقديمه

(١) اصطلمه: قطعه من أصله، وقضى عليه.

عليه في كونه ليس فيه شيء من التعليقات إلا القليل، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها في موضع واحد ولا يقطعها كتقطيع البخاري لها في الأبواب فهذا القدر لا يوازي قوة أسانيد البخاري واختياره في الصحيح لها ما أوزده في جامعه معاصرة الراوي لشيخه وسماعه منه وفي الجملة فإن مسلماً لم يشترط في كتابه الشرط الثاني كما هو مقرر في علوم الحديث، وقد بسطت ذلك في أول شرح البخاري. والمقصود أن مسلماً دخل إلى العراق والحجاز والشام ومصر وسمع من جماعة كثيرين قد ذكرهم شيخنا الحافظ المزي في تهذيبه مرتبين على حروف المعجم. وروى عنه جماعة كثيرون منهم الترمذي في جامعه حديثاً واحداً وهو حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أَحْصُوا هِلالَ شَعْبَانَ لِرَمَضَانَ». وصالح بن محمد جزرة. وعبد الرحمن بن أبي حاتم. وابن خزيمة، وابن صاعد، وأبو عوانة الإسفراييني. وقال الخطيب: أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب أخبرنا أحمد بن نعيم الضبي، أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم سمعت أحمد بن سلمة يقول: رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما. وأخبرني ابن يعقوب أنا محمد بن نعيم سمعت الحسين بن محمد الماسرجسي يقول سمعت أبي يقول سمعت مسلماً بن الحجاج يقول: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة. وروى الخطيب قائلاً: حدثني أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن علي السودرجاني ـ بأصبهان ـ سمعت محمد بن إسحاق بن منده سمعت أبا علي الحسين بن علي النيسابوري يقول: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج في علم الحديث. وقد ذكر مسلم عند إسحاق بن راهويه قال بالعجمية ما معناه: أي رجل كان هذا؟.

وقال إسحاق بن منصور لمسلم: لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين. وقد أثنى عليه جماعة من العلماء من أهل الحديث وغيرهم.

وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأخرم: قلَّما يفوت البخاري ومسلماً ما يثبت في الحديث. وروى الخطيب عن أبي عمرو محمد بن حمدان الحيري قال: سألت أبا العباس أحمد بن سعيد بن عقدة الحافظ عن البخاري ومسلم أيهما أعلم؟ فقال: كان البخاري عالماً ومسلم عالماً، فكررت ذلك عليه مراراً وهو يرد علي هذا الجواب ثم قال: يا أبا عمرو قد يقع للبخاري الغلط في أهل الشام، وذلك أنه أخذ كتبهم فنظر فيها فربما ذكر الواحد منهم بكنيته ويذكره في موضع آخر باسمه ويتوهم أنهما اثنان، وأما مسلم فقلَّما يقع له الغلط لأنه كتب المقاطيع والمراسيل.

قال الخطيب: إنما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه وحذا حذوه. ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم وأدام الاختلاف إليه. وقد حدثني عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال سمعت أبا الحسن الدارقطني يقول: لولا البخاري ما ذهب مسلم ولا جاء.

قال الخطيب: وأخبرني أبو بكر المنكدر، ثنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثني أبو نصر بن محمد الزراد سمعت أبا حامد أحمد بن حمدان القصار سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبّل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله، حدثنا محمد بن سلام، ثنا مخلد بن يزيد الحراني، حدثنا ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في كفارة المجلس فما علته؟ فقال البخاري: هذا حديث مليح ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث، إلا أنه معلول ثنا به موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب عن سهيل عن عون[1] بن عبد الله قوله قال البخاري: وهذا أولى فإنه لا يعرف لموسى بن عقبة سماع من سهيل. قلت: وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة وأوردت فيه طرقه وألفاظه ومتنه وعلله. قال الخطيب: وقد كان مسلم يناضل[2] عن البخاري. ثم ذكر ما كان وقع بين البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي في مسألة اللفظ بالقرآن في نيسابور، وكيف نودي على البخاري بسبب ذلك بنيسابور، وأن الذهلي قال يوماً لأهل مجلسه وفيهم مسلم بن الحجاج: ألا من كان يقول بقول البخاري في مسألة اللفظ بالقرآن فليعتزل مجلسنا. فنهض مسلم من فوره إلى منزله، وجمع ما كان سمعه من الذهلي جميعه وأرسله إليه وترك الرواية عن الذهلي بالكلية فلم يرو عنه شيئاً لا في صحيحه ولا في غيره، واستحكمت الوحشة بينهما. هذا ولم يترك البخاري محمد بن يحيى الذهلي بل روى عنه في صحيحه وغيره وعذره رحمه الله.

وقد ذكر الخطيب سبب موت مسلم رحمه الله أنه عقد له مجلس للمذاكرة فسئل يوماً عن حديث فلم يعرفه فانصرف إلى منزله فأوقد السراج وقال لأهله: لا يدخل أحد الليلة عليّ، وقد أهديت له سلة من تمر فهي عنده يأكل تمرة ويكشف عن حديث ثم يأكل أخرى ويكشف عن آخر، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح وقد أكل تلك السلة وهو لا يشعر. فحصل له بسبب ذلك ثقل ومرض من ذلك حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور، وكان مولده في السنة التي توفي فيها الشافعي، وهي سنة أربع ومائتين، فكان عمره سبعاً وخمسين سنة رحمه الله تعالى.

أبو يزيد البسطامي

اسمه طيفور بن عيسى، بن علي، أحد مشايخ الصوفية، وكان جده مجوسياً فأسلم، وكان لأبي يزيد أخوان صالحان عابدان[3]، وهو أجلهم، قيل لأبي يزيد: بأي شيء وصلت إلى هذه المعرفة؟ فقال ببطن جائع وبدن عار. وكان يقول: دعوت نفسي إلى طاعة الله فلم

---

(١) في ط: عوز.

(٢) يناضل: يدافع ويرد.

(٣) في ط: أخوات صالحات عابدات.

تجبني فمنعتها الماء سنة، وقال: إذا رأيتم الرجل قد أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تعثروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود والوقوف عند الشريعة.

قال ابن خلكان: وله مقامات ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة. توفي سنة إحدى وستين ومائتين. قلت: وقد حكى عنه شحطات ناقصات، وقد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية وحملوها على محامل بعيدة، وقد قال بعضهم: إنه قال ذلك في حال الاصطلام[1] والغيبة. ومن العلماء من بدّعه وخطّأه وجعل ذلك من أكبر البدع وأنها تدل على اعتقاد فاسد كامن في القلب ظهر في أوقاته والله أعلم.

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين

فيها قدم يعقوب بن الليث في جحافل فدخل واسط قهراً فخرج الخليفة المعتمد بنفسه من سامرا لقتاله فتوسط بين بغداد وواسط فانتدب له أبو أحمد الموفق بالله أخو الخليفة، في جيش عظيم على ميمنته موسى بن بغا، وعلى ميسرته مسرور البلخي، فاقتتلوا في رجب من هذه السنة أياماً قتالاً عظيماً، ثم كانت الغلبة على يعقوب وأصحابه، وذلك يوم عيد الشعانين: فقتل منهم خلق كثير وغنم منهم أبو أحمد شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والمسك والدواب. ويقال إنهم وجدوا في جيش يعقوب هذا رايات عليها صلبان. ثم انصرف المعتمد إلى المدائن ورد محمد بن طاهر إلى نيابة بغداد وأمر له بخمسمائة ألف درهم. وفيها غلب يعقوب بن الليث على بلاد فارس وهرب ابن واصل منها. وفيها كانت حروب كثيرة بين صاحب الزنج وجيش الخليفة. وفيها ولي القضاء علي بن محمد بن أبي الشوارب. وفيها جمع للقاضي إسماعيل بن إسحاق قضاء جانبي بغداد.

وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق العباسي.

قال ابن جرير: وفيها وقع بين الخياطين والخرازين بمكة فاقتتلوا يوم التروية أو قبله بيوم. فقتل منهم سبعة عشر نفساً وخاف الناس أن يفوتهم الحج بسببهم، ثم توادعوا إلى ما بعد الحج.

وفيها توفي من الأعيان: صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور في ربيع الآخر منها. وعمر بن شبة النميري. ومحمد بن عاصم. ويعقوب بن شيبة صاحب المسند الحافل المشهور والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

فيها جرت حروب كثيرة منتشرة في بلاد شتى فمن ذلك مقتلة عظيمة في الزنج لعنهم

(١) الاصطلام: الموت.

الله، حصرهم في بعض المواقف بعض الأمراء من جهة الخليفة فقتل الموجودين عنده عن آخرهم. وفيها سلمت الصقالبة حصن لؤلؤة إلى طاغية الروم وفيها تغلب أخو شركب الجمال على نيسابور وأخرج منها عاملها الحسين بن طاهر وأخذ من أهلها ثلث أموالهم مصادرة قبَّحه الله. وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق العباسي.

وفيها توفي من الأعيان: **مساور بن عبد الحميد الشاري الخارجي**، وقد كان من الأبطال والشجعان المشهورين، والتف عليه خلق من الأعراب وغيرهم، وطالت مدته حتى قصمه الله. ووزير الخلافة **عبيد الله بن يحيى بن خاقان** صدمه في الميدان خادم يقال له رشيق فسقط عن دابته على أم رأسه فخرج دماغه من أذنيه وأنفه فمات بعد ثلاث ساعات، وصلَّى عليه أبو أحمد الموفق بن المتوكل، ومشى في جنازته، وذلك يوم الجمعة لعشر خلون من ذي القعدة من هذه السنة، واستوزر من الغد الحسن بن مخلد، فلما قدم موسى بن بغا سامرا عزله واستوزر مكانه سليمان بن وهب، وسلمت دار عبد الله بن يحيى بن خاقان إلى الأمير المعروف بكيطلغ. وفيها توفي **أحمد بن الأزهر**. **والحسن بن أبي الربيع**. **ومعاوية بن صالح الأشعري**.

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين

في المحرم منها عسكر أبو أحمد وموسى بن بغا بسامرا وخرجا منها لليلتين مضتا من صفر، وخرج المعتمد لتوديعهما، وسارا إلى بغداد. فلما وصلا إلى بغداد توفي الأمير موسى بن بغا وحمل إلى سامرا فدفن بها. وفيها ولِّي المعتمد محمد بن المولد واسطاً لمحاربة سليمان بن جامع نائبها من جهة صاحب الزنج، فهزمه ابن المولد بعد حروب طويلة. وفيها سار ابن الديراني إلى مدينة الدينور واجتمع عليه دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف وابن عياض فهزماه ونهبا أمواله ورجع مغلولاً. ولما توفي موسى بن بغا عزل الخليفة الوزير الذي كان من جهته وهو سليمان بن حرب وحبسه مقيداً وأمر بنهب دوره ودور أقربائه ورد الحسن بن مخلد إلى الوزارة، فبلغ ذلك أبا أحمد وهو ببغداد فسار بمن معه إلى سامرا فتحصن منه أخوه المعتمد بجانبها الغربي، فلما كان يوم التروية عبر جيش أبي أحمد إلى الجانب الذي فيه المعتمد فلم يكن بينهم قتال بل اصطلحوا على رد سليمان بن وهب إلى الوزارة وهرب الحسن بن مخلد فنهبت أمواله وحواصله واختفى أبو عيسى بن المتوكل ثم ظهر، وهرب جماعة من الأمراء إلى الموصل خوفاً من أبي أحمد.

وفيها حج بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفي.

وفيها توفي من الأعيان: **أحمد بن عبد الرحمن بن وهب**. **وإسماعيل بن يحيى المزني** أحد رواة الحديث عن الشافعي من أهل مصر وقد ترجمناه في طبقات الشافعيين. [وترجمه ابن خلكان في الوفيات أيضاً فأحسن وأطنب وأطيب][1].

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

أبو زرعة

عبيد الله بن عبد الكريم الرازي أحد الحفاظ المشهورين قيل إنه كان يحفظ سبعمائة ألف حديث وكان فقيهاً ورعاً زاهداً متواضعاً خاشعاً أثنى عليه أهل زمانه بالحفظ والديانة، وشهدوا له بالتقدم على أقرانه، وكان في حال شبيبته إذا اجتمع بأحمد بن حنبل يقتصر أحمد على الصلوات المكتوبات ولا يفعل المندوبات اكتفاء بمذاكراته. توفي يوم الاثنين سلخ ذي الحجة من هذه السنة، وكان مولده سنة مائتين، وقيل سنة تسعين ومائة، وقد ذكرنا ترجمته مبسوطة في التكميل.

ومحمد بن إسماعيل ابن علية قاضي دمشق. ويونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري وهو ممن روى عن الشافعي. وقد ذكرناه في التكميل وفي الطبقات. **وقبيحة أم المعتزل** إحدى حظايا المتوكل على الله، وقد جمعت من الجواهر واللآلىء والذهب والمصاغ ما لم يعهد لمثلها. ثم سلبت ذلك كله وقتل ولدها المعتز لأجل نفقات الجند، وشحّت عليه بخمسين ألف دينار تداري بها عنه. وكانت وفاتها في ربيع الأول من هذه السنة.

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين

فيها كانت وقعة بين ابن ليثويه عامل أبي أحمد وبين سليمان بن جامع فظفر بها ابن ليثويه بابن جامع نائب صاحب الزنج، فقتل خلقاً من صحابه وأسر منهم سبعة وأربعين أسيراً، وحرق له مراكب كثيرة، وغنم منهم أموالاً جزيلة. وفي المحرم من هذه السنة حاصر أحمد بن طولون نائب الديار المصرية مدينة أنطاكية وفيها سيما الطويل [فلم يزل حتى افتتحها بعد حروب يطول ذكرها وقتل سيما المذكور وأقام بها حتى][(١)] جاءته هدايا ملك الروم، وفي جملتها أسارى من المسلمين، مع كل أسير مصحف، ومنهم عبد الله بن رشيد بن كاوس الذي كان عامل الثغور فاجتمع لأحمد بن طولون ملك الشام بكماله مع الديار المصرية، لأنه لما مات نائب دمشق اماخور ركب ابن طولون من مصر فتلقاه ابن اماخور إلى الرملة فأقره عليها، وسار إلى دمشق فدخلها ثم إلى حمص فتسلمها [ثم إلى حماة فملكها][(٢)]ثم إلى حلب فأخذها ثم ركب إلى أنطاكية فكان من أمره ما تقدم. وكان قد استخلف على مصر ابنه العباس فلما بلغه قدوم أبيه عليه من الشام أخذ ما كان في بيت المال من الحواصل ووازره جماعة على ذلك، ثم ساروا إلى برقة خارجاً عن طاعة أبيه، فبعث إليه من أخذه دليلاً حقيراً، وردوه إلى مصر فحبسه وقتل جماعة من أصحابه.

وفيها خرج رجل يقال له القاسم بن مهاة على دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي فقتله واستحوذ على أصبهان فانتصر أصحاب دلف له فقتلوا القاسم ورأسوا عليهم

(١) ما بين معقوفين سقط في ط. وفي ط مكان هذه الجملة: فأخذها منه.
(٢) سقط في ط.

أحمد بن عبد العزيز. وفيها لحق محمد المولد بيعقوب بن الليث فسار إليه في المحرم فأمر الخليفة بنهب حواصله وأمواله وأملاكه [وضياعه][١] وفيها دخل صاحب الزنج إلى النعمانية فقتل وحرق ثم سار إلى جرجرايا فانزعج الناس منه ودخل أهل السواد إلى بغداد. وفيها ولّي أبو أحمد عمرو بن الليث خراسان وفارس وأصبهان وسجستان وكرمان والسند، ووجهه إليها بذلك وبالخلع والتحف. وفيها حاصرت الزنج تستر حتى كادوا يأخذونها فوافاهم تكين البخاري فلم يضع ثياب سفره حتى ناجز الزنج فقتل منهم خلقاً وهزمهم هزيمة فظيعة جداً، وهرب أميرهم علي بن أبان المهلبي مخذولاً:

قال ابن جرير: وهذه وقعة باب كودك المشهورة، ثم إن علي بن أبان المهلبي أخذ في مكاتبة تكين واستمالته إليه وإلى صاحب الزنج فسارع تكين في إجابته إلى ذلك فبلغ خبره مسروراً البلخي فسار نحوه وأظهر له الأمان حتى أخذه فقيده وتفرق جيشه عنه ففرقة صارت إلى الزنج وفرقة إلى محمد بن عبيد الله الكردي، وفرقة انضافت إلى مسرور البلخي بعد إعطائه إياهم الأمان، وولّى مكانه على عمالته أميراً آخر يقال له اغرتمش.

وفيها حج بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى العباسي.

وفيها توفي من الأعيان: **أحمد بن منصور الرمادي** راوية عبد الرزاق وقد صحب الإمام أحمد وكان يعد من الأبدال توفي عن ثلاث وستين سنة. **وسعدان بن نصر. وعبد الله بن محمد المخزومي وعلي بن حرب الطائي** الموصلي. **وأبو حفص النيسابوري علي بن موفق الزاهد. ومحمد بن سحنون** قال ابن الأثير في كامله: وفيها قتل **أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي** صاحب أبي عبيدة والأصمعي قتلته الزنج بالبصرة.

يعقوب بن الليث الصفار

أحد الملوك العقلاء الأبطال. فتح بلاداً كثيرة من ذلك بلد الرجج التي كان فيها ملك صاحب الزنج وكان يحمل في سرير من ذهب على رؤوس اثني عشر رجلاً، وكان له بيت في رأس جبل عال سماه مكة، فما زال حتى قتل وأخذ بلده واستسلم أهلها فأسلموا على يديه، ولكن كان قد خرج عن طاعة الخليفة وقاتله أبو أحمد الموفق كما تقدم. ولما مات ولّوا أخاه عمرو بن الليث ما كان يليه أخوه يعقوب مع شرطة بغداد وسامرا كما سيأتي.

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين

في صفر منها تغلب إسلتكين على بلد الري وأخرج عاملها منها ثم مضى إلى قزوين فصالحه أهلها فدخلها وأخذ منها أموالاً جزيلة، ثم عاد إلى الري فمانعه أهلها عن الدخول إليها فقهرهم ودخلها.

وفيها غارت سرية من الروم على ناحية ديار ربيعة فقتلوا وسبوا ومثلوا وأخذوا نحواً

(١) سقط في ط.

من مائتين وخمسين أسيراً، فنفر إليهم أهل الصين وأهل الموصل فهربت منهم الروم ورجعوا إلى بلادهم. وفيها ولّي عمرو بن الليث شرطة بغداد وسامرا لعبيد الله بن طاهر، وبعث إليه أبو أحمد بالخلعة وخلع عليه عمرو بن الليث أيضاً وأهدى إليه عمودين من ذهب، وذلك مضافاً إلى ما كان يليه أخوه من البلدان. وفيها سار أغرتمش إلى قتال علي بن أبان المهلبي بتستر فأخذ من كان في السجن من أصحاب علي بن أبان المهلبي من الأمراء فقتلهم عن آخرهم، ثم سار إلى علي بن أبان فاقتتلا قتالاً شديداً في مرات عديدة، كان آخرهم لعلي بن أبان المهلبي، قتل خلقاً كثيراً من أصحاب اغرتمش وأسر بعضهم فقتلهم أيضاً، وبعث برؤوسهم إلى صاحب الزنج فنصبت رؤوسهم على باب مدينته قبّحه الله.

وفيها وثب أهل حمص على عاملهم عيسى الكرخي فقتلوه في شوال منها، وفيها دعا الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن حسين الأصغر العقيلي أهل طبرستان إلى نفسه وأظهر لهم أن الحسين بن زيد قد أسر ولم يبق من يقوم بهذا الأمر غيره، فبايعوه. فلما بلغ ذلك الحسين بن زيد قصده فقاتله فقتله ونهب أمواله وأموال من اتبعه وأحرق دورهم. وفيها وقعت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفرية والعلوية [وتغلب عليها رجل من أهل البيت من سلالة الحسن بن زيد الذي تغلب على طبرستان، وجرت شرور كثيرة هنالك بسبب قتل الجعفرية والعلوية][1] يطول ذكرها. وفيها وثبت طائفة من الأعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها، وسار بعضهم إلى صاحب الزنج وأصاب الحجيج منهم شدة وبلاء شديد وأمور كريهة. وفيها أغارت الروم أيضاً على ديار ربيعة. وفيها دخل أصحاب صاحب الزنج إلى رامهرمز فافتتحوها بعد قتال طويل. وفيها دخل ابن أبي الساج مكة فقاتله المخزومي فقهره ابن أبي الساج وحرق داره واستباح ماله، وذلك يوم التروية في هذه السنة. ثم جعلت إمرة الحرمين إلى ابن أبي الساج من جهة الخليفة. وحج بالناس فيها هارون بن محمد المتقدم ذكره قبلها. وفيها عمل محمد بن عبد الرحمن الداخل إلى بلاد المغرب ـ وهو خليفة بلاد الأندلس وبلاد المغرب ـ مراكب في نهر قرطبة ليدخل بها إلى البحر المحيط ولتسير الجيوش في أطرافه إلى بعض البلاد ليقاتلوهم، فلما دخلت المراكب البحر المحيط تكسرت وتقطعت ولم ينج من أهلها إلا اليسير بل غرق أكثرهم. وفيها التقى أسطول المسلمين وأسطول الروم ببلاد صقلية فاقتتلوا فقتل من المسلمين خلق كثير فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها حارب لؤلؤ غلام ابن طولون لموسى بن اتامش فكسره لؤلؤ وأسره وبعث به إلى مولاه أحمد بن طولون، وهو إذ ذاك نائب الشام ومصر وإفريقية من جهة الخليفة، ثم اقتتل لؤلؤ هذا وطائفة من الروم فقتل من الروم خلقاً كثيراً.

قال ابن الأثير: وفيها اشتد الحال وضاق الناس ذرعاً بكثرة الهياج والفتن وتغلب القواد والأجناد على كثير من البلاد بسبب ضعف منصب الخلافة واشتغال أخيه أبي أحمد بقتال

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من النسخة المصرية.

الزنج، وفيها اشتد الحر في تشرين الثاني جداً ثم قوي به البرد حتى جمد الماء.

وفيها توفي من الأعيان: **إبراهيم بن أورمة. وصالح ابن الإمام أحمد بن حنبل** قاضي أصبهان. **ومحمد بن شجاع البلخي** أحد عباد الجهمية. **ومحمد بن عبد الملك الدقيقي**.

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين

فيها وجّه أبو أحمد الموفق ولده أبا العباس في نحو من عشرة آلاف فارس وراجل في أحسن هيئة وأكمل تجمل لقتال الزنج، فساروا نحوهم فكان بينهم وبينهم من القتال والنزال في أوقات متعددات ووقعات مشهورات. ما يطول بسطه، وقد استقصاه ابن جرير في تاريخه مبسوطاً مطولاً. وحاصل ذلك أنه آل الحال أن استحوذ أبو العباس بن الموفق على ما كان استولى عليه الزنج ببلاد واسط وأراضي دجلة، هذا وهو شاب حدث لا خبرة له بالحرب، [ولكن سلّمه الله وغنمه وأعلى كلمته وسدد رميته وأجاب دعوته وفتح على يديه وأسبغ نعمه عليه، وهذا الشاب هو الذي ولي الخلافة][(١)] بعد عمه المعتمد كما سيأتي، ثم ركب أبو أحمد الموفق ناصر دين الله في بغداد في صفر منها في جيوش كثيفة فدخل واسط في ربيع الأول منها، فتلقاه ابنه وأخبره عن الجيوش الذين معه، وأنهم نصحوا وتحملوا من أعباء الجهاد، فخلع على الأمراء كلهم خلعاً سنية، ثم سار بجميع الجيوش إلى صاحب الزنج وهو بالمدينة التي أنشأها وسماها المنيعة، فقاتل الزنج دونها قتالاً شديداً فقهرهم ودخلها عنوة وهربوا منها، فبعث في آثارهم جيشاً فلحقوهم إلى البطائح يقتلون ويأسرون، وغنم أبو أحمد من المنيعة شيئاً كثيراً واستنقذ من النساء المسلمات خمسة آلاف امرأة، وأمر بإرسالهن إلى أهاليهن بواسط، ثم أمر بهدم سور البلد وبطم خندقها وجعلها بلقعاً[(٢)] بعدما كانت للشر مجمعاً.

ثم سار الموفق إلى المدينة التي لصاحب الزنج التي يقال لها المنصورة وبها سليمان بن جامع، فحاصروها وقاتلوه دونها فقتل خلق كثير من الفريقين، ورمى أبو العباس بن الموفق بسهم أحمد بن هندي أحد أمراء صاحب الزنج فأصابه في دماغه فقتله، وكان من أكابر أمراء صاحب الزنج، فشق ذلك على الزنج جداً وأصبح الناس محاصرين مدينة الزنج وذلك يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر والجيوش الموفقية مرتبة أحسن ترتيب، فتقدم الموفق فصلّى أربع ركعات وابتهل إلى الله في الدعاء واجتهد في حصارها فهزم الله مقاتلتها وانتهى إلى خندقها فإذا هو قد حصّن غاية التحصين، وإذا هم قد جعلوا حول البلد خمسة خنادق وخمسة أسوار، فجعل كلما جاوز سوراً قاتلوه دون الآخر فيقهرهم ويجوز إلى الذي يليه، حتى انتهى إلى البلد فقتل منهم خلقاً كثيراً وهرب بقيتهم وأسر من نساء الزنج من حلائل سليمان بن جامع وذويه نساء كثيرة وصبياناً، واستنقذ من أيديهم النساء

(١) ما بين معقوفين زيادة من النسخة المصرية.

(٢) البلقع: القفر.

المسلمات والصبيان من أهل البصرة والكوفة نحواً من عشرة آلاف نسمة فسيَّرهم إلى أهليهم، جزاه الله خيراً. ثم أمر بهدم فنادقها وأسوارها وردم خنادقها وأنهارها، وأقام بها سبعة عشر يوماً، وبعث في آثار من انهزم منهم، فكان لا يأتون بأحد منهم إلا استماله إلى الحق برفق ولين وصفح، فمن أجابه أضافه إلى بعض الأمراء ـ وكان مقصوده رجوعهم إلى الدين والحق ـ ومن لم يجبه قتله وحبسه. ثم ركب إلى الأهواز فأجلاهم عنها وطردهم منها وقتل خلقاً كثيراً من أشرافهم، منهم أبو عيسى محمد بن إبراهيم البصري وكان رئيساً فيهم مطاعاً، وغنم شيئاً كثيراً من أموالهم، وكتب الموفق إلى صاحب الزنج قبَّحه الله كتاباً يدعوه فيه إلى التوبة والرجوع عما ارتكبه من المآثم والمظالم والمحارم ودعوى النبوة والرسالة وخراب البلدان واستحلال الفروج والأموال. ونبذ له الأمان إن هو رجع إلى الحق، فلم يرد عليه صاحب الزنج جواباً.

مسير أبي أحمد الموفق إلى مدينة صاحب الزنج وحصار المختارة

لما كتب أبو أحمد إلى صاحب الزنج يدعوه إلى الحق فلم يجبه، استهانة به، ركب من فوره في جيوش عظيمة قريب من خمسين ألف مقاتل، قاصداً إلى المختارة مدينة صاحب الزنج، فلما انتهى إليها وجدها في غاية الإحكام، وقد حوط عليها من آلات الحصار شيئاً كثيراً، وقد التف على صاحب الزنج نحو من ثلاثمائة ألف مقاتل بسيف ورمح ومقلاع، ومن يكثر سوادهم، فقدم الموفق ولده أبا العباس بين يديه فتقدم حتى وقف تحت قصر الملك فحاصره محاصرة شديدة، وتعجب الزنج من إقدامه وجرأته ثم ترامت الزنج عليه من كل مكان فهزمهم وأثبت بهبوذ أكبر أمراء صاحب الزنج بالسهام والحجارة ثم خامر[1] جماعة من أصحاب أمراء صاحب الزنج إلى الموفق فأكرمهم وأعطاهم خلعاً سنية ثم رغب إلى ذلك جماعة كثيرون بالأمان إلا صاحب الزنج فتحول خلق كثير من جيش صاحب الزنج إلى [أبي أحمد][2] الموفق، وابتنى الموفق مدينة تجاه مدينة صاحب الزنج سماها الموفقية، وأمر بحمل الأمتعة والتجارات إليها، فاجتمع بها من أنواع الأشياء وصنوفها ما لم يجتمع في بلد قبلها، وعظم شأنها وامتلأت من المعايش والأرزاق وصنوف التجارات والسكان والدواب وغيرهم، وإنما بناها ليستعين بها على قتال صاحب الزنج، ثم جرت بينهم حروب عظيمة، وما زالت الحرب ناشبة حتى انسلخت هذه السنة وهم محاصرون للخبيث صاحب الزنج، وقد تحول منهم خلق كثير فصاروا على صاحب الزنج بعد أن كانوا معه، وبلغ عدد من تحول قريباً من خمسين ألفاً من الأمراء الخواص والأجناد، والموفق وأصحابه في زيادة وقوة ونصر وظفر.

وفيها حج بالناس هارون بن محمد الهاشمي.

وفيها توفي من الأعيان: إسماعيل بن سيبويه. وإسحاق بن إبراهيم بن شاذان.

---

(١) خامر: انضم.

(٢) سقط في ط.

ويحيى بن نصر الخولاني. وعباس الترقفي. ومحمد بن حماد بن بكر بن حماد أبو بكر المقري صاحب خلف بن هشام البزار ببغداد في ربيع الأول **ومحمد بن عزيز الأيلي. ويحيى بن محمد بن يحيى الذهلي حنكان. ويونس بن حبيب** راوي مسند أبي داود الطيالسي عنه.

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين

في المحرم منها استأمن جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجّان ـ وكان من أكابر صاحب الزنج وثقاتهم في أنفسهم ـ الموفق فأمنه وفرح به وخلع عليه وأمره فركب في سمرته[١] فوقف تجاه قصر الملك فنادى في الناس وأعلمهم بكذب صاحب الزنج وفجوره، وأنه في غرور هو ومن اتبعه، فاستأمن بسبب ذلك بشر كثير منهم، وبرد قتال الزنج عند ذلك إلى ربيع الآخر، فعند ذلك أمر الموفق أصحابه بمحاصرة السور، وأمرهم إذا دخلوه أن لا يدخلوا البلد حتى يأمرهم، فنقبوا السور حتى انثلم[٢]، ثم عجّلوا الدخول فدخلوا فقاتلهم الزنج فهزمهم المسلمون وتقدموا إلى وسط المدينة، فجاءتهم الزنج من كل مكان وخرجت عليهم الكمائن من أماكن لا يهتدون لها، فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً واستلبوهم وفرّ الباقون فلامهم الموفق على مخالفته وعلى العجلة، وأجرى الأرزاق على ذرية من قتل منهم، فحسن ذلك عند الناس جداً، وظفر أبو العباس بن الموفق بجماعة من الأعراب كانوا يجلبون الطعام إلى الزنج فقتلهم، وظفر ببهبوذ بن عبد الله بن عبد الوهاب فقتله، وكان ذلك من أكبر الفتح عند المسلمين، وأعظم الرزايا عند الزنج. وبعث عمرو بن الليث إلى أبي أحمد الموفق ثلاثمائة ألف دينار وخمسين مناً[٣] من مسك، وخمسين مناً من عنبر، ومائتي منٍّ من عود، وفضة بقيمة ألف وثياباً من وشي وغلماناً كثيرة جداً. وفيها خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلبية فحاصر أهل ملطية فأعانهم أهل مرعش ففر الخبيث خاسئاً. وغزا الصائفة من ناحية الثغور عامل ابن طولون فقتل من الروم سبعة عشر ألفاً. وحج بالناس فيها هارون المتقدم وفيها قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني.

وفيها توفي من الأعيان: **أحمد بن سيار. وأحمد بن شيبان. وأحمد بن يونس الضبي. وعيسى بن أحمد البلخي ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري** الفقيه المالكي. وقد صحب الشافعي وروى عنه.

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين

فيها اجتهد الموفق بالله في تخريب مدينة صاحب الزنج فخرب منه شيئاً كثيراً، وتمكن

---

(١) السمرة: مركب مصنوع من خشب السمر.

(٢) انثلم: تهدم.

(٣) المنّ: كيل أو وزن بين ١٨٠ و٢٨٠ مثقالاً.

الجيوش من العبور إلى البلد، ولكن جاءه في أثناء هذه الحالة سهم في صدره من يد رجل رومي يقال له قرطاس فكاد يقتله، فاضطرب الحال لذلك وهو يتجلد ويحض على القتال مع ذلك، ثم أقام ببلده الموفقية أياماً يتداوى فاضطربت الأحوال وخاف الناس [جداً] من صاحب الزنج، وأشاروا على الموفق بالمسير إلى بغداد فلم يقبل فقويت علّته ثم منّ الله عليه بالعافية في شعبان، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً فنهض مسرعاً إلى الحصار فوجد الخبيث قد رمم كثيراً مما كان الموفق قد خرَّبه وهدمه فأمر بتخريبه وما حوله وما قرب منه، ثم لازم الحصار فما زال حتى فتح المدينة الغربية وخرب قصور صاحب الزنج ودور أمرائه، وأخذ من أموالهم شيئاً كثيراً مما لا يحد ولا يوصف كثرة، وأسر من نساء الزنج واستنقذ من نساء المسلمين وصبيانهم خلقاً كثيراً، فأمر بردهم إلى أهاليهم مكرمين وقد تحول صاحب الزنج إلى الجانب الشرقي وعمل الجسر والقناطر الحائلة بينه وبين وصول السمريات إليه. فأمر الموفق بتخريبها وقطع الجسور، واستمر الحصار باقي هذه السنة وما برح حتى تسلم الجانب الشرقي أيضاً واستحوذ على حواصله وأمواله، وفر الخبيث هارباً غير آيب، وخرج منها هارباً وترك حلائله وأولاده وحواصله، فأخذها الموفق وشرح ذلك يطول جداً. وقد حرره مبسوطاً ابن جرير ولخصه ابن الأثير واختصره ابن كثير والله أعلم وهو الموفق إلى الصواب وإليه المرجع والمآب.

ولما رأى الخليفة المعتمد أن أخاه أبا أحمد قد استحوذ على أمور الخلافة وصار هو الحاكم الآمر الناهي، وإليه تجلب التقادم وتحمل الأموال والخراج، وهو الذي يولّي ويعزل، كتب إلى أحمد بن طولون يشكو إليه ذلك، فكتب إليه ابن طولون أن يتحول إلى عنده إلى مصر ووعده النصر والقيام معه، فاستغنم غيبة أخيه الموفق وركب في جمادى الأولى ومعه جماعة من القواد وقد أرصد له ابن طولون جيشاً بالرقة يتلقونه، فلما اجتاز الخليفة بإسحاق بن كنداج نائب الموصل وعامة الجزيرة اعتقله عنده عن المسير إلى ابن طولون، وقيد[2] أعيان الأمراء الذين معه، وعاتب الخليفة ولامه على هذا الصنع أشد اللوم، ثم ألزمه العود إلى سامرا ومن معه من الأمراء فرجعوا إليها في غاية الذلة والإهانة. ولما بلغ ذلك الموفق شكر سعي إسحاق وولاه جميع أعمال أحمد بن طولون إلى أقصى بلاد إفريقية، وكتب إلى ابن أخيه أن يلعن ابن طولون في دار[3] العامة، فلم يمكن المعتمد إلا إجابته إلى ذلك، وهو كاره، وكان ابن طولون قد قطع ذكر الموفق في الخطب وأسقط اسمه عن الطرازات.

وفيها في ذي القعدة وقعت فتنة بمكة بين أصحاب الموفق وأصحاب ابن طولون، فقتل من أصحاب ابن طولون مائتان وهرب بقيتهم، واستلبهم أصحاب الموفق شيئاً كثيراً. وفيها قطع الأعراب على الحجيج الطريق وأخذ منهم خمسة آلاف بعير بأحمالها.

(١) سقط في ط. (٢) في ط: وفتد. (٣) في ط: راد.

وفيها توفي: **إبراهيم بن منقذ الكناني. وأحمد بن خلاد مولى المعتصم** ـ وكان من دعاة المعتزلة أخذ الكلام عن جعفر بن معشر المعتزلي ـ **وسليمان بن حفص المعتزلي** صاحب بشر المريسي، وأبي الهذيل العلاف. **وعيسى ابن الشيخ ابن السليل الشيباني** نائب إرمينية وديار بكر. **وأبو فروة يزيد بن محمد الرهاوي** أحد الضعفاء.

ثم دخلت سنة سبعين ومائتين

فيها كان مقتل صاحب الزنج قبّحه الله: وذلك أن الموفق لما فرغ من شأن مدينة صاحب الزنج وهي المختارة واحتاز ما كان بها من الأموال وقتل من كان بها من الرجال، وسبى من وجد فيها من النساء والأطفال، وهرب صاحب الزنج عن حومة الحرب والجلاد، وسار إلى بعض البلاد طريداً شريداً بشر حال، عاد الموفق إلى مدينته الموفقية مؤيداً منصوراً، وقدم عليه لؤلؤة غلام أحمد بن طولون منابذاً لسيده سميعاً مطيعاً للموفق، وكان وروده عليه في ثالث المحرم من هذه السنة، فأكرمه وعظّمه وأعطاه وخلع عليه وأحسن إليه، وبعثه طليعة بين يديه لقتال صاحب الزنج، وركب الموفق في الجيوش الكثيفة الهائلة وراءه فقصدوا الخبيث وقد تحصن ببلدة أخرى، فلم يزل به محاصراً له حتى أخرجه منها ذليلاً، واستحوذ على ما كان بها من الأموال والمغانم، ثم بعث السرايا والجيوش وراء صاحب الزنج فأسروا عامة من كان معه من خاصته وجماعته، منهم سليمان بن جامع فاستبشر الناس بأسره وكبروا الله وحمدوه فرحاً بالنصر والفتح، وحمل الموفق بمن معه حملة واحدة على أصحاب الخبيث فاستحر فيهم القتل، وما انجلت الحرب حتى جاء البشير بقتل صاحب الزنج في المعركة، وأُتي برأسه مع غلام لؤلؤة الطولوني، فلما تحقق الموفق أنه رأسه بعد شهادة الأمراء الذين كانوا معه من أصحابه بذلك خرّ ساجداً لله، ثم انكفأ راجعاً إلى الموفقية، ورأس الخبيث يحمل بين يديه، وسليمان معه أسير، فدخل البلد وهو كذلك، وكان يوماً مشهوداً وفرح المسلمون بذلك في المغارب والمشارق، ثم جيء بانكلاني ولد صاحب الزنج وأبان بن علي المهلبي مسعر حربهم مأسورين ومعهما قريب من خمسة آلاف أسير، فتم السرور وهرب طرطاس الذي رمى الموفق بصدره بذلك السهم إلى رامهرمز فأخذ وبعث به إلى الموفق فقتله أبو العباس أحمد بن الموفق. واستتاب من بقي من أصحاب صاحب الزنج وأمنهم الموفق ونادى في الناس بالأمان، وأن يرجع كل من كان أخرج من دياره بسبب الزنج إلى أوطانهم، وبلدانهم، ثم سار إلى بغداد وقدم ولده أبو العباس بين يديه ومعه رأس الخبيث يحمل ليراه [أهل بغداد][1] فدخلها لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة وكان يوماً مشهوداً، وانتهت أيام صاحب الزنج المدعي الكذاب قبحه الله.

وقد كان ظهوره في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين،

(١) في ط: الناس.

وكان هلاكه يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين. وكانت دولته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام ولله الحمد والمنة. وقد قيل في انقضاء دولة الزنج وما كان من النصر عليهم أشعار كثيرة، من ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمي:

أَقُولُ وَقَدْ جَاءَ البَشِيرُ بِوَقْعَةٍ ... أَعَزَّت مِنَ الإِسْلامِ مَا كَانَ وَاهِيَا
جَزَى اللهُ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ بَعْدَمَا ... أُبِيحَ حِمَاهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا
تَفَرَّدَ إِذْ لَمْ يَنْصُرِ اللهَ نَاصِرٌ ... بِتَجْدِيدِ دِينٍ كَانَ أَصْبَحَ بَالِيَا
وَتَجْدِيدِ مُلْكٍ قَدْ وَهَى بَعْدَ عِزِّهِ ... وَأَخْذٍ بِثَارَاتٍ تُبِيرُ الأَعَادِيَا
وَرَدِّ عِمَارَاتٍ أُزِيلَتْ وَأُخْرِبَتْ ... لِيَرْجِعَ فَيْءٌ قَدْ تُخُرِّمَ وَافِيَا[1]
وَتَرْجِعَ أَمْصَارٌ أُبِيحَتْ وَأُحْرِقَتْ ... مِرَاراً وَقَدْ أَمْسَتْ قَوَاءً[2] عَوَافِيَا
وَيَشْفِي صُدُورَ المُسْلِمِينَ بِوَقْعَةٍ ... يُقِرُّ بِهَا مِنَّا العُيُونَ البَوَاكِيَا
وَيُتْلَى كِتَابُ اللهِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ ... وَيُلْقَى دُعَاءُ الطَّالِبِيِّينَ خَاسِيَا[3]
فَأَعْرَضَ عَنْ أَحْبَابِهِ وَنَعِيمِهِ ... وَعَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَأَصْبَحَ غَازِيَا

[وهي قصيدة هذا طرف منها][4]

وفي هذه السنة أقبلت الروم في مائة ألف مقاتل فنزلوا قريباً من طرسوس فخرج إليهم المسلمون فبيتوهم فقتلوا منهم في ليلة واحدة حتى الصباح نحواً من سبعين ألفاً ولله الحمد. وقتل المقدم الذي عليهم وهو بطريق البطارقة، وجرح أكثر الباقين، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة، من ذلك سبعة صلبان من ذهب وفضة، وصليبهم الأعظم عندهم وهو من ذهب صامت مكلل بالجواهر، وأربع كراسي من ذهب ومائتي كرسي من فضة، وآنية كثيرة، وعشرة آلاف علم من ديباج، وغنموا حريراً كثيراً وأموالاً جزيلة، وخمسة عشر ألف دابة وسروجاً وسلاحاً وسيوفاً محلاة وغير ذلك ولله الحمد.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن طولون

أبو العباس أمير الديار المصرية وباني الجامع بها المنسوب إلى طولون، وإنما بناه أحمد ابنه، وقد ملك دمشق والعواصم والثغور مدة طويلة ، وقد كان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون في سنة مائتين،

(١) الفيء: الخراج. وتخرم: انقطع.
(٢) القواء: الخواء والقفر.
(٣) خاسياً: خاسئاً، مذموماً.
(٤) ما بين معقوفين سقط في ط.

ويقال إلى الرشيد في سنة تسعين ومائة. ولد أحمد هذا في سنة أربع عشرة ومائتين، ومات طولون أبوه في سنة ثلاثين، وقيل في سنة أربعين ومائتين. وحكى ابن خلكان أنه لم يكن أباه إنما تبناه والله أعلم. وحكى ابن عساكر أنه من جارية تركية اسمها هانم[1]. ونشأ أحمد هذا في صيانة وعفاف ورياسة ودراسة للقرآن العظيم، مع حسن الصوت به، وكان يعيب على أولاد الترك ما يرتكبونه من المحرمات والمنكرات، وكانت أمه جارية اسمها هاشم. وحكى ابن عساكر عن بعض مشايخ مصر أن طولون لم يكن أباه وإنما كان قد تبناه لديانته وحسن صوته بالقرآن وظهور نجابته وصيانته من صغره، وأن طولون اتفق له معه أن بعثه مرة في حاجة ليأتيه بها من دار الإمارة فذهب فإذا حظية من حظايا طولون مع بعض الخدم وهما على فاحشة، فأخذ حاجته التي أمره بها وكرّ راجعاً إليه سريعاً، ولم يذكر له شيئاً مما رأى من الحظية والخادم، فتوهمت الحظية أن يكون أحمد قد أخبر طولون بما رأى، فجاءت إلى طولون فقالت: إن أحمد جاءني الآن إلى المكان الفلاني وراودني عن نفسي وانصرفت إلى قصرها، فوقع في نفسه صدقها فاستدعى أحمد وكتب معه كتاباً وختمه إلى بعض الأمراء ولم يواجه أحمد بشيء مما قالت الجارية، وكان في الكتاب أن ساعة وصول حامل هذا الكتاب إليك تضرب عنقه وابعث برأسه سريعاً إليّ. فذهب بالكتاب من عند طولون وهو لا يدري ما [في الكتاب][2]، فاجتاز بطريقه[3] بتلك الحظية فاستدعته إليها فقال: إني مشغول بهذا الكتاب لأوصله إلى بعض الأمراء. قالت: هلم فلي إليك حاجة - وأرادت أن تحقق في ذهن الملك طولون ما قالت له عنه فحبسته عندها ليكتب لها كتاباً، ثم استوهبت من أحمد الكتاب الذي أمره طولون أن يوصله إلى ذلك الأمير، فدفعه إليها فأرسلت به ذلك الخادم الذي وجده معها على الفاحشة وظنت أنه به جائزة تريد أن تخص بها الخادم المذكور فذهب بالكتاب إلى ذلك الأمير، فلما قرأه أمر بضرب عنق ذلك الخادم وأرسل برأسه إلى الملك طولون. فتعجب الملك من ذلك وقال: أين أحمد؟ فطلب له فقال: ويحك أخبرني كيف صنعت منذ خرجت من عندي؟ فأخبره بما جرى من الأمر. ولما سمعت تلك الحظية بأن رأس الخادم قد أُتِيَ به إلى طولون أسقط في يديها وتوهمت أن الملك قد تحقق الحال، فقامت إليه تعتذر وتستغفر مما وقع منها مع الخادم، واعترفت بالحق وبرأت أحمد مما نسبته إليه، فحظي عند الملك طولون وأوصى له بالملك من بعده.

ثم ولّي نيابة الديار المصرية للمعتز فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين، فأحسن إلى أهلها وأنفق فيهم ومن بيت المال ومن الصدقات: واستغل الديار المصرية في بعض السنين أربعة آلاف دينار، وبنى بها الجامع، غرم عليه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، وفرغ منه في سنة سبع وخمسين، وقيل في سنة ست وستين ومائتين، وكانت له مائدة في كل يوم يحضرها الخاص والعام، وكان يتصدق من خالص ماله

(١) في ط: هاشم. (٢) في ط: فيه. (٣) في ط: في طريقه.

في كل شهر بألف دينار. وقد قال له وكيله يوماً: إنه تأتيني المرأة وعليها الإزار والبذلة ولها الهيئة الحسنة تسألني فأعطيها؟ فقال: من مدّ يده إليك فأعطه، وكان من أحفظ الناس للقرآن، ومن أطيبهم به صوتاً. وقد حكى ابن خلكان عنه أنه قتل صبراً نحواً من ثمانية عشر ألف نفس، فالله أعلم. وبنى المارستان غرم عليه ستين ألف دينار، وعلى الميدان مائة وخمسين ألفاً، وكانت له صدقات كثيرة جداً، وإحسان زائد ثم ملك دمشق بعد أميرها ماخور في سنة أربع وستين ومائتين، فأحسن إلى أهلها أيضاً إحساناً بالغاً، واتفق أنه وقع بها حريق عند كنيسة مريم فنهض بنفسه إليه ومعه أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الحافظ الدمشقي، وكاتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطي، فأمر كاتبه أن يخرج من ماله سبعين ألف دينار تصرف إلى أهل الدور والأموال التي أحرقت. فصرف إليهم جميع قيمة ما ذكره وبقي أربعة عشر ألف دينار فاضلة عن ذلك، فأمر بها أن توزع عليهم على قدر حصصهم، ثم أمر بمال عظيم يفرق على فقراء دمشق وغوطتها، فأقل ما حصل للفقير دينار. رحمه الله. ثم خرج إلى أنطاكية فحاصر بها صاحبها سيما حتى قتله وأخذ البلد كما ذكرنا.

بمصر في أوائل ذي القعدة من هذه السنة من علة أصابته من أكل لبن الجواميس كان يحبه فأصابه بسببه ذرب[1] فكواه الأطباء وأمروه أن يحتمي منه فلم يقبل منهم، فكان يأكل منه خفية فمات رحمه الله. وقد ترك من الأموال والأثاث والدواب شيئاً كثيراً جداً، من ذلك عشرة آلاف دينار، ومن الفضة شيئاً كثيراً، وكان له ثلاثون ولداً، منهم سبعة عشر ذكراً، فقام بالأمر من بعده ولده خمارويه كما سيأتي ما كان من أمره. وكان له من الغلمان أربعة وعشرون ألف غلام ومن الموالي سبعة آلاف مولى، ومن البغال والخيل والجمال نحو سبعين ألف دابة، وقيل أكثر من ذلك. قال ابن خلكان: وإنما تغلب على البلاد لاشتغال الموفق بن المتوكل بحرب صاحب الزنج، وقد كان الموفق نائب أخيه المعتمد.

وفيها توفي: **أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن سهل الكاتب** صاحب كتاب الخراج. قاله ابن خلكان. **وأحمد بن عبد الله بن البرقي**. **وأسيد بن عاصم الجمال**. **وبكار بن قتيبة المصري** في ذي الحجة من هذه السنة.

والحسن بن زيد العلوي

صاحب طبرستان في رجب منها، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام، وقام من بعده بالأمر أخوه محمد بن زيد. وكان الحسن بن زيد هذا كريماً جواداً يعرف الفقه والعربية، قال له مرة شاعر من الشعراء في جملة قصيدة مدحه بها «الله فردٌ وابن زيد فردٌ» فقال له: أسكت سدَّ الله فاك، ألا قلت «الله فردٌ وابن زيد عبدُ». ثم نزل عن سريره وخرَّ لله ساجداً وألصق خده بالتراب ولم يعط ذلك الشاعر شيئاً. وامتدحه بعضهم فقال في أول قصيدة:

---

(١) الذرب: داء يكون في الكبد.

لا تَـقُـلْ بُـشْـرَى وَلٰـكِـنْ بُـشْـرَيَـانِ غُـرَّةُ الـدَّاعِـي وَيَـوْمُ الـمِـهْـرَجَـانِ

فقال له الحسن: لو ابتدأت بالمصراع الثاني كان أحسن، وأبعد لك أن تبتدىء شعرك بحرف «لا» فقال له الشاعر: ليس في الدنيا أجل من قول لا إله إلا الله. فقال: أصبت وأمر له بجائزة سنية.

والحسن بن علي بن عفان العامري.

وداود بن علي

الأصبهاني ثم البغدادي الفقيه الظاهر إمام أهل الظاهر، روى عن أبي ثور وإبراهيم بن مخلد[1] وإسحاق بن راهويه وسليمان بن حرب وعبد الله بن سلمة القعنبي ومسدد بن مسرهد، وغير واحد روى عنه ابنه الفقيه أبو بكر بن داود، وزكريا بن يحيى الساجي.

قال الخطيب: كان فقيهاً زاهداً وفي كتبه حديث كثير دالّ على غزارة علمه، كانت وفاته ببغداد في هذه السنة، وكان مولده في سنة مائتين. وذكر أبو إسحاق السيرامي في طبقاته أن أصله من أصبهان وولد بالكوفة، ونشأ ببغداد وأنه انتهت إليه رياسة العلم بها، وكان يحضر مجلسه أربعمائة طيلسان أخضر، وكان من المتعصبين للشافعي، وصنّف مناقبه. وقال غيره: كان حسن الصلاة كثير الخشوع فيها والتواضع.

قال الأزدي: ترك حديثه ولم يتابع الأزدي على ذلك. ولكن روي عن الإمام أحمد أنه تكلم فيه بسبب كلامه في القرآن، وأن لفظه به مخلوق كما نسب ذلك إلى الإمام البخاري رحمهما الله.

قلت: وقد كان من الفقهاء المشهورين ولكن حصر نفسه بنفيه القياس الصحيح فضاق بذلك ذرعه في أماكن كثيرة من الفقه، فلزمه القول بأشياء فظيعة صار إليها بسبب اتباعه الظاهر المجرد من غير تفهم لمعنى النص. وقد اختلف الفقهاء القياسيون بعده في الاعتداد بخلافه هل ينعقد الإجماع بدونه مع خلافه أم لا؟ على أقوال ليس هذا موضع بسطها.

وفيها توفي: **الربيع بن سليمان المرادي** صاحب الشافعي وقد ترجمناه في طبقات الشافعية. **والقاضي بكار بن قتيبة** الحاكم بالديار المصرية من سنة ست وأربعين ومائتين إلى أن توفي مسجوناً بحبس أحمد بن طولون لكونه لم يخلع الموفق في سنة سبعين، وكان عالماً عابداً زاهداً كثير التلاوة والمحاسبة لنفسه، وقد شغر منصب القضاء بعده بمصر ثلاث سنين.

وابن قتيبة الدينوري

وهو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضيها، النحوي اللغوي صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة نافعة، اشتغل ببغداد وسمع بها الحديث على

---

(١) في ط: خالد.

إسحاق بن راهويه، وطبقته، وأخذ اللغة عن أبي حاتم السجستاني وذويه، وصنّف وجمع وألف المؤلفات الكثيرة: منها كتاب المعارف، وأدب الكاتب الذي شرحه أبو محمد بن السيد البطليوسي، وكتاب مشكل القرآن والحديث، وغريب القرآن والحديث، وعيون الأخبار. وإصلاح الغلط، وكتاب الخيل، وكتاب الأنوار، وكتاب المسلسل والجوابات، وكتاب الميسر والقداح، وغير ذلك. كانت وفاته في هذه السنة، وقيل في التي بعدها. ومولده في سنة ثلاث عشرة ومائتين، ولم يجاوز الستين. وروى عنه ولده أحمد جميع مصنفاته. وقد ولي قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. وتوفي بها بعد سنة رحمهما الله.

ومحمد بن إسحاق بن جعفر الصفار. ومحمد بن مسلم بن وارة. ومصعب بن أحمد أبو أحمد الصوفي كان من أقران الجنيد.

وفيها توفي **ملك الروم** ابن الصقلبية لعنه الله. وفيها ابتدأ إسماعيل بن موسى ببناء مدينة لاردة من بلاد الأندلس.

ثم دخلت سنة مائتين وإحدى وسبعين

فيها عزل الخليفة عمرو بن الليث عن ولاية خراسان وأمر بلعنه على المنابر، وفوّض أمر خراسان إلى محمد بن طاهر، وبعث جيشاً إلى عمرو بن الليث فهزمه عمرو. وفيها كانت وقعة بين أبي العباس المعتضد بن الموفق أبي أحمد وبين خمارويه بن أحمد بن طولون، وذلك أن خمارويه لما ملك بعد أبيه بلاد مصر والشام جاءه جيش من جهة الخليفة عليهم إسحاق بن كنداج نائب الجزيرة وابن أبي الساج فقاتلوه بأرض ويترز فامتنع من تسليم الشام إليهم، فاستنجدوا بأبي العباس بن الموفق، فقدم عليهم فكسر خمارويه بن أحمد وتسلم دمشق واحتازها ثم سار خلف خمارويه إلى بلاد الرملة فأدركه عند ماء عليه طواحين فاقتتلوا هنالك، وكانت تسمى وقعة الطواحين، فكانت النصرة أولاً لأبي العباس على خمارويه فهزمه حتى هرب خمارويه لا يلوي على شيء فلم يرجع حتى دخل الديار المصرية، فأقبل أبو العباس وأصحابه على نهب معسكرهم فبينما هم كذلك إذ أقبل كمين لجيش خمارويه وهم مشغولون بالنهب فوضع المصريون فيهم السيوف فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وانهزم الجيش وهرب أبو العباس المعتضد فلم يرجع حتى وصل دمشق، فلم يفتح له أهلها الباب فانصرف حتى وصل إلى طرسوس وبقي الجيشان المصري والعراقي يقتتلان وليس لواحد منهما أمير. ثم كان الظفر للمصريين لأنهم أقاموا أبا العشائر أخا خمارويه عليهم أميراً، فغلبوا بسبب ذلك واستقرت أيديهم على دمشق وسائر الشام، وهذه الوقعة من أعجب الوقعات.

وفيها جرت حروب كثيرة بأرض الأندلس من بلاد المغرب. وفيها دخل إلى المدينة النبوية محمد وعلي ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن

الحسين بن علي بن أبي طالب، فقتلا خلقاً كثيراً من أهلها وأخذا أموالاً جزيلة، وتعطلت الصلوات في المسجد النبوي أربع جمع لم يحضر الناس فيه جمعة ولا جماعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وجرت بمكة فتنة أخرى واقتتل الناس على باب المسجد الحرام أيضاً.

وحج بالناس هارون بن موسى بن المتقدم.

وفيها توفي **عباس بن محمد الدينوري** تلميذ ابن معين وغيره من أئمة الجرح والتعديل. **وعبد الرحمن بن محمد بن منصور البصري. ومحمد بن حماد الطهراني. ومحمد بن سنان العوفي ويوسف بن مسلم.**

وبوران [بنت الحسن بن سهل][1]: زوجة المأمون

ويقال إن اسمها خديجة وبوران لقب لها، والصحيح الأول. عقد عليها المأمون بفم الصلح سنة ست ومائتين، ولها عشر سنين، ونثر عليها أبوها يومئذٍ وعلى الناس بنادق المسك[2] مكتوب في ورقة وسط كل بندقة اسم قرية أو ملك جارية أو غلام أو فرس، فمن وصل إليه من ذلك شيء ملكه، ونثر ذلك على عامة الناس، ونثر الدنانير ونوافج[3] المسك وبيض العنبر. وأنفق على المأمون وعسكره مدة إقامته تلك الأيام الخمس ألف ألف درهم. فلما ترحل المأمون عنه أطلق له عشرة آلاف درهم وأقطعه فم الصلح. وبنى بها في سنة عشر. فلما جلس المأمون فرشوا له حصراً من ذهب ونثروا على قدميه ألف حبة جوهر، وهناك تور[4] من ذهب فيه شمعة من عنبر زنة أربعين مناً من عنبر، فقال: هذا سرف، ونظر إلى ذلك الحب على الحصر يضيء فقال: قاتل الله أبا نواس حيث يقول في صفة الخمر:

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَقَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

ثم أمر بالدر فجمع فوضع في حجر العروس وقال: هذا نحلة مني لك، وسلي حاجتك. فقالت لها جدتها: سلي سيدك فقد استنطقك. فقالت: أسأل أمير المؤمنين أن يرضى عن إبراهيم بن المهدي فرضي عنه. ثم أراد الاجتماع بها فإذا هي حائض، وكان ذلك في شهر رمضان وتأخرت وفاتها إلى هذه السنة ولها ثمانون سنة.

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائتين

في جمادى الأولى منها سار نائب قزوين وهو أرلزنكيس في أربعة آلاف مقاتل إلى محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد، وهو بالري، في جيش

---

(١) سقط في ط.

(٢) بنادق المسك: أي ظروف منها، والبندق: رصاص كروي الشكل صغير يستعمل في بعض القذائف للصيد والقتال.

(٣) النوافج: جمع نافجة، وهي وعاء المسك.

(٤) التور: إناء.

عظيم من الديلم وغيرهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمه أرلزنكيس وغنم ما في معسكره، وقتل من أصحابه ستة آلاف، ودخل الري فأخذها وصادر أهلها في مائة ألف دينار، وفرق عماله في نواحي الري. وفيها وقع بين أبي العباس بن الموفق وبين صاحب ثغر طرسوس وهو يا زمان الخادم فثار أهل طرسوس على أبي العباس فأخرجوه عنهم فرجع إلى بغداد. وفيها دخل حمدان بن حمدون وهارون الشاري مدينة الموصل وصلّى بهم الشاري في جامعها الأعظم. وفيها عاثت بنو شيبان في أرض الموصل [وسعوا في الأرض][(١)] فساداً. وفيها تحركت بقية الزنج في أرض البصرة ونادوا: يا انكلاي يا منصور. وانكلاي هو ابن صاحب الزنج، وسليمان بن جامع وأبان بن علي المهلبي، وجماعة من وجوههم كانوا في جيش الموفق فبعث إليهم فقتلوا وحملت رؤوسهم إليه، وصلبت أبدانهم ببغداد، وسكنت شرورهم. وفيها صلح أمر المدينة النبوية وتراجع الناس إليها. وفيها جرت حروب كثيرة ببلاد الأندلس وأخذت الروم من المسلمين بالأندلس بلدين عظيمين فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها قدم صاعد بن مخلد الكاتب من فارس إلى واسط فأمر الموفق القواد أن يتلقوه فدخل في أبهة عظيمة، ولكن ظهر منه تيه وعجب شديد، فأمر الموفق عما قريب بالقبض عليه وعلى أهله وأمواله [وحواصله][(٢)]، واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بلبل.

وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق المتقدم منذ دهر.

وفيها توفي من الأعيان: إبراهيم بن الوليد بن الحسحاس. وأحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عطارد العطاردي التميمي راوي السيرة عن يونس بن بكير عن [محمد][(٣)] بن إسحاق بن يسار وغير ذلك. وأبو عتبة[(٤)] الحجازي. وسليمان بن سيف. وسليمان بن وهب الوزير في حبس الموفق. وشعبة بن بكار يروي عن أبي[(٥)] عاصم النبيل. ومحمد بن صالح بن عبد الرحمن الأنماطي، ويلقب بمكحلة، وهو من تلاميذ يحيى بن معين. ومحمد بن عبد الوهاب الفراء. ومحمد بن عبيد المنادي. ومحمد بن عوف الحمصي.

وأبو معشر المنجم

واسمه جعفر بن محمد البلخي أستاذ عصره في صناعة التنجيم، وله فيه التصانيف المشهورة، كالمدخل والزيج[(٦)] والألوف وغيرها. وتكلم على ما يتعلق بالتيسير والأحكام.

قال ابن خلكان: وله إصابات عجيبة، منها أن بعض الملوك تطلب رجلاً وأراد قتله فذهب ذلك الرجل فاختفى وخاف من أبي معشر أن يدل عليه بصنعة التنجيم، فعمد إلى طست فملأه دماً وضع أسفله هاوناً وجلس على ذلك الهاون، فاستدعى الملك أبا معشر

---

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) في ط: عنبة.
(٥) في ط: ابن.
(٦) الزيج: جدول يدلّ على حركة الكواكب، ومنه يستخرج التقويم.

وأمره أن يظهر هذا الرجل، فضرب رمله وحرره ثم قال: هذا عجيب جداً، هذا الرجل جالس على جبل من ذهب في وسط بحر من دم، وليس هذا في الدنيا. ثم أعاد الضرب فوجده كذلك، فتعجب الملك من ذلك ونادى في البلد في أمان ذلك الرجل المذكور فلما مثل بين يدي الملك سأله أين اختفى؟ فأخبره بأمره فتعجب الناس من ذلك.

قلت: والظاهر أن الذي نسب إلى جعفر بن محمد الصادق من علم الرّجز[1]، والطرف واختلاج الأعضاء [ونحو ذلك][2] إنما هو منسوب إلى جعفر بن أبي معشر هذا، وليس بالصادق وإنما يغلطون والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين

وفيها وقع بين إسحاق بن كنداج نائب الموصل [والجزيرة][3] وبين صاحبه ابن أبي الساج نائب قنسرين وغيرها بعدما كانا متفقين، وكاتب ابن أبي الساج خمارويه صاحب مصر، وخطب له ببلاده وقدم خمارويه إلى الشام فاجتمع به ابن أبي الساج ثم سار إلى إسحاق بن كنداج فتواقعا فانهزم كنداج وهرب إلى قلعة ماردين، فجاء فحاصره بها ثم ظهر أمر ابن أبي الساج واستحوذ على الموصل والجزيرة وغيرها، وخطب بها لخمارويه واستفحل أمره جداً. وفيها قبض الموفق على لؤلؤ غلام ابن طولون وصادره بأربعمائة ألف دينار، وسجنه فكان يقول: ليس لي ذنب إلا كثرة مالي، ثم أخرج بعد ذلك من السجن وهو فقير ذليل، فعاد إلى مصر في أيام هارون بن خمارويه، ومعه غلام واحد فدخلها على برذون. وهذا جزاء من كفر نعمة سيده [عليه][4] وفيها عدا أولاد ملك الروم على أبيهم فقتلوه وملكوا أحد أولاده.

وفيها كانت وفاة:

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي

صاحب الأندلس عن خمس وستين سنة. وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً، وكان أبيض مشرباً بحمرة ربعة أوقص[5] يخضب بالحناء والكتم، وكان عاقلاً لبيباً يدرك الأشياء المشتبهة، وخلف ثلاثة وثلاثين ذكراً، وقام بالأمر بعده ولده المنذر فأحسن إلى الناس وأحبوه. وفيها كانت وفاة:

خلف بن أحمد بن خالد

الذي كان أمير خراسان في جيش المعتمد، وهذا الرجل هو الذي أخرج البخاري

---

(١) الرجز: مرض يصيب الإبل في أعجازها فترتجف منه أفخاذها عند نهوضها.

(٢) سقط في ط.

(٣) سقط في ط.

(٤) سقط في ط.

(٥) الأوقص: القصير العنق.

محمد بن إسماعيل من بخارى وطرده عنها، فدعا عليه البخاري فلم يفلح بعدها، ولم يبق في الإمرة إلا أقل من شهر حتى احتيط عليه وعلى أمواله وأركب حماراً ونودي عليه في بلده ثم سجن من ذلك الحين فمكث في السجن حتى مات في هذه السنة، وهذا جزاء من تعرض لأهل الحديث والسنة.

وممن توفي فيها أيضاً إسحاق بن يسار. وحنبل بن إسحاق [ابن][1] عم الإمام أحمد بن حنبل، وهو أحد الرواة المشهورين عنه، على أنه قد اتهم في بعض ما يرويه ويحكيه. **وأبو أمية الطرسوسي. وأبو الفتح بن شخرف** أحد مشايخ الصوفية، وذوي الأحوال والكرامات والمقامات والكلمات النافعات. وقد وهم ابن الأثير في قوله في كامله: إن أبا داود صاحب السنن توفي هذه السنة، وإنما توفي سنة خمس وسبعين كما سيأتي. وفيها توفي.

ابن ماجة القزويني

صاحب السنن وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة صاحب كتاب السنن المشهورة، وهي دالة على عمله وعلمه وتبحره واطلاعه واتّباعه للسنة في الأصول والفروع، ويشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً، وألف وخمسمائة باب، وعلى أربعة آلاف حديث كلها جياد سوى اليسيرة. وقد حكى عن أبي زرعة الرازي أنه انتقد منها بضعة عشر حديثاً. ربما يقال إنها موضوعة أو منكرة جداً، ولابن ماجة تفسير حافل وتاريخ كامل من لدن الصحابة إلى عصره.

وقال أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني: أبو عبد الله بن محمد بن يزيد بن ماجة، ويعرف يزيد بماجة مولى ربيعة، كان عالماً بهذا الشأن صاحب تصانيف، منها التاريخ والسنن، ارتحل إلى العراقين ومصر والشام، ثم ذكر طرفاً من مشايخه، وقد ترجمناهم في كتابنا التكميل ولله الحمد والمنة. قال: وقد روى عنه الكبار القدماء: ابن سيبويه ومحمد بن عيسى الصفار، وإسحاق بن محمد وعلي بن إبراهيم بن سلمة القطان، وجدي أحمد بن إبراهيم، وسليمان بن يزيد. وقال غيره: كانت وفاة ابن ماجة يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين عن أربع وستين سنة، وصلّى عليه أخوه أبو بكر وتولى دفنه مع أخيه الآخر أبي عبد الله وابنه عبد الله بن محمد بن يزيد رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائتين

فيها نشبت الحرب بين أبي أحمد الموفق وبين [أبي][2] عمرو بن الليث بفارس فقصده أبو أحمد فهرب منه عمرو من بلد إلى بلد، وتتبعه ولم يقع بينهما قتال ولا مواجهة، وقد

---

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط.

تحيّز[١] إلى الموفق مقدم جيش عمرو بن الليث، وهو أبو طلحة شركب الجمال، ثم أراد العود فقبض عليه الموفق وأباح ماله لولده أبي العباس المعتضد، وذلك بالقرب من شيراز. وفيها غزا يازمان الخادم نائب طرسوس بلاد الروم فأوغل[٢] فيها فقتل وغنم وسلم. وفيها دخل صديق الفرغاني سامرا فنهب دور التجار بها وكرّ راجعاً. وقد كان هذا الرجل ممن يحرس الطرقات فترك ذلك وأقبل يقطع الطرقات، وضعف الجند بسامرا عن مقاومته.

وفيها توفي من الأعيان: **إبراهيم بن أحمد بن يحيى أبو إسحاق**، قال ابن الجوزي في المنتظم: كان حافظاً فاضلاً، روى عن حرملة [وعن هدبة وعن أبي مخلد][٣] وغيره، توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة. **إسحاق بن إبراهيم بن زياد أبو يعقوب المقري** توفي في ربيع الأول منها. **أيوب بن سليمان بن داود الصفدي** يروي عن آدم بن أبي إياس وأبي اليمان وعلي بن الجعد وعن ابن صاعد وابن السماك، وكان ثقة توفي في رمضان منها. **الحسن بن مكرم بن حسان بن علي البزار**، يروي عن همام[٤] وأبي النضر ويزيد بن هارون وغيرهم، وعنه المحاملي وابن مخلد والبخاري، وكان ثقة. توفي في رمضان منها عن ثلاث وسبعين سنة. **خلف بن محمد بن عيسى أبو الحسين الواسطي** الملقب بكردوس، يروي عن يزيد بن هارون وغيره، وعنه المحاملي وابن مخلد. قال ابن أبي حاتم: صدوق، وقال الدارقطني ثقة. توفي في ذي الحجة منها، وقد نيف عن الثمانين. **عبد الله بن روح بن عبيد الله بن أبي محمد المدائني** المعروف بعيدروس، يروي عن شبابة ويزيد بن هارون، وعنه المحاملي وابن السماك وأبو بكر الشافعي، وكان من الثقات. توفي في جمادى الآخرة منها. **عبد الله بن أبي سعيد أبو محمد الوراق** أصله من بلخ وسكن بغداد، وروى الحديث عن سريج بن يونس وعفان وعلي بن الجعد وغيرهم، وعنه ابن أبي الدنيا والبغوي والمحاملي وكان ثقة صاحب أخبار وآداب وملح، توفي بواسط في جمادى الآخرة منها عن سبع وسبعين سنة. **محمد بن إسماعيل بن زياد أبو عبد الله، وقيل أبو بكر الدولابي**، سمع أبا النضر وأبا اليمان وأبا مسهر، وعنه أبو الحسين المنادي ومحمد بن مخلد وابن السماك وكان ثقة.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين

في المحرم منها وقع الخلاف بين أبي الساج وبين خمارويه فاقتتلا عند ثنية العقاب شرق دمشق فقهر خمارويه لابن أبي الساج وانهزم، وكانت له حواصل بحمص فبعث خمارويه من سبقه إليها فأخذها ومنع منه حمص فذهب إلى حلب فمنعه خمارويه فسار إلى الرقة فاتبعه، فذهب إلى الموصل ثم انهزم منها خوفاً من خمارويه ووصل خمارويه إليها

(١) يحيّز: انحاز وانضم.

(٢) أوغل: ذهب وأبعد.

(٣) سقط في ط.

(٤) في ط: عفان.

واتخذ بها سريراً طويل القوائم، فكان يجلس عليه في الفرات، فعند ذلك طمع فيه ابن كنداج فسار وراءه ليظفر بشيء فلم يقدر، وقد التقيا في بعض الأيام فصبر له ابن أبي الساج صبراً عظيماً، فسلم وانصرف إلى الموفق ببغداد فأكرمه وخلع عليه واستصحبه معه إلى الجبل، ورجع إسحاق بن كنداج إلى ديار بكر من الجزيرة.

وفيها في شوّال منها سجن أبو أحمد الموفق ولده أبا العباس المعتضد في دار الإمارة، وكان سبب ذلك أنه أمره بالمسير إلى بعض الوجوه فامتنع أن يسير إلا إلى الشام التي ولاه إياها عمه المعتضد، وأمر بسجنه فثارت الأمراء واختبطت[1] بغداد فركب الموفق إلى بغداد وقال للناس: أتظنون أنكم على ولدي أشفق مني؟ فسكن الناس عند ذلك [وتراجعوا إلى منازلهم][2] ثم أفرج عنه. وفيها سار رافع إلى محمد بن زيد العلوي فأخذ منه مدينة جرجان فهرب إلى استراباذ فحاصره بها سنتين فغلا بها السعر حتى بيع الملح بها وزن الدرهم بدرهمين، فهرب منها ليلاً إلى سارية فأخذ منه رافع بلاداً كثيرة بعد ذلك في مدة متطاولة.

وفي المحرم منها أو في صفر كانت وفاة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس عن ست وأربعين سنة. وكانت ولايته سنة وأحد عشر يوماً، وكان أسمر طويلاً بوجهه أثر جدري، جواداً ممدَّحاً يحب الشعراء ويصلهم بمال كثير وخلف من الأولاد ستة [ذكور][3]، ثم قام بالأمر من بعده أخوه محمد فامتلأت بلاد الأندلس في أيامه فتناً وشراً حتى هلك كما سيأتي.

وفيها توفي من الأعيان: **أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي** صاحب الإمام أحمد، كان من الأذكياء، كان أحمد يقدمه على جميع أصحابه ويأنس به ويبعثه في الحاجة ويقول له: قل ما شئت. وهو الذي أغمض الإمام أحمد وكان فيمن غسله، وقد نقل عن أحمد مسائل كثيرة وحصلت له رفعة عظيمة مع أحمد حين طلب إلى سامرا ووصل بخمسين ألفاً فلم يقبلها. **أحمد بن محمد بن غالب بن خلد بن مرداس أبو عبد الله الباهلي البصري المعروف بغلام خليل**، وقد سكن بغداد، روى عن سليمان بن داود الشاذكوني وشيبان بن فروخ وقرة بن حبيب وغيرهم، وعنه ابن سماك وابن مخلد وغيرهما، وقد أنكر عليه أبو حاتم وغيره أحاديث رواها منكرة عن شيوخ مجهولين. قال أبو حاتم: ولم يكن ممن يفتعل الحديث، كان رجلاً صالحاً. وكذبه أبو داود وغير واحد. وروى ابن عدي عنه أنه اعترف بوضع الحديث ليرقق به قلوب الناس، وكان عابداً زاهداً يقتات الباقلاء الصرف، وحين مات أغلقت أسواق بغداد وحضر الناس جنازته والصلاة عليه ثم جعل في زورق وشيع إلى البصرة فدفن بها في رجب من هذه السنة. **وأحمد بن ملاعب**، روى عن يحيى بن معين وغيره، وكان ثقة ديناً عالماً فاضلاً، انتشر به كثير من الحديث.

---

(١) اختبطت: اضطربت وعمتها الفوضى.

(٢) سقط في ط.

(٣) سقط في ط.

وأبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله بن السكري النحوي اللغوي، صاحب التصانيف. **وإسحاق بن إبراهيم بن هانىء أبو يعقوب النيسابوري**، كان من أخصاء أصحاب الإمام أحمد، وعنده اختفى أحمد في زمن المحنة. **وعبد الله بن يعقوب بن إسحاق التميمي العطار الموصلي** قال ابن الأثير: كان كثير الحديث معدلاً عند الحاكم. **ويحيى بن أبي طالب**.

وأبو داود السجستاني

صاحب السنن، اسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن يحيى بن عمران أبو داود الأزدي السجستاني أحد أئمة الحديث الرحالين إلى الآفاق في طلبه، جمع وصنَّف وخرَّج وألَّف وسمع الكثير عن مشايخ البلدان في الشام ومصر والجزيرة والعراق وخراسان وغير ذلك، وله السنن المشهورة المتداولة بين العلماء، التي قال فيها أبو حامد الغزالي: يكفي المجتهد معرفتها من الأحاديث النبوية. حدث عنه جماعة منهم ابنه أبو بكر عبد الله وأبو عبد الرحمن النسائي وأحمد بن سليمان النجاد[1]، وهو آخر من روى عنه في الدنيا. سكن أبو داود البصرة وقدم بغداد غير مرة وحدث بكتاب السنن بها، ويقال إنه صنَّفه بها وعرضه على الإمام أحمد فاستجاده واستحسنه.

وقال الخطيب: حدَّثني أبو بكر محمد بن علي بن إبراهيم القاري الدينوري من لفظه، قال: سمعت أبا الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الفرضي[2] قال سمعت أبا بكر بن داسة يقول سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته كتاب السنن، جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث، قوله عليه السلام: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**». الثاني قوله «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ**» الثالث قوله: «**لا يَكُونُ المُؤْمِنُ مُؤْمِناً حَتَّى يَرْضَى لأَخِيهِ مَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ**». الرابع قوله: «**الحَلالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَ ذٰلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ**». وحدثت عن عبد العزيز بن جعفر الحنبلي أن أبا بكر الخلال قال: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الإمام المقدم في زمانه رجل لم يسبقه إلى معرفة تخريج العلوم وبصره بمواضعها أحد من أهل زمانه، رجل ورع مقدم وقد سمع منه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً كان أبو داود يذكره، وكان إبراهيم[3] الأصبهاني وأبو بكر بن صدقة يرفعان من قدره ويذكرانه بما لا يذكر أن أحداً في زمانه بمثله.

قلت: الحديث الذي كتبه عنه وسمعه منه الإمام أحمد بن حنبل هو ما رواه أبو داود

---

(١) في ط: النجار.

(٢) في ط: القرصي.

(٣) في ط: أبو بكر.

من حديث حماد بن سلمة عن أبي معشر الدارمي عن أبيه «أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنِ العَتِيرَةِ فَحَسَّنَهَا[١]».

وقال إبراهيم الحربي وغيره: أُلينَ لأبي داود الحديث كما أُلين لداود الحديد.

وقال غيره: كان أحد حفاظ الإسلام للحديث وعلله وسنده. وكان في أعلى درجة النسك والعفاف والصلاح والورع من فرسان الحديث.

وقال غيره: كان ابن مسعود يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودله وسمته، وكان علقمة يشبهه، وكان إبراهيم يشبه علقمة، وكان منصور يشبه إبراهيم، وكان سفيان يشبه منصور، وكان وكيع يشبه سفيان، وكان أحمد يشبه وكيعاً، وكان أبو داود يشبه أحمد بن حنبل.

وقال محمد بن بكر بن عبد الرزاق: كان لأبي داود كم واسع وكم ضيق فقيل له: ما هذا يرحمك الله؟ فقال: هذا الواسع للكتب والآخر لا يحتاج إليه.

وقد كان مولد أبي داود في سنة اثنتين ومائتين، وتوفي بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة، ودفن إلى جانب قبر سفيان الثوري. وقد ذكرنا ترجمته في التكميل وذكرنا ثناء الأئمة عليه.

وفيها توفي **محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن العنبس الضميري** الشاعر كان ديِّناً كثير الملح، وكان هجّاءً، ومن جيد شعره قوله:

كَمْ عَلِيلٍ عَاشَ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ	بَعْدَ مَوْتِ الطَّبِيبِ وَالعُوَّادِ[٢]
قَدْ تُصَادُ القَطَا فَتَنْجُو سَرِيعاً	وَيَحِلُّ البَلاءُ بِالصَّيَّادِ

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين

في المحرم منها أعيد عمرو بن الليث إلى شرطة بغداد وكتب اسمه على الفرش والمقاعد والستور ثم أسقط اسمه [في شوال][٣] عن ذلك وعزل وولي عبيد الله بن طاهر. وفيها ولي الموفق لابن أبي الساج نيابة أذربيجان وفيها قصد هارون الشاري الخارجي مدينة الموصل فنزل شرقيها فحاصرها فخرج إليه أهلها فاستأمنوه فأمنهم ورجع عنهم. وفيها حج بالناس هارون بن محمد العباسي أمير الحرمين والطائف، ولما رجع حجاج اليمن نزلوا في بعض الأماكن فجاءهم سيل لم يشعروا به فغرقهم كلهم لم يفلت منهم أحد فإنا لله وإنا إليه راجعون. وذكر ابن الجوزي في منتظمه وابن الأثير في كامله أن في هذه السنة انفرج تل بنهر الصلة في أرض البصرة يعرف بتل بني شقيق عن سبعة أقبر في مثل الحوض، وفيها سبعة

(١) أخرجه أبو داود في الأضاحي باب ١، والترمذي في الأضاحي باب ١٨، وابن ماجة في الأضاحي باب ٢، وأحمد في المسند ٢/ ١٨٣، ٤/ ٢١٥، ٥/ ٧٦، والعتيرة: ذبيحة كان يذبحها الجاهليون لآلهتهم.

(٢) العواد: زوّار المريض.

(٣) سقط في ط.

أبدان صحيحة أجسادهم وأكفانهم يفوح منهم ريح المسك، أحدهم شاب وله جمّة[١] وعلى شفته بلل كأنه قد شرب ماء الآن، وكأن عينيه مكحلتان وبه ضربة في خاصرته، وأراد أحدهم أن يأخذ من شعره شيئاً فإذا هو قويّ الشعر كأنه حيٌّ فتركوا على حالهم.

وممن توفي فيها من الأعيان: **أحمد بن حازم بن أبي غرزة**[٢] **الحافظ** صاحب المسند المشهور له حديث كثير وروايته عالية وفيها توفي:

بقي بن مخلد

أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ الكبير، له المسند المبوب على الفقه، روى فيه عن ألف وستمائة صحابي، وقد فضله ابن حزم على مسند الإمام أحمد بن حنبل، وعندي في ذلك نظر، والظاهر أن مسند أحمد أجود منه وأجمع. وقد رحل بقي إلى العراق فسمع من الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث بالعراق وغيرها يزيدون على المائتين بأربعة وثلاثين شيخاً، وله تصانيف أخر، وكان مع ذلك رجلاً صالحاً عابداً زاهداً مجاب الدعوة، ذكر [القشيري][٣] جاءته امرأة فقالت: إن ابني قد أسرته الفرنج، وإني لا أنام الليل من شوقي إليه، ولي دويرة أريد أن أبيعها لأستفكّه[٤]، فإن رأيت أن تشير على أحد يأخذها لأسعى في فكاكه بثمنها، فليس يقرّ لي ليل ولا نهار ولا أجد نوماً ولا صبراً ولا قراراً ولا راحة. فقال: نعم انصرفي حتى أنظر في ذلك إن شاء الله. وأطرق الشيخ وحرّك شفتيه يدعو الله عزّ وجلّ لولدها بالخلاص من أيدي الفرنج، فذهبت المرأة فما كان إلا قليلاً حتى جاءت الشيخ وابنها معها فقالت: اسمع خبره يرحمك الله. فقال: كيف كان أمرك؟ فقال. إني كنت فيمن نخدم الملك ونحن في القيود، فبينما أنا ذات يوم أمشي إذ سقط القيد من رجلي، فأقبل عليَّ الموكل بي فشتمني وقال: لم أزلت القيد من رجليك؟ فقلت: لا والله ما شعرت به ولكنه سقط ولم أشعر به، فجاؤوا بالحداد فأعادوه وأجادوه وشدوا مسماره وأبدوه، ثم قمت فسقط أيضاً فأعادوه وأكدوه فسقط أيضاً، فسألوه رهبانهم عن سبب ذلك فقالوا. له والدة؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنها قد دعت لك وقد استجيب دعاؤها أطلقوه، فأطلقوني وخفروني حتى وصلت إلى بلاد الإسلام. فسأله بُقي بن مخلد عن الساعة التي سقط فيها القيد من رجليه فإذا هي الساعة التي دعا فيها الله له ففرّج عنه.

صاعد بن مخلد الكاتب كان كثير الصدقة والصلاة وقد أثنى عليه أبو الفرج بن الجوزي وتكلم فيه ابن الأثير في كامله، وذكر أنه كان فيه تيه وحمق، وقد يمكن الجمع بين القولين والصفتين. ابن قتيبة وهو عبد الله بن مسلم بن قتيبة [أبو محمد][٥] الدينوري ثم البغدادي، أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء [روى عن إسحاق بن راهويه وغير واحد

(١) الجمة: ما تدلى من شعر الرأس إلى المنكبين.

(٢) في ط: عزرة.

(٣) سقط في ط.

(٤) لأستفكّه: لأطلب فكّه من قيوده.

(٥) سقط في ط.

وله التصانيف المشهورة الأنيقة كغريب القرآن ومشكله وغريب الحديث ومشكله والمعارف وأدب الكتاب وعيون الأخبار وغير ذلك][١] وقد تقدمت ترجمته، وكان ثقة نبيلاً، وكان أهل المغرب[٢] يتهمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه، وكان سبب وفاته أنه أكل لقمة من هريسة فإذا هي حارة فصاح صيحة شديدة ثم أغمي عليه إلى وقت الظهر ثم أفاق ثم لم يزل يشهد أن لا إله إلا الله إلى أن مات وقت السحر أول ليلة من رجب من هذه السنة، وقيل إنه توفي في سنة سبعين ومائتين، والصحيح في هذه السنة.

عبد الملك بن محمد بن عبد الله أبو قلابة الرقاشي[٣]، أحد الحفاظ، كان يكنى بأبي محمد، ولكن غلب عليه لقب أبو قلابة، سمع يزيد بن هارون وروح بن عبادة وأبا داود الطيالسي وغيرهم، وعنه ابن صاعد والمحاملي والبخاري وأبو بكر الشافعي وغيرهم، وكان صدوقاً عابداً يصلي في كل يوم أربعمائة ركعة، وروي من حفظه ستين ألف حديث غلط في بعضها على سبيل العمد، كانت وفاته في شوّال من هذه السنة عن ست وثمانين سنة.

ومحمد بن أحمد بن أبي العوام. ومحمد بن إسماعيل الصايغ. ويزيد بن عبد الصمد. وأبو الرداد المؤذن، وهو عبد الله بن عبد السلام بن عبيد الرداد المؤذن صاحب المقياس بمصر، الذي هو مسلّم إليه وإلى ذريته إلى يومنا هذا. قاله ابن خلكان والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين

فيها خطب يا زمان نائب طرسوس لخمارويه، وذلك أنه هاداه بذهب كثير وتحف هائلة [من حرير وغير ذلك][٤]. وفيها قدم جماعة من أصحاب خمارويه إلى بغداد. وفيها ولي المظالم ببغداد يوسف بن يعقوب ونودي في الناس: من كانت له مظلمة ولو عند الأمير الناصر لدين الله الموفق، أو عند أحد من الناس فليحضر. وسار في الناس سيرة حسنة، وأظهر صرامة لم ير مثلها.

وحج بالناس الأمير المتقدم ذكره قبل ذلك.

وفيها توفي من الأعيان: **إبراهيم بن صرا وإسحاق بن أبي العينين**. وأبو إسحاق الكوفي قاضي بغداد بعد ابن سماعة، سمع يعلى[٥] بن عبيد وغيره، وحدث عنه ابن أبي الدنيا وغيره، توفي عن ثلاث وتسعين سنة، وكان ثقة فاضلاً ديناً صالحاً.

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) في ط: العلم.

(٣) في ط: الرياشي.

(٤) سقط في ط.

(٥) في ط: معلى.

وأحمد بن عيسى

أبو سعيد الخراز: أحد مشاهير الصوفية بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة، وله تصانيف في ذلك وله كرامات وأحوال وصبر على الشدائد، وروى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن أدهم وغيره وعنه علي بن محمد المصري وجماعة. ومن جيد كلامه: إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم. العافية تستر البر والفاجر، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال. وقال ذنوب المقربين يخالفه ظاهر فهو باطل. وقال: الاشتغال بوقت ماض تضييع وقت حاضر. وقال ذنوب المقربين حسنات الأبرار. وقال: الرضا قبل القضاء تفويض، والرضا مع القضاء تسليم. وقد روى البيهقي بسنده إليه أنه سئل عن قول النبي ﷺ: «جُبِلَتِ القُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا» فقال يا عجباً لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل إليه بكليته؟ قلت: وهذا الحديث ليس بصحيح، ولكن كلامه عليه من أحسن ما يكون. وقال ابنه سعيد: طلبت من أبي دانق فضة فقال: يا بنيَّ اصبر فلو أحب أبوك أن يركب الملوك إلى بابه ما تأبوا عليه. وروى ابن عساكر عنه قال: أصابني مرة جوع شديد فهممت أن أسأل الله طعاماً فقلت: هذا ينافي التوكل فهممت أن أسأله صبراً فهتف بي هاتف يقول:

وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مِنَّا قَرِيبٌ وَأَنَّا لا نُضَيِّعُ مَنْ أَتَانَا
وَيَسْأَلُنَا القِرَى[1] جَهْداً وَصَبْراً كَأَنَّا لا نَرَاهُ وَلا يَرَانَا

قال فقمت ومشيت فراسخ بلا زاد. وقال: المحب يتعلل إلى محبوبه بكل شيء، ولا يتسلى عنه بشيء يتبع آثاره ولا يدع استخباره ثم أنشد:

أُسَائِلُكُمْ عَنْهَا فَهَلْ مِنْ مُخَبِّرٍ فَمَالي بِنُعْمَى بَعْدَ مكة لي علمُ
فَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَيْنَ خَيَّمَ أَهْلُهَا وَأَيِّ بِلادِ الله إذْ ظَعَنُوا أَمُّوا[2]
إذاً لَسَلَكْنَا مَسْلَكَ الرِّيحِ خَلْفَهَا وَلَوْ أَصْبَحَتْ نُعْمَى وَمِن دُونِهَا النَّجْمُ

وكانت وفاته في هذه السنة، وقيل في سنة سبع وأربعين، وقيل في سنة ست وثمانين والأول أصح.

وفيها توفي: **عيسى بن عبد الله بن سنان بن دلويه**[3] **بن موسى الطيالسي الحافظ**، تلقب زغاث[4]، سمع عفان وأبا نعيم، وعنه أبو بكر الشافعي وغير واحد وثقه الدارقطني. كانت وفاته في شوال منها عن أربع وثمانين سنة. وفيها توفي:

---

(١) القرى: الضيافة.

(٢) ظعنوا: رحلوا، وأمّوا: قصدوا.

(٣) في ط: ذكويه.

(٤) في ط: رعاب.

أبو حاتم الرازي

محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو حاتم الحنظلي الرازي، أحد الأئمة الحفاظ الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل، وهو قرين أبي زرعة الرازي رحمهما الله، سمع الكثير وطاف الأقطار والأمصار، وروى عن خلق من الكبار، وعنه خلق منهم الربيع بن سليمان، ويونس بن عبد الأعلى وهما أكبر منه، وقدم بغداد وحدث بها، وروى عنه من أهلها إبراهيم الحربي وابن أبي الدنيا والمحاملي وغيرهم. قال لابنه عبد الرحمن: يا بني مشيت على قدمي في طلب الحديث أكثر من ألف فرسخ، وذكر أنه لم يكن له شيء ينفق عليه في بعض الأحيان، وأنه مكث ثلاثاً لا يأكل شيئاً حتى استقرض من بعض أصحابه نصف دينار، وقد أثنى عليه غير واحد من العلماء والفقهاء، وكان يتحدى من حضر عنده من الحفاظ وغيرهم، ويقول: من أغرب علي بحديث واحد صحيح فله علي درهم أتصدق به. قال: ومرادي أن أسمع ما ليس عندي، فلم يأت أحد بشيء من ذلك، وكان في جملة من حضر ذلك أبو زرعة الرازي. كانت وفاة ابن أبي حاتم في شعبان من هذه السنة.

محمد بن الحسن بن موسى بن الحسن أبو جعفر الكوفي

الخراز المعروف بالجندي، له مسند كبير، روى عن عبيد الله بن موسى والقعنبي وأبي نعيم وغيرهم، وعنه ابن صاعد والمحاملي وابن السماك، كان ثقة صدوقاً. **محمد بن سعدان أبو جعفر الرازي**، سمع من أكثر من خمسمائة شيخ، ولكن لم يحدث إلا اليسير، وتوفي في شعبان منها.

قال ابن الجوزي: وهم محمد بن سعدان البزار عن القعنبي وهو غير مشهور. محمد بن سعدان النحوي مشهور. توفي في سنة إحدى وثلاثين ومائتين[1].

قال ابن الأثير في كامله: وفيها توفي **يعقوب بن سفيان بن حران الإمام الفسوي**، وكان يتشيع. **ويعقوب بن يوسف بن معقل الأموي مولاهم**، والد أبي العباس أحمد بن الأصم.

وفيها ماتت **عريب المغنية المأمونية**، وقيل إنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكي. فأما:

يعقوب بن سفيان بن حران

فهو أبو يوسف بن أبي معاوية الفارسي الفسوي، سمع الحديث الكثير، وروى عن أكثر من ألف شيخ من الثقات، منهم هشام بن عمار، ودحيم، وأبو المجاهر، وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقيان، وسعيد بن منصور وأبو عاصم، ومكي بن إبراهيم، وسليمان بن حرب، ومحمد بن كثير وعبيد الله بن موسى والقعنبي. روى عنه النسائي في سننه وأبو بكر بن أبي داود والحسن بن سفيان وابن خراش وابن خزيمة وأبو عوانة الإسفرايني،

(١) في ط: إحدى ومائتين.

وغيرهم وصنف كتاب التاريخ والمعرفة وغيره من الكتب المفيدة، وقد رحل في طلب الحديث إلى البلدان النائية، وتغرَّب عن وطنه نحو ثلاثين سنة وقد روى ابن عساكر عنه أنه قال: كنت أكتب في الليل على ضوء السراج في زمن الرحلة فبينا أنا ذات ليلة إذ وقع شيء على بصري فلم أبصر معه السراج، فجعلت أبكي على ما فاتني من ذهاب بصري، وما يفوتني بسبب ذلك من كتابة الحديث وما أنا فيه من الغربة، ثم غلبتني عيني فنمت فرأيت رسول الله ﷺ في فقال: ما لك؟ فشكوت إليه ما أنا فيه من الغربة، وما فاتني من كتابة السنة. فقال: «ادن مني، فدنوت منه فجعل يده على عيني وجعل كأنه يقرأ شيئاً من القرآن». ثم استيقظت فأبصرت وجلست أسبح الله. وقد أثنى عليه أبو زرعة الدمشقي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وقال: هو إمام أهل الحديث بفارس، وقدم نيسابور وسمع منه مشايخنا وقد نسبه بعضهم إلى التشيع. وذكر ابن عساكر أن يعقوب بن الليث صاحب فارس بلغه عنه أنه يتكلم في عثمان بن عفان فأمر بإحضاره فقال له وزيره: أيها الأمير إنه لا يتكلم في شيخنا عثمان بن عفان السجزي، إنما يتكلم في عثمان بن عفان الصحابي، فقال: دعوه ما لي وللصحابي، إني إنما حسبته يتكلم في شيخنا عثمان بن عفان السجزي.

قلت: وما أظن هذا صحيحاً عن يعقوب بن سفيان فإنه إمام محدث كبير القدر، وقد كانت وفاته قبل أبي حاتم بشهر في رجب منها بالبصرة رحمه الله. وقد رآه بعضهم في المنام فقال: ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لي وأمرني أن أملي الحديث في السماء كما كنت أمليه في الأرض، فجلست للإملاء في السماء الرابعة، وجلس حولي جماعة من الملائكة منهم جبريل يكتبون ما أمليه من الحديث بأقلام الذهب.

عريب المأمونية

فقد ترجمها الحافظ ابن عساكر في تاريخه وحكي عن بعضهم أنها ابنة جعفر البرمكي، سرقت وهي صغيرة عند ذهاب دولة البرامكة، وبيعت فاشتراها المأمون بن الرشيد، ثم روي عن حماد بن إسحاق عن أبيه أنه قال: ما رأيت قط امرأة أحسن وجهاً منها، ولا أكثر أدباً ولا أحسن غناء وضرباً وشعراً ولعباً بالشطرنج والنرد منها، وما تشاء أن تجد خصلة ظريفة بارعة في امرأة إلا وجدتها فيها. وقد كانت شاعرة مطيقة[1] بليغة فصيحة، وكان المأمون يتعشقها ثم أحبها بعده المعتصم، وكانت هي تعشق رجلاً يقال له محمد بن حامد، وربما أدخلته إليها في دار الخلافة قبَّحها الله على ما ذكره ابن عساكر عنها، ثم عشقت صالحاً المنذري وتزوجته سراً، وكانت تقول فيه الشعر، وربما ذكرته في شعرها بين يدي المتوكل وهو لا يشعر فيمن هو، فتضحك جواريه من ذلك فيقول: يا سحّاقات[2] هذا خير من عملكن. وقد أورد ابن عساكر شيئاً كثيراً من شعرها، فمن ذلك

(١) **مطيقة**: قادرة.

(٢) **يا سحاقات**: من السحاق، يكون بين المرأة والمرأة.

قولها لما دخلت على المتوكل تعوده من حمى أصابته فقالت:

أَتَوْنِي فَقَالُوا بِالخَلِيفَةِ عِلَّةٌ ... فَقُلْتُ وَنَارُ الشَّوْقِ تُوقَدُ في صَدْرِي
أَلاَ لَيْتَ بِي حُمَّى الخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ ... فَكَانَتْ بِيَ الحُمَّى وَكَانَ لَهُ أَجْرِي
كَفَى بِي حزنٌ قِيلَ حُمَّ فَلَمْ أَمُتْ ... مِنَ الحُزْنِ إنِّي بَعْدَ هٰذا لَذُو صبري
جُعِلْتُ فِدَاءً لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ ... وَذَاكَ قَلِيلٌ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ شُكْرِي

ولما عوفي دخلت عليه فغنته من قيلها:

شُكْراً لأنْعُمِ مَنْ عَافَاكَ مِنْ سَقَمِ ... دُمْتَ المُعَافَى مِنَ الآلامِ وَالسَّقَمِ
عَادَتْ بِبُرئِكَ لِلأَيَّامِ بَهْجَتُهَا ... وَاهْتَزَّ نَبْتُ رِيَاضِ الجُودِ وَالكَرَمِ
مَا قَامَ لِلدِّينِ بَعْدَ اليَوْمِ مِنْ مَلِكٍ ... أَعَفَّ مِنْكَ وَلا أَرْعَى إلى الذِّمَمِ
فَعَمَّرَ الله فِينَا جَعْفَراً وَنَفَى ... بِنُورِ وَجْنَتِهِ عَنَّا دُجَى الظُّلَمِ

ولها في عافيته أيضاً:

حَمِدْنا الَّذِي عَافَى الخَلِيفَةَ جَعْفَراً ... عَلَى رَغْمِ أَشْيَاخِ الضَّلالَةِ وَالكُفْرِ
وَمَا كَانَ إلاّ مِثْلَ بَدْرٍ أَصَابَهُ ... كُسُوفٌ قَلِيلٌ ثُمَّ أَجْلَى عَنِ البَدْرِ
سَلامَتُهُ لِلدِّينِ عِزٌّ وَقُوَّةٌ ... وَعِلَّتُهُ لِلدِّينِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
مَرِضْتَ فَأَمْرَضْتَ البَرِيَّةَ كُلَّهَا ... وَأَظْلَمَتِ الأَمْصَارُ مِنْ شِدَّةِ الذُّعْرِ
فَلَمَّا اسْتَبَانَ النَّاسُ مِنْكَ إفَاقَةً ... أَفَاقُوا وَكَانُوا كَالنِّيَامِ عَلَى الجَمْرِ
سَلامَةُ دُنْيَانَا سَلامَةُ جَعْفَرٍ ... فَدَامَ مُعَافَى سَالِماً آخِرَ الدَّهْرِ
إمَامٌ أعَمَّ النَّاسَ بِالفَضْلِ وَالنَّدَا ... قَرِيباً مِنَ التَّقْوَى بَعِيداً مِنَ الوِزْرِ

ولها أشعار كثيرة رائعة [وفيما ذكرنا كفاية والله الموفق للصواب قال ابن عساكر أن] مولدها في سنة إحدى وثمانين ومائة وماتت في سنة سبع وسبعين ومائتين بسر من رأى، ولها ست وتسعون سنة.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين

قال ابن الجوزي: في المحرم منها طلع نجم ذو جمة[٢] ثم صارت الجمة ذؤابة[٣]. قال: وفي هذه السنة غار ماء النيل وهذا شيء لم يعهد مثله ولا بلغنا في الأخبار السالفة. فغلت الأسعار بمصر بسبب ذلك جداً. وفيها خلع على عبد الله بن سليمان بالوزارة. وفي

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٢) الجمة: مجتمع شعر الرأس أو الشعر الذي يتدلى إلى المنكبين.
(٣) الذؤابة: الخصلة الطويلة من الشعر.

المحرم منها قدم الموفق من الغزو فتلقاه الناس إلى النهروان فدخل بغداد وهو مريض بالنقرس فاستمر في داره في أوائل صفر، ومات بعد أيام قال: وفيها تحركت القرامطة وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك، وكانا يبيحان المحرمات. ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل، وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم، لأنهم أقل الناس عقولاً ويقال لهم الإسماعيلية، لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق. ويقال لهم القرامطة، قيل نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار، وقيل إن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر من اتبعه بخمسين صلاة في كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة. ثم اتخذ نقباء اثني عشر، وأسس لأتباعه دعوة ومسلكاً يسلكونه ودعا إلى إمام أهل البيت، ويقال لهم الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض، والخرمية والبابكية نسبة إلى بابك الخرمي الذي ظهر في أيام المعتصم فلم يزل يبعث خلفه الجيوش حتى جيء به أسيراً وقتل كما تقدم[1]. ويقال لهم المحمرة نسبة إلى صبغ الحمرة شعاراً مضاهاة لبني العباس ومخالفة لهم، لأن بني العباس يلبسون السواد. ويقال لهم التعليمية نسبة إلى التعلم من الإمام المعصوم. وترك الرأي ومقتضى العقل. ويقال لهم السبعية نسبة إلى القول بأن الكواكب السبعة المتحيزة السائرة مدبرة لهذا العالم فيما يزعمون لعنهم الله. وهي القمر في الأولى، وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشتري في السادسة، وزحل في السابعة.

قال ابن الجوزي: وقد بقي من البابكية جماعة يقال إنهم يجتمعون في كل سنة ليلة هم ونساؤهم ثم يطفئون المصباح وينتهبون النساء فمن وقعت يده في امرأة حلت له. وقولون هذا اصطياد مباح لعنهم الله. وقد ذكر ابن الجوزي تفصيل قولهم وبسطه وقد سبقه إلى ذلك أبو بكر الباقلاني المتكلم المشهور في كتابه «هتك الأسرار وكشف الأسرار» في الرد على الباطنية، ورد على كتابهم الذي جمعه بعض قضاتهم بديار مصر في أيام الفاطميين الذي سماه «البلاغ الأعظم والناموس الأكبر» وجعله ست عشرة درجة أول درجة أن يدعو من يجتمع به أولاً إن كان من أهل السنة إلى القول بتفضيل علي على عثمان بن عفان، ثم ينتقل به إذا وافقه على ذلك إلى تفضيل عليّ على الشيخين أبي بكر وعمر، ثم يترقى به إلى سبهما لأنهما ظلما علياً وأهل البيت، ثم يترقى به إلى تجهيل الأمة وتخطئتها في موافقة أكثرهم على ذلك، ثم يشرع في القدح في دين الإسلام من حيث هو. وقد ذكر لمخاطبته لمن يريد أن يخاطبه بذلك شبهاً وضلالات لا تروج إلا على كل غبي جاهل شقي. كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [الذاريات: ٧ - ٩]. أي يضل به من هو ضال. وقال: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات: ١٦١ - ١٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ

---

(١) في ط: فقتله كما ذكرنا فيما سبق.

ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأنعام:١١٢] إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن أن الباطل والجهل والضلال والمعاصي لا ينقاد لها إلا شرار الناس كما قال بعض الشعراء:

إنْ هُــوَ مُـسْـتَـحْـوذٌ عَـلَـى أَحَـدٍ ... إلاَّ عَـلَـى أَضْـعَـفِ الـمَـجَـانِـيـنِ

ثم بعد هذا كله لهم مقامات في الكفر والزندقة والسخافة والرعونة مما لا ينبغي لضعيف العقل والدين أن ينزه نفسه عنه إذا تصوره، وهو مما فتحه إبليس عليهم من أنواع الكفر وأنواع الجهالات، وربما أفاد إبليس بعضهم أشياء لم يكن يعرفها كما قال بعض الشعراء:

وَكُـنْـتُ امْـرَأً مِـنْ جُـنْـدِ إِبْـلِـيـسَ بُـرْهَـةً ... مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي

والمقصود أن هذه الطائفة تحركت في هذه السنة، ثم استفحل أمرهم وتفاقهم الحال بهم كما سنذكره، حتى آل بهم الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام فسفكوا دم الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة وكسروا الحجر الأسود واقتلعوه من موضعه، وذهبوا به إلى بلادهم في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، فمكث غائباً عن موضعه من البيت اثنتين وعشرين سنة فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكل ذلك من ضعف الخليفة وتلاعب الترك بمنصب الخلافة واستيلائهم على البلاد وتشتت الأمر.

وقد اتفق في هذه السنة شيئان أحدهما ظهور هؤلاء والثاني موت جسام الإسلام وناصر دين الله أبو أحمد الموفق رحمه الله، لكن الله أبقى للمسلمين بعده ولده أبا العباس أحمد الملقب بالمعتضد. وكان شهماً شجاعاً.

ترجمة أبي أحمد الموفق

هو الأمير الناصر لدين الله، ويقال له الموفق، ويقال له طلحة بن المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، كان مولده في يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائتين، وكان أخوه المعتمد حين صارت الخلافة إليه قد عهد إليه بالولاية بعد أخيه جعفر، ولقبه الموفق بالله، ثم لما قتل صاحب الزنج وكسر جيشه تلقب بناصر دين الله، وصار إليه العقد والحل والولاية والعزل، وإليه يجبى الخراج، وكان يخطب له على المنابر، فيقال: اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين. ثم اتفق موته قبل أخيه المعتمد بستة أشهر، وكان غزير العقل حسن التدبير يجلس للمظالم وعنده القضاة فينصف المظلوم من الظالم وكان عالماً بالأدب والنسب والفقه وسياسة الملك وغير ذلك، وله محاسن ومآثر كثيرة جداً.

وكان سبب موته أنه أصابه مرض النقرس[1] في السَّفر فقدم إلى بغداد وهو عليل منه

(١) النقرس: مرض يصيب المفاصل شديد الإيلام.

فاستقر في داره في أوائل صفر وقد تزايد به المرض وتورمت رجله حتى عظمت جداً، وكان يوضع له الأشياء المبردة كالثلج ونحوه، وكان يحمل على سريره، يحمله أربعون رجلاً بالنوبة، كل نوبة عشرون. فقال لهم ذات يوم: ما أظنكم إلا قد مللتم مني فيا ليتني كواحد منكم آكل كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، وأرقد كما ترقدون في عافية. وقال أيضاً: في ديواني مائة ألف مرتزق ليس فيهم أحد أسوأ حالاً مني. ثم كانت وفاته في القصر الحسيني ليلة الخميس لثمان بقين من صفر.

قال ابن الجوزي: وله سبع وأربعون سنة تنقص شهراً وأياماً.

ولما توفي اجتمع الأمراء على أخذ البيعة من بعده إلى ولده أبي العباس أحمد، فبايع له المعتمد بولاية العهد من بعد أبيه، وخطب له على المنابر. وجعل إليه ما كان لأبيه من الولاية والعزل والقطع والوصل، ولقب المعتضد بالله.

وفيها توفي أيضاً **إدريس بن سليم الفقعسي الموصلي**. قال ابن الأثير: كان كثير الحديث والصلاح. وإسحاق بن كنداج نائب الجزيرة، كان من ذوي الرأي، وقام بما كان إليه ولده محمد. **ويازمان نائب طرسوس** جاءه حجر منجنيق من بلدة كان محاصرها ببلاد الروم فمات منه وذلك في رجب من هذه السنة ودفن بطرسوس، فولّى نيابة الثغر بعده أحمد الجعيفي بأمر خمارويه بن أحمد بن طولون، ثم عزله عن قريب بابن عمه موسى بن طولون. وفيها توفي: **عبدة بن عبد الرحيم** قبحه الله. ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيراً في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرو بلدة من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها فراسلها ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت إن تتنصر وتصعد إلي، فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غماً شديداً، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن فقالوا: يا فلان ما فعل قرآنك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلت صلاتك؟ فقال: اعلموا أني أنسيت القرآن كله إلا قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٢ ـ ٣] وقد صار لي فيهم مال وولد.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين

في أواخر المحرم منها خلع جعفر المفوض من المعهد واستقل بولاية العهد من بعد المعتمد أبو العباس المعتضد بن الموفق، وخطب له بذلك على رؤوس الأشهاد وفي ذلك يقول يحيى بن علي يهنىء المعتضد:

لِيَهْنِكَ عِقْدٌ أَنْتَ فِيهِ المُقَدَّمُ ... حَبَاكَ بِهِ رَبٌّ بِفَضْلِكَ أَعْلَمُ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَصْبَحْتَ وَالِيَ عَهْدِنا ... فَأَنْتَ غداً فِينا الإِمامُ المُعَظَّمُ
وَلا زَالَ مَنْ وَالاكَ فِيهِ مُبَلَّغاً ... مُنَاهُ وَمَنْ عَادَاكَ يَخْزَى وَيَنْدَمُ

وَكَانَ عَمُودُ الدِّينِ فِيهِ تَعَوُّجٌ فَعَادَ بِهَذَا العَهْدِ وَهُوَ مُقَوَّمُ
وَأَصْبَحَ وَجْهُ المُلْكِ جَذْلانَ ضَاحِكاً يُضِيءُ لَنَا مِنْهُ الَّذِي كَانَ يُظْلِمُ
فَدُونَكَ شُدَّ عِقْدُ ما قَدْ حَوَيْتَهُ فَإِنَّكَ دُونَ النَّاسِ فِيهِ المُحَكَّمُ

وفيها نودي ببغداد أن لا يمكن أحد من القصاص والطرقية [1] والمنجمين ومن أشبههم من الجلوس في المساجد ولا في الطرقات، وأن لا تباع كتب الكلام والفلسفة والجدل بين الناس، وذلك بهمّة أبي العباس المعتضد سلطان الإسلام. وفيها وقعت حروب بين هارون الشاري وبين بني شيبان في أرض الموصل وقد بسط ذلك ابن الأثير في كامله.

وفي رجب منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الاثنين لتسع عشرة ليلة خلت منه.

ترجمة المعتمد على الله

هو أمير المؤمنين المعتمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد مكث في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وستة أيام، وكان عمره يوم مات خمسين سنة وأشهراً، وكان أسن من أخيه الموفق بستة أشهر، وتأخر بعده أقل من سنة، ولم يكن إليه مع أخيه شيء من الأمر حتى أن المعتمد طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يصل إليها فقال الشاعر في ذلك:

وَمِنَ العَجَائِبِ في الخلافة أَنْ تَرى مَا قَلَّ مُمْتَنِعاً عَلَيْهِ
وَتُؤْخَذُ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعاً وَمَا فِي ذاكَ شَيْءٌ فِي يَدَيْهِ
إِلَيْهِ تُحْمَلُ الأَمْوَالُ طُرّاً وَيُمْنَعُ بَعْضُ مَا يُجْبَى إِلَيْهِ

وكان المعتمد أول خليفة انتقل من سامرا إلى بغداد ثم لم يعد إليها أحد من الخلفاء، بل جعلوا إقامتهم ببغداد، وكان سبب هلاكه في ما ذكره ابن الأثير أنه شرب في تلك الليلة شراباً كثيراً وتعشى عشاء كثيراً، وكان وقت وفاته في القصر الحسيني من بغداد، وحين مات أحضر المعتضد القضاة والأعيان وأشهدهم أنه مات حتف أنفه [2]، ثم غسل وكفن وصلّى عليه ثم حمل فدفن بسامرا. وفي صبيحة العزاء بويع للمعتضد وفيها توفي.

البلاذري المؤرّخ

واسمه أحمد بن يحيى بن جابر بن داود أبو الحسن ويقال أبو جعفر ويقال أبو بكر البغدادي البلاذري صاحب التاريخ المنسوب إليه، سمع هشام بن عمار وأبا عبيد القاسم بن سلام، وأبا الربيع الزهراني وجماعة، وعنه يحيى بن النديم وأحمد بن عمار وأبو يوسف يعقوب بن نعيم بن قرقارة الأزدي.

---

(١) الطرقية: أصحاب الطرق والمذاهب المختلفة في العبادات.

(٢) مات حتف أنفه: أي على الفراش.

قال ابن عساكر: كان أديباً ظهرت له كتب جياد، ومدح المأمون بمدائح، وجالس المتوكل، وتوفي أيام المعتمد، وحصل له هوس ووسواس في آخر عمره، وروى عنه ابن عساكر قال قال لي محمود الوراق: قل من الشعر ما يبقى لك ذكره، ويزول عنك إثمه فقلت عند ذلك:

اسْتَعِدِّي يا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَاسْعَيْ ... لِنَجاةٍ فَالحَازِمُ المُسْتَعِدُّ
إِنَّما أَنْتِ مُسْتَعارٌ وَسَوْفَ ... تُرَدِّينَ وَالعَوارِي تُرَدُّ[1]
أَنْتِ تَسْهَيْنَ وَالحَوادِثُ لا تَسْـ ... ـهُو وَتَلْهَيْنَ وَالمَنايَا تَعُدُّ
أَيُّ مُلْكٍ في الأَرْضِ بَلْ أَيُّ حَظٍّ ... لامْرِىءٍ حَظُّهُ مِنَ الأَرْضِ لَحْدُ
لا تَرجَّ البَقَاءَ فِي مَعْدِنِ المَوْ ... تِ وَدَارٍ حُتُوفُهَا لَكِ وِرْدُ[2]
كَيْفَ يَهْوَى امْرُؤٌ لَذَاذَةَ أَيَّا ... مٍ أَنْفَاسُهَا عَلَيْهِ فِيهَا تُعَدُّ

خلافة المعتضد

أمير المؤمنين أبي العباس أحمد الموفق بن جعفر المتوكل، كان من خيار خلفاء بني العباس ورجالهم. بويع له بالخلافة صبيحة موت المعتمد لعشر بقين من رجب منهما وقد كان أمر الخلافة داثراً فأحياه الله على يديه بعدله وشهامته وجرأته، واستوزر عبيد الله بن سليمان بن وهب وولّى مولاه بدراً الشرطة في بغداد، وجاءته هدايا عمرو بن الليث وسأل منه أن يوليه إمرة خراسان فأجابه إلى ذلك، وبعث إليه بالخلع واللواء فنصبه عمرو في داره ثلاثة أيام فرحاً وسروراً بذلك، وعزل رافع بن هرثمة عن إمرة خراسان ودخلها عمرو بن الليث فلم يزل يتبع رافعاً من بلد إلى بلد حتى قتله في سنة ثلاث وثمانين كما سيأتي، وبعث برأسه إلى المعتضد وصفت إمرة خراسان لعمرو. وفيها قدم الحسين بن عبد الله المعروف بالجصاص من الديار المصرية بهدايا عظيمة من خمارويه إلى المعتضد فتزوج المعتضد بابنة خمارويه فجهّزها أبوها بجهاز لم يسمع بمثله، حتى قيل إنه كان في جهازها مائة هاون من ذهب، فحمل ذلك كله من الديار المصرية إلى دار الخلافة ببغداد صحبة العروس وكان وقتاً مشهوداً وفيها تملك أحمد بن عيسى ابن الشيخ قلعة ماردين وكانت قبل ذلك لإسحاق بن كنداج. وفيها حج بالناس هارون بن محمد العباسي وهي آخر حجة حجها بالناس وقد كان يحج بالناس من سنة أربع وستين ومائتين إلى هذه السنة.

وفيها توفي من الأعيان أحمد أمير المؤمنين المعتمد وأبو بكر بن أبي خيثمة.

وأحمد بن زهير بن خيثمة صاحب التاريخ وغيره. سمع أبا نعيم وعفان وأخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وعلم النسب عن مصعب الزبيري، وأيام الناس عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني. وعلم الأدب عن محمد بن سلام الجمحي. وكان ثقة حافظاً ضابطاً مشهوراً، وفي تاريخه فوائد كثيرة وفرائد غزيرة. روى عنه البغوي وابن

---

(١) العواري: الأشياء المستعارة. (٢) الورد: النهل.

صاعد وابن أبي داود وابن المنادى. توفي في جمادى الأولى منها عن أربع وتسعين سنة.
وخاقان أبو عبد الله الصوفي، كانت له أحوال وكرامات.

الترمذي

واسمه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، وقيل محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن، ويقال محمد بن عيسى بن سورة بن شداد بن عيسى السلمي الترمذي الضرير، يقال إنه ولد أكمه، وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه، وله المصنفات المشهورة، منها الجامع، والشمائل، وأسماء الصحابة وغير ذلك. وكتاب الجامع أحد الكتب الستة التي يرجع إليها العلماء في سائر الآفاق، وجهالة ابن حزم لأبي عيسى الترمذي لا تضره حيث قال في محلاه: ومن محمد بن عيسى بن سورة فإن جهالته لا تضع من قدره، عند أهل العلم، بل وضعت منزلةِ ابن حزم عند الحفاظ.

وَكَيْفَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْءٌ إذا احْتَاجَ النَّهَارُ إلى دَلِيلِ

وقد ذكرنا مشايخ الترمذي في التكميل. وروي عنه غير واحد من العلماء منهم محمد بن إسماعيل البخاري في الصحيح: والهيثم بن كليب الشاشي صاحب المسند، ومحمد بن محبوب المحبوبي، راوي الجامع عنه. ومحمد بن المنذر بن شكر.

قال أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني في كتابه علوم الحديث: محمد بن عيسى بن سورة بن شداد الحافظ متفق عليه، له كتاب في السنن وكتاب في الجرح والتعديل، روى عنه أبو محبوب والأجلاء، وهو مشهور بالأمانة والإمامة والعلم. مات بعد الثمانين ومائتين. كذا قال في تاريخ وفاته. وقد قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الغنجار في تاريخ بخارى: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي الحافظ، دخل بخارى وحدث بها، وهو صاحب الجامع والتاريخ، توفي بالترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين. ذكره الحافظ أبو حاتم بن حبان في الثقات، فقال: كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر.

قال الترمذي: كتب عني البخاري حديث عطية عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «لا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُجْنِبُ في هٰذا المَسْجِدِ غَيْرِي وَغَيْرَكَ». وروى ابن يقظة في تقييده عن الترمذي أنه قال: صنفت هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي ينطق. وفي رواية يتكلم. قالوا: وجملة الجامع مائة وأحد وخمسون كتاباً، وكتاب العلل صنفه بسمرقند، وكان فراغه منه في يوم عيد الأضحى سنة سبعين ومائتين.

قال ابن عطية: سمعت محمد بن طاهر المقدسي سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري يقول: كتاب الترمذي عندي أنور من كتاب البخاري ومسلم.

قلت: ولَم؟ قال لأنه لا يصل إلى الفائدة منهما إلا مَنْ هو من أهل المعرفة التامة بهذا

الفن، وكتاب الترمذي قد شرح أحاديثه وبينها، فيصل إليها كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم.

قلت: والذي يظهر من حال الترمذي أنه إنما طرأ عليه العمى بعد أن رحل وسمع وكتب وذاكر وناظر وصنف، ثم اتفق موته في بلده في رجب منها على الصحيح المشهور والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين من الهجرة

في المحرم منها قتل المعتضد رجلاً من أمراء الزنج كان قد لجأ إليه بالأمان ويعرف بسلمة، ذكر له أنه يدعو إلى رجل لا يعرف من هو، وقد أفسد جماعة، فاستدعى به فقرره فلم يقر، وقال: لو كان تحت قدميَّ ما أقررت به، فأمر به فشد على عمود خيمة ثم لوّحه على النار حتى تساقط جلده، ثم أمر بضرب عنقه وصلبه لسبع خلون من المحرم. وفي أول صفر ركب المعتضد من بغداد قاصداً بني شيبان من أرض الموصل فأوقع بهم بأساً شديداً عند جبل يقال له توباذ. وكان مع المعتضد حادٍ جيد الحداء، فقال في تلك الليالي يحدو بالمعتضد:

فَأَجْهَشْتُ[1] لِلتُّوبَاذِ حِينَ رَأَيْتُهُ وَهَلَّلْتُ لِلرَّحْمٰنِ حِينَ رَآنِي
وَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ بِظِلِّكَ فِي أَمْنٍ وَلِينِ زَمَانِ
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَخْلَفُونِي مَكَانَهُمْ وَمَنْ ذا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الحَدَثَانِ[2]

وفيها أمر المعتضد بتسهيل عقبة حلوان فغرم عليها عشرين ألف دينار، وكان الناس يلقون منها شدة عظيمة. وفيها أمر بتوسيع جامع المنصور بإضافة دار المنصور إليه، وغرم عليه عشرين ألف دينار، وكانت الدار قبلته فبناها مسجداً على حدة وفتح بينهما سبعة عشر باباً وحول المنبر والمحراب إلى المسجد ليكون في قبلة الجامع على عادته.

قال الخطيب: وزاد بدر مولى المعتضد السُّقفان من قصر المنصور المعروفة بالبدرية.

بناء دار الخلافة في بغداد في هذا الوقت

أول من بناها المعتضد في هذه السنة. وهو أول من سكنها من الخلفاء إلى آخر دولتهم، وكانت أولاً داراً للحسن بن سهل تعرف بالقصر الحسني، ثم صارت بعد ذلك لابنته بوران زوجة المأمون، فعمرتها حتى استنزلها المعتضد عنها فأجابته إلى ذلك، ثم أصلحت ما وهى منها ورممت ما كان قد انشعث[3] فيها، وفرشتها بأنواع الفرش في كل موضع منها ما يليق به من المفارش، وأسكنته ما يليق به من الجواري والخدم، وأعدت بها المآكل الشهية وما يحسن ادخاره في ذلك الزمان، ثم أرسلت مفاتيحها إلى المعتضد، فلما دخلها هاله ما رأى فيها من الخيرات، ثم وسعها وزاد فيها وجعل لها سوراً حولها، وكانت

---

(١) أجهش: بكى، أو همّ بالبكاء. (٢) الحدثان: الليل والنهار.

(٣) انشعث: تصدّع وتفرّق.

قدر مدينة شيراز، وبنى الميدان ثم بنى فيها قصراً مشرفاً على دجلة، ثم بنى فيها المكتفي التاج، فلما كان أيام المقتدر زاد فيها زيادات أخر كباراً كثيرة جداً، ثم بعد هذا كله خربت حتى كأن لم يكن موضعها عمارة، وتأخرت آثارها إلى أيام التتار الذين خربوها وخربوا بغداد وسبوا من كان بها من الحرائر كما سيأتي بيانه في موضعه من سنة ست وخمسين وستمائة.

قال الخطيب: والذي يشبه أن بوران وهبت دارها للمعتمد لا للمعتضد، فإنها لم تعش إلى أيامه، وقد تقدمت وفاتها.

وفيها زلزلت أردبيل ست مرات فتهدمت دورها ولم يبق منها مائة دار، ومات تحت الردم مائة ألف وخمسون ألفاً [فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها غارت المياه ببلاد الريّ وطبرستان حتى بيع الماء كل ثلاثة أرطال بدرهم، وغلت الأسعار هنالك جداً] (١).

وفيها غزا إسماعيل بن أحمد الساماني ببلاد الترك ففتح مدينة ملكهم وأسر امرأته الخاتون وأباه ونحواً من عشرة آلاف أسير، وغنم من الدواب والأمتعة والأموال شيئاً كثيراً، أصاب الفارس ألف درهم.

وفيها حج بالناس أبو بكر محمد بن هارون بن إسحاق العباسي.

وفيها توفي من الأعيان: **أحمد بن سيار بن أيوب الفقيه الشافعي** المشهور بالعبادة والزهادة **وأحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى أبو جعفر البغدادي**، كان من أكابر الحنفية، تفقه على محمد بن سماعة وهو أستاذ أبي جعفر الطحاوي، وكان ضريراً، سمع الحديث من علي بن الجعد وغيره، وقدم مصر فحدث بها من حفظه، وتوفي بها في المحرم من هذه السنة، وقد وثقه ابن يونس في تاريخ مصر.

وأحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر [أبو العباس](٢)

القاضي بواسط، صاحب المسند، روى عن مسلم بن إبراهيم وأبي سلمة التبوذكي، وأبي نعيم وأبي الوليد وخلق، وكان ثقة ثبتاً تفقه بأبي سليمان الجوزجاني صاحب محمد بن الحسن وقد حكم بالجانب الشرقي من بغداد في أيام المعتز، فلما كان أيام الموفق طلب منه ومن إسماعيل القاضي أن يعطياه ما بأيديهما من أموال اليتامى الموقوفة فبادر إلى ذلك إسماعيل القاضي واستنظره إلى ذلك أبو العباس البرقي هذا، ثم بادر إلى كل من أنس منه رشداً من اليتامى فدفع إليه ماله، فلما طولب به قال: ليس عندي منه شيء، دفعته إلى أهله، فعزل عن القضاء ولزم بيته وتعبد إلى أن توفي في ذي الحجة منها. وقد رآه بعضهم في المنام وقد دخل على رسول الله ﷺ فقام إليه وصافحه وقبّل بين عينيه وقال: مرحباً بمن عمل بسنتي وأثري.

وفيها توفي: **جعفر بن المعتضد**، وكان يسامر أباه. **وراشد مولى الموفق** بمدينة الدينور فحمل إلى بغداد. **وعثمان بن سعيد الدارمي** مصنف الردّ على بشر المريسي فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجهمية وقد ذكرناه في طبقات الشافعية. **ومسرور الخادم** وكان من أكابر

(١) ما بين معقوفين زيادة من النسخة المصرية. (٢) سقط في ط.

الأمراء. ومحمد بن إسماعيل الترمذي صاحب التصانيف الحسنة في رمضان منها، قاله ابن الأثير، وشيخنا الذهبي. وهلال بن المعلى المحدث المشهور. وقد وقع لنا من حديثه طرف والله تعالى أعلم.

وسيبويه أستاذ النحاة [أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب][١]

وقيل إنه توفي في سنة سبع وسبعين، وقيل ثمان وثمانين، وقيل إحدى وستين، وقيل أربع وسبعين ومائة فالله أعلم.

[وهو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب، وقيل: مولى الربيع بن زياد الحارثي البصري. ولقب سيبويه لجماله وحمرة وجنتيه حتى كانتا كالتفاحتين. وسيبويه في لغة فارس رائحة التفاح. وهو الإمام العلامة العلم، شيخ النحاة من لدن زمانه إلى زماننا هذا، والناس عيال[٢] على كتابه المشهور في هذ الفن. وقد شرح بشروح كثيرة وقل من يحيط علماً به.

أخذ سيبويه العلم عن الخليل بن أحمد ولازمه، وكان إذا قدم يقول الخليل: مرحباً بزائر لا يمل. وأخذ أيضاً عن عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب وأبي زيد الأنصاري، وأبي الخطاب الأخفش الكبير وغيرهم، قدم من البصرة إلى بغداد أيام كان الكسائي يؤدب الأمين بن الرشيد، فجمع بينهما فتناظرا في شيء من مسائل النحو فانتهى الكلام إلى أن قال الكسائي: تقول العرب: كنت أظن الزنبور أشد لسعاً من النحلة فإذا هو إياها. فقال سيبويه: بيني وبين أعرابي لم يشبه شيء من الناس المولد، وكان الأمين يحب نصرة أستاذه فسأل رجلاً من الأعراب فنطق بما قال سيبويه. فكره الأمين ذلك وقال له: إن الكسائي يقول خلافك. فقال: إن لساني لا يطاوعني على ما يقول فقال: أحب أن تحضر وأن تصوب كلام الكسائي، فطاوعه على ذلك وانفصل المجلس عن قول الأعرابي إذا الكسائي أصاب. فحمل سيبويه على نفسه وعرف أنهم تعصبوا عليه ورحل عن بغداد فمات ببلاد شيراز في قرية يقال لها البيضاء، وقيل إنه ولد بهذه وتوفي بمدينة سارة في هذه السنة، وقيل سنة سبع وسبعين، وقيل ثمان وثمانين، وقيل إحدى وتسعين وقيل أربع وتسعين ومائة فالله أعلم، وقد نيف على الأربعين، وقيل بل إنما عمر اثنتين وثلاثين سنة فالله أعلم. قرأ بعضهم على قبره هذه الأبيات:

ذَهَبَ الأَحِبَّةُ بَعْدَ طُولِ تَزَاوُرٍ ... وَنَأَى المَزَارُ فَأَسْلَمُوكَ وَأَقْشَعُوا[٣]

تَرَكُوكَ أَوْحَشَ مَا تَكُونُ بِقَفْرَةٍ ... لَمْ يُؤْنِسُوكَ وَكُرْبَةٍ لَمْ يَدْفَعُوا

فَقَضَى القَضَاءُ وَصِرْتَ صَاحِبَ حُفْرَةٍ ... عَنْكَ الأَحِبَّةُ أَعْرَضُوا وَتَصَدَّعُوا][٤]

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) عيال: أي يستعينون به في كل أمرٍ مشكل.

(٣) أقشعوا: انصرفوا.

(٤) ما بين معقوفين زيادة من النسخة المصرية.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين

فيها دخل المسلمون بلاد الروم فغنموا وسلموا. وفيها تكامل غور المياه ببلاد الري وطبرستان. وفيها غلت الأسعار جداً وجهد الناس حتى أكل بعضهم بعضاً، فكان الرجل يأكل ابنه وابنته فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها حاصر المعتضد قلعة ماردين وكانت بيد حمدان بن حمدون ففتحها قسراً وأخذ ما كان فيها، ثم أمر بتخريبها فهدمت. وفيها وصلت قطر الندى بنت خمارويه سلطان الديار المصرية إلى بغداد في تجمل كثير ومعها من الجهاز شيء كثير حتى قيل إنه كان في الجهاز مائة هاون من ذهب غير الفضة وما يتبع ذلك من القماش وغير ذلك مما لا يحصى. ثم بعد كل حساب أرسل معها أبوها مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار لتشتري بها من العراق ما قد تحتاج إليه مما ليس بمصر مثله. وفيها خرج المعتضد إلى بلاد الجبل وولّى ولده عليّاً المكتفي نيابة الري وقزوين وأذربيجان وهمدان والدينور، وجعل على كتابته أحمد بن الأصبغ، وولّى عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف نيابة أصبهان ونهاوند والكرخ، ثم عاد راجعاً إلى بغداد. وحج بالناس محمد بن هارون بن إسحاق، وأصاب الحجاج في الأجفر مطر عظيم فغرق كثير منهم، كان الرجل يغرق في الرمل فلا يقدر أحد على خلاصه منه.

وفيها توفي من الأعيان: **إبراهيم بن الحسن بن ديزيل** الحافظ صاحب كتاب المصنفات، منها في وقعة صفين مجلد كبير. **وأحمد بن محمد الطائي** بالكوفة في جمادى منها.

وإسحاق بن إبراهيم

المعروف بابن الجيلي سمع الحديث وكان يفتي الناس بالحديث، وكان يوصف بالفهم والحفظ وفيها توفي:

أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا القرشي

مولى بني أمية، وهو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر بن أبي الدنيا الحفاظ المصنف في كل فن، المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الذائعة[1] في الرقاق وغيرها، وهي تزيد على مائة مصنف وقيل إنها نحو الثلاثمائة مصنف، وقيل أكثر وقيل أقلّ، سمع ابن أبي الدنيا إبراهيم بن المنذر الخزامي، وخالد بن خراش وعلي بن الجعد وخلقاً، وكان مؤدب المعتضد وعلي بن المعتضد الملقب بالمكتفي بالله، وكان له عليه كل يوم خمسة عشر ديناراً، وكان صدوقاً حافظاً ذا مروءة، لكن قال فيه صالح بن محمد جزرة: إلا أنه كان يروي عن رجل يقال له محمد بن إسحاق البلخي وكان هذا الرجل كذاباً يضع للأعلام إسناداً، وللكلام إسناداً، ويروي أحاديث منكرة. ومن شعر ابن أبي الدنيا أنه جلس أصحاب له ينتظرونه ليخرج إليهم، فجاء المطر فحال بينه فكتب إليهم رقعة فيها:

أَنَــا مُــشْــتَــاقٌ إلــى رُؤْيَــتِــكُــمْ يَــا أَخِــلاَّيَ وَسَــمْــعِــي وَالْــبَــصَــرْ

---

(١) الذائعة: المنتشرة.

كَيْفَ أَتَسَاكُمْ وَقَلْبِي عِنْدَكُمْ   حَالَ فِيمَا بَيْنَنَا هٰذا المَطَرْ

توفي ببغداد في جمادى الأولى من هذه السنة عن سبعين سنة، وصلّى عليه يوسف بن يعقوب القاضي ودفن بالشونيزية رحمه الله.

عبد الرحمن بن عمرو وأبو زرعة البصري الدمشقي. الحافظ الكبير المشهور بابن المواز الفقيه المالكي، له اختيارات في مذهب الإمام مالك، فمن ذلك وجوب الصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين

في خامس ربيع الأول منها يوم الثلاثاء دخل المعتضد بزوجته قطر الندى ابنة خمارويه، قدمت بغداد صحبة عمها وصحبة ابن الجصاص، وكان الخليفة غائباً وكان دخولها إليه يوماً مشهوداً، امتنع الناس من المرور في الطرقات من كثرة الخلق. وفيها نهى المعتضد الناس أن يعملوا في يوم النيروز ما كانوا يتعاطونه من إيقاد النيران وصب الماء وغير ذلك من الأفعال المشابهة لأفعال المجوس، ومنع من حمل هدايا الفلاحين إلى المنقطعين في هذا اليوم وأمر بتأخير ذلك إلى الحادي عشر من حزيران وسمي النيروز المعتضدي، وكتب بذلك إلى الآفاق. وفيها في ذي الحجة قدم إبراهيم بن أحمد الماذرائي من دمشق على البريد فأخبر الخليفة بأن خمارويه وثب عليه خدامه فذبحته على فراشه وولّوا بعده ولده حنش ثم قتلوه ونهبوا داره، ثم ولّوا هارون بن خمارويه، وقد التزم في كل سنة أن يحمل إلى الخليفة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، فأقره المعتضد على ذلك، فلما كان المكتفي عزله وولّى مكانه محمد بن سليمان الواثقي فاصطفى أموال الطولونيين، وكان ذلك آخر العهد منهم. وفيها أطلق لؤلؤ غلام أحمد بن طولون من الحبس فعاد إلى مصر في أذل حال بعد أن كان من أكثر الناس مالاً وعزّاً وجاهاً. وفيها حج بالناس الأمير المتقدم ذكره.

وفيها توفي من الأعيان: **أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري** اللغوي صاحب كتاب النبات.

إسماعيل بن إسحاق

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد أبو إسحاق الأزدي القاضي، أصله من البصرة ونشأ ببغداد وسمع مسلم بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله الأنصاري، والقعنبي وعلي بن المديني، وكان حافظاً فقيهاً مالكياً جمع وصنّف وشرح في المذهب عدة مصنفات في التفسير والحديث والفقه، وغير ذلك، ولي القضاء في أيام المتوكل بعد سوار بن عبد الله، ثم عزل ثم ولي وصار مقدم القضاة. كانت وفاته فجأة ليلة الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة منها، وقد جاوز الثمانين رحمه الله. **الحارث بن محمد بن أبي أسامة** صاحب المسند المشهور.

خمارويه بن أحمد بن طولون

صاحب الديار المصرية بعد أبيه سنة إحدى وسبعين ومائتين، وقد تقاتل هو والمعتضد بن الموفق في حياة أبيه الموفق في أرض الرملة، وقيل في أرض الصعيد. وقد

تقدم ذلك في موضعه، ثم بعد ذلك لما آلت الخلافة إلى المعتضد تزوج بابنة خمارويه وتصافيا، فلما كان في ذي الحجة من هذه السنة عدا أحد الخدام من الخصيان على خمارويه فذبحه وهو على فراشه، وذلك أن خمارويه اتهمه بجارية له. مات عن اثنتين وثلاثين سنة، فقام بالأمر من بعده ولده هارون بن خمارويه، وهو آخر الطولونية.

وذكر ابن الأثير أن عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الدارمي، توفي في هذه السنة وكان شافعياً أخذ الفقه عن البويطي صاحب الشافعي فالله أعلم. وقد قدمنا وفاة الفضل بن يحيى بن محمد بن المسيب بن موسى بن زهير بن يزيد بن كيسان بن بادام ملك اليمن، أسلم بادام في حياة رسول الله ﷺ.

أبو محمد الشعراني

الأديب الفقيه العابد الحافظ الرجال تلميذ يحيى بن معين، روي عنه الفوائد في الجرح والتعديل وغير ذلك، وكذلك أخذ عن أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وقرأ على خلف بن هشام البزار وتعلم اللغة من ابن الأعرابي، وكان ثقة كبيراً.

محمد بن القاسم بن خلاد أبو العيناء البصري الضرير الشاعر الأديب البليغ اللغوي تلميذ الأصمعي. كنيته أبو عبد الله وإنما لقب بأبي العيناء لأنه سئل عن تصغير عيناء فقال عييناء، وله معرفة تامة بالأدب والحكايات والملح. أما الحديث فليس له منه إلا القليل.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين

في المحرم منها خرج المعتضد من بغداد قاصداً بلاد الموصل لقتال هارون الشاري الخارجي فظفر به وهزم أصحابه وكتب بذلك إلى بغداد، فلما رجع الخليفة إلى بغداد أمر بصلب هارون الشاري وكان صفرياً. فلما صلب قال: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون. وقد قاتل الحسن بن حمدان الخوارج في هذه الغزوة قتالاً شديداً مع الخليفة، فأطلق الخليفة أباه حمدان بن حمدون من القيود بعدما كان قد سجنه حيناً من وقت أخذ قلعة ماردين، فأطلقه وخلع عليه وأحسن إليه. وفيها كتب المعتضد إلى الآفاق برد ما فضل عن سهام ذوي الفرض إذا لم تكن عصبة إلى ذوي الأرحام وذلك بفتيا أبي حازم القاضي. وقد قال في فتياه: إن هذا اتفاق من الصحابة إلا زيد بن ثابت فإنه تفرَّد برد ما فضل والحالة هذه إلى بيت المال. ووافق على ذلك علي بن محمد بن أبي الشوارب أبا حازم، وخالفهما القاضي يوسف بن يعقوب، وذهب إلى قول زيد فلم يلتفت إليه المعتضد ولا عدّ قوله شيئاً، وأمضى فتيا أبي حازم، ومع هذا ولّى القضاء يوسف بن يعقوب في الجانب الشرقي، وخلع عليه خلعة سنية، وقلد أبا حازم قضاء أماكن كثيرة وذلك لموافقته ابن أبي الشوارب وخلع عليه خلعاً سنية أيضاً. وفيها وقع الفداء بين المسلمين والروم فاستنقذ من أيديهم ألفي[1] أسير

(١) في ط: ألفا.

وخمسمائة وأربعة أنفس. وفيها حاصرت الصقالبة الروم في القسطنطينية فاستعان ملك الروم بمن عنده من أسارى المسلمين وأعطاهم سلاحاً كثيراً فخرجوا معهم فهزموا الصقالبة، ثم خاف ملك الروم من غائلة[١] أولئك المسلمين ففرّقهم في البلاد. وفيها خرج عمرو بن الليث من نيسابور لبعض أشغاله فخلفه فيها رافع بن هرثمة ودعا على منابرها لمحمد بن زيد المطلبي ولولده من بعده، فرجع إليه عمرو وحاصره فيها، ولم يزل به حتى أخرجه منها وقتله على بابها. وفيها بعث الخليفة وزيره عبيد الله بن سليمان لقتال عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف، فلما وصل إليه طلب منه عمر الأمان فأمّنه وأخذه معه إلى الخليفة فتلقاه الأمراء وخلع عليه الخليفة وأحسن إليه.

وفيها توفي من الأعيان: **إبراهيم بن مهران أبو إسحاق الثقفي السراج النيسابوري**، كان الإمام أحمد يدخل إلى منزله ـ وكان بقطيعة الربيع في الجانب الغربي ـ وينبسط فيه ويفطر عنده، وكان من الثقات العباد العلماء، توفي في صفر منها. **وإسحاق بن إبراهيم بن محمد بن حازم أبو القاسم الجيلي**، وليس هو بالذي تقدم ذكره في السنين المتقدمة. سمع داود بن عمرو وعليّ بن الجعد وخلقاً كثيراً. وقد ليّنه الدارقطني فقال ليس بالقوي. توفي عن نحو من ثمانين سنة. **سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد** أحد أئمة الصوفية، لقي ذا النون المصري. ومن كلامه الحسن قوله: أمس قد مات واليوم في النزع وغد لم يولد. وهذا كما قال بعض الشعراء:

مَا مَضَى فَاتَ وَالمُؤَمَّلُ غَيبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

وقد خرج سهل شيخاً له محمد بن سوار، وقيل إن سهلاً قد توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين فالله أعلم.

وفيها توفي **عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش أبو محمد الحافظ المروزي** أحد الجوالين الرحالين حفاظ الحديث والمتكلمين في الجرح والتعديل، وقد كان ينبذ بشيء من التشيع فالله أعلم. روى الخطيب عنه أنه قال: شربت بولي في هذا الشأن خمس مرات ـ يعني أنه اضطر إلى ذلك في أسفاره في الحديث من العطش ـ **علي بن محمد بن أبي الشوارب. عبد الملك الأموي البصري** قاضي سامرا. وقد ولي في بعض الأحيان قضاء القضاة، وكان من الثقات، سمع أبا الوليد وأبا عمرو والحوصي وعنه النجاد وابن صاعد وابن قانع، وحمل الناس عنه علماً كثيراً.

ابن الرومي الشاعر

صاحب الديوان في الشعر علي بن العباس بن جريج أبو الحسن المعروف بابن الرومي وهو مولى عبيد[٢] الله بن جعفر وكان شاعراً مشهوراً مطيقاً فمن ذلك قوله:

(١) الغائلة: الداهية والمهلكة والعاقبة السيئة. (٢) في ط: عبد.

إذا مَا مَدَحْتَ البَاخِلِينَ فَإنَّمَا تُذَكِّرُهُمْ ما في سِوَاهُمْ مِنَ الفَضْلِ
وَتُهْدِي لَهُمْ غَمّاً طَوِيلاً وَحَسْرَةً فَإنْ مُنِعُوا مِنْكَ النَّوَالَ فَبِالعَدْلِ

وقال:

إذا مَا كَسَاكَ الدَّهْرُ سِرْبَالَ صِحَّةٍ وَلَمْ تَخْلُ مِنْ قُوتٍ يَلَذُّ وَيَعْذُبُ
فَلا تَغْبِطَنَّ(١) المُتْرَفِينَ فَإنَّهُ عَلَى قَدْرِ مَا يَكْسُوهُمُ الدَّهْرُ يُسْلُبُ

وقال أيضاً:

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصِّحَابِ
فَإنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ
إذا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ غَدَا عَدُوّاً مُبِيناً وَالأُمُورُ إلى انْقِلابِ
وَلَوْ كَانَ الكَثِيرُ يَطِيبُ كَانَتْ مُصَاحَبَةُ الكَثِيرِ مِنَ الصَّوَابِ
وَلٰكِنْ قَلَّمَا اسْتَكْثَرْتَ إلاّ وَقَعْتَ عَلَى ذِئَابٍ في ثِيَابِ
فَدَعْ عَنْكَ الكَثِيرَ فَكَمْ كَثِيرٍ يُعَافُ وَكَمْ قَلِيلٍ مُسْتَطَابِ
وَمَا اللُّجَجُ العِظَامُ بِمزرياتٍ وَيَكْفِي الرِّيُّ في النُّطَفِ(٢) العِذَابِ

وقال أيضاً:

وَمَا الحَسَبُ المَوْرُوثُ لا دَرَّ دَرُّهُ بِمُحْتَسَبٍ إلاَّ بِآخَرَ مُكْتَسَبْ
فَلا تَتَّكِلْ إلاّ عَلَى مَا فَعَلْتَهُ وَلا تَحْسَبَنَّ المَجْدَ يُورَثُ كَالنَّسَبْ
فَلَيْسَ يَسُودُ المَرْءُ إلاَّ بِفِعْلِهِ وَإنْ عَدَّ آبَاءً كِرَاماً ذَوِي حَسَبْ
إذا العُودُ لَمْ يُثْمِرْ وَإنْ كَانَ أَصْلُهُ مِنَ المُثْمِرَاتِ اعْتَدَّهُ النَّاسُ في الحَطَبْ
وَلِلْمَجْدِ قَوْمٌ شَيَّدُوهُ بِأَنْفُسٍ كِرَامٍ وَلَمْ يُغْنُوا بِأُمٍّ وَلا بِأَبْ

وقال أيضاً وهو من لطيف شعره:

قَلْبِي مِنَ الطَّرْفِ السَّقِيمِ سَقِيمُ لَوَ أنَّ مَنْ أَشْكُو إلَيْهِ رَحِيمُ
في وَجْهِهَا أَبَداً نَهَارٌ وَاضِحٌ مِنْ شعرها لَيْلٌ عَلَيْهِ بَهِيمُ
إنْ أَقْبَلَتْ فَالبَدْرُ لاحَ وَإنْ مَشَتْ فَالغُصْنُ راحَ وَإنْ رَنَتْ فَالرِّيمُ
نَعِمَتْ بِهَا عَيْنِي فَطَالَ عَذَابُهَا وَلَكَمْ عَذَابٍ قَدْ جَنَاهُ نَعِيمُ
نَظَرَتْ فَأَقْصَدَتِ الفُؤَادَ بِسَهْمِهَا ثُمَّ انْثَنَتْ نَحْوِي فَكِدْتُ أَهِيمُ
وَيْلاهُ إنْ نَظَرَتْ وَإنْ هِيَ أَعْرَضَتْ وَقْعُ السِّهَامِ وَوَقْعُهُنَّ أَلِيمُ

---

(١) الغبطة: هي أن يتمنى المرء أن تكون حاله كحال صاحب النعمة المغبوط عليها من دون أن تزول النعمة عنه.
(٢) النطف: الماء القليل.

يـا مُسْتَحِلَّ دَمِي مُحَرِّمَ رَحْمَتِي مَا أَنْصَفَ التَّحْلِيلُ وَالتَّحْرِيمُ

وله أيضاً وكان يزعم أنه ما سبق إليه:

آرَاؤُكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ فِي الحَادِثَاتِ إذا دَجَوْنَ نُجُومُ

مِنْهَا مَعَالِمُ لِلْهُدَى وَمَصَابِحٌ تَجْلُو الدُّجَى وَالأُخْرَيَاتُ رُجُومُ[١]

وذكر أنه ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين. ومات في هذه السنة، وقيل في التي بعدها، وقيل في سنة ست وسبعين ومائتين، وذكر أن سبب وفاته أن وزير المعتضد القاسم بن عبد الله كان يخاف من هجوه ولسانه فدسّ عليه من أطعمه وهو بحضرته خشتنانكة مسمومة، فلما أحسّ السم قام فقال له الوزير: إلى أين؟ قال: إلى المكان الذي بعثتني إليه. قال: سلِّم على والدي. فقال له: لست أجتاز على النار.

ومحمد بن سليمان بن الحرب أبو بكر الباغندي الواسطي، كان من الحفاظ، وكان أبو داود يسأله عن الحديث، ومع هذا تكلموا فيه وضعفوه. **محمد بن غالب بن حرب أبو جعفر الضبي** المعروف بتنهام سمع سفيان وقبيصة والقعنبي، وكان من الثقات.

قال الدارقطني: وربما أخطأ. توفي في رمضان عن تسعين سنة.

البحتري الشاعر

صاحب الديوان المشهور، اسمه الوليد بن عبادة، ويقال ابن عبيد بن يحيى أبو عباد الطائي البحتري الشاعر، أصله من منبج وقدم بغداد ومدح المتوكل والرؤساء، وكان شعره في المدح خيراً منه في المراثي فقيل له في ذلك فقال: المديح للرجاء والمراثي للوفاء وبينهما بعد. وقد روى شعره المبرد وابن درستويه وابن المرزبان. وقيل له: إنهم يقولون إنك أشعر من أبي تمام. فقال: لولا أبو تمام ما أكلت الخبز، كان أبو تمام أستاذنا. وقد كان البحتري شاعراً مطيقاً فصيحاً بليغاً رجع إلى بلده فمات بها في هذه السنة، وقيل في التي بعدها عن ثمانين سنة.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين

في المحرم منها دخل رأس رافع بن هرثمة إلى بغداد فأمر الخليفة بنصبه في الجانب الشرقي إلى الظهر، ثم الجانب الغربي إلى الليل. وفي ربيع الأول منها خلع على محمد بن يوسف بن يعقوب بالقضاء بمدينة أبي جعفر المنصور عوضاً عن ابن أبي الشوارب بعد موته بخمسة أشهر وأيام، وقد كانت شاغرة تلك المدة. وفي ربيع الآخر منها ظهرت بمصر ظلمة شديدة وحمرة في الأفق حتى صار الرجل ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمر اللون جداً. وكذلك الجدران. فمكثوا كذلك من العصر إلى الليل ثم خرجوا إلى الصحراء يدعون الله ويتضرعون إليه حتى كشف عنهم. وفيها عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على

(١) الرجوم: ما يرمى به.

المنابر فحذّره ذلك وزيرُه عبد الله بن وهب، وقال له: إن العامة تنكر قلوبهم ذلك وهم يترحمون عليه ويترضّون عنه في أسواقهم وجوامعهم، فلم يلتفت إليه بل أمر بذلك وأمضاه وكتب به نسخاً إلى الخطباء بلعن معاوية وذكر فيها ذمّه وذمّ ابنه يزيد بن معاوية وجماعة من بني أمية، وأورد فيها أحاديث باطلة في ذم معاوية وقرئت في الجانبين من بغداد، ونهيت العامة عن الترحم على معاوية والترضي عنه، فلم يزل به الوزير حتى قال له فيما قال: يا أمير المؤمنين إن هذا الصنيع لم يسبقك أحد من الخلفاء إليه، وهو مما يرغب العامة في الطالبيين وقبول الدعوة إليهم، فوجم المعتضد عند ذلك تخوفاً على الملك، وقدّر الله تعالى أن هذا الوزير كان ناصبياً[1] يبغض علياً فكان هذا من هفوات المعتضد.

وفيها نودي في البلاد لا يجتمع العامة على قاصّ ولا منجم ولا جدلي ولا غير ذلك، وأمرهم أن لا يهتموا لأمر النوروز، ثم أطلق لم النوروز فكانوا يصبون المياه على المارة وتوسعوا في ذلك وغلوا فيه حتى جعلوا يصبون الماء على الجند والشرط وغيرهم، وهذا أيضاً من هفواته.

قال ابن الجوزي: وفيها وعد المنجمون الناس أن أكثر الأقاليم ستغرق في زمن الشتاء من كثرة الأمطار والسيول وزيادة الأنهار، وأجمعوا على هذا الأمر فأخذ الناس كهوفاً في الجبال خوفاً من ذلك، فأكذب الله تعالى المنجمين في قولهم فلم يكن عام أقل مطراً منه. وقلّت العيون جداً وقحط الناس في كل بقعة حتى استسقى الناس ببغداد وغيرها من البلاد مراراً كثيرة. قال: وفيها كان يتبدى في دار الخلافة شخص بيده سيف مسلول في الليل فإذا أرادوا أخذه انهزم فدخل في بعض الأماكن والزروع والأشجار والعطفات التي بدار الخلافة فلا يطلع له على خبر، فقلق من ذلك المعتضد قلقاً شديداً وأمر بتجديد سور دار الخلافة والاحتفاظ به، وأمر الحرس من كل جانب بشدة الاحتراس فلم يفد ذلك شيئاً، ثم استدعى بالمغرمين ومن يعاني علم السحر وأمر المنجمين فعزّموا واجتهدوا فلم يفد ذلك شيئاً فأعياهم أمره، فلما كان بعد مدة اطلع على جلية الأمر وحقيقة الخبر فوجده خادماً خصياً من الخدام كان يتعشق بعض الجواري من حظايا المعتضد التي لا يصل إليها مثله ولا النظر إليها من بعيد، فاتخذ لحى مختلفة الألوان يلبس كل ليلة واحدة، واتخذ لباساً مزعجاً فكان يلبس ذلك ويتبدى في الليل في شكل مزعج فيفزع الجواري وينزعجن وكذلك الخدم فيثورون إليه من كل جانب فإذا قصدوه دخل في بعض العطفات ثم يلقي ما عليه أو يجعله في كمه أو في مكان قد أعده لذلك ثم يظهر أنه قد جملة الخدم المتطلبين لكشف هذا الأمر، ويسأل هذا وهذا ما الخبر؟ والسيف في يده صفة من يرى أنه قد رهب من هذا الأمر، وإذا اجتمع الحظايا تمكن من النظر إلى تلك المعشوقة ولاحظها وأشار إليها بما يريده منها وأشارت إليه، فلم يزل هذا دأبه إلى زمن المقتدر فبعثه في سرية إلى طرسوس فنمت عليه تلك الجارية وانكشف أمره وحاله وأهلكه الله.

(١) الناصبي: الذي يبغض عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

وفيها اضطرب الجيش المصري على هارون بن خمارويه فأقاموا له بعض أمراء أبيه يدير الأمور ويصلح الأحوال، وهو أبو جعفر بن أبان، فبعث إلى دمشق ـ وكانت قد منعت البيعة تسعة أشهر بعد أبيه، واضطربت أحوالها ـ فبعث إليهم جيشاً كثيفاً مع بدر الحمامي والحسن بن أحمد الماذرائي فأصلحا أمرها واستعملا على نيابتها طغج بن جف ورجعا إلى الديار المصرية والأمور مختلفة جداً. وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن المبارك أبو عمر المستملي

الزاهد النيسابوري يلقب بحكمويه العابد، سمع قتيبة وأحمد وإسحاق وغيرهم، واستملى على المشايخ ستاً وخمسين سنة، وكان فقيراً رث الهيئة زاهداً، دخل يوماً على أبي عثمان سعيد بن إسماعيل وهو في مجلس التذكير، فبكى أبو عثمان وقال للناس: إنما أبكاني رثاثة ثياب رجل كبير من أهل العلم أنا أجلّه عن أن أسميه في هذا المجلس، فجعل الناس يلقون الخواتم والثياب والدراهم حتى اجتمع من ذلك شيء كثير بين يدي الشيخ أبي عثمان، فنهض عند ذلك أبو عمرو المستملي فقال: أيها الناس أنا الذي قصدني الشيخ بكلامه، ولولا أني كرهت أن يُتهم بإثم لسترت ما ستره. فتعجب الشيخ من إخلاصه ثم أخذ أبو عمرو ذلك المجتمع من المال فما خرج من باب المسجد حتى تصدق بجميعه على الفقراء والمحاويج كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة.

إسحاق بن سعد[1]

ابن ميمون بن سعد أبو يعقوب الحربي، سمع عفان وأبا نعيم وغيرهما. وكان أسن من إبراهيم الحربي بثلاث سنين، ولما توفي إسحاق نودي له بالبلد فقصد الناس داره للصلاة عليه، واعتقد بعض العامة أنه إبراهيم الحربي فجعلوا يقصدون داره فيقول إبراهيم. ليس إلى هذا الموضع قصدكم، وعن قريب تأتونه، فما عمّر بعده إلا دون السنة.

إسحاق بن محمد بن يعقوب الزهري عمّر تسعين سنة وكان ثقة صالحاً. إسحاق بن موسى بن عمران الفقيه أبو يعقوب الإسفراييني الشافعي. عبد الله بن علي بن الحسن بن إسماعيل أبو العباس الهاشمي، كانت إليه الحسبة ببغداد وإمامة جامع الرصافة وعبد العزيز بن معاوية العتابي من ولد عتاب بن أسيد بصري، قدم بغداد وحدث عن أزهر السمان وأبي عاصم النبيل. يزيد بن الهيثم بن طهمان أبو خالد الدقاق ويعرف بالباد.

قال ابن الجوزي: والصواب أن يقال: البادي لأنه ولد توأماً وكان هو الأول في الميلاد. روى عن يحيى بن معين وغيره وكان ثقة صالحاً.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

فيها وثب صالح بن مدرك الطائي على الحجاج بالأجفر فأخذ أموالهم ونساءهم،

---

(١) في ط: الحسن.

يقال: إنه أخذ منهم ما قيمته ألف ألف دينار. وفي ربيع الأول منها يوم الأحد لعشر بقين منه ارتفعت بنواحي الكوفة ظلمة شديدة جداً ثم سقطت أمطار برعود وبروق لم ير مثلها، وسقط في بعض القرى مع المطر حجارة بيض، وسود، وسقط برد كبار وزن البردة مائة وخمسون درهماً، واقتلعت الرياح شيئاً من النخيل والأشجار مما حول دجلة، وزادت دجلة زيادة كثيرة حتى خيف على بغداد من الغرق. وفيها غزا راغب الخادم مولى الموفق بلاد الروم ففتح حصوناً كثيرة وأسر ذراري كثيرة جداً، وقتل من أسارى الرجال الذين معه ثلاثة آلاف أسير، ثم عاد سالماً مؤيداً منصوراً وحج بالناس فيها محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي.

وفيها توفي أحمد بن عيسى ابن الشيخ صاحب آمد فقام بأمرها من بعده ولده محمد، فقصده المعتضد ومعه ابنه أبو محمد المكتفي بالله فحاصره بها فخرج إليه سامعاً مطيعاً فتسلمها منه وخلع عليه وأكرم أهلها، واستخلف عليها ولده المكتفي، ثم سار إلى قنسرين والعواصم فتسلمها عن كتاب هارون بن خمارويه، وإذنه له في ذلك ومصالحته لها فيها. وفيها غزا ابن الإخشيد بأهل طرسوس بلاد الروم ففتح الله على يديه حصوناً كثيرة ولله الحمد وفيها توفي من الأعيان:

إبراهيم بن إسحاق

ابن بشير بن عبد الله بن رستم أبو إسحاق الحربي، أحد الأئمة في الفقه والحديث وغير ذلك، وكان زاهداً عابداً تخرج بأحمد بن حنبل، وروى عنه كثيراً.

قال الدارقطني: إبراهيم الحربي إمام مصنف عالم بكل شيء بارع في كل علم، صدوق، كان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وورعه وعلمه، ومن كلامه أجمع عقلاء كل أمة أن من لم يجر مع القدر لم يتهنَّ بعيشه. وكان يقول: الرجل كل الرجل الذي يدخل غمه على نفسه ولا يدخله على عياله، وقد كانت بي شقيقة[1] منذ أربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط، ولي عشرون سنة أبصر بفرد عين ما أخبرت بها أحداً قط، وذكر أنه مكث نيفاً وسبعين سنة من عمره ما يسأل أهله غداء ولا عشاء، بل إن جاءه شيء أكله وإلا طوى إلى الليلة القابلة. وذكر أنه أنفق في بعض الرماضانات على نفسه وعياله درهماً واحداً وأربعة دوانيق ونصف، وما كنا نعرف من هذه الطبائخ شيئاً إنما هو باذنجان مشوي أو باقة فجل أو نحو هذا، وقد بعث إليه أمير المؤمنين المعتضد في بعض الأحيان بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وردها، فرجع الرسول وقال يقول لك الخليفة: فرقها على من تعرف من فقراء جيرانك. فقال: هذا شيء لم نجمعه ولا نسأل عن جمعه، فلا نسأل عن تفريقه، قل لأمير المؤمنين إما يتركنا وإما نتحول من بلده. ولما حضرته الوفاة دخل عليه بعض أصحابه يعوده فقامت ابنته تشكو إليه ما هم فيه من الجهد وأنه لا طعام لهم إلا الخبز اليابس بالملح، وربما عدموا الملح في بعض الأحيان. فقال لها إبراهيم يا بنية تخافين الفقر؟ انظري إلى تلك

(١) الشقيقة: ألم يصيب نصف الوجه والرأس.

الزاوية فيها اثنا عشر ألف جزء قد كتبتها، ففي كل يوم تبيعين منها جزءاً بدرهم فمن عنده اثنا عشر ألف درهم فليس بفقير. ثم كانت وفاته لسبع بقين من ذي الحجة وصلّى عليه يوسف بن يعقوب القاضي عند باب الأنبار، وكان الجمع كثيراً جداً.

المبرد النحوي

محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس الأزدي الثمالي المعروف بالمبرد النحوي البصري إمام في اللغة والعربية، أخذ ذلك عن المازني وأبي حاتم السجستاني، وكان ثقة ثبتاً فيما ينقله وكان مناوئاً لثعلب وله كتاب الكامل في الأدب، وإنما سمي بالمبرد لأنه اختبأ من الوالي عند أبي حاتم تحت المزبلة.

قال المبرد: دخلنا يوماً على المجانين نزورهم أنا وأصحاب معي بالرقة فإذا فيهم شاب قريب العهد بالمكان عليه ثياب ناعمة فلمّا بصر بنا قال حياكم الله ممن أنتم؟ قلنا من أهل العراق. فقال: بأبي العراق وأهلها أنشدوني أو أنشدكم؟ قال المبرد: بل أنشدنا أنت فأنشأ يقول:

اللهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي كَمِدُ [1] لا أَسْتَطِيعُ بَثَّ مَا أَجِدُ [2]
رُوحَانِ لِي رُوحٌ تَضَمَّنَهَا بَلَدٌ وَأُخْرَى حَازَهَا بَلَدُ
وَأَرَى المُقِيمَةَ لَيْسَ يَنْفَعُهَا صَبْرٌ وَلا يَقْوَى لَهَا جَلَدُ
وَأَظُنُّ غَائِبَتِي كَحَاضِرَتِي بِمَكَانِهَا تَجِدُ الَّذِي أَجِدُ

قال المبرد فقلت: والله إن هذا طريف، فزدنا منه فأنشأ يقول:

لَمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عِيرَهُمُ وَحَمَّلُوهَا فَثَارَتْ بِالهَوَى الإِبِلُ
وَأَبْرَزَتْ مِنْ خِلالِ السُّجْفِ [3] نَاظِرَهَا تَرْنُو إِلَيَّ وَدَمْعُ العَيْنِ يَنْهَمِلُ
وَوَدَّعَتْ بِبَنَانٍ عَقْدُهَا عَنَمٌ نَادَيْتُ لا حَمَلَتْ رِجْلاكَ يا جَمَلُ [4]
وَيْلِي مِنَ البَيْنِ مَاذا حَلَّ بِي وَبِهِمْ مِنْ نَازِلِ البَيْنِ حَانَ البَيْنُ وَارْتَحَلُوا
يَا رَاحِلَ العِيسِ عَجِّلْ كَيْ أُوَدِّعَهُمْ يَا رَاحِلَ العِيسِ فِي تَرْحَالِكَ الأَجَلُ
إِنِّي عَلَى العَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ فَلَيْتَ شِعْرِي لِطُولِ العَهْدِ ما فَعَلُوا

فقال رجل من البغضاء الذين معي: ماتوا. فقال الشاب: إذاً أموت، فقال: إن شئت. فتمطّى واستند إلى سارية عنده ومات، وما برحنا حتى دفناه رحمه الله. ومات المبرد وقا جاوز السبعين.

---

(١) الكمد: الحزن.
(٢) بث ما أجد: أي إذاعة الحزن الذي أنا فيه.
(٣) السجف: الستائر.
(٤) العنم: نبات يصبغ به.

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين

فيها وقع تسلم آمد من ابن الشيخ في ربيع الآخر ووصل كتاب هارون بن أحمد بن طولون من مصر إلى المعتضد وهو مخيم بآمد أن يسلم إليه قنسرين والعواصم على أن يقره على إمارة الديار المصرية، فأجابه إلى ذلك، ثم ترحل عن آمد قاصداً العراق وأمر بهدم سور آمد فهدم البعض ولم يقدر على ذلك، فقال ابن المعتز يهنئه بفتح آمد:

اسْلَمْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَدُمْ ... فِي غِبْطَةٍ وَلْيَهْنِكَ النَّصْرُ
فَلَرُبَّ حَادِثَةٍ نَهَضْتَ لَهَا ... مُتَقَدِّماً فَتَأَخَّرَ الدَّهْرُ
لَيْثٌ فَرَائِسُهُ اللُّيُوثُ فَمَا ... يَبْيَضُّ مِنْ دَمِهَا لَهُ ظُفْرُ

ولما رجع الخليفة إلى بغداد جاءته هدية عمرو بن الليث من نيسابور فكان وصولها بغداد يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة، وكان مبلغها ما قيمته أربعة آلاف ألف درهم خارجاً عن الدواب وسروج وسلاح وغير ذلك. وفيها تحارب إسماعيل بن أحمد الساماني وعمرو بن الليث، وذلك أن عمرو بن الليث لما قتل رافع بن هرثمة وبعث برأسه إلى الخليفة سأل منه أن يعطيه ما وراء النهر مضافاً إلى ما بيده من ولاية خراسان، فأجابه إلى ذلك فانزعج لذلك إسماعيل بن أحمد الساماني نائب ما وراء النهر، وكتب إليه: إنك قد وليت دنيا عريضة فاقتنع بها عن ما في يدي من هذه البلاد. فلم يقبل فأقبل إليه إسماعيل في جيوش عظيمة، جداً فالتقيا عند بلخ فهزم أصحاب عمرو، وأسر عمرو، فلما جيء به إلى إسماعيل بن أحمد قام إليه وقبّل بين عينيه وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه وكتب إلى الخليفة في أمره، ويذكر أن أهل تلك البلاد قد ملّوا وضجروا من ولايته عليهم، فجاء كتاب الخليفة بأن يتسلم حواصله وأمواله فسلبه إياها، فآل به الحال بعد أن كان مطبخه يحمل على ستمائة جمل إلى القيد والسجن ومن العجائب أن عمراً كان معه خمسون ألف مقاتل لم يصب أحد منهم ولا أسر سواه وحده، وهذا جزاء من غلب عليه الطمع، وقاده الحرص حتى أوقعه في ذلّ الفقر، وهذه سنة الله في كل طامع فيما ليس له، وفي كل طالب للزيادة في الدنيا.

ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة وهم أخبث من الزنج وأشد فساداً

كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة، فالتف عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير، وقويت شوكته جداً، وقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلى القطيف قريباً من البصرة، ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها، فعمروه وجددوا معالمه بنحو من أربعة آلاف دينار، فامتنعت من القرامطة بسبب ذلك. وتغلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد، وأكثروا في الأرض الفساد. وكان أصل أبي سعيد الجنابي هذا أنه كان سمساراً في الطعام

يبيعه ويحسب للناس الأثمان، فقدم رجل به يقال له يحيى بن المهدي في سنة إحدى وثمانين ومائتين فدعا أهل القطيف إلى بيعة المهدي، فاستجاب له رجل يقال له علي بن العلاء بن حمدان الزيادي، وساعده في الدعوة إلى المهدي، وجمع الشيعة الذين كانوا بالقطيف فاستجابوا له، وكان من جملة من استجاب أبو سعيد الجنابي هذا قبحه الله، ثم تغلب على أمرهم وأظهر فيهم القرمطة فاستجابوا له والتفوا عليه، فتأمّر عليهم وصار هو المشار إليه فيهم. وأصله من بلدة هناك يقال لها جنابة، وسيأتي ما يكون من أمره وأمر أصحابه.

قال في المنتظم: ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة. ثم روى بسنده أن امرأة تقدمت إلى قاضي الري فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأنكره فجاءت ببينة تشهد لها به، فقالوا: نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا، فلما صمموا على ذلك قال الزوج: لا تفعلوا هي صادقة فيما تدعيه، فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها. فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر: هو في حل من صداقي عليه في الدنيا والآخرة.

وممن توفي فيها من الأعيان المشاهير: **أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز** فيما ذكره شيخنا الذهبي.

وقد أخرجه ابن الجوزي في سنة سبع وسبعين ومائتين فالله أعلم.

إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان

أبو يعقوب النخعي الأحمر، وإليه تنسب الطائفة الإسحاقية من الشيعة. وقد ذكر ابن النوبختي والخطيب وابن الجوزي أن هذا الرجل كان يعتقد إلٰهية علي بن أبي طالب، وأنه انتقل إلى الحسن ثم الحسين، وأنه كان يظهر في كل وقت، وقد اتبعه على هذا الكفر خلق من الحمر قبحهم الله وقبحه. وإنما قيل له الأحمر لأنه كان أبرص، وكان يطلي برصه بما يغير لونه، وقد أورد له النوبختي أقوالاً عظيمة في الكفر. لعنه الله. وقد روى شيئاً من الحكايات والملح عن المازني وطبقته، ومثل هذا أقل وأذل من أن يروى عنه أو يذكر إلا بذمه.

بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ أحد علماء الغرب، له التفسير والمسند والسنن، والآثار التي فضلها ابن حزم على تفسير ابن جرير ومسند أحمد ومصنف ابن أبي شيبة، وفيما زعم ابن حزم نظر. وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه فأثنى عليه خيراً، ووصفه بالحفظ والإتقان، وأنه كان مجاب الدعوة رحمه الله. وأرّخ وفاته بهذه السنة عن خمس وسبعين سنة.

الحسن بن بشار [ابن موسى][1]

أبو علي الخياط روى عن أبي بلال الأشعري، وعنه أبو بكر الشافعي وكان ثقة، رأى

(١) سقط في ط.

في منامه ـ وقد كانت به علة ـ قائلاً يقول له: كُلْ، لا، وادهن بلا. ففسره بقوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾. فأكل زيتوناً وشرب زيتاً فبرأ من علته تلك. **محمد بن إبراهيم أبو جعفر الأنماطي** المعروف بمربع تلميذ يحيى بن معين، كان ثقة حافظاً. **عبد الرحيم بن البرقي**. **ومحمد بن وضاح المصنف**. **وعلي بن عبد العزيز** البغوي صاحب المسند.

محمد بن يونس

ابن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كديم أبو العباس القرشي البصري الكديمي، وهو ابن امرأة نوح بن عبادة، ولد سنة ثلاث وثمانين ومائة، وسمع عبد الله بن داود الخريبي، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وأبا داود الطيالسي، والأصمعي وخلقاً. وعنه ابن السماك والنجاد. وآخر من حدث عنه أبو بكر بن مالك القطيفي، وقد كان حافظاً مكثراً مغرباً، وقد تكلم فيه الناس لأجل غرائبه في الروايات. وقد ذكرنا ترجمته في التكميل. توفي يوم الجمعة قبل الصلاة للنصف من جمادى الآخرة منها، وقد جاوز المائة، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي.

يعقوب بن إسحاق بن نخبة أبو يوسف الواسطي، سمع من يزيد بن هارون وقدم بغداد وحدث بها أربعة أحاديث، ووعد الناس أن يحدثهم من الغد فمات من ليلته عن مائة واثنتي عشرة سنة. الوليد أبو عبادة البحتري فيما ذكر الذهبي، وقد تقدم ذكره في سنة ثلاث وثمانين كما ذكره ابن الجوزي فالله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين

في ربيع الأول منها تفاقم أمر القرامطة صحبة أبي سعيد الجنابي فقتلوا وسبوا وأفسدوا في بلاد هجر، فجهز الخليفة إليهم جيشاً كثيفاً وأمر عليهم العباس بن عمرو الغنوي، وأمره على اليمامة والبحرين ليحارب أبا سعيد هذا، فالتقوا هنالك وكان العباس في عشرة آلاف مقاتل، فأسرهم أبو سعيد كلهم ولم ينج منهم إلا الأمير وحده، وقتل الباقون عن آخرهم صبراً بين يديه قبحه الله. وهذا عجيب جداً، وهو عكس واقعة عمرو بن الليث فإنه أسر من بين أصحابه وحده ونجوا كلهم وكانوا خمسين ألفاً. ويقال إن العباس لما قتل أبو سعيد أصحابه صبراً بين يديه وهو ينظر، وكان في جملة من أسر أقام عند أبي سعيد أياماً ثم أطلقه وحمله على رواحل وقال: ارجع إلى صاحبك وأخبره بما رأيت. وقد كانت هذه الواقعة في أواخر شعبان منها، فلما وقع هذا الأمر الفظيع انزعج الناس لذلك انزعاجاً عظيماً جداً؛ وهمَّ أهل البصرة بالخروج منها فمنعهم من ذلك نائبها أحمد الواثقي. وفيها أغارت الروم على بلاد طرسوس وكان نائبها ابن الإخشيد قد توفي في العام الماضي واستخلف على الثغر أبا ثابت، فطمعت الروم في تلك الناحية وحشدوا عساكرهم، فالتقى بهم أبو ثابت فلم يقدر على مقاومتهم، فقتلوا من أصحابه جماعة وأسروه فيمن أسروا، فاجتمع أهل الثغر على ابن الأعرابي فولّوه أمرهم. وذلك في ربيع الآخر. وفيها قتل:

محمد بن زيد العلوي

أمير طبرستان والديلم. وكان سبب ذلك أن إسماعيل الساماني لما ظفر بعمرو بن الليث ظن محمد أن إسماعيل لا يجاوز عمله، وأن خراسان قد خلت له، فارتحل من بلده يريد خراسان، وسبقه إسماعيل إليها، وكتب إليه أن الزم عملك ولا تتجاوزه إلى غيره فلم يقبل، فبعث إليه جيشاً مع محمد بن هارون الذي كان ينوب عن رافع بن هرثمة، فلما التقيا هرب منه محمد بن هارون خديعة، فسار الجيش وراءه في الطلب فكرَّ عليهم راجعاً فانهزموا منه فأخذ ما في معسكرهم وجرح محمد بن زيد جراحات شديدة فمات بسببها بعد أيام، وأسر ولده زيد فبعث به إلى إسماعيل بن أحمد فأكرمه وأمر له بجائزة. وقد كان محمد بن زيد هذا فاضلاً ديناً حسن السيرة فيما وليه من تلك البلاد، وكان فيه تشيع. فتقدم إليه يوماً خصمان اسم أحدهما معاوية واسم الآخر علي، فقال محمد بن زيد. إن الحكم بينكما ظاهر، فقال معاوية: أيها الأمير لا تغترن بنا، فإن أبي كان من كبار الشيعة، وإنما سماني معاوية مداراة لمن ببلدنا من أهل السنة. وهذا كان أبوه من كبار النواصب فسماه علياً تقاة لكم، فتبسم محمد بن زيد وأحسن إليهما.

قال ابن الأثير في كامله: وممن توفي فيها: إسحاق بن يعقوب بن عمر بن الخطاب العدوي ـ عدي ربيعة. وكان أميراً على ديار ربيعة بالجزيرة، فولِّي مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر. وعلي بن عبد العزيز البغوي صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام. ومهدي بن أحمد بن مهدي الأزدي الموصلي ـ وكان من الأعيان ـ وذكر هو وأبو الفرج بن الجوزي أن قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون امرأة المعتضد توفيت في هذه السنة.

قال ابن الجوزي: لسبع خلون من رجب منها، ودفنت داخل القصر بالرصافة. يعقوب بن يوسف بن أيوب أبو بكر المطوعي، سمع أحمد بن حنبل وعلي بن المديني، وعنه النجاد والخلدي، وكان ورده في كل يوم قراءة قل هو الله أحد واحد وثلاثين ألف مرة، أو واحد وأربعين ألف مرة. قلت: وممن توفي فيها أبو بكر بن أبي عاصم صاحب السنة والمصنفات وهو:

أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك

ابن النبيل، له مصنفات في الحديث كثيرة، منها كتاب السنة في أحاديث الصفات على طريق السلف، وكان حافظاً، قد ولي قضاء أصبهان بعد صالح بن أحمد، وقد طاف البلاد قبل ذلك في طلب الحديث، وصحب أبا تراب النخشبي وغيره من مشايخ الصوفية، وقد اتفق له مرة كرامة هائلة كان هو واثنان من كبار الصالحين في سفر فنزلوا يوماً على رمل أبيض، فجعل أبو بكر هذا يقبله بيده ويقول: اللهم ارزقنا خبيصاً[1] يكون غداء على لون

(١) الخبيص: حلواء تتخذ من تمر وسمن.

هذا الرمل. فلم يكن بأسرع من أن أقبل أعرابي وبيده قصعة فيها خبيص بلون ذلك الرمل وفي بياضه، فأكلوا منه. وكان يقول: لا أحب أن يحضر مجلسي مبتدع ولا مدّع ولا طعّان ولا لعّان ولا فاحش ولا بذيء، ولا منحرف عن الشافعي وأصحاب الحديث. توفي في هذه السنة بأصبهان. وقد رآه بعضهم بعد وفاته وهو يصلّي فلما انصرف قال: ما فعل بك؟ فقال: يؤنسني ربي عزّ وجلّ.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

اتفق في هذه السنة آفات ومصائب عديدة منها أن الروم قصدوا بلاد الرقة في جحافل عظيمة وعساكر من البحر والبر، فقتلوا خلقاً وأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً من الذرية. ومنها أن بلاد أذربيجان أصاب أهلها وباء شديد حتى لم يبق أحد يقدر على دفن الموتى. فتركوا حوالي الطرق لا يوارون[1]. ومنها أن بلاد أردبيل أصابها ريح شديدة من بعد العصر إلى ثلث الليل ثم زلزلوا زلزالاً شديداً، واستمر ذلك عليهم أياماً فتهدمت الدور والمساكن، وخسف بآخرين منهم، وكان جملة من مات تحت الهدم مائة ألف وخمسين ألفاً، فإنا لله وإنّا إليه راجعون. وفيها اقترب القرامطة من البصرة فخاف أهلها منهم خوفاً شديداً، وهموا بالرحيل منها فمنعهم واليها. وفيها توفي من الأعيان:

بشر بن موسى بن صالح أبو علي الأسدي

ولد سنة وتسعين ومائة، وسمع من روح بن عبادة حديثاً واحداً، وسمع الكثير من هودة بن خليفة والحسن بن موسى الأشيب وأبي نعيم وعلي بن الجعد والأصمعي وغيرهم، وعنه ابن المنادى وابن مخلد وابن صاعد والنجاد وأبو عمرو الزاهد والخلدي والسلمي وأبو بكر الشافعي وابن الصواف وغيرهم. وكان ثقة أميناً حافظاً، وكان من [أهل][2] البيوتات وكان الإمام أحمد يكرمه.

ومن شعره:

ضَعُفْتُ وَمَنْ جَازَ الثَّمَانِينَ يَضْعُفُ ... وَيُنْكَرُ مِنْهُ كُلُّ مَا كَانَ يُعْرَفُ

وَيَمْشِي رُوَيداً كَالأَسِيرِ مُقَيَّداً ... يُدَانِي خُطَاهُ فِي الحَدِيدِ وَيَرْسُفُ[3]

ثابت بن قرة بن هارون ويقال ابن زهرون بن ثابت بن كدام بن إبراهيم الصابىء الفيلسوف الحراني صاحب التصانيف، من جملتها أنه حرر كتاب إقليدس الذي عرّبه حنين بن إسحاق العبادي. وكان أصله صوفياً فترك ذلك واشتغل بعلم الأوائل، فنال منه رتبة سامية عند أهله، ثم صار إلى بغداد فعظم شأنه بها، وكان يدخل مع المنجمين على الخليفة

(١) يوارون: يدفنون.

(٢) سقط في ط.

(٣) يرسف: يمشي في قيوده ببطء.

وهو باق على دين الصابئة، وحفيده ثابت بن سنان له تاريخ أجاد فيه وأحسن، وكان بليغاً ماهراً حاذقاً بالغاً. وعمه إبراهيم بن ثابت بن قرة كان طبيباً بارعاً عارفاً أيضاً. وقد سردهم كلهم في هذه الترجمة القاضي ابن خلكان. **الحسن بن عمرو بن الجهم أبو الحسن الشيعي** ـ من شيعة المنصور لا من الروافض ـ حدث عن علي بن المديني، وحكى عن بشر الحافي. وعنه أبو عمرو بن السماك. عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد، كان حظياً عنده، وقد عزَّ عليه موته وتألم لفقده وأهمه من يجعله في مكانه بعده، فعقد لولده القاسم بن عبيد الله على الوزارة من بعد أبيه جبراً لمصابه به. **وأبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشار** المعروف بالأنماطي أحد كبار الشافعية. وقد ذكرناه في طبقاتهم. **وهارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى أبو موسى الهاشمي** إمام الناس في الحج عدة سنين متوالية، وقد سمع وحدث وتوفي بمصر في رمضان من هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

فيها عاثت القرامطة بسواد الكوفة فظفر بعض العمال بطائفة منهم فبعث برئيسهم إلى المعتضد وكان يقال له أبو الفوارس، فنال من العباس بين يدي الخليفة فأمر به فقلعت أضراسه وخلعت يداه ثم قطعتا مع رجليه، ثم قتل وصلب ببغداد [وشهر أمره][1]. وفيها قصدت القرامطة دمشق في حفل عظيم فقاتلهم نائبها طغج بن جف من جهة هارون بن خمارويه، فهزموه مرات متعددة، وتفاقم الحال بهم، وكان ذلك بسفارة يحيى بن زكرويه بن بهرويه الذي ادعى عند القرامطة أنه محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد كذب في ذلك، وزعم لهم أنه قد اتبعه على أمره مائة ألف، وأن ناقته مأمورة حيث ما توجهت به نصر على أهل تلك الجهة. فراج ذلك عندهم ولقبوه الشيخ، واتبعه طائفة من بني الأصبغ، وسموا بالفاطميين. وقد بعث إليهم الخليفة جيشاً كثيفاً فهزموه، ثم اجتازوا بالرصافة فأحرقوا جامعها، ولم يجتازوا بقرية إلا نهبوها ولم يزل ذلك دأبهم حتى وصلوا إلى دمشق فقاتلهم نائبها فهزموه مرات وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً، وانتهبوا من أموالها شيئاً كثيراً. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذه الحالة الشديدة اتفق موت الخليفة **المعتضد** بالله في ربيع الأول منها.

الخليفة المعتضد

هو أحمد ابن الأمير أبي أحمد الموفق الملقب بناصر دين الله، واسم أبي أحمد محمد، وقيل طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس المعتضد بالله. ولد في سنة اثنتين وقيل ثلاث وأربعين ومائتين، وأمه أم ولد. وكان أسمر نحيف الجسم معتدل القامة، قد وخطه الشيب[2]، في مقدم لحيته طول، وفي رأسه

---

(١) سقط في ط.

(٢) وخطه الشيب: خالط شعره.

شامة بيضاء. بويع له بالخلافة صبيحة يوم الاثنين إحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين، واستوزر عبد الله بن وهب بن سليمان، وولّى القضاء إسماعيل بن إسحاق، ويوسف بن يعقوب، وابن أبي الشوارب. وكان أمر الخلافة قد ضعف في أيام عمه المعتمد، فلما ولي المعتضد أقام شعارها ورفع منارها، [وشيد دعائما][1] وكان شجاعاً فاضلاً من رجالات قريش حزماً وجرأة وإقداماً وحزمة. وكذلك كان أبوه، وقد أورد ابن الجوزي بإسناده أن المعتضد اجتاز في بعض أسفاره بقرية فيها مقثأة[2] فوقف صاحبها صائحاً مستصرخاً بالخليفة، فاستدعى به فسأله عن أمره فقال: إن بعض الجيش أخذوا لي شيئاً من القثاء وهم من غلمانك. فقال: أتعرفهم؟ فقال نعم. فعرضهم عليه فعرف منهم ثلاثة فأمر الخليفة بتقييدهم وحبسهم، فلما كان الصباح نظر الناس ثلاثة أنفس مصلوبين على جادة الطريق[3]، فاستعظم الناس ذلك واستنكروه وعابوا ذلك على الخليفة وقالوا: قتل ثلاثة بسبب قثاء أخذوه؟ فلما كان بعد قليل أمر الخواص ـ وهو مسامره ـ أن ينكر عليه ذلك ويتلطف في مخاطبته في ذلك والأمراء حضور، فدخل عليه ذات ليلة وقد عزم على ذلك ففهم الخليفة ما في نفسه من كلام يريد أن يبديه، فقال له: إني أعرف أن في نفسك كلاماً فما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين وأنا آمن؟ قال: نعم. قلت له: فإن الناس ينكرون عليك تسرعك في سفك الدماء. فقال. والله ما سفكت دماً حراماً منذ وليت الخلافة إلا بحقه. فقلت له: فعلام قتلت أحمد بن الطيب وقد كان خادمك ولم يظهر له خيانة؟ فقال: ويحك إنه دعاني إلى الإلحاد والكفر بالله فيما بيني وبينه، فلما دعاني إلى ذلك قلت له: يا هذا أنا ابن عم صاحب الشريعة، وأنا منتصب في منصبه فأكفر حتى أكون من غير قبيلته فقتلته على الكفر والزندقة. فقلت له: فما بال الثلاثة الذين قتلتهم على القثاء؟ فقال: والله ما كان هؤلاء الذين أخذوا القثاء، وإنما كانوا لصوصاً قد قتلوا وأخذوا المال فوجب قتلهم، فبعثت فجئت بهم من السجن فقتلتهم وأريت الناس أنهم الذين أخذوا القثاء، وأردت بذلك أن أرهب الجيش لئلا يفسدوا في الأرض ويتعدوا على الناس ويكفوا عن الأذى. ثم أمر بإخراج أولئك الذين أخذوا القثاء فأطلقهم بعدما استتابهم وخلع عليهم وردهم إلى أرزاقهم. قال ابن الجوزي: خرج المعتضد يوماً فعسكر بباب الشماسية ونهى أن يأخذ أحد من بستان أحد شيئاً، فأتى بأسود قد أخذ عذقاً من بسر[4] فتأمله طويلاً ثم أمر بضرب عنقه، ثم التفت إلى الأمراء فقال: العامة ينكرون هذا ويقولون إن رسول الله ﷺ قال: «لا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلا كثرٍ». ولم يكفه أن يقطع يده حتى قتله، وإني لم أقتل هذا على سرقته، وإنما هذا الأسود رجل من الزنج كان قد استأمن في حياة أبي، وإنه تقاول هو ورجل من المسلمين فضرب

---

(١) سقط في ط.

(٢) مقثأة: أرض مزروعة قثاء.

(٣) جادة الطريق: وسطه.

(٤) عذقاً من بسر: العذق: عنقود النخل، والبسر ثم النخل الذي لوّن ولم ينضج.

المسلم فقطع يده فمات المسلم، فأهدر أبي دم الرجل المقتول تأليفاً للزنج، فآليت على نفسي لئن أنا قدرت عليه لأقتلنه، فما قدرت عليه إلا هذه الساعة فقتلته بذلك الرجل.

وقال أبو بكر الخطيب: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب حدثنا محمد بن نعيم الضبي سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول سمعت أبا العباس بن سريج يقول سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضي يقول: دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث روم صباح الوجوه، فنظرت إليهم فرآني المعتضد وأنا أتأملهم، فلما أردت القيام أشار إلي فجلست ساعة فلما خلا قال لي: أيها القاضي والله ما حللت سراويلي على حرام قط. وروى البيهقي عن الحاكم عن حسان بن محمد ابن سريج القاضي إسماعيل بن إسحاق قال: دخلت يوماً على المعتضد فدفع إليّ كتاباً فقرأته فإذا فيه الرخص من زلل العلماء قد جمعها له بعض الناس ـ فقلت: يا أمير المؤمنين إنما جمع هذا زنديق. فقال: كيف؟ فقلت: إن من أباح المتعة لم يبح الغناء، ومن أباح الغناء لم يبح إضافته إلى آلات اللهو، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه. فأمر بتحريق ذلك الكتاب. وروى الخطيب بسنده عن صافي الجرمي الخادم قال: انتهى المعتضد وأنا بين يديه إلى منزل شعث وابنه المقتدر جعفر جالس فيه وحوله نحو من عشر من الوصائف، والصبيان من أصحابه في سنه عنده، وبين يديه طبق من فضة فيه عنقود عنب، وكان العنب إذ ذاك عزيزاً، وهو يأكل عنبة واحدة ثم يفرق على أصحابه من الصبيان كل واحد عنبة، فتركه المعتضد وجلس ناحية في بيت مهموماً. فقلت له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ويحك والله لولا النار والعار لأقتلن هذا الغلام، فإن في قتله صلاحاً للأمة. فقلت: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك. فقال: ويحك يا صافي هذا الغلام في غاية السخاء لما أراه يفعل مع الصبيان، فإن طباع الصبيان تأبى الكرم، وهذا في غاية الكرم، وإن الناس من بعدي لا يولون عليهم إلا من هو من ولدي، فسيلي عليهم المكتفي ثم لا تطول أيامه لعلته التي به ـ وهي داء الخنازير ـ ثم يموت فيلي الناس جعفر هذا الغلام، فيذهب جميع أموال بيت المال إلى الحظايا لشغفه بهن، وقرب عهده من تشبيه بهن، فتضيع أمور المسلمين وتعطل الثغور وتكثر الفتن والهرج والخوارج والشرور. قال صافي: والله لقد شاهدت ما قاله سواء بسواء.

وروى ابن الجوزي عن بعض خدم المعتضد قال: كان المعتضد يوماً نائماً وقت القائلة[1]، ونحن حول سريره فاستيقظ مذعوراً ثم صرخ بنا فجئنا إليه فقال: ويحكم اذهبوا إلى دجلة فأول سفينة تجدوها فارغة منحدرة فأتوني بملاحها واحتفظوا بالسفينة. فذهبنا سراعاً فوجدنا ملاحاً في سميرية[2] فارغة منحدراً فأتينا به الخليفة فلما رأى الملاح الخليفة كاد أن يتلف، فصاح به الخليفة صيحة عظيمة فكادت روح الملاح تخرج فقال له الخليفة:

(١) وقت القائلة: وقت الظهيرة واشتداد حرارة الشمس، ونوم الناس في النهار.

(٢) السميرية: سفينة صغيرة.

ويحك يا ملعون، أصدقني عن قصتك مع المرأة التي قتلتها اليوم وإلا ضربت عنقك قال فتلعثم ثم قال: نعم يا أمير المؤمنين كنت اليوم سحراً في مشرعتي الفلانية، فنزلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجوهر، فطمعت فيها واحتلت عليها فشددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها من الحلي والقماش، وخشيت أن أرجع به إلى منزلي فيشتهر خبرها، فأردت الذهاب به إلى واسط فلقيني هؤلاء الخدم فأخذوني. فقال: وأين حليها؟ فقال: في صدر السفينة تحت البواري[1]. فأمر الخليفة عند ذلك بإحضار الحلي فجيء به فإذا هو حلي كثير يساوي أموالاً كثيرة، فأمر الخليفة بتغريق الملاح في المكان الذي غرق فيه المرأة، وأمر أن ينادى على أهل المرأة ليحضروا حتى يتسلموا مال المرأة. فنادى بذلك ثلاثة أيام في أسواق بغداد وأزقتها فحضروا بعد ثلاثة أيام فدفع إليهم ما كان من الحلي وغيره مما كان للمرأة، ولم يذهب منه شيء. فقال له خدمه: يا أمير المؤمنين من أين علمت هذا؟ قال: رأيت في نومي تلك الساعة شيخاً أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي: يا أحمد يا أحمد، خذ أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن خبر المرأة التي قتلها اليوم وسلبها، فأقم عليه الحد. وكان ما شاهدتم.

وقال جعيف السمرقندي الحاجب: كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيداته وقد انقطع عن العسكر وليس معه غيري، إذ خرج علينا أسد فقصد قصدنا فقال لي المعتضد: يا جعيف أفيك خير اليوم؟ قلت: لا والله. قال: ولا أن تمسك فرسي وأنزل أنا؟ فقلت: بلى. قال: فنزل عن فرسه وغرز أطراف ثيابه في منطقته واستل سيفه ورمى بقرابه إليّ ثم تقدم إلى الأسد فوثب الأسد عليه فضربه بالسيف فأطار يده فاشتغل الأسد بيده فضربه ثانية على هامته ففلقها، فخر الأسد صريعاً فدنا منه فمسح سيفه في صوفه ثم أقبل إليّ فأغمد سيفه في قرابه، ثم ركب فرسه ثم عدنا إلى العسكر. قال وصحبته إلى أن مات فما سمعته ذكر ذلك لأحد، فما أدري من أي شيء أعجب؟ من شجاعته أم من عدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لأحد؟ أم من عدم عتبه عليّ حيث ضننت بنفسي عنه؟ والله ما عاتبني في ذلك قط.

وروى [الحافظ][2] ابن عساكر عن أبي الحسين النوري أنه اجتاز بزورق فيه خمر مع ملاح، فقال: ما هذا ولمن هذا؟ فقال له: هذه خمر للمعتضد. فصعد أبو الحسين إليها فجعل يضرب الدنان بعمود في يده حتى كسرها كلها إلا دناً واحداً تركه، واستغاث الملاح فجاءت الشرطة فأخذوا أبا الحسين فأوقفوه بين يدي المعتضد فقال له: ما أنت؟ فقال أنا المحتسب. فقال: ومن ولاك الحسبة؟ فقال: الذي ولاّك الخلافة يا أمير المؤمنين. فأطرق رأسه ثم رفعها فقال: ما الذي حملك على ما فعلت؟ فقال: شفقة عليك لدفع الضرر عنك. فأطرق رأسه ثم رفعه فقال: ولأي شيء تركت منها دناً واحداً لم تكسره؟ فقال: لأني إنما أقدمت عليها فكسرتها إجلالاً لله تعالى، فلم أبال أحداً حتى انتهيت إلى هذا الدن دخل

(١) البواري: الحصائر المنسوجة من القصب. (٢) سقط في ط.

نفسي إعجاب من قبيل أني قد أقدمت على مثلك فتركته، فقال له المعتضد: اذهب فقد أطلقت يدك فغيّر ما أحببت أن تغيره من المنكر. فقال له النوري: الآن انتقض[١] عزمي عن التغير، فقال: ولـمَ؟ فقال: لأني كنت أغير عن الله، وأنا الآن أغير عن شرطي. فقال: سل حاجتك. فقال: أحب أن تخرجني من بين يديك سالماً. فأمر به فأخرج فصار إلى البصرة، فأقام بها مختفياً خشية أن يشق عليه أحد في حاجته عند المعتضد. فلما توفي المعتضد رجع إلى بغداد.

وذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي عن شيخ من التجار قال: كان لي على بعض الأمراء مال كثير فماطلني ومنعني حقي، وجعل كلما جئت أطالبه حجبني عنه ويأمر غلمانه يؤذونني، فاشتكيت عليه إلى الوزير فلم يفد ذلك شيئاً، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئاً، وما زاده ذلك إلا منعاً وجحوداً، فأيست من المال الذي عليه ودخلني هم من جهته، فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكي، إذ قال لي رجل: ألا تأتي فلاناً الخياط ـ إمام مسجد هناك ـ فقلت وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم. وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه؟ فقال لي: هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه، فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجاً. قال فقصدته غير محتفل في أمره، فذكرت له حاجتي ومالي وما لقيت من هذا الظالم، فقام معي فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر، غير أنه قال له: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت. فتغير لون الأمير ودفع إليّ حقي.

وقال التاجر: فعجبت من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعف بنيته كيف انطاع[٢] ذلك الأمير له، ثم إني عرضت عليه شيئاً من المال فلم يقبل مني شيئاً، وقال: لو أردت هذا لكان لي من الأموال ما لا يحصى. فسألته عن خبره وذكرت له تعجبي منه وألححت عليه فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعالي الدولة، وهو شاب حسن، فمر به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريدها على نفسها ليدخلها منزله، وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها: يا مسلمين أنا امرأة ذات زوج، وهذا رجل يريدني على نفسي ويدخلني منزله، وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت فيْ غير منزله، ومتى بت ها هنا طلقت منه ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا تغسله المدامع. قال الخياط: فقمت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده فشج رأسي، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهراً، فرجعت أنا فغسلت الدم عني وعصبت رأسي وصليت بالناس العشاء ثم قلت للجماعة: إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا معي إليه لننكر عليه ونخلّص المرأة منه، فقام الناس معي فهجمنا عليه فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيديهم

(١) انتقض: تغير وضعف.
(٢) انطاع: انصاع واستمع.

العصي والدبابيس يضربون الناس، وقصدني هو من بينهم فضربني ضرباً شديداً مبرحاً حتى أدماني، وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الإهانة، فرجعت إلى منزلي وأنا لا أهتدي إلى الطريق، من شدة الوجع وكثرة الدماء، فنمت على فراشي فلم يأخذني نوم، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل لترجع فتبيت في منزلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق، فألهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى منزل زوجها، فصعدت المنارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان هل أرى المرأة قد خرجت ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح، فبينا أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا، إذ امتلأت الطريق فرساناً، ورجالة وهم يقولون: أين الذي أذن هذه الساعة؟ فقلت: ها أنا ذا، وأنا أريد أن يعينوني عليه، فقالوا: انزل، فنزلت فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فأخذوني وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئاً، حتى أدخلوني عليه، فلما رأيته جالساً في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعاً شديداً، فقال: ادن، فدنوت فقال لي: ليسكن روعك وليهدأ قلبك. وما زال يلاطفني حتى اطمأننت وذهب خوفي، فقال: أنت الذي أذنت هذه الساعة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة، وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه؟ فتغرّ[1] بذلك الصائم والمسافر والمصلي وغيرهم. فقلت: يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري؟ فقال: أنت آمن. فذكرت له القصة. قال: فغضب غضباً شديداً وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا فأحضرا سريعاً فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات ومعهن ثقة من جهته أيضاً، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة ومعذورة. ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال له: كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجواري والزوجات؟ فذكر له شيئاً كثيراً. فقال له: ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتعديت حدوده وتجرأت على السلطان، وما كفاك ذلك أيضاً حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته وأدميته؟ فلم يكن له جواب. فأمر به فجعل في رجله قيداً وفي عنقه غل ثم أمر به فأدخل في جوالق[2] ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضرباً شديداً حتى خفت، ثم أمر به فألقي في دجلة فكان ذلك آخر العهد به. ثم أمر بدراً صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال، ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكراً صغيراً كان أو كبيراً ولو على هذا ـ وأشار إلى صاحب الشرطة ـ فأعلمني، فإن اتفق اجتماعك بي وإلا فعلى ما بيني وبينك الأذان، فأذن في أي وقت كان أو في مثل وقتك هذا. قال: فلهذا لا آمر أحداً من هؤلاء الدولة بشيء إلا امتثلوه، ولا أنهاهم عن شيء إلا تركوه خوفاً من المعتضد. وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن.

---

(١) غرّ: أوهم بالباطل.

(٢) الجوالق: كيس كبير من شعر أو صوف.

وذكر الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب قال: كنت يوماً عند المعتضد وخادم واقف على رأسه يذبّ عنه بمذبة[1] في يده إذ حركتها فجاءت في قلنسوة الخليفة فسقطت عن رأسه، فأعظمت أنا ذلك جداً وخفت من هول ما وقع، ولم يكترث الخليفة لذلك، بل أخذ قلنسوته فوضعها على رأسه ثم قال لبعض الخدم: مر هذا البائس ليذهب لراحته فإنه قد نعس، وزيدوا في عدة من يذب بالنوبة. قال الوزير: فأخذنا في الثناء على الخليفة والشكر له على حلمه، فقال: إن هذا البائس لم يتعمد ما وقع منه وإنما نعس، وليس العتاب والمعاتبة إلا على المتعمد لا على المخطىء والساهي. وقال جعيف السمرقندي الحاجب: لما جاء الخبر إلى المعتضد بموت وزيره عبيد الله بن سليمان خر ساجداً طويلاً، فقيل له: يا أمير المؤمنين: لقد كان عبيد الله يخدمك وينصح لك. فقال: إنما سجدت شكراً لله أني لم أعزله ولم أوذه [ثم استشار الحاضرين فيمن يستوزره من بعده وذكر هو رجلين أحدهما جرادة][2]. وقد كان ابن سليمان حازم الرأي قوياً، وأراد أن يولي مكانه أحمد بن محمد بن الفرات فعدل به بدر صاحب الشرطة عنه وأشار عليه بالقاسم بن عبيد الله فسفّه رأيه فألح عليه فولاه وبعث إليه يعزيه في أبيه ويهنيه بالوزارة، فما لبث القاسم بن عبيد الله حتى ولي المكتفي الخلافة من بعد أبيه المعتضد وحتى قتل بدراً. وكان المعتضد ينظر إلى ما بينهما من العداوة من وراء ستر رقيق، وهذه فراسة عظيمة وتوسم قوي. وقد رفع يوماً إلى المعتضد أن قوماً يجتمعون على المعصية فاستشار وزيره في أمرهم فقال: ينبغي أن يصلب بعضهم ويحرق بعضهم. فقال: ويحك لقد بردت لهب غضبي عليهم بقسوتك، أما علمت أن الرعية وديعة الله عند سلطانها، وأنه سائله عنها؟ ولم يقابلهم بما قال الوزير فيهم ولهذه النية لما ولي الخلافة كان بيت المال صفراً من المال وكانت الأحوال فاسدة، والعرب تعيث في الأرض فساداً في كل جهة، فلم يزل برأيه وتسديده حتى كثرت الأموال وصلحت الأحوال في سائر الأقاليم والآفاق. ومن شعره في جارية له توفيت فوجد[3] عليها: وجداً عظيماً:

يَا حَبِيباً لَمْ يَكُنْ يَعْـ ... ـدِلُهُ عِنْدِي حَبِيبُ
أَنْتَ عَنْ عَيْنِي بَعِيدٌ ... وَمِنَ القَلْبِ قَرِيبُ
لَيْسَ لِي بَعْدَكَ فِي شَيْءٍ ... مِنَ اللَّهْوِ نَصِيبُ
لَكَ مِنْ قَلْبِي عَلَى قَلْبِي ... وَإِنْ غِبْتَ رَقِيبُ
وَحَيَاتِي مِنْكَ مُذْ غِبْـ ... ـتَ حَيَاةٌ لا تَطِيبُ
لَوْ تَرَانِي كَيْفَ لِي بَعْـ ... ـدَكَ عَوْلٌ وَنَحِيبُ

(١) المذبّة: المروحة التي يدفع بها الذباب عن الوجه.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٣) وجد: حزن.

وَفُــــؤادِي حَــــشْــــوُهُ مِــــنْ خُــــرَقِ الــحُــــزْنِ لَــــهِــــيــــبُ
مَــا أَرَى نَــفْــسِــي وَإِنْ طَــيَّــ ـبْــتَــهَــا عَــنْــكَ تَــطِــيــبُ
لَــيْــسَ دَمْــعٌ لِــيَ يَــعْــصِــيــ ـنِــي وَصَــبْــرٌ مَــا يُــجِــيــبُ

وقال فيها:

لَــمْ أَبْــكِ لِــلــدَّارِ وَلٰــكِــنْ لِــمَــنْ قَــدْ كَــانَ فِــيــهَــا مَــرَّةً سَــاكِــنَــا
فَــخَــانَــنِــي الــدَّهْــرُ بِــفِــقْــدَانِــهِ وَكُــنْــتُ مِــنْ قَــبْــلُ لَــهُ آمِــنَــا
وَدَّعْــتُ صَــبْــرِيَ عَــنْــهُ تَــوْدِيــعَــةً وَبَــانَ قَــلْــبِــي مَــعَــهُ ظَــاعِــنَــا

وكتب إليه ابن المعتز يعزّيه ويسلّيه عن مصيبته فيها:

يَــا إِمَــامَ الــهُــدَى حَــيَــاتُــكَ طَــا لَــتْ وَعِــشْــتَ أَنْــتَ سَــلِــيــمَــا
أَنْــتَ عَــلَّــمْــتَــنَــا عَــلَــى الــنِّــعَــمِ الــشُّــكْــ ـرَ وَعِــنْــدَ الــمَــصَــائِــبِ الــتَّــسْــلِــيــمَــا
فَــتَــسَــلَّــى عَــنْ مَــا مَــضَــى وَكَــأَنَّ الَّــتِــي كَــانَــتْ سُــرُوراً صَــارَتْ ثَــوَاباً عَــظِــيــمَــا
قَــدْ رَضِــيــنَــا بِــأَنْ نَــمُــوتَ وَتَــحْــيَــى إِنَّ عِــنْــدِي فِــي ذَاكَ حَــظّــاً جَــسِــيــمَــا
مَــنْ يَــمُــتْ طَــائِــعــاً لِــمَــوْلاهُ فَــقَــدْ أُعْــطِــيَ فَــوْزاً وَمَــاتَ مَــوْتــاً كَــرِيــمَــا[٢]

وقد رثى أبو العباس عبد الله بن المعتز العباسي بن عمر المعتضد بمرثاة حسنة يقول فيها:

يَــا دَهْــرُ وَيْــحَــكَ مَــا أَبْــقَــيْــتَ لِــي أَحَــداً وَأَنْــتَ وَالِــدُ سُــوءٍ تَــأْكُــلُ الــوَلَــدَا
أَسْــتَــغْــفِــرُ الله بَــلْ ذَا كُــلُّــهُ قَــدَرٌ رَضِــيــتُ بِــالله رَبّــاً وَاحِــداً صَــمَــدَا
يَــا سَــاكِــنَ الــقَــبْــرِ فِــي غَــبْــرَاءَ مُــظْــلِــمَــةٍ بِــالــظَّــاهِــرِيَّــةِ مُــقْــصَــى الــدَّارِ مُــنْــفَــرِدَا
أَيْــنَ الــجُــيُــوشُ الَّــتِــي قَــدْ كُــنْــتَ تَــشْــحَــنُــهَــا أَيْــنَ الــكُــنُــوزُ الَّــتِــي لَــمْ تُــحْــصِــهَــا عَــدَدا
أَيْــنَ الــسَّــرِيــرُ الَّــذِي قَــدْ كُــنْــتَ تَــمْــلَــؤُهُ مَــهَــابَــةً مَــنْ رَأَتْــهُ عَــيْــنُــهُ ارْتَــعَــدَا
أَيْــنَ الــقُــصُــورُ الَّــتِــي شَــيَّــدْتَــهَــا فَــعَــلَــتْ وَلاحَ فِــيــهَــا سَــنَــا الإِبْــرِيــزِ فَــاتَّــقَــدَا
قَــدْ أَتْــعَــبُــوا كُــلَّ مِــرْقَــالٍ مُــذَكَّــرَةٍ وَجْــنَــاءَ تَــنْــثُــرُ مِــنْ أَشْــدَاقِــهَــا الــزَّبَــدَا
أَيْــنَ الأَعَــادِي الأُلَــى ذَلَّــلْــتَ صَــعْــبُــهُــمُ أَيْــنَ الــلُّــيُــوثُ الَّــتِــي صَــيَّــرْتَــهَــا نَــقَــدَا
أَيْــنَ الــوُفُــودُ عَــلَــى الأَبْــوَابِ عَــاكِــفَــةً وِرْدَ الــقَــطَــا صِــفْــرَ مَــا جَــالَ وَاطَّــرَدَا
أَيْــنَ الــرِّجَــالُ قِــيَــامــاً فِــي مَــرَاتِــبِــهِــمْ مَــنْ رَاحَ مِــنْــهُــمْ وَلَــمْ يــطــمرْ فَــقَــدْ سَــعِــدَا

(١) بان: بعد. وظاعناً: راحلاً.

(٢) كذا بالأصول، ولم نجد هذه القصيدة في ديوان المذكور.

(٣) نقداً: مهزولة، ضعيفة.

أَيْنَ الجِيَادُ الَّتِي حَجَّلْتَهَا بِدَمٍ وَكُنَّ يَحْمِلْنَ مِنْكَ الضَّيْغَمَ الأَسَدَا[1]
أَيْنَ الرِّمَاحُ الَّتِي غَذَّيْتَهَا مُهَجاً مُذْ مِتَّ مَا وَرَدَتْ قَلْباً وَلا كَبِدَا
أَيْنَ السُّيُوفُ وَأَيْنَ النَّبْلُ مُرْسَلَةً يُصِبْنَ مَنْ شِئْتَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ بَعُدَا
أَيْنَ المَجَانِيقُ أَمْثَالُ السُّيُولِ إِذَا رَمَيْنَ حَائِطَ حِصْنٍ قَائِمٍ قَعَدَا
أَيْنَ الفِعَالُ الَّتِي قَدْ كُنْتَ تُبْدِعُهَا وَلا تَرَى أَنَّ عَفْواً نَافِعاً أَبَدَا
أَيْنَ الجِنَانُ الَّتِي تَجْرِي جَدَاوِلُهَا وَتَسْتَجِيبُ إِلَيْهَا الطَّائِرَ الغَرِدَا
أَيْنَ الوَصَائِفُ كَالغِزْلانِ رَائِحَةً يَسْحَبْنَ مِنْ حُلَلٍ مَوْشِيَّةٍ جُدُدَا
أَيْنَ المَلاهِي وَأَيْنَ الرَّاحُ تَحْسَبُهَا يَاقُوتَةً كُسِيَتْ مِنْ فِضَّةٍ زَرَدَا
أَيْنَ الوُثُوبُ إِلى الأَعْدَاءِ مُبْتَغِياً صَلاحَ مُلْكِ بَنِي العَبَّاسِ إِذْ فَسَدَا
مَا زِلْتَ تَقْسِرُ مِنْهُمْ كُلَّ قَسْوَرَةٍ وَتَحْطِمُ العَاتِيَ الجَبَّارَ مُعْتَمِدَا
ثُمَّ انْقَضَيْتَ فَلا عَيْنٌ وَلا أَثَرٌ حَتَّى كَأَنَّكَ يَوْماً لَمْ تَكُنْ أَحَداً
لا شَيْءَ يَبْقَى سِوَى خَيْرٍ تُقَدِّمُهُ مَا دَامَ مُلْكٌ لإِنْسَانٍ وَلا خَلَدَا

ذكرها ابن عساكر في تاريخه. واجتمع ليلة عند المعتضد ندماؤه فلما انقضى السمر وصار إلى حظاياه ونام القوم السمار نبههم من نومهم خادم وقال: يقول لكم أمير المؤمنين إنه أصابه أرق بعدكم، وقد عمل بيتاً أعياه ثانيه فمن عمل ثانيه فله جائزة وهو هذا البيت:

وَلَمَّا انْتَبَهْنَا لِلْخَيَالِ الَّذِي سَرَى إِذِ الدَّارُ قَفْرٌ وَالمَزَارُ بَعِيدُ

قال: فجلس القوم من فرشهم يفكرون في ثانيه فبدر واحد منهم فقال:

فَقُلْتُ لِعَيْنِي عَاوِدِي النَّوْمَ وَاهْجَعِي لَعَلَّ خَيَالاً طَارِقاً سَيَعُودُ

قال: فلما رجع الخادم به إلى المعتضد وقع منه موقعاً جيداً وأمر له بجائزة سنية، واستعظم المعتضد يوماً من بعض الشعراء قول الحسن بن منير المازني البصري:

لَهْفِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمَ فَامْتَنَعَا وَزَادَ قَلْبِي عَلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعَا
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ مِنْ أَعْطَافِهِ[2] طَلَعَتْ حُسْناً أَوِ البَدْرُ مِنْ أَرْدَانِهِ[3] لَمَعَا[4]
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ مِنَ القُلُوبِ وَجِيهاً أَيْنَ مَا شَفَعَا

ولما كان في ربيع الأول من هذه السنة اشتد وجع المعتضد فاجتمع رؤوس الأمراء مثل يونس الخادم وغيره إلى الوزير القاسم بن عبيد الله فأشاروا بأن يجتمع الناس لتجديد

---

(١) حَجّلْهَا: خضب قوائمها بالدم. والتحجيل: بياض في قوائم الفرس.
(٢) الأعطاف: الجنبات.
(٣) الأردان: الأكمام.
(٤) في ط: من أزراره لمعاً.

البيعة للمكتفي بالله بن المعتضد بالله، ففعل ذلك وتأكدت البيعة وكان في ذلك خير كثير. وحين حضرت المعتضد الوفاة أنشد لنفسه:

تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ لا تَبْقَى ... وَخُذْ صَفْوَهَا مَا إِنْ صَفَتْ وَدَعِ الرَّنْقَا[1]
وَلا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي ائْتَمَنْتُهُ ... فَلَمْ يُبْقِ لي حَالاً وَلَمْ يَرْعَ لِي حَقَّا
قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ فَلَمْ أَدَعْ ... عَدُوّاً وَلَمْ أُمْهِلْ عَلَى خُلُقٍ خَلْقَا
وَأَخْلَيْتُ دَارَ المُلْكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ ... فَشَرَّدْتُهُمْ غَرْباً وَمَزَّقْتُهُمْ شَرْقَا
فَلَمَّا بَلَغْتُ النَّجْمَ عِزّاً وَرِفْعَةً ... وَصَارَتْ رِقَابُ الخَلْقِ لي أَجْمَعَ رِقَّا
رَمَانِي الرَّدَى سَهْماً فَأَخْمَدَ جَمْرَتِي ... فَهَا أَنَا ذا في حُفْرَتِي عَاجِلاً أُلْقَى
وَلَمْ يُغْنِ عَنِّي مَا جَمَعْتُ وَلَمْ أَجِدْ ... لَدَى مَلِكٍ إلاّ حَبَانِي حُبُّهَا رِفْقَا
وَأَفْسَدْتُ دُنْيَايَ وَدِينِي سَفَاهَةً ... فَمَنْ ذا الَّذِي مِثْلِي بِمَصْرَعِهِ أَشْقَى
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ موتي هل أصِرْ ... إِلَى رحمةِ الله أَمْ فِي نَارِهِ أُلْقَى

وكانت وفاته ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الأول من هذه السنة. ولم يبلغ الخمسين. وكان خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً. وخلف من الأولاد الذكور: علياً المكتفي، وجعفر المقتدر، وهارون. ومن البنات إحدى عشرة بنتاً. ويقال سبع عشرة بنتاً. وترك في بيت المال سبعة عشر ألف ألف دينار. وكان يمسك عن صرف الأموال في غير وجهها، فلهذا كان بعض الناس يبخّله، ومن الناس من يجعله من الخلفاء الراشدين المذكورين في الحديث، حديث جابر بن سمرة فالله أعلم.

خلافة المكتفي بالله أبي محمد

علي بن المعتضد بالله أمير المؤمنين، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه في ربيع الأول من هذه السنة، وليس في الخلفاء من اسمه علي سوى هذا وعلي بن أبي طالب: وليس فيهم من يكنى بأبي محمد إلا هو والحسن بن علي بن أبي طالب والهادي، والمستضيء بالله. وحين ولي المكتفي كثرت الفتن وانتشرت في البلاد. وفي رجب منها زلزلت الأرض زلزلة عظيمة جداً، وفي رمضان منها تساقط وقت السحر من السماء نجوم كثيرة ولم يزل الأمر كذلك حتى طلعت الشمس. ولما أفضت الخلافة إليه كان بالرقة، فكتب إليه الوزير وأعيان الأمراء فركب فدخل بغداد في يوم مشهود، وذلك يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الأولى منها[2]. وفي هذا اليوم أمر بقتل عمرو بن الليث الصفار ـ وكان معتقلاً في سجن أبيه ـ وأمر بتخريب المطامير التي كان اتخذها أبوه للمسجونين وأمر ببناء جامع مكانها

---

(١) الرنق: الكدر.

(٢) في ط: من هذه السنة.

وخلع في هذا اليوم على الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان ست خلع وقلّده سيفاً، وكان عمره يوم ولّي الخلافة خمساً وعشرين سنة وبعض أشهر.

وفيها انتشرت القرامطة في الآفاق وقطعوا الطريق على الحجيج، وتسمّى بعضهم بأمير المؤمنين. فبعث المكتفي إليهم جيشاً كثيراً وأنفق فيهم أموالاً جزيلة، فأطفأ الله بعض شرهم. وفيها خرج محمد بن هارون عن طاعة إسماعيل بن أحمد الساماني، وكاتب أهل الري بعد قتله محمد بن زيد الطالبي، فصار إليهم فسلموا إليه البلد فاستحوذ عليها، فقصده إسماعيل بن أحمد الساماني بالجيوش فقهره وأخرجه منها مذموماً مدحوراً.

قال ابن الجوزي في المنتظم: وفي يوم التاسع من ذي الحجة منها صلّى الناس العصر في زمن الصيف وعليهم ثياب الصيف، فهبت ريح باردة جداً حتى احتاج الناس إلى الاصطلاء بالنار، ولبسوا الفراء والمحشوات وجمد الماء كفصل الشتاء.

قال ابن الأثير: ووقع بمدينة حمص مثل ذلك، وهب ريح عاصفة بالبصرة فاقتلعت شيئاً كثيراً من نخيلها، وخسف بموضع فيها فمات تحته سبعة آلاف نسمة.

قال ابن الجوزي وابن الأثير: وزلزلت بغداد في رجب منها مرات متعددة ثم سكنت. وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك.

وفيها توفي من الأعيان: **إبراهيم بن محمد بن إبراهيم** أحد الصوفية الكبار.

قال ابن الأثير: وهو من أقران السري السقطي. قال: لأن ترد إلى الله ذرة من همك خير لك مما طلعت عليه الشمس. **أحمد بن محمد المعتضد بالله** غلب عليه سوء المزاج والجفاف من كثرة الجماع، وكان الأطباء يصفون له ما يرطب بدنه به فيستعمل ضد ذلك حتى سقطت قوته [وقد ذكرنا كيفيته من ترجمته آنفاً](١).

بدر غلام المعتضد رأس الجيش

كان القاسم [بن عبيد الله](٢) الوزير قد عزم على أن يصرف الخلافة عن أولاد المعتضد وفاوض بذلك بدراً هذا فامتنع عليه وأبى فلما ولي المكتفي بن المعتضد خاف الوزير غائلة ذلك فحسّن الوزير للمكتفي قتل بدر هذا، فبعث المكتفي فاحتاط على حواصله وأمواله وهو بواسط، وبعث الوزير إليه بالأمان، فلما قدم بدر بعث إليه من قتله يوم الجمعة لست خلون من رمضان من هذه السنة، ثم قطع رأسه وبقيت جثته أخذها أهله فبعثوا بها إلى مكة في تابوت فدفن بها، لأنه أوصى بذلك وكان قد أعتق كل مملوك له قبل وفاته. وحين أرادوا قتله صلّى ركعتين رحمه الله.

الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن الفهم بن محرز بن إبراهيم الحافظ البغدادي، سمع خلف بن هشام ويحيى بن معين ومحمد بن سعد وغيرهم، وعنه أخذ الحنطي

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

والطوماري، وكان عسراً في التحديث إلا لمن لازمه، وكانت له معرفة جيدة بالأخبار والنسب والشعر وأسماء الرجال، يميل إلى مذهب العراقيين في الفقه، قال عنه الدارقطني: ليس بالقوي. **عمارة بن وثيمة بن موسى أبو رفاعة الفارسي** صاحب التاريخ على السنن، ولد بمصر وحدث عن أبي صالح كاتب الليث وغيره. **هارون بن الليث الصفار** أحد الأمراء الكبار، قتل في السجن أول ما قدم المكتفي بغداد.

ثم دخلت سنة تسعين ومائتين [من الهجرة النبوية](١)

فيها أقبل يحيى بن زكرويه بن مهرويه أبو قاسم القرمطي المعروف بالشيخ في جحافله فعاث بناحية الرقة فساداً فجهز إليه الخليفة جيشاً نحو عشرة آلاف فارس. وفيها ركب الخليفة من بغداد إلى سامرا يريد الإقامة بها فثنى رأيه عن ذلك الوزير فرجع إلى بغداد. وفيها قتل يحيى بن زكرويه على باب دمشق زرقه رجل من المغاربة بمزراق نار فقتله، ففرح الناس بقتله، وتمكن منه المزراق فأحرقه، وكان هذا المغربي من جملة جيش المصريين، فقام بأمر القرامطة من بعده أخوه الحسين وتسمَّى بأحمد وتكنَّى بأبي العباس وتلقب بأمير المؤمنين، وأطاعه القرامطة، فحاصر دمشق فصالحه أهلها على مال، ثم سار إلى حمص فافتتحها وخطب له على منابرها، ثم سار إلى حماه ومعرة النعمان فقهر أهل تلك النواحي واستباح أموالهم وحريمهم، وكان يقتل الدواب والصبيان في المكاتب، ويبيح لمن معه وطء النساء، فربما وطيء الواحدة جماعة الكثيرة من الرجال، فإذا ولدت ولداً هنأ به كل واحد منهم الآخر، فكتب أهل الشام إلى الخليفة ما يلقون من هذا اللعين، فجهز إليهم جيوشاً كثيفة، وأنفق فيهم أموالاً جزيلة لحربه وركب في رمضان فنزل الرقة وبث الجيوش في كل جانب لقتال القرامطة وكان القرمطي هذا يكتب إلى أصحابه: «من عبد الله المهدي أحمد بن عبد الله المهدي المنصور الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله، الداعي إلى كتاب الله، الذاب عن حريم الله، المختار من ولد رسول الله» وكان يدعي أنه من سلاسة علي بن أبي طالب من فاطمة، وهو كاذب أفاك أثيم قبحه الله، فإنه كان من أشد الناس عداوة لقريش، ثم لبني هاشم، دخل سلمية فلم يدع بها أحداً من بني هاشم حتى قتلهم وقتل أولادهم واستباح حريمهم.

وفيها تولى ثغر طرسوس أبو عامر أحمد بن نصر عوضاً عن مظفر بن جناح لشكوى أهل الثغر منه. وحج بالناس الفضل بن محمد العباسي.

وفيها توفي من الأعيان:

عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل

أبو عبد الرحمن الشيباني: كان إماماً ثقة حافظاً ثبتاً مكثراً عن أبيه وغيره.

---

(١) سقط في ط.

قال ابن المنادي: لم يكن أحد أروى عن أبيه منه. سمع عنه المسند ثلاثين ألفاً، والتفسير مائة ألف حديث وعشرون ألفاً، من ذلك سماع ومن ذلك إجازة، ومن ذلك الناسخ والمنسوخ، والمقدم والمؤخر، في كتاب الله والتاريخ، وحديث شعبة[1] وكرامات القراء، والمناسك الكبير، والصغير. وغير ذلك من التصانيف، وحديث الشيوخ. قال: وما زلنا نرى أكابر شيوخنا يشهدون له بمعرفة الرجال وعلل الحديث والأسماء والكنى والمواظبة على طلب الحديث في العراق وغيرها، ويذكرون عن أسلافهم الإقرار له بذلك، حتى أن بعضهم أسرف في تقريظه له بالمعرفة وزيادة في السماع للحديث عن أبيه. ولما مرض قيل له أين تدفن؟ فقال: صح عندي أن بالقطعية نبياً مدفوناً، ولأن أكون بجوار نبي أحب إليَّ من أن أكون في جوار أبي. مات في جمادى الآخرة منها عن سبع وسبعين سنة، كما مات لها أبوه، واجتمع في جنازته خلق كثير من الناس، وصلى عليه زهير ابن أخيه، ودفن في مقابر باب التين رحمه الله تعالى.

عبد الله بن أحمد بن سعيد أبو بحر الرباطي المروزي، صحب أبا تراب النخشبي، وكان الجنيد يمدحه ويثني عليه. عمر بن إبراهيم أبو بكر الحافظ المعروف بأبي الأذان، كان ثقة ثبتاً. محمد بن الحسين بن الفرج أبو ميسرة الهمداني، صاحب المسند، وكان أحد الثقات المشهورين والمصنفين.

محمد بن عبد الله أبو بكر الدقاق

أحد أئمة الصوفية وعبّادهم، روى عن الجنيد أنه قال: رأيت إبليس في المنام وكأنه عريان فقلت: ألا تستحي من الناس؟ فقال: ـ وهو لا يظنهم ناساً ـ لو كانوا ناساً ما كنت ألعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة، إنما الناس جماعة غير هؤلاء. فقلت: أين هم؟ فقال: في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي[2] وأتعبوا جسدي، كلما هممت بهم أشاروا إلى الله عز وجل فأكاد أحترق. قال: فلما انتبهت لبست ثيابي ورحت إلى المسجد الذي ذكر فإذا فيه ثلاثة جلوس ورؤوسهم في مرقعاتهم، فرفع أحدهم رأسه إليَّ وقال: يا أبا القاسم لا تغتر بحديث الخبيث، وأنت كلما قيل لك شيء تقبل؟ فإذا هم أبو بكر الدقاق وأبو الحسين النوري وأبو حمزة محمد بن علي بن علوية بن عبد الله الجرجاني الفقيه الشافعي تلميذ المزني. ذكره ابن الأثير.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين

فيها جرت وقعة عظيمة بين القرامطة وجند الخليفة فهزمت القرامطة عظيمة وأسروا رئيسهم الحسن بن زكرويه ذا الشامة، فلما أسر حمل إلى الخليفة في جماعة كثيرة من أصحابه من رؤوسهم، وأدخل بغداد على فيل مشهور، وأمر الخليفة بعمل دفة مرتفعة

---

(١) في ط: سبعة.

(٢) أضنوا قلبي: أوجعوه وآلموه وأمرضوه.

فأجلس عليها وجيء بأصحابه فجعل يضرب أعناقهم بين يديه وهو ينظر، وقد جعل في فمه خشبة معترضة مشدودة إلى قفاه، ثم أنزل فضرب مائتي سوط ثم قطعت يداه ورجلاه، وكوي، ثم أحرق وحمل رأسه على خشبة وطيف به في أرجاء بغداد، وذلك في ربيع الأول منها.

وفيها قصدت الأتراك بلاد ما وراء النهر في جحافل عظيمة، فبيتهم المسلمون فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوا منهم ما لا يحصون ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]. وفيها بعث ملك الروم عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف، فغاروا على أطراف البلاد وقتلوا خلقاً وسبوا نساء وذرية. وفيها دخل نائب طرسوس بلاد الروم ففتح مدينة أنطاكية - وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر تعادل عندهم القسطنطينية - وخلص من أسارى المسلمين خمسة آلاف أسير، وأخذ للروم ستين مركباً وغنم شيئاً كثيراً، فبلغ نصيب كل واحد من الغزاة ألف دينار.

وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

وفيها توفي من الأعيان.

أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار

أبو العباس الشيباني مولاهم، الملقب بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة، مولده في سنة مائتين، سمع محمد بن زياد الأعرابي والزبير بن بكار والقواريري وغيرهم، وعنه ابن الأنباري وابن عرفة وأبو عمرو الزاهد، وكان ثقة حجة ديناً صالحاً مشهوراً بالصدق والحفظ، وذكر أنه سمع من القواريري مائة ألف حديث. توفي يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى منها، عن إحدى وتسعين سنة.

قال ابن خلكان: وكان سبب موته أنه خرج من الجامع وفي يده كتاب ينظر فيه وكان قد أصابه صمم شديد فصدمته فرس فألقته في هوة فاضطربت دماغه فمات في اليوم الثاني رحمه الله. قال: وهو مصنف كتاب الفصيح، وهو صغير الحجم كثير الفائدة، وله كتاب المصون، واختلاف النحويين ومعاني القرآن وكتاب القراءات ومعاني الشعر وما يلحن فيه العامة وغير ذلك. ومما نسب إليه من الشعر قوله:

إذا كُنْتَ قُوتَ النَّفْسِ ثُمَّ هَجَرْتَهَا ... فَكَمْ تَلْبَثُ النَّفْسُ الَّتِي أَنْتَ قُوتُهَا
سَيَبْقَى بَقَاءَ النَّبْتِ في المَاءِ أَوْ كَمَا ... أَقَامَ لَدَى دَيْمُومَةِ الماءِ صوتها
أَغَرَّكَ أَنِّي قَدْ تَصَبَّرْتُ جَاهِداً ... وَفي النَّفْسِ مِنِّي مِنْكَ ما سميتها
فَلَوْ كَانَ مَا بِي بِالصُّخُورِ لَهَدَّهَا ... وَبِالرِّيحِ مَا هَبَّتْ وَطَالَ خُفُوتُهَا
فَصَبْراً لَعَلَّ الله يَجْمَعُ بَيْنَنَا ... فَأَشْكُو هُمُوماً مِنْكَ فِيكَ لَقِيتُهَا

وفيها توفي القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير، تولى بعد أبيه الوزارة في آخر أيام المعتضد، ثم تولى لولده المكتفي، فلما كان رمضان من هذه السنة مرض فبعث

إلى السجون فأطلق من فيها من المطلبيين، ثم توفي في ذي القعدة منها، وقد قارب ثلاثاً وثلاثين سنة، وقد كان حظياً عند الخليفة، وخلف من الأموال ما يعدل سبعمائة ألف دينار.

ومحمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد أبو عبد الله البصري القاضي بواسط، المعروف بالجبروعي، حدث عن مسدد وعن علي بن المديني وابن نمير وغيرهم، وكان من الثقات والقضاة الأجواد العدول الأمناء.

ومحمد بن إبراهيم البوشنجي. ومحمد بن علي الصايغ. وقنبل أحد مشاهير القراء. وأئمة العلماء.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائتين

[فيها دخل محمد بن سليمان في نحو عشرة آلاف مقاتل من جهة الخليفة المكتفي إلى الديار المصرية لقتال هارون بن خمارويه، فبرز إليه هارون فاقتتلا فقهره محمد بن سليمان وجمع آل طولون وكانوا سبعة عشر رجلاً فقتلهم واستحوذ على أموالهم وأملاكهم. وانقضت دولة الطولونية عن الديار المصرية وكتب بالفتح إلى المكتفي.

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي القائم بأمر الحجاج في السنين المتقدمة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكجي

أحد المشايخ المعمرين، كان يحضر مجلسه خمسون ألفاً ممن معه محبرة، سوى النظارة، ويستملي عليه سبعة مستملين كلٌّ يبلِّغ صاحبه، ويكتب بعض الناس وهم قيام وكان كلما حدث بعشرة آلاف حديث تصدق بصدقة. ولما فرغ من قراءة السنن عليه عمل مأدبة غرم عليها ألف دينار، وقال: شهدت اليوم على رسول الله ﷺ فقبلت شهادتي وحدي، أفلا أعمل شكراً لله عز وجل؟. وروى ابن الجوزي والخطيب عن أبي مسلم الكجي قال: خرجت ذات ليلة من المنزل فمررت بحمام وعليّ جنابة فدخلته فقلت للحمامي: أدخل حمامك أحد بعد؟ فقال: لا، فدخلت فلما فتحت باب الحمام الداخل إذا قائل يقول: أبا مسلم أسلم تسلم. ثم أنشأ يقول:

لَكَ الحَمْدُ إمَّا عَلَى نِعْمَةٍ ... وَإمَّا عَلَى نِقْمَةٍ تُدْفَعُ
تَشَاءُ فَتَفْعَلُ مَا شِئْتَهُ ... وَتَسْمَعُ مِنْ حَيْثُ لا يُسْمَعُ

قال: فبادرت فخرجت فقلت للحمامي: أنت زعمت أنه لم يدخل حمامك أحد. فقال: نعم! وما ذاك؟ فقلت: إني سمعت قائلاً يقول كذا وكذا. قال: وسمعته؟ قلت: نعم. فقال: يا سيدي هذا رجل من الجان يتبدى لنا في بعض الأحيان فينشد أشعاراً ويتكلم بكلام حسن فيه مواعظ. فقلت: هل حفظت من شعره شيئاً؟ فقال: نعم. ثم أنشدني من شعره فقال هذه الأبيات:

أَيُّهَا الْمُذْنِبُ الْمُفَرِّطُ مَهْلا ... كَمْ تَمَادَى وَتَكْسِبُ الذَّنْبَ جَهْلا
كَمْ وَكَمْ تُسْخِطُ الْجَلِيلَ بِفِعْلٍ ... سَمِجٍ وَهْوَ يُحْسِنُ الصُّنْعَ فِعْلا
كَيْفَ تَهْدَا جُفُونُ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي ... أَرَضِيٌّ عَنْهُ مَنْ عَلَى الْعَرْشِ أَمْ لا

عبد الحميد بن عبد العزيز أبو حاتم القاضي الحنفي، كان من خيار القضاة وأعيان الفقهاء ومن أئمة العلماء، ورعاً نزهاً كثير الصيانة والديانة والأمانة. وقد ذكر له ابن الجوزي في المنتظم آثاراً حسنة وأفعالاً جميلة، رحمه الله][1].

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

فيها التفَّ على أخي الحسين القرمطي المعروف بذي الشامة الذي قتل في التي قبلها خلائق من القرامطة بطريق الفرات، فعاث بهم في الأرض فساداً، ثم قصد طبرية فامتنعوا منه فدخلها قهراً فقتل بها خلقاً كثيراً من الرجال، وأخذ شيئاً كثيراً من الأموال، ثم كرَّ راجعاً إلى البادية، ودخلت فرقة أخرى منهم إلى هيت فقتلوا أهلها إلا القليل، وأخذوا منها أموالاً جزيلة حملوها على ثلاثة آلاف بعير، فبعث إليهم الخليفة المكتفي جيشاً فقاتلوهم وأخذوا رئيسهم فضربت عنقه. ونبغ[2] رجل من القرامطة يقال له الداعية باليمن، فحاصر صنعاء فدخلها قهراً وقتل خلقاً من أهلها، ثم سار إلى بقية مدن اليمن فأكثر الفساد وقتل خلقاً من العباد، ثم قاتله أهل صنعاء فظفروا به وهزموه، فأغار على بعض مدنها، وبعث الخليفة إليها مظفر بن حجاج نائباً، فسار إليها فلم يزل بها حتى مات. وفي يوم عيد الأضحى دخلت طائفة من القرامطة إلى الكوفة فنادوا: يا ثارات الحسين ـ يعنون المصلوب في التي قبلها ببغداد ـ وشعارهم: يا أحمد يا محمد ـ يعنون الذين قتلوا معه ـ فبادر الناس الدخول من المصلَّى إلى الكوفة فدخلوا خلفهم فرمتهم العامة بالحجارة فقتلوا منهم نحو العشرين رجلاً، ورجع الباقون خاسئين، وفيها ظهر رجل بمصر يقال له الخليجي فخلع الطاعة واجتمع إليه طائفة من الجند فأمر الخليفة أحمد بن كيغلغ نائب دمشق وأعمالها فركب إليه فاقتتلا بظاهر مصر فهزمه الخليجي هزيمة منكرة، فبعث إليه الخليفة جيشاً آخر فهزموا الخليجي وأخذوه فسلم إلى الأمير الخليفة وانطفأ خبره واشتغل الجيش بأمر الديار المصرية، فبعث القرامطة جيشاً إلى بصرى صحبة رجل يقال له عبد الله بن سعيد كان يعلم الصبيان، فقصد بصرى وأذرعات والبثنية فحاربه أهلها ثم أمّنهم فلما أن تمكن منهم قتل المقاتلة وسبى الذرية، ورام الدخول إلى دمشق فحاربه نائب دمشق أحمد بن كيغلغ، وهو صالح بن الفضل، فهزمه القرمطي وقتل صالح فيمن قتل وحاصر دمشق فلم يمكنه فتحها، فانصرف إلى طبرية فقتلوا أكثر أهلها ونهبوا منها شيئاً كثيراً كما ذكرنا، ثم صاروا إلى هيت ففعلوا بها

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من النسخة المصرية.

(٢) نبغ: اشتهر وذاع امره.

ذلك كما تقدم، ثم ساروا إلى الكوفة في يوم عيد الأضحى كما ذكرنا. كل ذلك بإشارة زكرويه بن مهرويه وهو مختف في بلده بين ظهراني قوم من القرامطة، فإذا جاءه الطلب نزل بئراً قد اتخذها ليختفي فيها وعلى بابه تنور فتقوم امرأة فتسجره وتخبز فيه فلا يشعر به أصلاً، ولا يدري أحد أين هو، فبعث الخليفة إليه جيشاً فقاتلهم زكرويه بنفسه ومن أطاعه فهزم جيش الخليفة وغنم من أموالهم شيئاً كثيراً جداً فتقوى به واشتد أمره، فندب الخليفة إليه جيشاً آخر كثيفاً فكان من أمره وأمرهم ما سنذكره. وفيها خرب إسماعيل بن أحمد الساماني نائب خراسان وما وراء النهر طائفة كبيرة من بلاد الأتراك. وفيها أغارت الروم على بعض أعمال حلب فقتلوا ونهبوا وسبوا. وفيها حج بالناس الفضل عبد الملك الهاشمي.

وفيها توفي من الأعيان:

أبو العباس الناشي الشاعر

واسمه عبد الله بن محمد أبو العباس المعتزلي، أصله من الأنبار وأقام ببغداد مدة، ثم انتقل إلى مصر فمات بها، وكان جيد الذهن يعاكس الشعراء ويرد على المنطقيين والفروضيين، وكان شاعراً مطيقاً إلا أنه كان فيه هوس وله قصيدة حسنة في نسب رسول الله ﷺ قد ذكرناها في السيرة.

قال ابن خلكان: كان عالماً في عدة علوم من جملتها علم المنطق وله قصيدة في فنون من العلم على روي واحد تبلغ أربعة آلاف بيت، وله عدة تصانيف وأشعار كثيرة.

عبيد بن محمد بن خلف أبو محمد البزار أحد الفقهاء من أصحاب أبي ثور، وكان عنده فقه أبي ثور، وكان من الثقات النبلاء. **نصر بن أحمد بن عبد العزيز أبو محمد الكندي** الحافظ المعروف بنصرك، كان أحد حفاظ الحديث المشهورين، وكان الأمير خالد بن أحمد الذهلي نائب بخارى قد ضمه إليه وصنف له المسند. توفي ببخارى في هذه السنة.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين

في المحرم من هذه السنة اعترض زكرويه في أصحابه إلى الحجاج من أهل خراسان وهم قافلون من مكة فقتلهم عن آخرهم وأخذ أموالهم وسبى نساءهم فكان قيمة ما أخذه منهم ألفي ألف دينار، وعدة من قتل عشرين ألف إنسان، وكانت نساء القرامطة يطفن بين القتلى من الحجاج وفي أيديهم الآنية من الماء يزعمن أنهن يسقين الجريح العطشان، فمن كلمهن من الجرحى قتلنه وأجهزن عليه، لعنهن الله ولعن أزواجهن.

ذكر مقتل زكرويه لعنه الله

لما بلغ الخليفة خبر الحجيج وما أوقع بهم الخبيث جهز إليه جيشاً كثيفاً فالتقوا معه فاقتتلوا قتالاً شديداً جداً، قتل من القرامطة خلق كثير ولم يبق منهم إلا القليل، وذلك في أول ربيع الأول منها. وضرب رجل زكرويه بالسيف في رأسه فوصلت الضربة إلى دماغه،

وأخذ أسيراً فمات بعد خمسة أيام، فشقوا بطنه وصبروه وحملوه في جماعة من رؤوس أصحابه إلى بغداد، واحتوى عسكر الخليفة على ما كان بأيدي القرامطة من الأموال والحواصل، وأمر الخليفة بقتل أصحاب القرمطي، وأن يطاف برأسه في سائر بلاد خراسان، لئلا يمتنع الناس عن الحج. وأطلق من كان بأيدي القرامطة من النساء والصبيان الذين أسروهم.

وفيها غزا أحمد بن كيغلغ نائب دمشق بلاد الروم من ناحية طرسوس فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف وأسر من ذراريهم نحواً من خمسين ألفاً، وأسلم بعض البطارقة وصحبته نحو من مائتي أسير كانوا في حبسه من المسلمين، فأسل ملك الروم جيشاً في طلب ذلك البطريق، فركب في جماعة من المسلمين فكبس جيش الروم فقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم منهم غنيمة كثيرة جداً، ولما قدم على الخليفة أكرمه وأحسن إليه وأعطاه ما تمناه عليه. وفيها ظهر بالشام رجل فادعى أنه السفياني فأخذ وبعث به إلى بغداد فادعى أنه موسوس فترك. وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

وفيها توفي من الأعيان: **الحسين بن محمد بن حاتم بن يزيد بن علي بن مروان أبو علي المعروف بعبيد العجلي**، كان حافظاً مكثراً متقناً ثقة مقدماً في حفظ المسندات، توفي في صفر منها.

صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب أبو علي الأسدي ـ أسد خزيمة ـ المعروف الحرزة لأنه قرأ على بعض المشايخ كانت له خرزة يرقأ بها المريض فقرأها هو حزرة تصحيفاً منه فغلب عليه ذلك فلقب به، وقد كان حافظاً مكثراً جوالاً رحالاً، طاف الشام ومصر وخراسان، وسكن بغداد ثم انتقل منها إلى بخارى فسكنها، وكان ثقة صدوقاً أميناً، وله رواية كثيرة عن يحيى بن معين، وسؤالات كثيرة كان مولده بالرقة سنة عشر ومائتين.

وتوفي في هذه السنة: **محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بالبياضي** لأنه حضر مجلس الخليفة وعليه ثياب البياض، فقال الخليفة: من ذاك البياضي؟ فعرف به. وكان ثقة، روى عن ابن الأنباري وابن مقسم. قتلته القرامطة في هذه السنة.

محمد ابن الإمام إسحاق بن راهويه، سمع أباه، وأحمد بن حنبل وغيرهما، وكان عالماً بالفقه والحديث، جميل الطريقة حميدة السيرة قتلته القرامطة في هذه السنة في جملة من قتلوا من الحجيج.

محمد بن نصر أبو عبد الله المروزي

ولد ببغداد ونشأ بنيسابور واستوطن سمرقند، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الإسلام، وكان عالماً بالأحكام، وقد رحل إلى الآفاق وسمع من المشايخ الكثير النافع وصنف الكتب المفيدة الحافلة النافعة، وكان من أحسن الناس

صلاة وأكثرهم خشوعاً فيها، وقد صنف كتاباً عظيماً في الصلاة. وقد روى الخطيب عنه أنه قال: خرجت من مصر قاصداً مكة فركبت البحر ومعي جارية فغرقت السفينة فذهب لي في الماء ألفا جزء وسلمت أنا والجارية فلجأنا إلى جزيرة فطلبنا بها ماء فلم نجد، فوضعت رأسي على فخذ الجارية ويئست من الحياة، فبينا أنا كذلك إذا رجل قد أقبل وفي يده كوز فقال: هاه، فأخذته فشربت منه وسقيت الجارية ثم ذهب فلم أدر من أين أقبل ولا إلى أين ذهب. ثم إن الله سبحانه أغاثنا فنجّانا من ذلك الغم. وقد كان من أكرم الناس وأسخاهم نفساً. وكان إسماعيل بن أحمد يصله في كل سنة بأربعة آلاف، ويصله أخوه إسحاق بن أحمد بأربعة آلاف، ويصله أهل سمرقند بأربعة آلاف فينفق ذلك كله، فقيل له: لو ادخرت شيئاً لنائبة، فقال: يا سبحان الله أنا كنت بمصر أنفق فيها في كل سنة عشرين درهماً فرأيت إذا لم يحصل لي شيء من هذه المال لا يتهيأ لي في السنة عشرون درهماً. وكان محمد بن نصر المروزي إذا دخل على إسماعيل بن أحمد الساماني ينهض له ويكرمه، فعاتبه يوماً أخوه إسحاق، فقال له: تقوم لرجل في مجلس حكمك وأنت ملك خراسان؟ قال إسماعيل: فبت تلك الليلة وأنا مشتت القلب[1] من قول أخي ـ وكانوا هم ملوك خراسان وما وراء النهر ـ قال: فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: «يا إسماعيل ثبت ملكك وملك بنيك بتعظيمك محمد بن نصر، وذهب ملك أخيك باستخفافه بمحمد بن نصر». وقد اجتمع بالديار المصرية محمد بن نصر، ومحمد بن جرير الطبري، ومحمد بن المنذر، فجلسوا في بيت يكتبون الحديث ولم يكن عندهم في ذلك اليوم شيء يقتاتونه، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يخرج يسعى لهم في شيء يأكلونه، فوقعت القرعة على محمد بن نصر هذا فقام إلى الصلاة فجعل يصلّي ويدعو الله عز وجل، وذلك وقت القائلة، فرأى نائب مصر ـ وهو طولون وقيل أحمد بن طولون ـ في منامه في ذلك الوقت رسول الله ﷺ وهو يقول له: «أدرك المحدثين فإنهم ليس عندهم ما يقتاتونه». فانتبه من ساعته فسأل: من ها هنا من المحدثين؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة، فأرسل إليهم في الساعة الراهنة بألف دينار، فدخل الرسول بها عليهم وأزال الله ضررهم ويسّر أمرهم. واشترى طولون تلك الدار وبناها مسجداً وجعلها على أهل الحديث وأوقف عليها أوقافاً جزيلة.

وقد بلغ محمد بن نصر سناً عالية وكان يسأل الله ولداً فأتاه يوماً إنسان فبشّره بولد ذكر، فرفع يديه فحمد الله وأثنى عليه وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ [إبراهيم:٣٩]، فاستفاد الحاضرون من ذلك عدة فوائد: منها أنه قد ولد له على الكبر ولد ذكر بعدما كان يسأل الله عز وجل، ومنها أنه سمى يوم مولده كما سمى رسول الله ﷺ ولده إبراهيم يوم مولده قبل السابع، ومنها اقتداؤه بالخليل أول ولد له بإسماعيل.

موسى بن هارون بن عبد الله أبو عمران المعروف والده بالحمال، ولد سنة أربع عشرة

(١) مشتت القلب: أي منشغله.

ومائتين وسمع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما، وكان إمام عصره في حفظ الحديث ومعرفة الرجال، وكان ثقة متقناً شديد الورع عظيم الهيبة، قال عبد الغني بن سعيد الحافظ المصري: كان أحسن الناس كلاماً على الحديث، أثنى عليه علي بن المديني ثم موسى بن هارون ثم الدارقطني.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

فيها كانت المفاداة بين المسلمين والروم، وكان من جملة من استنقذ من أيدي الروم من نساء ورجال نحواً من ثلاثة آلاف نسمة، وفي المنتصف من صفر منها كانت وفاة إسماعيل بن أحمد الساماني أمير خراسان وما وراء النهر، وقد كان عاقلاً عادلاً حسن السيرة في رعيته حليماً كريماً، وهو الذي كان يحسن إلى محمد بن نصر المروزي ويعظمه ويكرمه ويحترمه ويقوم له في مجلس ملكه، فلما مات تولى بعده ولده أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني وبعث إليه الخليفة تشريفة. وقد ذكر الناس يوماً عند إسماعيل بن أحمد هذا الفخر بالأنساب فقال: إنما الفخر بالأعمال وينبغي أن يكون الإنسان عصامياً لا عظامياً - أي ينبغي أن يفتخر بنفسه لا بنسبه وبلده وجده - كما قال بعضهم:

وبـجـدِّي سـمـوتُ لا بـجـدودي

وقال الآخر:

حَسْبِي فَخَاراً وَشِيمَتِي أَدَبِي … وَلَسْتُ مِنْ هَاشِمٍ وَلا العَرَبِ

إنَّ الفَتَى مَنْ يَقُولُ ها أنا ذا … لَيْسَ الفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

وفي ذي القعدة منها كانت.

وفاة الخليفة المكتفي بالله أبو محمد بن المعتضد وهذه ترجمته وذكر وفاته

وهو أمير المؤمنين المكتفي بالله بن المعتضد ابن الأمير أبي الموفق بن المتوكل على الله، وقد ذكرنا أنه ليس من الخلفاء من اسمه علي سواه بعد علي بن أبي طالب، وليس من الخلفاء من يكنَّى بأبي محمد سوى الحسن بن علي بن أبي طالب وهو وكان مولده في رجب سنة أربع وستين ومائتين، وبويع له بالخلافة بعد أبيه وفي حياته يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر من سنة تسع وثمانين ومائتين، وعمره نحواً من خمس وعشرين سنة، وكان ربعة من الرجال جميلاً رقيق اللون حسن الشعر، وافر اللحية عريضها. ولما مات أبوه المعتضد وولي هو الخلافة دخل عليه بعض الشعراء فأنشده:

أَجَلُّ الرَّزَايَا[1] أَنْ يَمُوتَ إمَامُ … وَأَسْخَى العَطَايَا أَنْ يَقُومَ إمَامُ

(١) أجلّ الرزايا: أكبر المصائب وأعظمها.

فَأَسْقَى الَّذِي مَاتَ الغَمَامُ وجودهُ وَدَامَتْ تَحِيَّاتٌ لَهُ وَسَلامُ
وَأَبْقَى الَّذِي قَامَ الإِلَهُ وَزَادَهُ مَوَاهِبَ لا يَفْنَى لَهُنَّ دَوَامُ
وَتَمَّتْ لَهُ الآمَالُ وَاتَّصَلَتْ بِهَا فَوَائِدُ مَوْصُولٌ بِهِنَّ تَمَامُ
هُوَ المُكْتَفِي بِاللهِ يَكْفِيهِ كُلَّمَا عَنَاهُ بِرُكْنٍ مِنْهُ لَيْسَ يُرَامُ

فأمر له بجائزة سنية [وقد كان يقول الشعر]، فمن ذلك قوله:

مَنْ لِي بِأَنْ أَعْلَمَ مَا أَلْقَى فَتَعْرِفَ مِنِّي الصَّبَابَةَ وَالعِشْقَا
مَا زَالَ لِي عَبْداً وَحُبِّي لَهُ صَيَّرَنِي عَبْداً لَهُ رِقَّا
[العِتْقُ مِنْ شَأْنِي وَلٰكِنَّنِي مِنْ حُبِّهِ لا أَمْلِكُ العِتْقَا](١)

وكان نقش خاتمه: على المتوكل على ربه. وكان له من الولد محمد وجعفر وعبد الصمد وموسى وعبد الله وهارون والفضل وعيسى والعباس وعبد الملك. وفي أيامه فتحت أنطاكية وكان فيها من أسارى المسلمين بشر كثير وجم غفير، ولما حضرته الوفاة سأل عن أخيه أبي الفضل جعفر بن المعتضد وقد صح عنده أنه بالغ، فأحضره في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة منها وأحضر القضاة وأشهدهم على نفسه بأنه قد فوض أمر الخلافة إليه من بعده، ولقبه بالمقتدر بالله. وتوفي بعد ثلاثة أيام وقيل في آخر يوم السبت بعد المغرب، وقيل بين الظهر والعصر، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، ودفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر، عن ثنتين وقيل ثلاث وثلاثين سنة، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً. وأوصى بصدقة من خالص ماله ستمائة ألف دينار، وكان قد جمعها وهو صغير، وكان مرضه بداء الخنازير رحمه الله.

خلافة المقتدر بالله [أمير المؤمنين](٢) أبي الفضل جعفر بن المعتضد

جددت له البيعة بعد موت أخيه وقت السحر لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة ـ أعني سنة خمس وتسعين ومائتين ـ وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وأحد وعشرون يوماً، ولم يل الخلافة أحد قبله أصغر منه، ولما جلس في منصب الخلافة صلّى أربع ركعات ثم سلم ورفع صوته بالدعاء والاستخارة، ثم بايعه الناس بيعة العامة، وكتب اسمه على الرقوم(٣) وغيرها: المقتدر بالله، وكان في بيت مال الخاصة خمسة عشر ألف ألف دينار، وفي بيت مال العامة ستمائة ألف دينار ونيف، وكانت الجواهر الثمينة في الحواصل من لدن بني أمية وأيام بني العباس، قد تناهى جمعها، فما زال يفرقها في حظاياه وأصحابه حتى أنفدها، وهذا حال الصبيان وسفهاء الولاة، وقد استوزر جماعة من الكتاب

(١) ما بين معقوفين زيادة من النسخة المصرية.
(٢) سقط في ط.
(٣) الرقوم: جمع رقم وهو الختم.

يكثر تعدادهم، منهم أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات، ولاه ثم عزله بغيره، ثم أعاده ثم عزله ثم قتله، وقد استقصى ذكرهم ابن الجوزي. وكان له من الخدم والحشمة التامة والحجاب شيء كثير جداً، وكان كريماً جداً وفيه عبادة مع هذا كله كان كثير الصلاة كثير الصيام تطوعاً، وفي يوم عرفة في أول ولايته فرق من الأغنام والأبقار ثلاثين ألف رأس، ومن الإبل ألفي بعير، ورد الرسوم والأرزاق والكلف إلى ما كانت عليه في زمن الأوائل من بني العباس، وأطلق أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم، فوكل أمر ذلك إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، وكان قد بنيت له أبنية في الرحبة صر عليها في كل شهر ألف دينار، فأمر بهدمها ليوسع على المسلمين الطرقات، وسيأتي ذكر شيء من أيامه في ترجمته.

وفيها توفي من الأعيان:

أبو إسحاق المزكي

إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه بن عبد الله أبو إسحاق المزكي الحافظ الزاهد، إمام أهل عصره بنيسابور، في معرفة الحديث والرجال والعلل، وقد سمع خلقاً من المشايخ الكبار ودخل على الإمام أحمد وذاكره، وكان مجلسه مهيباً، ويقال إنه كان مجاب الدعوة، وكان لا يملك إلا داره التي يسكنها وحانوتاً يستغله كل شهر بسبعة عشر درهماً ينفقها على نفسه وعياله، وكان لا يقبل من أحد شيئاً، وكان يطبخ له الجزر بالخل فيأتدم[1] به طول الشتاء، وقد قال أبو علي الحسين بن علي الحافظ: لم تر عيناي مثله.

أبو الحسين النوري أحد أئمة الصوفية

اسمه أحمد بن محمد، ويقال محمد بن محمد والأول أصح ويعرف بابن البغوي، أصله من خراسان وحدث عن سري السقطي ثم صار هو من أكابر أئمة القوم، قال أبو أحمد المغازلي: ما رأيت أحداً قط أعبد من أبي الحسين النوري، قيل له، ولا الجنيد؟ قال: ولا الجنيد ولا غيره. وقال غيره: صام عشرين سنة لا يعلم به أحد لا من أهله ولا من غيره. وتوفي في مسجد وهو مقنع فلم يعلم به أحد إلا بعد أربعة أيام.

إسماعيل بن أحمد بن سامان

أحد ملوك خراسان وهو الذي قتل عمرو بن الليث الصفار الخارجي، وكتب بذلك إلى المعتضد فولاه خراسان ثم ولاه المكتفي الريّ وما وراء النهر وبلاد الترك، وقد غزا بلادهم فأوقع بهم بأساً شديداً، وبنى الربط في الطرقات يسع الرباط منها ألف فارس، وأوقف عليهم أوقافاً جزيلة، وقد أهدى إليه طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث هدايا جزيلة منها ثلاث عشرة جوهرة زنة كل جوهرة منها ما بين السبعة مثاقيل إلى العشرة، وبعضها أحمر وبعضها أزرق قيمتها مائة ألف دينار، فبعث بها إلى الخليفة المعتضد وشفع في طاهر

(١) يأتدم: يقتات، يجعله إداماً لخبزه.

فشفعه فيه. ولما مات إسماعيل بن أحمد وبلغ المكتفي موته تمثل بقول أبي نواس.

لَـنْ يَـخْـلُـفَ الـدَّهْـرُ مِـثْـلَـهُـم أبَـداً هَـيْـهَـاتَ هَـيْـهَـاتَ شَـأْنُـهُـمْ عَـجَـبُ

المعمري الحافظ

صاحب عمل اليوم والليلة وهو الحسن بن علي بن شبيب أبو علي المعمري الحافظ، رحل وسمع من الشيوخ وأدرك خلقاً منهم علي بن المديني ويحيى بن معين، وعنه ابن صاعد والنجاد والجلدي، وكان من بحور العلم وحفاظ الحديث، صدوقاً ثبتاً، وقد كان يشبك أسنانه بالذهب من الكبر، لأنه جاوز [الثمانين، وكان يكنّى أولاً بأبي القاسم، ثم بأبي علي، وقد ولي القضاء للبرتي على القصر وأعمالها][1] وإنما قيل له المعمري بأمه أم الحسن بنت أبي سفيان صاحب معمر بن راشد. وقد صنف المعمري كتاباً جيداً في عمل يوم وليلة، واسمه الحسن بن علي بن شبيب أبو علي المعمري، توفي ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم.

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب واسم أبي شعيب عبد الله بن مسلم أبو شعيب الأموي الحراني المؤدب المحدث ابن المحدث. ولد سنة ست وثمانين ومائتين، سمع أباه وجده وعفان بن مسلم وأبا خيثمة، كان صدوقاً ثقة مأموناً. توفي في ذي الحجة.

علي بن أحمد المكتفي بالله تقدم ذكره.

أبو جعفر الترمذي محمد بن محمد بن نصر أبو جعفر الترمذي الفقيه الشافعي، كان من أهل العلم والزهد، ووثقه الدارقطني، كان مأموناً ناسكاً.

وقال القاضي أحمد بن كامل: لم يكن لأصحاب الشافعي بالعراق أرأس منه،[2] ولا أشد أورع. كان متقللاً في المطعم على حالة عظيمة فقراً وورعاً وصبراً، وكان ينفق عليه في كل شهر أربعة دراهم، وكان لا يسأل أحداً شيئاً، وكان قد اختلط[3] في آخر عمره. توفي في المحرم منها.

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين

في ربيع الأول منها اجتمع جماعة من القواد والجند والأمراء على خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتز الخلافة، فأجابهم على أنه لا يسفك بسببه دم، وكان المقتدر قد خرج يلعب بالصولجان فقصد إليه الحسن بن حمدان يريد أن يفتك به، فلما سمع المقتدر الصيحة بادر إلى دار الخلافة فأغلقها دون الجيش، واجتمع الأمراء والأعيان والقضاة في دار المخرمي فبايعوا عبد الله بن المعتز وخوطب بالخلافة، ولقب بالمرتضي بالله.

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من النسخة المصرية.

(٢) أرأس منه: أكثر رئاسة.

(٣) اختلط: أصابه الخرف، والهذيان.

وقال الصولي: إنما لقبوه المنتصف بالله، واستوزر أبا عبيد الله محمد بن داود وبعث إلى المقتدر يأمره بالتحول من دار الخلافة إلى دار ابن طاهر لينتقل إليها، فأجابه بالسمع والطاعة، فركب الحسن بن حمدان من الغد إلى دار الخلافة ليتسلمها فقاتله الخدم ومن فيها، ولم يسلموها إليه، وهزموه فلم يقدر على تخليص أهله وماله إلا بالجهد. ثم ارتحل من فوره إلى الموصل وتفرق نظام[1] ابن المعتز وجماعته، فأراد ابن المعتز أن يتحول إلى سامرا لينزلها فلم يتبعه أحد من الأمراء، فدخل دار ابن الجصاص فاستجار به فأجاره، ووقع النهب في البلد واختبط الناس وبعث المقتدر إلى أصحاب ابن المعتز فقبض عليهم وقتل أكثرهم وأعاد ابن الفرات إلى الوزارة فجدد البيعة إلى المقتدر وأرسل إلى دار ابن الجصاص فتسلمها وأحضر ابن المعتز وابن الجصاص فصادر ابن الجصاص بمال جزيل جداً، نحو ستة عشر ألف ألف درهم، ثم أطلقه واعتقل ابن المعتز، فلما دخل في ربيع الآخر ليلتان ظهر للناس موته وأخرجت جثته فسلمت إلى أهله فدفن، وصفح المقتدر عن بقية من سعى في هذه الفتنة حتى لا تفسد نيات الناس.

قال ابن الجوزي: ولا يعرف خليفة خلع ثم أعيد إلا الأمين والمقتدر. وفي يوم السبت لأربع بقين من ربيع الأول سقط ببغداد ثلج عظيم حتى اجتمع على الأسطحة منه نحو من أربعة أصابع وهذا غريب في بغداد جداً، ولم تخرج السنة حتى خرج الناس يستسقون لأجل تأخر المطر عن إبَّانه[2]. وفي شعبان منها خلع على يونس الخادم وأمر بالمسير إلى طرسوس لأجل غزو الروم. وفيها أمر المقتدر بأن لا يستخدم أحد من اليهود والنصارى في الدواوين، وألزموا بلزومهم بيوتهم، وأن يلبسوا المساحي ويضعوا بين أكتافهم رقاعاً ليعرفوا بها، وألزموا بالذل حيث كانوا. وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي، ورجع كثير من الناس من قلة الماء بالطريق.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن محمد بن زكريا بن أبي عتاب أبو بكر البغدادي الحافظ، ويعرف بأخي ميمون. روى عن نصر بن علي الجهضمي وغيره، وروى عنه الطبراني، وكان يمتنع من أن يحدث وإنما يسمع منه في المذاكرة. توفي في شوَّال منها.

أبو بكر الأثرم

أحمد بن محمد بن هاني الطائي الأثرم تلميذ الإمام أحمد. سمع عفان وأبا الوليد والقعنبي وأبا نعيم وخلقاً كثيراً، وكان حافظاً صادقاً قوي الذاكرة، كان ابن معين يقول عنه: كان أحد أبويه جنيّاً لسرعة فهمه وحفظه، وله كتب مصنفة في العلل والناسخ والمنسوخ، وكان من بحور العلم.

---

(١) النظام: العقد والسلك.

(٢) إبانه: وقته، أوانه.

خلف بن عمرو بن عبد الرحمن بن عيسى

أبو محمد العكبري، سمع الحديث، وكان ظريفاً وكان له ثلاثون خاتماً وثلاثون عكازاً، يلبس في كل يوم من الشهر خاتماً ويأخذ في يده عكازاً، ثم يستأنف ذلك في الشهر الثاني، وكان له سوط معلق في منزله، فإذا سئل عن ذلك قال: ليرهب العيال منه.

ابن المعتز الشاعر [الذي بويع بالخلافة]

عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد يكنّى أبو العباس الهاشمي العباسي، كان شاعراً مطيقاً فصيحاً بليغاً مطبقاً، وقريش قادة الناس في الخير ودفع الشر. وقد سمع المبرد وثعلباً، وقد روي عنه من الحكم والآداب شيء كثير، فمن ذلك قوله: أنفاس الحي خطايا. أهل الدنيا ركب يسار بهم وهم نيام. ربما أورد الطمع ولم يصدر. ربما شرق شارب الماء قبل ريه. من تجاوز الكفاف لم يغنه الإكثار. كلما عظم قدر المتنافس فيه عظمت الفجيعة به. من ارتحله الحرص[1] أضناه الطلب. وروي أضناه الطلب أي أضعفه، والأول معناه أمرضه. الحرص نقص من قدر الإنسان ولا يزيد في حظه شيئاً. أشقى الناس أقربهم من السلطان، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أقربها حريقاً، من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة. يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك. الفرصة سريعة الفوت بعيدة العود. الأسرار إذا كثرت خزانها ازدادت ضياعاً. العزل نصحك من تيه الولاة. الجزع أتعب من الصبر، لا تشن وجه العفو بالتقريع[2]، تركة الميت عز للورثة وذل له. إلى غير ذلك من كلامه وحكمه. ومن شعره مما يناسب هذا المعنى قوله:

بـادر إلـى مـالِـكَ وُرَّاثَـهُ ... مَـا الـمَـرْءُ فِـي الـدُّنْـيَـا بِـلَـبَّـاثِ[3]
كَـمْ جَـامِـعٍ يَـخْـنُـقُ أَكْـيَـاسَـهُ ... قَـدْ صَـارَ فِـي مِـيـزَانِ مِـيـرَاثِ

وله أيضاً:

يـا ذَا الـغِـنَـى وَالـسَّـطْـوَةِ الـقَـاهِـره ... وَالـدَّوْلَـةِ الـنَّـاهِـيَـةِ الآمِـرَهْ
وَيَـا شَـيَـاطِـيـنَ بَـنِـي آدَمٍ ... وَيَـا عَـبِـيـدَ الـشَّـهْـوَةِ الـفَـاجِـرَهْ
انْـتَـظِـروا الـدُّنْـيَـا وَقَـدْ أَدْبَـرَتْ ... وَعَـنْ قَـلِـيـلٍ تَـلِـدُ الآخِـرَهْ

وله أيضاً:

ابـكِ يَـا نَـفْـسُ وَهَـاتِـي ... تَـوْبَـةً قَـبْـلَ الـمَـمَـاتِ
قَـبْـلَ أَنْ يَـفْـجَـعَـنَـا الـدَّهْـرُ ... بِـبَـيْـنٍ وَشَـتَـاتِ[4]

---

(١) ارتحله الحرص: أي جعله الحرص يرتحل في طلب المزيد.
(٢) التقريع: التوبيخ واللوم. (٣) لبّاث: مقيم.
(٤) الشتات: الفرقة.

لا تَــخُــونِــيــنِــي إذا مِــتُّ وَقَــامَــتْ بــي نُــعَــاتِــي
إنَّــمــا الــوَافِــي بِــعَــهْــدِي مَــنْ وَفَــى بَــعْــدَ وَفَــاتِــي

قال الصولي: نظر ابن المعتز في حياة أبيه الخليفة إلى جارية فأعجبته فمرض من حبّها، فدخل أبوه عليه عائداً فقال له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

أَيُّـهَـا الـعَـاذِلُـونَ لا تَـعْـذِلُـونـي وَانْـظُـروا حُـسْـنَ وَجْـهِـهَـا تَـعْـذرونـي
وَانْـظُـرُوا هَـلْ تَـرَوْنَ أَحْـسَـنَ مِـنْـهَـا إنْ رَأَيْـتُـمْ شَـبِـيـهَـهـا فَـاعْـذِلُـونـي

قال: ففحص الخليفة عن القصة واستعلم خبر الجارية ثم بعث إلى سيدها فاشتراها منه بسبعة آلاف دينار، وبعث بها إلى ولده. وقد تقدم أن في ربيع الأول من هذه السنة اجتمع الأمراء والقضاة على خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتز هذا ولقب بالمرتضى والمنتصف بالله، فما مكث بالخلافة إلا يوماً أو بعض يوم، ثم انتصر المقتدر وقتل غالب من خرج عليه واعتقل ابن المعتز عنده في الدار ووكل به يونس الخادم فقتل في أوائل ربيع الآخر لليلتين خلتا منه، ويقال إنه أنشد في آخر يوم من حياته وهو معتلّ:

يـا نَـفْـسُ صَـبْـراً لَـعَـلَّ الـخَـيْـرَ عُـقْـبَـاكِ خَـانَـتْـكِ مِـنْ بَـعْـدِ طُـولِ الأَمْـنِ دُنْـيَـاكِ
مَـرَّتْ بِـنَـا سَـحَـراً طَـيْـرٌ فَـقُـلْـتُ لَـهَـا طُـوبَـاكِ يَـا لَـيْـتَـنِـي إِيَّـاكِ طُـوبَـاكِ
إنْ كَـانَ قَـصْـدُكِ شَـرْقـاً فَـالـسَّـلامُ عَـلَـى شَـاطِـي الـصَّـرَاةِ ابْـلُـغِـي إنْ كَـانَ مَـسْـرَاكِ
مِـنْ مُـوثَـقٍ بِـالـمَـنَـايَـا لا فَـكَـاكَ لَـهُ يَـبْـكِـي الـدِّمَـاءَ عَـلَـى إِلْـفٍ لَـهُ بَـاكِـي
فَـرُبَّ آمِـنَـةٍ جَـاءَتْ مَـنِـيَّـتُـهَـا وَرُبَّ مُـفْـلِـتَـةٍ مِـنْ بَـيْـنِ أَشْـرَاكِ
أَظُـنُّـهُ آخِـرَ الأَيَّـامِ مِـنْ عُـمُـرِي وَأَوْشَـكَ الـيَـوْمَ أَنْ يَـبْـكِـي لِـيَ الـبَـاكِـي

ولما قُدِّمَ ليقتل أنشأ يقول:

فَـقُـلْ لِـلـشَّـامِـتِـيـنَ بِـنَـا رُوَيْـداً أَمَـامَـكُـمُ الـمَـصَـائِـبُ وَالـخُـطُـوبُ
هُـوَ الـدَّهْـرُ الَّـذِي لا بُـدَّ مِـنْ أَنْ يَـكُـونَ إِلَـيْـكُـمُ مِـنْـهُ ذُنُـوبُ

ثم كان ظهور قتله لليلتين خلتا من ربيع الآخر منها. وقد ذكر له ابن خلكان مصنفات كثيرة، منها طبقات الشعراء وكتاب أشعار الملوك، وكتاب الآداب وكتاب البديع، وكتاب في الغناء وغير ذلك. وذكر أن طائفة من الأمراء خلعوا المقتدر وبايعوه بالخلافة يوماً وليلة، ثم تمزق شمله واختفى في بيت ابن الجصاص الجوهري ثم ظهر عليه فقتل وصودر ابن الجصاص بألفي دينار، وبقي معه ستمائة ألف دينار.

وكان ابن المعتز اسمر اللون مدور الوجه يخضب بالسواد، عاش خمسين سنة، وذكر شيئاً من كلامه وأشعاره رحمه الله.

محمد بن الحسين بن حبيب

أبو حصين الوادعي القاضي، صاحب المسند، من أهل الكوفة، قدم بغداد وحدث

بها عن أحمد بن اليربوعي ويحيى بن عبد الحميد، وجندل بن والق، وعنه ابن صاعد والنجاد والمحاملي، قال الدارقطني: كان ثقة، توفي بالكوفة. محمد بن داود بن الجراح أبو عبد الله الكاتب عم الوزير علي بن عيسى، كان من أعلم الناس بالأخبار وأيام الخلفاء، له مصنفات في ذلك روى عن عمر بن شبة وغيره، كانت وفاته في ربيع الأول منها عن ثلاث وخمسين سنة.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

فيها غزا القاسم بن سيما الصائفة، وفادى يونس الخادم الأسارى الذين بأيدي الروم، وحكى ابن الجوزي عن ثابت بن سنان أنه رأى في أيام المقتدر ببغداد امرأة بلا ذراعين ولا عضدين، وإنما كفّاها ملصقان بكتفيها، لا تستطيع أن تعمل بهما شيئاً، وإنما كانت تعمل برجليها ما تعمله النساء بأيديهن: الغزل والفتل ومشط الرأس وغير ذلك. وفيها تأخرت الأمطار عن بغداد وارتفعت الأسعار بها، وجاءت الأخبار بأن مكة جاءها سيل عظيم غرق أركان البيت، وفاضت زمزم، ولم يرد ذلك قبل هذه السنة.

وحج بالناس الفضل الهاشمي.

وفيها توفي من الأعيان:

محمد بن داود بن علي

أبو بكر الفقيه ابن الفقيه الظاهري، كان عالماً بارعاً أديباً شاعراً فقيهاً ماهراً له كتاب الزهرة اشتغل على أبيه وتبعه في مذهبه ومسلكه وما اختاره من الطرائق وارتضاه، وكان أبوه يحبه ويقربه ويدنيه.

قال رويم بن محمد: كنا يوماً عند داود إذ جاء ابنه هذا باكياً فقال: ما لك؟ فقال: إن الصبيان يلقبونني عصفور الشوك. فضحك أبوه فاشتد غضب الصبي وقال لأبيه: أنت أضر عليّ منهم، فضمه أبوه إليه وقال: لا إله إلا الله، ما الألقاب إلا من السماء ما أنت يا بني إلا عصفور الشوك. ولما توفي أبوه أجلس في مكانه في الحلقة فاستصغره الناس عن ذلك، فسأله سائل يوماً عن حد السكر فقال: إذا غربت عنه الفهوم وباح بسره المكتوم، فاستحسن الحاضرون منه ذلك وعظم في أعين الناس.

قال ابن الجوزي في المنتظم: وقد ابتلي بحب صبي اسمه محمد بن جامع ويقال محمد بن زخرف فاستعمل العفاف والدين في حبه، ولم يزل ذلك دأبه فيه حتى كان سبب وفاته في ذلك. قلت: فدخل في الحديث المروي عن ابن عباس موقوفاً عليه ومرفوعاً عنه: «مَنْ عَشِقَ فَكَتَمَ فَعَفَّ فَمَاتَ مَاتَ شَهِيداً». وقد قيل عنه إنه كان يبيح العشق بشرط العفاف. وحكى هو عن نفسه أنه لم يزل يتعشق منذ كان في الكتّاب وأنه صنف كتاب الزهرة في ذلك من صغره، ورد ما وقف أبوه داود على بعض ذلك، وكان يتناظر هو وأبو العباس بن شريح كثيراً بحضرة القاضي أبي عمر محمد بن يوسف فيعجب الناس من مناظرتهما

وحسنها، وقد قال له ابن شريح يوماً في مناظرته: أنت بكتاب الزهرة أشهر منك بهذا. فقال له: تعيّرني بكتاب الزهرة وأنت لا تحسن تشتم قراءته، وهو كتاب جمعناه هزلاً فاجمع أنت مثله جداً.

وقال القاضي أبو عمر: كنت يوماً أنا وأبو بكر بن داود راكبين فإذا جارية تغني بشيء من شعره:

أَشْكُو إِلَيْكَ فُؤَاداً أَنْتَ مُتْلِفُهُ(١) شَكْوَى عَلِيلٍ إِلَى إِلْفٍ(٢) يُعَلِّلُهُ(٣)
سُقْمِي تَزِيدُ عَلَى الأَيَّامِ كَثْرَتُهُ وَأَنْتَ فِي عُظْمِ مَا أَلْقَى تُقَلِّلُهُ
أَللهُ حَرَّمَ قَتْلِي فِي الهَوَى أَسَفاً وَأَنْتَ يَا قَاتِلِي ظُلْماً تُحَلِّلُهُ

فقال أبو بكر: كيف السبيل إلى استرجاع هذا؟ فقلت: هيهات سار به الركبان. كانت وفاة محمد بن داود رحمه الله في رمضان من هذه السنة، وجلس ابن شريح لعزاه وقال: ما أثني إلا على التراب الذي أكل لسان محمد بن داود رحمه الله.

محمد بن عثمان بن أبي شيبة

أبو جعفر، حدث عن يحيى بن معين وعلي بن المديني وخلق، وعنه ابن صاعد والخلدي والباغندي وغيرهم، وله كتاب في التاريخ وغيره من المصنفات، وقد وثقه صالح بن محمد جزرة وغيره، وكذبه عبد الله ابن الإمام أحمد فقال: هو كذاب بيِّن الأمر، وتعجَّب ممَّا يروى عنه. وكانت وفاته في ربيع الأول منها.

محمد بن طاهر بن عبد الله بن الحسن بن مصعب من بيت الإمارة والحشمة، باشر نيابة العراق مدة ثم خراسان ثم ظفر به يعقوب بن الليث في سنة ثمان وخمسين فأسره وبقي معه يطوف به الآفاق أربع سنين، ثم تخلص منه في بعض الأوقات ونجا بنفسه، ولم يزال مقيماً ببغداد إلى أن توفي في هذه السنة.

موسى بن إسحاق

ابن موسى بن عبد الله أبو بكر الأنصاري الخطمي، مولده سنة عشر ومائتين، سمع أباه وأحمد بن حنبل وعلي بن الجعد وغيرهم، وحدث عنه الناس وهو شاب وقرؤوا عليه القرآن، وكان ينتحل مذهب الشافعي، وولي قضاء الريّ والأهواز، وكان ثقةً فاضلاً عفيفاً فصيحاً كثير الحديث. توفي في المحرم منها.

يوسف بن يعقوب

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد والد القاضي أبي عمر، وهو الذي قتل الحلاج كان يوسف هذا من أكابر العلماء وأعيانهم، ولد سنة ثمان ومائتين، وسمع سليمان بن حرب

---

(١) متلفه: مهلكه. (٢) الإلف: الحبيب والصاحب. (٣) يعلله: يواسيه.

وعمرو بن مرزوق وهدبة ومسدداً، وكان ثقة ولي قضاء البصرة وواسط والجانب الشرقي من بغداد، وكان عفيفاً شديد الحرمة نزهاً، جاءه يوماً بعض خدم الخليفة المعتضد فترفع في المجلس على خصمه فأمره حاجب القاضي أن يساوي خصمه فامتنع إدلالاً بجاهه عنده، فزبره[1] القاضي وقال: ائتوني بدلال النخس حتى أبيع هذا العبد وأبعث بثمنه إلى الخليفة، وجاء حاجب القاضي فأخذه بيده وأجلسه مع خصمه، فلما انقضت الحكومة رجع الخادم إلى المعتضد فبكى بين يديه فقال له: ما لك؟ فأخبره بالخبر، وما أراد القاضي من بيعه، فقال: والله لو باعك لأجزت بيعه ولما استرجعتك أبداً، فليس خصوصيتك عندي تزيل مرتبة الشرع فإنه عمود السلطان وقوام الأديان، كانت وفاته في رمضان منها.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

فيها قدم القاسم بن سيما من بلاد الروم فدخل بغداد ومعه الأسارى والعلوج[2] بأيديهم أعلام عليها صلبان من ذهب، وخلق من الأسارى. وفيها قدمت هدايا نائب خراسان أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني، من ذلك مائة وعشرون غلاماً بحرابهم وأسلحتهم وما يحتاجون إليه، وخمسون بازاً وخمسون جملاً تحمل من مرتفع الثياب، وخمسون رطلاً من مسك وغير ذلك. وفيها فلج القاضي عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، فقلّد مكانه على الجانب الشرقي والكرخ ابنه محمد. وفيها في شعبان أخذ رجلان يقال لأحدهما: أبو كبيرة والآخر يعرف بالسمري. فذكروا أنهما من أصحاب رجل يقال له محمد بن بشر، وأنه يدَّعي الربوبية، وفيها وردت الأخبار بأن الروم قصدت اللاذقية. وفيها وردت الأخبار بأن ريحاً صفراء هبت بمدينة الموصل فمات من حرها بشر كثير. وفيها حج بالناس الفضل الهاشمي. وفيها توفي من الأعيان:

ابن الراوندي [لعنه الله أحمد بن يحيى بن إسحاق المعروف بابن الراوندي][3]

أحد مشاهير الزنادقة [الملحدين عليه اللعنة من رب العالمين][4]، كان أبوه يهودياً فأظهر الإسلام، ويقال إنه حرّف في التوراة كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه، وصنف كتاباً في الرد على القرآن سماه الدامغ. وكتاباً في الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه الزمردة. وكتاباً يقال له التاج في معنى ذلك، وله كتاب الفريد وكتاب إمامة المفضول الفاضل. وقد انتصب للرد على كتبه هذه جماعة منهم الشيخ أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة في زمانه، وقد أجاد في ذلك. وكذلك ولده أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي.

قال الشيخ أبو علي: قرأت كتاب هذا الملحد الجاهل السفيه ابن الراوندي فلم أجد فيه إلا السفه والكذب والافتراء، قال: وقد وضع كتاباً في قدم العالم ونفي الصانع،

(١) زبره: انتهره، زجره.
(٢) العلوج: الكفار.
(٣) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٤) سقط في ط.

وتصحيح مذهب الدهرية والرد على أهل التوحيد، ووضع كتاباً في الرد على محمد رسول الله ﷺ في سبعة عشر موضعاً، ونسبه إلى الكذب ـ يعني النبي ﷺ ـ وطعن على القرآن، ووضع كتاباً لليهود والنصارى وفضل دينهم على المسلمين والإسلام، يحتج لهم فيها على إبطال نبوة محمد ﷺ، إلى غير ذلك من الكتب التي تبين خروجه عن الإسلام. نقل ذلك ابن الجوزي عنه. وقد أورد ابن الجوزي في منتظمه طرفاً من كلامه وزندقته وطعنه على الآيات والشريعة. ورد عليه في ذلك، وهو أقل وأخس وأذل من أن يلتفت إليه وإلى جهله وكلامه وهذيانه وسفهه وتمويهه. وقد أسند إليه حكايات من المسخرة والاستهتار والكفر والكبائر، منها ما هو صحيح عنه ومنها ما هو مفتعل عليه ممن هو مثله، وعلى طريقه ومسلكه في الكفر والتستر في المسخرة، يخرجونها في قوالب مسخرة وقلوبهم مشحونة بالكفر والزندقة، وهذا كثير موجود فيمن يدعي الإسلام وهو منافق، يتمسخرون بالرسول ودينه وكتابه، وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

وقد كان أبو عيسى الوراق مصاحباً لابن الراوندي قبَّحهما الله، فلما علم الناس بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى فأودع السجن حتى مات. وأما ابن الراوندي فهرب فلجأ إلى ابن لاوي اليهودي، وصنَّف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سماه «الدامغ للقرآن» فلم يلبث بعده إلا أياماً يسيرة حتى مات لعنه الله. ويقال: إنه أخذ وصلب. قال أبو الوفاء بن عقيل: ورأيت في كتاب محقق أنه عاش ستاً وثلاثين سنة مع ما انتهى إليه من التوغل في المخازي في هذا العمر القصير لعنه الله وقبَّحه ولا رحم عظامه.

وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات وقلس[1] عليه ولم يخرجه بشيء، ولا كأن الكلب أكل له عجيناً، وعلى عادته في العلماء والشعراء، فالشعراء يطيل تراجمهم، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم. وأرخ ابن خلكان تاريخ وفاته في سنة خمس وأربعين ومائتين، وقد وهم وهماً فاحشاً، والصحيح أنه توفي في هذه السنة كما أرخه ابن الجوزي وغيره.

وفيها توفي:

الجنيد بن محمد بن الجنيد

أبو القاسم الخزاز، ويقال له القواريري، أصله من نهاوند، وولد ببغداد ونشأ بها. وسمع الحديث من الحسين بن عرفة. وتفقه بأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، وكان يفتي بحضرته وعمره عشرون سنة، وقد ذكرناه في طبقات الشافعية، واشتهر بصحبة الحارث المحاسبي، وخاله سري السقطي، ولازم التعبد، ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة.

(١) في ط: دلس.

وتكلم على طريقة الصوفية. وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة، وثلاثين ألف تسبيحة. ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش، ففتح عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره في زمانه، وكان يعرف سائر فنون العلم، وإذا أخذ فيها لم يكن له فيها وقفة ولا كبوة[1]، حتى كان يقول في المسألة الواحدة وجوهاً كثيرة لم تخطر للعلماء ببال، وكذلك في التصوف وغيره ولما حضرته الوفاة جعل يصلي ويتلو القرآن، فقيل له: لو رفقت بنفسك في مثل هذا الحال؟ فقال: لا أحد أحوج إلى ذلك مني الآن، وهذا أوان طيّ صحيفتي.

قال ابن خلكان: أخذ الفقه عن أبي ثور ويقال: كان يتفقه على مذهب سفيان الثوري، وكان ابن سريج يصحبه ويلازمه، وربما استفاد منه أشياء في الفقه لم تخطر له ببال، ويقال: إنه سأله مرة عن مسألة، فأجابه فيها بجوابات كثيرة، فقال يا أبا القاسم: لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت، فأعدها علي، فأعادها بجوابات أخرى كثيرة. فقال: والله ما سمعت هذا قبل اليوم، فأعده. فأعاده بجوابات أخرى غير ذلك، فقال له: لم أسمع بمثل هذا فأمله عليّ حتى أكتبه. فقال الجنيد: لئن كنت أجريه فأنا أمليه، أي إن الله هو الذي يجري ذلك على قلبي وينطق به لساني، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلم، وإنما هذا من فضل الله عزَّ وجلَّ يلهمنيه ويجريه على لساني. فقال: فمن أين استفدت هذا العلم؟ قال: من جلوسي بين يدي الله أربعين سنة. والصحيح أنه كان على مذهب سفيان الثوري وطريقه والله أعلم.

وسئل الجنيد عن العارف؟ فقال: من نطق عن سرك وأنت ساكت. وقال: مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في مذهبنا وطريقتنا. ورأى بعضهم معه مسبحة فقال له: أنت مع شرفك تتخذ مسبحة؟ فقال: طريق وصلت به إلى الله لا أفارقه. وقال له خاله سري: تكلم على الناس، فلم ير نفسه لذلك موضعاً. فرأى في المنام رسول الله ﷺ وهو يقول: تكلم على الناس. فغدا على خاله فقال له: لم تسمع مني حتى قال لك رسول الله ﷺ فتكلم على الناس، فجاءه يوماً شاب نصراني في صورة مسلم، فقال له: يا أبا القاسم ما معنى قول النبي ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله»؟ فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه إليه وقال: أسلم فقد آن لك أن تسلم قال فأسلم الغلام.

وقال الجنيد: ما انتفعت بشيء انتفاعي بأبيات سمعتها من جارية تغني بها في غرفة وهي تقول:

إِذَا قُلْتُ: أَهْدَى الهَجْرُ لي حُلَلَ البِلَى ... تَقُولِينَ: لَوْلا الهَجْرُ لَمْ يَطِبِ الحُبُّ
وَإِنْ قُلْتُ: هٰذا القَلْبُ أَحْرَقَهُ الجَوَى ... تَقُولِينَ لي: إن بالجَوَى شَرَفُ القَلْبِ[2]
وَإِنْ قُلْتُ: ما أَذْنَبْتُ، قَالَتْ مُجِيبَةً: ... حَيَاتُكَ ذَنْبٌ لا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ

(١) الكبوة: الذلة والعثرة.
(٢) الجوى: حرقة الشوق.

قال: فصعقت وصحت، فخرج صاحب الدار فقال: يا سيدي ما لك؟ قلت: مما سمعت. قال هي هبة مني إليك. فقلت: قد قبلتها وهي حرة لوجه الله. ثم زوجتها لرجل، فأولدها ولداً صالحاً حج على قدميه ثلاثين حجة.

وفيها توفي:

سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور أبو عثمان الواعظ

ولد بالريّ، ونشأ بها، ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن مات بها، وقد دخل بغداد. وكان يقال إنه مجاب الدعوة. قال الخطيب: أخبرنا عبد الكريم بن هوازن قال سمعت أبا عثمان يقول: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حالة فكرهتها، ولا نقلني إلى غيره فسخطتها. وكان أبو عثمان ينشد:

أَسَأْتُ وَلَمْ أُحْسِنْ، وَجِئْتُكَ هَارِباً ... وَأَيْنَ لِعَبْدٍ عَنْ مَوَالِيهِ مَهْرَبُ؟
يُؤَمِّلُ غُفْرَاناً، فَإِنْ خَابَ ظَنُّهُ ... فَمَا أَحَدٌ مِنْهُ عَلَى الأَرْضِ أَخْيَبُ

وروى الخطيب أنه سئل: أي أعمالك أرجى عندك؟ فقال: إني لما ترعرعت وأنا بالريّ وكانوا يريدونني على التزويج فأمتنع، فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حباً أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلّب القلوب وأتوسل به إليك إلاّ تزوجتني. فقلت: أَلك والد؟ فقالت: نعم. فأحضرته فاستدعى بالشهود فتزوجتها، فلما خلوت بها إذ هي عوراء عرجاء شوهاء مشوهة الخلق، فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي، وكان أهل بيتي يلومونني على تزويجي بها، فكنت أزيدها براً وإكراماً، وربما احتبستني عندها ومنعتني من الحضور إلى بعض المجالس، وكأني كنت في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها من ذلك شيئاً. فمكثت كذلك خمس عشرة سنة، فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي.

وفيها توفي:

سمنون بن حمزة

ويقال ابن عبد الله، أحد مشايخ الصوفية، كان ورده في كل يوم وليلة خمسمائة ركعة، وسمى نفسه سمنوناً الكذاب لقوله:

فَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ ... فَكَيْفَمَا شِئْتَ فَامْتَحِنِّي

فابتلي بحصر البول فكان يطوف على المكاتب ويقول للصبيان: ادعوا لعمكم الكذاب. وكان له كلام متين في المحبة، ووسوس في آخر عمره، وله كلام في المحبة مستقيم.

وفيها توفي:

صافي الحربي

كان من أكابر أمراء الدولة العباسية. أوصى في مرضه أن ليس له عند غلامه القاسم

شيء فلما مات حمل غلامه القاسم إلى الوزير مائة ألف دينار وسبعمائة وعشرين منطقة من الذهب مكللة، فاستمروا به على إمرته ومنزلته.

إسحاق بن حنين بن إسحاق

أبو يعقوب العبادي ـ نسبة إلى قبائل الجزيرة ـ الطبيب بن الطبيب، له ولأبيه مصنفات كثيرة في هذا الفن، وكان أبوه يعرب كلام أرسطاطاليس وغيره من حكماء اليونان. توفي في هذه السنة.

الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا

أبو عبد الله الشيعي، الذي أقام الدعوة للمهدي، وهو عبد الله بن ميمون الذي يزعم أنه فاطمي وقد زعم غير واحد من أهل التاريخ أنه كان يهودياً صباغاً بسلمية، والمقصود الآن: أن أبا عبد الله الشيعي هذا دخل بلاد إفريقية وحده فقيراً لا مال له ولا رجال، فلم يزل يعمل الحيلة حتى انتزع الملك من يدي أبي نصر زيادة الله، آخر ملوك بني الأغلب على بلاد إفريقية، واستدعى حينئذٍ مخدومه المهدي من بلاد المشرق، فقدم فلم يخلص إليه إلا بعد شدائد طوال، وحبس في أثناء الطريق فاستنقذه هذا الشيعي وسلَّمه من الهلكة، فندمه أخوه أحمد وقال له: ماذا صنعت؟ وهلا كنت استبددت بالأمر دون هذا؟ فندم وشرع يعمل الحيلة في المهدي، فاستشعر المهدي بذلك فدس إليهما من قتلهما في هذه السنة بمدينة رقادة من بلاد القيروان، من إقليم إفريقية. هذا ملخص ما ذكره ابن خلكان.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين

قال ابن الجوزي: وفيها ظهرت ثلاثة كواكب مذنبة. أحدها في رمضان، والثاني في ذي القعدة تبقى أياماً ثم تضمحل. وفيها وقع طاعون بأرض فارس مات فيه سبعة آلاف إنسان. وفيها غضب الخليفة على الوزير علي بن محمد بن الفرات وعزله عن الوزارة وأمر بنهب داره فنهبت أقبح نهب، واستوزر أبا علي محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان، وكان قد التزم لأم ولد المعتضد بمائة ألف دينار، حتى سعت في ولايته. وفيها وردت هدايا كثيرة من الأقاليم من ديار مصر وخراسان وغيرها، من ذلك خمسمائة ألف دينار من مصر استخرجت من كنز وجد هناك من غير موانع كما يدعيه كثير من جهلة العوام وغيرهم من ضعيفي الأحلام، مكراً وخديعة ليأكلوا أموال الطغام والعوام أهل الطمع والآثام، وقد وجد في هذا الكنز ضلع إنسان طوله أربعة أشبار[1] وعرضه شبر، وذكر أنه من قوم عاد فالله أعلم. وكان من جملة هدية مصر تيس له ضرع يحلب لبناً. ومن ذلك بساط أرسله ابن أبي الساج في جملة هداياه، طوله سبعون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً، عمل في عشر سنين لا

(١) في المصرية: أربعة عشر شبراً.

قيمة له، وهدايا فاخرة أرسلها أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني من بلاد خراسان كثيرة جداً. وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك العباسي أمير الحجيج من مدة طويلة. وفيها توفي من الأعيان.

أحمد بن نصر بن إبراهيم أبو عمرو الخفاف

الحافظ. كان يذاكر بمائة ألف حديث، سمع إسحاق بن راهويه وطبقته، وكان كثير الصيام سرده نيفاً وثلاثين سنة، وكان كثير الصدقة، سأله سائل فأعطاه درهمين فحمد الله فجعلها خمسة، فحمد الله فجعلها عشرة، ثم ما زال يزيده ويحمد السائل الله حتى جعلها مائة. فقال: جعل الله عليك واقية باقية فقال للسائل: والله لو لزمت الحمد لأزيدنك ولو إلى عشرة آلاف درهم.

البهلول بن إسحاق بن البهلول

ابن حسان بن سنان أبو محمد التنوخي، سمع إسماعيل بن أبي أويس وسعيد بن منصور ومصعباً الزبيري وغيرهم، وعنه جماعة آخرهم أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني الحافظ، وكان ثقة حافظاً ضابطاً بليغاً فصيحاً في خطبه. توفي فيها عن خمس وتسعين سنة.

[الحسن][(١)] بن عبد الله بن أحمد أبو علي الخرقي

صاحب المختصر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. كان خليفة للمروذي. توفي يوم عيد الفطر ودفن عند قبر الإمام أحمد بن حنبل.

محمد بن إسماعيل أبو عبد الله المغربي

حج على قدميه سبعاً وتسعين حجة، وكان يمشي في الليل المظلم حافياً كما يمشي الرجل في ضوء النهار، وكان المشاة يأتمون به فيرشدهم إلى الطريق، وقال: ما رأيت ظلمة منذ سنين كثيرة، وكانت قدماه مع كثرة مشيه كأنهما قدما عروس مترفة، وله كلام مليح نافع ولما مات أوصى أن يدفن إلى جانب شيخه علي بن رزين، فهما على جبل الطور.

[قال أبو نعيم: كان أبو عبد الله المغربي من المعمرين، توفي عن مائة وعشرين سنة، وقبره بجبل طورسينا عند قبر أستاذه علي بن رزين.

قال أبو عبد الله: أفضل الأعمال عمارة الأوقاف. وقال: الفقير هو الذي لا يرجع إلى مستند في الكون غير الالتجاء إلى من إليه فقره ليعينه بالاستعانة كما عززه بالافتقار إليه. وقال: أعظم الناس ذلاً فقير داهن غنياً وتواضع له، وأعظم الناس عزاً غني تذلل لفقير أو حفظ حرمته][(٢)].

---

(١) في ط: الحسين.

(٢) ما بين معقوفين زيادة من النسخة المصرية.

محمد بن أبي بكر بن أبي خثيمة

أبو عبد الله الحافظ ابن الحافظ كان أبوه يستعين به في جمع التاريخ، وكان فهماً حاذقاً حافظاً، توفي في ذي القعدة منها..

محمد بن أحمد بن كيسان النحوي

أحد حفاظه والمكثرين منه، كان يحفظ طريقة البصريين والكوفيين معاً.

قال ابن مجاهد: كان ابن كيسان أنحى من الشيخين المبرد وثعلب.

محمد بن يحيى

أبو سعيد، سكن دمشق، روى عن إبراهيم بن سعد الجوهري، وأحمد بن منيع، وابن أبي شيبة وغيرهم، روى عنه أبو بكر النقاش وغيره، وكان محمد بن يحيى هذا يدعى بحامل كفنه، وذلك ما ذكره الخطيب قال: بلغني أنه توفي فغسل وكفن وصلّي عليه ودفن، فلما كان الليل جاء نباش ليسرق كفنه ففتح عليه قبره. فلما حل عنه كفنه استوى جالساً وفرَّ النباش هارباً من الفزع، ونهض محمد بن يحيى هذا فأخذ كفنه معه وخرج من القبر وقصد منزله فوجد أهله يبكون عليه، فدق عليهم الباب فقالوا: من هذا؟ فقال: أنا فلان. فقالوا: يا هذا لا يحل لك أن تزيدنا حزناً إلى حزننا. فقال: افتحوا والله أنا فلان، فعرفوا صوته لما رأوه فرحوا به فرحاً شديداً وأبدل الله حزنهم سروراً. ثم ذكر لهم ما كان من أمره وأمر النباش. وكأنه قد أصابته سكتة ولم يكن قد مات حقيقة فقدر الله بحوله وقوته أن بعث له هذا النباش ففتح عليه قبره، فكان ذلك سبب حياته، فعاش بعد ذلك عدة سنين، ثم كانت وفاته في هذه السنة.

فاطمة القهرمانة

غضب عليها المقتدر مرة فصادرها، وكان في جملة ما أخذ منها مائتي ألف دينار ثم غرقت في طيارة لها في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاثمائة من الهجرة

فيها كثر ماء دجلة وتراكمت الأمطار ببغداد، وتناثرت نجوم كثيرة في ليلة الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة. وفيها كثرت الأمراض ببغداد والأسقام وكلبت الكلاب حتى الذئاب بالبادية. وكانت تقصد الناس بالنهار فمن عضته أكلبته. وفيها انحسر جبل بالدينور يعرف بالتل فخرج من تحته ماء عظيم غرّق عدة من القرى. وفيها سقطت شرذمة ـ أي قطعة ـ من جبل لبنان إلى البحر. وفيها حملت بغلة ووضعت مهرة، وفيها صلب الحسين بن منصور الحلاج وهو حي أربعة أيام، يومين في الجانب الشرقي، ويومين في الجانب الغربي، وذلك في ربيع الأول منها. وحج بالناس أمير الحجيج المتقدم ذكره في السنين قبلها وهو الفضل بن عبد الملك الهاشمي العباسي أثابه الله وتقبل منه..

وفيها توفي من الأعيان.

الأحوص بن الفضل

ابن معاوية بن خالد بن غسان أبو أمية الغلابي القاضي بالبصرة وغيرها، روى عن أبيه التاريخ، استتر مرة عنده ابن الفرات فلما أعيد إلى الوزارة ولاّه قضاء البصرة والأهواز وواسط. وكان عفيفاً نزهاً، فلما نكب ابن الفرات قبض عليه نائب البصرة فأودعه السجن فلم يزل به حتى مات فيه فيها.

قال ابن الجوزي: ولا نعلم قاضياً مات في السجن سواه.

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ابن الحسين بن مصعب أبو أحمد الخزاعي، ولي إمرة بغداد. وحدث عن الزبير بن بكار وعنه الصولي والطبراني، وكان أديباً فاضلاً، ومن شعره:

حَقُّ التَّنَائِي بَيْنَ أَهْلِ الهَوَى ... تَكَاتُبٌ يُسْخِنُ عَيْنَ النَّوَى
وَفِي التَّدَانِي لا انْقَضَى عُمْرُهُ ... تَزَاوُرٌ يَشْفِي غَلِيلَ الجَوَى

واتفق له مرة أن جارية له مرضت فاشتهت ثلجاً. وكانت حظية عنده، فلم يوجد الثلج إلا عند رجل، فساومه وكيله على رطل منه فامتنع من بيعه إلا كل رطل بالعراقي بخمسة آلاف درهم - وذلك لعلم صاحب الثلج بحاجتهم إليه - فرجع الوكيل ليشاوره فقال: ويحك! اشتره ولو بما عساه أن يكون، فرجع إلى صاحب الثلج فقال: لا أبيعه إلا بعشرة آلاف. فاشتراه بعشرة آلاف ثم اشتهت الجارية ثلجاً أيضاً - وذلك لموافقته لها - فرجع فاشترى منه رطلاً آخر بعشرة آلاف. ثم آخر بعشرة آلاف وبقي عند صاحب الثلج رطلان فنطفت نفسه إلى أكل رطل منه ليقول: أكلت رطلاً من الثلج بعشرة آلاف. فأكله وبقي عنده رطل فجاءه الوكيل فامتنع أن يبيعه الرطل إلا بثلاثين ألفاً فاشتراه منه فشفيت الجارية وتصدّقت بمال جزيل فاستدعى سيدها صاحب الثلج فأعطاه من تلك الصدقة مالاً جزيلاً فصار من أكثر الناس مالاً بعد ذلك، واستخدمه ابن طاهر عنده والله أعلم.

[وممن توفي في حدود الثلاثمائة من الهجرة].

الصنوبري الشاعر

وهو محمد بن أحمد بن محمد بن مراد أبو بكر الضبي الصنوبري الحنبلي. قال الحافظ ابن عساكر. كان شاعراً محسناً. وقد حكى عن علي بن سليمان الأخفش، ثم ذكر أشياء من لطائف شعره فمن ذلك قوله:

لا النَّومُ أدرِي بِهِ وَلا الأَرَقُ ... يَدْرِي بِهٰذَيْنِ مَنْ بِهِ رَمَقُ[1]

(١) الرمق: بقية الروح.

إنَّ دُمُوعِيَ مِنْ طُولِ ما اسْتَبَقَتْ كَلَّتْ فَمَا تَسْتَطِيعُ تَسْتَبِقُ
وَلِي مَلِكٌ لم تَبْدُ صُورَتُهُ مُذْ كَانَ إلاّ صَلَّتْ لَهُ الحَدَقُ
نَوَيْتُ تَقْبِيلَ نَارِ وَجْنَتِهِ وَخِفْتُ أَدْنُو مِنْهَا فَأَحْتَرِقُ

وله أيضاً:

شَمْسٌ غَدَا يُشْبِهُ شَمْساً غَدَتْ وَخَدُّهَا فِي النُّورِ مِنْ خَدِّهِ
تَغِيبُ فِي فِيهِ وَلٰكِنَّهَا مِنْ بَعْدِ ذا تَطْلُعُ فِي خَدِّهِ

وقد روى الحافظ البيهقي عن شيخه الحاكم عن أبي الفضل نصر بن محمد الطوسي قال: أنشدنا أبو بكر الصنوبري فقال:

هَدَمَ الشَّيْبُ ما بَنَاهُ الشَّبَابُ وَالغَوَانِي مَا عَصَيْنَ خِضَابُ
قُلِبَ الآبَنُوسُ عَاجاً فَلِلاَ عَيْنِ مِنْهُ وَلِلْقُلُوب انْقِلاَبُ
وَضَلالٌ فِي الرَّأيِ أَنْ يُشْنَأَ[1] البَازِي عَلَى حُسْنِهِ وَيُهْوَى الغُرَابُ

وله أيضاً وقد أورده ابن عساكر في ابن له فطم فجعل يبكي على ثديه:

مَنَعُوهُ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الوَرَى وَمِنْ وَالِدَيْهِ
مَنَعُوهُ غِذَاهُ وَلَقَدْ كَانَ مُبَاحاً لَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ
عَجَباً لَهُ عَلَى صِغَرِ السِّنِّ هَوَى فَاهْتَدَى الفِرَاقُ إِلَيْهِ

إبراهيم بن أحمد بن محمد

ابن المولد، أبو إسحاق الصوفي الواعظ الرقي أحد مشايخها، روى الحديث وصحب. أبا عبد الله بن الجلاء الدمشقي، والجنيد وغير واحد. وروى عنه تمام بن محمد وأبو عبد الرحمن السلمي. وقد أورد ابن عساكر من شعره قوله:

لَكِ مِنِّي عَلَى البِعَادِ نَصِيبُ لَمْ يَنَلْهُ عَلَى الدُّنُوِّ حَبِيبُ
وَعَلى الطَّرْفِ مِنْ سِوَاكِ حِجَابٌ وَعَلَى القَلْبِ مِنْ هَوَاكِ رَقِيبُ
زِينَ فِي نَاظِرِي هَوَاكِ وقَلْبِي وَالهَوَى فِيهِ رائعٌ ومشوبُ[2]
كيفَ يغني قربُ الطبيبِ عليلاً أنتِ أسقمتهِ وأنتِ الطبيبُ

وقوله:

الصَّمْتُ أَمْنٌ مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ مَنْ نَالَهُ نَالَ أَفْضَلَ الغنمِ
مَا نَزَلَتْ بِالرِّجَالِ نَازِلَةٌ أَعْظَمُ ضَرّاً مِنْ لَفْظَةِ النَّعَمِ
عَثْرَةُ هٰذا اللِّسَانِ مُهْلِكَةٌ لَيْسَتْ لَدَيْنَا كَعَثْرَةِ القَدَمِ

---

(١) يشنأ: يبغض.

(٢) مشوب: ممزوج، غير صاف.

احْـفَـظْ لِسَـانـاً يُـلْـقِـيـكَ فـي تَـلَـفٍ فَـــــرُبَّ قَـــــوْلٍ أَذَلَّ ذَا كَـــــرَمِ

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمائة [من الهجرة النبوية على صاحبها السلام](١)

فيها غزا الحسين بن حمدان الصائفة ففتح حصوناً كثيرة من بلاد الروم وقتل منها أمماً لا يحصون كثرة. وفيها عزل المقتدر محمد بن عبد الله عن وزارته وقلّدها عيسى بن علي وكان من خيار الوزراء وأقصدهم للعدل والإحسان، واتباع الحق. وفيها كثرت الأمراض الدموية ببغداد في تموز وآب، فمات من ذلك خلق كثير من أهلها. وفيها وصلت هدايا صاحب عمان ومن جملتها بغلة بيضاء وغزال أسود. وفي شعبان منها ركب المقتدر إلى باب الشماسية على الخيل ثم انحدر إلى داره في دجلة ـ وكانت أول ركبة ركبها جهرة للعامة ـ وفيها استأذن الوزير علي بن عيسى الخليفة المقتدر في مكاتبة رأس القرامطة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي فأذن له، فكتب كتاباً طويلاً يدعوه فيه إلى السمع والطاعة، ويوبخه على ما يتعاطاه من ترك الصلاة والزكاة وارتكاب المنكرات، وإنكارهم على من يذكر الله ويسبحه ويحمده، واستهزائهم بالدين واسترقاقهم الحرائر، ثم توعده بالحرب وتهدده بالقتل، فلما سار بالكتاب نحوه قتل أبو سعيد قبل أن يصله، قتله بعض خدمه، وعهد بالأمر من بعده لولده سعيد، فغلبه على ذلك أخوه أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد، فلما قرأ كتاب الوزير أجابه بما حاصله: إن هذا الذي تنسب إلينا مما ذكرتم لم يثبت عندكم إلا من طريق من يشنع علينا، وإذا كان الخليفة ينسبنا إلى الكفر بالله فكيف يدعونا إلى السمع والطاعة له؟ وفيها جيء بالحسين بن منصور الحلاج إلى بغداد وهو مشهور على جمل وغلام له راكب جملاً آخر، ينادي عليه: أحد دعاة القرامطة فاعرفوه، ثم حبس ثم جيء به إلى مجلس الوزير فناظره فإذا هو لا يقرأ القرآن ولا يعرف من الحديث ولا الفقه شيئاً، ولا في اللغة ولا في الأخبار ولا في الشعر شيئاً، وكان الذي نقم عليه: أنه وجدت له رقاع يدعو فيها الناس إلى الضلالة والجهالة بأنواع من الرموز، يقول في مكاتباته كثيراً: تبارك ذو النور الشعشعاني. فقال له الوزير: تعلمك الطهور والفروض أجدى عليك من رسائل لا تدري ما تقول فيها، وما أحوجك إلى الأدب. ثم أمر به فصلب حياً صلب الاشتهار لا القتل، ثم أنزل فأجلس في دار الخلافة، فجعل يظهر لهم أنه على السنة، وأنه زاهد، حتى اغتر به كثير من الخدام وغيرهم من أهل دار الخلافة من الجهلة، حتى صاروا يتبركون به ويتمسحون بثيابه. وسيأتي ما صار إليه أمره حين قتل بإجماع الفقهاء وأكثر الصوفية. ووقع في هذه السنة في آخرها ببغداد وباء شديد جداً مات بسببه بشر كثير، ولا سيما بالحربية غلقت عامة دورها. وحج بالناس فيها الأمير المتقدم ذكره.

---

(١) سقط في ط.

وفيها توفي من الأعيان:

إبراهيم بن خالد الشافعي

جمع العلم والزهد، وهو من تلاميذ أبي بكر الإسماعيلي.

جعفر بن محمد

ابن الحسين بن المستفاض أبو بكر الفريابي قاضي الدينور، طاف البلاد في طلب العلم، وسمع الكثير من المشايخ الكثيرين، مثل قتيبة وأبي كريب وعلي بن المديني، وعنه أبو الحسين بن المنادى والنجاد وأبو بكر الشافعي وخلق، واستوطن بغداد وكان ثقة حافظاً حجة، وكان عدة من يحضر مجلسه نحواً من ثلاثين ألفاً، والمستملون عليه منهم فوق الثلاثمائة، وأصحاب المحابر نحواً من عشرة آلاف. توفي في المحرم منها عن أربع وتسعين سنة، وكان قد حفر لنفسه قبراً قبل وفاته بخمس سنين، وكان يأتيه فيقف عنده. ثم لم يقض له الدفن فيه بل دفن بمكان آخر. رحمه الله حيث كان.

أبو سعيد الجنابي القرمطي

وهو الحسن بن بهرام قبّحه الله وهو رأس القرامطة، والذي يعول عليه في بلاد البحرين وما والاها.

(علي بن أحمد الراسبي)

كان يلي بلاد واسط إلى شهرزور وغير ذلك، وقد خلف من الأموال شيئاً كثيراً، فمن ذلك ألف ألف دينار، ومن آنية الذهب والفضة نحو مائة ألف دينار، ومن البقر ألف ثور ومن الخيل والبغال والجمال ألف رأس.

محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن أبي الشوارب

يعرف بالأحنف. كان قد ولي قضاء مدينة المنصور نيابة عن أبيه حين فلج، مات في جمادى الأولى منها. وتوفي أبوه في رجب منها بينهما ثلاثة وسبعون يوماً، ودفنا في موضع واحد.

أبو بكر محمد بن هارون البردعي الحافظ ابن ناجية والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثمائة

فيها ورد كتاب مؤنس الخادم بأنه قد أوقع بالروم بأساً شديداً، وقد أسر منهم مائة وخمسين بطريقاً ـ أي أميراً ـ ففرح المسلمون بذلك... وفيها ختن المقتدر خمسة من أولاده فغرم على ختانهم ستمائة ألف دينار، وقد ختن قبلهم ومعهم خلقاً من اليتامى وأحسن إليهم بالمال والكساوى، وهذا صنيع حسن إن شاء الله. وفيها صادر المقتدر أبا علي بن الجصاص بستة عشر ألف ألف دينار غير الآنية والثياب الثمينة. وفيها أدخل الخليفة أولاده

إلى المكتب وكان يوماً مشهوداً. وفيها بنى الوزير المارستان بالحربية من بغداد، وأنفق عليه أموالاً جزيلة، جزاه الله خيراً. وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي. وقطعت الأعراب وطائفة من القرامطة الطريق على الراجعين من الحجيج، وأخذوا منهم أموالاً كثيرة، وقتلوا منهم خلقاً وأسروا أكثر من مائتي امرأة حرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون..

وفيها توفي من الأعيان:

بشر بن نصر بن منصور

أبو القاسم الفقيه الشافعي، من أهل مصر يعرف بغلام عَرَق، وعرق خادم من خدام السلطان كان يلي البريد، فقدم معه بهذا الرجل مصر فأقام بها حتى مات بها.

بدعة جارية عريب المغنية، بذل لسيدتها فيها مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار من بعض من رغب فيها من الخلفاء فعرض ذلك عليها فكرهت مفارقة سيدتها، فأعتقتها سيدتها في موتها، وتأخرت وفاتها إلى هذه السنة، وقد تركت من المال العين والأملاك ما لم يملكه رجل.

القاضي أبو زرعة محمد بن عثمان الشافعي

قاضي مصر ثم دمشق، وهو أول من حكم بمذهب الشافعي بالشام وأشاعه بها، وقد كان أهل الشام على مذهب الأوزاعي من حين مات إلى هذه السنة. وثبت على مذهب الأوزاعي بقايا كثيرة لم يفارقوه، وكان ثقة عدلاً من سادات القضاة، وكان أصله من أهل الكتاب من اليهود، ثم أسلم وصار إلى ما صار إليه، وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمائة

فيها وقف المقتدر بالله أموالاً جزيلة وضياعاً على الحرمين الشريفين، واستدعى بالقضاة والأعيان، وأشهدهم على نفسه بما وقفه من ذلك. وفيها قدم إليه بجماعة من الأسارى من الأعراب الذين كانوا قد اعتدوا على الحجيج، فلم يتمالك العامة أن اعتدوا عليهم فقتلوهم، فأخذ بعضهم فعوقب لكونه افتات على السلطان[1]. وفيها وقع حريق شديد في سوق النجارين ببغداد فأحرق السوق بكماله، وفي ذي الحجة منها مرض المقتدر ثلاثة عشر يوماً، ولم يمرض في خلافته مع طولها إلا هذه المرضة. وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي، ولما خاف الوزير على الحجاج القرامطة كتب إليهم رسالة ليشغلهم بها، فاتهمه بعض الكتاب بمراسلته القرامطة، فلما انكشف أمره وما قصده حظي بذلك عند الناس جداً. وممن توفي من الأعيان:

النسائي أحمد بن علي

ابن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي صاحب

(١) افتات على السلطان: استبدّ به أو اختلف باطلاً عليه.

السنن، الإمام في عصره والمقدم على أضرابه وأشكاله وفضلاء دهره، رحل إلى الآفاق، واشتغل بسماع الحديث والاجتماع بالأئمة الحذاق، ومشايخه الذين روى عنهم مشافهة. قد ذكرناهم في كتابنا التكميل وترجمناه أيضاً هنالك، وروى عنه خلق كثير، وقد جمع السنن الكبير، وانتخب منه ما هو أقل حجماً منه بمرات. وقد وقع لي سماعهما. وقد أبان في تصنيفه عن حفظ وإتقان وصدق وإيمان وعلم وعرفان.

قال الحاكم عن الدارقطني: أبو عبد الرحمن النسائي مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره، وكان يسمي كتابه الصحيح.

وقال أبو علي الحافظ: للنسائي شرط في الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج، وكان من أئمة المسلمين. وقال أيضاً: هو الإمام في الحديث بلا مدافعة.

وقال أبو الحسين محمد بن المظفر الحافظ: سمعت مشايخنا بمصر يعترفون له بالتقدم والإمامة، ويصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والجهاد. وقال غيره: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان له أربع زوجات وسريتان، وكان كثير الجماع، حسن الوجه مشرق اللون. قالوا: وكان يقسم للإماء كما يقسم للحرائر.

وقال الدارقطني: كان أبو بكر بن الحداد كثير الحديث ولم يرو عن أحد سوى النسائي وقال: رضيت به حجة فيما بيني وبين الله عز وجل.

وقال ابن يونس: كان النسائي إماماً في الحديث ثقة ثبتاً حافظاً، كان خروجه من مصر في سنة ثنتين وثلاثمائة.

وقال ابن عدي: سمعت منصوراً الفقيه وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي يقولان: أبو عبد الرحمن النسائي إمام من أئمة المسلمين، وكذلك أثنى عليه غير واحد من الأئمة وشهدوا له بالفضل والتقدم في هذا الشأن. وقد ولي الحكم بمدينة حمص. سمعته من شيخنا المزي عن رواية الطبراني في معجمه الأوسط حيث قال: حدثنا أحمد بن شعيب الحاكم بحمص. وذكروا أنه كان له من النساء أربع نسوة، وكان في غاية الحسن، وجهه كأنه قنديل، وكان يأكل في كل يوم ديكاً ويشرب عليه نقيع الزبيب الحلال، وقد قيل عنه: إنه كان ينسب إليه شيء من التشيع. قالوا: ودخل إلى دمشق فسأله أهلها أن يحدثهم بشيء من فضائل معاوية فقال: أما يكفي معاوية أن يذهب رأساً برأس حتى يروى له فضائل؟ فقاموا إليه فجعلوا يطعنون في خصيتيه حتى أخرج من المسجد الجامع، فسار من عندهم إلى مكة فمات بها في هذه السنة، وقبره بها هكذا حكاه الحاكم عن محمد بن إسحاق الأصبهاني عن مشايخه.

وقال الدارقطني: كان أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح من السقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرملة، فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه فضربوه في الجامع، فقال: أخرجوني إلى مكة، فأخرجوه وهو عليل، فتوفي بمكة مقتولاً شهيداً، مع ما رزق من الفضائل رزق الشهادة في آخر عمره، مات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة.

قال الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغني بن نقطة في تقييده ومن خطه نقلت ومن خط أبي عامر محمد بن سعدون العبدري الحافظ: مات أبو عبد الرحمن النسائي بالرملة مدينة فلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة، ودفن ببيت المقدس. وحكى ابن خلكان أنه توفي في شعبان من هذه السنة، وأنه إنما صنف الخصائص في فضل علي وأهل البيت، لأنه رأى أهل دمشق حين قدمها في سنة ثنتين وثلاثمائة عندهم نفرة من علي، وسألوه عن معاوية فقال ما قال، فدققوه في خصيتيه فمات. وهكذا ذكر ابن يونس وأبو جعفر الطحاوي: إنه توفي بفلسطين في صفر من هذه السنة، وكان مولده في سنة خمس عشرة أو أربع عشرة ومائتين تقريباً عن قوله فكان عمره ثمان وثمانين سنة.

الحسن بن سفيان

ابن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء، أبو العباس الشيباني النسوي، محدث خراسان، وقد كان يضرب إليه آباط الإبل[1] في معرفة الحديث والفقه. رحل إلى الآفاق وتفقه على أبي ثور، وكان يفتي بمذهبه، وأخذ الأدب عن أصحاب النضر بن شميل، وكانت إليه الرحلة بخراسان. ومن غريب ما اتفق له: أنه كان هو وجماعة من أصحابه بمصر في رحلتهم إلى الحديث، فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون فيها شيئاً، ولا يجدون ما يبيعونه للقوت، واضطرهم الحال إلى تجشم السؤال، وأنفت أنفسهم من ذلك وعزت عليهم وامتنعت كل الامتناع، والحاجة تضطرهم إلى تعاطي ذلك، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يقوم بأعباء هذا الأمر، فوقعت القرعة على الحسن بن سفيان هذا، فقام عنهم فاختلى في زاوية المسجد الذي هم فيه فصلّى ركعتين أطال فيهما واستغاث بالله عز وجل، وسأله بأسمائه العظام، فما انصرف من الصلاة حتى دخل عليهم المسجد شاب حسن الهيئة مليح الوجه فقال: أين الحسن بن سفيان؟ فقلت: أنا. فقال: الأمير طولون يقرأ عليكم السلام ويعتذر إليكم في تقصيره عنكم، وهذه مائة دينار لكل واحد منكم. فقلنا له: ما الحامل له على هذا؟ فقال: إنه أحب أن يختلي اليوم بنفسه، فبينما هو الآن نائم إذ جاءه فارس في الهواء بيده رمح فدخل عليه منزله ووضع عقب الرمح في خاصرته فوكزه وقال: قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه، قم فأدركهم، قم فأدركهم، فإنهم منذ ثلاث جياع في المسجد الفلاني. فقال له: من أنت؟ فقال أنا رضوان خازن الجنة. فاستيقظ الأمير وخاصرته تؤلمه ألماً شديداً، فبعث بالنفقة في الحال إليهم. ثم جاء لزيارتهم واشترى ما حول ذلك المجلس ووقفه على الواردين عليه من أهل الحديث، جزاه الله خيراً. وقد كان الحسن بن سفيان رحمه الله من أئمة هذا الشأن وفرسانه وحفاظه، وقد اجتمع عنده جماعة من الحفاظ منهم ابن جرير الطبري وغيره، فقرؤوا عليه شيئاً من الحديث وجعلوا يقلبون الأسانيد ليستعملوا ما

(١) يضرب إليه آباط الإبل: مثل تضربه العرب لمن كان ذا شهرة وعلم. أي أن الناس يسعون إليه بكل وسيلة مهما كانت شاقة.

عنده من العلم فما قلبوا شيئاً من الإسناد إلا ردّهم فيه إلى الصواب، وعمره إذ ذاك سبعون سنة، وهو في هذا السن حافظ ضابط لا يشذ عنه شيء من حديثه، ومن فوائده: العبسي كوفي، والعيشي بصري، والعنسي مصري.

رويم بن أحمد

ويقال ابن محمد بن رويم بن يزيد، أبو الحسن ويقال أبو محمد، أحد أئمة الصوفية، كان عالماً بالقرآن ومعانيه، وكان يتفقه على مذهب داود بن علي الظاهري، قال بعضهم. كان رويم يكتم حب الدنيا أربعين سنة، ومعناه أنه تصوف أربعين سنة، ثم لما ولّى إسماعيل بن إسحاق القضاء ببغداد جعله وكيلاً في بابه، فترك التصوف ولبس الخز والقصب والديبقي وركب الخيل وأكل الطيبات وبنى الدور.

زهير بن صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل

روى عن أبيه وعنه أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد، كان ثقة، مات وهو شاب، قال الدارقطني.

أبو علي الجبّائي

شيخ المعتزلة، واسمه محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي شيخ طائفة الاعتزال في زمانه، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه، وللجبائي تفسير حافل مطول، له فيه اختيارات غريبة في التفسير، وقد رد عليه الأشعري فيه وقال: وكأن القرآن نزل في لغة أهل جبّاء. كان مولده في سنة خمس وثلاثين ومائتين، ومات في هذه السنة.

أبو الحسن بن بسام الشاعر

واسمه علي بن أحمد بن منصور بن نصر بن بسام البسامي الشاعر المطبق للهجاء، فلم يترك أحداً حتى هجاه، حتى أباه وأمه أمامة بنت حمدون النديم. وقد أورد له ابن خلكان أشياء كثيرة من شعره، فمن ذلك قوله في تخريب المتوكل قبر الحسين بن علي وأمره بأن يزرع ويمحي رسمه، وكان شديد التحامل على علي وولده. فلما وقع ما ذكرناه في سنة ست وثلاثين ومائتين. قال ابن بسام هذا في ذلك:

تَاللهِ إنْ كَانَتْ أُمَيَّةُ قَدْ أَتَتْ ... قَتْلَ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهَا مَظْلُوما
فَلَقَدْ أَتَاهُ بَنُو أَبِيهِ بِمِثْلِهِ ... هٰذا لَعَمْرُكَ قَبْرُهُ مَهْدُومَا
أَسِفُوا عَلَى أنْ لا يَكُونُوا شَارَكُوا ... في قَتْلِهِ فَتَتَبَّعُوهُ رَمِيمَا[1]

(١) الرميم: البالي.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة

فيها عزل المقتدر وزيره أبا الحسن علي بن عيسى بن الجراح، وذلك لأنه وقعت بينه وبين أم موسى القهرمانة نفرة شديدة، فسأل الوزير أن يعفى من الوزارة فعزل ولم يتعرضوا لشيء من أملاكه. وطلب أبو الحسن بن الفرات فأعيد إلى الوزارة بعد عزله عنها خمس سنين، وخلع عليه الخليفة يوم التروية سبع خلع، وأطلق إليه ثلاثمائة ألف درهم، وعشرة تخوت ثياب، ومن الخيل والبغال والجمال شيء كثير، وأقطع الدار التي بالحريم فسكنها، وعمل فيها ضيافة تلك الليلة فسقي فيها أربعين ألف رطل من الثلج، وفي نصف هذه السنة اشتهر ببغداد أن حيواناً يقال له الزرنب يطوف بالليل يأكل الأطفال من الأسرّة ويعدو على النيام فربما قطع يد الرجل وثدي المرأة وهو نائم. فجعل الناس يضربون على أسطحتهم على النحاس من الهواوين وغيرها ينفرونه عنهم، حتى كانت بغداد بالليل ترتج من شرقها وغربها، واصطنع الناس لأولادهم مكبّات من السعف[1] وغيرها، واغتنمت اللصوص هذه الشوشة فكثرت النقوب وأخذت الأموال، فأمر الخليفة بأن يؤخذ حيوان من كلاب الماء فيصلب على الجسر ليسكن الناس عن ذلك، ففعلوا فسكن الناس ورجعوا إلى أنفسهم، واستراح الناس من ذلك. وفيها قلد ثابت بن سنان الطبيب [المؤرخ][2] أمر المارستان ببغداد في هذه السنة، وكانت خمساً، وكان هذا الطبيب مؤرخاً. وفيها ورد كتاب من خراسان بأنهم وجدوا قبور شهداء قد قتلوا في سنة سبعين من الهجرة مكتوبة أسماؤهم في رقاع مربوطة في آذانهم، وأجسادهم طرية كما هي، رضي الله عنهم.

وفيها توفي من الأعيان:

لبيد بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن صالح

ابن عبد الله بن الحصين بن علقمة بن نعيم بن عطارد بن حاجب [بن زرارة][3]، أبو الحسن التميمي الملقب فروجة، قدم بغداد وحدث بها، وكان ثقة حافظاً.

يوسف بن الحسين بن علي

أبو يعقوب الرازي، سمع أحمد بن حنبل وصحب ذا النون، وكان قد بلغه أن ذا النون يحفظ اسم الله الأعظم فقصده ليعلّمه إياه قال: فلما وردت عليه استهان بي وكانت لي لحية طويلة ومعي ركوة طويلة. فجاء رجل يوماً فناظر ذا النون فأسكت ذا النون، فقلت له: دع الشيخ وأقبل علي. فأقبل فناظرته فأسكته، فقال ذو النون فجلس بين يدي وهو شيخ وأنا شاب، ثم اعتذر إلي. فخدمته سنة ثم سألته أن يعلّمني الاسم الأعظم، فلم يبعد مني ووعدني، فمكثت عنده بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج إلي طبقاً عليه مكبة مستوراً بمنديل،

---

(١) السعف: أغصان النخيل. (٢) سقط في ط. (٣) سقط في ط.

فقال لي: اذهب بهذا الطبق إلى صاحبنا فلان. قال: فجعلت أفكر في الطريق ما هذا الذي أرسلني به؟ فلما وصلت الجسر فتحته فإذا فأرة ففرت وذهبت، فاغتظت غيظاً شديداً، وقلت: ذو النون سخر بي، فرجعت إليه وأنا حنق فقال لي: ويحك إنما اختبرتك، فإذا لم تكن أميناً على فأرة فأن لا تكون أميناً على الاسم الأعظم بطريق الأولى، اذهب عني فلا أراك بعدها. وقد رئي أبو الحسين الرازي هذا في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بقولي عند الموت: اللهم إني نصحت الناس قولاً وخنت نفسي فعلاً. فهب خيانة فعلي لنصح قولي.

يموت بن المزرع بن يموت

أبو بكر العبدي بن عبد القيس، وهو ثوري، وهو ابن أخت الجاحظ. قدم بغداد وحدث بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياضي، وكان صاحب أخبار وآداب وملح وقد غير اسمه محمد فلم يغلب عليه إلا الأول، وكان إذا ذهب يعود مريضاً ودقّ الباب وقالوا: «من؟ فيقول ابن المزرع ـ ولا يذكر اسمه لئلا يتفاءلوا به».

ثم دخلت سنة خمس وثلاثمائة

فيها قدم رسول ملك الروم في طلب المفاداة والهدنة، وهو شاب حدث السن، ومعه شيخ منهم وعشرون غلاماً، فلما قدم بغداد شاهد أمراً عظيماً جداً، وذلك أن الخليفة أمر الجيش والناس بالاحتفال بذلك ليشاهد ما فيه إرهاب الأعداء، فركب الجيش بكماله يومئذٍ وكان مائة ألف وستين ألفاً، ما بين فارس وراجل، غير العساكر الخارجة في سائر البلاد مع نوابها، فركبوا في الأسلحة والعدد التامة، وغلمان الخليفة سبعة آلاف، أربعة آلاف بيض، وثلاثة آلاف سود، وهم في غاية الملابس والعدد والحلي، والحجبة يومئذٍ سبعمائة حاجب، وأما الطيارات التي بدجلة والزيارب والسمريات[١] فشيء كثير مزينة، فحين دخل الرسول دار الخلافة انبهر وشاهد أمراً أدهشه، ورأى من الحشمة والزينة والحرمة ما يبهر الأبصار، وحين اجتاز بالحاجب ظن أنه الخليفة فقيل له: هذا الحاجب، فمر بالوزير في أبهته فظنه الخليفة فقيل له: هذا الوزير. وقد زينت دار الخلافة بزينة لم يسمع بمثلها، كان فيها من الستور يومئذ ثمانية وثلاثون ألف ستر، منها عشرة آلاف وخمسمائة ستر مذهبة، وقد بسط فيها اثنان وعشرون ألف بساط لم ير مثلها، وفيها من الوحوش قطعان متآنسة بالناس، تأكل من بين أيديهم ومائة سبع من السباعة، ثم أدخل إلى دار الشجرة، وهي عبارة عن بركة فيها ماء صاف وفي وسط ذلك الماء شجرة من ذهب وفضة لها ثمانية عشر غصناً أكثرها من ذهب، وفي الأغصان الشماريخ[٢] والأوراق الملونة من الذهب والفضة واللآلىء واليواقيت، وهي

---

(١) السميريات والطيارات والزيارب: أنواع من السفن والمراكب.

(٢) الشماريخ: جمع شمراخ، وهو الغصن عليه بلح أو عنب.

تصوت بأنواع الأصوات من الماء المسلط عليها، والشجرة بكمالها تتمايل كما تتمايل الأشجار بحركات عجيبة تدهش من يراها، ثم أدخل إلى مكان يسمونه الفردوس، فيه أنواع المفارش والآلات ما لا يحد ولا يوصف كثرة وحسناً. وفي دهاليزه ثمانية عشر ألف جوشن[١] مذهبة. فما زال كلما مر على مكان أدهشه وأخذ ببصره حتى انتهى إلى المكان الذي فيه الخليفة المقتدر بالله، وهو جالس على سرير من آبنوس، قد فرش بالديبقي المطرز بالذهب، وعن يمين السرير سبعة عشر عنقوداً معلقة، وعن يساره مثلها وهو جوهر من أفخر الجواهر، كل جوهرة يعلو ضوءها على ضوء النهار، ليس لواحدة منها قيمة ولا يستطاع ثمنها، فأوقف الرسول والذين معه بين يدي الخليفة على نحو من مائة ذراع، والوزير علي بن محمد بن الفرات واقف بين يدي الخليفة، والترجمان دون الوزير والوزير يخاطب الترجمان والترجمان يخاطبهما، فلما فرغ منهما خلع عليهما وأطلق لهما خمسين سقرقاً[٢] في كل سقرق خمسة آلاف درهم، وأخرجا من بين يديه وطيف بهما في بقية دار الخلافة، وعلى حافات دجلة الفيلة والزرافات والسباع والفهود وغير ذلك، ودجلة داخلة في دار الخلافة، وهذا من أغرب ما وقع من الحوادث في هذه السنة. وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي.

وفيها توفي من الأعيان:

محمد بن أحمد أبو موسى

النحوي الكوفي المعروف بالجاحظ، صحب ثعلباً أربعين سنة وخلفه في حلقته، وصنف غريب الحديث، وخلق الإنسان، والوحوش والنبات، وكان ديناً صالحاً، روى عنه أبو عمر الزاهد. توفي ببغداد في ذي الحجة منها، ودفن بباب التبن.

وعبد الله [شيرويه][٣] الحافظ، وعمران بن مجاشع، وأبو خليفة الفضل بن الحباب.

وقاسم بن زكريا بن يحيى المطرز المقري أحد الثقات الأثبات، سمع أبا كريب، وسويد بن سعيد، عنه الخلدي وأبو الجعاني توفي ببغداد.

ثم دخلت سنة ست وثلاثمائة

في أول يوم من المحرم فتح المارستان الذي بنته السيدة أم المقتدر وجلس فيه سنان بن ثابت ورتبت فيه الأطباء والخدم والقومة، وكانت نفقته في كل شهر ستمائة دينار، وأشار سنان على الخليفة ببناء مارستان، فقبل منه وبناه وسماه المقتدري. وفيها وردت الأخبار عن أمراء الصوائف بما فتح الله عليهم من الحصون في بلاد الروم. وفيها رجفت العامة وشنعوا بموت المقتدر، فركب في الجحافل حتى بلغ الثريا ورجع من باب العامة ووقف كثيراً ليراه الناس، ثم ركب إلى الشماسية وانحدر إلى دار الخلافة في دجلة فسكنت

(١) الجوشن: الدرع. (٢) السقرق: كيس الدراهم. (٣) سقط في ط.

الفتن. وفيها قلد المقتدر حامد بن العباس الوزارة وخلع عليه وخرج من عنده وخلفه أربعمائة غلام لنفسه، فمكث أياماً ثم تبين عجزه عن القيام بالأمور فأضيف إليه علي بن عيسى لينفذ الأمور وينظر معه في الأعمال، وكان أبو علي بن مقلة ممن يكتب أيضاً بحضرة حامد بن العباس الوزير، ثم صارت المنزلة كلها لعلي بن عيسى، واستقل بالوزارة في السنة الآتية. وفيها أمرت السيدة أم المقتدر قهرمانة لها تعرف بتملي أن تجلس بالتربة التي بنتها بالرصافة في كل يوم جمعة وأن تنظر في المظالم التي ترفع إليها في القصص، ويحضر في مجلسها القضاة والفقهاء. وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي.

وفيها توفي من الأعيان:

إبراهيم بن أحمد بن الحارث

أبو القاسم الكلابي الشافعي، سمع الحارث بن مسكين وغيره، وكان رجلاً صالحاً، تفقه على مذهب الشافعي وكان يحب الخلوة والانقباض، توفي في شعبان منها. أحمد بن الحسن الصوفي أحد مشايخ الحديث المكثرين المعمرين.

أحمد بن عمر بن سريج

أبو العباس القاضي بشيراز، صنف نحو أربعمائة مصنف، وكان أحد أئمة الشافعية، ويلقب بالباز الأشهب أخذ الفقه عن أبي قاسم الأنماطي وعن أصحاب الشافعي، كالمزني وغيره، وعنه انتشر مذهب الشافعي في الآفاق، وقد ذكرنا ترجمته في الطبقات. توفي في جمادى الأولى منها عن سبع وخمسين سنة وستة أشهر.

قال ابن خلكان: توفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول وعمره سبع وخمسون سنة وثلاثة أشهر، وقبره يزار.

أحمد بن يحيى

أبو عبد الله الجلاد بغدادي، سكن الشام وصحب أبا تراب النخشبي، وذا النون المصري، روى أبو نعيم بسنده عنه قال: قلت لأبوي وأنا شاب: إني أحب أن تهباني لله عزَّ وجلَّ. فقالا: قد وهبناك لله. فغبت عنهما مدة طويلة ثم رجعت إلى بلدنا عشاء في ليلة مطيرة، فانتهيت إلى الباب فدفعته فقالا: من هذا؟ فقلت: أنا ولدكما فلان، فقالا: إنه قد كان لنا ولد ووهبناه لله عز وجل، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبنا. ولم يفتحا لي الباب.

الحسن بن يوسف بن إسماعيل بن حماد بن زيد

القاضي أبو يعلى، وهو أخو القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، كان إليه ولاية القضاء بالأردن.

عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد

أبو محمد الجواليقي القاضي، المعروف بعبدان، الأهوازي، ولد سنة ست عشرة ومائتين، كان أحد الحفاظ الأثبات، يحفظ مائة ألف حديث، جمع المشايخ والأبواب، روى عن هدبة وكامل بن طلحة وغيرهما، وعنه ابن صاعد والمحاملي وغيرهما.

محمد بن بابشاذ أبو عبيد الله البصري

سكن بغداد وحدث بها عن عبيد الله بن معاذ العنبري وبشر بن معاذ العقدي وغيرهما، وفي حديثه غرائب ومناكير. توفي في شوّال منها. [روى عن الفلاس وبشر بن معاذ وعنه أبو بكر الشافعي وكذبه ابن ناجية وقال الدارقطني ليس به بأس][1].

محمد بن الحسين بن شهريار

أبو بكر القطان البلخي الأصل، روى عن الفلاس وبشر بن معاذ. وعنه أبو بكر الشافعي ومحمد بن عمر بن الجعابي. كذبه ابن ناجية.

وقال الدارقطني: ليس به بأس.

محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد

أبو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع، كان عالماً فاضلاً عارفاً بأيام الناس، فقيهاً قارئاً نحويّاً، له مصنفات منها كتاب عدد آي القرآن ولي القضاء بالأهواز. وحدث عن الحسن بن عرفة والزبير بن بكار وغيرهما، وعنه أحمد بن كامل وأبو علي الصواف وغيرهما. ومن شعره الجيد:

إذا مَا غَدَتْ طَلابَةُ العِلْمِ تَبْتَغِي ... مِنَ العِلْمِ يَوْماً ما يُخَلَّدُ في الكُتْبِ
غَدَوْتُ بِتَشْمِيرٍ[2] وَجِدٍّ عَلَيْهِمُ ... وَمِحْبَرَتِي أُذْنِي وَدَفْتَرُهَا قَلْبِي

منصور بن إسماعيل بن عمر

أبو الحسن الفقيه، أحد أئمة الشافعية، وله مصنفات في المذهب، وله الشعر الحسن.

قال ابن الجوزي: ويظهر في شعره التشيع، وكان جندياً ثم كف بصره وسكن الرملة، ثم قدم مصر ومات بها.

أبو نصر المحب

أحد مشايخ الصوفية، كان له كرم وسخاء ومروءة، ومر بسائل سأل وهو يقول: شفيعي إليكم رسول الله ﷺ، فشق أبو نصر إزاره وأعطاه نصفه، ثم مشى خطوتين ثم رجع إليه فأعطاه النصف الآخر وقال: هذا نذالة.

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) التشمير: الجد والسعي.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة

في صفر منها وقع حريق بالكرخ في الباقلانتين، هلك فيه خلق كثير من الناس. وفي ربيع الآخر منها دخل بأسارى من الكرخ نحو مائة وخمسين أسيراً أنقذهم الأمير بدر الحماني. وفي ذي القعدة منها انقض كوكب عظيم غالب الضوء وتقطع ثلاث قطع، وسمع بعد انقضاضه صوت رعد شديد هائل من غير غيم. ذكره ابن الجوزي. وفيها دخلت القرامطة إلى البصرة فأكثروا فيها الفساد. وفيها عزل حامد بن العباس عن الوزارة وأعيد إليها أبو الحسن بن الفرات المرة الثالثة. وفيها كسرت العامة أبواب السجون فأخرجوا من كان بها وأدركت الشرطة من أخرجوا من السجن فلم يفتهم أحد منهم بل ردوا إلى السجون. وحج بالناس فيها أحمد بن العباس أخو أم موسى القهرمانة.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن علي بن المثنى

أبو يعلى الموصلي صاحب المسند المشهور، سمع الإمام أحمد بن حنبل وطبقته، وكان حافظاً خيراً حسن التصنيف عدلاً فيما يرويه، ضابطاً لما يحدث به.

إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن سلمة

أبو يعقوب البزار الكوفي، رحل إلى الشام ومصر، وكتب الكثير وصنف المسند، واستوطن بغداد، وكان من الثقات، روى عنه ابن المظفر الحافظ قدم بغداد وروى عنه الطبراني والأزدي وغيرهما من الحفاظ، وكان ثقة حافظاً عارفاً. توفي بحلب في هذه السنة [في شوال. جعفر بن محمد بن موسى أبو محمد الأعرج النيسابوري الحافظ، قدم بغداد وروى عنه الطبراني والأزدي وغيرهما من الحفاظ وكان ثقة حافظاً توفي بحلب في هذه السنة][(١)].

زكريا بن يحيى الساجي

الفقيه المحدث شيخ أبي الحسن الأشعري في السنة والحديث.

علي بن سهل بن الأزهر

أبو الحسن الأصبهاني، كان أولاً مترفاً ثم صار زاهداً عابداً يبقى الأيام لا يأكل فيها شيئاً، وكان يقول: ألهاني الشوق إلى الله عن الطعام والشراب. وكان يقول: أنا لا أموت كما يموتون بالأعلال والأسقام، إنما هو دعاء وإجابة، أدعي فأجيب. فكان كما قال، بينما هو جالس في جماعة إذ قال: لبيك ووقع ميتاً.

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

محمد بن هارون الروياني صاحب المسند.

وابن دريج العكبري.

والهيثم بن خلف.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثمائة

فيها غلت الأسعار في هذه السنة ببغداد فاضطربت العامة وقصدوا دار حامد بن العباس الذي ضمن براثي[1] من الخليفة فغلت الأسعار بسبب ذلك، وعدوا في ذلك اليوم ـ وكان يوم الجمعة ـ على الخطيب، فمنعوه الخطبة وكسروا المنابر وقتلوا الشرط وحرقوا جسوراً كثيرة، فأمر الخليفة بقتال العامة ثم نقض الضمان الذي كان حامد بن العباس ضمنه فانحطت الأسعار، وبيع الكر بناقص خمسة دنانير، فطابت أنفس الناس بذلك وسكنوا. وفي تموز منها وقع برد شديد جداً حتى نزل الناس عن الأسطحة وتدثروا باللحف والأكسية، ووقع في شتاء هذه السنة بلغم عظيم، وكان فيها برد شديد جداً بحيث أضر ذلك ببعض النخيل. وحج بالناس فيها أحمد بن العباس أخو القهرمانة.

وفيها توفي من الأعيان:

إبراهيم بن سفيان الفقيه: راوي صحيح مسلم عنه.

أحمد بن الصلت

ابن المغلس أبو العباس الحماني أحد الوضاعين للأحاديث، روى عن خاله جبارة بن المغلس وأبي نعيم ومسلم بن إبراهيم، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم: أحاديث كلها وضعها هو في مناقب أبي حنيفة وغير ذلك. وحكى عن يحيى بن معين وعلي بن المديني وبشر بن الحارث أخباراً كلها كذب. قال أبو الفرج بن الجوزي: قال لي محمد بن أبي الفوارس: كان أحمد بن الصلت يضع الحديث.

إسحاق بن أحمد الخزاعي.

والمفضل الجندي.

وعبد الله بن محمد بن وهب الدينوري.

وعبد الله بن ثابت بن يعقوب

أبو عبد الله المقري النحوي التوزي، سكن بغداد، وروى عن عمرو بن شبة، وعنه أبو عمر بن السماك. ومن شعره الجيد:

إذا لَـمْ تَـكُـنْ حَـافِـظـاً وَاعِـيـاً ... فَـعِـلْـمُـكَ فـي الـبَـيْـتِ لا يَـنْـفَـعُ
وَتَـحْـضُـرُ بِـالـجَـهْـلِ فِـي مَـجْـلِـسٍ ... وَعِـلْـمُـكَ فـي الـكُـتْـبِ مُـسْـتَـوْدَعُ

---

(١) البراثي: الأرض السهلة اللينة.

وَمَــنْ يَــكُ فــي دَهْــرِهِ هٰــكَــذا يَــكُــنْ دَهْــرُهُ الــقَــهْــقَــرَى[١] يَــرْجِــعُ

ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة

فيها وقع حريق كثير في نواحي بغداد بسبب زنديق قتل فألقى من كان من جهته الحريق في أماكن كثيرة، فهلك بسبب ذلك خلق كثير من الناس. وفي جمادى الأولى منها قلّد المقتدر [بالله][٢] مؤنس الخادم بلاد مصر والشام ولقبه المظفر. وأمر بكتب ذلك في المراسلات إلى الآفاق. وفي ذي القعدة أحضر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى إلى دار الوزير عيسى بن علي لمناظرة الحنابلة في أشياء نقموها عليه، فلم يحضروا ولا واحد منهم. وفيها قدم الوزير حامد بن العباس للخليفة بستاناً بناه وسماه الناعورة قيمته مائة ألف دينار، وفرش مساكنه بأنواع المفارش المفتخرة.

وفيها كان مقتل الحسين بن منصور الحلاج، ولنذكر أشياء من ترجمته وسيرته، وكيفية قتله على وجه الإيجاز وبيان المقصود بطريق الإنصاف والعدل، من غير تحمل ولا هوى ولا جور.

ترجمة الحلاّج

ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله، فنقول: هو الحسين بن منصور بن محمي الحلاج أبو مغيث، ويقال أبو عبد الله، كان جده مجوسياً اسمه محمي من أهل فارس من بلدة يقال لها البيضاء، ونشأ بواسط، ويقال بتستر، ودخل بغداد وتردد إلى مكة وجاور بها في وسط المسجد في البرد والحر، مكث على ذلك سنوات متفرقة، وكان يصابر نفسه ويجاهدها، ولا يجلس إلا تحت السماء في وسط المسجد، ولا يأكل إلا بعض قرص ويشرب قليلاً من الماء معه وقت الفطور مدة سنة كاملة، وكان يجلس على صخرة في شدة الحر في جبل أبي قبيس، وقد صحب جماعة من سادات المشايخ الصوفية، كالجنيد بن محمد، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي الحسين النوري.

قال الخطيب البغدادي: والصوفية مختلفون فيه، فأكثرهم نفى أن يكون الحلاج منهم، وأبى أن يعده فيهم، وقبله من متقدميهم أبو العباس بن عطاء البغدادي، ومحمد بن خفيف الشيرازي، وإبراهيم بن محمد النصر أباذي النيسابوري، وصححوا له حاله، ودونوا كلامه، حتى قال ابن خفيف: الحسين بن منصور عالم رباني.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي ـ واسمه محمد بن الحسين ـ سمعت إبراهيم بن محمد النصر أباذي وعوتب في شيء حكي عن الحلاج في الروح فقال للذي عاتبه: إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج.

---

(١) القهقرى: الرجوع إلى الوراء.

(٢) سقط في ط.

قال أبو عبد الرحمن: وسمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلي يقول: كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر وكتمت. وقد روي عن الشبلي من وجه آخر أنه قال، وقد رأى الحلاج مصلوباً. ألم أنهك عن العالمين؟.

قال الخطيب: والذين نفوه من الصوفية نسبوه إلى الشعبذة[١] في فعله، وإلى الزندقة في عقيدته وعقده. قال: وله إلى الآن أصحاب ينسبون إليه ويغالون فيه ويغلون. وقد كان الحلاج في عبارته حلو المنطق، وله شعر على طريقة الصوفية. قلت: لم يزل الناس منذ قتل الحلاج مختلفين في أمره، فأما الفقهاء فحكي عن غير واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على قتله، وأنه قتل كافراً، وكان كافراً ممخرقاً[٢] مموهاً مشعبذاً، وبهذا قال أكثر الصوفية فيه. ومنهم طائفة كما تقدم أجملوا القول فيه، وغرّهم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه ولا باطن قوله، فإنه كان في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك، ولكن لم يمكن له علم ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان. فلهذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه. وقال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى، ولهذا دخل على الحلاج الحلول[٣] والاتحاد[٤]، فصار من أهل الانحلال والانحراف. وقد روي من وجه أنه تقلبت به الأحوال وتردد إلى البلدان، وهو في ذلك كله يظهر للناس أنه من الدعاة إلى الله عز وجل. وصح أنه دخل إلى الهند وتعلم بها السحر وقال: أدعو به إلى الله، وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث ـ أي أنه من رجال الغيث ـ ويكاتبه أهل سركسان بالمقيت. ويكاتبه أهل خراسان بالمميز، وأهل فارس بأبي عبد الله الزاهد. وأهل خوزستان بأبي عبد الله الزاهد حلاج الأسرار. وكان بعض البغاددة حين كان عندهم يقولون له: المصطلم[٥]. وأهل البصرة يقولون له: المحير، ويقال إنما سماه الحلاج أهل الأهواز لأنه كان يكاشفهم عن ما في ضمائرهم، وقيل لأنه مرة قال الحلاج: اذهب لي في حاجة كذا وكذا، فقال: إني مشغول بالحلج، فقال: اذهب فأنا أحلج عنك، فذهب ورجع سريعاً فإذا جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه، يقال إنه أشار بالمرود. فامتاز الحب عن القطن، وفي صحة هذا ونسبته إليه نظر، وإن كان قد جرى مثل هذا، فالشياطين تعين أصحابها ويستخدمونهم. وقيل لأن أباه كان حلاجاً. ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره أشياء كثيرة، منها شعره في ذلك فمن ذلك قوله:

جُبِلَتْ رُوحُكَ فِي رُوحِي كَمَا ... يُجْبَلُ العَنْبَرُ بِالمِسْكِ الفَنِقْ[٦]
فَإِذا مَسَّكَ شَيْءٌ مَسَّنِي ... وَإِذا أَنْتَ أَنَا لا نَفْتَرِقْ

(١) الشعبذة: الشعوذة. (٢) الممخرق: الكاذب المختلف.
(٣) الحلول: أي حلول اللاهوت بالناسوت، أي الرب بالعبد.
(٤) الاتحاد: هو اتحاد الخالق والمخلوق فيصيران شيئاً واحداً، أو هو فناء المخلوق بالخالق.
(٥) المصطلم: القاطع.
(٦) الفنق: الناعم.

وقوله:

مُـزِجَـتْ رُوحُـكَ فـي رُوحِـي كَـمَـا تُـمْـزَجُ الـخَـمْـرَةُ بِـالـمَـاءِ الـزُّلالْ
فَـإذا مَـسَّـكَ شَـيْءٌ مَـسَّـنِـي فَـإذا أَنْـتَ أَنَـا فـي كُـلِّ حـالْ

وقوله أيضاً:

قَـدْ تَـحَـقَّـقْـتُـكَ فـي سِـرِّ ي فَـخَـاطَـبَـكَ لِـسَـانِـي
فَـاجْـتَـمَـعْـنَـا لِـمَـعَـانٍ وَافْـتَـرَقْـنَـا لِـمَـعَـانِ
إنْ يَـكُـنْ غَـيَّـبَـكَ الـتَّـعْـظِـيـ مُ عَـنْ لَـحْـظِ الـعِـيَـانِ[1]
قَـدْ صَـيَّـرَكَ الـوَجْـ دُ[2] مِـنَ الأَحْـشَـاءِ دَانِ[3]

وقد أنشد لابن عطاء قول الحلاّج:

أُرِيـدُكَ لا أُرِيـدُكَ لِـلـثَّـوَابِ وَلٰـكِـنِّـي أُرِيـدُكَ لِـلْـعِـقَـابِ
وَكُـلُّ مَـآرِبِـي قَـدْ نِـلْـتُ مِـنْـهَـا سِـوَى مَـلْـذُوذِ وَجْـدِي بِـالـعَـذَابِ

فقال ابن عطاء: قال هذا ما تزايد به عذاب الشغف وهيام الكلف، واحتراق الأسف، فإذا صفا ووفى علا إلى مشرب عذب وهطل من الحق دائم سكب. وقد أنشد لأبي عبد الله بن خفيف قول الحلاج:

سُـبْـحَـانَ مَـنْ أَظْـهَـرَ نَـاسُـوتَـهُ سَـرَّ سَـنَـا لاهُـوتِـهِ الـثَّـاقِـبِ[4]
ثُـمَّ بَـدَا فـي خَـلْـقِـهِ ظَـاهِـراً فِـي صُـورَةِ الآكِـلِ وَالـشَّـارِبِ
حَـتَّـى لَـقَـدْ عَـايَـنَـهُ خَـلْـقُـهُ كَـلَـحْـظَـةِ الـحَـاجِـبِ بِـالـحَـاجِـبِ

فقال ابن خفيف: علا من يقول هذا لعنه الله؟ فقيل له: إن هذا من شعر الحلاج، فقال: قد يكون مقولاً عليه. وينسب إليه أيضاً:

أوشـكـت تَـسْـأَلُ عَـنِّـي كَـيْـفَ كُـنْـتُ وَمَـا لاَقَـيْـتُ بَـعْـدَكَ مِـنْ هَـمٍّ وَحَـزَنْ
لا كُـنْـتُ إنْ كُـنْـتُ أَدْرِي كَـيْـفَ كُـنْـتُ ولا لا كُـنْـتُ أَدْرِي كَـيْـفَ لَـمْ أَكُـنْ

قال ابن خلكان: ويروى لسمنون لا للحلاج. ومن شعره أيضاً قوله:

مَـتَـى سَـهِـرَتْ عَـيْـنِـي لِـغَـيْـرِكَ أَوْ بَـكَـتْ فَـلاَ أُعْـطِـيَـتْ مَـا أَمَّـلَـتْ وَتَـمَـنَّـتِ
وإن أضـمـرتْ نـفـسـي سـواكَ فـلا زكـتْ ريـاضُ الـمـنـى مـن وجـنـتـيـكِ وجـنَّـتِ

ومن شعره أيضاً:

دُنْـيَـا تُـغَـالِـطُـنِـي كَـأَنَّـنِـي لَـسْـتُ أَعْـرِفُ حَـالَـهَـا

(١) لحظ العيان: أي المشاهدة.
(٢) الوجد: شدة العشق.
(٣) دان: قريب.
(٤) يقصد أن الإنسان هو سر الله المضيء.

حَـظَـرَ الـمَـلِـيـكُ حَـرَامَـهَـا وَأَنَـا احْـتَـمَـيْـتُ حَـلالَـهَـا
فَـوَجَـدْتُـهَـا مُـحْـتَـاجَـةً فَـوَهَـبْـتُ لَـذَّتَـهَـا لَـهَـا

وقد كان الحلاج يتلوّن في ملابسه، فتارة يلبس لباس الصوفية وتارة يتجرد في ملابس زرية، وتارة يلبس لباس الأجناد ويعاشر أبناء الأغنياء والملوك والأجناد. وقد رآه بعض أصحابه في ثياب رثة وبيده ركوة وعكازة وهو سائح فقال له: ما هذه الحال يا حلاج؟ فأنشأ يقول:

لَـئِـنْ أَمْـسَـيْـتُ فـي ثَـوْبَـيْ عَـدِيـمٍ لَـقَـدْ بَـلِـيَـا عَـلَـى حُـرٍّ كَـرِيـمِ
فَـلا يَـغْـرُرْكَ أَنْ أَبْـصَـرْتَ حَـالاً مُـغَـيَّـرَةً عَـنِ الـحَـالِ الـقَـدِيـمِ
فَـلِـي نَـفْـسٌ سَـتَـتْـلَـفُ أَوْ سَـتَـرْقَـى لَـعَـمْـرُكَ بـي إِلَـى أَمْـرٍ جَـسِـيـمِ (١)

ومن مستجاد كلامه وقد سأله رجل أن يوصيه بشيء ينفعه الله به. فقال عليك نفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك عن الحق. وقال له رجل: عظني. فقال: كن مع الحق بحكم ما أوجب وروى الخطيب بسنده إليه أنه قال: علم الأولين والآخرين مرجعه إلى أربع كلمات: حب الجليل وبغض القليل، واتباع التنزيل، وخوف التحويل.

قلت: وقد أخطأ الحلاج في المقامين الأخيرين، فلم يتبع التنزيل ولم يبق على الاستقامة بل تحوّل عنها إلى الاعوجاج والبدعة والضلالة، نسأل الله العافية.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي عن عمرو بن عثمان المكي أنه قال: كنت أماشي الحلاج في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتي فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا، ففارقته.

قال الخطيب: وحدثني مسعود بن ناصر أنبأنا ابن باكوا الشيرازي سمعت أبا زرعة الطبري يقول: الناس فيه - يعني حسين بن منصور الحلاج - بين قبول ورد ولكن سمعت محمد بن يحيى الرازي يقول سمعت عمرو بن عثمان يلعنه ويقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدي. فقلت له: إيش الذي وجد الشيخ عليه؟ قال قرأت آية من كتاب الله فقال: يمكنني أن أؤلف مثله وأتكلم به.

قال أبو زرعة الطبري: وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول: زوّجت ابنتي من الحسين الحلاج لما رأيت من حسن طريقته واجتهاده، فبان لي منه بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال، خبيث كافر. قلت: كان تزويجه إياها بمكة، وهي أم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع فأولدها ولده أحمد بن الحسين بن منصور، وقد ذكر سيرة أبيه كما ساقها من طريق الخطيب. وذكر أبو القاسم القشيري في رسالته في باب حفظ قلوب المشايخ: أن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئاً في أوراق فقال له: ما هذا؟ فقال: هوذا أعارض القرآن. قال: فدعا عليه فلم يفلح بعدها، وأنكر على أبي يعقوب الأقطع

---

(١) تتلف: تهلك، وترقى: تصعد.

تزويجه إياه ابنته. وكتب عمرو بن عثمان إلى الآفاق كتباً كثيرة يلعنه فيها ويحذر الناس منه، فشرد الحلاج في البلاد فعاث يميناً وشمالاً، وجعل يظهر أنه يدعو إلى الله ويستعين بأنواع من الحيل، ولم يزل ذلك دأبه وشأنه حتى أحل الله به بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين فقتله بسيف الشرع الذي لا يقع إلا بين كتفي زنديق، والله أعدل من أن يسلطه على صديق، كيف وقد تهجم على القرآن العظيم، وقد أراد معارضته في البلد الحرام حيث نزل به جبريل، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥] ولا الحاد أعظم من هذا. وقد أشبه الحلاج كفارة قريش في معاندتهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١].

ذكر أشياء من حيل الحلاّج

روى الخطيب البغدادي أن الحلاج بعث رجلاً من خاصة أصحابه وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل، وأن يظهر لهم العبادة والصلاح والزهد، فإذا رآهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه أظهر لهم أنه قد عمي، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد تكسّح[1]، فإذا سعوا في مداواته، قال لهم: يا جماعة الخير، إنه لا ينفعني شيء مما تفعلون، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له: إن شفاءك لا يكون إلا على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وصفته كذا وكذا. وقال له الحلاج: إني سأقدم عليك في ذلك الوقت. فذهب ذلك الرجل إلى تلك البلاد فأقام بها يتعبد ويظهر الصلاح والتنسك ويقرأ القرآن. فأقام مدة على ذلك فاعتقدوه وأحبوه، ثم أظهر لهم أنه قد عمي فمكث حيناً على ذلك، ثم أظهر لهم أنه قد زمن[2]، فسعوا بمداواته بكل ممكن فلم ينتج فيه شيء، فقال لهم: يا جماعة الخير هذا الذي تفعلونه معي لا ينتج شيئاً وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي: إن عافيتك وشفاءك إنما هو على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وكانوا أولاً يقودونه إلى المسجد ثم صاروا يحملونه ويكرمونه كان في الوقت الذي ذكر لهم، واتفق هو والحلاج عليه، أقبل الحلاج حتى دخل البلد مختفياً وعليه ثياب صوف بيض، فدخل المسجد ولزم سارية يتعبد فيه لا يلتفت إلى أحد، فعرفه الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك العليل، فابتدروا إليه يسلمون عليه ويتمسحون به، ثم جاؤوا إلى ذلك الزمن المتعافى فأخبره بخبره، فقال: صفوه لي، فوصفوه له فقال: هذا الذي أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام، وأن شفائي على يديه، اذهبوا بي إليه. فحملوه حتى وضعوه بين يديه فكلمه فعرفه فقال: يا أبا عبد الله إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام. ثم ذكر له رؤياه، فرفع الحلاج يديه فدعا له

(١) تكسّح: ادّعى أنه أصبح كسيحاً عاجزاً.

(٢) زمن: أصابه مرض مزمن.

ثم تفل من ريقه في كفيه ثم مسح بهما على عينيه ففتحهما كأن لم يكن بهما داء قط فأبصر، ثم أخذ من ريقه فمسح على رجليه فقام من ساعته فمشى كأنه لم يكن به شيء والناس حضور، وأمراء تلك البلاد وكبراؤهم عنده، فضج الناس ضجة عظيمة وكبّروا الله وسبّحوه وعظّموا الحلاج تعظيماً زائداً على ما أظهر لهم من الباطل والزور. ثم أقام عندهم مدة يكرمونه ويعظمونه ويودون لو طلب منهم ما عساه أن يطلب من أموالهم. فلما أراد الخروج عنهم أرادوا أن يجمعوا له مالاً كثيراً فقال: أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا، وإنما وصلنا إلى ما وصلنا إليه بترك الدنيا، ولعل صاحبكم هذا أن يكون له إخوانٌ وأصحاب من الأبدال الذين يجاهدون بثغر طرسوس، ويحجون ويتصدقون، محتاجين إلى ما يعينهم على ذلك. فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافى: صدق الشيخ، قد رد الله علي بصري ومنَّ الله عليَّ بالعافية، لأجعلن بقية عمري في الجهاد في سبيل الله، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الأبدال والصالحين الذين نعرفهم، ثم حثهم على إعطائه من المال ما طابت به أنفسهم. ثم إن الحلاج خرج عنهم ومكث ذلك الرجل بين أظهرهم مدة إلى أن جمعوا له مالاً كثيراً ألوفاً من الذهب والفضة، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم وخرج عنهم فذهب إلى الحلاج فاقتسما ذلك المال.

وروي عن بعضهم قال: كنت أسمع أن الحلاج له أحوال وكرامات فأحببت أن أختبر ذلك فجئته فسلمت عليه فقال لي: تشتهي عليَّ الساعة شيئاً؟ فقلت: أشتهي سمكاً طرياً. فدخل منزله فغاب ساعة ثم خرج عليّ ومعه سمكة تضطرب ورجلاه عليهما الطين فقال: دعوت الله فأمرني أن آتي البطائح لآتيك بهذه السمكة، فخضت الأهواز وهذا الطين منها. فقلت: إن شئت أدخلتني منزلك حتى أنظر ليقوى يقيني بذلك، فإن ظهرت على شيء وإلا آمنت بك. فقال: ادخل، دخلت فأغلق علي الباب وجلس يراني. فدرت البيت فلم أجد فيه منفذاً إلى غيره، فتحيرت في أمره ثم نظرت فإذا أنا بتأزيرة[1] - وكان مؤازراً بإزار ساج - فحركتها فانفلقت فإذا هي باب منفذ فدخلته فأفضى بي إلى بستان هائل، فيه من سائر الثمار الجديدة والعتيقة، قد أحسن إبقاءها. وإذا أشياء كثيرة معدودة للأكل، وإذا هناك بركة كبيرة فيها سمك كثير صغار وكبار، فدخلتها فأخرجت منها واحدة فنال رجلي من الطين مثل الذي نال رجليه، فجئت إلى الباب فقلت: افتح قد آمنت بك. فلما رآني على مثل حاله أسرع خلفي جرياً يريد أن يقتلني. فضربته بالسَّمكة في وجهه وقلت: يا عدو الله أتعبتني في هذا اليوم. ولما خلصت منه لقيني بعد أيام فضاحكني وقال: لا تفش ما رأيت لأحد وإلا بعثت إليك من يقتلك على فراشك. قال: فعرفت أنه يفعل إن أفشيت عليه فلم أحدث به أحداً حتى صلب.

وقال الحلاج يوماً لرجل: آمن بي حتى أبعث إليك بعصفورة تأخذ من ذرقها[2] وزن

(١) التأزيرة: من الإزار، وهي هنا الستار.

(٢) الذرق: الغائط.

حبة فتضعه على كذا مناً[١] من نحاس فيصير ذهباً. فقال له الرجل: آمن أنت بي حتى أبعث إليك بفيل إذا استلقى على قفاه بلغت قوائمه إلى السماء، وإذا أردت أن تخفيه وضعته في إحدى عينيك. قال: فبهت وسكت. ولما ورد بغداد جعل يدعو إلى نفسه ويظهر أشياء من المخاريق والشعوذة وغيرها من الأحوال الشيطانية، وأكثر ما كان يروج على الرافضة لقلة عقولهم وضعف تمييزهم بين الحق والباطل. وقد استدعى يوماً برئيس من الرافضة فدعاه إلى الإيمان به فقال له الرافضي: إني رجل أحب النساء وإني أصلع الرأس، وقد شبت، فإن أنت أذهبت عني هذا وهذا آمنت بك وأنك الإمام المعصوم، وإن شئت قلت إنك نبي، وإن شئت قلت إنك أنت الله. قال: فبهت الحلاج ولم يحر إليه جواباً.

قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي: كان الحلاج متلوناً تارة يلبس المسوح، وتارة يلبس الدراعة، وتارة يلبس القباء، وهو مع كل قوم على مذهبهم: إن كانوا أهل سنة أو رافضة أو معتزلة أو صوفية أو فساقاً أو غيرهم، ولما أقام بالأهواز جعل ينفق من دراهم يخرجها يسميها دراهم القدرة، فسئل الشيخ أبو علي الجبائي عن ذلك فقال: إن هذا كله مما يناله البشر بالحيلة، ولكن أدخلوه بيتاً لا منفذ له ثم سلوه أن يخرج لكم جرزتين[٢] من شوك. فلما بلغ ذلك الحلاّج تحول من الأهواز.

قال الخطيب: أنبأ إبراهيم بن مخلد أنبأ إسماعيل بن علي الخطيب في تاريخه قال: وظهر أمر رجل يقال له الحلاج الحسين بن منصور، وكان في حبس السلطان بسعاية وقعت به، وذلك في وزارة علي بن عيسى الأولى، وذكر عنه ضروب من الزندقة ووضع الحيل على تضليل الناس، من جهات تشبه الشعوذة والسحر، وادعاء النبوة، فكشفه علي بن عيسى عند قبضه عليه وأنهى خبره إلى السلطان ـ يعني الخليفة المقتدر بالله ـ فلم يقر بما رمي به من ذلك فعاقبه وصلبه حياً أياماً متوالية في رحبة الجسر، في كل يوم غدوة، وينادى عليه بما ذكر عنه، ثم ينزل به ثم يحبس، فأقام في الحبس سنين كثيرة ينقل من حبس إلى حبس، خوفاً من إضلاله أهل كل حبس إذا طالت مدته عندهم إلى أن حبس آخر حبسة في دار السلطان، فاستغوى جماعة من غلمان السلطان وموّه عليهم واستمالهم بضروب من الحيل، حتى صاروا يحمونه ويدفعون عنه ويرفهونه بالمآكل المطيبة، ثم أرسل جماعة من الكتاب وغيرهم ببغداد وغيرها، فاستجابوا له وترقى به الأمر إلى أن ادعى الربوبية، وسعى بجماعة من أصحابه إلى السلطان فقبض عليهم ووجد عند بعضهم كتب تدل على تصديق ما ذكر عنه، وأقر بعضهم بذلك بلسانه، وانتشر خبره وتكلم الناس في قتله، فأمر الخليفة بتسليمه إلى حامد بن العباس، وأمره أن يكشفه بحضرة القضاة والعلماء ويجمع بينه وبين أصحابه، فجرى في ذلك خطوب طوال، ثم استيقن السلطان أمره ووقف على ما ذكر عنه، وثبت ذلك على يد القضاة وأفتى به العلماء فأمر بقتله وإحراقه بالنار، فأحضر مجلس الشرطة بالجانب

---

(١) المن: كيل أو ميزان بين ١٨٠ ـ ٢٨٠ مثقالاً. (٢) الجرزة: الكومة.

الغربي في يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة، فضرب بالسياط نحواً من ألف سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه، ثم ضربت عنقه، وأحرقت جثته بالنار، ونصب رأسه للناس على سور الجسر الجديد وعلقت يداه ورجلاه.

وقال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي إبراهيم بن محمد الواعظ يقول: قال أبو القاسم الرازي: قال أبو بكر بن ممشاذ: حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها ليلاً ولا نهاراً، فأنكروا ذلك من حاله ففتشوا مخلاته فوجدوا فيها كتاباً للحلاج عنوانه: من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان. ـ يدعوه إلى الضلالة والإيمان به فبعث بالكتاب إلى بغداد فسئل الحلاج عن ذلك فأقر أنه كتبه فقالوا له: كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الألوهية والربوبية؟ فقال: لا ولكن هذا عين الجمع عندنا. هل الكاتب إلا الله وأنا واليد آلة؟ فقيل له: معك على ذلك أحد؟ قال. نعم ابن عطاء وأبو محمد الحريري وأبو بكر الشبلي. فسئل الحريري عن ذلك فقال: من يقول بهذا كافر. وسئل الشبلي عن ذلك فقال: من يقول بهذا يمنع. وسئل ابن عطاء عن ذلك فقال: القول ما يقول الحلاج في ذلك. فعوقب حتى كان سبب هلاكه. ثم روى أبو عبد الرحمن السلمي عن محمد بن عبد الرحمن الرازي أن الوزير حامد بن العباس لما أحضر الحلاج سأله عن اعتقاده فأقر به فكتبه، فسأل عن ذلك فقهاء بغداد فأنكروا ذلك وكفروا من اعتقده، فكتبه. فقال الوزير: إن أبا العباس بن عطاء يقول بهذا. فقالوا: من قال بهذا فهو كافر. ثم طلب الوزير ابن عطاء إلى منزله فجاء فجلس في صدر المجلس فسأله عن قول الحلاج فقال: من لا يقول بهذا القول فهو بلا اعتقاد. فقال الوزير لابن عطاء: ويحك تصوب مثل هذا القول وهذا الاعتقاد؟ فقال ابن عطاء: ما لك ولهذا، عليك بما نصبت له[1] من أخذ أموال الناس وظلمهم وقتلهم فما لك ولكلام هؤلاء السادة من الأولياء. فأمر الوزير عند ذلك بضرب شدقيه ونزع خفيه وأن يضرب بهما على رأسه، فما زال يفعل به ذلك حتى سال الدم من منخريه، وأمر بسجنه. فقالوا له: إن العامة تستوحش من هذا ولا يعجبها. فحمل إلى منزله، فقال ابن عطاء: اللهم إقتله واقطع يديه ورجليه. ثم مات ابن عطاء بعد سبعة أيام، ثم بعد مدة قتل الوزير شرّ قتلة، وقطعت يداه ورجلاه وأحرقت داره. وكان العوام يرون ذلك بدعوة ابن عطاء على عادتهم في مرائيهم[2] فيمن أوذي ممن لهم معه هوى: بل قد قال ذلك جماعة ممن ينسب إلى العلم فيمن يؤذي ابن عربي أو يحط على حسين الحلاج أو غيره. هذا بخطيئة فلان وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحلاج وزندقته، وأجمعوا على قتله وصلبه، وكان علماء بغداد إذ ذاك هم الدنيا.

قال أبو بكر محمد بن داود الظاهري حين أحضر الحلاج في المرة الأولى قبل وفاة أبي بكر هذا وسئل عنه فقال: إن كان ما أنزل الله على نبيه ﷺ حقاً وما جاء به حقاً فما يقوله الحلاج باطل. وكان شديداً عليه.

---

(١) نصبت له: أتعبت نفسك وأجهدتها فيه.

(٢) مرائيهم: أي ما يرونه على سبيل الاعتقاد.

وقال أبو بكر الصولي: قد رأيت الحلاج وخاطبته فرأيته جاهلاً يتعاقل، وغبياً يتبالغ، وخبيثاً مدعياً. وراغباً يتزهد، وفاجراً يتعبد. ولما صلب في أول مرة ونودي عليه أربعة أيام سمعه بعضهم: وقد جيء به ليصلب وهو راكب على بقرة يقول: ما أنا بالحلاج، ولكن ألقي علي شبهه وغاب عنكم فلما أدني إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته وهو مصلوب يقول: يا معين الفنا علي أعنّي على الفنا. وقال بعضهم سمعته وهو مصلوب يقول: إلٰهي أصبحت في دار الرغائب، انظر إلى العجائب، إلٰهي إنك تتودد إلى من يؤذيك فكيف بمن يؤذى فيك.

ذكر مقتل الحلاّج

قال الخطيب البغدادي وغيره: كان الحلاج قد قدم آخر قدمة إلى بغداد فصحب الصوفية وانتسب إليهم، وكان الوزير إذ ذاك حامد بن العباس، فبلغه أن الحلاج قد أضلّ خلقاً من الحشم والحجاب في دار السلطان، ومن غلمان نصر القشوري الحاجب، وجعل لهم في جملة ما ادعاه أنه يحيي الموتى، وأن الجن يخدمونه ويحضرون له ما شاء ويختار ويشتهيه. وقال: إنه قد أحيا عدة من الطير. وذكر لعلي بن عيسى أن رجلاً يقال له محمد بن علي القنائي الكاتب يعبد الحلاج ويدعو الناس إلى ذلك فطلبه فكبس منزله فأخذه فأقر أنه من أصحاب الحلاج، ووجد في منزله أشياء بخط الحلاج مكتوبة بماء الذهب في ورق الحرير مجلدة بأفخر الجلود. ووجد عنده سفطاً[1] فيه من رجيع[2] الحلاج وعذرته[3] وبوله وأشياء من آثاره، وبقية خبز من زاده. فطلب الوزير من ويختار المقتدر أن يتكلم في أمر الحلاج ففوض أمره إليه، فاستدعى بجماعة من أصحاب الحلاج فتهددهم فاعترفوا له أنه قد صح عندهم أنه إله مع الله، وأنه يحيي الموتى، وأنهم كاشفوا الحلاج بذلك ورموه به في وجهه، فجحد ذلك وكذبهم وقال: أعوذ بالله أن أدعي الربوبية أو النبوة، وإنما أنا رجل [ضعيف][4] أعبد الله وأكثر له الصوم والصلاة وفعل الخير، لا أعرف غير ذلك. وجعل لا يزيد على الشهادتين والتوحيد، ويكثر أن يقول: سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وكانت عليه مدرعة سوداء وفي رجليه ثلاثة عشر قيداً، والمدرعة واصلة إلى ركبتيه، والقيود واصلة إلى ركبتيه أيضاً: وكان مع ذلك يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة.

وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العباس عليه في حجرة من دار نصر القشوري الحاجب، مأذوناً لمن يدخل عليه، وكان يسمي نفسه تارة بالحسين بن منصور، وتارة محمد بن أحمد الفارسي، وكان نصر الحاجب هذا قد افتتن به وظن أنه رجل صالح، وكان قد أدخله على المقتدر بالله فرقاه من وجع حصل له فاتفق زواله عنه، وكذلك وقع لوالدة

(١) السفط: وعاء أو إناء.
(٢) الرجيع: الروث.
(٣) العذرة: الغائط.
(٤) سقط في ط.

المقتدر السيدة رقاها فزالت عنها، فنفق سوقه وحظي في دار السلطان فلما انتشر الكلام فيه سلم إلى الوزير حامد بن العباس فحبسه في قيود كثيرة في رجليه، وجمع له الفقهاء فأجمعوا على كفره وزندقته، وأنه ساحر ممخرق.

ورجع عنه رجلان صالحان ممن كان اتبعه أحدهما أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي، والآخر يقال له الدباس، فذكرا من فضائحه وما كان يدعو الناس إليه من الكذب والفجور والمخرقة والسحر شيئاً كثيراً، وكذلك أحضرت زوجة ابنه سليمان فذكرت عنه فضائح كثيرة. من ذلك أنه أراد أن يغشاها وهي نائمة فانتبهت فقال: قومي إلى الصلاة، وإنما كان يريد أن يطأها. وأمر ابنتها بالسجود له فقالت: أو يسجد بشر لبشر؟ فقال: نعم إله في السماء وإله في الأرض. ثم أمرها أن تأخذ من تحت بارية[1] هنالك ما أرادت، فوجدت تحتها دنانير كثيرة مبدورة[2].

ولما كان معتقلاً في دار حامد بن العباس الوزير دخل عليه بعض الغلمان ومعه طبق فيه طعام ليأكل منه، فوجده قد ملأ البيت من سقفه إلى أرضه، فذعر ذلك الغلام وفزع فزعاً شديداً وألقى ما كان في يده من ذلك الطبق والطعام، ورجع محموماً فمرض عدة أيام.

ولما كان آخر مجلس من مجالسه أحضر القاضي أبو عمر محمد بن يوسف وجيء بالحلاج وقد أحضر له كتاب من دور بعض أصحابه وفيه: ومن أراد الحج ولم يتيسر له فليبن في داره بيتاً لا يناله شيء من النجاسات ولا يمكن أحداً من دخوله، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام وليطف به كما يطاف بالكعبة ثم يفعل في داره ما يفعله الحجيج بمكة، ثم يستدعي بثلاثين يتيماً فيطعمهم من طعامه، ويتولى خدمتهم بنفسه، ثم يكسوهم قميصاً قميصاً، ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم - أو قال ثلاثة دراهم - فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج. وإن من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات هندبا أجزأه ذلك عن صيام رمضان. ومن صلّى في ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك. وأن من جاور بمقابر الشهداء وبمقابر قريش عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم ثم لا يفطر إلا على شيء من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره. فقال له القاضي أبو عمر: من أين لك هذا؟ فقال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري. فقال له: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة وليس فيه شيء من هذا. فأقبل الوزير على القاضي فقال له: قد قلت يا حلال الدم فاكتب ذلك في هذه الورقة، وألح عليه وقدم له الدواة فكتب ذلك في تلك الورقة، وكتب من حضر خطوطهم فيها وأنفذها الوزير إلى المقتدر، وجعل الحلاج يقول لهم: ظهري حمى ودمي حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا[3] عليّ ما يبيحه، واعتقادي الإسلام، ومذهبي السنة،

(١) البارية: الحصير.

(٢) مبدورة: أي موضوعة في بدر، وهي أكياس توضع فيها الدراهم.

(٣) تتأولوا: تختلقوا الأقاويل.

وتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح، ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين[١] فالله الله في دمي. فلا يلتفتون إليه ولا إلى شيء مما يقول. وجعل يكرر ذلك وهم يكتبون خطوطهم بما كان من الأمر، ورد الحلاج [إلى محبسه وتأخر جواب المقتدر ثلاثة أيام حتى ساء ظن الوزير حامد بن العباس، فكتب إلى الخليفة يقول له: إن أمر الحلاج][٢] قد اشتهر ولم يختلف فيه اثنان وقد افتتن كثير من الناس به. فجاء الجواب بأن يسلم إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة. وليضربه ألف سوط، فإن مات وإلا ضربت عنقه. ففرح الوزير بذلك وطلب صاحب الشرطة فسلمه إليه وبعث معه طائفة من غلمانه يصلونه معه إلى محل الشرطة من الجانب الغربي خوفاً من أن يستنقذ من أيديهم. وذلك بعد عشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة من هذه السنة، وهو راكب على بغل عليه إكاف[٣] وحوله جماعة من أعوان السياسة، على مثل شكله، فاستقر منزله بدار الشرطة في هذه الليلة، فذكر أنه بات يصلي تلك الليلة ويدعو دعاء كثيراً.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت أبا بكر الشاشي يقول قال أبو الحديد ـ يعني المصري ـ: لما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها الحلاج قام يصلّي من الليل فصلّى ما شاء الله، فلما كان آخر الليل قام قائماً فتغطى بكسائه ومد يده نحو القبلة فتكلم بكلام جائز الحفظ، فكان مما حفظت منه قوله: نحن شواهدك فلو دلتنا عزتك لتبدّى[٤] ما شئت من شأنك ومشيئتك، وأنت الذي في السماء إلٰهٌ وفي الأرض إلٰه، تَتَجلّى لما تشاء مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصورة، والصورة فيها الروح الناطقة بالعلم والبيان والقدرة، ثم إني أوعزت إلى شاهدك لأني في ذاتك الهوى كيف أنت إذا مثلت بذاتي عند حلول لذاتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق علومي ومعجزاتي، صاعداً في معارجي إلى عروش أزلياتي عند التولي عن برياتي، إني احتضرت وقتلت وصلبت وأحرقت واحتملت السافيات الذاريات[٥]. ولججت في الجاريات[٦]، وأن ذرة من ينجوج[٧] مكان هالوك متجلياتي، لأعظم من الراسيات[٨] ثم أنشأ يقول:

أنْـعَـى إلَـيْـكَ نُـفُـوسـاً طَـاحَ شَـاهِـدُهَـا ... فِيمَا وَرَا الحَيْثِ[٩] بَلْ في شَاهِدِ القِدَمِ
أَنْـعَـى إلَـيْـكَ قُـلُـوبـاً طَـالَـمـا هَـطَـلَـتْ ... سَحَائِبُ الوَحْيِ فِيها أَبْحُرَ الحِكَم
أَنْـعَـى إلَـيْـكَ لِسَـانَ الـحَـقِّ مِـنْـكَ وَمَـنْ ... أَوْدَى[١٠] وَتَـذْكَـارُهُ فـي الـوَهْـمِ كَـالـعَـدَمِ

---

(١) الوراقون: الكتاب وبائعوا الكتب.
(٢) ما بين معقوفين سقط في المصرية.
(٣) الإكاف: البرذعة.
(٤) تبدّى: ظهر.
(٥) السافيات الذرايات: الرياح.
(٦) الجاريات: الأنهار وغيرها مما يجري.
(٧) ينجوج: العود الذي يتبخر به.
(٨) الراسيات: الجبال.
(٩) الحيث: المكان.
(١٠) أودى: مضى وهلك.

أَنْعَى إِلَيْكَ بَيَاناً يَسْتَكِينُ لَهُ أَقْوَالُ كُلِّ فَصِيحٍ مِقْوَلٍ فَهِمِ
أَنْعَى إِلَيْكَ إِشَارَاتِ الْعُقُولِ مَعاً لَمْ يَبْقَ مِنْهُنَّ إِلاّ دَارِسُ[1] الْعَلَمِ
أَنْعَى وَحُبُّكَ أَخْلاقٌ لِطَائِفَةٍ كَانَتْ مَطَايَاهُمُ مِنْ مَكْمَدِ الْكَظَمِ
مَضَى الْجَمِيعُ فَلا عَيْنٌ ولا أَثَرٌ مُضِيَّ عَادٍ وَفِقْدَانَ الأُولَى إِرَمِ
وَخَلَّفُوا مَعْشَراً يَحْذُونَ لِبْسَتَهُمْ أَعْمَى مِنَ البَهْمِ بَلْ أَعْمَى مِنَ النَّعَمِ[2]

قالوا: ولما أخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد:

طَلَبْتُ الْمُسْتَقَرّ بِكُلِّ أَرْضٍ فَلَمْ أَرَ لِي بِأَرْضٍ مُسْتَقَرّا
وَذُقْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَذَاقَ مِنِّي وَجَدْتُ مَذَاقَهُ حُلْواً وَمُرّاً
أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي وَلَوْ أَنِّي قَنِعْتُ لَعِشْتُ حُرّا

وقيل: إنه قالها حين قدّم إلى الجذع ليصلب، والمشهور الأول. فلما أخرجوه للصلب مشى إليه وهو يتبختر في مشيته وفي رجليه ثلاثة عشر قيداً وجعل ينشد ويتمايل:

نَدِيمِي غَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَيْفِ
سَقَانِي مِثْلَ مَا يَشْرَ بُ فِعْلُ الضَّيْفِ بِالضَّيْفِ
فَلَمَّا دَارَتِ الْكَأْسُ دَعَا بِالنِّطْعِ وَالسَّيْفِ
كَذَا مَنْ يَشْرَبُ الرَّاحَ مَعَ التِّنِّينِ فِي الصَّيْفِ

ثم قال: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ [الشورى:١٨] ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل. قالوا: ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وهو في ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة، ولم يتغير لونه، ويقال إنه جعل يقول مع كل سوط أحد أحد.

قال أبو عبد الرحمن: سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت عيسى القصار يقول: آخر كلمة تكلم بها الحلاّج حين قتل أن قال: حسب الواحد إفراد الواحد له. فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا رق له، واستحسن هذا الكلام منه، وقال السلمي: سمعت أبا بكر المحاملي يقول سمعت أبا الفاتك البغدادي ـ وكان صاحب الحلاج ـ قال: رأيت في النوم بعد ثلاث من قتل الحلاج كأني واقف بين يدي ربي عز وجل وأنا أقول: يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟ فقال: كاشفته بمعنى فدعا الخلق إلى نفسه فأنزلت به ما رأيت. ومنهم من قال: بل جزع عند القتل جزعاً شديداً وبكى بكاء كثيراً فالله أعلم.

وقال الخطيب: ثنا عبد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال قال لنا أبو عمر بن حيوية: لما أخرج الحسين بن منصور الحلاج ليقتل مضيت في جملة الناس، ولم أزل أزاحم

(١) الدارس: البالي المتهدم. (٢) النعم: الإبل.

حتى رأيته فدنوت منه فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا الأمر، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً. ثم قتل فما عاد. وذكر الخطيب أنه قال وهو يضرب لمحمد بن عبد الصمد والي الشرطة: أدع بي إليك فإن عندي نصيحة تعدل فتح القسطنطينية، فقال له: قد قيل لي إنك ستقول مثل هذا، وليس إلي رفع الضرب عنك سبيل. ثم قطعت يداه ورجلاه وحز رأسه وأحرقت جثته وألقي رمادها في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر، ثم حمل إلى خراسان وطيف به في تلك النواحي، وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه إليهم بعد ثلاثين يوماً. وزعم بعضهم أنه رأى الحلاج من آخر ذلك اليوم وهو راكب على حمار في طريق النهروان فقال: لعلك من هؤلاء النفر الذين ظنوا أني أنا هو المضروب المقتول، إني لست به، وإنما ألقي شبهي على رجل ففعل به ما رأيتم. وكانوا بجهلهم يقولون: إنما قتل عدو من أعداء الحلاج. فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان فقال: إن كان هذا الرأي صادقاً فقد تبدّى له شيطان على صورة الحلاج ليضل الناس به. كما ضلت فرقة النصارى بالمصلوب.

قال الخطيب: اتفق له أن دجلة زادت في هذا العام زيادة كثيرة. فقال: إنما زادت لأن رماد جثة الحلاج خالطها. وللعوام في مثل هذا وأشباهه ضروب من الهذيانات قديماً وحديثاً. ونودي ببغداد أن لا تشترى كتب الحلاج ولا تباع. وكان قتله يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة من سنة تسع وثلاثمائة ببغداد. وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات وحكى اختلاف الناس فيه، ونقل عن الغزالي أنه ذكره في مشكاة الأنوار وتأول كلامه وحمله على ما يليق. ثم نقل ابن خلكان عن إمام الحرمين أنه كان يذمه ويقول إنه اتفق هو والجنابي وابن المقفع على إفساد عقائد الناس، وتفرقوا في البلاد فكان الجنابي في هجر والبحرين، وابن المقفع ببلاد الترك، ودخل الحلاج العراق، فحكم صاحباه عليه بالهلكة لعدم انخداع أهل العراق بالباطل.

قال ابن خلكان: وهذا لا ينتظم فإن ابن المقفع كان قبل الحلاج بدهر في أيام السفاح والمنصور، ومات سنة خمس وأربعين ومائتين أو قبلها. ولعل إمام الحرمين أراد ابن المقفع الخراساني الذي ادعى الربوبية وأوتي العمر واسمه عطاء، وقد قتل نفسه بالسم في سنة ثلاث وستين ومائة، ولا يمكن اجتماعه مع الحلاج أيضاً، وإن أردنا تصحيح كلام إمام الحرمين فنذكر ثلاثة قد اجتمعوا في وقت واحد على إضلال الناس وإفساد العقائد كما ذكر، فيكون المراد بذلك الحلاج وهو الحسين بن منصور الذي ذكره، وابن السمعاني - يعني أبا جعفر محمد بن علي - وأبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي الذي قتل الحُجاج وأخذ الحجر الأسود وطم زمزم[1] ونهب أستار الكعبة، فهؤلاء يمكن اجتماعهم في وقت واحد كما ذكرنا ذلك مبسوطاً، وذكره ابن خلكان ملخصاً. وفيها توفي من الأعيان:

(١) في ط: ردم زمزم، أي طمرها وزمزم بئر في مكة.

أبو العباس بن عطاء أحد أئمة الصوفية

وهو أحمد بن محمد بن عطاء الآدمي. حدث عن يوسف بن موسى القطان، والمفضل بن زياد وغيرهما، وقد كان موافقاً للحلاج في بعض اعتقاده على ضلاله، وكان أبو العباس هذا يقرأ في كل يوم ختمة، فإذا كان شهر رمضان قرأ في كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وكان له ختمة يتدبرها ويتدبر معاني القرآن فيها. فمكث فيها سبع عشرة سنة ومات ولم يختمها، وهذا الرجل ممن كان اشتبه عليه أمر الحلاج وأظهر موافقته فعاقبه الوزير حامد بن العباس بالضرب البليغ على شدقيه، وأمر بنزع خفيه وضربه بهما على رأسه حتى سال الدم من منخريه، ومات بعد سبعة أيام من ذلك، وكان قد دعا على الوزير بأن تقطع يداه ورجلاه ويقتل شر قتلة. فما مات الوزير بعد مدة كذلك.

وفيها توفي: أبو إسحاق إبراهيم بن هارون الطبيب الحراني.

وأبو محمد عبد الله بن حمدون النديم.

ثم دخلت سنة عشر وثلاثمائة

فيها أطلق يوسف بن أبي الساج من الضيق، وكان معتقلاً، وردت إليه أمواله وأعيد إلى عمله وأضيف إليه بلدان أخرى، ووظف عليه في كل سنة خمسمائة ألف دينار يحملها إلى الحضرة فبعث حينئذٍ إلى مؤنس الخادم يطلب منه أبا بكر بن الآدمي القارىء، وكان قد قرأ بين يديه حين اعتقل في سنة إحدى وستين ومائتين ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ [هود:١٠٢] فخاف القارىء من سطوته واستعفى من مؤنس الخادم فقال له مؤنس: اذهب وأنا شريكك في الجائزة. فلما دخل عليه قرأ بين يديه ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف:٥٤] فقال: بل أحب أن تقرأ ذلك العشر الذي قرأته عند سجني وإشهاري ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢] فإن ذلك كان سبب توبتي ورجوعي إلى الله عز وجل، وكان ذلك على يديك. ثم أمر له بمال جزيل وأحسن إليه. وفيها مرض علي بن عيسى الوزير فجاءه هارون بن المقتدر ليعوده ويبلغه سلام أبيه عليه، فبسط له الطريق، فلما اقترب من داره تحامل وخرج إليه فبلغه سلام الخليفة، وجاء مؤنس الخادم معه، ثم جاء الخبر بأن الخليفة قد عزم على عيادته فاستعفى من مؤنس الخادم، ثم ركب على جهد عظيم حتى سلم على الخليفة لئلا يكلفه الركوب إليه. وفيها قبض على القهرمانة أم موسى ومن ينسب إليها، وكان حاصل ما حمل إلى بيت المال من جهتها ألف ألف دينار. وفي يوم الخميس منها لعشر بقين من ربيع الآخر ولّى المقتدر منصب القضاء أبا الحسين عمر بن الحسين بن علي الشيباني المعروف بابن الأشناني ـ وكان من حفاظ الحديث وفقهاء الناس ـ ولكنه عزل بعد ثلاثة أيام، وكان قبل ذلك محتسباً ببغداد. وفيها عزل محمد بن عبد الصمد عن شرطة بغداد ووليها نازوك وخلع عليه. وفيها في جمادى الآخرة فيها ظهر كوكب له ذنب طوله ذراعان في برج السنبلة. وفي شعبان منها وصلت هدايا

نائب مصر وهو الحسين بن المارداني، وفي جملتها بغلة معها فلوها، وغلام يصل لسانه إلى طرف أنفه. وفيها قرئت الكتب على المنابر بما كان من الفتوح على المسلمين ببلاد الروم. وفيها ورد الخبر بأنه انشق بأرض واسط فلوع[1] في الأرض في سبعة عشر موضعاً أكبرها طوله ألف ذراع، وأقلها مائتا ذراع، وأنه غرق من أمهات القرى ألف وثلاثمائة قرية. وحج بالناس إسحاق بن عبد الملك الهاشمي.

وممن توفي فيها من الأعيان...

أبو بشر الدولابي

محمد بن أحمد بن حماد أبو سعيد أبو بشر الدولابي، مولى الأنصار، ويعرف بالوراق، أحد الأئمة من حفاظ الحديث، وله تصانيف حسنة في التاريخ وغير ذلك، وروى عن جماعة كثيرة.

قال ابن يونس: كان يصعق، توفي وهو قاصد الحج بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة وفيها توفي.

أبو جعفر بن جرير الطبري

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري، كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين، وكان أسمر أعين مليح الوجه مديد القامة فصيح اللسان، روى الكثير عن الجم الغفير، ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث، وصنف التاريخ الحافل، وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع. ومن أحسن ذلك تهذيب الآثار ولكن لم يتمه ولو كمل لما احتيج معه إلى شيء، ولكان فيه الكفاية لكنه لم يتمه. وقد روي عنه أنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة.

قال الخطيب البغدادي: استوطن ابن جرير بغداد وأقام بها إلى حين وفاته، وكان من أكابر أئمة العلماء، ويحكم بقوله ويرجع إلى معرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات كلها، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في الأحكام، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم. وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله. وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه، إلا أنه لم يتمه. وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيارات، وتفرد بمسائل حفظت عنه.

قال الخطيب: وبلغني عن الشيخ أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الإسفراييني أنه

---

(١) فلوع: شقوق.

قال: لو سافر رجل إلى الصين حتى ينظر في كتاب تفسير ابن جرير الطبري لم يكن ذلك كثيراً، أو كما قال.

وروى الخطيب عن إمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة أنه طالع تفسير محمد بن جرير في سنين من أوله إلى آخره، ثم قال: ما أعلم على أديم الأرض[1] أعلم من ابن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة. وقال محمد لرجل رحل إلى بغداد يكتب الحديث عن المشايخ ـ ولم يتفق له سماع من ابن جرير لأن الحنابلة كانوا يمنعون أن يجتمع به أحد ـ فقال ابن خزيمة: لو كتبت عنه لكان خيراً لك من كل من كتبت عنه.

قلت: وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم، وكان حسن الصوت بالقراءة مع المعرفة التامة بالقراءات على أحسن الصفات، وكان من كبار الصالحين، وهو أحد المحدثين الذين اجتمعوا في مصر في أيام ابن طولون، وهم محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني، ومحمد بن جرير الطبري هذا. وقد ذكرناهم في ترجمة محمد بن نصر المروزي، وكان الذي قام فصلّى هو محمد بن إسحاق بن خزيمة، وقيل محمد بن نصر، فرزقهم الله [ببركة صلاته][2]. وقد أراد الخليفة المقتدر في بعضة الأيام أن يكتب كتاب وقف تكون شروطه متفقاً عليها بين الفقهاء، فقيل له: لا يقدر على استحضار ذلك إلا محمد بن جرير الطبري، فطلب منه ذلك فكتب له، فاستدعاه الخليفة إليه وقرب منزلته عنده. وقال له: سل حاجتك، فقال: لا حاجة لي. فقال لا بد أن تسألني حاجة أو شيئاً. فقال: أسأل من أمير المؤمنين أن يتقدم أمره إلى الشرطة حتى يمنعوا السؤال يوم الجمعة أن يدخلوا إلى مقصورة الجامع. فأمر الخليفة بذلك. وكان ينفق على نفسه من مغلٍّ قرية تركها له أبوه بطبرستان.

ومن شعره:

إِذَا أَعْسَرْتُ لَمْ يَعْلَمْ رَفِيقِي ... وَأَسْتَغْنِي فَيَسْتَغْنِي صَدِيقِي
حَيَائِي حَافِظٌ لِي مَاءَ وَجْهِي ... وَرِفْقِي فِي مُطَالَبَتِي رَفِيقِي
وَلَوْ أَنِّي سَمَحْتُ بِبَذْلِ وَجْهِي ... لَكُنْتُ إِلَى الغِنَى سَهْلَ الطَّرِيقِ

ومن شعره أيضاً:

خُلُقَانِ لا أَرْضَى طَرِيقَهُمَا ... بَطَرُ[3] الغِنَى وَمَذَلَّةُ الفَقْرِ
فَإِذَا غَنِيتَ فَلا تَكُنْ بَطِراً ... وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَتِهْ عَلَى الدَّهْرِ

وقد كانت وفاته وقت المغرب عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال من سنة عشر وثلاثمائة. وقد جاوز الثمانين بخمس سنين أو ست سنين، وفي شعر رأسه ولحيته سواد

---

(١) أديم الأرض: وجهها.

(٢) سقط في ط.

(٣) البطر: التكبر عند النعمة.

كثير، ودفن في داره لأن بعض عوام الحنابلة ورعاعهم منعوا من دفنه نهاراً ونسبوه إلى الرفض، ومن الجهلة من رماه بالإلحاد، وحاشاه من ذلك كله. بل كان أحد أئمة الإسلام علماً وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله، وإنما تقلدوا ذلك عن أبي بكر محمد بن داود الفقيه الظاهري، حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم وبالرفض. ولما توفي اجتمع الناس من سائر أقطار بغداد عليه بداره ودفن بها، ومكث الناس يترددون إلى قبره شهوراً يصلّون عليه وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خمّ في مجلدين ضخمين، وكتاباً جمع فيه طريق حديث الطير. ونسب إليه أنه كان يقول بجواز مسح القدمين في الوضوء وأنه لا يوجب غسلهما، وقد اشتهر عنه هذا. فمن العلماء من يزعم أن ابن جرير اثنان أحدهما شيعي وإليه ينسب ذلك، وينزهون أبا جعفر هذا عن هذه الصفات. والذي عول عليه كلامه في التفسير أنه يوجب غسل القدمين ويوجب مع الغسل دلكهما، ولكنه عبر عن الدلك بالمسح، فلم يفهم كثير من الناس مراده، ومن فهم مراده نقلوا عنه أنه يوجب الغسل والمسح وهو الدلك والله أعلم. وقد رثاه جماعة من أهل العلم منهم ابن الأعرابي حيث يقول:

حَدَثٌ مُفْظِعٌ وَخَطْبٌ جَلِيلُ ... دَقَّ عَنْ مِثْلِهِ اصْطِبَارُ الصَّبُورِ
قَامَ نَاعِي الْعُلُومِ أَجْمَعَ لَمَّا ... قَامَ نَاعِي مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ
فَهَوَتْ أَنْجُمٌ لَهَا زَاهِرَاتٌ ... مُؤْذِنَاتٌ رُسُومُهَا بِالدُّثُورِ[1]
وَتَغَشَّى ضِيَاءَهَا النَّيِّرَ الإِشْـ ... ـرَاقِ ثَوْبُ الدُّجُنَّةِ الدَّيْجُورِ[2]
وَغَدَا رَوْضُهَا الأَنِيقُ هَشِيماً ... ثُمَّ عَادَتْ سُهُولُهَا كَالْوُعُورِ
يَا أَبَا جَعْفَرٍ غَدَوْتَ حَمِيداً ... غَيْرَ وَانٍ فِي الْجِدِّ وَالتَّشْمِيـ
ـرِ بَيْنَ أَجْرٍ عَلَى اجْتِهَادِكَ مَوْفُو ... رٍ وَسَعْيٍ إِلَى التُّقَى مَشْكُورِ
مُسْتَحِقّاً بِهِ الْخُلُودَ لَدَى جَنْـ ... ـنَةِ عَدْنٍ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورِ

ولأبي بكر بن دريد رحمه الله فيه مرثاة طويلة، وقد أوردها الخطيب البغدادي بتمامها. والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

فيها دخل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي أمير القرامطة في ألف وسبعمائة فارس إلى البصرة ليلاً، نصب السلالم الشعر في سورها فدخلها قهراً وفتحوا أبوابها وقتلوا من لقوه من أهلها، وهرب أكثر الناس فألقوا أنفسهم في الماء فغرق كثير منهم، ومكث بها سبعة عشر يوماً يقتل ويأسر من نسائها وذراريها، ويأخذ ما يختار من أموالها. ثم عاد إلى

(١) الدثور: الفناء، والفضاء.

(٢) الديجور: الظلمة الشديدة.

بلده هجر، كما بعث إليه الخليفة جنداً من قبله فرّ هارباً وترك البلد خاوياً، إنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها عزل المقتدر عن الوزارة حامد بن العباس وعلي بن عيسى وردها إلى أبي الحسن بن الفرات مرة ثالثة، وسلم إليه حامداً وعلي بن عيسى، فأما حامد فإن المحسن ابن الوزير ضمنه من المقتدر بخمسمائة ألف ألف دينار، فتسلمه فعاقبه بأنواع العقوبات، وأخذ منه أموالاً جزيلة لا تحصى ولا تعد كثرة، ثم أرسله مع موكلين عليه إلى واسط ليحتاطوا على أمواله هناك وحواصله هناك، وأمرهم أن يسقوه سمّاً في الطريق فسقوه ذلك في بيض مشوي كان قد طلبه منهم، فمات في رمضان من هذه السنة. وأما علي بن عيسى فإنه صودر بثلاثمائة ألف دينار وصودر قوم آخرون من كتابه، فكان جملة ما أخذ من هؤلاء مع ما كان صودرت به القهرمانة من الذهب شيئاً كثيراً جداً آلاف ألف من الدنانير، وغير ذلك من الأثاث والأملاك والدواب والآنية من الذهب والفضة. وأشار الوزير ابن الفرات على الخليفة المقتدر بالله أن يبعد عنه مؤنس الخادم إلى الشام ـ وكان قد قدم من بلاد الروم من الجهاد، وقد فتح شيئاً كثيراً من حصون الروم وبلدانهم، وغنم مغانم كثيرة جداً ـ فأجابه إلى ذلك، فسأل مؤنس الخليفة أن ينظره إلى سلخ شهر رمضان، وكان مؤنس قد أعلم الخليفة بما يعتمده ابن الوزير من تعذيب الناس ومصادرتهم الأموال، فأمر الخليفة مؤنساً بالخروج إلى الشام. وفيها كثر الجراد وأفسد كثيراً من الغلات. وفي رمضان منها أمر الخليفة برد ما فضل من المواريث على ذوي الأرحام. وفي رمضان أحرق بالنار على باب العامة مائتين وأربعة أعدال من كتب الزنادقة منها ما كان صنّفه الحلاج وغيره، فسقط منها ذهب كثير كانت محلاة به. وفيها اتخذ أبو الحسن بن الفرات الوزير مارستاناً[1] في درب الفضل وكان ينفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار وفيها توفي من الأعيان:

الخلال أحمد بن محمد بن هارون

أبو بكر الخلال، صاحب الكتاب الجامع لعلوم الإمام أحمد، ولم يصنف في مذهب الإمام أحمد مثل هذا الكتاب، وقد سمع الخلال الحديث من الحسن بن عرفة وسعدان بن نصر وغيرهما. توفي يوم الجمعة قبل الصلاة ليومين مضتا من [ربيع الأول] [من هذه السنة][2].

أبو محمد الجريري

أحد أئمة الصوفية أحمد بن محمد بن الحسين أبو محمد الجريري أحد كبار الصوفية، صحب سريا السقطي، وكان الجنيد يكرمه ويحترمه. ولما حضرت الجنيد الوفاة أوصى أن يجالس الجريري، وقد اشتبه على الجريري هذا شأن الحلاج فكان ممن أجمل القول فيه، على أن الجريري هذا مذكور بالصلاح والديانة وحسن الأدب.

---

(١) المارستان: المستشفى. (٢) في ط: منها.

الزجاج صاحب معاني القرآن

إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، كان فاضلاً ديّناً حسن الاعتقاد، وله المصنفات الحسنة، منها كتاب معاني القرآن وغيره من المصنفات العديدة المفيدة، وقد كان أول أمره يخرط الزجاج فأحب علم النحو فذهب إلى المبرد، وكان يعطي المبرد كل يوم درهماً، ثم استغنى الزجاج وكثر ماله ولم يقطع عن المبرد ذلك الدرهم حتى مات. وقد كان الزجاج مؤدباً للقاسم بن عبيد الله. فلما ولي الوزارة كان الناس يأتونه بالرقاع ليقدمها إلى الوزير، فحصل له بسبب ذلك ما يزيد على أربعين ألف دينار. توفي في جمادى الأولى منها. وعنه أخذ أبو علي الفارسي النحوي، وابن القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، نسب إليه لأخذه عنه، وهو صاحب كتاب الجمل في النحو.

بدر مولى المعتضد

وهو بدر الحمامي ويقال له بدر الكبير، كان في آخر وقت على نيابة فارس، ثم وليها من بعده ولده محمد.

حامد بن العباس

الوزير استوزره المقتدر في سنة ست وثلاثمائة، وكان كثير المال والغلمان، كثير النفقات كريماً سخياً، كثير المروءة. له حكايات تدل على بذله وإعطائه الأموال الجزيلة، ومع هذا كان قد جمع شيئاً كثيراً، وجد له في مطمورة ألوف من الذهب، كان كل يوم إذا دخلها ألقى فيها ألف دينار، فلما امتلأت طمّها، فلما صودر دل عليها فاستخرجوا منها مالاً كثيراً جداً، ومن أكبر مناقبه أنه كان من السعاة في قتل الحسين الحلاج كما ذكرنا ذلك. توفي الوزير حامد بن العباس في رمضان منها مسموماً وفيها توفي عمر بن محمد بحتر البحتري صاحب الصحيح.

ابن خزيمة

محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي، مولى محسن بن مزاحم الإمام أبو بكر بن خزيمة الملقب بإمام الأئمة، كان بحراً من بحور العلم طاف البلاد ورحل إلى الآفاق في الحديث وطلب العلم، فكتب الكثير وصنّف وجمع، وكتابه الصحيح من أنفع الكتب وأجلّها، وهو من المجتهدين في دين الإسلام، حكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الشافعية عنه أنه قال: ما قلدت أحداً منذ بلغت ست عشرة سنة، وقد ذكرنا له ترجمة مطولة في كتابنا طبقات الشافعية [وهو الذي قام يصلي حين وقعت القرعة عليه ليسترزق الله في صلاته حين أرسله هو ومحمد بن نصر ومحمد بن جرير ومحمد بن هارون الروياني وقد أوردها ابن الجوزي من طريقين في ترجمته وذلك ببلاد مصر في رحلة أحمد بن طولون][1] الذين أرملوا

(١) في ط: وهو أحد المحمدين.

بمصر ثم رزقهم الله ببركة صلاته. وقد ذكرنا نحو ذلك في ترجمة الحسن بن سفيان.

وفيها توفي محمد بن زكريا الطبيب صاحب المصنف الكبير في الطب.

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وثلاثمائة

في المحرم منها اعترض القرمطي أبو طاهر الحسين بن أبي سعيد الجنابي لعنه الله، ولعن أباه للحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام، قد أدوا فرض الله عليهم، فقطع عليهم الطريق فقاتلوه دفعاً عن أموالهم وأنفسهم وحريمهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً لا يعلمهم إلا الله، وأسر من نسائهم وأبنائهم ما اختاره، واصطفى من أموالهم ما أراد، فكان مبلغ ما أخذ من الأموال ما يقاوم ألف ألف دينار، ومن الأمتعة والمتاجر نحو ذلك، وترك بقية الناس بعدما أخذ جمالهم وزادهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم على بعد الدار في تلك الفيافي والبرية بلا ماء ولا زاد ولا محمل. وقد جاحف[1] عن الناس نائب الكوفة أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان فهزمه وأسره. إنا لله وإنا إليه راجعون. وكان عدة من مع القرمطي ثمانمائة مقاتل، وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة قصمه الله. ولما انتهى خبرهم إلى بغداد قام نساؤهم وأهاليهم في النياحة ونشرن شعورهن ولطمن خدودهن، وانضاف إليهنّ نساء الذين نكبوا على يد الوزير وابنه، وكان ببغداد يوم مشهود بسبب ذلك في غاية البشاعة والشناعة، فسأل الخليفة عن الخبر فذكروا له أنهم نسوة الحجيج ومعهن نساء الذين صادرهم ابن الفرات، وجاءت على يد الحاجب نصر بن القشوري على الوزير فقال: يا أمير المؤمنين إنما استولى هذا القرمطي على ما استولى عليه بسبب إبعادك مؤنس الخادم المظفر، فطمع هؤلاء في الأطراف، وما أشار عليك بإبعاده إلا ابن الفرات، فبعث الخليفة إلى ابن الفرات يقول له: إن الناس يتكلمون فيك لنصحك إياي، وأرسل يطيب قلبه، فركب هو وولده إلى الخليفة فدخلا عليه فأكرمهما وطيب قلوبهما، فخرجا من عنده فنالهما أذى كثير من نصر الحاجب وغيره من كبار الأمراء، وجلس الوزير في دسته فحكم بين الناس كعادته، وبات ليلته تلك مفكراً في أمره، وأصبح كذلك وهو ينشد:

فَأَصْبَحَ لا يَدْرِي وَإِنْ كَانَ حَازِماً ... أَقُدَّامَهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ دبارهُ

ثم جاءه في ذلك اليوم أميران من جهة الخليفة فدخلا عليه داره إلى بين حريمه وأخرجوه مكشوفاً رأسه وهو في غاية الذل والصغار، والإهانة والعار، فأركبوه في حراقة إلى الجانب الآخر. وفهم الناس ذلك فرجموا ابن الفرات بالآجر، وتعطلت الجوامع وخربت العامة المحاريب، ولم يصلِّ الناس الجمعة فيها، وأخذ خط الوزير بألفي ألف دينار، وأخذ خط ابنه بثلاثة آلاف ألف دينار، وسلما إلى نازوك أمير الشرطة، فاعتقلا حيناً حتى خلصت منهما الأموال، ثم أرسل الخليفة خلف مؤنس الخادم، فلما قدم سلمهما إليه فأهانهما غاية

(١) جاحف: دافع.

الإهانة بالضرب والتقريع له ولولده المجرم الذي ليس بمحسن، ثم قتلا بعد ذلك. واستوزر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن خاقان أبو القاسم، وذلك في تاسع ربيع الأول منها. ولما دخل مؤنس بغداد دخل في تجمل عظيم وشفع عند ابن خاقان في أن يرسل إلى علي بن عيسى - وكان قد صار إلى صنعاء اليمن مطروداً - فعاد إلى مكة وبعث إليه الوزير أن ينظر في أمر الشام ومصر، وأمر الخليفة مؤنس الخادم بأن يسير إلى الكوفة لقتال القرامطة، وأنفق على خروجه إلى ألف ألف دينار، وأطلق القرمطي من كان أسره من الحجيج، وكانوا ألفي رجل وخمسمائة امرأة، وأطلق أبا الهيجاء نائب الكوفة معهم أيضاً، وكتب إلى الخليفة يطلب منه البصرة، والأهواز فلم يجب إلى ذلك، وركب المظفر مؤنس الخادم في جحافل إلى بلاد الكوفة فسكن أمرها، ثم انحدر منها إلى واسط [خوفاً عليها من القرامطة][١] واستناب على الكوفة ياقوت الخادم، فتمهدت الأمور وانصلحت. وفي هذه السنة ظهر رجل بين الكوفة وبغداد فادعى أنه محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وصدقه على ذلك طائفة من الأعراب والطغام، والتفوا عليه وقويت شوكته في شوال، فأرسل إليه الوزير جيشاً فقاتلوه فهزموه وقتلوا خلقاً من أصحابه، وتفرق بقيتهم. وهذا المدعي المذكور هو رئيس الإسماعيلية وهو أولهم. وظفر نازوك صاحب الشرطة بثلاثة من أصحاب الحلاج: وهم حيدرة، والشعراني، وابن منصور، فطالبهم بالرجوع عن اعتقادهم فيه فلم يرجعوا، فضرب رقابهم وصلبهم في الجانب الشرقي. ولم يحج في هذه السنة أحد من أهل العراق لكثرة خوف الناس من القرامطة.

وفيها توفي من الأعيان:

إبراهيم بن خميس

أبو إسحاق الواعظ الزاهد. كان يعظ الناس، فمن جملة كلامه الحسن قوله: يضحك القضاء من الحذر، ويضحك الأجل من الأمل، ويضحك التقدير من التدبير، وتضحك القسمة من الجهد والعناء.

علي بن محمد بن الفرات [أبو الحسن الوزير][٢]

ولاه المقتدر الوزارة ثم عزله ثم ولاّه ثم عزله ثم ولاّه ثم عزله ثم ولاّه ثم قتله في هذه السنة، وقتل ولده، وكان ذا مال جزيل: ملك عشرة آلاف ألف دينار، وكان يدخل له من ضياعه كل سنة ألف ألف دينار، وكان ينفق على خمسة آلاف من العبّاد والعلماء، تجري عليهم نفقات في كل شهر ما فيه كفايتهم، وكان له معرفة بالوزارة والحساب، يقال إنه نظر يوماً في ألف كتاب، ووقع على ألف رقعة، فتعجب من حضره من ذلك، وكانت فيه مروءة وكرم وحسن سيرة في ولاياته، غير هذه المرة فإنه ظلم وغشم وصادر الناس وأخذ أموالهم،

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.

فأخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة، أخذ عزيز مقتدر. وقد كان ذا كرم وسعة في النفقة، ذاكر عنده ذات ليلة أهل الحديث والصوفية وأهل الأدب فأطلق من ماله لكل طائفة عشرين ألفاً. وكتب رجل على لسانه إلى نائب مصر كتاباً فيه وصية به إلى الوزير، فلما وقف عليه عرف أنه كذب وزور، فاستشار الحاضرين عنده فيما يفعل بالذي زوَّر عليه، فقال بعضهم: تقطع يديه وقال آخر تقطع إبهاميه، وقال آخر يضرب ضرباً مبرحاً. فقال الوزير: أو خير من ذلك كله؟ ثم أخذ الكتاب وكتب عليه: نعم هذا خطي وهو من أخص أصحابي، فلا تتركن من الخير شيئاً مما تقدر عليه إلا أوصلته إليه. فلما عاد الكتاب أحسن نائب مصر إلى ذلك الرجل إحساناً بالغاً، ووصله بنحو من عشرين ألف دينار. واستدعى ابن الفرات يوماً ببعض الكتاب فقال له: ويحك إن نيتي فيك سيئة، وإني في كل وقت أريد أن أقبض عليك وأصادرك فأراك في المنام تمنعني برغيف، وقد رأيتك في المنام من ليال، وإني أريد القبض عليك، فجعلت تمتنع مني، فأمرت جندي أن يقاتلوك، فجعلوا كلما ضربوك بشيء من سهام وغيرها تتقي الضرب برغيف في يدك، فلا يصل إليك شيء، فأعلمني ما قصة هذا الرغيف. فقال: أيها الوزير إن أمي منذ كنت صغيراً كل ليلة تضع تحت وسادتي رغيفاً، فإذا أصبحت تصدقت به عني، فلم يزل ذلك دأبها حتى ماتت. فلما ماتت فعلت أنا ذلك مع نفسي، فكل ليلة أضع تحت وسادتي رغيفاً ثم أصبح فأتصدق به. فعجب الوزير من ذلك وقال: والله لا ينالك مني بعد اليوم سوء أبداً، ولقد حسنت نيتي فيك، وقد أحببتك. وقد أطال ابن خلكان ترجمته فذكر بعض ما أوردناه في ترجمته.

محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن

أبو بكر الأزدي الواسطي، المعروف بالباغندي، سمع محمد بن عبد الله بن نمير، وابن أبي شيبة وشيبان بن فروخ، وعلي بن المديني، وخلقاً من أهل الشام ومصر والكوفة والبصرة وبغداد، ورحل إلى الأمصار البعيدة، وعني بهذا الشأن، واشتغل فيه فأفرط، حتى قيل إنه ربما سرد بعض الأحاديث بأسانيدها في الصلاة والنوم وهو لا يشعر، فكانوا يسبحون به حتى يتذكر أنه في الصلاة، وكان يقول: أنا أجيب في ثلاثمائة ألف مسألة من الحديث لا أتجاوزه إلى غيره. وقد رأى رسول الله ﷺ في منامه فقال له: يا رسول الله أيما أثبت في الأحاديث منصور أو الأعمش؟ فقال له: منصور. وقد كان يعاب بالتدليس[1] حتى قال الدارقطني: هو كثير التدليس، يحدث بما لم يسمع، وربما سرق بعض الأحاديث والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في ليلة بقيت من المحرم انقض كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس، فأضاءت الدنيا منه وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد. وفي

(١) التدليس: الاختلاف والخلط في الأحاديث النبوية، والإتيان بغير الثابت المتين.

صفر منها بلغ الخليفة أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براثى فينالون من الصحابة ولا يصلون الجمعة، ويكاتبون القرامطة ويدعون إلى محمد بن إسماعيل الذي ظهر بين الكوفة وبغداد، ويدعون أنه المهدي، ويتبرؤون من المقتدر وممن تبعه. فأمر بالاحتياط عليهم واستفتى العلماء [في تخريب المسجد][1] فأفتوا بأنه مسجد ضرار فضرب من قدر عليه منهم الضرب المبرح، ونودي عليهم. وأمر بهدم ذلك المسجد المذكور فهدم، هدمه نازوك، وأمر الوزير الخاقاني فجعل مكانه مقبرة فدفن فيها جماعة من الموالي. وخرج الناس للحج في ذي القعدة فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي، فرجع أكثر الناس إلى بلدانهم، ويقال إن بعضهم سأل منه الأمان ليذهبوا فأمنهم. وقد قاتله جند الخليفة فلم يفد ذلك شيئاً لتمرده وشدة بأسه، فانزعج أهل بغداد من ذلك، وترحل أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي خوفاً منهم، ودخل القرمطي إلى الكوفة فأقام بها شهراً يأخذ من أموالها ونسائها ما يختار.

قال ابن الجوزي: وكثر الرطب في هذه السنة ببغداد حتى بيع كل ثمانية أرطال بحبة، وعمل منه تمر وحمل إلى البصرة. وعزل المقتدر وزيره الخاقاني بعد أن ولاّه سنة وستة أشهر ويومين، وولى مكانه أبا القاسم أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخطيب الخصيبي، لأجل مال بذله من جهة زوجة للحسن بن الفرات، وكان ذلك المال سبعمائة ألف دينار فأمر الخصيبي علي بن عيسى على أن يكون مشرفاً على ديار مصر وبلاد الشام، وهو مقيم بمكة يسير إلى تلك البلاد في بعض الأوقات فيعمل ما ينبغي ثم يرجع إلى مكة وفيها توفي من الأعيان:

علي بن عبد الحميد بن عبد الله بن سليمان

أبو الحسن الغضائري، سمع القواريري وعباساً العنبري، وكان من العباد الثقات. قال: جئت يوماً إلى السري السقطي فدققت عليه بابه فخرج إليّ ووضع يده على عضادتي الباب وهو يقول: اللهم اشغل من شغلني عنك بك. قال: فنالتني بركة هذه الدعوة فحججت على قدمي من حلب إلى مكة أربعين حجة ذاهباً وآيباً.

أبو العباس السراج الحافظ

محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبد الله الثقفي مولاهم، أبو العباس السراج، أحد الأئمة الثقات الحفاظ، مولده سنة ثمان عشرة ومائتين، سمع قتيبة وإسحاق بن راهويه وخلقاً كثيراً من أهل خراسان وبغداد والكوفة والبصرة والحجاز، وقد حدث عنه البخاري ومسلم، وهما أكبر منه وأقدم ميلاداً ووفاة، وله مصنفات كثيرة نافعة جداً، وكان يعد من مجابي الدعوة. وقد رأى في منامه كأنه يرقى في سلم فصعد فيه تسعاً وتسعين

(١) في ط: بالمسجد.

درجة، فما أولها على أحد إلا قال له: تعيش تسعاً وتسعين سنة، فكان كذلك. وقد ولد له ابنه أبو عمرو وعمره ثلاث وثمانون سنة.

قال الحاكم: فسمعت أبا عمرو يقول: كنت إذا دخلت المسجد على أبي والناس عنده يقول لهم: هذا عملته في ليلة ولي من العمر ثلاث وثمانون سنة.

ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة

فيها كتب ملك الروم، وهو الدمستق لعنه الله، إلى أهل السواحل أن يحملوا إليه الخراج [وإلا قاتلهم](١)، فأبوا عليه فركب إليهم في أول هذه السنة، فعاث في الأرض فساداً، ودخل ملطية فقتل من أهلها خلقاً وأسر وأقام بها ستة عشر يوماً، وجاء أهلها إلى بغداد يستنجدون الخليفة عليه. ووقع في بغداد حريق في مكانين، مات فيهما خلق كثير، وأحرق في أحدهما ألف دار ودكان، وجاءت الكتب بموت الدمستق ملك النصارى فقرئت الكتب على المنابر. وجاءت الكتب من مكة أنهم في غاية الانزعاج بسبب اقتراب القرامطة إليهم وقصدهم إياهم، فرحلوا منها إلى الطائف وتلك النواحي. وفيها هبت ريح عظيمة بنصيبين اقتلعت أشجاراً كثيرة وهدمت البيوت.

قال ابن الجوزي: وفي يوم الأحد لثمان مضين من شوال منها ـ وهو سابع كانون الأول ـ سقط ببغداد ثلج عظيم جداً حصل بسببه برد شديد، بحيث أتلف كثيراً من النخيل والأشجار، وجمدت الأدهان حتى الأشربة، وماء الورد والخل والخلجان الكبار، ودجلة. وعقد بعض مشايخ الحديث مجلساً للتحديث على متن دجلة من فوق الجمد، وكتب [عنه الحديث](٢) هنالك، ثم انكسر البرد بمطر وقع فأزال ذلك كله ولله الحمد. وفيها قدم الحجاج من خراسان إلى بغداد فاعتذر إليهم مؤنس الخادم بأن القرامطة قد قصدوا مكة، فرجعوا ولم يتهيأ الحج في هذه السنة من ناحية العراق بالكلية. وفي ذي القعدة عزل الخليفة وزيره أبا العباس الخصيبي بعد سنة وشهرين، وأمر بالقبض عليه وحبسه، وذلك لإهماله أمر الوزارة والنظر في المصالح، وذلك لاشتغاله بالخمر في كل ليلة فيصبح مخموراً لا تمييز له، وقد وكل الأمور إلى نوابه فخانوه وعملوا مصالحهم، وولّى أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلواذي نيابة عن علي بن عيسى، حتى يقدم، ثم أرسل في طلب علي بن عيسى وهو بدمشق، فقدم بغداد في أبهة عظيمة، فنظر في المصالح الخاصة والعامة، ورد الأمور إلى السداد، وتمهدت الأمور. واستدعى بالخصيبي فتهدده ولامه وناقشه على ما كان يعتمده ويفعله في خاصة نفسه من معاصي الله عز وجل، وفي الأمور العامة، وذلك بحضرة القضاة والأعيان. ثم رده إلى السجن.

وفيها أخذ نصر بن أحمد الساماني المقلب بالسعيد بلاد الري وسكنها إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة. وفيها غزت الصائفة من طرسوس بلاد الروم فغنموا وسلموا.

---

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.

ولم يحج ركب العراق خوفاً من القرامطة.

وفيها توفي من الأعيان: **سعد النوبي** صاحب باب النوبي من دار الخلافة ببغداد في صفر، وأقيم أخوه مكانه في حفظ هذا الباب الذي صار ينسب بعد إليه. **ومحمد بن محمد الباهلي. ومحمد بن عمر بن لبابة القرمطي. ونصر بن القاسم الفرائضي الحنفي أبو الليث**، سمع القواريري وكان ثقة عالماً بالفرائض على مذهب أبي حنيفة، مقرباً جليلاً.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة

في صفر منها كان قدوم علي بن عيسى الوزير من دمشق، وقد تلقاه الناس إلى أثناء الطريق، فمنهم من لقيه إلى الأنبار، ومنهم دون ذلك. وحين دخل إلى الخليفة خاطبه الخليفة المقتدر فأحسن مخاطبته ثم انصرف إلى منزله، فبعث الخليفة وراءه بالفرش والقماش وعشرين ألف دينار، واستدعاه من الغد فخلع عليه فأنشد وهو في الخلعة:

مَا النَّاسُ إلاَّ مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا ... فَكَيْفَ مَا انْقَلَبَتْ فِيهِم هم انْقَلَبُوا
يُعَظِّمُونَ أَخَا الدُّنْيَا فَإنْ وَثَبَتْ ... يَوْماً عَلَيْهِ بِمَا لا يَشْتَهِي وَثَبُوا

وفيها جاءت الكتب بأن الروم دخلوا شميساط وأخذوا جميع ما فيها، ونصبوا فيها خيمة الملك وضربوا الناقوس في الجامع بها، فأمر الخليفة مؤنس الخادم بالتجهيز إليهم، وخلع عليه خلعة سنية. ثم جاءت الكتب بأن المسلمين وثبوا على الروم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً جداً، فللّه الحمد والمنّة. ولما تجهّز مؤنس للمسير جاءه بعض الخدم فأعلمه أن الخليفة يريد أن يقبض عليه إذ دخل لوداعه، وقد حضرت له ربية في دار الخلافة مغطاة ليقع فيها، فأحجم عن الذهاب[1]. وجاءت الأمراء إليه من كل جانب ليكونوا معه على الخليفة، فبعث إليه الخليفة رقعة فيها خطه يحلف له أن هذا الأمر الذي بلغه ليس بصحيح. فطابت نفسه وركب إلى دار الخلافة في غلمانه، فلما دخل على الخليفة خاطبه مخاطبة عظيمة. وحلف أنه طيب القلب عليه، وله عنده الصفاء الذي يعرفه. ثم خرج من بين يديه معظماً مكرماً، وركب العباس ابن الخليفة والوزير ونصر الحاجب في خدمته لتوديعه، وكبر الأمراء بين يديه مثل الحجبة، وكان خروجه يوماً مشهوداً، قاصداً بلاد الثغور لقتال الروم.

وفي جمادى الأولى منها قبض على رجل خنّاق قد قتل خلقاً من النساء، وكان يدعي لهن أنه يعرف العطف والتنجيم، فقصده النساء لذلك فإذا انفرد بالمرأة قام إليها ففعل معها الفاحشة وخنقها بوتر[2] وأعانته امرأته وحفر لها في داره فدفنها، فإذا امتلأت تلك الدار من القتلى انتقل إلى دار أخرى. ولما ظهر عليه وجد في داره التي هو فيها أخيراً سبع عشرة امرأة قد خنقهن، ثم تتبعت الدور التي سكنها فوجدوه قد قتل شيئاً كثيراً من النساء، فضرب ألف سوط ثم خنق حتى مات.

---

(١) أحجم: تراجع وامتنع.

(٢) الوتر: خيط من جلد أو غيره.

وفيها كان ظهور الديلم قبّحهم الله ببلاد الري، وكان فيهم ملك غلب على أمرهم يقال له مرداويج، يجلس على سرير من ذهب وبين يديه سرير من فضة، ويقول: أنا سليمان بن داود. وقد سار في أهل الري وقزوين وأصبهان سيرة قبيحة جداً، فكان يقتل النساء والصبيان في المهد، ويأخذ أموال الناس، وهو في غاية الجبروت والشدة والجرأة على محارم الله عز وجل، فقتلته الأتراك وأراح الله المسلمين من شره.

وفيها كانت بين يوسف بن أبي الساج وبين أبي طاهر القرمطي عند الكوفة موقعة فسبقه إليها أبو طاهر فحال بينه وبينها، فكتب إليه يوسف بن أبي الساج: اسمع وأطع وإلا فاستعد للقتال يوم السبت تاسع شوال منها، فكتب إليه: هلم. فسار إليه، فلما تراءى الجمعان استقل يوسف جيش القرمطي، وكان مع يوسف بن أبي الساج عشرون ألفاً، ومع القرمطي ألف فارس وخمسمائة رجل. فقال يوسف: وما قيمة هؤلاء الكلاب؟ وأمر الكاتب أن يكتب بالفتح إلى الخليفة قبل اللقاء، فلما اقتتلوا ثبت القرامطة ثبتاً عظيماً، ونزل القرمطي فحرَّض أصحابه وحمل بهم حملة صادقة، فهزموا جند الخليفة، وأسروا يوسف بن أبي الساج أمير الجيش، وقتلوا خلقاً كثيراً من جند الخليفة، واستحوذوا على الكوفة، وجاءت الأخبار بذلك إلى بغداد، وشاع بين الناس أن القرامطة يريدون أخذ بغداد، فانزعج المسلمون لذلك وظنوا صدقه، فاجتمع بالخليفة وقال: يا أمير المؤمنين إن الأموال إنما تدخر لتكون عوناً على قتال أعداء الله، وإن هذا الأمر لم يقع أمر بعد زمن الصحابة أفظع منه، قد قطع هذا الكافر طريق الحج على الناس، وفتك في المسلمين مرة بعد مرة، وإن بيت المال ليس فيه شيء، فاتق الله يا أمير المؤمنين وخاطب السيدة ـ يعني أمه ـ لعل أن يكون عندها شيء ادخرته لشدة، فهذا وقته. فدخل على أمه فكانت هي التي ابتدأته بذلك، وبذلت له خمسمائة ألف دينار، وكان في بيت المال مثلها، فسلمها الخليفة إلى الوزير ليصرفها في تجهيز الجيوش لقتال القرامطة، فجهز جيشاً أربعين ألف مقاتل مع أمير يقال له بلبق، فسار نحوهم، فلما سمعوا به أخذوا عليه الطرقات، فأراد دخول بغداد فلم يمكنه، ثم التقوا معه فلم يلبث بلبق وجيشه أن انهزم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان يوسف بن أبي الساج معهم مقيداً في خيمة فجعل ينظر إلى محل الوقعة، فلما رجع القرمطي قال: أردت أن تهرب؟ فأمر به فضربت عنقه. ورجع القرمطي من ناحية بغداد إلى الأنبار. ثم انصرف إلى هيت فأكثر أهل بغداد الصدقة، وكذلك الخليفة وأمه والوزير شكراً لله عز وجل على صرفه عنهم. وفيها بعث المهدي المدعي أنه فاطمي ببلاد المغرب ولده أبا القاسم في جيش إلى بلاد منها، فانهزم جيشه وقتل من أصحابه خلق كثير.

وفيها اختطَّ المهدي المذكور مدينته المحمدية. وفيها حاصر عبد الرحمن بن الداخل إلى بلاد المغرب الأموي مدينة طليطلة، وكانوا مسلمين، لكنهم نقضوا عهده ففتحها قهراً وقتل خلقاً من أهلها.

وفيها توفي من الأعيان:

ابن الجصاص الجوهري

واسمه الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهري أبو عبد الله البغدادي، كان ذا مال عظيم وثروة واسعة، وكان أصل نعمته من بيت أحمد بن طولون، كان قد جعله جوهرياً له يسوق له ما يقع من نفائس الجواهر بمصر، فاكتسب بسبب ذلك أموالاً جزيلة جداً. قال ابن الجصاص: كنت يوماً بباب ابن طولون إذ خرجت القهرمانة وبيدها عقد فيه مائة حبة من الجوهر، تساوي كل واحدة ألفي دينار. قالت: أريد أن تأخذ هذا فتخرطه حتى يكون أصغر من هذا الحجم. فإن هذا نافر عما يريدونه. فأخذته منها وذهبت إلى منزلي وجعلت جواهر أصغر منه تساوي أقل من عشر قيمة تلك بكثير، فدفعتها إليها وفزت أنا بذلك الذي جاءت به، وأرادت خرطه وإتلافه. فكانت قيمته مائتي ألف دينار. واتفق أنه صودر في أيام المقتدر مصادرة عظيمة، أخذ منه فيها ما يقاوم ستة عشر ألف ألف دينار، وبقي معه من الأموال شيء كثير جداً. قال بعض التجار: دخلت عليه فوجدته يتردد في منزله كأنه مجنون، فقلت له: ما لك هكذا؟ فقال: ويحك، أخذ مني كذا وكذا فأنا أحس أن روحي ستخرج، فعذرته ثم أخذت في تسليته فقلت له: إن دورك وبساتينك وضياعك الباقية لك تساوي سبعمائة ألف دينار، وأصدقني كم بقي عندك من الجواهر والمتاع؟ فإذا شيء يساوي ثلاثمائة ألف دينار غير ما بقي عنده من الذهب والفضة المصكوكة. فقلت له: إن هذا أمر لا يشاركك فيه أحد من التجار ببغداد مع ما لك من الوجاهة عند الدولة والناس. قال: فسري عنه وتسلى عما فات وأكل ـ وكان له ثلاثة أيام لم يأكل شيئاً ـ ولما خلص في مصادرة المقتدر بشفاعة أمه السيدة فيه حكى عن نفسه قال: نظرت في دار الخلافة إلى مائة خيشة، فيها متاع رث مما حمل إليّ من مصر، وهو عندهم في دار مضيعة وكان لي في حمل منها ألف دينار موضوعة في مصر لا يشعر بها أحد، فاستوهبت ذلك من أم المقتدر فكلمت في ذلك ولدها فأطلقه إلي فتسلمته فإذا الذهب لم ينقص منه شيء.

وقد كان ابن الجصاص مع ذلك مغفلاً شديد التغفل في كلامه وأفعاله، وقد ذكر عنه أشياء تدل على ذلك، وقيل إنه إنما كان يظهر ذلك قصداً ليقال إنه مغفل، وقيل إنه كان يقول ذلك على سبيل البسط والدعابة والله سبحانه أعلم.

[وفيها توفي: **عبد الله بن محمد القزويني** وفيها كان مقتل الحسن بن القاسم الداعي العلوي صاحب الري على يد الديلم قبحه الله][(١)].

علي بن سليمان بن المفضل

أبو الحسن الأخفش، روى عن المبرد وثعلب واليزيدي وغيرهم، وعنه الروياني والمعافى وغيرهما. وكان ثقة في نقله، فقيراً في ذات يده، توصل إلى أبي علي بن مقلة حتى كلم فيه الوزير علي بن عيسى في أن يرتب له شيئاً فلم يجبه إلى ذلك، وضاق به

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

الحال حتى كان يأكل اللفت النيء فمات فجأة من كثرة أكله في شعبان منها. وهذا هو الأخفش الصغير، والأوسط هو سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه. وأما الكبير فهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، من أهل هجر، وهو شيخ سيبويه وأبي عبيد وغيرهما. وقيل إن أبو بكر محمد بن السري السراج النحوي صاحب الأصول في النحو فيها مات. قاله ابن الأثير. ومحمد بن المسيب الأرغياني.

ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة

فيها عاث وهو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي في الأرض فساداً، حاصر الرحبة فدخلها قهراً وقتل من أهلها خلقاً، وطلب منه أهل قرقيسيا الأمان فأمنهم، وبعث سراياه إلى ما حولها من الأعراب فقتل منهم خلقاً، حتى صار الناس إذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه، وقدر على الأعراب إمارة يحملونها إلى هجر في كل سنة، عن كل رأس ديناران. وعاث في نواحي الموصل فساداً، وفي سنجار ونواحيها، وخرب تلك الديار وقتل وسلب ونهب. فقصده مؤنس الخادم فلم يتواجها بل رجع إلى بلده هجر فابتنى بها داراً سماها دار الهجرة، ودعا إلى المهدي الذي ببلاد المغرب بمدينة المهدية. وتفاقم أمره وكثرت أتباعه فصاروا فيقتون القرية من أرض السواد فيقتلون أهلها وينهبون أموالها، ورام في نفسه دخول الكوفة وأخذها فلم يطق ذلك. ولما رأى الوزير علي بن عيسى ما يفعله هذا القرمطي في بلاد الإسلام، وليس له دافع استعفى من الوزارة لضعف الخليفة وجيشه عنه، وعزل نفسه منها، فسعى فيها علي بن مقلة الكاتب المشهور، فوليها بسفارة نصر الحاجب وأبي عبد الله البريدي ـ بالباء الموحدة ـ من البريد، ويقال اليزيدي لخدمة جده يزيد بن منصور الجهيري. ثم جهز الخليفة جيشاً كثيفاً مع مؤنس الخادم فاقتتلوا مع القرامطة فقتلوا من القرامطة خلقاً كثيراً، وأسروا منهم طائفة كثيرة من أشرافهم، ودخل بهم مؤنس الخادم بغداد معه أعلام من أعلامهم منكسة مكتوب عليها ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:٥]. ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً، وطابت أنفس البغاددة، وانكسر القرامطة الذين كانوا قد نشؤوا وفشوا[١] بأرض العراق، وفوّض القرامطة أمرهم إلى رجل يقال له حريث بن مسعود، ودعوا إلى المهدي الذي ظهر ببلاد المغرب جد الفاطميين، وهم أدعياء كذبة كما قد ذكر ذلك غير واحد من العلماء. كما سيأتي تفصيله وبيانه في موضعه.

وفيها وقعت وحشة بين مؤنس الخادم والمقتدر، وسبب ذلك أن نازوكا أمير الشرطة وقع بينه وبين هارون بن عريب ـ وهو ابن خال المقتدر ـ فانتصر هارون على نازوك وشاع بين العامة أن هارون سيصير أمير الأمراء. فبلغ ذلك مؤنس الخادم وهو بالرقة فأسرع الأوبة إلى بغداد، واجتمع بالخليفة فتصالحا، ثم إن الخليفة نقل هارون إلى دار الخلافة فقويت الوحشة بينهما، وانضم إلى مؤنس جماعة من الأمراء وترددت الرسل بينهما، وانقضت هذه السنة

---

(١) فشوا: انتشروا.

والأمر كذلك. وهذا كله من ضعف الأمور واضطرابها وكثرة الفتن وانتشارها. وفيها كان مقتل الحسين بن القاسم الداعي العلوي صاحب الري على يد صاحب الديلم وسلطانهم مرداويج المجرم قبحه الله.

وفيها توفي من الأعيان:

بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد

أبو الحسن الزاهد، ويعرف بالحمال، وكانت له كرامات كثيرة، وله منزلة كبيرة عند الناس، وكان لا يقبل من السلطان شيئاً، وقد أنكر يوماً على ابن طولون شيئاً من المنكرات وأمره بالمعروف، فأمر به فألقي بين يدي الأسد، فكان الأسد يشمّه ويحجم عنه، فأمر برفعه من بين يديه وعظّمه الناس جداً وسأله بعض الناس عن حاله حين كان بين يدي الأسد فقال له: لم يكن عليّ بأس. قد كنت أفكر في سؤر السباع واختلاف العلماء فيه هل هو طاهر أم نجس. قالوا: وجاءه رجل فقال له: إن لي على رجل مائة دينار، وقد ذهبت الوثيقة، وأنا أخشى أن ينكر ذلك الرجل، فأسألك أن تدعو لي بأن يرد الله عليَّ الوثيقة. فقال بنان: إني رجل قد كبرت سني ورقَّ عظمي، وأنا أحب الحلواء، فاذهب فاشتر لي منها رطلاً وائتني به حتى أدعو لك. فذهب الرجل فاشترى الرطل ثم جاء به إليه ففتح الورقة التي فيها الحلواء فإذا هي حجته بالمائة دينار. فقال له: أهذه حجتك؟ قال: نعم. قال: خذ حجتك وخذ الحلواء فأطعمها صبيانك. ولما توفي خرج أهل مصر في جنازته تعظيماً لشأنه وإكراماً لشأنه.

وفيها توفي **محمد بن عقيل البلخي. وأبو بكر بن أبي داود السجستاني الحافظ ابن الحافظ. وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الأسفرايني**، صاحب الصحيح المستخرج على مسلم، وقد كان من الحفاظ المكثرين، والأئمة المشهورين.

ونصر الحاجب، كان من خيار الأمراء، ديّناً عاقلاً، أنفق من ماله في حرب القرامطة مائة ألف دينار. وخرج بنفسه محتسباً[1] فمات في أثناء الطريق في هذه السنة. وكان حاجباً للخليفة المقتدر.

ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة

فيها كان خلع المقتدر وتولية القاهر محمد بن المعتضد بالله: في المحرم منها اشتدت الوحشة بين مؤنس الخادم والمقتدر بالله، وتفاقم الحال وآل إلى أن اجتمعوا على خلع المقتدر وتولية القاهر محمد بن المعتضد، فبايعوه بالخلافة وسلموا عليه بها، ولقبوه القاهر بالله. وذلك ليلة السبت النصف من المحرم وقلّد أبو علي بن مقلة وزارته، ونهبت دار المقتدر، وأخذوا منها شيئاً كثيراً جداً، وأخذوا لأم المقتدر خمسمائة ألف دينار ـ وكانت قد

(١) محتسباً: طالباً الثواب والأجر.

دفنتها في قبر في تربتها - فحملت إلى بيت المال، وأخرج المقتدر وأمه وخالته وخواصه وجواريه من دار الخلافة، وذلك بعد محاصرة دار الخلافة، وهرب من كان بها من الحجبة والخدم، وولّى نازوك الحجوبة مضافاً إلى ما بيده من الشرطة، وألزم المقتدر بأن كتب على نفسه كتاباً بالخلع من الخلافة وأشهد على نفسه بذلك جماعة من الأمراء والأعيان، وسلم الكتاب إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، فقال لولده الحسين: احتفظ بهذا الكتاب فلا يرينه أحد من خلق الله. ولما أعيد المقتدر إلى الخلافة بعد يومين رده إليه، فشكره على ذلك جداً وولاّه قضاء القضاة. فلما كان يوم الأحد السادس عشر من المحرم جلس القاهر بالله في منصب الخلافة، وجلس بين يديه الوزير أبو علي بن مقلة، وكتب إلى العمال بالآفاق يخبرهم بولاية القاهر بالخلافة عوضاً عن المقتدر، وأطلق علي بن عيسى من السجن، وزاد في أقطاع جماعة من الأمراء الذين قاموا بنصره، منهم أبو الهيجاء بن حمدان. فلما كان يوم الاثنين جاء الجند وطلبوا أرزاقهم وشغبوا، وسارعوا إلى نازوك فقتلوه، وكان مخموراً، ثم صلبوه. وهرب الوزير ابن مقلة، وهرب الحجاج ونادوا يا مقتدر يا منصور، ولم يكن مؤنس يومئذٍ حاضراً، وجاء الجند إلى باب مؤنس يطالبونه بالمقتدر، فأغلق بابه دونهم وجاحف[1] دونه خدمه. فلما رأى مؤنس أنه لا بد من تسليم المقتدر إليهم أمره بالخروج، فخاف المقتدر أن يكون حيلة عليه، ثم تجاسر فخرج فحمله الرجال على أعناقهم حتى أدخلوه دار الخلافة، فسأل عن أخيه القاهر وأبي الهيجاء بن حمدان ليكتب لهما أماناً، فما كان عن قريب حتى جاءه خادم ومعه رأس أبي الهيجاء قد احترز[2] رأسه وأخرجه من بين كتفيه، ثم استدعى بأخيه القاهر فأجلسه بين يديه واستدعاه إليه، وقبّل بين عينيه، وقال: يا أخي أنت لا ذنب لك، وقد علمت أنك مكره مقهور - والقاهر يقول: الله الله! نفسي يا أمير المؤمنين. فقال: وحق رسول الله ﷺ لا جرى عليك مني سوء أبداً. وعاد ابن مقلة فكتب إلى الآفاق يعلمهم بعود المقتدر إلى الخلافة، وتراجعت الأمور إلى حالها الأول، وحمل رأس نازوك وأبي الهيجاء ونودي عليهما: هذا رأس من عصى مولاه وهرب أبو السرايا بن حمدان إلى الموصل، وكان ابن نفيس من أشد الناس على المقتدر، فلما عاد إلى الخلافة خرج من بغداد متنكراً فدخل الموصل، ثم صار إلى أرمينية، ثم لحق بالقسطنطينية فتنصر بها مع أهلها وأما مؤنس فإنه لم يكن في الباطن على المقتدر، وإنما وافق جماعة الأمراء مكرهاً، ولهذا لما كان المقتدر في داره لم ينله منه ضيم، بل كان يطيب قلبه، ولو شاء لقتله لما طُلب من داره. فلهذا لما عاد المقتدر إلى الخلافة رجع إلى دار مؤنس فبات بها عنده، لثقته به. وقرّر أبا علي بن مقلة على الوزارة، وولّى محمد بن يوسف قضاء القضاة، وجعل محمداً أخاه - وهو القاهر - عند والدته بصفة عندها، فكانت تحسن إليه غاية الإحسان، وتشتري له السراري[3] وتكرمه غاية الإكرام.

---

(١) جاحف: دافع. (٢) احتز رأسه: أي قطع. (٣) السراري: الإماء للمتعة.

ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم [وما كان منهم إلى الحجيج لعن الله القرامطة][١]

فيها خرج ركب العراق وأميرهم منصور الديلمي فوصلوا إلى مكة سالمين، وتوافت الركوب هناك من كل مكان وجانب وفج، فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية، فانتهب أموالهم واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً، وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة، والرجال تصرع حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية، الذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول: أنا الله وبالله، أنا أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا. فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً. بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف، وقد كان بعض أهل الحديث يومئذٍ يطوف، فلما قضى طوافه أخذته السيوف، فلمّا وجب أنشد وهو كذلك:

تَرَى الـمُحِبِّينَ صَرْعَى فِي دِيارِهِمُ كَفِتْيَةِ الكَهْفِ لا يَدْرُونَ كَمْ لَبِثُوا

فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة، أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم، ودفن كثيراً منهم في أماكنهم من الحرم، وفي المسجد الحرام. ويا حبذا تلك القتلة وتلك الضجعة، وذلك المدفن والمكان، ومع هذا لم يغسلوا ولم يكفنوا ولم يصل عليهم لأنهم محرمون شهداء في نفس الأمر. وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلاً أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه، فسقط على أمّ رأسه فمات إلى النار. فعند ذلك انكف الخبيث عن الميزاب، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاءه رجل فضربه بمثقّل في يده وقال: أين الطير الأبابيل[٢]، أين الحجارة من سجيل[٣]؟ ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم، فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة حتى ردّوه، كما سنذكره في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما رجع القرمطي إلى بلاده ومعه الحجر الأسود وتبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده وسأله وتشفع إليه أن يرد الحجر الأسود ليوضع في مكانه، وبذل له جميع ما عنده من الأموال فلم يلتفت إليه، فقاتله أمير مكة فقتله القرمطي وقتل أكثر أهل بيته، وأهل مكة وجنده، واستمر ذاهباً إلى بلاده ومعه الحجر وأموال الحجيج. وقد ألحد هذا اللعين في المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه، وسيجاريه على ذلك الذي ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر:٢٦]. وإنما حمل هؤلاء على هذا الصنيع إنهم كفار زنادقة، وقد

---

(١) سقط في ط.

(٢) الأبابيل: الجماعات.

(٣) السجيل: الطين اليابس.

كانوا ممالئين للفاطميين الذين نبغوا في هذه السنة ببلاد إفريقية من أرض المغرب، ويلقب أميرهم بالمهدي، وهو أبو محمد عبيد الله بن ميمون القداح. وقد كان صباغاً بسلمية، وكان يهودياً فادّعى أنه أسلم ثم سافر من سلمية فدخل بلاد إفريقية، فادعى أنه شريف فاطمي، فصدّقه على ذلك طائفة كثيرة من البربر وغيرهم من الجهلة، وصارت له دولة، فملك مدينة سجلماسة، ثم ابتنى مدينة وسماها المهدية، وكان قرار ملكه بها، وكان هؤلاء القرامطة يراسلونه ويدعون إليه، ويترامون عليه، ويقال إنهم إنما كانوا يفعلون ذلك سياسة ودولة لا حقيقة له.

وذكر ابن الأثير أن المهدي هذا كتب إلى أبي طاهر يلومه على ما فعل بمكة حيث سلَّط الناس على الكلام فيهم، وانكشفت أسرارهم التي كانوا يبطنونها بما ظهر من صنيعهم هذا القبيح، وأمره برد ما أخذه منها، وعوده إليها. فكتب إليه بالسمع والطاعة، وأنه قد قبل ما أشار إليه من ذلك. وقد أسر بعض أهل الحديث في أيدي هؤلاء القرامطة، لعنهم الله، فمكث في أيديهم مدة، ثم فرج الله عنه، وكان يحكي عنهم عجائب من قلة عقولهم وعدم دينهم، وأن الذي أسره كان يستخدمه في أشق الخدمة وأشدها وأنه كان يعربد عليه إذا سكر. فقال لي ذات ليلة وهو سكران: ما تقول في محمدكم؟ فقلت: لا أدري. فقال: كان سائساً. ثم قال: ما تقول في أبي بكر؟ فقلت: لا أدري. فقال: كان ضعيفاً مهيناً. وكان عمر فظّاً غليظاً. وكان عثمان جاهلاً أحمق. وكان عليّ ممخرقاً ليس كان عنده أحد يعلمه ما ادعى أنه في صدره من العلم، أما كان يمكنه أن يعلم هذا كلمة وهذا كلمة؟ ثم قال: هذا كله مخرقة. فلما كان من الغد قال: لا تخبر بهذا الذي قلت لك أحداً. ذكره ابن الجوزي في منتظمه.

وروي عن بعضهم أنه قال: كنت في المسجد الحرام يوم التروية [اقتلع الحجر الأسود إذ دخل رجل وهو سكران راكباً على فرس فصفر لها حتى بالت في المسجد الحرام][1] في مكان الطواف، فحمل عليَّ رجل كان إلى جانبي فقتله القرمطي، ثم قال: يا حمير، ـ ورفع صوته بذلك ـ أليس قلتم في بيتكم هذا ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧] فأين الأمن؟ قال: فقلت له: اسمع جوابك. قال: نعم: قلت: إنما أراد الله: فأمنوه. قال فثنى رأس فرسه وانصرف. وقد سأل بعضهم ههنا سؤالاً. فقال: وقد أحل الله سبحانه بأصحاب الفيل ـ وكانوا نصارى ـ ما ذكره في كتابه، ولم يفعلوا بمكة شيئاً مما فعله هؤلاء، ومعلوم أن القرامطة شر من اليهود والنصارى والمجوس، بل ومن عبدة الأصنام، وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعله أحد، فهلا عوجلوا بالعذاب والعقوبة، كما عوجل أصحاب الفيل؟ وقد أجيب عن ذلك بأن أصحاب الفيل إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت، ولما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبي الكريم، من البلد الذي فيه البيت الحرام، فلما أرادوا إهانة هذه البقعة التي يراد

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

تشريفها وإرسال الرسول منها أهلكهم سريعاً عاجلاً، ولم يكن شرائع مقررة تدل على فضله، فلو دخلوه وأخربوه لأنكرت القلوب فضله. وأما هؤلاء القرامطة فإنما فعلوا ما فعلوا بعد تقرير الشرائع وتمهيد القواعد، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة، وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء قد ألحدوا في الحرم إلحاداً بالغاً عظيماً، وأنهم من أعظم الملحدين الكافرين، بما تبين من كتاب الله وسنة رسوله، فلهذا لم يحتج الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة، بل أخرهم الرب تعالى ليوم تشخص فيه الأبصار، والله سبحانه يمهل ويملي[(١)] ويستدرج ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر، كما قال النبي ﷺ: «إنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالم حَتَّى إذا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» [وقال رسول الله ﷺ: لا أحد اصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعاقبهم ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ وقال تعالى][(٢)]: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢] وقال: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦]. وقال: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٤]. وقال: ﴿مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: ٧٠].

وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروذي الحنبلي، وبين طائفة من العامة، اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩]. فقالت الحنابلة: يجلسه معه على العرش. وقال الآخرون: المُراد بذلك الشفاعة العظمى، فاقتتلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد ثبت في صحيح البخاري أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة في فصل القضاء بين العباد، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم، حتى إبراهيم، ويغبطه به الأولون والآخرون. وفيها وقعت فتنة بالموصل بين العامة فيما يتعلق بأمر المعاش، وانتشرت وكثر أهل الشر فيها واستظهروا، وجرت بينهم شرور ثم سكنت. وفيها وقعت فتنة ببلاد خراسان بين بني ساسان وأميرهم نصر بن أحمد الملقب بسعيد، وخرج في شعبان خارجي بالموصل. وخرج آخر بالبواريج، فقاتلهم أهل تلك الناحية حتى سكن شرهم وتفرق أصحابهم. وفيها التقى مفلح الساجي وملك الروم الدمستق، فهزمه مفلح وطرد وراءه إلى أرض الروم، وقتل منهم خلقاً كثيراً.

وفيها هبت ريح شديدة ببغداد تحمل رماداً أحمر يشبه رمل أرض الحجاز. فامتلأت منه البيوت.

وفيها توفي من الأعيان: **أحمد بن الحسن بن الفرج بن سفيان أبو بكر النحوي**، كان عالماً بمذهب الكوفيين وله فيه تصانيف.

---

(١) يملي: يطيل.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

أحمد بن مهدي بن رستم

العابد الزاهد أنفق في طلب العلم ثلاثمائة ألف درهم، ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش، وقد روى الحافظ أبو نعيم عنه أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له: إني قد امتحنت بمحنة وأكرهت على الزنا وأنا حبلى منه، وقد تسترت بك وزعمت أنك زوجي، وأن هذا الحمل منك، فاسترني سترك الله ولا تفضحني. فسكت عنها، فلما وضعت جاءني أهل المحلة وإمام مسجدهم يهنئونني بالولد، فأظهرت البشر وبعثت فاشتريت بدينارين شيئاً حلواً وأطعمتهم، وكنت أوجه إليها مع إمام المسجد في كل شهر دينارين صفة نفقة للمولود، وأقول: اقرئها مني السلام فإنه قد سبق مني ما فرق بيني وبينها. فمكثت كذلك سنتين، ثم مات الولد فجاؤوني يعزونني فيه، فأظهرت الحزن عليه، ثم جاءتني أمه بالدنانير التي كنت أرسل بها إليها نفقة الولد، قد جمعتها في صرة عندها، فقالت لي: سترك الله وجزاك خيراً، وهذه الدنانير التي كنت ترسل بها. فقلت: إني إنما كنت أرسل بها صلة للولد وقد مات وأنت ترثينه فهي لك، فافعلي بها ما شئت فدعت وانصرفت.

بدر بن الهيثم

ابن خلف بن خالد بن راشد بن الضحاك بن النعمان بن محرق بن النعمان بن المنذر، أبو القاسم البلخي القاضي الكوفي. نزل بغداد وحدّث بها عن أبي كريب وغيره، وكان سماعه للحديث بعد ما جاوز أربعين سنة، وكان ثقة نبيلاً، عاش مائة سنة وسبع عشرة سنة. وتوفي في شوّال منها بالكوفة.

عبد الله بن محمد بن عبد العزيز

ابن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم البغوي، ويعرف بابن بنت منيع، ولد سنة ثلاث عشرة، وقيل أربعة عشرة ومائتين. ورأى أبا عبيد القاسم بن سلام، ولم يسمع منه، وسمع من أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وعلي بن الجعد، وخلف بن هشام البزار، وخلق كثير، وكان معه جزء فيه سماعه من ابن معين فأخذه موسى بن هارون الحافظ فرماه في دجلة، وقال: يريد أن يجمع بين الثلاثة؟ وقد تفرد عن سبع وثمانين شيخاً، وكان ثقة حافظاً ضابطاً، روى عن الحفاظ وله مصنفات. وقال موسى بن هارون الحافظ: كان ابن بنت منيع ثقة صدوقاً، فقيل له: إن ههنا ناساً يتكلمون فيه. فقال: يحسدونه، ابن بنت منيع لا يقول إلا الحق. وقال ابن أبي حاتم وغيره: أحاديثه تدخل في الصحيح. وقال الدارقطني: كان البغوي قلَّ ما يتكلم على الحديث، فإذا تكلم كان كلامه كالمسمار في الساج. وقد ذكره ابن عدي في كامله فتكلم فيه، وقال: حدث بأشياء أنكرت عليه. وكان معه طرف من معرفة الحديث والتصانيف، وقد انتدب ابن الجوزي للرد على ابن عدي في هذا الكلام، وذكر أنه توفي ليلة عيد الفطر منها، وقد استكمل مائة سنة وثلاث سنين وشهوراً، وهو مع ذلك صحيح السمع والبصر والأسنان، يطأ

الإماء. توفي ببغداد ودفن بمقبرة باب التبن. رحمه الله وأكرم مثواه.

محمد بن أبي الحسين بن محمد بن عثمان

الشهيد الحافظ أبو الفضل الهروي، يعرف بابن أبي سعد، قدم بغداد وحدَّث بها عن محمد بن عبد الله الأنصاري. وحدث عنه ابن المظفر الحافظ، وكان من الثقات الأثبات الحفاظ المتقنين، له مناقشات على بضعة عشر حديثاً من صحيح مسلم، قتلته القرامطة يوم التروية بمكة في هذه السنة في جملة من قتلوا، رحمه الله وأكرم مثواه.

الكعبي المتكلم

هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي المتكلم، نسبة إلى بني كعب، وهو أحد مشايخ المعتزلة، وتنسب إليه الطائفة الكعبية منهم. قال ابن خلكان: كان من كبار المتكلمين، وله اختيارات في علم الكلام. من ذلك أنه كان يزعم أن أفعال الله تقع بلا اختيار منه ولا مشيئة.

قلت: وقد خالف الكعبي نص القرآن في غير ما موضع. قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]. ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] وغيرها مما هو معلوم بالضرورة وصريح العقل والنقل.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلاثمائة

فيها عزل الخليفة المقتدر وزيره أبا علي بن مقلة، وكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام، واستوزر مكانه سليمان بن الحسن بن مخلد، وجعل علي بن عيسى ناظراً معه. وفي جمادى الأولى منها أحرقت دار أبي علي بن مقلة، وكان قد أنفق عليها مائة ألف دينار، فانتهب الناس أخشابها وما وجدوا فيها من حديد ورصاص وغيره، وصادره الخليفة بمائتي ألف دينار - وفيها طرد الخليفة الرجالة الذين كانوا بدار الخلافة عن بغداد، وذلك أنهم لما ردَّ المقتدر إلى الخلافة شرعوا ينفسون بكلام كثير عليه، ويقولون: من أعان ظالماً سلَّطه الله عليه. ومن أصعد الحمار على السطح لم يقدر أن ينزله. فأمر بإخراجهم ونفيهم عن بغداد، ومن أقام منهم عوقب. فأحرقت دور كثيرة من قراباتهم، واحترق بعض نسائهم وأولادهم، فخرجوا منها في غاية الإهانة، فنزلوا واسط وتغلبوا عليها وأخرجوا عاملها منها، فركب إليهم مؤنس الخادم فأوقع بهم بأساً شديداً، وقتل منهم خلقاً كثيراً، فلم يقم لهم بعد ذلك قائمة. وفي ربيع الأول منها عزل الخليفة ناصر الدولة بن حمدان عن الموصل، وولَّى عليها عميه سعيداً ونصراً ابنا حمدان. وولاَّه ديار ربيعة: نصيبين وسنجار والخابور ورأس العين، ومعها ميافارقين وأرزن، ضمن ذلك من الخليفة بمال يحمله إليه في كل سنة. وفي جمادى الأولى منها خرج رجل ببلاد البواريج يقال له صالح بن محمود،

فاجتمع عليه جماعة من بني مالك، ثم سار إلى سنجار فحاصرها فدخلها وأخذ شيئاً كثيراً من أموالها، وخطب بها خطبة ووعظ فيها وذكر، فكان في جملة ما قال: نتولى الشيخين، ونتبرأ من الحسين، ولا نرى المسح على الخفين. ثم سار فعاث في الأرض فساداً. فانتدب له نصر بن حمدان فقاتله فأسره ومعه ابنان له. فحمل إلى بغداد فدخلها وقد اشتهر شهرة فظيعة. وخرج آخر ببلاد الموصل فاتبع ألف رجل، فحاصر أهل نصيبين فخرجوا إليه فاقتتلوا معه، فقتل منهم مائة وأسر ألفاً، ثم باعهم من نفوسهم وصادر أهلها بأربعمائة ألف درهم، فانتدب إليه ناصر الدولة فقاتله فظفر به وأسره وأرسله إلى بغداد أيضاً. وفيها خلع الخليفة على ابنه هارون وركب معه الوزير والجيش، وأعطاه نيابة فارس وكرمان وسجستان ومكرمات، وخلع على ابنه أبي العباس الراضي وجعله نائب بلاد المغرب ومصر والشام، وجعل مؤنس الخادم يسد عنه أمورها. وحج بالناس فيها عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمي. وخرج الحجيج بغفارة بدرقة حتى يسلموا في الدرب في الذهاب والإياب من القرامطة. [ولله الحمد وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العباس في حجة من دار نصر القشوري الحاجب مأذون لمن يدخل إليه وكان يسمي نفسه تارة بالحسين بن منصور وتارة بمحمد بن أحمد الفارس وكان نصر الحاجب قد افتتن وظن أنه رجل صالح وكان قد ادخله على المقتدر بالله فرقاه من وجع حصل له فاتفق، زواله كذلك وقع لوالدته السيدة أم المقتدر فزالت علتها فنفق سوقه وحظي في دار السلطان فلما انتشر الكلام فيه سلم إلى الوزير حامد بن العباس فحبسه في قيود كثيرة في رجليه وجمع له الفقهاء فأجمعوا على كفره وزندقته وإنه ساحر ممخرق ورجع صالحاً ممن كان أتبعه أحدهما أبو علي هارون بن عبد العزيز الوراق والآخر يقال له الدباس فذكره من فصائحة وما كان يدعو الناس من الكذب والفجور والسعة شيئاً كثيراً من ذلك أنه أراد أن يغشاها وهي نائمة فانتبهت فقال قومي إلى الصلاة وإنما كان أراد أن يطأها وأمرتها بنته بالسجود له فقالت أو يسجد بشر لبشر فقال نعم إله في السماء وإله في الأرض ثم أمرها أن تأخذ من تحت بارية هناك أحبت فوجدت تحتها دنانير كثيرة مبدورة ولما كان معتقلاً في دار حامد بن العباس دخل عليه بعض الغلمان ومعه طبق فيه طعام ليأكل منه فوجده قد ملأ البيت من سقفه إلى أرضه فذعر الغلام وألقى ما كان في يده الطبق والطعام ورجع محموماً فمرض عدة أيام ولما كان آخر مجلس أحضر القاضي أبو عمر محمد بن يوسف وجيء بالحلاج وقد أحضر كتاب من دور بعض أصحابه وفيه من أراد الحج ولم يتيسر له. في داره ثلاثة أيام وليطف به كما يطاف بالكعبة ثم يقعد في داره ما يقعد الحجيج بمكة ثم يستدعي ثلاثين يتيماً فيطعمهم من طعامه ويتولى خدمتهم بنفسه ثم يكسوهم قميصاً قميصاً ويعطي كل واحد سبعة دراهم وقال ثلاثة دراهم فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج وأن من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات هندباء أجزأه ذلك عن صيام رمضان ومن صلى في ليلة ركعتين من أولها إلى آخرها أجزأه ذلك عن الصلاة

بعد ذلك وأن من جاور بمقابر الشهداء مقابر][1].

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن إسحاق

ابن البهلول بن حسان بن أبي سنان أبو جعفر التنوخي القاضي الحنفي، العدل الثقة، الرضي. وكان فقيهاً نبيلاً، سمع الحديث الكثير، وروى عن أبي كريب حديثاً واحداً، وكان عالماً بالنحو، فصيح العبارة، جيد الشعر، محموداً في الأحكام. اتفق أن السيدة أم المقتدر وقفت وقفاً وجعل هذا عنده نسخة به في سلة الحكم، ثم أرادت أن تنقض ذلك الوقف فطلبت هذا الحاكم وأن يحضر معه كتاب الوقف لتأخذه منه فتعدمه، فلما حضر من وراء الستارة فهم المقصود فقال لها: لا يمكن هذا، لأني خازن المسلمين، فإما أن تعزلوني عن القضاء وتولّوا هذا غيري، وإما أن تتركوا هذا الذي تريدون أن تفعلوه، فلا سبيل إليه وأنا حاكم. فشكته إلى ولدها المقتدر فشفع عنده المقتدر بذلك، فذكر له صورة الحال. فرجع إلى أمه فقال لها: إن هذا الرجل ممن يرغب فيه ولا يزهد فيه، ولا سبيل إلى عزله ولا التلاعب به. فرضيت عنه وبعثت تشكره على ما صنع من ذلك. فقال: من قدم أمر الله على أمر العباد كفاه الله شرّهم، ورزقه خيرهم. وقد كانت وفاته في هذه السنة. وقد جاوز الثمانين.

يحيى بن محمد بن صاعد

أبو محمد مولى أبي جعفر المنصور، رحل في طلب الحديث، وكتب وسمع وحفظ، وكان من كبار الحفّاظ، وشيوخ الرواية، وكتب عنه جماعة من الأكابر، وله تصانيف تدل على حفظه وفقهه وفهمه. توفي بالكوفة وله سبعون سنة.

الحسن بن علي بن أحمد بن بشار بن زياد

المعروف بابن العلاّف الضرير النهرواني، الشاعر المشهور، وكان أحد سمّار المعتضد وله مرثاة طنانة في هرٍّ له، قتله جيرانه لأنه أكل أفراخ حمامهم من أبراجهم. وفيها آداب ورقة، ويقال إنه أراد بها ابن المعتز لكنه لم يتجاسر أن ينسبها إليه من الخليفة المقتدر، لأنه هو الذي قتله. وأولها:

يَا هِرُّ فَارَقْتَنَا وَلَمْ تَعُدِ ... وَكُنْتَ عِنْدِي بِمَنْزِلِ الوَلَدِ

وهي خمسة وستون بيتاً.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة

في المحرم منها دخل الحجيج بغداد، وقد خرج مؤنس الخادم إلى الحج فيها في

---

(١) سقط في ط.

جيش كثيف، خوفاً من القرامطة، ففرح المسلمون بذلك وزينت بغداد يومئذٍ وضربت الخيام والقباب لمؤنس الخادم، وقد بلغ مؤنساً في أثناء الطريق أن القرامطة أمامه، فعدل بالناس[١] عن جادة[٢] الطريق، وأخذ بهم في شعاب وأودية أياماً، فشاهد الناس في تلك الأماكن عجائب، ورأوا غرائب وعظاماً في غاية الضخامة، وشاهدوا ناساً قد مسخوا حجارة - ورأى بعضهم امرأة واقفة على تنور تخبز فيه قد مسخت حجراً، والتنور قد صار حجراً. وحمل مؤنس من ذلك شيئاً كثيراً إلى الخليفة ليصدق ما يخبر به من ذلك. ذكر ذلك ابن الجوزي في منتظمه. فيقال إنهم من قوم عاد أو من قوم شعيب أو من ثمود فالله أعلم.

وفيها عزل المقتدر وزيره سليمان بن الحسن بعد سنة وشهرين وتسعة أيام، واستوزر مكانه أبا القاسم عبد الله بن محمد الكلوذاني، ثم عزله بعد شهرين وثلاثة أيام، واستوزر الحسين بن القاسم ثم عزله أيضاً. وفيها وقعت وحشة بين الخليفة ومؤنس، بسبب أن الخليفة ولّى الحسبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت، وكان أميراً على الشرطة، فقال مؤنس: إن الحسبة لا يتولاًها إلا القضاة والعدول وهذا لا يصلح لها. ولم يزل بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة أيضاً، وانصلح الحال بينهما. ثم تجددت الوحشة بينهما في ذي الحجة من هذه السنة، وما زالت تتزايد حتى آل الحال إلى قتل المقتدر بالله كما سنذكره. وفيها أوقع ثمل متولي طرسوس بالروم وقعة عظيمة، قتل منهم خلقاً كثيراً وأسر نحواً من ثلاثة آلاف، وغنم من الذهب والفضة والديباج شيئاً كثيراً جداً، ثم أوقع بهم مرة ثانية كذلك. وكتب ابن الديراني الأرمني إلى الروم يحثهم على الدخول إلى بلاد الإسلام ووعدهم النصر منه والإعانة، فدخلوا في جحافل عظيمة كثيرة جداً، وانضاف إليهم الأرمني فركب إليهم مفلح غلام يوسف بن أبي الساج وهو يومئذٍ نائب أذربيجان واتبعه خلق كثير من المتطوعة، فقصد أولاً بلاد ابن الديراني فقتل من الأرمن نحواً من مائة ألف، وأسر خلقاً كثيراً، وغنم أموالاً جزيلة، وتحصّن ابن الديراني في قلعة له هناك، وجاءت الروم فوصلوا إلى شميساط فحاصروها، فبعث أهلها يستصرخون سعيد بن حمدان نائب الموصل، فسار إليهم مسرعاً، فوجد الروم قد كادوا يفتحونها، فلما علموا بقدومه حلوا عنها واجتازوا بملطية فنهبوها، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم، ومعهم ابن نفيس المنتصر، وقد كان من أهل بغداد وركب ابن حمدان في آثار القوم فدخل بلادهم فقتل خلقاً كثيراً منهم وأسر وغنم أشياء كثيرة.

قال ابن الأثير: وفي شوّال من هذه السنة جاء سيل عظيم إلى تكريت ارتفع في أسواقها أربعة عشر شبراً، وغرق بسببه أربعمائة دار، وخلق لا يعلمهم إلا الله، حتى كان المسلمون والنصارى يدفنون جميعاً، لا يعرف هذا من هذا. قال: وفيها هاجت بالموصل ريح محمّرة ثم اسودّت حتى كان الإنسان لا يبصر صاحبه نهاراً، وظن الناس أنها القيامة ثم انجلى ذلك بمطر أرسله الله عليهم والله تعالى أعلم.

---

(١) عدل بالناس: حال بهم وغير الطريق. (٢) الجادة: وسط الطريق.

وفيها توفي من الأعيان: **الحسين بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأنطاكي** قاضي ثغور الشام، يعرف بابن الصابوني، وكان ثقة نبيلاً قدم بغداد وحدَّث بها.

علي بن الحسين بن حرب بن عيسى [أبو عبيدة بن حربويه][(١)]

تولّى القضاء بمصر مدة طويلة جداً، وكان ثقةً عالماً من خيار القضاة وأعدلهم، تفقه على مذهب أبي ثور، وقد ذكرناه في طبقات الشافعية، وقد استعفى عن القضاء فعزل عنه في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، ورجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات في هذه السنة، في صفر منها، وصلّى عليه أبو سعيد الإصطخري، ودفن بداره.

قال الدارقطني: حدَّث عنه أبو عبد الرحمن النسائي في الصحيح، ولعله مات قبله بعشرين سنة. وذكر من جلالته وفضله رحمه الله.

محمد بن الفضل بن العباس أبو عبد الله البلخي الزاهد: حكي عنه أنه مكث أربعين سنة لم يخط فيها خطوة في هوى نفسه، ولا نظر في شيء فاستحسنه حياء من الله عز وجل، وأنه مكث ثلاثين سنة لم يمل على ملكيه قبيحاً.

محمد بن سعد بن أبو الحسين الوراق

صاحب أبي عثمان النيسابوري، وكان فقيهاً يتكلم على المعاملات. ومن جيد كلامه قوله: من غض بصره عن محرم أورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهتدي بها سامعوه، ومن غض نفسه عن شبهة نوّر الله قلبه نوراً يهتدي به إلى طرق مرضاه.

يحيى بن عبد الله بن موسى أبو زكريا الفارسي، كتب بمصر عن الربيع بن سليمان، وكان ثقة عدلاً صدوقاً عند الحكام.

ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة من الهجرة

فيها كان مقتل المقتدر بالله الخليفة، وكان سبب ذلك أن مؤنساً الخادم خرج من بغداد في المحرم منها مغاضباً الخليفة في مماليكه وحشمه، متوجهاً نحو الموصل، وورد من أثناء الطريق مولاه يسري إلى المقتدر ليستعلم له أمره، وبعث معه رسالة يخاطب بها أمير المؤمنين ويعاتبه في أشياء. فلما وصل أمر الوزير ـ وهو الحسين بن القاسم وكان من ـ أكبر أعداء مؤنس ـ بأن يؤديها إليه فامتنع من أدائها إلا إلى الخليفة، فأحضره بين يديه وأمره بأن يقولها للوزير فامتنع، وقال: ما أمرني بهذا صاحبي فشتمه الوزير وشتم صاحبه مؤنساً، وأمر بضربه ومصادرته بثلاثمائة ألف دينار، وأخذ خطه بها، وأمر بنهب داره، ثم أمر الوزير بالقبض على أقطاع مؤنس وأملاكه وأملاك من معه. فحصل من ذلك مال عظيم، وارتفع أمر الوزير عند المقتدر، ولقبه عميد الدولة، وضرب اسمه على الدراهم والدنانير، وتمكّن من

(١) سقط في ط.

الأمور جداً، فعزل وولّى، وقطع ووصل أياماً يسيرة، وفرح بنفسه حيناً قليلاً. وأرسل إلى هارون بن عريب في الحال، وإلى محمد بن ياقوت يستحضرهما إلى الحضرة عوضاً عن مؤنس، فصمَّمَ المظفر مؤنس في سيره فدخل الموصل، وجعل يقول لأمراء الأعراب: إن الخليفة قد ولاني الموصل وديار ربيعة. فالتف عليه منهم خلق كثير، وجعل ينفق فيهم الأموال الجزيلة وله إليهم قبل ذلك أيادي سابغة[١]. وقد كتب الوزير إلى آل حمدان ـ وهم ولاة الموصل وتلك النواحي ـ يأمرهم بمحاربته، فركبوا إليه في ثلاثين ألفاً، وواجههم مؤنس في ثمانمائة من مماليكه وخدمه، فهزمهم ولم يقتل منهم سوى رجل واحد، يقال له داود، وكان من أشجعهم، وقد كان مؤنس رباه وهو صغير. ودخل مؤنس الموصل فقصدته العساكر من كل جانب يدخلون في طاعته، لإحسانه إليهم قبل ذلك. من بغداد والشام ومصر والأعراب، حتى صار في جحافل من الجنود. وأما الوزير المذكور فإنه ظهرت خيانته وعجزه فعزله المقتدر في ربيع الآخر منها، وولى مكانه الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات، وكان آخر وزراء المقتدر. وأقام مؤنس بالموصل تسعة أشهر، ثم ركب في الجيوش في شوال قاصداً بغداد ليطالب المقتدر بأرزاق الأجناد وإنصافهم، فسار ـ وقد بعث بين يديه الطلائع ـ حتى جاء فنزل بباب الشماسية ببغداد، وقابله عنده ابن ياقوت وهارون بن عريب عن كره منه، وأشير على الخليفة أن يستدين من والدته مالاً ينفقه في الأجناد، فقال: لم يبق عندها شيء، وعزم الخليفة على الهرب إلى واسط، وأن يترك بغداد إلى مؤنس حتى يتراجع أمر الناس ثم يعود إليها. فردّه عن ذلك ابن ياقوت وأشار بمواجهته لمؤنس وأصحابه، فإنهم متى رأوا الخليفة هربوا كلهم إليه وتركوا مؤنساً. فركب وهو كاره وبين يديه الفقهاء ومعهم المصاحف المنشورة، وعليه البردة والناس حوله، فوقف على تلّ عال بعيد من المعركة ونودي في الناس: من جاء برأس فله خمسة دنانير، ومن جاء بأسير فله عشرة دنانير. ثم بعث إليه أمراؤه يعزمون عليه أن يتقدم فامتنع من التقدم إلى محلة المعركة، ثم ألَحوا عليه فجاء بعد تمنع شديد، فما وصل إليهم حتى انهزموا وفروا راجعين، ولم يتلفتوا إليه ولا عطفوا عليه، فكان أول من لقيه من أمراء مؤنس علي بن بليق، فلما رآه ترجل وقبَّل الأرض بين يديه وقال: لعن الله من أشار عليك بالخروج في هذا اليوم. ثم وكلّ به قوماً من المغاربة البربر، فلما تركهم وإياه شهروا عليه السلاح، فقال لهم: ويلكم أنا الخليفة. فقالوا: قد عرفناك يا سفلة، إنما أنت خليفة إبليس، تنادي في جيشك من جاء برأس فله خمسة دنانير؟ وضربه أحدهم بسيفه على عاتقه[٢] فسقط إلى الأرض، وذبحه آخر وتركوا جثته، وقد سلبوه كل شيء كان عليه، حتى سراويله، وبقي مكشوف العورة مجندلاً على وجه الأرض، حتى جاء رجل فغطّى عورته بحشيش ثم دفنه في موضعه وعفا أثره، وأخذت المغاربة رأس المقتدر على خشبة قد رفعوها وهم يلعنونه، فلما انتهوا به إلى مؤنس ـ ولم يكن حاضراً

---

(١) أيادٍ سابغة: منعمة متفضلة.

(٢) العاتق: ما بين المنكب والعنق.

الوقعة ـ فحين نظر إليه لطم رأس نفسه ووجهه وقال: ويلكم، والله لم آمركم بهذا، لعنكم الله، والله لنقتلن كلنا. ثم ركب ووقف عند دار الخلافة حتى لا تنهب، وهرب عبد الواحد بن المقتدر وهارون بن عريب، وأبناء رايق، إلى المدائن، وكان فعل مؤنس هذا سبباً لطمع ملوك الأطراف في الخلفاء، وضعف أمر الخلافة جداً، مع ما كان المقتدر يعتمده في التبذير والتفريط في الأموال، وطاعة النساء، وعزل الوزراء، حتى قيل إن جملة ما صرفه في الوجوه الفاسدة ما يقارب ثمانين ألف ألف دينار.

وهذه ترجمة المقتدر بالله [أمير المؤمنين](١)

هو جعفر بن أحمد المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد الموفق بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد يكنى أبا الفضل أمير المؤمنين العباسي، مولده في ليلة الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة ثنتين وثمانين ومائتين، وأمه أم ولد اسمها شغب، ولقبت في خلافة ولدها بالسيدة. وبويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي يوم الأحد لأربع عشرة مضت من ذي القعدة، سنة خمس وتسعين ومائتين، وهو يومئذٍ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وأيام. ولهذا أراد الجند خلعه في ربيع الأول من سنة ست وتسعين محتجين بصغره وعدم بلوغه، وتولية عبد الله بن المعتز، فلم يتم ذلك، وانتقض الأمر في ثاني يوم كما ذكرنا. ثم خلعوه في المحرم من سنة سبع عشرة وثلاثمائة وولوا أخاه محمد القاهر كما تقدم، فلم يتم ذلك سوى يومين، ثم رجع إلى الخلافة كما ذكرنا. وقد كان المقتدر بالله ربعة من الرجال حسن الوجه والعينين، بعيد ما بين المنكبين، حسن الشعر، مدور الوجه، مشرباً بحمرة، حسن الخلق، قد شاب رأسه وعارضاه، وقد كان معطاءً جواداً، وله عقل جيد، وفهم وافر، وذهن صحيح، وقد كان كثير التحجب والتوسع في النفقات، وزاد في رسوم الخلافة وأمور الرياسة، وما زاد شيء إلا نقص. كان في داره أَحَدَ عشر ألف خادم خصي، غير الصقالبة وأبناء فارس والروم والسودان، وكان له دار يقال لها دار الشجرة، بها من الأثاث والأمتعة شيء كثير جداً، كما ذكرنا ذلك في سنة خمس، حين قدم رسول ملك الروم. وقد ركب المقتدر يوماً في حرّاقة وجعل يستعجل الطعام فأبطؤوا به فقال للملاح: ويحك هل عندك شيء آكل؟ قال: نعم، فأتاه بشيء من لحم الجدي وخبز حسن وملوحاً وغير ذلك، فأعجبه ثم استدعاه فقال: هل عندك شيء من الحلواء، فإني لا أحس بالشبع حتى آكل شيئاً من الحلواء. فقال: يا أمير المؤمنين إنما حلواءنا التمر والكسب. فقال هذا شيء لا أطيقه. ثم جيء بطعام فأكل منه وأوتي بالحلواءات فأكل وأطعم الملاحين، وأمر أن يعمل في كل يوم في الحراقة بمائتي درهم، حتى إذا اتفق ركوبه فيها أكل منها، وإن لم يتفق ركوبه كانت للملاح. وكان الملاح يأخذ ذلك في كل يوم عدة سنين متعددة، ولم يتفق ركوبه مرة أخرى أبداً. وقد أراد بعض خواصه أن يطهر ولده فعمل أشياء هائلة ثم طلب من

(١) سقط في ط.

أم الخليفة أن يعار القرية التي عملت في طهور المقتدر من فضة ليراها الناس في هذا المهم، فتلطفت أم المقتدر عند ولدها حتى أطلقها له بالكلية، وكانت صفة قرية من القرى كلها من فضة، بيوتها وأعاليقها وأبقارها وجمالها، ودوابها وطيورها، وخيولها، وزروعها وثمارها وأشجارها، وأنهارها وما يتبع ذلك مما يكون في القرى، الجميع من فضة مصور، وأمر بنقل سماطه[1] إلى دار هذا الرجل، وأن لا يكلف شيء من المطاعم سوى سمك طري، فاشترى الرجل بثلاثمائة دينار سمكاً طرياً، وكان جملة ما أنفق الرجل على سماط المقتدر ألفاً وخمسمائة دينار، والجميع من عند المقتدر، وكان كثير الصدقة والإحسان إلى أهل الحرمين وأرباب الوظائف، وكان كثير التنفل بالصلاة والصوم والعبادة، ولكنه كان موثراً لشهواته، مطيعاً لخصاياه، كثير العزل والولاية والتلون. وما زال ذلك دأبه حتى كان هلاكه على يدي غلمان مؤنس الخادم، فقتل عند باب الشماسية لليلتين بقيتا من شوّال من هذه السنة ـ أعني سنة ثلاثمائة وعشرين ـ وله من العمر ثمان وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً، فكان أكثر مدة ممن تقدمه من الخلفاء.

خِلافَة القَاهِر

لما قتل المقتدر بالله عزم مؤنس على تولية أبي العباس بن المقتدر بعد أبيه ليطيب قلب أم المقتدر، فعدل عن ذلك جمهور من حضر من الأمراء فقال له أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي: بعد التعب والنكد نبايع لخليفة صبي له أم وخالات يطيعهن ويشاورهن؟ ثم أحضروا محمد بن المعتضد ـ وهو أخو المقتدر ـ فبايعه القضاة والأمراء والوزراء، ولقبوه القاهر بالله، وذلك في سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال منها واستوزر أبا علي بن مقلة، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله، ثم أبا العباس ثم الخصيبي. وشرع القاهر في مصادرة أصحاب المقتدر وتتبع أولاده، واستدعى بأم المقتدر وهي مريضة بالاستسقاء، وقد تزايد بها الوجع من شدة جزعها على ولدها حين بلغها قتله، وكيف بقي مكشوف العورة. فبقيت أياماً لا تأكل شيئاً، ثم وعظها النساء حتى أكلت شيئاً يسيراً من الخبز والملح، ومع هذا كله استدعى بها القاهر فقررها على أموالها فذكرت له ما يكون للنساء من الحلي والمصاغ والثياب، ولم تقر بشيء من الأموال والجواهر، وقالت له: لو كان عندي من هذا شيء ما سلمت ولدي. فأمر بضربها وعلّقت برجليها ومسها بعذاب شديد من العقوبة، أشهدت على نفسها ببيع أملاكها، فأخذه الجند مما يحاسبون عليه من أرزاقهم. وأرادها على بيع أوقافها فامتنعت من ذلك وأبت أشد الاباء. ثم استدعى القاهر بجماعة من أولاد المقتدر منهم أبو العباس وهارون والعباس وعلي والفضل وإبراهيم، فأمر بمصادرتهم وحبسهم وسلمهم إلى حاجبه علي بن بليق، وتمكن الوزير أبو علي بن مقلة فعزل وولّى، وأخذ وأعطى أياماً، ومنع البريدي من عمالتهم. وفيها توفي من الأعيان:

---

(١) السماط: ما يوضع عليه الطعام.

أحمد بن عمير بن جوصا

أبو الحسن الدمشقي: أحد المحدثين الحفاظ، والرواة الأيقاظ، **إبراهيم بن محمد بن علي بن بطحاء بن علي بن مقلة أبو إسحاق التميمي** المحتسب ببغداد، روى عن عباس الدوري وعلي بن حرب وغيرهما، وكان ثقة فاضلاً. مرّ يوماً على باب القاضي أبو عمرو محمد بن يوسف والخصوم عكوف على بابه والشمس قد ارتفعت عليهم، فبعث حاجبه إليه يقول له: إما أن تخرج فتفصل بين الخصوم، وإما أن تبعث فتعتذر إليهم إن كان لك عذر حتى يعودوا إليك بعد هذا الوقت.

أبو علي خيران

الفقيه الشافعي، أحد أئمة المذهب، واسمه الحسين بن صالح بن خيران الفقيه الكبير الورع. عرض عليه منصب القضاء فلم يقبل، فختم عليه الوزير علي بن عيسى على بابه ستة عشر يوماً، حتى لم يجد أهله ماء إلا من بيوت الجيران، وهو مع ذلك يمتنع عليهم، ولم يل لهم شيئاً. فقال الوزير: إنما أردنا أن نعلم الناس أن ببلدنا وفي مملكتنا من عرض عليه قضاء قضاة الدنيا في المشارق والمغارب فلم يقبل. وقد كانت وفاته في ذي الحجة منها، وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية بما فيه كفاية.

عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه الاستراباذي، أحد أئمة المسلمين والحفاظ المحدثين وقد ذكرناه أيضاً في طبقات الشافعية.

القاضي أبو عمر المالكي محمد بن يوسف

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد، أبو عمر القاضي ببغداد ومعاملاتها في سائر البلاد، كان من أئمة الإسلام علماً ومعرفة، وفصاحة وبلاغة، وعقلاً ورياسة، بحيث كان يضرب بعقله المثل. وقد روى الكثير عن المشايخ، وحدَّث عنه الدارقطني وغيره من الحفاظ، وحمل الناس عنه علماً كثيراً من الفقه والحديث، وقد جمع قضاء القضاة في سنة سبع عشرة وثلاثمائة وله مصنفات كثيرة. وجمع مسنداً حافلاً، وكان إذا جلس للحديث جلس أبو القاسم البغوي عن يمينه وهو قريب من سن أبيه، وجلس عن يساره أيضاً ابن صاعد، وبين يديه أبو بكر النيسابوري، وسائر الحفاظ حول سريره من كل جانب. قالوا: ولم ينتقد عليه حكم من أحكامه أخطأ فيه قط. قلت: وكان من أكبر صواب أحكامه وأصوبها قتله الحسين بن منصور الحلاج في سنة تسع وثلاثمائة كما تقدم. وكان القاضي أبو عمر هذا جميل الأخلاق، حسن المعاشرة، اجتمع عنده يوماً أصحابه فجيء بثوب فاخر ليشتريه بنحو من خمسين ديناراً، فاستحسنه الحاضرون، فدعا بالقلانسي وأمره أن يقطع ذلك الثوب قلانس بعدد الحاضرين. وله مناقب ومحاسن جمة رحمه الله تعالى. توفي في رمضان عن ثمان وسبعين سنة، وقد رآه بعضهم في المنام فقال له: ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لي بدعوة الرجل الصالح إبراهيم الحربي.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة

في صفر منها أحضر القاهر رجلاً كان يقطع الطريق فضرب بين يديه ألف سوط، ثم ضربت عنقه وقطع أيدي أصحابه وأرجلهم. وفيها أمر القاهر بالله بإبطال الخمر والمغاني والقيان، وأمر ببيع الجواري المغنيات بسوق النخس، على أنهن سواذج[١]. قال ابن الأثير: وإنما فعل ذلك لأنه كان محباً للغناء فأراد أن يشتريهن برخص الأثمان نعوذ بالله من هذه الأخلاق. وفيها أشاعت العامة بينهم بأن الحاجب علي بن بليق يريد أن يلعن معاوية على المنابر. فلما بلغ الحاجب ذلك بعث إلى رئيس الحنابلة البربهاري أبي محمد الواعظ ليقابله على ذلك، فهرب واختفى، فأمر بجماعة من أصحابه فنفوا إلى البصرة. وفيها عظم الخليفة وزيره أبا علي بن مقلة وخاطبه بالاحترام والإكرام. ثم إن الوزير ومؤنساً الخادم وعلي بن بليق وجماعة من الأمراء اشتوروا فيما بينهم على خلع القاهر وتولية أبي أحمد بن المكتفي، وبايعوه فيما بينهم، وضيّقوا على القاهر بالله في رزقه، وعلى من يجتمع به. وأرادوا القبض عليه سريعاً. فبلغ ذلك القاهر ـ بلغه طريف اليشكري ـ فسعى في القبض عليهم، فوقع في مخالبه الأمير المظفر مؤنس الخادم، فأمر بحبسه قبل أن يراه والاحتياط على دوره وأملاكه ـ وكانت فيه عجلة وجرأة وطيش وهوج وخرق شديد[٢] ـ وجعل في منزلته ـ أمير الأمراء ورياسة الجيش ـ طريفاً اليشكري، وقد كان أحد الأعداء لمؤنس الخادم قبل ذلك. وقبض على ابن بليق، واختفى ولده علي بن بليق، وهرب الوزير ابن مقلة فاستوزر مكانه أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله، في مستهل شعبان، وخلع عليه وأمر بتحريق دار ابن مقلة، ووقع النهب ببغداد، وهاجت الفتنة، وأمر القاهر بأن يجعل أبو أحمد المكتفي بين حائطين ويسد عليه بالآجر والكلس، وهو حي، فمات وأرسل منادي على المختفين: إن من أخفاهم قتل وخربت داره. فوقع بعلي بن بليق فذبح بين يديه كما تذبح الشاة، فأخذ رأسه في طست ودخل به القاهر على أبيه بليق بنفسه، فوضع رأس ابنه بين يديه، فلما رآه بكى وأخذ يقبله ويترشفه، فأمر بذبحه أيضاً فذبح، ثم أخذ الرأسين في طستين فدخل بهما على مؤنس الخادم، فلما رآهما تشهّد ولعن قاتلهما، فقال القاهر: جروا برجل الكلب، فأخذ فذبح أيضاً وأخذ رأسه فوضع في طست وطيف بالرؤوس في بغداد، ونودي عليهم: هذا جزاء من يخون الإمام ويسعى في الدولة فساداً. ثم أعيدت الرؤوس إلى خزائن السلاح. وفي ذي القعدة منها قبض القاهر على الوزير أبي جعفر محمد بن القاسم وسجنه، وكان مريضاً بالقولنج[٣]، فبقي ثمانية عشر يوماً ومات وكانت وزارته ثلاثة أشهر واثني عشر يوماً. واستوزر مكانه أبا العباس أحمد بن عبد الله بن سليمان الخصيبي، ثم قبض على طريف

---

(١) السواذج: جمع ساذجة.

(٢) الخرق: الجهل والحماقة.

(٣) القولنج: مرض يصيب المعدة.

اليشكري الذي تعاون على مؤنس وابن بليق وسجنه، ولهذا قيل: من أعان ظالماً سلّطه الله عليه. فلم يزل اليشكري في الحبس حتى خلع القاهر. وفيها جاء الخبر بموت العامل بديار مصر، وأن ابنه محمداً قد قام مقامه فيها، وسارت الخلع إليه من القاهر بتنفيذ الولاية واستقراره.

ذكر ابتداء أمر بني بويه وظهور دولتهم في هذه السنة

وهم ثلاثة إخوة: عماد الدولة أبو علي الحسن، وركن الدولة أبو علي الحسن، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر ابن شيركيده بن شيرزيل الأكبر ابن شيران شاه بن شيرويه بن سيسان شاه بن سيس بن فيروز بن شيرزيل بن سيسان بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن سابور الملك بن سابور ذي الأكتاف الفارسي. كذا نسبهم الأمير أبو نصر بن ماكولا في كتابه. وإنما قيل لهم الديالمة لأنهم جاوروا الديلم، وكانوا بين أظهرهم مدة، وقد كان أبوهم أبو شجاع بويه فقيراً مدقعاً، يصطاد السمك ويحتطب بنوه الحطب على رؤوسهم، وقد ماتت امرأته وخلفت له هؤلاء الأولاد الثلاثة، فحزن عليها وعليهم، فبينما هو يوماً عند بعض أصحابه وهو شهريار بن رستم الديلمي، إذ مر منجم فاستدعاه فقال له: إني رأيت مناماً غريباً أحب أن تفسره لي: رأيته كأني أبول فخرج من ذكري نار عظيمة حتى كادت تبلغ عنان السماء ثم انفرقت ثلاث شعب ثم انتشرت كل شعبة حتى صارت شعباً كثيرة، فأضاءت الدنيا بتلك النار، ورأيت البلاد والعباد قد خضعت لهذه النار. فقال له المنجم: هذا منام عظيم لا أفسره لك إلا بمال جزيل. فقال: والله لا شيء عندي أعطيك، ولا أملك إلاّ فرسي هذه. فقال: هذا يدل على أنه يملك من صلبك ثلاثة ملوك، ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة. فقال له: ويحك أتسخر بي؟ وأمر بنيه فصفعوه ثم أعطاه عشرة دراهم. فقال لهم المنجم: اذكروا هذا إذا قدمت عليكم وأنتم ملوك، وخرج وتركهم. وهذا من أعجب الأشياء، وذلك أن هؤلاء الإخوة الثلاثة كانوا عند ملك يقال له «ما كان بن كاني» في بلاد طبرستان، فتسلّط عليه مرداويج فضعف ما كان، فتشاوروا في مفارقته حتى يكون من أمره ما يكون، فخرجوا عنه ومعهم جماعة من الأمراء، فصاروا إلى مرداويج فأكرمهم واستعملهم على الأعمال في البلدان، فأعطى عماد الدولة علي بن بويه نيابة الكرخ، فأحسن فيها السيرة والتف عليه الناس وأحبوه فحاربه نائبها فهزمه عماد الدولة هزيمة منكرة، واستولى على أصبهان. وإنما كان معه سبعمائة فارس، فقهر بها عشرة آلاف فارس، وعظم في أعين الناس، فلما بلغ ذلك مرداويج قلق منه، فأرسل إليه جيشاً فأخرجوه من أصبهان، فقصد أذربيجان فأخذها من نائبها وحصل له من الأموال شيء كثير جداً، ثم أخذ بلداناً كثيرة، واشتهر أمره وبعد صيته وحسنت سيرته. فقصده الناس محبة وتعظيماً، فاجتمع إليه من الجند خلق كثير وجم غفير، فلم يزل يترقى في مراقي الدنيا حتى آل به وبأخويه الحال إلى أن ملكوا بغداد من أيدي الخلفاء العباسيين، وصار لهم فيها القطع والوصل، والولاية

والعزل، وإليهم تجبى الأموال، ويرجع إليهم في سائر الأمور والأحوال، على ما سنذكر ذلك مبسوطاً والله المستعان.

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان:

أحمد بن محمد بن سلامة [الطحاوي](١)

ابن سلمة بن عبد الملك أبو جعفر الطحاوي، نسبة إلى قرية بصعيد مصر، الفقيه الحنفي صاحب المصنفات المفيدة، والفوائد الغزيرة: وهو أحد الثقات الأثبات، والحفاظ الجهابذة(٢)، وطحا بلدة بديار مصر. وهو ابن أخت المزني. توفي في مستهل ذي القعدة منها عن اثنتين وثمانين سنة وذكر أبو سعيد السمعاني أنه ولد في سنة تسع وعشرين ومائتين، فعلى هذا يكون قد جاوز التسعين والله أعلم. وذكر ابن خلكان في الوفيات أن سبب انتقاله إلى مذهب أبي حنيفة ورجوعه عن مذهب خاله المزني، أن خاله قال له يوماً: والله لا يجيء منك شيء. فغضب وتركه واشتغل على أبي جعفر بن أبي عمران الحنفي، حتى برع وفاق أهل زمانه. وصنف كتباً كثيرة. منها أحكام القرآن، واختلاف العلماء. ومعاني الآثار، والتاريخ الكبير. وله في الشروط كتاب، وكان بارعاً فيها. وقد كتب للقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله وعدله القاضي أبو عبيد بن حربويه، وكان يقول: رحم الله المزني، لو كان حياً لكفَّر عن يمينه. توفي في مستهل ذي القعدة كما تقدم. ودفن بالقرافة وقبره مشهور بها رحمه الله. وقد ترجمه ابن عساكر وذكر أنه قد قدم دمشق سنة ثمان وستين ومائتين، وأخذ الفقه عن قاضيها أبي حازم.

أحمد بن محمد بن موسى بن النضر

ابن حكيم بن علي بن زربي أبو بكر المعروف بابن أبي حامد صاحب بيت المال. سمع عباساً الدوري وخلقاً، وعنه الدارقطني وغيره. وكان ثقة صدوقاً، جواداً ممدحاً، اتفق في أيامه أن رجلاً من أهل العلم كانت له جارية يحبها حبّاً شديداً، فركبته ديون كثيرة اقتضت بيع تلك الجارية في الدين، فلما أن قبض ثمنها ندم ندامة شديدة على فراقها، وبقي متحيراً في أمره، ثم باعها الذي اشتراها فوصلت إلى ابن أبي حامد هذا، وهو صاحب بيت المال، فتشفع إليه صاحبها الأول - الذي باعها في الدين - ببعض أصحاب ابن أبي حامد في أن يردها إليه بثمنها، وذكر له أنه يحبها، وأنه من أهل العلم، وإنما باعها في دين ركبه لم يجد له وفاء. فلما قال له ذلك لم يكن عند ابن أبي حامد شعور بما ذكر له من أمر الجارية، وذلك أن امرأته كانت اشترتها له ولم تعلمه بعد بأمرها حتى تحل من استبرائها، وكان ذلك اليوم آخر الاستبراء، فألبستها الحلي والمصاغ وصنعتها له وهيأتها، حتى صارت كأنها فلقة قمر، وكانت حسناء، فحين شفع صاحبه فيها وذكر أمرها بهت لعدم علمه بها. ثم دخل

---

(١) سقط في ط.

(٢) الجهبذ: العالم الضليع.

على أهله يستكشف خبرها من امرأته، فإذا بها قد هيئت له، فلما رآها على تلك الصفة فرح فرحاً شديداً إذ وجدها كذلك من أجل سيدها الأول، الذي تشفَّع فيه صاحبه. فأخرجها معه وهو يظهر السرور، وامرأته تظن أنه إنما أخذها ليطأها، فأتى بها إلى ذلك الرجل بحليها وزينتها، فقال له: هذه جاريتك؟ فلما رآها على تلك الصفة في ذلك الحلي والزينة مع الحسن الباهر اضطرب كلامه واختلط في عقله مما رأى من حسن منظرها وهيئتها. فقال: نعم خذها بارك الله لك فيها. ففرح الفتى بها فرحاً شديداً. وقال سيدي تأمر بمن يحمل ثمنها إليك؟ فقال: لا حاجة لنا بثمنها، وأنت في حل منه أنفقه عليك وعليها، فإني أخشى أن تفتقر فتبيعها لمن لا يردها عليك. فقال: يا سيدي وهذا الحلي والمصاغ الذي عليها؟ فقال: هذا شيء وهبناه لها لا نرجع فيه ولا يعود إلينا أبداً، فدعا له واشتد فرحه بها جداً وأخذها وذهب. فلما أراد أن يودع ابن أبي حامد قال ابن أبي حامد للجارية: أيما أحب إليك نحن أو سيدك هذا؟ فقالت: أما أنتم فقد أحسنتم إلي وأعنتموني فجزاكم الله خيراً، وأما سيدي هذا فلو أني ملكت منه ما ملك مني لم أبعه بالأموال الجزيلة ولا فرطت فيه أبداً. فاستحسن الحاضرون كلامها وأعجبهم ذلك من قولها، مع صغر سنها.

شغب أم أمير المؤمنين المقتدر بالله الملقبة بالسيدة

كان دخلها من أملاكها في كل سنة ألف ألف دينار، وكانت تتصدق بأكثر ذلك على الحجيج في أشربة وأزواد وأطباء يكونون معهم، وفي تسهيل الطرقات والموارد. وكانت في غاية الحشمة والرياسة ونفوذ الكلمة أيام ولدها، فلما قتل كانت مريضة فزادها قتله مرضاً إلى مرضها، ولما استقر أمر القاهر في الخلافة وهو ابن زوجها المعتضد وأخو ابنها المقتدر، وقد كانت حضنته حين توفيت أمه وخلصته من ابنها لما أخذت البيعة بالخلافة له ثم رجع ابنها إلى الخلافة، فشفعت في القاهر وأخذته إلى عندها، فكانت تكرمه وتشتري له الجواري، فلما قتل ابنها وتولَّى مكانه طلبها وهي مريضة فعاقبها عقوبة عظيمة جداً، حتى كان يعلقها برجليها ورأسها منكوس، فربما بالت فيسيل البول على وجهها، ليقررها على الأموال فلم يجد لها شيئاً سوى ثيابها ومصاغها وحليها في صناديقها. قيمة ذلك مائة ألف دينار، وثلاثون ألف دينار، وكان لها غير ذلك أملاك أمر ببيعها وأتى بالشهود ليشهدوا عليها بالتوكيل في بيعها، فامتنع الشهود من أداء الشهادة حتى ينظروا إليها ويحلوها، فرفع الستر بإذن الخليفة. فقالوا لها: أنت شغب جارية المعتضد أم جعفر المقتدر؟ فبكت بكاء طويلاً ثم قالت: نعم، فكتبوا حليتها عجوز سمراء اللون دقيقة الجبين. وبكى الشهود وتفكروا كيف يتقلب الزمان بأهله، وتنقل الحدثان وأن الدنيا دار بلاء لا يفي مرجوها بمخوفها، ولا يسلم طلوعها من كسوفها، من ركن إليها أحرقته بنارها. ولم يذكر القاهر شيئاً من إحسانها إليه رحمها الله وعفا عنها. وتوفيت في جمادى الأولى من هذه السنة، ودفنت بالرصافة.

عبد السلام بن محمد

ابن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان، مولى عثمان بن عفان، وهو أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم ابن المتكلم، المعتزلي ابن المعتزلي، وإليه تنسب الطائفة الهاشمية من المعتزلة، وله مصنفات في الاعتزال كما لأبيه من قبله، مولده سنة سبع وأربعين ومائتين، توفي في شعبان منها. قال ابن خلكان: وكان له ابن يقال له أبو علي، دخل يوماً على الصاحب بن عباد فأكرمه واحترمه وسأله عن شيء من المسائل فقال: لا أعرف نصف العلم. فقال: صدقت وسبقك أبوك إلى الجهل بالنصف الآخر.

أحمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية

أبو بكر بن دريد الأزدي اللغوي النحوي الشاعر صاحب المقصورة، ولد بالبصرة في سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وتنقل في البلاد لطلب العلم والأدب، وكان أبوه من ذوي اليسار، وقدم بغداد وقد أسن فأقام بها إلى أن توفي في هذه السنة. روى عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وأبي حاتم والرياشي. وعنه أبو سعيد السيرافي، وأبو بكر بن شاذان، وأبو عبيد الله بن المرزبان وغيرهم. ويقال كان أعلم من شعر من العلماء. وقد كان متهتكاً في الشراب منهمكاً فيه. قال أبو منصور الأزهري: دخلت عليه فوجدته سكران فلم أعد إليه. وسئل عنه الدارقطني فقال: تكلموا فيه. وقال ابن شاهين: كنا ندخل عليه فنستحي مما نراه من العيدان المعلقة وآلات اللهو والشراب المصفّى وقد جاوز التسعين وقارب المائة. توفي في يوم الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من شعبان. وفي هذا اليوم توفي أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المعتزلي، فصلّى عليهما معاً، ودفنا في مقبرة الخيزران. فقال الناس: مات اليوم عالم اللغة، وعالم الكلام. وكان ذلك يوماً مطيراً. ومن مصنفات ابن دريد الجمهرة في اللغة نحو عشرة مجلدات. وكتاب المطر، والمقصورة، والقصيدة الأخرى في المقصور والمدود، وغير ذلك سامحه الله.

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة

فيها قصد ملك الروم ملطية في خمسين ألفاً فحاصرهم ثم أعطاهم الأمان حتى تمكن منهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر ما لا يحصون كثرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون وفيها وردت الأخبار أن مرداويج قد تسلم أصبهان وانتزعها من علي بن بويه، وأن علي بن بويه توجه إلى ارّجان فأخذها، وقد أرسل ابن بويه إلى الخليفة بالطاعة والمعونة، وإن أمكن أن يقبل العتبة الشريفة ويحضر بين يدي الخليفة إن رسم. ويذهب إلى شيراز فيكون مع ابن ياقوت. ثم اتفق الحال بعد ذلك أن صار إلى شيراز وأخذها من نائبها ابن ياقوت بعد قتال عظيم، ظفر فيه ابن بويه بابن ياقوت وأصحابه، فقتل منهم خلقاً وأسر جماعة، فلما تمكن أطلقهم وأحسن إليهم وخلع عليهم، وعدل في الناس. وكانت معه أموال كثيرة قد استفادها من

أصبهان والكرخ وهمذان وغيرها. وكان كريماً جواداً معطياً للجيوش الذين قد التفوا عليه، ثم إنه أملق(١) في بعض الأحيان وهو بشيراز، وطالبه الجند بأرزاقهم وخاف أن ينحل نظام أمره وملكه، فاستلقى على قفاه يوماً مفكراً في أمره، وإذا حية قد خرجت من شق في سقف المكان الذي هو فيه ودخلت في آخر، فأمر بنزع تلك السقوف فوجد هناك مكاناً فيه شيء كثير من الذهب، نحو من خمسمائة ألف دينار. فأنفق في جيشه ما أراد، وبقي عنده شيء كثير. وركب ذات يوم يتفرج في جوانب البلد وينظر إلى ما بنته الأوائل. ويتعظ بمن كان فيه قبله، فانخسفت الأرض من تحت قوائم فرسه، فأمر فحفر هنالك فوجد من الأموال شيئاً كثيراً أيضاً. واستعمل عند رجل خياط قماشاً ليلبسه فاستبطأه فأمر بإحضاره، فلما وقف بين يديه تهدده ـ وكان الخياط أصم لا يسمع جيداً فقال: والله أيها الملك ما لابن ياقوت عندي سوى اثنا عشر صندوقاً لا أدري ما فيها. فأمره بإحضارها فإذا فيها أموال عظيمة تقارب ثلاثمائة ألف دينار، واطلع على ودائع كانت ليعقوب بن الليث، فيها من الأموال ما لا يحد ولا يوصف كثرة، فقوي أمره وعظم سلطانه جداً. وهذا كله من الأمور المقدرة لما يريد الله بهم من السعادة الدنيوية، بعد الجوع والقلة ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨] وكتب إلى الراضي وزيره ابن مقلة أن يقاطع على ما قِبَله من البلاد على ألف ألف في كل سنة، فأجابه الراضي إلى ذلك، وبعث إليه بالخلع واللواء وأبهة الملك. وفيها قتل القاهر أميرين كبيرين، وهما إسحاق بن إسماعيل النوبختي، وهو الذي كان قد أشار على الأمراء بخلافة القاهر. وأبا السرايا بن حمدان أصغر ولد أبيه، وكان في نفس القاهر منهما بسبب أنهما زايداه من قبل أن يلي الخلافة في جاريتين مغنيتين. فاستدعاهما إلى المسامرة فتطيبا وحضرا، فأمر بإلقائهما في جب(٢) هنالك فتضرّعا إليه فلم يرحمهما، بل ألقيا فيها وطمّ عليهما.

ذكر خلع القاهر وسمل عينيه وعذابه

وكان سبب ذلك أن الوزير أبا علي بن مقلة كان قد هرب حين قبض على مؤنس الخادم كما تقدم، فاختفى في داره، وكان يراسل الجند ويكاتبهم ويغريهم بالقاهر، ويخوِّفهم سطوته وإقدامه وسرعة بطشه، ويخبرهم بأن القاهر قد أعد لأكابر الأمراء أماكن في دار الخلافة يسجنهم فيها، ومهالك يلقيهم فيها، كما فعل بفلان وفلان. فهيجهم ذلك على القبض على القاهر، فاجتمعوا وأجمعوا رأيهم على مناجزته(٣) في هذه الساعة، فركبوا مع الأمير المعروف بسيما، وقصدوا دار الخلافة فأحاطوا بها، ثم هجموا عليه من سائر أبوابها وهو مخمور، فاختفى في سطح حمام فظهروا عليه فقبضوا عليه وحبسوه في مكان طريف اليشكري، وأخرجوا طريفاً من السجن، وخرج الوزير الخصيبي مستتراً في زي امرأة، فذهب. واضطربت بغداد ونهبت، وذلك يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الأولى فيها،

(١) أملق: افتقر. (٢) الجب: البئر. (٣) المناجزة: المقاتلة.

في الشهر الذي ماتت فيه شغب. فلم يكن بين موتها والقبض عليه وسمل عينيه[١] وعذابه بأنواع العقوبات إلا مقدار سنة واحدة، وانتقم الله منه. ثم أمروا بإحضاره، فلما حضر سملوا عينيه حتى سالتا على خديه، وارتُكب منه أمر عظيم لم يسمع مثله في الإسلام، ثم أرسلوه. وكان تارة يحبس وتارة يخلى سبيله. وقد تأخر موته إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة. وافتقر حتى قام يوماً بجامع المنصور فسأل الناس فأعطاه رجل خمسمائة دينار. ويقال إنما أراد بسؤاله التشنيع عليهم. وسنذكر ترجمته إذا ذكرنا وفاته.

خلافة الراضي بالله أبي العباس محمد بن المقتدر بالله

لما خلعت الجند القاهر وسملوا عينيه أحضروا أبا العباس محمد بن المقتدر بالله فبايعوه بالخلافة ولقبوه الراضي بالله. وقد أشار أبو بكر الصولي بأن يلقب بالمرضي بالله فلم [يقبل وحول إلى هذا اللقب][٢] وذلك يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى منها. وجاؤوا بالقاهر وهو أعمى قد سملت عيناه فأوقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة وسلمها إليه، فقام الراضي بأعبائها، وكان من خيار الخلفاء على ما سنذكره. وأمر بإحضار أبي علي بن مقلة فولاه الوزارة، وجعل علي بن عيسى ناظراً معه، وأطلق كل من كان في حبس القاهر، واستدعى عيسى طبيب القاهر فصادره بمائتي ألف دينار، وتسلم منه الوديعة التي كان القاهر أودعها إياها، وكانت جملة مستكثرة من الذهب والفضة والجواهر النفيسة. وفيها عظم أمر مرداويج بأصبهان وتحدث الناس أنه يريد أخذ بغداد، وأنه ممالىء لصاحب البحرين أمير القرامطة، وقد اتفقا على رد الدولة من العرب إلى العجم، وأساء السيرة في رعيته، لا سيما في خواصه. فتمالؤوا عليه فقتلوه، وكان القائم بأعباء قتله أخص مماليكه وهو بجكَمْ بيّض الله وجهه، وبجكم هذا هو الذي استنقذ الحجر الأسود من أيدي القرامطة حتى ردوه اشتراه منهم بخمسين ألف دينار. ولما قتل الأمير يحكم مرداويج عظم أمر علي بن بويه، وارتفع قدره بين الناس، وسيأتي ما آل إليه حاله. ولما خلع القاهر وولي الراضي، طمع هارون بن عريب في الخلافة، لكونه ابن خال المقتدر، وكان نائباً على ماه والكوفة والدينور ماسبذان، فدعا إلى نفسه واتبعه خلق كثير من الجند والأمراء، وجبى الأموال واستفحل أمره، وقويت شوكته، وقصد بغداد فخرج إليه محمد بن ياقوت بأس الحجبة بجميع جند بغداد، فاقتتلوا فخرج في بعض الأيام هارون بن عريب يتقصد لعله يعمل حيلة في أسر محمد بن ياقوت فتقنطر به فرسه فألقاه في نهر، فضربه غلامه حتى قتله وأخذ رأسه حتى جاء به إلى محمد بن ياقوت، وانهزم أصحابه ورجع ابن ياقوت فدخل بغداد ورأس هارون بن عريب يحمل على رمح، ففرح الناس بذلك، وكان يوماً مشهوداً.

وفيها ظهر ببغداد رجل يعرف بأبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني، ويقال له ابن

---

(١) سمل عينيه: فقأهما بالنار.

(٢) في ط: يقلبوا.

العرافة، فذكروا عنه أنه يدّعي ما كان يدّعيه الحلاج من الإلهية، وكانوا قد قبضوا عليه في دولة المقتدر عند حامد بن العباس، واتهم بأنه يقول بالتناسخ فأنكر ذلك. ولما كانت هذه المرة أحضره الراضي وادعى عليه بما كان ذكر عنه فأنكر ثم أقر بأشياء، فأفتى قوم أن دمه حلال إلا أن يتوب من هذه المقالة، فأبى أن يتوب، فضرب ثمانين سوطاً، ثم ضربت عنقه وألحق بالحلاج [قبحهما الله][(١)]، وقتل معه صاحبه ابن أبي عون لعنه الله. وكان هذا اللعين من جملة من اتبعه وصدقه فيما يزعمه من الكفر [لعنة الله][(٢)]. وقد بسط ابن الأثير في كامله مذهب هؤلاء الكفرة بسطاً جيداً، وشبّه مذهبهم [بمذهب النصيرية لعنهم الله أجمعين][(٣)]. وادعى رجل آخر ببلاد الشاش النبوة وأظهر مخاريق وأشياء كثيرة من الحيل، فجاءته الجيوش فقاتلوه [فقتلوه][(٤)]، وانطفأ أمره والله تعالى أعلم.

وفاة المهدي صاحب إفريقية [أول خلفاء الفاطمين فيها زعموا][(٥)]

وفيها كان موت المهدي صاحب إفريقية أول خلفاء الفاطميين الأدعياء الكذبة، وهو أبو محمد عبد الله المدعي أنه علوي، وتلقب بالمهدي، وبنى المهدية ومات بها عن ثلاث وستين سنة، وكانت ولايته ـ منذ دخل رقادة وادعى الإمامة ـ أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً. وقد كان شهماً شجاعاً، ظفر بجماعة ممن خالفه وناوأه وقاتله وعاداه، فلما مات قام بأمر الخلافة من بعده ولده أبو القاسم الملقب بالخليفة القائم بأمر الله. وحين توفي أبوه كتم موته سنة حتى دبّر ما أراده من الأمور، ثم أظهر ذلك وعزّاه الناس فيه. وقد كان كأبيه شهماً شجاعاً: فتح البلاد وأرسل السرايا إلى بلاد الروم، ورام أخذ الديار المصرية فلم يتفق له ذلك، وإنما أخذ الديار المصرية ابن ابنه المعز الفاطمي باني القاهرة المعزية كما سنذكره إن شاء الله.

قال ابن خلكان في الوفيات: وقد اختلف في نسب المهدي هذا اختلافاً كثيراً جداً، فقال صاحب تاريخ القيروان: هو عبيد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وقال غيره: هو عبيد الله بن التقي وهو الحسين بن الوفي بن أحمد بن الرضي، وهو عبد الله هذا، وهو ابن محمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وهؤلاء يقال لهم المستورون لخوفهم من خلفاء بني العباس][(٦)] وقيل غير ذلك في نسبه.

قال ابن خلكان: والمحققون ينكرون دعواه في النسب. قلت: قد كتب غير واحد من الأئمة منهم الشيخ أبو حامد الإسفراييني والقاضي الباقلاني، والقدوري، أن هؤلاء أدعياء ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمونه، وأن والد عبيد الله المهدي هذا كان يهودياً صباغاً

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) سقط في ط.
(٥) سقط في ط.
(٦) ما بين معقوفين سقط في ط.

بسلمية، وقيل كان اسمه سعد، وإنما لقب بعبيد الله زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح، وسمي القداح لأنه كان كحالاً يقدح العيون. وكان الذي وطّأ له[1] الأمر بتلك البلاد أبو عبد الله الشيعي كما قدمنا ذلك، ثم استدعاه فلما قدم عليه من بلاد المشرق وقع في يد صاحب سجلماسة فسجنه، فلم يزل الشيعي يحتال له حتى استنقذه من يده وسلَّم إليه الأمر، ثم ندم الشيعي على تسليمه الأمر وأراد قتله، ففطن عبيد الله لما أراد به، فأرسل إلى الشيعي من قتله وقتل أخاه معه. ويقال إن الشيعي لما دخل السجن الذي قد حبس فيه عبيد الله هذا وجد صاحب سجلماسة قد قتله، ووجد في السجن رجلاً مجهولاً محبوساً فأخرجه إلى الناس، لأنه كان قد أخبر الناس أن المهدي كان محبوساً في سجلماسة وأنه إنما يقاتل عليه، فقال للناس: هذا هو المهدي - وكان قد أوصاه أن لا يتكلم إلا بما يأمره به وإلا قتله - فراج أمره. فهذه قصته. وهؤلاء من سلالته والله أعلم. وكان مولد المهدي هذا في سنة ستين ومائتين، وقيل قبلها، وقيل بعدها، بسلمية، وقيل بالكوفة والله أعلم. وأول ما دعي له على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة لسبع بقين من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين، بعد رجوعه من سجلماسة، وكان ظهوره بها في ذي الحجة من السنة الماضية - سنة ست وتسعين ومائتين - فلما ظهر زالت دولة بني العباس عن تلك الناحية من هذا الحين إلى أن ملك العاضد في سنة سبع وستين وخمسمائة. توفي بالمدينة المهدية التي بناها في أيامه للنصف من ربيع الأول منها، وقد جاوز الستين على المشهور، وسيفصل الله بين الآمر والمأمور يوم البعث والنشور والله تعالى أعلم.

فمن توفي فيها توفي من الأعيان: **أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري** قاضي مصر. حدث عن أبيه بكتبه المشهورة، وتوفي وهو قاض بالديار المصرية في ربيع الأول منها.

محمد بن أحمد بن القاسم أبو علي الروذباري

وقيل اسمه أحمد بن محمد، ويقال الحسين بن الهمام، والصحيح الأول. أصله من بغداد وسكن مصر، وكان من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة، وصحب الجنيد وسمع الحديث وحفظ منه كثيراً، وتفقَّه بإبراهيم الحربي. وأخذ النحو عن ثعلب، وكان كثير الصدقة والبر للفقراء، وكان إذا أعطى الفقير شيئاً جعله في كفله تحت يد الفقير، ثم يتناوله الفقير، يريد أن لا تكون يد الفقير تحت يده.

[قال أبو نعيم: سئل أبو علي الروذباري عمن يسمع الملاهي ويقول إنه وصل إلى منزلة لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال. فقال: نعم وصل، ولكن إلى سقر. وقال: الإشارة الإبانة، لما تضمنه الوجد من المشار إليه لا غير، وفي الحقيقة أن الإشارة تصححها العلل، والعلل بعيدة من غير الحقائق. وقال: من الاغترار أن تسيء فيحسن إليك، فتترك الإنابة

(١) وطّأ له: مهّد له.

والتوبة توهماً أنك تسامح في الهفوات، وترى أن ذلك من بسط الحق لك. وقال تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق فألقيت إليها الأسامي، فركنت إليها مشغوفة بها عن الذات إلى أوان التجلي، فذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. فوقفوا معها عن إدراك الحقائق، فأظهر الأسامي وأبداها للخلق، لتسكين شوق المحبين إليه، وتأنيس قلوب العارفين به. وقال: لا رضى لمن لا يصبر، ولا كمال لمن لا يشكر. وبالله وصل العارفون إلى محبته وشكروه على نعمته. وقال: إن المشتاقين إلى الله يجدون حلاوة الشوق عند ورود المكاشف لهم عن روح الوصال إلى قربه أحلى من الشهد. وقال: من رزق ثلاثة أشياء فقد سلم من الآفات: بطن جائع معه قلب قانع، وفقر دائم معه زهد حاضر، وصبر كامل معه قناعة دائمة. وقال: في اكتساب الدنيا مذلة النفوس، وفي اكتساب الآخرة عزها، فيا عجباً لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى على العز في طلب ما يبقى][1] ومن شعره:

لَوْ مَضَى الكُلُّ مِنِّي لَمْ يَكُنْ عَجَباً وَإِنَّمَا عَجَبِي في البَعْضِ كَيْفَ بَقِي

أَدْرِكْ بَقِيَّةَ رُوحٍ مِنْكَ قَدْ تَلِفَتْ قَبْلَ الفِرَاقِ فَهٰذا آخِرُ الرَّمَقِ

محمد بن [أحمد بن][2] إسماعيل

المعروف بخير النساج أبو الحسن الصوفي، من كبار المشايخ ذوي الأحوال الصالحة، والكرامات المشهورة. أدرك سرياً السقطي وغيره من مشايخ القوم، وعاش مائة وعشرين سنة. ولما حضرته الوفاة نظر إلى زاوية البيت فقال: قد رحمك الله، فإنك عبد مأمور وأنا عبد مأمور، وما أمرت به لا يفوت وما أمرت به يفوت. ثم قام وتوضأ وصلّى وتمدد فمات رحمه الله. وقد رآه بعضهم في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال استرحنا من دنياكم الوخيمة.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

فيها أحضر ابن شنبوذ المقري فأنكر عليه جماعة من الفقهاء والقراء حروفاً انفرد بها فاعترف ببعضها وأنكر بعضها، فاستتيب من ذلك واستكتب خطه بالرجوع عما نقم عليه، وضرب سبع درر بإشارة الوزير أبي علي بن مقلة، ونفي إلى البصرة. فدعا على الوزير أن تقطع يده ويشتت شمله، فكان ذلك عما قريب. وفي جمادى الآخرة نادى ابن الحرسي صاحب الشرطة في الجانبين من بغداد أن لا يجتمع اثنان من أصحاب أبي محمد البربهاري الواعظ الحنبلي. وحبس من أصحابه جماعة، واستتر ابن البربهاري فلم يظهر مدة. قال ابن الجوزي في المنتظم:

وفي شهر أيار تكاثفت الغيوم واشتد الحر جداً، فلما كان آخر يوم منه ـ وهو الخامس والعشرين من جمادى الآخرة منها ـ هبت ريح شديدة جداً وأظلمت الأرض واسودت إلى

---

(١) ما بين معقوفين سقط من النسخة المصرية. (٢) سقط في ط.

بعد العصر، ثم خفت ثم عادت إلى بعد عشاء الآخرة.

وفيها استبطأ الأجناد أرزاقهم فقصدوا دار الوزير أبي علي بن مقلة فنقبوها وأخذوا ما فيها ووقع حريق عظيم في طريق الموازين، فاحترق للناس شيء كثير، فعوض عليهم الراضي بعض ما كان ذهب لهم.

وفي رمضان اجتمع جماعة من الأمراء على بيعة جعفر بن المكتفي، فظهر الوزير على أمرهم فحبس جعفراً ونهبت داره، وحبس جماعة ممن كان بايعه، وانطفأت ناره. وخرج الحجاج في غفارة الأمير لؤلؤ فاعترضهم أبو طاهر القرمطي فقتل أكثرهم ورجع من انهزم منهم إلى بغداد، وبطل الحج في هذه السنة من طريق العراق. قال ابن الجوزي: وفيها تساقطت كواكب كثيرة ببغداد والكوفة على صورة لم ير مثلها، ولا يقاربها، وغلا السعر في هذه السنة حتى بيع الكر[1] من الحنطة بمائة وعشرين ديناراً. وفيها على الصحيح كان مقتل مرداويج بن زياد الديلمي، وكان قبحه الله سيىء السيرة والسريرة، يزعم أن روح سليمان بن داود حلّت فيه، وله سرير من ذهب يجلس عليه والأتراك بين يديه، ويزعم أنهم الجن الذين سخروا لسليمان بن داود، وكان يسيء المعاملة لجنده ويحتقرهم غاية الاحتقار، فما زال ذلك دأبه حتى أمكنهم الله منه فقتلوه شر قتلة في حمام، وكان الذي مالأ على قتله غلامه بجكم التركي، وكان ركن الدولة بن بويه رهينة عنده فأطلق لما قتل يحكم فسار بهم إلى بغداد بإذن الخليفة له في ذلك، ثم صرفوا إلى البصرة فكانوا بها. وأما الديلم فإنهم بعثوا إلى أخي مرداويج وهو وشمكير، فلما قدم عليهم تلقوه إلى أثناء الطريق حفاة مشاة فملكوه عليهم لئلا يذهب ملكهم، فانتدب إلى محاربته الملك السعيد نصر بن أحمد الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر، وما والاها من تلك البلاد والأقاليم، فانتزع منه بلداناً هائلة. وفيها بعث القائم بأمر الله الفاطمي جيشاً من إفريقية في البحر إلى ناحية الفرنج فافتتحوا مدينة جنوه وغنموا غنائم كثيرة وثروة. ورجعوا سالمين غانمين. وفيها بعث عماد الدولة إلى أصبهان فاستولى عليها وعلى بلاد الجبل واتسعت مملكة جداً. وفيها كان غلاء شديد بخراسان، ووقع بها فناء كثير، بحيث كان يهمهم أمر دفن الموتى. وفيها قتل ناصر الدولة أبو الحسن بن حمدان نائب الموصل عمه أبا العلاء سعيد بن حمدان لأنه أراد أن ينتزعها منه، فبعث إليه الخليفة وزيره أبا علي بن مقلة في جيوش، فهرب منه ناصر الدولة، فلما طال مقام ابن مقلة بالموصل ولم يقدر على ناصر الدولة رجع إلى بغداد، فاستقرت يد ناصر الدولة على الموصل. وبعث به إلى الخليفة يسأله أن يضمنه تلك الناحية، فأجيب إلى ذلك، واستمر الحال على ما كان. وخرج الحجيج فلقيهم القرمطي فقاتلهم وظفر بهم فسألوه الأمان فأمّنهم على أن يرجعوا إلى بغداد فرجعوا وتعطل الحج عامهم ذلك أيضاً.

وفيها توفي من الأعيان:

---

(١) الكرّ: مكيال قيل إنه أربعون إردباً، وقيل غير ذلك.

نفطويه النحوي

واسمه إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي أبو عبد الله العتكي المعروف بنفطويه النحوي. له مصنفات فيه، وقد سمع الحديث وروى عن المشايخ وحدّث عنه الثقات، وكان صدوقاً، وله أشعار حسنة.

وروى الخطيب عن نفطويه أنه مر يوماً على بقال فقال له: أيها الشيخ كيف الطريق إلى درب الرآسين - يعني درب الرواسين - فالتفت البقال إلى جاره فقال له: قبح الله غلامي أبطأ علي بالسّلق، ولو كان عندي لصفعت هذا بحزمة منه. فانصرف عنه نفطويه ولم يرد عليه. توفي نفطويه في شهر صفر من هذه السنة عن ثلاث وثمانين سنة وصلّى عليه البربهاري رئيس الحنابلة، ودفن بمقابر دار الكوفة. ومما أنشده له أبو علي القالي في الأمالي له:

قَلْبِي أَرَقُّ عَلَيْهِ مِنْ خَدَّيْكَا ... وَفُؤَادِي أَوْهَى[1] مِنْ قُوَى جَفْنَيْكَا
لِمْ لا تَرِقُّ لِمَنْ يُعَذِّبُ نَفْسَهُ ... ظُلْماً وَيَعْطِفُهُ هَوَاهُ عَلَيْكَا

قال ابن خلكان: وفي نفطويه يقول أبو محمد عبد الله بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي المتكلم المشهور صاحب الإمامة وإعجاز القرآن وغير ذلك من الكتب من سره أن لا يرى فاسقاً فليجتهد أن يرى نفطويه، «أحرقه الله بنصف اسمه، وصير الباقي صراخاً عليه».

وقال الثعالبي: إنما سمي نفطويه لدمامته وأدمته.

وقال ابن خالويه: لا يعرف من اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سواه.

عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله [أبو عبد][2] الله الهاشمي العباسي

حدث عن بشار بن نصر الحلبي وغيره. وعنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة فاضلاً فقيهاً شافعياً.

عبد الملك بن محمد بن عدي أبو نعيم الأستراباذي: المحدث الفقيه الشافعي أيضاً، توفي عن ثلاث وثمانين سنة.

علي بن الفضل بن طاهر بن نصر بن محمد أبو الحسن البلخي، كان من الجوّالين في طلب الحديث، وكان ثقة حافظاً، سمع أبا هاشم الرازي وغيره. وعنه الدارقطني وغيره.

محمد بن أحمد بن أسد أبو بكر الحافظ، ويعرف بابن البستنبان، سمع الزبير بن بكار وغيره، وعنه الدارقطني وغيره. جاوز الثمانين.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

فيها جاءت الجند فأحدقوا بدار الخلافة وقالوا: ليخرج إلينا الخليفة الراضي بنفسه

(١) أوهى: أضعف.
(٢) سقط في ط.

فيصلّي بالناس. فخرج فصلّى بهم وخطبهم. وقبض الغلمان على الوزير ابن مقلة وسألوا من الخليفة أن يستوزر غيره فرد الخيرة إليهم، فاختاروا علي بن عيسى فلم يقبل، وأشار بأخيه عبد الرحمن بن عيسى فاستوزره، وأحرقت دار ابن مقلة، وسلّم هو إلى عبد الرحمن بن عيسى فضرب ضرباً عنيفاً، وأخذ خطه بألف ألف دينار، ثم عجز عبد الرحمن بن عيسى فعزل بعد خمسين يوماً وقلّد الوزارة أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي، فصادر علي بن عيسى بمائة ألف دينار، وصادر أخاه عبد الرحمن بن عيسى بسبعين ألف دينار، ثم عزل بعد ثلاثة أشهر ونصف، وقلد سليمان بن الحسين، ثم عزل بأبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، وذلك في السنة الآتية. وأحرقت داره كما أحرقت دار ابن مقلة في يوم أحرقت تلك فيه، سنة بينهما واحدة. وهذا كله من تخبيط الأتراك والغلمان. ولمّا أحرقت دار ابن مقلة في هذه السنة كتب بعض الناس على بعض جدرانها:

أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالأَيَّامِ إذْ حَسُنَتْ ... وَلَمْ تَخَفْ يَوْمَ مَا يَأْتِي بِهِ القَدَرُ

وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ... وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الكَدَرُ

وفيها ضعف أمر الخلافة جداً، وبعث الراضي إلى محمد بن رائق ـ وكان بواسط ـ يدعوه إليه ليوليه إمرة الأمراء ببغداد، وأمر الخراج والمغلّ في جميع البلاد والدواوين، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر، وأنفذ إليه بالخلع. فقدم ابن رائق إلى بغداد على ذلك كله، ومعه الأمير بجكم التركي غلام مرداويج، وهو الذي ساعد على قتل مرداويج. واستحوذ ابن رائق على أموال العراق بكماله، ونقل أموال بيت المال إلى داره، ولم يبق للوزير تصرف في شيء بالكلية، ووهى[1] أمر الخلافة جداً، واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها. ومع هذا ليس له مع ابن رائق نفوذ في شيء، ولا تفرّد بشيء، ولا كلمة تطاع، وإنما يحمل إليه ابن رائق ما يحتاج إليه من الأموال والنفقات وغيرها. وهكذا صار أمر من جاء بعده من أمراء الأكابر، كانوا لا يرفعون رأساً بالخليفة، وأما بقية الأطراف فالبصرة مع ابن رائق هذا، يولّي فيها من شاء. وخوزستان إلى أبي عبد الله البريدي، وقد غلب ابن ياقوت على ما كان بيده في هذه السنة من مملكة تستر وغيرها واستحوذ على حواصلها وأموالها. وأمر فارس إلى عماد الدولة بن بويه ينازعه. في ذلك وشمكير أخو مرداويج وكرمان بيد أبي علي محمد بن إلياس بن اليسع. وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حمدان. ومصر والشام في يد محمد بن طغج. وبلاد إفريقية والمغرب في يد القائم بأمر الله ابن المهدي الفاطمي، وقد تلقب بأمير المؤمنين. والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد، الملقب بالناصر الأموي. وخراسان وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني. وطبرستان وجرجان في يد الديلم. والبحرين واليمامة وهجر في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي.

---

(١) وهى: ضعف وتقهقر.

وفيها وقع ببغداد غلاء عظيم وفناء كثير بحيث عدم الخبز منها خمسة أيام، ومات من أهلها خلق كثير، وأكثر ذلك كان في الضعفاء، وكان الموتى يلقون في الطريق ليس لهم من يقوم بهم، ويحمل على الجنازة الواحدة الرجلان من الموتى، وربما يوضع بينهم صبي، وربما حفرت الحفرة الواحدة فتوسع فيها حتى يوضع جماعة. ومات من أهل أصبهان نحو من مائتي ألف إنسان. وفيها وقع حريق بعمان أحرق فيه من السودان ألف، ومن البيضان خلق كثير، وكان جملة ما أحرق فيه أربعمائة حمل كافور. وعزل الخليفة أحمد بن كيغلغ عن نيابة الشام، وأضاف ذلك إلى ابن طغج نائب الديار المصرية. وفيها ولد عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه بأصبهان.

وفيها توفي من الأعيان:

ابن مجاهد المقري

أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقري، أحد أئمة هذا الشأن. حدث عن خلق كثير، وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة مأموناً، يسكن الجانب الشرقي من بغداد، وكان ثعلب يقول: ما بقي في عصرنا أحد أعلم بكتاب الله منه. توفي يوم الأربعاء وأخرج يوم الخميس لعشر بقين من شعبان من هذه السنة. وقد رآه بعضهم في المنام وهو يقرأ فقال له: أما متَّ؟ فقال: بلى ولكن كنت أدعو الله عقب كل ختمة أن أكون ممن يقرأ في قبره، فأنا ممن يقرأ في قبره. رحمه الله.

جحظة الشاعر البرمكي

احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، أبو الحسن النديم المعروف بجحظة الشاعر الماهر الأديب الأخباري، ذو الفنون في العلوم والنوادر الحاضرة، وكان جيد الغناء. ومن شعره:

قَدْ نَادَتِ الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهَا ... لَوْ كَانَ فِي العَالَمِ مَنْ يَسْمَعُ
كَمْ آمِلٍ خَيَّبْتُ آمَالَهُ ... وَجَامِعٍ بَدَّدْتُ[1] مَا يَجْمَعُ

وكتب له بعض الملوك رقعة على صيرفي بمال أطلقه له فلم يحصل له، فكتب إلى الملك يذكر له ذلك:

إذا كَانَتْ صِلاتُكُمُ رِقَاعاً ... تُخَطَّطُ بِالأَنَامِلِ وَالأَكُفِّ
فَلا تُجْدِي الرِّقَاعُ عَلَيَّ نَفْعاً ... فَذا خَطِّي فخذه بألفِ أَلْفِ

ومن شعره يهجو صديقاً له ويذمه على شدة شحه وبخله وحرصه فقال:

لَنَا صَاحِبٌ مِنْ أَبْرَعِ النَّاسِ في البُخْلِ ... يُسَمَّى بِفَضْلٍ، وَهْوَ لَيْسَ بِذِي فَضْلِ

---

(١) بدّدت: فرّقت وشتّت.

دَعَانِي كَمَا يَدْعُو الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ — فَجِئْتُ كَمَا يَأْتِي إلى مِثْلِهِ مِثْلِي
فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلْغَدَاءِ رَأَيْتُهُ — يَرَى أنَّما مِنْ بَعْضِ أَعْضَائِهِ أَكْلِي
فَيَغْتَاظُ أَحْيَاناً وَيَشْتُمُ عَبْدَهُ — فَأَعْلَمُ أَنَّ الغَيْظَ وَالشَّتْمَ مِنْ أَجْلِي
أَمُدُّ يَدِي سِرّاً لآكُلَ لُقْمَةً — فَيَلْحَظُنِي شَزْراً[1] فَأَعْبَثُ بِالبَقْلِ
إلى أنْ جَنَتْ كَفِّي عَلَيَّ جِنَايَةً — وَذٰلِكَ أَنَّ الجُوعَ أَعْدَمَنِي عَقْلِي
فَأَهْوَتْ يَمِينِي نَحْوَ رِجْلِ دَجَاجَةٍ — فَجَرَّتْ لَهَا رِجْلاً وَجَرَّت يَدِي رِجْلِي

ومن قويّ شعره قوله:

رَحَلْتُمْ فَكَمْ مِنْ أَنَّةٍ بَعْدَ حَنَّةٍ — مُبَيِّنَةٍ لِلنَّاسِ حُزْنِي عَلَيْكُمُ
وَقَدْ كُنْتُ أَعْتَقْتُ الجُفُونَ مِنَ البُكَا — فَقَدْ رَدَّهَا فِي الرِّقِّ شَوْقِي إِلَيْكُمُ

وقد أورد له ابن خلكان من شعره الرائق قوله:

فَقُلْتُ لَهَا: بَخِلْتِ عَلَيَّ يَقْظَى — فَجُودِي في المَنَامِ لِمُسْتَهَامِ
فَقَالَتْ لي: وَصِرْتَ تَنَامُ أيْضاً — وَتَطْمَعُ أنْ أَزُورَكَ في المَنَامِ؟

قال: وإنما لقبه بجحظة عبد الله بن المعتز، وذلك لسوء منظره بمآقيه[2]. كما قال بعض من هجاه:

بِبَيْتِ جَحْظَةَ تِسعينَ جَحُوظَةً — مِنْ فِيلِ شَطْرَنْجٍ وَمِنْ سَرَطَانِ
وَارَحْمَتَا لِمُنَادِمِيهِ تَحَمَّلُوا — أَلَمَ العُيُونِ لِلَذَّةِ الآذَانِ

توفي سنة ست وعشرين وقيل أربع وعشرين وثلاثمائة بواسط.

ابن المغلس الفقيه [عبد الله بن أحمد بن محمد المغلس أبو الحسن الفقيه][3] الظاهري.

عبد الله بن أحمد بن المغلس أبو الحسن الفقيه الظاهري

المشهور. له المصنفات المفيدة في مذهبه. أخذ الفقه عن أبي بكر بن داود. وروى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وعلي بن داود القنطري، وأبي قلابة الرياشي، وآخرين. وكان ثقة فقيهاً فاضلاً وهو الذي نشر علم داود في تلك البلاد. توفي بالسكتة.

أبو بكر بن زياد

النيسابوري عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون، أبو بكر الفقيه الشافعي النيسابوري مولى أبان بن عثمان، رحل إلى العراق والشام ومصر، وسكن بغداد. حدَّث عن محمد بن يحيى الذهلي وعباس الدوري، وخلق. وعنه الدارقطني وغير واحد من الحفاظ.

(١) يلحظني شزراً: يرمقني بطرف عينيه مغضباً.
(٢) المآقي: مجاري الدموع، كناية عن عينيه.
(٣) ما بين معقوفين: سقط في ط.

قال الدارقطني: لم ير في مشايخنا أحفظ منه للأسانيد والمتون. وكان أفقه المشايخ، جالس المزني والربيع. وقال عبد الله بن بطة: كنا نحضر مجلس ابن زياد وكان يحزر من يحضره من أصحاب المحابر ثلاثين ألفاً.

وقال الخطيب: أخبرنا أبو سعد الماليني أنبأ يوسف بن عمر بن مسرور سمعت أبا بكر بن زياد النيسابوري يقول: أعرف من قام الليل أربعين سنة لم ينم إلا جاثياً، ويتقوت كل يوم خمس حبات، ويصلي صلاة الغد بطهارة العشاء، ثم يقول: أنا هو كنت أفعل هذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ـ يعني أم ولده ـ إيش أقول لمن زوجني. ثم قال في إثر هذا: ما أراد إلا الخير. توفي في هذه السنة عن ست وثمانين سنة.

عفان بن سليمان [بن الحسن](١)

ابن أيوب أبو الحسن التاجر، أقام بمصر وأوقف بها أوقافاً دارة على أهل الحديث، وعلى سلالة العشرة رضي الله عنهم. وكان تاجراً موسعاً عليه في الدنيا، مقبول الشهادة عند الحكام، توفي في شعبان منها.

أبو الحسن الأشعري [علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري](٢)

قدم بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي وتفقه بابن سريج. وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية. وذكر ابن خلكان أنه كان يجلس في حلقة الشيخ أبي إسحاق المروزي، وقد كان الأشعري معتزلياً فتاب منه بالبصرة فوق المنبر، ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم، وله من الكتب: الموجز وغيره.

وحكي عن ابن حزم أنه قال: للأشعري خمسة وخمسون تصنيفاً. وذكر أن مغلّه كان في كل سنة سبعة عشر ألف درهم، وأنه كان من أكثر الناس دعابة، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين، وقيل سنة ستين ومائتين، ومات في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاثين، وقيل في سنة بضع وثلاثين وثلاثمائة فالله أعلم.

محمد بن الفضل بن عبد الله

أبو ذر التميمي، كان رئيس جرجان، سمع الكثير، وتفقه بمذهب الشافعي، وكانت داره مجمع العلماء، وله أفضال كثيرة على طلبة العلم من أهل زمانه. **هارون بن المقتدر أخو الخليفة الراضي**، توفي في ربيع الأول منها، فحزن عليه أخوه الراضي وأمر بنفي بختيشوع بن يحيى المتطبب إلى الأنبار، لأنه اتهم في علاجه، ثم شفعت فيه أم الراضي فرده.

---

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

في المحرم منها خرج الخليفة الراضي وأمير الأمراء محمد بن رائق من بغداد قاصدين واسط لقتال أبي عبد الله البريدي نائب الأهواز، الذي قد تجبر بها[1] ومنع الخراج، فلما سار ابن رائق إلى واسط خرج الحجون فقاتلوه فسلط عليهم بجكم فطحنهم، ورجع فَلّهم إلى بغداد فتلقاهم لؤلؤ أمير الشرطة فاحتاط على أكثرهم ونهبت دورهم، ولم يبق لهم رأس يرتفع، وقطعت أرزاقهم من بيت المال بالكلية. وبعث الخليفة وابن رائق إلى أبي عبد الله البريدي يتهددانه فأجاب إلى حمل كل سنة ثلاثمائة ألف وستين ألف دينار يقوم بها، تحمل كل شهر على حدته، وأنه يجهز جيشاً إلى قتال عضد الدولة بن بويه. فلما رجع الخليفة إلى بغداد لم يحمل شيئاً ولم يبعث أحداً. ثم بعث ابن رائق بجكم وبدراً الحسيني لقتال البريدي، فجرت بينهم حروب وخطوب، وأمور يطول ذكرها. ثم لجأ البريدي إلى عماد الدولة واستجار به، واستحوذ بجكم على بلاد الأهواز، وجعل إليه ابن رائق خراجها، وكان بجكم هذا شجاعاً فاتكاً. وفي ربيع الأول خلع الخليفة على بجكم وعقد له الإمارة ببغداد، وولاّه نيابة المشرق إلى خراسان والله تعالى أعلم. وفيها توفي من الأعيان:

أبو حامد بن الشرقي.

أحمد بن محمد بن الحسن

أبو حامد الشرقي، مولده سنة أربعين ومائتين، وكان حافظاً كبير القدر كثير الحفظ، كثير الحج. رحل إلى الأمصار وجاب الأقطار، وسمع من الكبار، نظر إليه ابن خزيمة يوماً فقال: حياة أبي حامد تحول بين الناس وبين الكذب على رسول الله ﷺ.

عبد الله بن محمد بن سفيان أبو الحسن الخزاز النحوي، حدَّث عن المبرد وثعلب، وكان ثقة. له مصنفات في علوم القرآن غزيرة الفوائد.

محمد بن إسحاق بن يحيى أبو الطيب النحوي، قال أبو الوفا: له مصنفات مليحة في الأخبار، وقد حدَّث عن الحارث بن أبي المبرد وأسامة وثعلب وغيرهم.

محمد بن هارون أبو بكر العسكري الفقيه على مذهب أبي ثور، روى عن الحسن بن عرفة وعباس الدوري وعن الدارقطني والآجري وغيرهما. والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة

فيها ورد كتاب من ملك الروم إلى الراضي مكتوب بالرومية والتفسير بالعربية، فالرومي بالذهب والعربي بالفضة، وحاصله طلب الهدنة بينه وبينه، ووجّه مع الكتاب بهدايا وألطاف كثيرة فاخرة، فأجابه الخليفة إلى ذلك، وفودي من المسلمين ستة آلاف أسير، ما بين ذكر

---

(١) تجبّر بها: تسلّط عليها.

وأنثى على نهر البدندون. وفيها ارتحل الوزير أبو الفتح بن الفرات من بغداد إلى الشام، وترك الوزارة فوليها أبو علي بن مقلة وكانت ولايته ضعيفة جداً، ليس له من الأمر شيء مع ابن رائق، وطلب من ابن رائق أن يفرغ له عن أملاكه فجعل يماطله، فكتب إلى بجكم يطمعه في بغداد، وأن يكون عوضاً عن ابن رائق. وكتب ابن مقلة أيضاً إلى الخليفة يطلب منه أن يسلم إليه ابن رائق، وابن مقاتل، ويضمنهم بألفي دينار، فبلغ ذلك ابن رائق فأخذه فقطع يده، وقال: هذا أفسد في الأرض. ثم جعل يُحَسِّنُ للراضي أن يستوزره وأن قطع يده لا يمنعه من الكتابة، وأنه يشد القلم على يده اليمنى المقطوعة فيكتب بها، ثم بلغ ابن رائق أنه قد كتب إلى بجكم بما تقدم، وأنه يدعو عليه. فأخذه فقطع لسانه وسجنه في مكان ضيق، وليس عنده من يخدمه، فكان يستقي الماء بنفسه يتناول الدلو بيده اليسرى ثم يمسكه بفيه ثم يجذب باليسرى ثم يمسك بفيه إلى أن يستقي، ولقي شدة وعناء، ومات في محبسه هذا وحيداً فدفن فيه. ثم سأل أهله نقله فدفن في داره، ثم نقل منها إلى غيرها، فاتفق له أشياء غريبة: منها أنه وزر ثلاث مرات، وعزل ثلاث مرات، وولي لثلاثة من الخلفاء، ودفن ثلاث مرات، وسافر ثلاث سفرات، مرتين منفياً ومرة إلى الموصل كما تقدم. وفيها دخل بجكم بغداد فقلده الراضي إمرة الأمراء مكان ابن رائق، وقد كان بجكم هذا من غلمان أبي علي العارض وزير ماكان بن كالي الديلمي، فاستوهبه ماكان من الوزير فوهبه له، ثم فارق ماكان ولحق بمرداويج، وكان في جملة من قتله في الحمام كما تقدم. فلما ولاَّه الخليفة إمرة الأمراء أسكن في دار مؤنس الخادم، وعظم أمره جداً وانفصل ابن رائق وكانت أيامه سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً. وفيها بعث عماد الدولة بن بويه أخاه معز الدولة فأخذ الأهواز لأبي عبد الله البريدي، وانتزعها من يد بجكم وأعادها إليه. وفيها استولى لشكري أحد أمراء وشمكير الديلمي على بلاد أذربيجان وانتزعها من رستم بن إبراهيم الكردي، أحد أصحاب ابن أبي الساج، بعد قتال طويل. وفيها اضطرب أمر القرامطة جداً وقتل بعضهم بعضاً، وانكفؤوا[(١)] بسبب ذلك عن التعرض للفساد في الأرض، ولزموا بلدهم هجر لا يرومون منه انتقالاً إلى غيره، ولله الحمد والمنة.

وفيها توفي **أحمد بن زياد بن عبد الرحمن الأندلسي**، كان أبوه من أصحاب مالك، وهذا الرجل هو أول من أدخل فقه مالك إلى الأندلس وقد عرض عليه القضاء بها فلم يقبل.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

في المحرم منها خرج الراضي أمير المؤمنين إلى الموصل لمحاربة ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان نائبها، وبين يديه بجكم أمير الأمراء، وقاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف، وقد استخلف على بغداد ولده القاضي أبا نصر يوسف بن عمر، في منصب القضاء، عن أمر الخليفة بذلك. وكان فاضلاً عالماً، ولما انتهى

---

(١) الانكفاء: الانحباس والتراجع.

بجكم إلى الموصل واقع الحسن بن عبد الله بن حمدان فهزم بجكم ابن حمدان، وقرر الخليفة الموصل والجزيرة، وولي فيها. وأما محمد بن رائق فإنه اغتنم غيبة الخليفة عن بغداد واستجاش[1] بألف من القرامطة وجاء بهم فدخل بغداد فأكثر فيها الفساد، غير أنه لم يتعرض لدار الخلافة، ثم بعث إلى الخليفة يطلب منه المصالحة والعفو عما جنى، فأجابه إلى ذلك، وبعث إليه قاضي القضاة أبا الحسين عمر بن يوسف، وترحل ابن رائق عن بغداد ودخلها الخليفة في جمادى الأولى منها، ففرح المسلمون بذلك. ونزل عند غروب الشمس أول ليلة من شهر آذار في جمادى الأولى مطر عظيم، وبرد كبار، كل واحدة نحو أوقيتين، واستمر فسقط بسببه دور كثيرة من بغداد. وظهر جراد كثير في هذه السنة وكان الحج من جهة درب العراق قد تعطل من سنة سبع عشرة وثلاثمائة إلى هذه السنة، فشفع في الناس الشريف أبو علي محمد بن يحيى العلوي عند القرامطة، وكانوا يحبونه لشجاعته وكرمه، في أن يمكنهم من الحج، وأن يكون لهم على كل جمل خمسة دنانير، وعلى المحمل سبعة دنانير، فاتفقوا معه على ذلك، فخرج الناس في هذه السنة إلى الحج على هذا الشرط، وكان في جملة من خرج الشيخ أبو علي بن أبي هريرة أحد أئمة الشافعية فلما اجتاز بهم طالبوه بالخفارة فثنى رأس راحلته ورجع وقال: ما رجعت شحاً ولكن سقط عني الوجوب بطلب هذه الخفارة. وفيها وقعت فتنة بالأندلس وذلك أن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس الملقب بالناصر لدين الله، قتل وزيره أحمد فغضب له أخوه أمية بن إسحاق ـ وكان نائباً على مدينة شنترين ـ فارتد ودخل بلاد النصارى واجتمع بملكهم ردمير ودلّهم على عورات المسلمين، فسار إليهم في جيش كثيف من الجلالقة فخرج إليهم عبد الرحمن فأوقع بهم بأساً شديداً، وقتل من الجلالقة خلقاً كثيراً، ثم كر الفرنج على المسلمين فقتلوا منهم خلقاً كثيراً قريباً ممن قتلوا منهم، ثم والى المسلمون الغارات على بلاد الجلالقة فقتلوا منهم أممًا لا يحصون كثرة، ثم ندم أمية بن إسحاق على ما صنع، وطلب الأمان من عبد الرحمن فبعث إليه بالأمان، فلما قدم عليه قبله واحترمه.

وفيها توفي من الأعيان:

الحسن بن القاسم بن جعفر بن رحيم

أبو علي الدمشقي، من أبناء المحدثين كان أخبارياً له في ذلك مصنفات، وقد حدث عن العباس بن الوليد البيروتي وغيره. توفي بمصر في محرم هذه السنة. وقد أناف على الثمانين سنة.

الحسين بن القاسم بن جعفر بن محمد بن خالد بن بشر أبو علي الكوكبي الكاتب، صاحب الأخبار والآداب، روى عن أحمد بن أبي خيثمة وأبي العيناء وابن أبي الدنيا. روى عنه الدارقطني وغيره.

---

(١) استجاش: استعان.

عثمان بن الخطاب

ابن عبد الله أبو عمرو البلوي، المغربي الأشج، ويعرف بأبي الدنيا. قدم هذا الرجل بغداد بعد الثلاثمائة، وزعم أنه ولد أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ببلاد المغرب، وأنه وفد هو وأبوه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأصابهم في الطريق عطش فذهب يرتاد لأبيه ماء فرأى عيناً فشرب منها واغتسل، ثم جاء لأبيه ليسقيه فوجده قد مات، وقدم هو على علي بن أبي طالب فأراد أن يقبل ركبته فصدمه الركاب فشج رأسه، فكان يعرف بالأشج. وقد زعم صدقه في هذا الزعم طائفة من الناس، ورووا عنه نسخة فيها أحاديث من روايته عن علي، وممن صدقه في ذلك الحافظ محمد بن أحمد بن المفيد، ورواها عنه، ولكن كان المفيد متهماً بالتشيع، فسمح له بذلك لانتسابه إلى علي، وأما جمهور المحدثين قديماً وحديثاً فكذبوه في ذلك، وردوا عليه آنذاك، ونصوا على أن النسخة التي رواها موضوعة. ومنهم أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، وأشياخنا الذين منهم: جهبذ الوقت شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية، والجهبذ أبو الحجاج المزي، والحافظ مؤرخ الإسلام أبو عبد الله الذهبي، وقد حررت ذلك في كتابي التكميل ولله الحمد والمنة. وقال المفيد: إن الأشج هذا مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وهو راجع إلى بلده والله أعلم.

محمد بن جعفر بن محمد بن سهل

أبو بكر الخراطي صاحب المقامات، أصله من أهل سر من رأى، وسكن الشام وحدَّث بها.

وممن توفي فيها:

الحافظ الكبير ابن الحافظ الكبير أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي

صاحب كتاب الجرح والتعديل، وهو من أجلِّ الكتب المصنفة في هذا الشأن، وله التفسير الحافل الذي اشتمل على النقل الكامل، الذي يربو فيه على تفسير ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين، إلى زماننا، وله كتاب العلل المصنفة المرتبة على أبواب الفقه، وغير ذلك من المصنفات النافعة، وكان من العبادة والزهادة والورع والحفظ والكرامات الكثيرة المشهورة على جانب كبير، رحمه الله. وقد صلّى مرة فلما سلم قال له رجل من بعض من صلى معه: لقد أطلت بنا، ولقد سبَّحت في سجودي سبعين مرة. فقال عبد الرحمن: لكني والله ما سبَّحت إلا ثلاثاً، وقد انهدم سور بلد في بعض بلاد الثغور فقال عبد الرحمن بن أبي حاتم للناس: أما تبنوه؟ وقد حثهم على عمارته. فرأى عندهم تأخراً. فقال: من يبنيه وأضمن له على الله الجنة؟ فقام رجل من التجار فقال: اكتب لي خطك بهذا الضمان وهذا

ألف دينار لعمارته. فكتب له رقعة بذلك، فعمر ذلك السور ثم اتفق موت ذلك الرجل التاجر عما قريب، فلما حضر الناس جنازته طارت من كفنه رقعة فإذا هي التي كان كتبها له ابن أبي حاتم وإذا في ظهرها مكتوب: قد أمضينا لك هذا الضمان ولا تعد إلى ذلك. والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي في منتظمه: في غرة المحرم منها ظهرت في الجو حمرة شديدة في ناحية الشمال والمغرب، وفيها أعمدة بيض عظيمة كثيرة العدد. وفيها وصل الخبر بأن ركن الدولة أبا علي الحسن بن بويه وصل إلى واسط فركب الخليفة وبجكم إلى حربه فخاف فانصرف راجعاً إلى الأهواز ورجعا إلى بغداد. وفيها ملك ركن الدولة بن بويه مدينة أصبهان، أخذها من وشمكير أخي مرداويج؛ لقلة جيشه في هذا الحين. وفي شعبان منها زادت الدجلة زيادة عظيمة وانتشرت في الجانب الغربي، وسقطت دور كثيرة، وانبثق بثق من نواحي الأنبار فغرّق قرى كثيرة، وهلك بسببه حيوان وسباع كثيرة في البرية. وفيها تزوج بجكم بسارة بنت عبد الله البريدي. ومحمد بن أحمد بن يعقوب الوزير يومئذٍ ببغداد، ثم صرف عن الوزارة بسليمان بن الحسن، وضمن البريدي بلاد واسط وأعمالها بستمائة ألف دينار.

وفيها توفي قاضي القضاة **أبو الحسن عمر بن محمد بن يوسف**، وتولّى مكانه ولده أبو نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف، وخلع عليه الخليفة الراضي يوم الخميس لخمس بقين من شعبان منها. ولما خرج أبو عبد الله البريدي إلى واسط كتب إلى بجكم يحثّه على الخروج إلى الجبل ليفتحها ويساعده هو على أخذ الأهواز من يد عماد الدولة بن بويه، وإنّما كان مقصوده أن يبعده عن بغداد ليأخذها منه. فلما انفصل بجكم بالجنود بلغه ما يريده البريدي من المكيدة به، فرجع سريعاً إلى بغداد، وركب في جيش كثيف إليه وأخذ الطرق عليه من كل جانب، لئلا يشعر به إلا وهو عليه، فاتفق أن بجكماً كان راكباً في زورق وعنده كاتب له إذ سقطت حمامة في ذنبها كتاب فأخذه بجكم فقرأه فإذا فيه كتاب من هذا الكاتب إلى أصحاب البريدي يعلمهم بخبر بجكم، فقال له بجكم: ويحك هذا خطك؟ قال: نعم! ولم يقدر أن ينكر، فأمر بقتله فقتل وألقي في دجلة. ولما شعر البريدي بقدوم بجكم هرب إلى البصرة ولم يقم بها أيضاً بل هرب منها إلى غيرها. واستولى بجكم على بلاد واسط، وتسلّط الديلم على جيشه الذين خلفهم بالجبل ففروا سراعاً إلى بغداد. وفيها استولى محمد بن رائق على بلاد الشام فدخل حمص أولاً فأخذها، ثم جاء إلى دمشق وعليها بدر بن عبد الله الإخشيد المعروف ببدر الإخشيد وهو محمد بن طغج، فأخرجه ابن رائق من دمشق قهراً واستولى عليها. ثم ركب ابن رائق في جيش إلى الرملة فأخذها، ثم إلى عريش مصر فأراد دخولها، فلقيه محمد بن طغج الإخشيد فاقتتلا هناك فهزمه ابن رائق

واشتغل أصحابه بالنهب ونزلوا بخيام المصريين، فكر عليهم المصريون فقتلوهم قتلاً عظيماً، وهرب ابن رائق في سبعين رجلاً من أصحابه، فدخل دمشق في أسوأ حال وشرها، وأرسل له أخاه نصر بن طغج في جيش فاقتتلوا عند اللجون في رابع ذي الحجة، فهزم ابن رائق المصريين وقتل أخو الإخشيد فيمن قتل، فغسله محمد بن رائق وكفنه وبعث به إلى أخيه بمصر وأرسل معه ولده وكتب إليه يحلف أنه ما أراد قتله، ولقد شق عليه، وهذا ولدي فاقتدْ منه[1] . فأكرم الإخشيد ولد محمد بن رائق، واصطلحا على أن تكون الرملة وما بعدها إلى ديار مصر للإخشيد، ويحمل إليه الإخشيد في كل سنة مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار، وما بعد الرملة إلى جهة دمشق تكون لابن رائق.

وفيها توفي من الأعيان:

أبو محمد جعفر المرتعش

أحد مشايخ الصوفية، كذا ذكره الخطيب. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: اسمه عبد الله بن محمد أبو محمد النيسابوري، كان من ذوي الأموال فتخلّى منها وصحب الجنيد وأبا حفص وأبا عثمان، وأقام ببغداد حتى صار شيخ الصوفية، فكان يقال عجائب بغداد إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخواص.

سمعت أبا جعفر الصائغ يقول قال المرتعش: من ظن أن أفعاله تنجيه من النار أو تبلغه الرضوان فقد جعل لنفسه وفعله خطراً، ومن اعتمد على فضل الله بلغه الله أقصى منازل الرضوان. وقيل للمرتعش: إن فلاناً يمشي على الماء. فقال: إن مخالفة الهوى أعظم من المشي على الماء، والطيران في الهواء. ولما حضرته الوفاة بمسجد الشونيزية حسبوا ما عليه من الدين فإذا عليه سبعة عشر درهماً، فقال: بيعوا خريقاتي هذه واقضوا بها ديني، وأرجو من الله تعالى أن يرزقني كفناً. وقد سألت الله ثلاثاً: أن يميتني فقيراً، وأن يجعل وفاتي في هذا المسجد فإني صحبت فيه أقواماً، وأن يجعل عندي من آنس به وأحبه. ثم أغمض عينيه ومات.

أبو سعيد الإصطخري الحسن بن أحمد

ابن يزيد بن عيسى بن الفضل بن يسار، أبو سعيد الإصطخري أحد أئمة الشافعية، كان زاهداً ناسكاً عابداً، ولي القضاء بقم، ثم حسبة بغداد، فكان يدور بها ويصلي على بغلته، وهو دائر بين الأزقة، وكان مستقلاً جداً. وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية، وله كتاب القضاء لم يصنف مثله في بابه، توفي وقد قارب التسعين رحمه الله.

علي بن محمد أبو الحسن المزين الصغير

أحد مشايخ الصوفية، أصله من بغداد، وصحب الجنيد وسهلاً التستري، وجاور بمكة

---

(١) اقتد منه: انتصف منه.

حتى توفي في هذه السنة، وكان يحكي عن نفسه قال: وردت بئراً في أرض تبوك فلما دنوت منها زلقت فسقطت في البئر، وليس أحد يراني. فلما كنت في أسفله إذا فيه مصطبة فتعلّقت بها وقلت: إن مت لم أفسد على الناس الماء، وسكنت نفسي وطابت للموت، فبينا أنا كذلك إذا أفعى قد تدلت عليَّ فلفت علي ذنبها ثم رفعتني حتى أخرجتني إلى وجه الأرض، وانسابت فلم أدر أين ذهبت، ولا من أين جاءت.

وفي مشايخ الصوفية آخر يقال له أبو جعفر المزين الكبير، جاور بمكة ومات بها أيضاً، وكان من العباد. روى الخطيب عن علي بن أبي علي إبراهيم بن محمد الطبري عن جعفر الخلدي قال: ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير فقلت له: زوّدني. فقال لي: إذا فقدت شيئاً فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، اجمع بيني وبين كذا، فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء. قال: وجئت إلى الكتاني فودعته وسألته أن يزوّدني، فأعطاني خاتماً على فصه نقش فقال: إذا اغتممت فانظر إلى فص هذا الخاتم يزول غمك. قال: فكنت لا أدعو بذلك الدعاء إلا استجيب لي، ولا أنظر في ذلك الفص إلا زال غمي، فبينا أنا ذات يوم في سمرية إذ هبت ريح شديدة، فأخرجت الخاتم لأنظر إليه فلم أدر كيف ذهب، فجعلت أدعو بذلك الدعاء يومي أجمع أن يجمع علي الخاتم، فلما رجعت إلى المنزل فتشت المتاع الذي في المنزل فإذا الخاتم في بعض ثيابي التي كانت بالمنزل.

صاحب كتاب العقد الفريد ـ أحمد بن عبد ربه

ابن حبيب بن جرير بن سالم أبو عمر القرطبي، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي. كان من الفضلاء المكثرين، والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين، وكتابه العقد يدل على فضائل جمة، وعلوم كثيرة مهمة، ويدل كثير من كلامه على تشيع فيه، وميل إلى الحط على بني أمية. وهذا عجيب منه، لأنه أحد مواليهم وكان الأولى به أن يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم. قال ابن خلكان: وله ديوان شعر حسن، ثم أورد منه أشعاراً في التغزل في المردان والنسوان أيضاً. ولد في رمضان سنة ست وأربعين ومائتين، وتوفي بقرطبة يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى من هذه السنة.

عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب

ابن حماد بن زيد بن درهم، أبو الحسين الأزدي الفقيه المالكي القاضي، ناب عن أبيه وعمره عشرون سنة، وكان حافظاً للقرآن والحديث والفقه على مذهب مالك، والفرائض. والحساب واللغة والنحو والشعر. وصنف مسنداً فرزق قوة الفهم وجودة القريحة، وشرف الأخلاق، وله الشعر الرائق الحسن، وكان مشكور السيرة في القضاء، عدلاً ثقة إماماً.

قال الخطيب: أخبرنا أبو الطيب الطبري سمعت المعافى بن زكريا الجريري يقول: كنا نجلس في حضرة القاضي أبي الحسين فجئنا يوماً ننتظره على العادة فجلسنا عند بابه، وإذا

أعرابي جالس كأن له حاجة، إذ وقع غراب على نخلة في الدار، فصرخ ثم طار. فقال الأعرابي: إن هذا الغراب يخبر أن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام. قال فزبرناه[1] فقام وانصرف، ثم خرج الإذن من القاضي أن هلموا، فدخلنا فوجدناه متغير اللون مغتماً، فقلنا له: ما الخبر؟ فقال: إني رأيت البارحة في المنام شخصاً يقول:

مَنَازِلَ آلِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَلَى أَهْلِيكِ وَالنِّعَمِ السَّلَامُ

وقد ضاق لذلك صدري. قال: فدعونا له وانصرفنا. فلما كان اليوم السابع من ذلك اليوم دفن ليوم الخميس لسبع عشرة مضت من شعبان من هذه السنة، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وصلّى عليه ابنه أبو نصر وولي بعده القضاء. قال الصولي: بلغ القاضي أبو الحسين من العلم مبلغاً عظيماً مع حداثة سنه، وحين توفي كان الخليفة الراضي يبكي عليه ويحرضنا ويقول: كنت أضيق بالشيء ذرعاً فيوسعه عليَّ، ثم يقول: والله لا بقيت بعده. فتوفي الراضي بعده في نصف ربيع الأول من هذه السنة الآتية رحمهما الله. وكان الراضي أيضاً حدث السن.

ابن شنبوذ المقري

محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت أبو الحسن المقري المعروف بابن شنبوذ. روى عن أبي مسلم الكجّي، وبشر بن موسى وخلق، واختار حروفاً في القراءات أنكرت عليه وصنف أبو بكر الأنباري كتاباً في الرد عليه، وقد ذكر فيما تقدم كيف أنه عقد له مجلس في دار الوزير ابن مقلة، وأنه ضرب حتى رجع عن كثير منها، وكانت قراءات شاذة أنكرها عليه قراء أهل عصره. توفي في صفر منها، وقد دعا على الوزير ابن مقلة حين أمر بضربه فلم يفلح ابن مقلة بعدها، بل عوقب بأنواع من العقوبات، وقطعت يده ولسانه، وحبس حتى مات في هذه السنة التي مات فيها ابن شنبوذ. وهذه ترجمة ابن مقلة الوزير أحد الكتاب المشاهير وهو.

محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله

أبو علي المعروف بابن مقلة الوزير. وقد كان في أول عمره ضعيف الحال، قليل المال، ثم آل به الحال إلى أن ولي الوزارة لثلاثة من الخلفاء: المقتدر، والقاهر، والراضي. وعزل ثلاث مرات، وقطعت يده ولسانه في آخر عمره، وحبس فكان يستقي الماء بيده اليسرى وأسنانه، وكان مع ذلك يكتب بيده اليمنى مع قطعها، كما كان يكتب بها وهي صحيحة. وقد كان خطه من أقوى الخطوط، كما هو مشهور عنه. وقد بنى له داراً في زمان وزارته وجمع عند بنيانها خلقاً من المنجمين، فاتفقوا على وضع أساسها في الوقت الفلاني، فأسس جدرانها بين العشاءين كما أشار به المنجمون. فما لبث بعد استتمامها إلا يسيراً حتى خربت وصارت كوماً، كما ذكرنا ذلك، وذكرنا ما كتبوا على جدرانها. وقد كان له بستان

---

(١) زبرناه: طردناه وزجرناه.

كبير جداً، عدة أجزبة ـ أي فدادين ـ وكان على جميعه شبكة من إبريسم، وفيه أنواع الطيور من القماري والهزار والببغ والبلابل والطواويس وغير ذلك شيء كثير، وفي أرضه من الغزلان وبقر الوحش والنعام وغير ذلك شيء كثير أيضاً. ثم صار هذا كله عما قريب بعد النضرة والبهجة والبهاء إلى الهلاك والبوار والفناء والزوال. وهذه سنة الله في المغترين الجاهلين الراكنين إلى دار الفناء والغرور. وقد أنشد فيه بعض الشعراء حين بنى داره وبستانه وما اتسع فيه من متاع الدنيا:

قُلْ لابْنِ مُقْلَةَ: لا تَكُنْ عَجِلاً ... وَاصْبِرْ، فَإِنَّكَ في أضْغَاثِ أحْلام[1]
تَبْنِي بأحجرِ دُورِ النَّاسِ مُجْتَهِداً ... دَاراً سَتُهْدَمُ قَنْصاً بَعْدَ أيَّام
ما زِلْتَ تَخْتَارُ سَعْدَ المُشْتَرِي لَهَا ... فَكَمْ نُحُوسٍ بِهِ مِنْ نَحْسِ بَهْرَام
إنَّ القُرَآنَ وَبَطْلِيمُوسَ ما اجْتَمَعَا ... في حَالِ نَقْضٍ وَلا في حَالِ إبْرَام[2]

فعزل ابن مقلة عن وزارة بغداد وخربت داره وانقلعت أشجاره وقطعت يده، ثم قطع لسانه وصودر بألف ألف دينار، ثم سجن وحده ليس معه من يخدمه، مع الكبر والضعف والضرورة وانعدام بعض أعضائه، حتى كان يستقي الماء بنفسه من بئر عميق، فكان يدلي الحبل بيده اليسرى ويمسكه بفيه. وقاسى جهداً جهيداً بعدما ذاق عيشاً رغيداً. ومن شعره في يده:

ما سَئِمْتُ الحَيَاةَ، لٰكِنْ بأيمانهم ... توثَّقت فَبَانَتْ يَمِيني
بِعْتُ دِيني لَهُمْ بِدُنْيَايَ حَتَّى ... حَرَمُوني دُنْيَاهُمْ بَعْدَ دِيني
وَلَقَدْ حفظتُ ما اسْتَطَعْتُ بِجُهْدِي ... حِفْظَ أرْواحِهِمْ، فَمَا حَفِظُوني
لَيْسَ بَعْدَ اليَمِينِ لَذَّةُ عَيْشٍ ... يا حَيَاتي بَانَتْ يَمِيني فَبِيني

وكان يبكي على يده كثيراً ويقول: كتبت بها القرآن مرتين وخدمت بها ثلاثة من الخلفاء تقطع كما تقطع أيدي اللصوص ثم ينشد:

إذا ما مَاتَ بَعْضُكَ فَابْكِ بَعْضاً ... فَإنَّ البَعْضَ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبُ

وقد مات عفا الله عنه في محبسه هذا ودفن في دار السلطان، ثم سأل ولده أبو الحسين أن يحول إلى عنده فنبشوه ودفنه ولده عنده في داره. ثم سألت زوجته المعروفة بالدينارية أن يدفن في دارها فأجيبت إلى ذلك فنبش ودفن عندها. فهذه ثلاث مرات. توفي وله من العمر ست وخمسون سنة.

أبو بكر الأنباري

محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن

(١) أضغاث أحلام: أحلام باطلة.

(٢) النقض: عدم الوفاء بالوعد، والقطع والإبرام: الربط والعقد.

قطن بن دعامة أبو بكر الأنباري، صاحب كتاب الوقف والابتداء، وغيره من الكتب النافعة، والمصنفات الكثيرة. كان من بحور العلم في اللغة والعربية والتفسير والحديث، وغير ذلك. سمع الكديمي وإسماعيل القاضي وثعلباً وغيرهم، وكان ثقة صدوقاً أديباً، ديّناً فاضلاً من أهل السنة. كان من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظاً له، وكانت له من المحافيظ مجلدات كثيرة، أحمال جمال وكان لا يأكل إلا النقالى ولا يشرب ماء إلا قريب العصر، مراعاة لذهنه وحفظه، ويقال: إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً، وحفظ تعبير الرؤيا في ليلة، وكان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة، وكانت وفاته ليلة عيد النحر من هذه السنة.

أم عيسى بنت إبراهيم الحِربي: كانت عالمة فاضلة، تفتي في الفقه، توفيت في رجب ودفنت إلى جانب أبيها رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

في المنتصف من ربيع الأول كانت وفاة الخليفة الراضي بالله أمير المؤمنين أبي العباس أحمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، استخلف بعد عمه القاهر لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. وأمه أم ولد رومية تسمى ظلوم، كان مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومائتين، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، وعمره يوم مات إحدى وثلاثين سنة وعشرة أشهر. وكان أسمر رقيق السمرة ذري اللون[١]أسود الشعر سبطه[٢]، قصير القامة، نحيف الجسم، في وجهه طول، وفي مقدم لحيته تمام، وفي شعرها رقة. هكذا وصفه من شاهده. قال الخطيب البغدادي: كان للراضي فضائل كثيرة، وختم الخلفاء في أمور عدة: منها أنه كان آخر خليفة له شعر، وآخرهم انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة خطب على المنبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء. وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وأصحابه وأموره كلها تجري على ترتيب المتقدمين من الخلفاء. وقال غيره: كان فصيحاً بليغاً كريماً جواداً ممدحاً، ومن جيد كلامه الذي سمعه منه محمد بن يحيى الصولي: لله أقوام هم مفاتيح الخير، وأقوام هم مفاتيح الشر، فمن أراد الله به خيراً قصده أهل الخير وجعله الوسيلة إلينا فنقضي حاجته وهو الشريك في الثواب والأجر والشكر. ومن أراد الله به شراً عدل به إلى غيرنا وهو الشريك في الوزر والإثم والله المستعان على كل حال. ومن ألطف الاعتذارات ما كتب به الراضي إلى أخيه المتقي وهما في المكتب ـ وكان المتقي قد اعتدى على الراضي والراضي هو الكبير منهما ـ فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أنا

---

(١) ذريّ اللون: يميل لونه إلى السمرة.

(٢) سبط الشعر: ناعمه مسترسله.

معترف لك بالعبودية فرضاً، وأنت معترف لي بالإخوة فضلاً، والعبد يذنب والمولى يعفو. وقد قال الشاعر:

يـا ذَا الَّـذي يَـغْـضَـبُ مِـنْ غَـيْـرِ شَـيّ ... اعْـتِـبْ فَـعُـتْـبَـاكَ حـبـيـبٌ إلـيّ

أَنْـتَ عَـلَـى أَنَّـكَ لـي ظَـالِـمٌ ... أَعَـزُّ خَـلْـقِ الله طُـرّاً عَـلَـيّ

قال فجاء إليه أخوه المتقي فأكب عليه يقبل يديه وتعانقا واصطلحا. ومن لطيف شعره قوله فيما ذكره ابن الأثير في الكامل:

يَـصْـفَـرُّ وَجْـهِـي إذا تَـأَمَّـلَـهُ ... طَـرْفـي وَيَـحْـمَـرُّ وَجْـهُـهُ خَـجَـلا

حَـتَّـى كَـأَنَّ الَّـذِي بِـوَجْـنَـتِـهِ ... مِـنْ دَمِ جِـسْـمِـي إِلَـيْـهِ قَـدْ نُـقِـلا

قال: ومما رثى به أباه المقتدر:

وَلَـوْ أَنَّ حَـيّـاً كَـانَ قَـبْـراً لِـمَـيِّـتٍ ... لَـصَـيَّـرْتُ أَحْـشَـائِـي لأعْـظُـمِـهِ قَـبْـرا

وَلَـوْ أنَّ عُـمْـرِي كَـانَ طَـوْعَ مَـشِـيـئَـتِـي ... وَسَـاعَـدَنـي الـمَـقْـدُورُ قَـاسَـمْـتُـهُ الـعُـمْـرَا

بنفسي ثرًى ضَاجَعْتَ في تُربهِ البِلى ... لقد ضمَّ منكَ الغَيْثَ واللَّيْثَ والبدرا

ومما أنشده له ابن الجوزي في المنتظم:

لا تُـكْـثِـرَنْ لَـوْمِـي عَـلـى الإِسْـرَافِ ... رِبْـحُ الـمَـحَـامِـدِ مَـتْـجَـرُ الأَشْـرَافِ

أحْـوِي لـمـا يَـأتـي الـمَـكَـارِمَ سَـابِـقـاً ... وَأَشِـيـدُ مـا قَـدْ أَسَّـسَـتْ أَسْـلافـي

إنِّـيْ مِـنَ الـقَـوْمِ الَّـذِيـنَ أَكُـفُّـهـمْ ... مُـعْـتَـادَةُ الإِخْـلافِ والإِتْـلاَفِ

ومن شعره الذي رواه الخطيب عنه من طريق أبي بكر بن محمد بن يحيى الصولي النديم قوله:

كُـلُّ صَـفْـوٍ إلَـى كَـدَرْ ... كُـلُّ أَمْـنٍ إلـى حَـذَرْ

وَمَـصِـيـرُ الـشَّـبَـابِ لِـلْـمَـوْ ... تِ فِـيـهِ أوِ الـكِـبَـرْ

دَرَّ دَرُّ الـمَـشِـيـبِ مِـنْ ... وَاعِـظٍ يُـنْـذِرُ الـبَـشَـرْ

أَيُّـهَـا الآمِـلُ الَّـذي ... تَـاهَ فـي لُـجَّـةِ الـغَـرَرْ

أيْـنَ مَـنْ كَـانَ قَـبْـلَـنَـا؟ ... دَرَسَ الـعَـيْـنُ[1] وَالأَثَـرْ

سَـيَـرُدُّ الـمَـعَـادُ مَـنْ ... عُـمْـرُهُ كُـلُّـهُ خَـطَـرْ

رَبِّ إنِّـي ادَّخَـرْتُ عِـنْـ ... ـدَكَ أَرْجُـوكَ مُـدَّخَـرْ

رَبِّ إنِّـي مُـؤْمِـنٌ بِـمَـا ... بَـيَّـنَ الـوَحْـيُ فـي الـسُّـوَرْ

وَاعْـتِـرَافـي بِـتَـرْكِ نَـفْـ ... ـعِـي وإيْـثَـارِيَ الـضَّـرَرْ

(١) العين: الأملاك من ذهب وفضة وغيرها.

رَبِّ فَاغْفِرْ لِي الخَطِيـ ـئَةَ، يَا خَيْرَ مَنْ غَفَرْ

وقد كانت وفاته بعلة الاستسقاء في ليلة السادس عشر من ربيع الأول منها. وقد كان أرسل إلى بجكم وهو بواسط أن يعهد إلى ولده الأصغر أبي الفضل، فلم يتفق له ذلك، وبايع الناس أخاه المتقي لله إبراهيم بن المقتدر، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

لما مات أخوه الراضي اجتمع القضاة والأعيان بدار بجكم وتشاوروا فيمن يولون عليهم، فاتفق رأيهم كلهم على المتقي، فأحضروه في دار الخلافة وأرادوا بيعته فصلّى ركعتين صلاة الاستخارة وهو على الأرض، ثم صعد إلى الكرسي بعد الصلاة، ثم صعد إلى السرير وبايعه الناس يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول منها، فلم يغير على أحد شيئاً، ولا غدر بأحد حتى ولا على سريته لم يغيرها ولم يتسّر عليها. وكان كاسمه المتقي بالله كثير الصيام والصلاة والتعبد. وقال: لا أريد جليساً ولا مسامراً، حسبي المصحف نديماً، لا أريد نديماً غيره. فانقطع عنه الجلساء والسمار والشعراء والوزراء والتفوا على الأمير بجكم، وكان يجالسهم ويحادثونه ويتناشدون عنده الأشعار، وكان بجكم لا يفهم كثير شيء مما يقولون لعجمته، وكان في جملتهم سنان بن ثابت الصابي المتطبب، وكان بجكم يشكو إليه قوة النفس الغضبية فيه، وكان سنان يهذب من أخلاقه ويسكن جأشه، ويروض نفسه حتى يسكن عن بعض ما كان يتعاطاه من سفك الدماء، وكان المتقي بالله حسن الوجه معتدل الخلق قصير الأنف أبيض مشرباً حمرة، وفي شعره شقرة، وجعودة، كث اللحية، أشهل العينين[١]، أبيّ النفس. لم يشرب خمراً ولا نبيذاً قط، فالتقى فيه الاسم والفعل ولله الحمد. ولما استقر المتقي في الخلافة أنفذ الرسل والخلع إلى بجكم وهو بواسط، ونفذت المكاتبات إلى الآفاق بولايته.

وفيها تحارب أبو عبد الله البريدي وبجكم بناحية الأهواز، فقتل بجكم في الحرب واستظهر البريدي عليه وقوي أمره، فاحتاط الخليفة على حواصل بجكم، وكان في جملة ما أخذ من أمواله ألف ألف دينار، ومائة ألف دينار. وكانت أيام بجكم على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام. ثم إن البريدي حدثته نفسه ببغداد، فأنفق المتقي أموالاً جزيلة في الجند ليمنعوه من ذلك، فركب بنفسه، فخرج لأثناء الطريق ليمنعه من دخول بغداد، فخالفه البريدي ودخل بغداد في ثاني رمضان، ونزل بالشفيع، فلما تحقق المتقي ذلك بعث إليه يهنئه وأرسل إليه بالأطعمة، وخوطب بالوزير ولم يخاطبه بإمرة الأمراء. فأرسل البريدي يطلب من المتقي خمسمائة ألف دينار، فامتنع الخليفة من ذلك فبعث إليه يتهدده ويتوعده ويذكره ما حلّ بالمعز والمستعين والمهتدي والقاهر. واختلفت الرسل بينهم، ثم كان آخر ذلك أن بعث الخليفة إليه بذلك قهراً، ولم يتفق اجتماع الخليفة والبريدي ببغداد حتى خرج منها البريدي إلى واسط، وذلك أنه ثارت عليه الديالمة والتفوا على كبيرهم كورتكين، وراموا

---

(١) الأشهل: من كان في عينيه شهلة، وهي أن يخالط سوادها زرقة.

حريق دار البريدي، ونفرت عن البريدي طائفة من جيشه، يقال لهم البجكمية، لأنه لما قبض المال من الخليفة لم يعطهم منه شيئاً، وكانت من البجكمية طائفة أخرى قد اختلفت معه أيضاً وهم والديالمة[1] قد صاروا حزبين. والتفوا مع الديالمة فانهزم البريدي من بغداد يوم سلخ رمضان، واستولى كورتكين على الأمور ببغداد، ودخل إلى المتقي فقلّده إمرة الأمراء، وخلع عليه، واستدعى المتقي علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن ففوض إلى عبد الرحمن تدبير الأمور من غير تسمية بوزارة، ثم قبض كورتكين على رئيس الأتراك بكبك غلام بجكم وغرّقه. ثم تظلمت العامة من الديلم، لأنهم كانوا يأخذون منهم دورهم، فشكوا ذلك إلى كورتكين فلم يشكهم، فمنعت العامة الخطباء أن يصلوا في الجوامع، واقتتل الديلم والعامة، فقتل من الفريقين خلق كثير وجم غفير. وكان الخليفة قد كتب إلى أبي بكر محمد بن رائق صاحب الشام يستدعيه إليه ليخلصه من الديلم ومن البريدي فركب إلى بغداد في العشرين من رمضان ومعه جيش عظيم، وقد صار إليه من الأتراك البجكمية خلق كثير، وحين وصل إلى الموصل حاد عن طريقه ناصر الدولة بن حمدان، فتراسلا ثم اصطلحا، وحمل ابن حمدان إلى ابن رائق مائة ألف دينار، فلما اقترب ابن رائق من بغداد خرج كورتكين في جيشه ليقاتله، فدخل ابن رائق بغداد من غربها ورجع كورتكين بجيشه فدخل من شرقيها، ثم تصافوا ببغداد للقتال وساعدت العامة ابن رائق على كورتكين فانهزم الديلم وقتل منهم خلق كثير، وهرب كورتكين فاختفى، واستقر أمر ابن رائق وخلع عليه الخليفة وركب هو وإياه في دجلة فظفر ابن رائق بكورتكين فأودعه السجن الذي في دار الخلافة.

قال ابن الجوزي: وفي يوم الجمعة براثى عشر من جمادى الأولى حضر الناس لصلاة الجمعة بجامع ثاني، وقد كان المقتدر أحرق هذا الجامع لأنه كبسه فوجد فيه جماعة من الشيعة يجتمعون فيه للسب والشتم، فلم يزل خراباً حتى عمره بجكم في أيام الراضي، ثم أمر المتقي بوضع منبر فيه كان عليه اسم الرشيد وصلّى فيه الناس الجمعة قال: فلم يزل تقام فيه إلى ما بعد سنة خمسين وأربعمائة. قال: وفي جمادى الآخرة في ليلة سابعة كانت ليلة برد ورعد وبرق، فسقطت القبة الخضراء من قصر المنصور، وقد كانت هذه القبة تاج بغداد ومأثرة من مآثر بني العباس عظيمة، بنيت أول ملكهم، وكان بين بنيانها وسقوطها مائة وسبعة وثمانون سنة.

قال: وخرج عن الناس التشرينان والكانونان منها ولم يمطروا فيها بشيء، سوى مطرة واحدة لم ينبلّ منها التراب، فغلت الأسعار ببغداد حتى بيع الكر بمائة وثلاثين ديناراً. ووقع الفناء في الناس حتى كان الجماعة يدفنون في القبر الواحد، من غير غسل ولا صلاة، وبيع العقار والأثاث بأرخص الأسعار، حتى كان يشترى بالدرهم ما يساوي الدينار في غير تلك الأيام، ورأت امرأة رسول الله ﷺ في منامها وهو يأمرها بخروج الناس إلى الصحراء لصلاة

---

(١) في ط: والديلم.

الاستسقاء، فأمر الخليفة بامتثال ذلك فصلّى الناس واستسقوا فجاءت الأمطار فزادت الفرات شيئاً لم ير مثله، وغرقت العباسية، ودخل الماء الشوارع ببغداد، فسقطت القنطرة العتيقة والجديدة، وقطعت الأكراد الطريق على قافلة من خراسان، فأخذوا منهم ما قيمته ثلاثة آلاف دينار، وكان أكثر ذلك من أموال بجكم التركي. وخرج الناس للحج ثم رجعوا من أثناء الطريق بسبب رجل من العلويين قد خرج بالمدينة النبوية، ودعا إلى نفسه وخرج عن الطاعة.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن إبراهيم

ابن تزمرد الفقيه أحد أصحاب ابن سريج. خرج من الحمام إلى خارجه فسقط عليه الحمام فمات من فوره.

بجكم التركي

أمير الأمراء ببغداد، قبل بني بويه، كان عاقلاً يفهم بالعربية ولا يتكلم بها. يقول أخاف أن أخطىء والخطأ من الرئيس قبيح. وكان مع ذلك يحب العلم وأهله، وكان كثير الأموال والصدقات، ابتدأ يعمل مارستان ببغداد فلم يتم، فجدده عضد الدولة ابن بويه، وكان بجكم يقول: العدل ربح السلطان في الدنيا والآخرة. وكان يدفن أموالاً كثيرة في الصحراء، فلما مات لم يدر أين هي، وكان ندماء الراضي قد التفوا على بجكم وهو بواسط، وكان قد ضمنها بثمانمائة ألف دينار من الخليفة، وكانوا يسامرونه كالخليفة، وكان لا يفهم أكثر ما يقولون، وراض[1] له مزاجه الطيب سنان بن ثابت الصابي حتى لان خلقه وحسنت سيرته، وقلت سطوته، ولكن لم يعمر إلا قليلاً بعد ذلك. وقد دخل عليه مرة رجل فوعظه فأبكاه فأمر له بمائة ألف درهم، فلحقه بها الرسول فقال بجكم لجلسائه: ما أظنه يقبلها ولا يريدها، وما يصنع هذا بالدنيا؟ هذا رجل مشغول بالعبادة، ماذا يصنع بالدراهم؟ فما كان بأسرع من أن رجع الغلام وليس معه شيء، فقال بجكم: قبلها؟ قال: نعم! فقال بجكم: كلنا صيادون ولكن الشباك مختلفة، توفي لسبع بقين من رجب من هذه السنة. وسبب موته أنه خرج يتصيد فلقي طائفة من الأكراد فاستهان بهم فقاتلوه فضربه رجل منهم فقتله. وكانت إمرته على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام. وخلف من الأموال والحواصل ما ينيف على ألفي دينار، أخذها المتقي بالله كلها.

أبو محمد البربهاري الواعظ الحسين بن علي بن خلف أبو محمد

العالم الزاهد الفقيه الحنبلي، صاحب المروزي وسهلاً التستري، وتنزه عن ميراث أبيه، ـ وكان سبعين ألفاً ـ لأمر كرهه. وكان شديداً على أهل البدع والمعاصي، وكان كبير

(١) راضٍ له: سَهل وساس.

القدر تعظّمه الخاصة والعامة، وقد عطس يوماً وهو يعظ فشمّته [1] الحاضرون، ثم شمته من سمعهم حتى شمته أهل بغداد، فانتهت الضجة إلى دار الخلافة، فغار الخليفة من ذلك وتكلم فيه جماعة من أرباب الدولة، فطلب فاختفى عند أخت بوران شهراً، ثم أخذه القيام ـ داء ـ فمات عندها، فأمرت خادمه فصلّى عليه، فامتلأت الدار رجالاً عليهم ثياب بياض، ودفنته عندها ثم أوصت إذا ماتت أن تدفن عنده. وكان عمره يوم مات ستاً وتسعين سنة رحمه الله.

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول

أبو بكر الأزرق ـ لأنه كان أزرق العينين ـ التنوخي الكاتب، سمع جده والزبير بن بكار، والحسين بن عرفة وغيرهم، وكان خشن العيش كثير الصدقة. فيقال إنه تصدق بمائة ألف دينار، وكان أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر، روى عنه الدارقطني وغيره من الحفاظ، وكان ثقة عدلاً. توفي في ذي الحجة منها عن اثنتين وتسعين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في المحرم منها ظهر كوكب بذنب رأسه إلى المغرب وذنبه إلى المشرق، وكان عظيماً جداً، وذنبه منتشر، وبقي ثلاثة عشر يوماً إلى أن اضمحل. قال: وفي نصف ربيع الأول بلغ الكر من الحنطة مائتي دينار [وعشرة دنانير ومن الشعير مائة وعشرين ديناراً ثم بلغ كر الحنطة ثلاثمائة وستة عشر ديناراً] [2]، وأكل الضعفاء الميتة، ودام الغلاء وكثر الموت، وتقطعت السبل وشغل الناس بالمرض والفقر، وتركوا دفن الموتى، وشغلوا عن الملاهي واللعب. قال: ثم جاء مطر كأفواه القرب، وبلغت زيادة دجلة عشرين ذراعاً وثلثاً. وذكر ابن الأثير في الكامل أن محمد بن رائق وقع بينه وبين البريدي وحشة لأجل أن البريدي منع الخراج واسط، فركب إليه ابن رائق ليتسلم ما عنده من المال، فوقعت مصالحة ورجع ابن رائق إلى بغداد، فطالبه الجند بأرزاقهم، وضاق عليه حاله، وتحيّز جماعة من الأتراك عنه إلى البريدي فضعف جانب ابن رائق وكاتب البريدي بالوزارة ببغداد، ثم قطع اسم الوزارة عنه، فاشتد حنق البريدي عليه، وعزم على أخذ بغداد، فبعث أخاه أبا الحسين في جيش إلى بغداد، فتحصن ابن رائق مع الخليفة بدار الخلافة ونصبت فيها المجانيق والعرادات ـ العرادة شيء أصغر من المنجنيق ـ على دجلة أيضاً. فاضطربت أهل بغداد ونهب الناس بعضهم بعضاً ليلاً ونهاراً، وجاء أبو الحسين أخو أبي عبد الله البريدي بمن معه فقاتلهم الناس في البر وفي دجلة، وتفاقم الحال جداً، مع ما الناس فيه من الغلاء والوباء والفناء. فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم إن الخليفة وابن رائق انهزما في جمادى الآخرة ـ ومع

(١) التشميت: القول لمن يعطس: يرحمك الله.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

الخليفة ابنه منصور ـ في عشرين فارساً، فقصدوا نحو الموصل، واستحوذ أبو الحسين على دار الخلافة وقتل من وجد فيها من الحاشية، ونهبوها حتى وصل النهب إلى الحريم، ولم يتعرضوا للقاهر وهو إذ ذاك أعمى مكفوفاً، وأخرجوا كورتكين من الحبس، فبعثه أبو الحسين إلى البريدي، فكان آخر العهد به، ونهبوا بغداد جهاراً علانية، ونزل أبو الحسين بدار مؤنس الخادم التي كان يسكنها ابن رائق، وكانوا يكبسون الدور ويأخذون ما فيها من الأموال، فكثر الجور وغلت الأسعار جداً، وضرب أبو الحسين المكس[1] على الحنطة والشعير، وذاق أهل بغداد لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. وكان معه طائفة كبيرة من القرامطة فأفسدوا في البلد فساداً عظيماً، ووقع بينهم وبين الأتراك حروب طويلة شديدة، فغلبهم الترك وأخرجوهم من بغداد، فوقعت الحرب بين العامة والديلم جند أبي الحسين. وفي شعبان منها اشتد الحال أيضاً ونهبت المساكن وكبس أهلها ليلاً ونهاراً، وخرجت جند البريدي فنهبوا الغلات من القرى والحيوانات، وجرى ظلم لم يسمع بمثله.
قال ابن الأثير: وإنما ذكرنا هذا ليعلم الظلمة أن أخبارهم الشنيعة تنقل وتبقى بعدهم على وجه الأرض وفي الكتب، ليذكروا بها ويذموا ويعابوا، ذلك لهم خزي في الدنيا وأمرهم إلى الله لعلهم أن يتركوا الظلم لهذا إن لم يتركوه لله. وقد كان الخليفة أرسل وهو ببغداد إلى ناصر الدولة بن حمدان نائب الموصل يستمده ويستحثه على البريدي، فأرسل ناصر الدولة أخاه [سيف][2] الدولة علياً في جيش كثيف، فلما كان بتكريت إذا الخليفة وابن رائق قد هربا فرجع معهما سيف الدولة إلى أخيه، وخدم سيف الدولة الخليفة خدمة كثيرة. ولما وصلوا إلى الموصل خرج عنها ناصر الدولة فنزل شرقها، وأرسل التحف والضيافات، ولم يجيء إلى الخليفة خوفاً من الغائلة[3] من جهة ابن رائق، فأرسل الخليفة ولده أبا منصور ومعه ابن رائق للسلام على ناصر الدولة، فصارا إليه فأمر ناصر الدولة أن ينثر الذهب والفضة على رأس ولد الخليفة، وجلسا عنده ساعة، ثم قاما ورجعا، فركب ابن الخليفة وأراد ابن رائق أن يركب معه، فقال له ناصر الدولة: اجلس اليوم عندي حتى نفكر فيما نصنع في أمرنا هذا، فاعتذر إليه بابن الخليفة واستراب[4] بالأمر وخشي، فقبض ابن حمدان بكمه فجبذه ابن رائق منه فانقطع كمه، وركب سريعاً فسقط عن فرسه فأمر ناصر الدولة بقتله فقتل، وذلك يوم الاثنين لسبع بقين من رجب منها. فأرسل الخليفة إلى ابن حمدان فاستحضره وخلع عليه ولقبه ناصر الدولة يومئذٍ، وجعله أمير الأمراء، وخلع على أخيه أبي الحسن ولقبه سيف الدولة يومئذٍ، ولما قتل ابن رائق وبلغ خبر مقتله إلى صاحب مصر الإخشيد محمد بن طغج ركب إلى دمشق فتسلمها من محمد بن يزداد نائب ابن رائق ولم ينتطح فيها عنزان. ولما بلغ خبر مقتله إلى بغداد فارق أكثر الأتراك أبا الحسين البريدي لسوء سيرته، وقبح سريرته قبحه الله، وقصدوا الخليفة وابن حمدان فتقوّى بهم، وركب هو والخليفة إلى بغداد، فلما اقتربوا

---

(١) المكس: الضريبة.
(٢) في ط: سيد.
(٣) الغائلة: الغدر.
(٤) استراب: أخذته الريبة والشك.

منها هرب عنها أبو الحسين أخو البريدي [لا أحسن الله إليه] فدخلها المتقي ومعه بنو حمدان في جيوش كثيرة، وذلك في شوال منها، ففرح المسلمون فرحاً شديداً. وبعث الخليفة إلى أهله ـ وقد كان أخرجهم إلى سامرا ـ فردهم، وتراجع أعيان الناس إلى بغداد بعدما كانوا قد ترحلوا عنها. ورد الخليفة أبا إسحاق الفزاري إلى الوزارة وولّى توزون شرطة جانبي بغداد، وبعث ناصر الدولة أخاه سيف الدولة في جيش وراء أبي الحسين أخي البريدي، فلحقه عند المدائن فاقتتلوا قتالاً شديداً في أيام نحسات، ثم كان آخر الأمر أن انهزم أبو الحسين إلى أخيه البريدي بواسط، وقد ركب ناصر الدولة بنفسه فنزل المدائن قوة لأخيه. وقد انهزم سيف الدولة مرة من أخي البريدي فرده أخوه وزاده جيشاً حتى كسر البريدي، وأسر جماعة من أعيان أصحابه، وقتل منهم خلقاً كثيراً. ثم أرسل أخاه سيف الدولة إلى واسط لقتال أبي عبد الله البريدي، فانهزم منه البريدي وأخوه إلى البصرة وتسلم سيف الدولة واسطاً، وسيأتي ما كان من خبره في السنة الآتية مع البريدي.

وأما ناصر الدولة فإنه عاد إلى بغداد فدخلها في ثالث عشر ذي الحجة وبين يديه الأسارى على الجمال، ففرح المسلمون واطمأنوا ونظر في المصالح العامة وأصلح معيار الدينار. وذلك أنه وجده قد غيّر عما كان عليه، فضرب دنانير سماها الإبريزية، فكانت تباع كل دينار بثلاثة عشر درهماً، وإنما كان يباع ما قبلها بعشرة. وعزل الخليفة بدراً الخرشني عن الحجابة وولاّها سلامة الطولوني، وجعل بدراً على طريق الفرات، فسار إلى الإخشيد فأكرمه واستنابه على دمشق فمات بها. وفيها وصلت الروم إلى قريب حلب فقتلوا خلقاً وأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها دخل نائب طرسوس إلى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وسلم وأسر من بطارقتهم المشهورين منهم وغيرهم خلقاً كثيراً ولله الحمد. وفيها توفي من الأعيان:

إسحاق بن محمد بن يعقوب النهرجوري

أحد مشايخ الصوفية، صحب الجنيد بن محمد وغيره، من أئمة الصوفية، وجاور بمكة حتى مات بها. ومن كلامه الحسن: مفاوز[1] الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب.

الحسين بن إسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن سعيد بن أبان

أبو عبد الله الضبي القاضي المحاملي الفقيه الشافعي المحدث، سمع الكثير وأدرك خلقاً من أصحاب ابن عيينة، نحواً من سبعين رجلاً. وروى عن جماعة من الأئمة، وعنه الدارقطني وخلق، وكان يحضر مجلسه نحو من عشرة آلاف. وكان صدوقاً ديّناً فقيهاً محدثاً، ولي قضاة الكوفة ستين سنة، وأضيف إليه قضاء فارس وأعمالها، ثم استعفي من

(١) مفاوز: جمع مفازة، وهي الأرض المهلكة.

ذلك كله ولزم منزله، واقتصر على إسماع الحديث وسماعه. توفي في ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وتسعين سنة. وقد تناظر هو وبعض الشيعة بحضرة بعض الأكابر فجعل الشيعي يذكر مواقف علي يوم بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين وشجاعته. ثم قال للمحاملي: أتعرفها؟ قال: نعم، ولكن أتعرف أنت أين كان الصديق يوم بدر؟ كان مع رسول الله ﷺ في العريش بمنزلة الرئيس الذي يحامي عنه، وعلي رضي الله عنه في المبارزة، ولو فرض أنه انهزم أو قتل لم يخزل[1] الجيش بسببه. فأفحم الشيعي. وقال المحاملي وقد قدمه الذين رووا لنا الصلاة والزكاة والوضوء بعد رسول الله ﷺ فقدموه عليه حيث لا مال له ولا عبيد ولا عشيرة وقد كان أبو بكر يمنع عن رسول الله ﷺ ويحاجف عنه، وإنما قدموه لعلمهم أنه خيرهم. فأفحمه أيضاً.

علي بن محمد بن سهل

أبو الحسن الصائغ، أحد الزهاد العباد أصحاب الكرامات. روي عن ممشاد الدينوري أنه شاهد أبا الحسن الصائغ يصلي في الصحراء في شدّة الحر ونسرٌ قد نشر عليه جناحه يظله من الحر.

قال ابن الأثير: وفيها توفي **أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم** المشهور، وكان مولده سنة ستين ومائتين، وهو من ولد أبي موسى الأشعري.

قلت: الصحيح أن الأشعري توفي سنة أربع وعشرين ومائتين كما تقدم ذكره هناك. قال:

وفيها توفي **محمد بن يوسف بن النضر الهروي** الفقيه الشافعي، وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائتين، وأخذ عن الربيع بن سليمان صاحب الشافعي.

قلت: وقد توفي فيها **أبو حامد بن بلال. وزكريا بن أحمد البلخي. وعبد الغافر بن سلامة الحافظ، ومحمد بن رائق الأمير** ببغداد.

وفيها توفي الشيخ:

أبو صالح مفلح الحنبلي

واقف مسجد أبي صالح ظاهر باب شرقي من دمشق، وكانت له كرامات وأحوال ومقامات، واسمه مفلح بن عبد الله أبو صالح المتعبد، الذي ينسب إليه المسجد خارج باب شرقي من دمشق، صحب الشيخ أبا بكر بن سعيد [حمدويه][2] الدمشقي، وتأدب به، وروى عنه الموحد بن إسحاق بن البري، وأبو الحسن علي بن العجه قيم المسجد، وأبو بكر بن داود الدينوري الدقي. روى الحافظ ابن عساكر من طريق الدقي عن الشيخ أبي صالح. قال: كنت أطوف بجبل لكام أطلب العباد فمررت برجل وهو جالس على صخرة مطرق رأسه

---

(١) يخزل: يفشل وينهزم.
(٢) في ط: حمدونه.

فقلت له: ما تصنع ههنا؟ فقال: أنظر وأرعى. فقلت له: لا أرى بين يديك شيئاً تنظر إليه ولا ترعاه إلا هذه العصاة والحجارة. فقال: بل أنظر خواطر قلبي وأرعى أوامر ربي، وبالذي أطلعك عليّ إلا صرفت بصرك عني. فقلت له: نعم ولكن عظني بشيء أنتفع به حتى أمضي عنك. فقال: من لزم الباب أثبت في الخدم، ومن أكثر ذكر الموت أكثر الندم ومن استغنى بالله أمن العدم، ثم تركني ومضى. وقال أبو صالح: مكثت ستة أيام أو سبعة لم آكل ولم أشرب، ولحقني عطش عظيم، فجئت إلى النهر الذي وراء المسجد فجلست أنظر إلى الماء، فتذكرت قوله تعالى: [﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧] فذهب عني العطش، فمكثت تمام العشرة أيام. وقال: مكثت أربعين يوماً لم أشرب، فلقيني الشيخ أبو البكر محمد بن سيد -حمدويه فأخذ بيدي فأدخلني منزلي وجاءني بماء فقال لي اشرب فشربت][1] وأخذ فضلتي ثم ذهب إلى امرأته فقال: اشربي فضل رجل قد مكث أربعين يوماً لم يشرب الماء. قال أبو صالح: ولم يكن اطلع على ذلك أحد إلا الله عز وجل. ومن كلام أبي صالح: الدنيا حرام على القلوب حلال على النفوس، لأن كل شيء يحل لك أن تنظر بعين رأسك إليه يحرم عليك أن تنظر بعين قلبك إليه ـ وكان يقول: البدن لباس القلب والقلب لباس الفؤاد، والفؤاد لباس الضمير، والضمير لباس السر، والسر لباس المعرفة به. ولأبي صالح مناقب كثيرة رحمه الله. توفي في جمادى الأولى من هذه السنة والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة

فيها دخل سيف الدولة إلى واسط وقد انهزم عنها البريدي وأخوه أبو الحسين، ثم اختلف الترك على سيف الدولة، فهرب منها قاصداً بغداد، وبلغ أخاه أمير الأمراء خبره فخرج من بغداد إلى الموصل، فنهبت داره. وكانت دولته على بغداد ثلاثة عشر شهراً وخمسة أيام. وجاء أخوه سيف الدولة بعد خروجه منها فنزل بباب حرب، فطلب من الخليفة أن يمده بمال يتقوى به على حروب توزون، فبعث إليه بأربعمائة ألف درهم، ففرقها بأصحابه. وحين سمع بقدوم توزون خرج من بغداد ودخلها توزون في الخامس والعشرين من رمضان، فخلع عليه الخليفة وجعله أمير الأمراء واستقر أمره ببغداد. وعند ذلك رجع البريدي إلى واسط وأخرج من كان بها من أصحاب توزون وكان في أسر توزون غلام سيف الدولة، يقال له ثمال، فأرسله إلى مولاه ليخبره حاله ويرفع أمره عند آل حمدان. وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد نسا، سقط منها عمارات كثيرة، وهلك بسببها خلق كثير. قال ابن الجوزي: وكان ببغداد في أيلول وتشرين حر شديد يأخذ بالأنفاس. وفي صفر منها ورد الخبر بورود الروم إلى أرزن وميافارقين، وأنهم سبوا.

وفي ربيع الآخر منها عقد أبو منصور إسحاق بن الخليفة المتقي عقده على علوية بنت ناصر الدولة بن حمدان، على صداق مائة ألف دينار وألف ألف درهم، وولي العقد على

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

الجارية المذكورة أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي، ولم يحضر ناصر الدولة، وضرب ناصر الدولة سكة ضرب فيها ناصر الدولة عبد آل محمد.

قال ابن الجوزي: وفيها غلت الأسعار حتى أكل الناس الكلاب ووقع البلاء في الناس، ووافى من الجراد شيء كثير جداً، حتى بيع منه كل خمسين رطلاً بالدرهم، فارتفق[١] الناس به في الغلاء.

وفيها ورد كتاب ملك الروم إلى الخليفة يطلب فيه منديلاً بكنيسة الرّها كان المسيح قد مسح بها وجهه فصارت صورة وجهه فيه، وأنه متى وصل هذا المنديل يبعث من الأسارى خلقاً كثيراً، فأحضر الخليفة العلماء فاستشارهم في ذلك، فمن قائل نحن أحق بعيسى منهم، وفي بعثه إليهم غضاضة [٢] على المسلمين ووهن في الدين. فقال علي بن عيسى الوزير: يا أمير المؤمنين إنقاذ أسارى للمسلمين من أيدي الكفار خير وأنفع للناس من بقاء ذلك المنديل بتلك الكنيسة. فأمر الخليفة بإرسال ذلك المنديل إليهم وتخليص أسرى المسلمين من أيديهم. قال الصولي: وفيها وصل الخبر بأن القرمطي ولد له مولود فأهدى إليه أبو عبد الله البريدي هدايا كثيرة، منها مهد من ذهب مرصع بالجوهر، وجلاله منسوج بالذهب محلى باليواقيت، وغير ذلك. وفيها كثر الرفض ببغداد فنودي بها من ذكر أحداً من الصحابة بسوء فقد برئت منه الذمة. وبعث الخليفة إلى عماد الدولة بن بويه خلعاً فقبلها ولبسها بحضرة القضاة والأعيان. وفيها كانت وفاة السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر، وقد مرض قبل موته بالسل سنة وشهراً، واتخذ في داره بيتاً سماه بيت العبادة، فكان يلبس ثياباً نظافاً ويمشي إليه حافياً ويصلّي فيه، ويتضرع ويكثر الصلاة. وكان يجتنب المنكرات والآثام إلى أن مات رحمه الله، فقام بالأمر من بعده ولده نوح بن نصر الساماني، ولقب بالأمير الحميد. فقتل محمد بن أحمد النسفي، وكان قد طعن فيه عنده وصلبه.

وفيها توفي من الأعيان:

ثابت بن سنان بن قرة الصابيء

أبو سعيد الطبيب، أسلم على يد القاهر بالله ولم يسلم ولده ولا أحد من أهل بيته، وقد كان مقدماً في الطب وفي علوم أخر كثيرة. توفي في ذي القعدة منها بعلة الذرب[٣] ولم تغن عنه صناعته شيئاً، حتى جاءه الموت. وما أحسن ما قال بعض الشعراء في ذلك:

فَـقُـلْ لِـلَّـذِي صَـنَـعَ الـدَّوَاءَ بِـكَـفِّـهِ ... أَتَـرُدُّ مَـقْـدُوراً [عَـلَـيْـكَ إذا جَـرَى]
مَـاتَ الـمُـدَاوِي وَالـمُـدَاوَى وَالَّـذِي ... صَـنَـعَ الـدَّوَاءَ بِـكَـفِّـهِ وَمَـنِ اشْـتَـرَى

(١) ارتفق الناس به: خُفِّفَ عنهم به.
(٢) غضاضة: ذل، ومنقصة.
(٣) الذرب: مرض في المعدة يعسر معه الهضم.

وذكر ابن الجوزي في المنتظم وفاة الأشعري فيها وتكلّم فيه وحطّ عليه كما جرت عادة الحنابلة يتكلمون في الأشعرية قديماً وحديثاً. وذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين، وتوفي في هذه السنة، وأنه صحب الجبائي أربعين سنة ثم رجع عنه، وتوفي ببغداد ودفن بمشرعة السرواني.

محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة

ابن الصلت السدوسي مولاهم أبو بكر، سمع جده وعباساً الدوري وغيرهما، وعنه أبو بكر بن مهدي وكان ثقة. روى الخطيب أن والد محمد هذا حين ولد أخذ طالع مولده المنجمون فحسبوا عمره وقالوا: إنه يعيش كذا وكذا. فأرصد أبوه له جبّاً فكان يلقي فيه عن كل يوم من عمره الذي أخبروه به ديناراً، فلما امتلأ أرصد له جباً آخر كذلك، ثم آخر كذلك، فكان يضع فيها في كل يوم ثلاثة دنانير على عدد أيام عمر ولده. ومع هذا ما أفاده ذلك شيئاً، بل افتقر هذا الولد حتى صار يستعطي من الناس، وكان يحضر مجلس السماع عليه عباءة بلا إزار، فكان يتصدّق عليه أهل المجلس بشيء يقوم بأوده[1]. والسعيد من أسعده الله عز وجل.

محمد بن مخلد بن جعفر

أبو عمر الدوري العطار، كان يسكن الدور ـ وهي محلة بطرف بغداد ـ سمع الحسن بن عرفة والزبير بن بكار ومسلم بن الحجاج وغيرهم، وعنه الدارقطني وجماعة، وكان ثقة فهماً واسع الرواية مشكور الديانة مشهوراً بالعبادة. توفي في جمادى الأولى منها، وقد استكمل سبعاً وتسعين سنة وثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً. المجنون البغدادي روى ابن الجوزي من طريق أبي بكر الشبلي قال: رأيت مجنوناً عند جامع الرصافة وهو عريان وهو يقول: أنا مجنون الله، أنا مجنون الله. فقلت له: ما لك ألا تستتر وتدخل الجامع وتصلّي؟ فأنشأ يقول:

يَقُولُونَ زُرْنَا وَاقْضِ وَاجِبَ حَقِّنَا ... وَقَدْ أَسْقَطَتْ حَالِي حُقُوقَهُمْ عَنِّي
إذا هُمْ رأَوْا حَالِي وَلَمْ يَأْنَفُوا لَهَا ... وَلَمْ يَأْنَفُوا مِنْهَا أَنِفْتُ لَهُمْ مِنِّي[2]

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة

فيها خرج المتقي أمير المؤمنين من بغداد إلى الموصل مغاضباً لتوزون، وهو إذ ذاك بواسط، وقد زوج ابنته من أبي عبد الله البريدي، وصارا يداً واحدة على الخليفة. وأرسل ابن شيرزاد في ثلاثمائة إلى بغداد فأفسد فيها وقطع ووصل، واستقل بالأمر من غير مراجعة المتقي. فغضب المتقي وخرج منها مغاضباً له بأهله وأولاده ووزيره ومن اتبعه من الأمراء،

---

(١) يقوم بأوده: يكفيه لبقاء حياته.

(٢) يأنف يمل ويكره.

قاصداً الموصل إلى بني حمدان، فتلقاه سيف الدولة إلى تكريت، ثم جاءه ناصر الدولة وهو بتكريت أيضاً، وحين خرج المتقي من بغداد أكثر ابن شيرزاد فيها الفساد، وظلم أهلها وصادرهم، وأرسل يعلم توزون، فأقبل مسرعاً نحو تكريت فتواقع هو وسيف الدولة فهزم توزون سيف الدولة وأخذ معسكره ومعسكر أخيه ناصر الدولة، ثم كر إليه سيف الدولة فهزمه توزون أيضاً، وانهزم المتقي وناصر الدولة وسيف الدولة من الموصل إلى نصيبين وجاء توزون فدخل الموصل وأرسل إلى الخليفة يطلب رضاه، فأرسل الخليفة يقول: لا سبيل إلى ذلك إلا أن تصالح بني حمدان، فاصطلحوا، وضمن ناصر الدولة بلاد الموصل بثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف، ورجع توزون بن بويه إلى بغداد وأقام الخليفة عند بني حمدان. وفي غيبة توزون هذه عن واسط أقبل إليها معز الدولة بن بويه في خلق من الديلم كثيرين، فانحدر توزون مسرعاً إلى واسط فاقتتل مع معز الدولة بضعة عشر يوماً، وكان آخر الأمر أن انهزم معز الدولة ونهبت حواصله، وقتل من جيشه خلق كثير، وأسر جماعة من أشراف أصحابه. ثم عاود توزون ما كان يعتريه من مرض الصرع[1] فشغل بنفسه فرجع إلى بغداد.

وفيها قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف، وكان سبب ذلك أن البريدي قلّ ما في يده من الأموال، فكان يستقرض من أخيه أبي يوسف فيقرضه القليل. ثم يشنع عليه ويذم تصرفه بمال الجند، إلى أن مال الجند إلى أبي يوسف وأعرض غالبهم عن البريدي، فخشي أن يبايعوه فأرسل إليه طائفة من غلمانه فقتلوه غيلة، ثم انتقل إلى داره وأخذ جميع حواصله وأمواله، فكان قيمة ما أخذ منه من الأموال ما يقارب ثلاثمائة ألف ألف دينار. ولم يمتع بعده إلا ثمانية أشهر مرض فيها مرضاً شديداً بالحمى الحادة، حتى كانت وفاته في شوال من هذه السنة، فقام مقامه أخوه أبو الحسين قبحه الله فأساء السيرة في أصحابه، فثاروا عليه فلجأ إلى القرامطة قبحهم الله فاستجار بهم فقام بالأمر من بعده أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي في بلاد واسط والبصرة وتلك النواحي من الأهواز وغيرها.

وأما الخليفة المتقي لله فإنه لما أقام عند أولاد حمدان بالموصل ظهر له منهم تضجُّر، وأنهم يرغبون في مفارقته. فكتب إلى توزون في الصلح فاجتمع توزون مع القضاة والأعيان وقرؤوا كتاب الخليفة وقابله بالسمع والطاعة، وحلف له ووضع خطه بالإقرار له ولمن معه بالإكرام والاحترام، فكان من الخليفة ودخوله إلى بغداد ما سيأتي في السنة الآتية.

وفيها أقبلت طائفة من الروس في البحر إلى نواحي أذربيجان فقصدوا برذعة فحاصروها، فلما ظفروا بأهلها قتلوهم عن آخرهم، وغنموا أموالهم وسبوا من استحسنوا من نسائهم، ثم مالوا إلى المراغة، فوجدوا بها ثماراً كثيرة، فأكلوا منها فأصابهم وباء شديد فمات أكثرهم، وكان إذا مات أحدهم دفنوا معه ثيابه وسلاحه، فأخذه المسلمون وأقبل إليهم

---

(١) الصرع: مرض يصيب الإنسان ويطرحه أرضاً مع تشنج في الأعضاء.

المرزبان بن محمد فقتل منهم [خلقاً كثيراً أيضاً مع ما أصابتهم من الوباء الشديد وطهر الله تلك البلاد][١] . وفي ربيع الأول منها جاء الدمستق ملك الروم إلى رأس العين في ثمانين ألفاً فدخلها ونهب ما فيها وقتل وسبى منهم نحواً من خمسة عشر ألفاً، وأقام بها ثلاثة أيام، فقصدته الأعراب من كل وجه فقاتلوه قتالاً عظيماً حتى انجلى عنها. وفي جمادى الأولى منها غلت الأسعار ببغداد جداً وكثرت الأمطار جداً حتى تهدم البناء، ومات كثير من الناس تحت الهدم، وتعطلت أكثر الحمامات والمساجد من قلة الناس ونقصت قيمة العقار حتى كان بيع منه بالدرهم ما كان يساوي الدينار، وخلت الدور. وكان الدلالون يعطون من يسكنها أجرة ليحفظها من الداخلين إليها ليخربوها. وكثرت الكبسات[٢] من اللصوص بالليل، حتى كان الناس يتحارسون بالبوقات والطبول، وكثرت الفتن من كل جهة فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

وفي رمضان منها كانت وفاة أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن الجنابي الهجري القرمطي. رئيس القرامطة، قبحه الله، وهذا هو الذي قتل الحجيج حول الكعبة وفي جوفها، وسلبها كسوتها وأخذ بابها وحليتها، واقتلع الحجر الأسود من موضعه وأخذه معه إلى بلده هجر، فمكث عنده من سنة تسع عشرة وثلاثمائة ثم مات قبحه الله وهو عندهم لم يرده إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة كما سيأتي. ولما مات هذا القرمطي قام بالأمر من بعده إخوته الثلاثة، وهم أبو العباس الفضل، وأبو القاسم سعيد، وأبو يعقوب يوسف بن أبي سعيد الجنابي [لعنهم الله تعالى][٣] ، وكان أبو العباس ضعيف البدن مقبلاً على قراءة الكتب، وكان أبو يعقوب مقبلاً على اللهو واللعب، ومع هذا كانت كلمة الثلاثة واحدة لا يختلفون في شيء، وكان لهم سبعة من الوزراء متفقون أيضاً.

وفي شوال منها توفي أبو عبد الله البريدي فاستراح المسلمون من هذا كما استراحوا من الآخر.

وفيها توفي من الأعيان. أبو العباس بن عقدة الحافظ.

أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن

أبو العباس الكوفي المعروف بابن عقدة، لقبوه بذلك من أجل تعقيده في التصريف والنحو، وكان أيضاً عقدة في الورع والنسك، وكان من الحفاظ الكبار، سمع الحديث الكثير ورحل فسمع من خلائق من المشايخ، وسمع منه الطبراني والدارقطني وابن الجعابي وابن عدي وابن المظفر وابن شاهين. قال الدارقطني: أجمع أهل الكوفة على أنه لم ير من زمن ابن مسعود إلى زمان ابن عقدة أحفظ منه، ويقال إنه كان يحفظ نحواً من ستمائة ألف

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) الكبسات: الحملات على حين غرة.

(٣) سقط في ط.

حديث، منها ثلاثمائة ألف في فضائل أهل البيت، بما فيها من الصحاح والضعاف، وكانت كتبه ستمائة حمل جمل، وكان ينسب مع هذا كله إلى التشيع والمغالاة. قال الدارقطني: كان رجل سوء. ونسبه ابن عدي إلى أنه كان يعمل النسخ لأشياخ ويأمرهم بروايتها.

قال الخطيب: حدثني علي بن محمد بن نصر قال: سمعت حمزة بن يوسف سمعت أبا عمر بن حيويه يقول: كان ابن عقدة يجلس في جامع براثى معدن الرفض يملي مثالب الصحابة ـ أو قال الشيخين ـ فتركت حديثه لا أحدث عنه بشيء. قلت: وقد حررت الكلام فيه في كتابنا التكميل بما فيه كفاية. توفي في ذي القعدة منها.

أحمد بن عامر بن بشر بن حامد المروروذي: نسبه إلى مرو الروذ، والروذ اسم للنهر، وهو الفقيه الشافعي تلميذ أبي إسحاق المروذي ـ نسبة إلى مرو الشاهجان، وهي أعظم من تلك البلاد، له شرح مختصر المزني، وله كتاب الجامع في المذهب، وصنف في أصول الفقه، وكان إماماً لا يشق غباره[1]. توفي في هذه السنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

فيها رجع الخليفة المتقي إلى بغداد وخلع من الخلافة وسملت عيناه، وكان ـ وهو مقيم بالموصل ـ قد أرسل إلى الإخشيد محمد بن طغج صاحب مصر والبلاد الشامية أن يأتيه، فأقبل إليه في المنتصف من المحرم من هذه السنة، وخضع للخليفة غاية الخضوع، وكان يقوم بين يديه كما تقوم الغلمان، ويمشي والخليفة راكب، ثم عرض عليه أن يصير معه إلى الديار المصرية أو يقوم ببلاد الشام ـ وليته فعل ـ بل أبى عليه، فأشار عليه بالمقام مكانه بالموصل، ولا يذهب إلى توزون، وحذره من مكر توزون وخديعته، فلم يقبل ذلك، وكذلك أشار عليه وزيره أبو حسين بن مقلة فلم يسمع. وأهدى ابن طغج للخليفة هدايا كثيرة فاخرة، وكذلك أهدى إلى الأمراء والوزير، ثم رجع إلى بلاده، واجتاز بحلب فانحاز عنها صاحبها أبو عبد الله بن سعيد بن حمدان. وكان ابن مقاتل بها، فأرسله إلى مصر نائباً عنه حتى يعود إليها. وأما الخليفة فإنه ركب من الرقة في الدجلة إلى بغداد وأرسل إلى توزون فاستوثق منه ما كان حلف له من الأيمان فأكدها وقررها، فلما قرب من بغداد خرج إليه توزون ومعه العساكر، فلما رأى الخليفة قبّل الأرض بين يديه وأظهر له أنه قد وفى له بما كان حلف له عليه وأنزله في منظرته، ثم جاء فاحتاط على من مع الخليفة من الكبراء، وأمر بسمل عيني الخليفة فسملت عيناه، فصاح صيحة عظيمة سمعها الحريم فضجت الأصوات بالبكاء، فأمر توزون بضرب الدبادب[2] حتى لا تسمع أصوات الحريم، ثم انحدر من فوره إلى بغداد فبايع المستكفي. فكانت خلافة المتقي ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً، وقيل وأحد عشر شهراً. وستأتي ترجمته عند ذكر وفاته.

---

(١) لا يشق غباره: لا يلحق، وهنا كناية عن سعة علمه وفقهه.

(٢) الدبادب: الطبول وغيرها مما يثير الضجة.

خِلافة المستكفي بالله عَبد الله ابن المكتفي بن المعتضد

لما رجع توزون إلى بغداد وقد سمل عيني المتقي، استدعى بالمستكفي فبايعه ولقب بالمستكفي بالله واسمه عبد الله، وذلك في العشر الأواخر من صفر من هذه السنة، وجلس توزون بين يديه وخلع عليه المستكفي، وكان المستكفي مليح الشكل ربعة حسن الجسم والوجه، أبيض اللون مشرباً حمرة أقنى الأنف(١) خفيف العارضين، وكان عمره يوم بويع بالخلافة إحدى وأربعين سنة. وأحضر المتقي بين يديه وبايعه وأخذ منه البردة والقضيب، واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامري، ولم يكن إليه من الأمر شيء، وإنما الذي يتولى الأمور ابن شيرزاد، وحبس المتقي بالسجن. وطلب المستكفي أبا القاسم الفضل بن المقتدر، وهو الذي ولّي الخلافة بعد ذلك، ولقب المطيع لله، فاختفى منه ولم يظهر مدة خلافة المستكفي، فأمر المستكفي بهدم داره التي عند دجلة.

وفيها مات القائم الفاطمي وتولى ولده المنصور إسماعيل فكتم موت أبيه مدة حتى اتفق أمره ثم أظهره، والصحيح أن القائم مات في التي بعدها. وقد حاربهم أبو يزيد الخارجي فيها، وأخذ منهم مدناً كباراً وكسروه مراراً متعددة، ثم يبرز إليهم ويجمع الرجال ويقاتلهم، فانتدب المنصور هذا لقتاله بنفسه وجرت بينهم حروب يطول ذكرها، وقد بسطها ابن الأثير في كامله. وقد انهزم في بعض الأحيان جيش المنصور ولم يبق إلا في عشرين نفساً. فقاتل بنفسه قتالاً عظيماً، فهزم أبا يزيد بعدما كاد يقتله، وثبت المنصور ثباتاً عظيماً، فعظم في أعين الناس وزادت حرمته وهيبته، واستنقذ بلاد القيروان منه، [وما زال يحاربه حتى ظفر به](٢) المنصور وقتله. ولما جيء برأسه سجد شكراً لله. وكان أبو يزيد هذا قبيح الشكل أعرج قصيراً خارجياً شديداً يكفر أهل الملة.

وفي ذي الحجة منها قتل أبو الحسين البريدي وصلب ثم أحرق، وذلك أنه قدم بغداد يستنجد بتوزون وأبي جعفر بن شيرزاد على ابن أخيه، فوعدوه النصر، ثم شرع يفسد ما بين توزون وابن شيرزاد، فعلم بذلك ابن شيرزاد فأمر بسجنه وضربه، ثم أفتاه بعض الفقهاء بإباحة دمه، فأمر بقتله وصلبه ثم أحرقه، وانقضت أيام البريدية، وزالت دولتهم [لا جمع الله بهم شملاً](٣) وفيها أمرة المستكفي بإخراج القاهر الذي كان خليفة وأنزله دار ابن طاهر، وقد افتقر حتى لم يبق له شيء من اللباس سوى قطعة عباءة يلتف بها، وفي رجله قبقاب من خشب. وفيها اشتد البرد والحر. وفيها ركب معز الدولة في رجب منها إلى واسط فبلغ خبره إلى توزون فركب هو والمستكفي، فلما سمع بهما رجع إلى بلاده وتسلمها الخليفة وضمنها

---

(١) أقنى الأنف: أي الذي ارتفع أعلى أنفه واحدودب وسطه وضاق منخراه.
(٢) سقط في ط. (٣) سقط في ط.

أبو القاسم بن أبي عبد الله، ثم رجع توزون والخليفة إلى بغداد في شوال منها. وفيها ركب سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى حلب فتسلمها من يأنس المؤنسي، ثم سار إلى حمص ليأخذها فجاءته جيوش الإخشيد محمد بن طغج مع مولاه كافور فاقتتلوا بقنسرين، فلم يظفر أحد منهما بصاحبه، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة، ثم عاد إلى حلب فاستقر ملكه بها، فقصدته الروم في جحافل عظيمة، فالتقى معهم فظفر بهم فقتل منهم خلقاً كثيراً.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة

في المحرم زاد الخليفة في لقبه إمام الحق، وكتب ذلك على السكة المتعامل بها، ودعا له الخطباء على المنابر أيام الجمع. وفي المحرم منها مات توزون التركي في داره ببغداد، وكانت إمارته سنتين وأربعة أشهر وعشرة أيام. وكان ابن شيرزاد كاتبه، وكان غائباً بهيت لتخليص المال، فلما بلغه موته أراد أن يعقد البيعة لناصر الدولة بن حمدان فاضطربت الأجناد وعقدوا الرياسة عليهم لابن شيرزاد فحضر ونزل باب حرب مستهل صفر، وخرج إليه الأجناد كلهم وحلفوا له وحلف الخليفة والقضاة والأعيان، ودخل على الخليفة فخاطبه بأمير الأمراء. وزاد في أرزاق الجند وبعث إلى ناصر الدولة يطالبه بالخراج، فبعث إليه بخمسمائة ألف درهم وبطعام يفرقه في الناس، وأمر ونهى وعزل وولّى، وقطع ووصل، وفرح بنفسه ثلاثة أشهر وعشرين يوماً. ثم جاءت الأخبار بأن معز الدولة بن بويه قد أقبل في الجيوش قاصداً إلى بغداد، فاختفى ابن شيرزاد والخليفة أيضاً، وخرج إليه الأتراك قاصدين إلى الموصل ليكونوا مع ناصر الدولة بن حمدان.

أول دولة بني بويه وحكمهم ببغداد

أقبل معز الدولة أحمد بن الحسن بن بويه في جحافل عظيمة من الجيوش قاصداً بغداد، فلما اقترب منها بعث إليه الخليفة المستكفي بالله الهدايا والإنزالات، وقال للرسول: أخبره أني مسرور به، وأني إنما اختفيت من شر الأتراك الذين انصرفوا إلى الموصل، وبعث إليه بالخلع والتحف، ودخل معز الدولة بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة، فنزل بباب الشماسية، ودخل من الغد إلى الخليفة فبايعه، ودخل عليه المستكفي ولقبه بمعز الدولة، ولقب أخاه أبا الحسن بعماد الدولة، وأخاه أبا علي الحسن بركن الدولة، وكتب ألقابهم على الدراهم والدنانير. ونزل معز الدولة بدار مؤنس الخادم، ونزل أصحابه من الديلم بدور الناس، فلقي الناس منهم ضائقة شديدة، وأمن معز الدولة ابن شيرزاد، فلما ظهر استكتبه على الخراج، ورتب للخليفة بسبب نفقاته خمسة آلاف درهم في كل يوم، واستقرت الأمور على هذا النظام والله أعلم.

القبض على الخليفة المستكفي بالله وخلعه

لما كان اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة حضر معز الدولة إلى الحضرة

فجلس على سرير بين يدي الخليفة، وجاء رجلان من الديلم فمدا أيديهما إلى الخليفة فأنزلاه عن كرسيه، وسحباه فتحرّبت[1] عمامته في حلقه، ونهض معز الدولة واضطربت دار الخلافة حتى خلص إلى الحريم، وتفاقم الحال، وسيق الخليفة ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها، وأحضر أبو القاسم بن المقتدر فبويع بالخلافة وسملت عينا المستكفي وأودع السجن فلم يزل به مسجوناً حتى كانت وفاته في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة كما يأتي ذكر ترجمته هناك.

خِلاَفة المطيع الله

لما قدم معز الدولة بغداد وقبض على المستكفي وسمل عينيه استدعي بأبي القاسم الفضل بن المقتدر بالله، وقد كان مختفياً من المستكفي وهو يحث على طلبه ويجتهد، فلم يقدر عليه، ويقال إنه اجتمع بمعز الدولة سرّاً فحرضه على المستكفي حتى كان من أمره ما كان، ثم أحضر وبويع له بالخلافة ولقب بالمطيع لله، وبايعه الأمراء والأعيان والعامة، وضعف أمر الخلافة جداً حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير أيضاً، وإنما يكون له كاتب على أقطاعه، وإنما الدولة ومورد المملكة ومصدرها راجع إلى معز الدولة، وذلك لأن بني بويه ومن معهم من الديلم كان فيهم تعسف شديد، وكانوا يرون أن بني العباس قد غصبوا الأمر من العلويين، حتى عزم معز الدولة على تحويل الخلافة عنهم إلى العلويين واستشار أصحابه فكلهم أشار عليه بذلك، إلا رجلاً واحداً من أصحابه، كان سديد الرأي فيهم، فقال لا أرى لك ذلك. قال: ولم ذاك؟ قال: لأن هذا خليفة ترى أنت وأصحابك أنه غير صحيح الإمارة حتى لو أمرت بقتله قتله أصحابك، ولو ولّيت رجلاً من العلويين اعتقدت أنت وأصحابك ولايته صحيحه، فلو أمرت بقتله لم تطع بذلك، ولو أمر بقتلك لقتلك أصحابك. فلما فهم ذلك صرفه عن رأيه الأول وترك ما كان عزم عليه للدنيا لا لله عز وجل.

ثم نشبت الحرب بين ناصر الدولة بن حمدان وبين معز الدولة بن بويه، فركب ناصر الدولة بعدما خرج معز الدولة والخليفة إلى عكبرا فدخل بغداد فأخذ الجانب الشرقي ثم الغربي، وضعف أمر معز الدولة والديلم الذين كانوا معه، ثم مكر به معز الدولة وخدعه حتى استظهر عليه وانتصر أصحابه فنهبوا بغداد وما قدروا عليه من أموال التجار وغيرهم، فكان قيمة ما أخذ أصحاب معز الدولة من الناس عشرة آلاف ألف دينار، ثم وقع الصلح بين ناصر الدولة ومعز الدولة، ورجع ابن حمدان إلى بلده الموصل، واستقر أمر معز الدولة ببغداد، ثم شرع في استعمال السعاة ليبلغوا أخاه ركن الدولة أخباره، فغوي الناس في ذلك وعلموا أبناءهم سعاة، حتى أن من الناس من كان يقطع نيفاً وثلاثين فرسخاً في يوم واحد. وأعجبه المصارعون والملاكمون وغيرهم من أرباب هذه الصناعات التي لا ينتفع بها إلا كل قليل العقل فاسد المروءة، وتعلموا السباحة ونحوها، وكانت تضرب الطبول بين يديه

(١) تحربت عمامته: تحددت وعلقت في حلقه.

ويتصارع الرجال والكوسان[1] تدق حول سور المكان الذي هو فيه، وكل ذلك رعونة[2] وقلة عقل وسخافة منه، ثم احتاج إلى صرف أموال في أرزاق الجند فأقطعهم البلاد عوضاً من أرزاقهم، فأدى ذلك إلى خراب البلاد وترك عمارتها إلا الأراضي التي بأيدي أصحاب الجاهات.

وفي هذه السنة وقع غلاء شديد ببغداد حتى أكلوا الميتة والسنانير والكلاب، وكان من الناس من يسرق الأولاد فيشويهم ويأكلهم. وكثر الوباء في الناس حتى كان لا يدفن أحد أحداً، بل يتركون على الطرقات فيأكل كثيراً منهم الكلاب، وبيعت الدور والعقار بالخبز وانتجع[3] الناس إلى البصرة فكان منهم من مات في الطريق ومنهم من وصل إليها بعد مدة مديدة.

وفيها كانت وفاة **القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبد الله المهدي**، وولي الأمر من بعده ولده المنصور إسماعيل، وكان حازم الرأي شديداً شجاعاً كما ذكرنا ذلك في السنة الماضية، وكانت وفاته في شوال من هذه السنة على الصحيح.

وفيها توفي **الإخشيد محمد بن طغج** صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية، كانت وفاته بدمشق وله من العمر بضع وستون سنة، وأقيم ولده أبو القاسم أبو جور ـ وكان صغيراً ـ وأقيم كافور الإخشيد أتابكة، وكان يدبر الممالك بالبلاد كلها، واستحوذ على الأمور كلها وسار إلى مصر فقصد سيف الدولة بن حمدان دمشق فأخذها من أصحاب الإخشيد، ففرح بها فرحاً شديداً، واجتمع بمحمد بن محمد بن نصر الفارابي التركي الفيلسوف بها. وركب سيف الدولة يوماً مع الشريف العقيلي في بعض نواحي دمشق، فنظر سيف الدولة إلى الغوطة فأعجبته وقال: ينبغي أن يكون هذا كله لديوان السلطان ـ كأنه يعرض بأخذها من ملاكها ـ فأوغر[4] ذلك صدر العقيلي وأوعاه إلى أهل دمشق، فكتبوا إلى كافور الإخشيدي يستنجدونه، فأقبل إليهم في جيوش كثيرة كثيفة، فأجلى عنهم سيف الدولة وطرده عن حلب أيضاً واستناب عليها ثم كر راجعاً إلى دمشق فاستناب عليها بدراً الإخشيدي ـ ويعرف ببدير ـ فلما صار كافور إلى الديار المصرية رجع سيف الدولة إلى حلب فأخذها كما كانت أولاً له، ولم يبق له في دمشق شيء يطمع فيه. وكافور هذا الذي هجاه المتنبي ومدحه أيضاً والله تعالى أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عمر بن الحسين

صاحب المختصر في الفقه على مذهب الإمام أحمد، وقد شرحه القاضي أبو يعلى بن الفراء والشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي، وقد كان الخرقي هذا من سادات الفقهاء

---

(١) في ط: الكوسات: وهي الطبول.

(٢) الرعونة: الطيش والجهل.

(٣) انتجع: ارتحل من أجل الإقامة.

(٤) أوغر صدره: ملأه حقداً.

والعباد، كثير الفضائل والعبادة، خرج من بغداد مهاجراً لما كثر بها الشر والسب للصحابة، وأودع كتبه في بغداد فاحترقت الدار التي كانت فيها الكتب، وعدمت مصنفاته، وقصد دمشق فأقام بها حتى مات في هذه السنة، وقبره بباب الصغير يزار قريباً من قبور الشهداء. وذكر في مختصره هذا في الحج: يأتي الحجر الأسود ويقبله إن كان هناك، وإنما قال ذلك لأن تصنيفه لهذا الكتاب كان والحجر الأسود قد أخذته القرامطة وهو في أيديهم في سنة سبع عشرة وثلاثمائة كما تقدم ذلك، ولم يرد إلى مكانه إلا سنة سبع وثلاثين كما سيأتي بيانه في موضعه. قال الخطيب البغدادي: قال لي القاضي أبو يعلى: كانت للخرقي مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر لأنه خرج من مدينته لما ظهر بها سب الصحابة وأودع كتبه فاحترقت الدار التي هي فيها فاحترقت الكتب ولم تكن قد انتشرت لبعده عن البلد. ثم روى الخطيب من طريقه عن أبي الفضل عبد السميع عن الفتح بن شخرف عن الخرقي قال: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في المنام فقال لي: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء!! قال: قلت زدني يا أمير المؤمنين. قال: وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء. قال: ورفع له كفه فإذا فيها مكتوب:

قَـدْ كُـنْـتَ مَـيْـتـاً فَـصِـرْتَ حَـيّـاً ... وَعَـنْ قَـرِيـبٍ تَـعُـودُ مَـيْـتَـا
فَـابْـنِ بِـدَارِ الـبَـقَـاءِ بَـيْـتَـا ... وَدَعْ بِـدَارِ الـفَـنَـاءِ بَـيْـتَـا

قال ابن بطة: مات الخرقي بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وزرت قبره رحمه الله.

محمد بن عيسى

أبو عبد الله بن موسى الفقيه الحنفي أحد أئمة العراقيين في زمانه، وقد ولي القضاء ببغداد للمتقي ثم للمستكفي، وكان ثقة فاضلاً، كبست اللصوص داره يظنون أنه ذو مال، فضربه بعضهم ضربة أثخنته فألقى نفسه من شدة الفزع إلى الأرض فمات رحمه الله في ربيع الأول من هذه السنة.

محمد بن محمد بن عبد الله أبو الفضل السلمي: الوزير الفقيه المحدث الشاعر سمع الكثير وجمع وصنف وكان يصوم الاثنين والخميس، ولا يدع صلاة الليل والتصنيف، وكان يسأل الله تعالى الشهادة كثيراً. فولي الوزارة للسلطان فقصده الأجناد فطالبوه بأرزاقهم، واجتمع منهم ببابه خلق كثير، فاستدعى بحلاق فحلق رأسه وتنور وتطيب ولبس كفنه وقام يصلِّي، فدخلوا عليه فقتلوه وهو ساجد، رحمه الله، في ربيع الآخر من هذه السنة.

الأخشيد محمد بن عبد الله بن طغج

أبو بكر الملقب بالأخشيد ومعناه ملك الملوك، لقبه بذلك الراضي لأنه كان ملك فرغانة، وكل من ملكها كان يسمى الأخشيد، كما أن من ملك اشروسية يسمى الآفشين. ومن ملك خوارزم يسمى خوارزم شاه، ومن ملك جرجان يسمى صوك، ومن ملك أذربيجان يسمى أصبهبذ، ومن ملك طبرستان يسمى أرسلان. قاله ابن الجوزي في منتظمه. قال

السهيلي: وكانت العرب تسمي من ملك الشام مع الجزيرة كافراً قيصر، ومن ملك الفرس كسرى، ومن ملك اليمن تبع، ومن ملك الحبشة النجاشي، ومن ملك الهند بطلميوس، ومن ملك مصر فرعون. ومن ملك الإسكندرية المقوقس. وذكر غير ذلك. توفي بدمشق ونقل إلى بيت المقدس فدفن هناك رحمه الله.

أبو بكر الشبلي

أحد مشايخ الصوفية، اختلفوا في اسمه على أقوال فقيل دلف بن جعفر، ويقال دلف بن حجدر، وقيل جعفر بن يونس، أصله من قرية يقال لها شبلة من بلاد اشروسية من خراسان، وولد بسامرا، وكان أبوه حاجب الحجاب للموفق، وكان خاله نائب الإسكندرية، وكانت توبة الشبلي على يدي خير النساج، سمعه يعظ فوقع في قلبه كلامه فتاب من فوره، ثم صحب الفقراء والمشايخ، ثم صار من أئمة القوم.

قال الجنيد: الشبلي تاج هؤلاء.

وقال الخطيب: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الزوزني قال: سمعت علي بن المثنى التميمي يقول: دخلت يوماً على الشبلي في داره وهو يهيج ويقول:

عَلَى بُعْدِكَ لا يَصْبِرُ ... مَنْ عَادَتُهُ القُرْبُ
وَلا يَقْوَى عَلَى هَجْرِكَ ... مَنْ تَيَّمَهُ الحُبُّ
فَإنْ لَمْ تَرَكَ العَيْنُ ... فَقَدْ يُبْصِرُكَ القَلْبُ

وقد ذكر له أحوال وكرامات، وقد ذكرنا أنه كان ممن اشتبه عليه أمر الحلاج فيما نسب إليه من الأقوال من غير تأمل لما فيها، مما كان الحلاج يحاوله من الإلحاد والاتحاد، ولما حضرته الوفاة قال لخادمه: قد كان عليّ درهم من مظلمة فتصدقت عن صاحبه بألوف، ومع هذا ما على قلبي شغل أعظم منه. ثم أمره بأن يوضئه فوضأه وترك تخليل لحيته، فرفع الشبلي يده ـ وقد كان اعتقل لسانه ـ فجعل يخلل لحيته. وذكره ابن خلكان في الوفيات، وحكي عنه أنه دخل يوماً على الجنيد فوقف بين يديه وصفق بيديه وأنشد:

عَوَّدُونِي الوِصَالَ وَالوَصْلُ عَذْبُ ... وَرَمُونِي بِالصَّدِّ وَالصَّدُّ صَعْبُ
زَعَمُوا حِينَ أَعْتَبُوا أَنَّ جرمي ... فَرْطُ حُبِّي لَهُمْ وَمَا ذَاكَ ذَنْبُ
لا وَحَقُّ الخُضُوعِ عِنْدَ التَّلاقِي ... مَا جَزَاءُ المُحِبِّ إلاّ يُحَبُّ

وذكر عنه قال: رأيت مجنوناً على باب جامع الرصافة يوم جمعة عرياناً وهو يقول: أنا مجنون الله فقلت: ألا تستتر وتدخل إلى الجامع فتصلي الجمعة. فقال:

يَقُولُونَ زُرْنَا وَاقْضِ وَاجِبَ حَقِّنَا ... وَقَدْ أَسْقَطَتْ حَالِي حُقُوقَهُمْ عَنِّي
إذا أبْصَرُوا حَالِي وَلَمْ يَأْنَفُوا لَهَا ... وَلَمْ يَأْنَفُوا مِنْهَا أَنِفْتُ لَهُمْ مِنِّي

وذكر الخطيب في تاريخه عنه أنه أنشد لنفسه فقال:

مَضَتِ الشَّبِيبَةُ وَالحَبِيبَةُ فَانْبَرَى دَمْعَانِ فِي الأَجْفَانِ يَزْدَحِمَانِ

مَا أَنْصَفَتْنِي الحَادِثَاتُ رَمَيْنَنِي بِمُوَدِّعَيْنِ وَلَيْسَ لِي قَلْبَانِ

كانت وفاته رحمه الله ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من هذه السنة، وله سبع وثمانون سنة، ودفن في مقبرة الخيزران ببغداد والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السنة استقر أمر الخليفة المطيع لله في دار الخلافة واصطلح معز الدولة بن بويه وناصر الدولة بن حمدان على ذلك، ثم حارب ناصر الدولة تكين التركي فاقتتلا مرات متعددة، ثم ظفر ناصر الدولة بتكين فسمل بين يديه، واستقر أمره بالموصل والجزيرة، واستحوذ ركن الدولة على الري وانتزعها من الخراسانية، واتسعت مملكة بني بويه جداً، فإنه صار بأيديهم أعمال الري والجبل وأصبهان وفارس والأهواز والعراق، ويحمل إليهم ضمان الموصل وديار ربيعة من الجزيرة وغيرها. ثم اقتتل جيش معز الدولة وجيش أبي القاسم البريدي فهزم أصحاب البريدي وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة. وفيها وقع الفداء بين الروم والمسلمين على يد نصر المستملي أمير الثغور لسيف الدولة بن حمدان، فكان عدة الأسارى نحواً من ألفين وخمسمائة مسلم ولله الحمد والمنة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن حمويه بن الحسين

القاضي الإستراباذي. روى الكثير وحدث، وكان له مجلس للإملاء، وحكم ببلده مدة طويلة، وكان من المجتهدين بالأسحار، ويضرب به المثل في ظرفه وفكاهته. وقد مات فجأة على صدر جاريته عند إنزاله.

عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله

أبو عبد الله الختلي، سمع ابن أبي الدنيا وغيره، وحدث عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة نبيلاً حافظاً، حدث من حفظه بخمسين ألف حديث.

عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم أبو محمد الكلبي الملقب بديك الجن الشاعر الماجن الشيعي. ويقال: إنه من موالي بني تميم، له أشعار قوية. خمارية وغير خمارية، وقد استجاد أبو نواس شعره في الخماريات.

علي بن عيسى بن داود بن الجراح

أبو الحسن الوزير للمقتدر والقاهر، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين وسمع الكثير، وعنه الطبراني وغيره، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عفيفاً، كثير التلاوة والصلاة والصيام، يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم، أصله من الفرس، وكان من أكبر القائمين على الحلاج. وروي

عنه أنه قال: كسبت سبعمائة ألف دينار أنفقت منها في وجوه الخير ستمائة ألف وثمانين ألفاً، ولما دخل مكة حين نفي من بغداد طاف بالبيت وبالصفا والمروة في حر شديد، ثم جاء إلى منزله فألقى نفسه وقال: أشتهي على الله شربة ثلج. فقال له بعض أصحابه: هذا لا يتهيأ ههنا. فقال: أعرف ولكن سيأتي به الله إذا شاء، وأصبر إلى المساء. فلما كان في أثناء النهار جاءت سحابة فأمطرت وسقط منها برد شديد كثير فجمع له صاحبه من ذلك البرد شيئاً كثيراً وخبأه له، وكان الوزير صائماً، فلما أمسى جاء به، فلما جاء المسجد أقبل إليه صاحبه بأنواع الأشربة وكلها بثلج، فجعل الوزير يسقيه لمن حواليه من الصوفية والمجاورين، ولم يشرب هو منه شيئاً. فلما رجع إلى المنزل جئته بشيء من ذلك الشراب كنّا خبأناه له وأقسمت عليه ليشربنه فشربه بعد جهد جهيد، وقال: أشتهي لو كنت تمنيت المغفرة. رحمه الله وغفر له. ومن شعره قوله:

فَمَنْ كَانَ عَنِّي سَائِلاً بِشَمَاتَةٍ   لِمَا نَابَنِي أَوْ شَامِتاً غَيْرَ سَائِلِ

فَقَدْ أَبْرَزَتْ مِنِّي الخُطُوبُ ابْنَ حُرَّةٍ   صَبُوراً عَلَى أَهْوَالِ تِلْكَ الزَّلازِلِ

وقد روى أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي عن أبيه عن جماعة أن عطاراً من أهل الكرخ كان مشهوراً بالسنة، ركبه ستمائة دينار ديناً فأغلق دكانه وانكسر عن كسبه ولزم منزله، وأقبل على الدعاء والتضرع والصلاة ليالي كثيرة، فلما كان في بعض تلك الليالي رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يقوله له: اذهب إلى علي بن عيسى الوزير فقد أمرته لك بأربعمائة دينار. فلما أصبح الرجل قصد باب الوزير فلم يعرفه أحد، فجلس لعل أحداً يستأذن له على الوزير حتى طال عليه المجلس وهم بالانصراف، ثم إنه قال لبعض الحجبة قل للوزير: إنني رجل رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأنا أريد أن أقصه على الوزير. فقال له الحاجب: وأنت صاحب الرؤيا؟ إن الوزير قد أنفذ في طلبك رسلاً متعددة. ثم دخل الحجاب فأخبروا الوزير فقال: أدخله عليّ سريعاً. فدخل عليه فأقبل عليه الوزير يستعلم عن حاله واسمه وصفته ومنزله، فذكر ذلك له، فقال له الوزير: إني رأيت رسول الله ﷺ وهو يأمرني بإعطائك أربعمائة دينار، فأصبحت لا أدري من أسأل عنك، ولا أعرفك ولا أعرف أين أنت وقد أرسلت في طلبك إلى الآن عدة من رسل فجزاك الله خيراً في قصدك إياي. ثم أمر الوزير بإحضار ألف دينار فقال: هذه أربعمائة دينار لأمر رسول الله ﷺ وستمائة هبة من عندي، فقال الرجل: لا والله لا أزيد على ما أمرني به رسول الله ﷺ فإني أرجو الخير والبركة فيه. ثم أخذ منها أربعمائة دينار، فقال الوزير: هذا هو الصدق واليقين. فخرج ومعه الأربعمائة دينار فعرض على أرباب الديون أموالهم فقالوا: نحن نصبر عليك ثلاث سنين، وافتح بهذا الذهب دكانك ودم على كسبك فأبى إلا أن يعطيهم من أموالهم الثلث، فدفع إليهم مائتي دينار، وفتح حانوته بالمائتي دينار الباقية، فما حال عليه الحول حتى ربح ألف دينار. ولعلي بن عيسى الوزير أخبار كثيرة صالحة. كانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة. ويقال في التي قبلها والله أعلم.

محمد بن إسماعيل

ابن إسحاق بن بحر أبو عبد الله الفارسي الفقيه الشافعي، كان ثقة ثبتاً فاضلاً، سمع أبا زرعة الدمشقي وغيره، وعنه الدارقطني وغيره وآخر من حدث عنه أبو عمر بن مهدي، توفي في شوال من هذه السنة.

هارون بن محمد

ابن هارون بن علي بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد بن جابر بن عامر بن أسيد بن تميم بن صبح بن ذهل بن مالك بن سعيد بن حبنة أبو جعفر، والد القاضي أبي عبد الله الحسن بن هارون. كان أسلافه ملوك عمان في قديم الزمان، وجده يزيد بن جابر أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه، وكان هارون هذا أول من انتقل من أهله من عمان فنزل بغداد وحدّث بها، وروى عن أبيه، وكان فاضلاً متضلعاً من كل فن، وكانت داره مجمع العلماء في سائر الفنون، ونفقاته دارّة عليهم، وكانت له منزلة عالية، ومهابة وافرة ببغداد، وقد أثنى عليه الدارقطني ثناء كثيراً، وقال: كان مبرزاً في النحو واللغة والشعر، ومعاني القرآن، وعلم الكلام.

قال ابن الأثير: وفيها توفي: **أبو بكر محمد بن عبد الله بن العباس بن صول الصولي**، وكان عالماً بفنون الآداب والأخبار.

وإنما ذكره ابن الجوزي في التي بعدها كما سيأتي.

أبو العباس ابن القاضي أحمد بن أبي أحمد الطبري

الفقيه الشافعي، تلميذ ابن سريج، له كتاب التلخيص وكتاب المفتاح، وهو مختصر شرحه أبو عبد الله الحسين، وأبو عبد الله السنجي أيضاً، وكان أبوه يقص على الناس الأخبار والآثار، وأما هو فتولى قضاء طرسوس، وكان يعظ الناس أيضاً، فحصل له مرة خشوع فسقط مغشياً عليه فمات في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

فيها خرج معز الدولة والخليفة المطيع لله من بغداد إلى البصرة فاستنقذاها من يد أبي القاسم بن البريدي، وهرب هو وأكثر أصحابه، واستولى معز الدولة على البصرة وبعث يتهدد القرامطة ويتوعدهم بأخذ بلادهم، وزاد في إقطاع الخليفة ضياعاً تعمل في كل سنة مائتي ألف دينار، ثم سار معز الدولة لتلقي أخيه عماد الدولة بالأهواز فقبّل الأرض بين يدي أخيه وقام بين يديه مقاماً طويلاً فأمره بالجلوس فلم يفعل. ثم عاد إلى بغداد صحبة الخليفة فتمهدت الأمور جيداً. وفي هذه السنة استحوذ ركن الدولة على بلاد طبرستان وجرجان من يد وشمكير أخي مرداويج ملك الديلم، فذهب وشمكير إلى خراسان يستنجد بصاحبها كما سيأتي.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أبو الحسين بن المنادي

أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد، سمع جده وعباساً الدوري ومحمد بن إسحاق الصاغاني. وكان ثقة أميناً حجة صادقاً، صنف كثيراً وجمع علوماً جمة، ولم يسمع الناس منها إلا اليسير، وذلك لشراسة أخلاقه. وآخر من روى عنه محمد بن فارس اللغوي، ونقل ابن الجوزي عن أبي يوسف القدسي أنه قال: صنف أبو الحسين بن المنادي في علوم القرآن أربعمائة كتاب، ونيفاً وأربعين كتاباً ولا يوجد في كلامه حشو، بل هو نقي الكلام جمع بين الرواية والدراية. وقال ابن الجوزي: ومن وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه ووقف على فوائد لا توجد في غير كتبه. توفي في محرم من هذه السنة عن ثمانين سنة.

الصولي محمد بن عبد الله بن العباس

ابن محمد صول أبو بكر الصولي، كان أحد العلماء بفنون الأدب وحسن المعرفة بأخبار الملوك، وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء. روى عن أبي داود السجستاني والمبرد وثعلب وأبي العيناء وغيرهم. وكان واسع الرواية جيد الحفظ حاذقاً بتصنيف الكتب. وله كتب كثيرة هائلة، ونادم جماعة من الخلفاء، وحظي عندهم، وكان جده صول وأهله ملوكاً بجرجان، ثم كان أولاده من كبار الكتاب، وكان الصولي هذا جيد الاعتقاد حسن الطريقة، وله شعر حسن، وقد روى عنه الدارقطني وغيره من الحفاظ ومن شعره قوله:

أَحْبَبْتُ مِنْ أَجْلِهِ مَنْ كَانَ يُشْبِهُهُ ... وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْمَعْشُوقِ مَعْشُوقُ
حَتَّى حَكَيْتُ بِجِسْمِي مَاءَ مُقْلَتِهِ ... كَأَنَّ سُقْمِيَ[1] مِنْ عَيْنَيْهِ مَسْرُوقُ

خرج الصولي من بغداد إلى البصرة لحاجة لحقته فمات بها في هذه السنة.

وفيها كانت وفاة ابنة الشيخ أبي الزاهد المكي، وكانت من العابدات الناسكات المقيمات بمكة، وكانت تقتات من كسب أبيها من عمل الخوص، في كل سنة بثلاثين درهماً يرسلها إليها، فاتفق أنه أرسلها مرة مع بعض أصحابه فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهماً - يريد بذلك برهاً وزيادة في نفقتها - فلما اختبرتها قالت: هل وضعت في هذه الدراهم شيئاً من مالك؟ أصدقني بحق الذي حججت له. فقال: نعم عشرين درهماً. فقالت: ارجع بها فلا حاجة لي فيها، ولولا أنك قصدت الخير لدعوت الله عليك، فإنك قد أجعتني عامي هذا، ولم يبق لي رزق إلا من المزابل إلى قابل[2]. فقال: خذي منها الثلاثين التي أرسل بها

(١) السقم: المرض.

(٢) إلى قابل: أي إلى عام مقبل.

أبوك إليك ودعي العشرين. فقالت: لا، إنها قد اختلطت بمالك ولا أدري ما هو. قال الرجل: فرجعت بها إلى أبيها فأبى أن يقبلها وقال: شققت يا هذا عليّ وضيقت عليها، ولكن اذهب فتصدق بها.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

فيها ركب معز الدولة من بغداد إلى الموصل فانهزم منه ناصر الدولة إلى نصيبين، فتملك معز الدولة بن بويه الموصل في رمضان فعسف أهلها وأخذ أموالهم، وكثر الدعاء عليه. ثم عزم على أخذ البلاد كلها من ناصر الدولة بن حمدان، فجاء خبر أخيه ركن الدولة يستنجده على من قبله من الخراسانية، فاحتاج إلى مصالحة ناصر الدولة على أن يحمل على ما تحت يده من بلاد الجزيرة والشام في كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم، وأن يخطب له ولأخويه عماد الدولة وركن الدولة على منابر بلاده كلها ففعل. وعاد معز الدولة إلى بغداد وبعث إلى أخيه بجيش هائل، وأخذ له عهد الخليفة بولاية خراسان. وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب إلى بلاد الروم، فلقيه جمع كثيف من الروم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم سيف الدولة وأخذت الروم ما كان معهم، وأوقعوا بأهل طرسوس بأساً شديداً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ابن الجوزي: وفي رمضان انتهت زيادة دجلة أحد وعشرين ذراعاً وثلثاً. [فغرقت الضياع والدور التي عليها وأشرف الجانب الشرقي على الغرق وهمّ الناس بالهرب منه][1].

وممن توفي فيها من الأعيان:

عبد الله بن محمد بن حمدويه

ابن نعيم بن الحكم أبو محمد البيع، وهو والد الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، أذن ثلاثاً وثلاثين سنة وغزا اثنتين وعشرين غزوة، وأنفق على العلماء مائة ألف، وكان يقوم الليل كثيراً، وكان كثير الصدقة، أدرك عبد الله بن أحمد بن حنبل ومسلم بن الحجاج، وروى عن ابن خزيمة وغيره، وتوفي عن ثلاث وتسعين سنة.

قدامة الكاتب المشهور

هو قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب، له مصنف في الخراج وصناعة الكتابة، وبه يقتدي علماء هذا الشأن، وقد سأل ثعلباً عن أشياء.

محمد بن علي بن عمر أبو علي

المذكور الواعظ بنيسابور، كان كثير التدليس عن المشايخ الذين لم يلقهم. توفي في هذه السنة عن مائة وسبع سنين سامحه الله.

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

محمد بن مطهر بن عبد الله

أبو المنجا الفقيه الفرضي المالكي، له كتاب في الفقه على مذهب مالك، وله مصنفات في الفرائض قليلة النظير، وكان أديباً إماماً فاضلاً صادقاً، رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

في ربيع الأول منها وقعت فتنة بين الشيعة وأهل السنة، ونهبت الكرخ. وفي جمادى الآخرة تقلد أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمداني قضاء القضاة. وفيها خرج رجل يقال له عمران بن شاهين كان قد استوجب بعض العقوبات فهرب من السلطان إلى ناحية البطائح، وكان يقتات مما يصيده من السمك والطيور، والتف عليه خلق من الصيادين وقطاع الطريق، فقويت شوكته واستعمله أبو القاسم بن البريدي على بعض تلك النواحي، وأرسل إليه معز الدولة بن بويه جيشاً مع وزيره أبي جعفر بن بويه الضميري، فهزم ذلك الصياد الوزير، واستحوذ على ما معه من الأموال، فقويت شوكة ذلك الصياد ودهم الوزير وفاة عماد الدولة بن بويه وهو:

أبو الحسن علي بن بويه

وهو أكبر أولاد بويه وأول من تملك منهم، وكان عاقلاً حاذقاً حميد السيرة رئيساً في نفسه. كان أول ظهوره في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة كما ذكرنا. فلما كان في هذا العام قويت عليه الأسقام وتواترت عليه الآلام فأحس من نفسه بالهلاك، ولم يفاده ولا دفع عنه أمرَ الله ما هو فيه من الأموال والملك وكثرة الرجال والأموال، ولا رد عنه جيشه من الديالم والأتراك والأعجام، مع كثرة العدد والعدد، بل تخلوا عنه أحوج ما كان إليهم، فسبحان الله الملك القادر القاهر العلّام. ولم يكن له ولد ذكر، فأرسل إلى أخيه ركن الدولة يستدعيه إليه وولده عضد الدولة، ليجعله ولي عهده من بعده، فلما قدم عليه فرح به فرحاً شديداً، وخرج بنفسه في جميع جيشه يتلقاه، فلما دخل به إلى دار المملكة أجلسه على السرير وقام بين يديه كأحد الأمراء، ليرفع من شأنه عند أمرائه ووزرائه وأعوانه. ثم عقد له البيعة على ما يملكه من البلدان والأموال، وتدبير المملكة والرجال. وفيهم من بعض رؤوس الأمراء كرامة لذلك، فشرع في القبض عليهم وقتل من شاء منهم وسجن آخرين، حتى تمهَّدت الأمور لعضد الدولة. ثم كانت وفاة عماد الدولة بشيراز في هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة، وكان من خيار الملوك في زمانه، وكان ممن حاز قصب السبق دون أقرانه، وكان هو أمير الأمراء، وبذلك كان يكاتبه الخلفاء، ولكن أخوه معز الدولة كان ينوب عنه في العراق والسواد. ولما مات عماد الدولة اشتغل الوزير أبو جعفر الضميري عن محاربة عمران بن شاهين الصياد ـ وكان قد كتب إليه معز الدولة أن يسير إلى شيراز ويضبط أمرها ـ فقوي أمر عمران بعد ضعفه، وكان من أمره ما سيأتي في موضعه والله تعالى أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان: **أبو جعفر النحاس النحوي.**

أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس

أبو جعفر المرادي المصري النحوي، المعروف بالنحاس، اللغوي المفسر الأديب، له مصنفات كثيرة في التفسير وغيره، وقد سمع الحديث ولقي أصحاب المبرد، وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة. قال ابن خلكان: لخمس خلون منها يوم السبت. وكان سبب وفاته أنه جلس عند المقياس يقطع شيئاً من العروض فظنه بعض العامة يسحر النيل فرفسه برجله فسقط فغرق، ولم يدر أين ذهب. وكان قد أخذ النحو عن علي بن سليمان الأحوص وأبي بكر الأنباري وأبي إسحاق الزجاج ونفطويه وغيرهم، وله مصنفات كثيرة مفيدة، منها تفسير القرآن والناسخ والمنسوخ، وشرح أبيات سيبويه، ولم يصنف مثله، وشرح المعلقات والدواوين العشرة، وغير ذلك. وروى الحديث عن النسائي وكان بخيلاً جداً، وانتفع الناس به. وفيها كانت وفاة الخليفة.

المستكفي بالله

عبد الله بن علي المكتفي بالله، وقد ولي الخلافة سنة وأربعة أشهر ويومين، ثم خلع وسملت عيناه كما تقدم ذكره. توفي في هذه السنة وهو معتقل في داره، وله من العمر ست وأربعون سنة وشهران.

علي بن ممشاد بن سحنون بن نصر

أبو المعدل، محدث عصره بنيسابور، رحل إلى البلدان وسمع الكثير وحدَّث وصنف مسنداً في أربعمائة جزء، وله غير ذلك مع شدة الإتقان والحفظ، وكثرة العبادة والصيانة والخشية لله عز وجل قال بعضهم: صحبته في السفر والحضر فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة. وله تفسير في مائتي جزء ونيف، دخل الحمام من غير مرض فتوفي فيه فجأة، وذلك يوم الجمعة الرابع عشر من شوال من هذه السنة رحمه الله.

علي بن محمد بن أحمد بن الحسن

أبو الحسن الواعظ البغدادي، ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى عرف بالمصري سمع الكثير وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان له مجلس وعظ يحضر فيه الرجال والنساء وكان يتكلم وهو مبرقع[1] لئلا يرى النساء حسن وجهه، وقد حضر مجلسه أبو بكر النقاش مستخفياً فلما سمع كلامه قام قائماً وشهر نفسه، وقال له: القصص بعدك حرام.

قال الخطيب: كان ثقة أميناً عارفاً، جمع حديث الليث وابن لهيعة وله كتب كثيرة في الزهد. توفي في ذي القعدة من هذه السنة، وله سبع وثمانون سنة والله أعلم.

---

(١) في ط: متبرقع، والمبرقع: الذي يضع على وجهه قناعاً أو غطاءً ليستره.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السنة المباركة في ذي القعدة منها رد الحجر الأسود المكي إلى مكانه في البيت، وقد كان القرامطة قد أخذوه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة كما تقدم وكان ملكهم إذ ذاك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسين الجنابي، ولما وقع هذا أعظم المسلمون ذلك، وقد بذل لهم الأمير بجكم التركي خمسين ألف دينار على أن يردوه إلى موضعه فلم يفعلوا، وقالوا: نحن أخذناه بأمر فلا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره. فلما كان في هذا العام حملوه إلى الكوفة وعلقوه على الأسطوانة السابعة من جامعها ليراه الناس، وكتب أخو أبي طاهر كتاباً فيه: إنا أخذنا هذا الحجر بأمر وقد رددناه بأمر من أمرنا بأخذه ليتم حج الناس ومناسكهم. ثم أرسلوه إلى مكة بغير شيء على قعود، فوصل في ذي القعدة من هذه السنة ولله الحمد والمنة، وكان مدة مغايبته عنده ثنتين وعشرين سنة، ففرح المسلمون فرحاً شديداً. وقد ذكر غير واحد أن القرامطة لما أخذوه حملوه على عدة جمال فعطبت تحته واعترى أسنمتها القرح، ولما ردوه حمله قعود[1] واحد ولم يصبه أذى.

وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان بجيش عظيم نحو من ثلاثين ألفاً إلى بلاد الروم فوغل[2] فيها وفتح حصوناً وقتل خلقاً وأسر أمماً وغنم شيئاً كثيراً ثم رجع، فأخذت عليه الروم الدرب الذي يخرج منه فقتلوا عامة من معه وأسروا بقيتهم واستردوا ما كان أخذه لهم، ونجا سيف الدولة في نفر يسير من أصحابه. وفيها مات الوزير أبو جعفر الضميري فاستوزر معز الدولة مكانه أبا محمد الحسين بن محمد المهلبي في جمادى الأولى. فاستفحل أمر عمران بن شاهين الصياد وتفاقم الأمر به، فبعث إليه معز الدولة جيشاً بعد جيش، كل ذلك يهزمهم مرة بعد مرة، ثم عدل معز الدولة إلى مصالحته واستعماله له على بعض تلك النواحي، ثم كان من أمره ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن داود بن باب شاذ

أبو الحسن المصري قدم بغداد. كان من أفاضل الناس وعلمائهم، بمذهب أبي حنيفة، مبسوط الذكاء قوي الفهم، كتب الحديث، وكان ثقة. مات ببغداد في هذه السنة ودفن بمقبرة الشونيزية ولم يبلغ من العمر أربعين سنة.

محمد القاهر بالله أمير المؤمنين

ابن المعتضد بالله، ولي الخلافة سنة وستة أشهر وسبعة أيام، وكان بطاشاً سريع الانتقام، فخاف منه وزيره أبو علي بن مقلة فاستتر منه وشرع في العمل عليه عند الأتراك،

---

(١) قعود: جمل.

(٢) وغل فيها: أي دخل وتوغل إلى مسافات بعيدة.

فخلعوه وسملوا عينيه وأودع دار الخلافة برهة من الدهر، ثم أخرج في سنة ثلاث وثلاثين إلى دار ابن طاهر، وقد نالته فاقة وحاجة شديدة، وسأل في بعض الأيام. ثم كانت وفاته في هذا العام، وله ثنتان وخمسون سنة، ودفن إلى جانب أبيه المعتضد.

محمد بن عبد الله بن أحمد: أبو عبد الله الصفار الأصبهاني محدث عصره بخراسان، سمع الكثير وحدَّث عن ابن أبي الدنيا ببعض كتبه، وكان مجاب الدعوة، ومكث لا يرفع رأسه إلى السماء نيفاً وأربعين سنة، وكان يقول: اسمي محمد واسم أبي عبد الله واسم أمي آمنة، يفرح بهذه الموافقة في الاسم واسم الأب واسم الأم، لأن النبي ﷺ كان اسمه محمد، واسم أبيه عبد الله، وأمه اسمها آمنة.

أبو نصر الفارابي [محمد بن محمد][(١)]

التركي الفيلسوف، وكان من أعلم الناس بالموسيقى، بحيث كان يتوسل به وبصناعته إلى الناس في الحاضرين من المستمعين إن شاء حرك ما يبكي أو يضحك أو ينوم. وكان حاذقاً في الفلسفة، ومن كتبه تفقه ابن سينا. وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين. مات بدمشق فيما قاله ابن الأثير في كامله، ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره في تاريخه لنتنه وقباحته فالله أعلم.

ثم دخلت سنة أربعين وثلاثمائة

فيها قصد صاحب عمان البصرة ليأخذها في مراكب كثيرة، وجاء لنصره أبو يعقوب الهجري فمانعه الوزير أبو محمد المهلبي وصده عنها، وأسر جماعة من أصحابه وسبى سبياً كثيراً من مراكبه فساقها معه في دجلة، ودخل بها إلى بغداد في أبهة عظيمة ولله الحمد. وفيها رفع إلى الوزير أبي محمد المهلبي رجل من أصحاب أبي جعفر بن أبي العز الذي كان قتل على الزندقة كما قتل الحلاج، فكان هذا الرجل يدعي ما كان يدعيه ابن أبي العز، وقد اتبعه جماعة من الجهلة من أهل بغداد، وصدقوه في دعواه الربوبية، وأن أرواح الأنبياء والصديقين تنتقل إليهم. ووجد في منزله كتب تدل على ذلك. فلما تحقق أنه هالك ادعى أنه شيعي ليحضر عند معز الدولة بن بويه. وقد كان معز الدولة بن بويه يحب الرافضة قبَّحه الله. فلما اشتهر عنه ذلك لم يتمكن الوزير منه خوفاً على نفسه من معز الدولة، وأن تقوم عليه الشيعة، إنا لله وإنا إليه راجعون. ولكنه احتاط على شيء من أموالهم، فكان يسميها أموال الزنادقة. قال ابن الجوزي: وفي رمضان منها وقعت فتنة عظيمة بسبب المذهب.

ومِمن توفي من الأعيان:

---

(١) سقط في ط.

أشهب بن عبد العزيز بن أبي داود بن إبراهيم أبو عمر العامري - نسبة إلى عمر بن لؤي - وكان أحد الفقهاء المشهورين. توفي في شعبان منها.

أبو الحسن الكرخي

أحد أئمة الحنفية المشهورين، ولد سنة ستين ومائتين وسكن بغداد ودرس بها فقه أبي حنيفة وانتهت إليه رئاسة أصحابه في البلاد، وكان متعبداً كثير الصلاة والصوم، صبوراً على الفقر، عزوفاً عما في أيدي الناس، وكان مع ذلك رأساً في الاعتزال، وقد سمع الحديث من إسماعيل بن إسحاق القاضي، وروى عنه حيوة وابن شاهين. وأصابه الفالج في آخر عمره، فاجتمع عنده بعض أصحابه واشتوروا فيما بينهم أن يكتبوا إلى سيف الدولة بن حمدان ليساعده بشيء يستعين به في مرضه، فلما علم بذلك رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عودتني. فمات عقب ذلك قبل أن يصل إليه ما أرسل به سيف الدولة، وهو عشرة آلاف درهم. فتصدقوا بها بعد وفاته في شعبان من هذه السنة عن ثمانين سنة، وصلّى عليه أبو تمام الحسن بن محمد الزينبي، وكان صاحبه، ودفن في درب أبي زيد على نهر الواسطيين.

محمد بن صالح بن يزيد

أبو جعفر الوراق سمع الكثير، وكان يفهم ويحفظ، وكان ثقة زاهداً لا يأكل إلا من كسب يده ولا يقطع صلاة الليل. وقال بعضهم: صحبته سنين كثيرة فما رأيته فعل إلا ما يرضي الله عز وجل. ولا قال إلا ما يسأل عنه، وكان يقوم أكثر الليل.

وفيها كانت وفاة **منصور بن قرابكين** صاحب الجيوش الخراسانية من جهة الأمير نوح الساماني من مرض حصل له، وقيل لأنه أدمن شرب الخمر أياماً متتابعة فهلك بسبب ذلك، فأقيم بعده في الجيوش **أبو علي المحتاج الزجاجي**، مصنف الجُمَلْ.

وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النحوي اللغوي البغدادي الأصل. ثم الدمشقي، مصنف الجمل في النحو، وهو كتاب نافع، كثير الفائدة، صنفه بمكة، وكان يطوف بعد كل باب منه ويدعو الله تعالى أن ينفع به. أخذ النحو أولاً عن محمد بن العباس اليزيدي، وأبي بكر بن دريد، وابن الأنباري توفي في رجب سنة سبع، وقيل سنة تسع وثلاثين، وقيل سنة أربعين توفي في دمشق وقيل بطبرية. وقد شرح كتابه الجمل بشروح كثيرة من أحسنها وأجمعها ما وضعه ابن عصفور والله أعلم.

ثم دخلت سنة إِحدى وأربعين وثلاثمائة

فيها ملكت الروم سروج وقتلوا أهلها وحرقوا مساجدها. قال ابن الأثير: وفيها قصد موسى بن وجيه صاحب عمان البصرة فمنعه منها المهلبي كما تقدم. وفيها نقم معز الدولة على وزيره فضربه مائة وخمسين سوطاً ولم يعزله بل رسم عليه. وفيها اختصم المصريون والعراقيون بمكة فخطبوا لصاحب مصر، ثم غلبهم العراقيون فخطبوا لركن الدولة بن بويه.

وفيها كانت وفاة:

المنصور الفاطمي

وهو أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله بن المهدي صاحب المغرب وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوماً، وكان عاقلاً شجاعاً فاتكاً قهر أبا يزيد الخارجي الذي كان لا يطاق شجاعة وإقداماً وصبراً، وكان فصيحاً بليغاً، يرتجل الخطبة على البديهة في الساعة الراهنة. وكان سبب موته ضعف الحرارة الغريزية كما أورده ابن الأثير في كامله، فاختلف عليه الأطباء، وقد عهد بالأمر إلى المعز الفاطمي وهو باني القاهرة المعزية كما سيأتي بيانه واسمه، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وعشرين سنة، وكان شجاعاً عاقلاً أيضاً حازم الرأي، أطاعه من البربر وأهل تلك النواحي خلق كثير، وبعث مولاه جوهر القائد فبنى له القاهرة المتاخمة لمصر، واتخذ له فيها دار الملك، وهما القصران اللذان هناك ـ اللذان يقال لهما بين القصرين اليوم ـ وذلك في سنة أربع وستين وثلاثمائة كما سيأتي. وممن توفي فيها من الأعيان [أحمد بن محمد بن بشر بن أدهم أبو سعد الأعرابي البصري سكن مكة وصار شيخ الحرم وصحب الجنيد وأسند الحديث وصنف كتاباً للصوفية][1].

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح

أبو علي الصفار أحد المحدثين، لقي المبرد واشتهر بصحبته، وكان مولده في سنة سبع وأربعين ومائتين، وسمع الحسن بن عرفة وعباساً الدوري وغيرهما، وروى عنه جماعة منهم الدارقطني. وقال صام أربعة وثمانين رمضان، وقد كانت وفاته في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله تعالى.

أحمد بن محمد بن زياد

ابن يونس بن درهم أبو سعيد بن الأعرابي، سكن مكة وصار شيخ الحرم، وصحب الجنيد بن محمد والنوري وغيرهما، وأسند الحديث وصنف كتباً للصوفية.

إسماعيل بن القائم بن المهدي الملقب بالمنصور العبيدي الذي يزعم أنه فاطمي، صاحب بلاد المغرب. وهو والد المعز باني القاهرة، وهو باني المنصورية ببلاد المغرب.

قال أبو جعفر المروزي: خرجت معه لما كسر أبا يزيد الخارجي، فبينما أنا أسير إذ سقط رمحه فنزلت فناولته إياه وذهبت أفاكهه بقول الشاعر:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى ... كَمَا قَرَّ عَيْناً بِالإِيَابِ المُسَافِرُ

فقال: هلا قلت كما قال الله تعالى: ﴿فألقى موسى عصاه فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

﴿فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ قال فقلت له: أنت ابن بنت رسول الله ﷺ قلت ببعض ما علمت، وأنا قلت بما بلغ به أكثر علمي.

قال ابن خلكان: وهذا كما جرى لعبد الملك بن مروان حين أمر الحجاج أن يبني باباً ببيت المقدس ويكتب عليه اسمه، فبنى له باباً وبنى لنفسه باباً آخر، فوقعت صاعقة على باب عبد الملك فأحرقته، فكتب إليه الحجاج بالعراق يسأله عما أهمه من ذلك يقول: ما أنا وأنت إلا كما قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقِّ إذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ﴾. فرضي عنه الخليفة بذلك. توفي المنصور في هذه السنة من برد شديد والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وثلاثمائة

فيها دخل سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب إلى بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر آخرين، وغنم أموالاً جزيلة، ورجع سالماً غانماً. وفيها اختلف الحجيج بمكة ووقعت حروب بين أصحاب ابن طغج وأصحاب معز الدولة، فغلبهم العراقيون وخطبوا لمعز الدولة، ثم بعد انقضاء الحج اختلفوا أيضاً فغلبهم العراقيون أيضاً وجرت حروب كثيرة بين الخراسانية والسامانية تقصاها ابن الأثير في كامله. وممن توفي فيها من الأعيان:

علي بن محمد بن أبي الفهم

أبو القاسم التنوخي جد القاضي أبي القاسم التنوخي شيخ الخطيب البغدادي، ولد بأنطاكية، وقدم بغداد فتفقه بها على مذهب أبي حنيفة، وكان يعرف الكلام على طريقة المعتزلة، ويعرف النجوم ويقول الشعر، ولِّي القضاء بالأهواز وغيرها، وقد سمع الحديث من البغوي وغيره، وكان فهماً ذكياً حفظ وهو ابن خمس عشرة سنة قصيدة دعبل الشاعر في ليلة واحدة، وهي ستمائة بيت، وعرضها على أبيه صبيحتها فقام إليه وضمه وقبّل بين عينيه وقال: يا بني لا تخبر بهذا أحداً لئلا تصيبك العين. وذكر ابن خلكان أنه كان نديماً للوزير المهلبي، ووفد على سيف الدولة بن حمدان فأكرمه وأحسن إليه، وأورد له من شعره أشياء حسنة فمن ذلك قوله في الخمر:

وَرَاحٍ[1] مِنَ الشَّمْسِ مَخْلُوقَةٌ ... بَدَتْ لَكَ فِي قَدَحٍ مِنْ نَهَارِ
هَوَاءٌ، وَلٰكِنَّهُ جَامِدٌ ... وَمَاءٌ، وَلٰكِنَّهُ لَيس جَارِ
كَأَنَّ المُدِيرَ لَهُ بِاليَمِيـ ... ـنِ، إذا مَالَ لِلفَيْءِ أوْ بالنهار
تَدَرَّعَ[2] ثَوْباً مِنَ اليَاسَمِيـ ... ـنِ لَهُ بُرْدُكُمٌ مِنَ الجُلَّنَارِ

(١) الراح: الخمر.
(٢) تدرع: لبس الدرع.

محمد بن إبراهيم

ابن الحسين بن الحسن بن عبد الخلاق أبو الفرج البغدادي الفقيه الشافعي يعرف بابن سكرة سكن مصر وحدث بها وسمع منه أبو الفتح بن مسرور، وذكر أن فيه ليناً.

محمد بن موسى بن يعقوب

ابن المأمون بن الرشيد هارون أبو بكر، ولِّيَ إمره مكة في سنة ثمانٍ وستين ومائتين، وقدم مصر فحدث بها عن علي بن عبد العزيز البغوي بموطأ مالك. وكان ثقة مأموناً توفي بمصر في ذي الحجة منها.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة

فيها كانت وقعة بين سيف الدولة بن حمدان وبين الدمستق، فقتل خلقاً من أصحاب الدمستق وأسر آخرين في جماعة من رؤساء بطارقته، وكان في جملة من قتل قسطنطين بن الدمستق، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة، ثم جمع الدمستق خلقاً كثيراً فالتقوا مع سيف الدولة في شعبان منها، فجرت بينهم حروب عظيمة وقتال شديد، فكانت الدائرة للمسلمين وخذل الله الكافرين، فقتل منهم خلق كثير، وأسر جماعة من الرؤساء، وكان منهم صهر الدمستق وابن بنته أيضاً. وفيها حصل للناس أمراض كثيرة وحمى وأوجاع في الحلق.

وفيها مات **الأمير الحميد بن نوح بن نصر الساماني** صاحب خراسان وما وراء النهر، وقام بالأمر من بعده ولده عبد الملك.

ومِمن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن أحمد

أبو علي الكاتب المصري، صحب أبا علي الروذباري وغيره، وكان عثمان المغربي يعظم أمره ويقول: أبو علي الكاتب من السالكين إلى الله. ومن كلامه الذي حكاه عنه أبو عبدِ الرحمن السلمي قوله: روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها، وتبدو عليهم وإن ستروها. وأنشد:

إذا مَـا اسْـتَـتَـرَتْ أَنْـفُـسُ الـنَّـاسِ ذِكْـرَهُ ... تَـبَـيَّـنَ فِـيـهِـمْ طِـيـبُـهُ مَـا تَـكَـلَّـمُـوا
تُـطَـيِّـبُـهُـمْ أَنْـفَـاسُـهُـمْ فَـتُـذِيـعُـهَـا ... وَهَـلْ سِـرُّ مِـسْـكٍ أُودِعَ الـرِّيـحَ يُـكْـتَـمُ؟

علي بن محمد بن عقبة بن همام

أبو الحسن الشيباني الكوفي، قدم بغداد فحدث بها عن جماعة وروى عنه الدارقطني. وكان ثقة عدلاً كثير التلاوة فقيهاً، مكث يشهد على الحكام ثلاثاً وسبعين سنة، مقبولاً عندهم، وأذن في مسجد حمزة الزيات نيفاً وسبعين سنة، وكذلك أبوه من قبله.

محمد بن علي بن أحمد بن العباس

الكرخي الأديب، كان عالماً زاهداً ورعاً، يختم القرآن كل يوم ويديم الصوم، سمع الحديث من عبدان وأقرانه.

أبو الخير التيناني

العابد الزاهد، أصله من العرب، كان مقيماً بقرية يقال لها تينان من عمل أنطاكية، ويعرف بالأقطع لأنه كان مقطوع اليد، كان قد عاهد الله عهداً ثم نكثه، فاتفق له أنه مسك مع جماعة من اللصوص في الصحراء وهو هناك سائح يتعبد، فأخذ معهم فقطعت يده معهم، وكانت له أحوال وكرامات، وكان ينسج الخوص بيده الواحدة. دخل عليه بعض الناس فشاهد منه ذلك فأخذ منه العهد أن لا يخبر به أحداً ما دام حيّاً، فوفى له بذلك.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: فيها شمل الناس ببغداد وواسط وأصبهان والأهواز داء مركب من دم وصفراء ووباء، مات بسبب ذلك خلق كثير، بحيث كان يموت في كل يوم قريب من ألف نفس، وجاء فيها جراد عظيم أكل الخضروات والأشجار والثمار. وفي المحرم منها عقد معز الدولة لابنه أبي منصور بختيار الأمر من بعده بإمرة الأمراء. وفيها خرج رجل من أذربيجان ادعى أنه يعلم الغيب، وكان يحرم اللحم وما يخرج من الحيوانات، فأضافه مرة رجل فجاءه بطعام كشكية بشحم فأكله، فقال له الرجل بحضرة من معه: إنك تدعي أنك تعلم الغيب وهذا طعام فيه شحم وأنت تحرمه فلم لا علمته؟ فتفرق عنه الناس. وفيها جرت حروب كثيرة بين المعز الفاطمي وبين صاحب الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموي، استقصاها ابن الأثير.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عثمان بن أحمد

ابن عبد الله بن يزيد أبو عمرو الدقاق، المعروف بابن السماك، روى عن حنبل بن إسحاق وغيره، وعنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة ثبتاً، كتب المصنفات الكثيرة بخطه، توفي في ربيع الأول منها ودفن بمقبرة باب التبن، وحضر جنازته خمسون ألفاً.

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

أبو جعفر القاضي السمناني، ولد سنة إحدى وستين ومائتين، وسكن بغداد وحدث بها، وكان ثقة عالماً سخياً حسن الكلام، عراقي المذهب، وكانت داره مجمع العلماء، ثم ولّي قضاء الموصل وتوفي بها في هذه السنة في ربيع الأول منها.

محمد بن أحمد بن بطة بن إسحاق الأصبهاني

أبو عبد الله سكن نيسابور ثم عاد إلى أصبهان. وليس هذا بعبد الله بن بطة العكبري،

هذا متقدم عليه، هذا شيخ الطبراني وابن بطة الثاني يروي عن الطبراني، وهذا بضم الباء من بطة، وابن بطة الثاني وهو الفقيه الحنبلي بفتحها. وقد كان جدّ هذا، وهو ابن بطة بن إسحاق أبو سعيد، من المحدثين أيضاً. ذكره ابن الجوزي في منتظمه.

محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج

أبو النضر الفقيه الطوسي، كان عالماً ثقة عابداً. يصوم النهار ويقوم الليل، ويتصدق بالفاضل من قوته، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد رحل في طلب الحديث إلى الأقاليم النائية والبلدان المتباعدة، وكان قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء، فثلث للنوم، وثلث للتصنيف، وثلث للقراءة. وقد رآه بعضهم في النوم بعد وفاته فقال له: وصلت إلى ما طلبت؟ فقال: إي والله نحن عند رسول الله ﷺ وقد عرضت مصنفاتي في الحديث عليه فقبلها.

أبو بكر بن الحداد

الفقيه الشافعي، هو محمد بن أحمد بن محمد أبو بكر بن الحداد أحد أئمة الشافعية، روى عن النسائي، وقال: رضيت به حجة بيني وبين الله عز وجل. وقد كان ابن الحداد فقيهاً فروعياً، ومحدثاً ونحوياً وفصيحاً في العبارة دقيق النظر في الفروع، له كتاب في ذلك غريب الشكل، وقد ولِّيَ القضاء بمصر نيابة عن أبي عبيد بن حربويه. ذكرناه في طبقات الشافعية.

أبو يعقوب الأذرعي

إسحاق بن إبراهيم بن هاشم بن يعقوب النهدي، قال ابن عساكر: من أهل أذرعات ـ مدينة بالبلقاء ـ أحد الثقات من عباد الله الصالحين. رحل وحدث عنه جماعة من أجل أهل دمشق وعبادها وعلمائها، وقد روى عنه ابن عساكر أشياء تدل على صلاحه وخرق العادة له، فمن ذلك أنه قال: إني سألت الله أن يقبض بصري فعميت، فلما استضررت بالطهارة سألت الله عوده فرده علي. توفي بدمشق في هذه السنة ـ سنة أربع وخمسين ـ وصححه ابن عساكر وقد نيف على التسعين.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

وفيها عصى الروزبهان على معز الدولة وانحاز إلى الأهواز ولحق به عامة من كان مع المهلبي الذي كان يحاربه، فلما بلغ ذلك معز الدولة لم يصدقه لأنه كان قد أحسن إليه ورفع من قدره بعد الضعة والخمول، ثم تبين له أن ذلك حق فخرج لقتاله وتبعه الخليفة المطيع لله خوفاً من ناصر الدولة بن حمدان فإنه قد بلغه أنه جهز جيشاً مع ولده أبي المرجا جابر إلى بغداد ليأخذها، [حين بلغه أن معز الدولة قد خرج منها](1) فأرسل معز الدولة حاجبه

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

سبكتكين إلى بغداد، وصمد معز الدولة إلى الروزبهان فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهزمه معز الدولة وفرق أصحابه وأخذه أسيراً إلى بغداد فسجنه، ثم أخرجه ليلاً وغرقه، لأن الديلم أرادوا إخراجه من السجن قهراً. وانطوى ذكر روزبهان وإخوته، وكان قد اشتعل اشتعال النار. وحظيت الأتراك عند معز الدولة وانحطت رتبة الديلم عنده، لأنه ظهر له خيانتهم في أمر الروزبهان وإخوته.

وفيها دخل سيف الدولة إلى بلاد الروم فقتل وسبى ورجع إلى حلب، فحميت الروم فجمعوا وأقبلوا إلى ميافارقين فقتلوا وسبوا وحرقوا ورجعوا، وركبوا في البحر إلى طرسوس فقتلوا من أهلها ألفاً وثمانمائة، وسبوا وحرقوا قرى كثيرة. وفيها زلزلت همذان زلزالاً شديداً تهدمت البيوت وانشق قصر شيرين بصاعقة، ومات تحت الهدم خلق كثير لا يحصون كثرة ووقعت فتنة عظيمة بين أهل أصبهان وأهل قم بسبب سبّ الصحابة من أهل قم، فثاروا عليهم أهل أصبهان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ونهبوا أموال التجار، فغضب ركن الدولة لأهل قم، لأنه كان شيعياً، فصادر أهل أصبهان بأموال كثيرة.

وفيها توفي من الأعيان:

غلام ثعلب

محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمرو الزاهد غلام ثعلب، روى عن الكديمي وموسى بن سهل الوشاء وغيرهما، روى عنه جماعة، وآخر من حدث عنه أبو علي بن شاذان وكان كثير العلم والزهد حافظاً مطيقاً يملي من حفظه شيئاً كثيراً، ضابطاً لما يحفظه. ولكثرة إغرابه اتهمه بعض الرواة ورماه بالكذب، وقد اتفق له مع القاضي أبي عمر حكاية - وكان يؤدب ولده - فإنه أملى من حفظه ثلاثين مسألة بشواهدها وأدلتها من لغة العرب، واستشهد على بعضها ببيتين غريبين جداً، فعرضهما القاضي أبو عمر على ابن دريد وابن الأنباري وابن مقسم، فلم يعرفوا منها شيئاً. حتى قال ابن دريد: هذا ما وضعه أبو عمرو من عنده، فلما جاء أبو عمرو ذكر له القاضي ما قاله ابن دريد عنه، فطلب أبو عمرو أن يحضر له من كتبه دواوين العرب. فلم يزل أبو عمرو يعمد إلى كل مسألة ويأتيه بشاهد بعد شاهد حتى خرج من الثلاثين مسألة ثم قال: وأما البيتان فإن ثعلباً أنشدناهما وأنت حاضر فكتبتهما في دفترك الفلاني، فطلب القاضي دفتره فإذا هما فيه، فلما بلغ ذلك ابن دريد كف لسانه عن أبي عمرو الزاهد فلم يذكره حتى مات. توفي أبو عمرو هذا يوم الأحد ودفن يوم الاثنين الثالث عشر من ذي القعدة، ودفن في الصفة المقابلة لقبر معروف الكرخي ببغداد رحمه الله.

محمد بن علي بن أحمد بن رستم

أبو بكر المادرائي الكاتب، ولد في سنة خمس وخمسين ومائتين بالعراق، ثم صار إلى مصر هو وأخوه أحمد مع أبيهما، وكان على الخراج لخمارويه بن أحمد بن طولون، ثم صار هذا الرجل من رؤساء الناس وأكابرهم، سمع الحديث من أحمد بن عبد الجبار

وطبقته. وقد روى الخطيب عنه أنه قال كان ببابي شيخ كبير من الكتاب قد تعطل عن وظيفته، فرأيت والدي في المنام وهو يقول: يا بني أما تتقي الله؟ أنت مشغول بلذاتك والناس ببابك يهلكون من العري والجوع، هذا فلان قد تقطع سراويله ولا يقدر على إبداله، فلا تهمل أمره. فاستيقظت مذعوراً وأنا ناوٍ له الإحسان، ثم نمت [ثم استيقظت][(١)] فأنسيت المنام، فبينا أنا أسير إلى دار الملك، فإذا بذلك الرجل الذي ذكره على دابة ضعيفة، فلما رآني أراد أن يترجل لي فبدا لي فخذه وقد لبس الخف بلا سراويل، فلما رأيت ذلك ذكرت المنام فاستدعيت به وأطلقت له ألف دينار وثياب، ورتبت له على وظيفته مائتي دينار كل شهر، ووعدته بخير في الآجل أيضاً.

أحمد بن محمد بن إسماعيل

ابن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، الشريف الحسني الرسِّي ـ قبيلة من الأشراف ـ أبو القاسم المصري الشاعر ـ وكان نقيب الطالبيين بمصر ومن شعره قوله:

قَالَتْ لِطَيْفِ خَيَالٍ زَارَنِي وَمَضَى بِاللهِ صِفْهُ، وَلا تَنْقُصْ وَلا تَزِدِ
فَقُلْتُ: أَبْصَرْتُهُ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ وَقُلْتِ: قِفْ لا تَرِدْ ذَا المَاءَ لَمْ يَرِد
قَالَتْ: صَدَقْتَ، وَفَاءُ الحُبِّ عَادَتُهُ يَا بَرْدَ ذَاكَ الَّذِي قَالَتْ عَلَى كَبِدِي

توفي ليلة الثلاثاء لخمس بقين من [شعبان من][(٢)] هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة

فيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وأهل السنة بسبب السبّ، فقتل من الفريقين خلق كثير. وفيها نقص البحر المالح ثمانين ذراعاً. ويقال باعاً[(٣)]. فبدت به جبال وجزائر وأماكن لم تكن ترى قبل ذلك. وفيها كان بالعراق وبلاد الري والجبل وقم ونحوها زلازل كثيرة مستمرة نحو أربعين يوماً، تسكن ثم تعود، فتهدمت بسبب ذلك أبنية كثيرة وغارت مياه كثيرة، ومات خلق كثير. وفيها تجهز معز الدولة بن بويه لقتال ناصر الدولة بن حمدان الذي بالموصل، فراسله ناصر الدولة والتزم له بأموال يحملها إليه كل سنة، فسكت عنه، ثم إنه مع ما اشترط على نفسه لم يرجع عنه معز الدولة بل قصده في السنة الآتية كما سيأتي بيانه. وفي تشرين منها كثرت في الناس أورام في حلوقهم ومناخرهم، وكثر فيهم موت الفجأة، حتى أن لصاً نقب داراً ليدخلها فمات وهو في النقب. ولبس القاضي خلعة القضاء ليخرج للحكم فلبس إحدى خفيه فمات قبل أن يلبس الأخرى.

---

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط.

(٣) الباع: المسافة ما بين الكفين إذا بُسطت الذراعان.

ومِمن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن عبد الله بن الحسين

أبو هريرة العذري، المستملي على المشايخ، كتب عن أبي مسلم الكجي وغيره، وكان ثقة توفي في ربيع الأول منها.

الحسن بن خلف بن شاذان

أبو علي الواسطي روى عن إسحاق الأزرق ويزيد بن هارون وغيرهما، وروى عنه البخاري في صحيحه. توفي في هذه السنة. هكذا رأيت ابن الجوزي ذكر هذه الترجمة في هذه السنة في منتظمه والله أعلم.

أبو العباس الأصمّ

محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله الأموي مولاهم أبو العباس الأصم مولده في سنة سبع وأربعين ومائتين، رأى الذهلي ولم يسمع منه، ورحل به أبوه إلى أصبهان ومكة ومصر والشام والجزيرة وبغداد وغيرها من البلاد، فسمع الكثير بها عن الجم الغفير، ثم رجع إلى خراسان وهو ابن ثلاثين سنة، وقد صار محدثاً كبيراً، ثم طرأ عليه الصمم فاستحكم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار، وكان مؤذناً في مسجده ثلاثين سنة، وحدث ستاً وسبعين سنة، فألحق الأحفاد بالأجداد وكان ثقة صادقاً ضابطاً لما سمعه ويسمعه، كف بصره قبل موته بشهر، وكان يحدث من حفظه بأربعة عشر حديثاً، وسبع حكايات ومات وقد بقي له سنة من المائة.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

فيها كانت زلزلة ببغداد في شهر نيسان وفي غيرها من البلاد الشرقية فمات بسببها خلق كثير، وخربت دور كثيرة، وظهر في آخر نيسان وشهر أيار جراد كثير أتلف الغلات الصيفية والثمار. ودخلت الروم آمد، وميافارقين، فقتلوا ألفاً وخمسمائة إنسان، وأخذوا مدينة سميساط وأخربوها. وفي المحرم منها ركب معز الدولة إلى الموصل فأخذها من يد ناصر الدولة، وهرب منها ناصر الدولة إلى نصيبين، ثم إلى ميافارقين، فلحقه معز الدولة فصار إلى حلب إلى عند أخيه سيف الدولة، ثم أرسل سيف الدولة إلى معز الدولة في المصالحة بينه وبين أخيه، فوقع الصلح على أن يحمل ناصر الدولة في كل سنة ألفي ألف وتسعمائة ألف، ورجع معز الدولة إلى بغداد بعد انعقاد الصلح، وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقاً وخراسان وغير ذلك من البلاد، كانوا رفضاً، وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، فكثر السب والتكفير منهم للصحابة.

وفيها بعث المعز الفاطمي مولاه أبا الحسن جوهر القائد في جيوش معه ومعه

زيري بن عناد الصنهاجي ففتحوا بلاداً كثيرة في أقصى بلاد المغرب، حتى انتهوا إلى البحر المحيط، فأمر جوهر بأن يصطاد له منه سمك، فأرسل به في قلال الماء إلى المعز الفاطمي، وحظي عنده جوهر وعظم شأنه حتى صار بمنزلة الوزير.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الزبير بن عبد الرحمن

ابن محمد بن زكريا بن صالح بن إبراهيم. أبو عبد الله الاستراباذي، رحل وسمع الحديث وطوف الأقاليم، سمع الحسن بن سفيان وابن خزيمة وأبا يعلى وخلقاً، وكان حافظاً متقناً صدوقاً، صنف الشروح والأبواب.

أبو سعيد بن يونس

صاحب تاريخ مصر. هو عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري المؤرخ، كان حافظاً مكثراً خبيراً بأيام الناس وتواريخهم، له تاريخ مفيد جداً لأهل مصر ومن ورد إليها. وله ولد يقال له أبو الحسن علي، كان منجماً له زيج[1] مفيد يرجع إليه أصحاب هذا الفن، كما يرجع أصحاب الحديث إلى أقوال أبيه وما يؤرخه وينقله ويحكيه، ولد الصدفي سنة إحدى وثمانين ومائتين وتوفي في هذه السنة يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الآخرة في القاهرة.

ابن درستويه النحوي

عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان أبو محمد الفارسي النحوي، سكن بغداد وسمع عباساً الدوري وابن قتيبة والمبرد، وسمع منه الدارقطني وغيره من الحفاظ، وأثنى عليه غير واحد، منهم أبو عبد الله بن منده، توفي في صفر منها، وذكر له ابن خلكان مصنفات كثيرة مفيدة، فيما يتعلق باللغة والنحو وغيره.

محمد بن الحسن

ابن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، أبو الحسن القرشي الأموي قاضي بغداد، وكان حسن الأخلاق طلابة للحديث، ومع هذا كان ينسب إلى أخذ الرشوة في الأحكام والولايات رحمه الله.

محمد بن علي

أبو عبد الله الهاشمي الخاطب الدمشقي. وأظنه الذي تنسب إليه حارة الخاطب من نواحي باب الصغير، كان خطيب دمشق في أيام الإخشيد، وكان شاباً حسن الوجه مليح

(١) الزيج: يدل على حركة الكواكب ومنه يستخرج التقويم.

الشكل، كامل الخلق. توفي يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق كثير لا يحصون كثرة، هكذا أرخه ابن عساكر، ودفن بباب الصغير.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة

فيها كانت فتنة بين الرافضة وأهل السنة قتل فيها خلق كثير، ووقع حريق بباب الطاق، وغرق في دجلة خلق كثير من الحجاج الموصل، نحو من ستمائة نفس وفيها دخلت الروم طرسوس والرها وقتلوا وسبوا، وأخذوا الأموال ورجعوا. وفيها قلّت الأمطار وغلت الأسعار واستسقى الناس فلم يسقوا وظهر جراد عظيم في آذار فأكل كل ما نبت من الخضروات، فاشتد الأمر جداً على الخلق فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وفيها عاد معز الدولة إلى بغداد من الموصل وزوج ابنته من ابن أخيه مؤيد الدولة بن معز الدولة، وسيَّرها معه إلى بغداد.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إبراهيم بن شيبان [أبو إسحاق][١] القرميكيني

شيخ الصوفية بالجبل، صحب أبا عبد الله المغربي. ومن جيد كلامه قوله: إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه، وطرد عنه الرغبة في الدنيا.

أبو بكر النجاد

أحمد بن سليمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس، أبو بكر النجاد الفقيه، أحد أئمة الحنابلة ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين، سمع عبد الله بن أحمد وأبا داود، والباغندي وابن أبي الدنيا وخلقاً كثيراً، وإنما كان يطلب الحديث ماشياً حافياً، وقد جمع المسند وصنف في السنن كتاباً كبيراً، وكان له بجامع المنصور حلقتان، واحدة للفقه وأخرى لإملاء الحديث، وحدث عنه الدارقطني وابن رزقويه وابن شاهين وأبو بكر بن مالك القطيعي وغيرهم، وكان يصوم الدهر ويفطر كل ليلة على رغيف ويعزل[٢] منه لقمة، فإذا كانت ليلة الجمعة أكل تلك اللقم وتصدق بالرغيف صحيحاً. توفي ليلة الجمعة لعشرين من ذي الحجة عن خمس وتسعين سنة ودفن قريباً من قبر [بشر بن الحارث][٣] الحافي رحمه الله.

جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم

أبو محمد الخواص المعروف بالخلدي، سمع الكثير وحدث كثيراً، وحج ستين حجة، وكان ثقة صدوقاً ديّناً.

---

(١) سقط في ط.
(٢) يعزل: يوفر.
(٣) سقط في ط.

محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد

أبو عمر الزجاج النيسابوري، صحب أبا عثمان والجنيد والنوري والخواص وغيرهم، وأقام بمكة وكان شيخ الصوفية بها، وحج ستين حجة، ويقال إنه مكث أربعين سنة لم يتغوط ولم يبل إلا خارج الحرم بمكة.

محمد بن جعفر بن محمد بن فضالة

ابن يزيد بن عبد الملك أبو بكر الأدمي، صاحب الألحان، كان حسن الصوت بتلاوة القرآن وربما سمع صوته من بعد في الليل، وحج مرة مع أبي القاسم البغوي، فلما كانوا بالمدينة دخلوا المسجد النبوي فوجدوا شيخاً أعمى يقص على الناس أخباراً موضوعة مكذوبة، فقال البغوي: ينبغي الإنكار عليه، فقال له بعض الجماعة: إنك لست ببغداد يعرفك الناس إذا أنكرت عليه، ومن يعرفك هنا قليل والجمع كثير، ولكن نرى أن تأمر أبا بكر الأدمي فيقرأ، فأمره فاستفتح فقرأ فلم يتم الاستعاذة حتى انجفل الناس عن ذلك الأعمى وتركوه وجاؤوا إلى أبي بكر ولم يبق عند الضرير أحد، فأخذ الأعمى بيد قائده وقال له: اذهب بنا فهكذا تزول النعم. توفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ربيع الأول من هذه السنة، عن ثمان وثمانين سنة، وقد رآه بعضهم في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: وقفني بين يديه وقاسيت شدائد وأهوالاً. فقلت له: فتلك القراءة الحسنة وذلك الصوت الحسن وتلك المواقف؟ فقال: ما كان شيء أضر عليَّ من ذلك، لأنها كانت للدنيا. فقلت: إلى أي شيء انتهى أمرك؟ فقال: قال الله عز وجل آليت على نفسي أن لا أعذب أبناء الثمانين.

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي

ابن الحسن بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي المصري، كان من ساداتها وكبرائها، لا تزال الحلوى تعقد بداره، ولا يزال رجل يكسر اللوز بسببها، وللناس عليه رواتب من الحلوى، فمنهم من يهدي إليه كل يوم، ومنهم في الجمعة، ومنهم في الشهر. وكان لكافور الإخشيد عليه في كل يوم جامان ورغيف من الحلوى، ولما قدم المعز الفاطمي إلى القاهرة وتلقاه سأله: إلى من ينتسب مولانا من أهل البيت؟ فقال: الجواب إلى أهل البلد، فلما دخل القصر جمع الأشراف وسل نصف سيفه وقال هذا نسبي، ثم نثر عليهم الذهب وقال: هذا حسبي. فقالوا: سمعنا وأطعنا. والصحيح أن القائل للمعز هذا الكلام ابن هذا[1] أو شريف آخر والله أعلم. فإن وفاة هذا كانت في هذا العام عن اثنتين وستين سنة، والمعز إنما قدم مصر في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كما سيأتي.

---

(١) كذا بالأصل.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة

فيها ظهر رجل بأذربيجان من أولاد عيسى بن المكتفي بالله فلقب بالمستجير بالله ودعا إلى الرضا من آل محمد، وذلك لفساد دولة المرزبان في ذلك الزمان، فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم أصحاب المستجير وأخذ أسيراً فمات، واضمحل أمره. وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم فقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وفتح حصوناً وأحرق بلداناً كثيرة، وسبى وغنم وكر راجعاً، فأخذت الروم عليه فمنعوه من الرجوع ووضعوا السيف في أصحابه فما نجا هو في ثلاثمائة فارس إلا بعد جهد جهيد. وفي كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة قتل فيها خلق كثير، وفي آخرها توفي أتوجور بن الإخشيد صاحب مصر، فأقام بالأمر بعده أخوه علي. وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي الذي كان صاحب الأهواز وواسط. وفيها رجع حجيج مصر من مكة فنزلوا وادياً فجاءهم سيل فأخذهم كلهم فألقاهم في البحر عن آخرهم. وفيها أسلم من الترك مائتا ألف خركاه[1] فسموا ترك إيمان، ثم خفف اللفظ بذلك، فقيل تركمان:

وممن توفي فيها من الأعيان:

جعفر بن حرب الكاتب

كانت له نعمة وثروة عظيمة تقارب أبهة الوزارة، فاجتاز يوماً وهو راكب في موكب له عظيم، فسمع رجلاً يقرأ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦] فصاح: اللهم بلى، وكررها دفعات ثم بكى ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه وطرحها ودخل إلى دجلة فاستتر بالماء ولم يخرج منه حتى فرق جميع أمواله في المظالم التي كانت عليه، وردها إلى أهلها، وتصدق بالباقي ولم يبق له شيء بالكلية، فاجتاز به رجل فتصدق عليه بثوبين فلبسهما وخرج فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات رحمه الله.

أبو علي الحافظ

ابن علي بن يزيد بن داود أبو علي الحافظ النيسابوري، أحد أئمة الحفاظ المتقنين المكثرين المصنفين.

قال الدارقطني: كان إماماً مهذباً، وكان ابن عقدة لا يتواضع لأحد كتواضعه له. توفي في جمادى الآخرة عن اثنتين وخمسين سنة.

حسان بن محمد بن أحمد بن مروان

أبو الوليد القرشي الشافعي إمام أهل الحديث بخراسان في زمانه، وأزهدهم وأعبدهم، أخذ الفقه عن ابن سريج وسمع الحديث من الحسن بن سفيان وغيره، وله التصانيف

(١) الخركاه: النفس.

المفيدة، وقد ذكرنا ترجمته في الشافعيين. كانت وفاته ليلة الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول من هذه السنة، عن اثنتين وسبعين سنة.

حَمْدُ بن إبراهيم بن الخطاب

أبو سليمان الخطابي، سمع الكثير وصنف التصانيف الحسان، منها المعالم شرح فيها سنن أبي داود، والأعلام شرح فيه البخاري، وغريب الحديث. وله فهم مليح وعلم غزير ومعرفة باللغة والمعاني والفقه. ومن أشعاره قوله:

مـا دُمْـتَ حَـيّـاً فَـدَارِ الـنَّـاسَ كُـلَّـهُـمُ ... فَـإِنَّـمَـا أَنْـتَ فِـي دَارِ الـمُـدَارَاةِ

مَنْ يَـدْرِ دَارَى وَمَـنْ لَـمْ يَـدْرِ سَـوْفَ يُـرَى ... عَـمَّـا قَـلِـيـلٍ نَـدِيـمـاً لِـلـنَّـدَامَـاتِ

هكذا ترجمه أبو الفرج بن الجوزي في حرفاً بحرف.

عبد الواحد بن عمر بن محمد

ابن أبي هاشم. كان من أعلم الناس بحروف القراءات، وله في ذلك مصنفات، وكان من الأمناء الثقات، روى عن ابن مجاهد وأبي بكر بن أبي داود، وعنه أبو الحسن الحماني، توفي في شوال منها، ودفن بمقبرة الخيزران.

أبو أحمد العسال

الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد أبو أحمد العسال الأصبهاني أحد أئمة الحفاظ وأكابر العلماء، سمع الحديث وحدث به.

قال ابن منده: كتبت عن ألف شيخ لم أر أفهم ولا أتقن من أبي أحمد العسال. توفي في رمضان منها رحمه الله. والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة خمسين وثلاثمائة

في المحرم منها مرض معز الدولة بن بويه بانحصار البول فقلق من ذلك وجمع بين صاحبه سبكتكين ووزيره المهلبي، وأصلح بينهما ووصاهما بولده بختيار خيراً، ثم عوفي من ذلك فعزم على الرحيل إلى الأهواز لاعتقاده أن ما أصابه من هذه العلة بسبب هواء بغداد ومائها، فأشاروا عليه بالمقام بها، وأن يبني بها داراً في أعلاها حيث الهواء أرق والماء أصفى، فبنى له داراً غرم عليه[1] ثلاثة عشر ألف ألف درهم، فاحتاج لذلك أن يصادر بعض أصحابه، ويقال أنفق عليها ألفي ألف دينار، ومات وهو يبني فيها ولم يسكنها، وقد خرب أشياء كثيرة من معالم الخلفاء ببغداد في بنائها، وكان مما خرب المعشوق من سر من رأى، وقلع الأبواب الحديد التي على مدينة المنصور والرصافة وقصورها، وحوّلها إلى داره هذه، لا تمت فرحته بها، فإنه كان رافضياً خبيثاً.

(١) غرم عليه: أنفق وتكلّف.

وفيها مات القاضي أبو السائب عتبة بن عبد الله وقبضت أملاكه، ووَلِّي بعده القضاء أبو عبد الله الحسين بن أبي الشوارب، وضمن أن يؤدي في كل سنة إلى معز الدولة مائتي ألف درهم، فخلع عليه معز الدولة وسار ومعه الدبابات والبوقات إلى منزله، وهو أول من ضمن القضاء ورشا[1] عليه والله أعلم. ولم يأذن له الخليفة المطيع لله في الحضور عنده ولا في حضور الموكب من أجل ذلك غضباً عليه، ثم ضمن معز الدولة الشرطة وضمن الحسبة أيضاً.

وفيها سار قفل من أنطاكية يريدون طرسوس، وفيهم نائب أنطاكية، فثار عليهم الفرنج فأخذوهم عن بكرة أبيهم، فلم يفلت منهم سوى النائب جريحاً في مواضع من بدنه. وفيها دخل نجا غلام سيف الدولة بلاد الروم فقتل وسبى وغنم ورجع سالماً.

وفيها توفي الأمير:

نوح بن عبد الملك الساماني

صاحب خراسان وغزنة وما وراء النهر، سقط عن فرسه فمات، فقام بالأمر من بعده أخوه منصور بن نوح الساماني.

وفيها توفي:

الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي

صاحب الأندلس، وكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر، وله من العمر يوم مات ثلاث وسبعون سنة، وترك أحد عشر ولداً، كان أبيض حسن الوجه عظيم الجسم طويل الظهر قصير الساقين، وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين من أولاد الأمويين الداخلين إلى المغرب، وذلك حين بلغه ضعف الخلفاء بالعراق، وتغلّب الفاطميين، فتلقب قبل موته بثلاث وعشرين سنة. ولما توفي قام بالأمر من بعده ولده الحكم وتلقب بالمنتصر، وكان الناصر شافعي المذهب ناسكاً شاعراً، ولا يعرف في الخلفاء أطول مدة منه، فإنه أقام خليفة خمسين سنة، إلا الفاطمي المستنصر بن الحاكم الفاطمي صاحب مصر، فإنه مكث ستين سنة كما سيأتي ذلك. وممن توفي فيها من الأعيان:

أبو سهل بن زياد القطان

أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد أبو سهل القطان. كان ثقة حافظاً كثير التلاوة للقرآن، حسن الانتزاع للمعاني من القرآن، فمن ذلك أنه استدل على تكفير المعتزلة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦].

(١) رشا عليه: من الرشوة.

إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن بيان أبو محمد الحطبي

سمع الحديث من ابن أبي أسامة وعبد الله بن أحمد والكوكبي وغيرهم، وعنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة حافظاً فاضلاً نبيلاً عارفاً بأيام الناس، وله تاريخ مرتب على السنين، وكان أديباً لبيباً عاقلاً صدوقاً، توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة، عن إحدى وثمانين سنة.

أحمد بن محمد بن سعيد

ابن عبيد الله بن أحمد بن سعيد بن أبي مريم أبو بكر القرشي الوراق، ويعرف بابن فطيس، وكان حسن الكتابة مشهوراً بها، وكان يكتب الحديث لابن جوصا، ترجمه ابن عساكر وأرخ وفاته بثاني شوال من هذه السنة.

تمام بن محمد بن [عباس بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن العباس بن محمد بن عبيد الله بن العباس](١)

ابن عبد المطلب أبو بكر الهاشمي العباسي، حدث عن عبد الله بن أحمد وعنه ابن رزقويه توفي في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة.

الحسين بن القاسم

أبو علي الطبري الفقيه الشافعي، أحد الأئمة المحررين في الخلاف، وهو أول من صنّف فيه، وله الإيضاح في المذهب، وكتاب في الجدل، وفي أصول الفقه وغير ذلك من المصنفات، وقد ذكرناه في الطبقات.

عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم

ابن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور الهاشمي الإمام، ويعرف بابن بويه، ولد سنة ثلاث وستين ومائتين، روى عن ابن أبي الدنيا وغيره، وعنه ابن رزقويه، وكان خطيباً بجامع المنصور مدة طويلة، وقد خطب فيه سنة ثلاثين وثلاثمائة وقبلها تمام سنة، ثم خطب فيه الواثق سنة ثلاثين ومائتين وهما في النسب إلى المنصور سواء. توفي في صفر منها.

عتبة بن عبد الله

ابن موسى بن عبد الله أبو السائب القاضي الهمذاني الشافعي، كان فاضلاً بارعاً، ولِّيَ القضاء، وكان فيه تخليط في الأمور، وقد رآه بعضهم بعد موته: فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأمر بي إلى الجنة على ما كان مني من التخليط، وقال لي: إني كتبت على نفسي أن لا أعذب أبناء الثمانين. وهذا الرجل أول من ولِّيَ قضاء القضاة ببغداد من الشافعية والله أعلم.

(١) سقط في ط.

محمد بن أحمد بن حيان

أبو بكر الدهقان، بغدادي، سكن بخارى وحدَّث بها عن يحيى بن أبي طالب، والحسن بن مكرم وغيرهما، وتوفي عن سبع وثمانين سنة.

أبو علي الخازن

توفي في شعبان منها فوجد في داره من الدفائن وعند الناس من الودائع ما يقارب أربعمائة ألف دينار. والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة

فيها كان دخول الروم إلى حلب صحبة الدمستق ملك الروم لعنه الروم الله، في مائتي ألف مقاتل، وكان سبب ذلك أنه ورد إليها بغتة فنهض إليه سيف الدولة بن حمدان بمن حضر عنده من المقاتله، فلم يقو به لكثرة جنوده، وقتل من أصحاب سيف الدولة خلقاً كثيراً، وكان سيف الدولة قليل الصبر ففرَّ منهزماً في نفر يسير من أصحابه، فكان أول ما استفتح به الدمستق قبَّحه الله أن استحوذ على دار سيف الدولة، وكانت ظاهر حلب، فأخذ ما فيها من الأموال العظيمة والحواصل الكثيرة، والعدد وآلات الحرب، أخذ من ذلك ما لا يحصى كثرة وأخذ ما فيها من النساء والولدان وغيرهم، ثم حاصر سور حلب فقاتل أهل البلد دونه قتالاً عظيماً، وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم، وثلمت الروم بسور حلب ثلمة عظيمة، فوقف فيها الروم فحمل المسلمون عليهم فأزاحوهم عنها، فلما جنَّ الليل[1] جدَّ المسلمون في إعادتها فما أصبح الصباح إلا وهي كما كانت، وحفظوا السور حفظاً عظيماً، ثم بلغ المسلمون أن الشرط والبلاحية قد عاثوا في داخل البلد ينهبون البيوت، فرجع الناس إلى منازلهم ودخلوا البلد يقتلون من لقوه، فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً وانتهبوا الأموال وأخذوا الأولاد والنساء. وخلصوا من كان بأيدي المسلمين من أسارى الروم، وكانوا ألفاً وأربعمائة، فأخذ الأسارى السيوف وقاتلوا المسلمين، وكانوا أضر على المسلمين من قومهم، وأسرو نحواً من بضعة عشر ألفاً ما بين صبي وصبية، ومن النساء شيئاً كثيراً، ومن الرجال الشباب ألفين، وخربوا المساجد وأحرقوها، وصبوا في جباب الزيت الماء حتى فاض الزيت على وجه الأرض، وأهلكوا كل شيء قدروا عليه، وكل شيء لا يقدرون على حمله أحرقوه، وأقاموا في البلد تسعة أيام يفعلون فيها الأفاعيل الفاسدة العظيمة، كل ذلك بسبب فعل البلاحية والشرط في البلد قاتلهم الله. وكذلك حاكمهم ابن حمدان كان رافضياً يحب الشيعة ويبغض أهل السنة، فاجتمع على أهل حلب عدة مصائب، ثم عزم الدمستق على الرحيل عنهم خوفاً من سيف الدولة، فقال له ابن أخيه: أين تذهب وتدع القلعة وأموال الناس غالبها فيها ونساؤهم؟ فقال له الدمستق: إنا قد بلغنا فوق ما كنا نأمل، وإن بها مقاتلة

(١) جنّ الليل: ستر بظلامه.

ورجالاً غزاة، فقال له لا بد لنا منها، فقال له: اذهب إليها، فصعد إليها في جيش ليحاصرها فرموه بحجر فقتلوه في الساعة الراهنة من بين الجيش كله، فغضب عند ذلك الدمستق وأمر بإحضار من في يديه من أسارى المسلمين، وكانوا قريباً من ألفين، فضربت أعناقهم بين يديه لعنه الله، ثم كر راجعاً، وقد دخلوا عين زربة قبل ذلك في المحرم من هذه السنة، فاستأمنه أهلها فأمنهم وأمر بأن يدخلوا كلهم المسجد ومن بقي في منزله قتل، فصاروا إلى المسجد كلهم ثم قال: لا يبقين أحد من أهلها اليوم إلا ذهب حيث شاء، ومن تأخر قتل، فازدحموا في خروجهم من المسجد فمات كثير منهم، وخرجوا على وجوههم لا يدرون أين يذهبون، فمات في الطرقات منهم خلق كثير. ثم هدم الجامع وكسر المنبر وقطع من حول البلد أربعين ألف نخلة، وهدم سور البلد والمنازل المشار إليها، وفتح حولها أربعة وخمسين حصناً بعضها بالسيف وبعضها بالأمان، وقتل الملعون خلقاً كثيراً، وكان في جملة من أسر أبو فراس بن سعيد بن حمدان نائب منبج من جهة سيف الدولة، وكان شاعراً مطيقاً، له ديوان شعر حسن، وكان مدة مقامه بعين زربة إحدى وعشرين يوماً، ثم سار إلى قيسرية فلقيه أربعة آلاف من أهل طرسوس مع نائبها ابن الزيات، فقتل أكثرهم وأدركه صوم النصارى فاشتغل به حتى فرغ منه، ثم هجم على حلب بغتة، وكان من أمره ما ذكرناه.

وفيها كتبت العامة من الروافض على أبواب المساجد لعنة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكتبوا أيضاً: ولعن الله من غصب فاطمة حقها، وكانوا يعنون أبا بكر ومن أخرج العباس من الشورى، يعنون عمر، ومن نفى أبا ذر - يعنون عثمان - رضي الله عن الصحابة، وعلى من لعنهم لعنة الله، ولعنوا من منع من دفن الحسن عند جده يعنون مروان بن الحكم، ولما بلغ ذلك جميعه معز الدولة لم ينكره ولم يغيره، ثم بلغه أن أهل السنة محوا ذلك وكتبوا عوضه لعن الله الظالمين لآل محمد من الأولين والآخرين، والتصريح باسم معاوية في اللعن، فأمر بكتب ذلك، قبحه الله وقبح شيعته من الروافض، لا جرم أن هؤلاء لا ينصرون، وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلى الروافض، لا جرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء، بل يديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم، وتقليدهم سادتهم وكبراءهم وآباءهم وتركهم أنبياءهم وعلماءهم، ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام، وكان فيهم الرفض وغيره، استحوذ الفرنج على سواحل الشام وبلاد الشام كلها، حتى بيت المقدس، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة ودمشق وبعض أعمالها، وجميع السواحل وغيرها مع الفرنج، والنواقيس النصرانية والطقوس الإنجيلية تضرب في شواهق الحصون والقلاع، وتكفر في أماكن الإيمان من المساجد وغيرها من شريف البقاع، والناس معهم في حصر عظيم، وضيق من الدين، وأهل هذه المدن التي في يد المسلمين في خوف شديد في ليلهم ونهارهم من الفرنج، فإنا لله وإنا إليه راجعون وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب، وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء.

وفيها وقعت فتنة عظيمة بين أهل البصرة بسبب السبّ أيضاً، قتل فيها خلق كثير وجم

غفير. وفيها أعاد سيف الدولة بن حمدان بناء عين زربة، وبعث مولاه نجا فدخل بلاد الروم، فقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى جمعاً غفيراً وغنم وسلم. وبعث حاجبه مع جيش طرسوس فدخلوا بلاد الروم فغنموا وسبوا ورجعوا سالمين. وفيها فتح المعز الفاطمي حصن طبرمين من بلاد المغرب ـ وكان من أحصن بلاد الفرنج ـ فتحه قسراً بعد محاصرة سبعة أشهر ونصف، وقصد الفرنج جزيرة إقريطش فاستنجد أهلها بالمعز، فسيّر إليهم جيشاً فانتصروا على الفرنج ولله الحمد والمنة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن محمد بن هارون

أبو المهلبي الوزير لمعز الدولة بن بويه، مكث وزيراً له ثلاث عشرة سنة، وكان فيه حلم وكرم وأناة، حكى أبو إسحاق الصابىء قال: كنت يوماً عنده وقد جيء بدواة قد صنعت له ومرفع قد حليا له بحلية كثيرة، فقال أبو محمد الفضل بن عبد الله الشيرازي ـ سراً بيني وبينه ـ: ما كان أحوجني إليها لأبيعها وأنتفع بها، قلت: وأي شيء ينتفع الوزير بها؟ فقال: تدخل في خزانتها، فسمعها الوزير ـ وكان مصغ لنا ولا نشعر ـ فلما أمسى بعث بالدواة إلى أبي محمد الشيرازي ومرفعها[1] وعشرة ثياب وخمسة آلاف درهم، واصطنع له غيرها. فاجتمعنا يوماً آخر عنده وهو يوقع مَن تلك الدواة الجديدة، فنظر إلينا فقال: من يريدها منكما؟ قال: فاستحيينا وعلمنا أنه قد سمع كلامنا ذلك اليوم، وقلنا يمتع الله الوزير بها ويبقيه ليهب لنا مثلها. توفي أبو محمد المهلبي في هذه السنة عن أربع وستين سنة.

دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن

أبو محمد السجستاني المعدل، سمع بخراسان وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة، وكان من ذوي اليسار والمشهورين بالبر والأفضال، وله صدقات جارية، وأوقاف دارة دائرة على أهل الحديث ببغداد وسجستان، كانت له دار عظيمة ببغداد، وكان يقول: ليس في الدنيا مثل بغداد، ولا في بغداد مثل القطيعة، ولا في القطيعة مثل دار أبي خلف، ولا في درب أبي خلف مثل داري.

وصنف الدارقطني له مسنداً. وكان إذا شك في حديث طرحه جملة.

وكان الدارقطني يقول: ليس في مشايخنا أثبت منه، وقد أنفق في ذوي العلم والحاجات أموالاً جزيلة كثيرة جداً، اقترض منه بعض التجار عشرة آلاف دينار فاتجر بها، فربح في مدة ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار، فعزل منها عشرة آلاف دينار وجاءه بها فأضافه دعلج ضيافة حسنة، فلما فرغ من شأنها قال له: ما شأنك؟ قال له: هذه العشرة آلاف دينار التي تفضلت بها، قد أحضرت فقال: يا سبحان الله إني لم أعطكها لتردها فصِلْ بها الأهل.

(١) المرفع: ما ترفع عليه.

فقال: إني قد ربحت بها ثلاثين ألف دينار فهذه منها. فقال له دعلج: اذهب بارك الله لك، فقال له: كيف يتسع مالك لهذا؟ ومن أين أفدت هذا المال؟ قال: إني كنت في حداثة سني أطلب الحديث، فجاءني رجل تاجر من أهل البحر فدفع إليَّ ألف ألف درهم، وقال: اتجر في هذه، فما كان من ربح فبيني وبينك، وما كان من خسارة فعليَّ دونك، وعليك عهد الله وميثاقه إن وجدت ذا حاجة أو خلة إلا سددتها من مالي هذا دون مالك، ثم جاءني فقال: إني أريد الركوب في البحر فإن هلكت فالمال في يدك على ما شرطت عليك. فهو في يدي على ما قال. ثم قال لي: لا تخبر بهذا أحداً مدة حياتي. فلم أخبر به أحداً حتى مات. توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة عن أربع أو خمس وتسعين سنة. رحمه الله.

عبد الباقي بن قانع

ابن مرزوق أبو الحسن الأموي مولاهم، سمع الحارث بن أبي أسامة، وعنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة أميناً حافظاً، ولكنه تغير في آخر عمره.

قال الدارقطني: كان يخطىء ويصرّ على الخطأ، توفي في شوال منها.

أبو بكر النقاش المفسر

محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر، أبو بكر النقاش المفسر المقرىء، مولى أبي دُجانة سِماك بن خَرَشة، أصله من الموصل، كان عالماً بالتفسير وبالقراءات، وسمع الكثير في بلدان شتى عن خلق من المشايخ، وحدث عنه أبو بكر بن مجاهد والخلدي وابن شاهين وابن زرقويه وخلق، وآخر من حدث عنه [أبو بكر][1] بن شاذان، وتفرد بأشياء منكرة، وقد وثقه الدارقطني على كثير من خطئه ثم رجع عن ذلك، وصرح بعضهم بتكذيبه والله أعلم. وله كتاب التفسير الذي سماه شفاء الصدور وقال بعضهم، بل هو سقام الصدور، وقد كان رجلاً صالحاً في نفسه عابداً ناسكاً، حكى من حضره وهو يجود بنفسه وهو يدعو بدعاء ثم رفع صوته يقول ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١] يرددها ثلاث مرات ثم خرجت روحه رحمه الله. توفي يوم الثلاثاء الثاني من شوال منها ودفن بداره بدار القطن.

محمد بن سعيد أبو بكر الحربي الزاهد، ويعرف بابن الضرير، كان ثقة صالحاً عابداً. ومن كلامه: دافعتُ الشَّهَواتِ حَتَّى صارتْ شهوتي المدافَعَة.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم من هذه السنة أمر معز الدولة بن بويه قبحه الله أن تغلق الأسواق وأن يلبس النساء المسوح من الشعر وأن يخرجن في الأسواق حاسرات عن وجوههن،

---

(١) سقط في ط.

ناشرات شعورهن يلطمن وجوههن ينحن على الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة وظهورهم، وكون السلطان معهم. وفي ثامن عشر ذي الحجة منها أمر معز الدولة بن بويه بإظهار الزينة في بغداد وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد، وأن تضرب الدبادب والبوقات، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء وعند الشرط، فرحاً بعيد الغدير ـ غدير خم ـ فكان وقتاً عجيباً مشهوداً، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة. وفيها أغارت الروم على الرها، فقتلوا وأسروا ورجعوا موقرين، ثم ثارت الروم بملكهم فقتلوه وولوا غيره، ومات الدمستق أيضاً ملك الأرمن واسمه النقفور، وهو الذي أخذ حلب وعمل فيها ما عمل، وولوا غيره.

ترجمة النقفور ملك الأرمن واسمه الدمستق

الذي توفي في سنة اثنتين ـ وقيل خمس وقيل ست ـ وخمسين وثلاثمائة لا رحمه الله.

كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلباً، وأشدهم كفراً، وأقواهم بأساً، وأحدّهم شوكة، وأكثرهم قتلاً وقتالاً للمسلمين في زمانه، استحوذ في أيامه لعنه الله على كثير من السواحل، وأكثرها انتزعها من أيدي المسلمين قسراً، واستمرت في يده قهراً، وأضيفت إلى مملكة الروم قدراً. وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم، وفشو البدع فيهم، وكثرة الرفض والتشيع منهم، وقهر أهل السنة بينهم، فلهذا أديل عليهم[1] أعداء الإسلام، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ونكد العيش والفرار من بلاد إلى بلاد، فلا يبيتون ليلة إلا في خوف من قوارع الأعداء[2] وطوارق الشرور[3] المترادفة، فالله المستعان. وقد ورد حلب في مائتي ألف مقاتل بغتة في سنة إحدى وخمسين، وجال فيها جولة. ففر من بين يديه صاحبها سيف الدولة ففتحها اللعين عنوة، وقتل من أهلها من الرجال والنساء ما لا يعلمه إلا الله، وخرب دار سيف الدولة التي كانت ظاهر حلب، وأخذ أموالها وحواصلها وعددها وبدد شملها، وفرّق عددها، واستفحل أمر الملعون بها فإنَّا لله وإنا إليه راجعون. وبالغ في الاجتهاد في قتال الإسلام وأهله، وجدّ في التشمير، فالحكم لله العلي الكبير. وقد كان لعنه الله لا يدخل بلدة إلا قتل المقاتلة وبقية الرجال، وسبى النساء والأطفال، وجعل جامعها اصطبلاً لخيوله، وكسر منبرها، واستنكث مأذنتها بخيله ورجله وطبوله. ولم يزل ذلك من دأبه وديدنه[4] حتى سلّط الله عليه زوجته فقتلته بجواريها في وسط مسكنه. وأراح الله منه الإسلام وأهله، وأزاح عنهم قيام ذلك الغمام ومزق شمله، فلله النعمة والإفضال، وله الحمد على كل حال. واتفق في سنة وفاته موت صاحب القسطنطينية. فتكاملت المسرات وحصلت الأمنية، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتذهب السيئات، وبرحمته تغفر الزلات.

---

(١) أديل عليهم: تملّكوا وغلبوا.

(٢) قوارع الأعداء: ضرباتهم.

(٣) طوارق الشرور: نوازلها.

(٤) ديدنه: عادته.

والمقصود أن هذا اللعين ـ أعني النقفور الملقب بالدمستق ملك الأرمن ـ كان قد أرسل قصيدة إلى الخليفة المطيع لله، نظمها له بعض كتابه ممن كان قد خذله الله وأذله، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، وصرفه عن الإسلام وأصله. يفتخر فيها بهذا اللعين، ويتعرض لسب الإسلام والمسلمين، ويتوعد فيها أهل حوزة الإسلام بأنه سيملكها كلها حتى الحرمين الشريفين، عما قريب من الأعوام، وهو أقل وأذل وأخس وأضل من الأنعام، ويزعم أنه ينتصر لدين المسيح عليه السلام ابن البتول. وربما يعرض فيها بجناب الرسول عليه من ربه التحية والإكرام، ودوام الصلاة مدى الأيام. ولم يبلغني عن أحد من أهل ذلك العصر أنه رد عليه جوابه، إما لأنها لم تشتهر، وإما لأنه أقل من أن يردوا خطابه لأنه كالمعاند الجاحد، ونفس ناظمها تدل على أنه شيطان مارد[١]. وقد انتخى للجواب عنها بعد ذلك أبو محمد بن حزم الظاهري: فأفاد وأجاد، وأجاب عن كل فصل باطل بالصواب والسداد، فبلّ الله بالرحمة ثراه. وجعل الجنة منقلبه ومثواه.

وها أنا أذكر القصيدة الأرمنية المخذولة الملعونة، وأتبعها بالفريدة الإسلامية المنصورة الميمونة. قال المرتد الكافر الأرمني على لسان ملكه لعنهما الله وأهل ملتهم أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين[٢] آمين يا رب العالمين. ومن خط ابن عساكر كتبتها، وقد نقلوها من كتاب صلة الصلة للفرغاني:

مِنَ المَلِكِ الطُّهرِ المَسِيحِيِّ مَالِكِ ... إلى خَلَفِ الأَمْلاكِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
إلى المَلِكِ الفَضْلِ المُطِيعِ أخِي العُلا ... وَمَنْ يُرْتَجَى لِلْمُعْضِلاتِ العَظَائِمِ
أَمَا سَمِعَت أُذْنَاكَ مَا أَنَا صَانِعٌ ... وَلٰكِنْ دَهَاكَ الوَهْنُ عنْ فِعْلِ حَازِمِ
فَإنْ تَكُ عَمَّا قَدْ تَقَلَّدْتَ نَائِماً ... فَإنِّيَ عَمَّا هَمَّنِي غَيْرُ نَائِمِ
ثُغُورُكُمُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا ـ لِوَهْنِكُمْ ... وَضَعْفِكُمُ ـ إلاَّ رُسُومُ المَعَالِمِ
فَتَحْنَا الثُّغُورَ الأَرْمَنِيَّةَ كُلَّهَا ... بِفِتْيَانِ صِدْقٍ كَاللُّيُوثِ الضَّرَاغِمِ
وَنَحْنُ صَلَبْنَا الخَيْلَ تَعْلِكُ لُجْمَهَا ... وَتَبْلُغُ مِنْهَا قَضْمَهَا للشَّكائِمِ[٣]
إلى كُلِّ ثَغْرٍ بِالجَزِيرَةِ آهِلِ ... إلى جُنْدِ قِنَّسْرِينِكُمْ فَالعَوَاصِمِ
وَمَلَطْيَةٍ مَعْ سُمَيْسَاطِ وَكَرْكَرٍ ... وَفِي البَحْرِ أَضْعَافُ الفُتُوحِ التَّواخِمِ
وَبِالحَدَثِ الحَمْرَاءِ جَالَتْ عَسَاكِرِي ... وَكَيْسُومُ بَعْدَ الجَعْفَرِي لِلمَعَالِمِ
وَكَمْ قَدْ ذلَلْنَا مِنْ أَعِزَّةِ أَهْلِهَا ... فَصَارُوا لَنَا مِنْ بَيْنِ عَبْدٍ وَخَادِمِ
وَسَدُّ سَرُوجٍ إذْ خَرَبْنَا بِجَمْعِنَا ... لنا رتبةٌ تعلو عَلَى كُلِّ قَائِمِ

(١) المارد: الطاغية والعاصي.
(٢) أكتعين أبتعين أبصعين: كلها بمعنى أجمعين وتأكيد لها.
(٣) الشكائم: جمع شكيمة، وهي حديدة توضع في فم الفرس.

وَأَهْلُ الرُّهَا لاذُوا بِنَا وَتَحَزَّبُوا ... بِمِنْدِيلِ مَوْلَى جَلَّ عَنْ وَصفِ آدَمِي
وَصَبَّحَ رَأْسَ العَيْنِ مِنَّا بِطَارِقٍ ... بِبِيضٍ غَزَوْنَاهَا بِضَرْبِ الجَمَاجِمِ
وَدَارَا وَمِيَّافَارِقِينَ وَأَرْزَنَاً ... أَذَقْنَاهُمُ بِالخَيْلِ طَعْمَ العَلاقِمِ[1]
وَإِقْرِيطِش جَازَتْ إِلَيْهَا مَرَاكِبِي ... عَلَى ظَهْرِ بَحْرٍ مُزْبِدٍ مُتَلاطِمِ
فَحُزْتُهُمْ أَسْرَى وَسِيقَتْ نِسَاؤُهُمْ ... ذَوَاتُ الشُّعورِ المُسْبَلاتِ النَّوَاعِمِ
هُنَاكَ فَتَحْنَا عَيْنَ زُرْبَةَ عَنْوَةً ... نَعَمْ وَأَبَدْنَا كُلَّ طَاغٍ وَظَالِمِ
إِلى حَلَبٍ حَتَّى اسْتَبَحْنَا حَرِيمَهَا ... وَهَدَّمَ مِنْهَا سُورَهَا كُلُّ هَادِمِ
أَخَذْنَا النِّسَا ثُمَّ البَنَاتِ نَسُوقُهُمْ ... وَصِبْيَانُهُمْ مِثْلُ المَمَالِيكِ خَادِمِ
وَقَدْ فَرَّ عَنْهَا سَيْفُ دَوْلَةِ دِينِكُمْ ... وَنَاصِرُكُمْ مِنَّا عَلَى رَغْمِ رَاغِمِ
وَمِلْنَا عَلَى طَرَسُوسَ مَيْلَةَ حَازِمٍ ... أَذَقْنَا لِمَنْ فِيهَا لَحَزَّ الحَلاقِمِ[2]
فَكَمْ ذَاتِ عِزٍّ حُرَّةٍ عَلَوِيَّةٍ ... مُنَعَّمَةِ الأَطْرَافِ رَيَّا المَعَاصِمِ
سَبَيْنَا فَسُقْنَا خَاضِعَاتٍ حَوَاسِراً ... بِغَيْرِ مُهُورٍ، لا ولا حُكْمِ حَاكِمِ
وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ قَدْ تَرَكْنَا مُجَنْدَلاً ... يَصُبُّ دَماً بَيْنَ اللُّهَا وَاللَّهَازِمِ[3]
وَكَمْ وَقْعَةٍ في الدَّرْبِ أَفْنَتْ كُمَاتَكُمْ[4] ... وَسُقْنَاهُمُ قَسْراً كَسَوْقِ البَهَائِمِ
وَمِلْنَا عَلَى أَرْيَاحِكُمْ وَحَرِيمِهَا ... مُدَوَّخَةً تَحْتَ العَجَاجِ السَّوَاهِمِ[5]
فَأَقْوَتْ أَعَالِيهَا وَبُدِّلَ رَسْمُهَا ... مِنَ الأُنْسِ وَحْشاً بَعْدَ بِيضٍ نَوَاعِمِ
إِذا صَاحَ فِيهَا البُومُ جَاوَبَهُ الصَّدَى ... وَأَتْبَعَهُ في الرَّبْعِ نَوْحُ الحَمَائِمِ
وَأَنْطَاكُ لَمْ تَبْعُدْ عَلَيَّ وَإِنَّنِي ... سَأَفْتَحُهَا يَوْماً بِهَتْكِ المَحَارِمِ
وَمَسْكَنُ آبَائِي دِمَشْقٌ فَإِنَّنِي ... سَأُرْجِعُ فِيهَا مُلْكَنَا تَحْتَ خَاتَمِي
وَمِصْرُ سَأَفْتَحُهَا بِسَيْفِيَ عَنْوَةً ... وَآخُذُ أَمْوَالِي بِهَا وَبَهَائِمِي
وَأَجْزِيَ كَافُوراً بِمَا يَسْتَحِقُّهُ ... بِمُشْطٍ وَمِقْرَاضٍ وَقَصِّ مَحَاجِمِ
أَلاَ شَمِّرُوا يا أَهْلَ حَمْدَانَ شَمِّرُوا ... أَتَتْكُمْ جُيُوشُ الرُّومِ مِثْلَ الغَمَائِمِ
فَإِنْ تَهْرُبُوا تَنْجُوا كِراماً وَتَسْلَمُوا ... مِنَ المَلِكِ الصَّادِي[6] بِقَتْلِ المُسَالِمِ

(١) العلاقم: جمع علقم، وهو الحنظل أو كل شيء مرّ.

(٢) الحلاقم: جمع حلقوم، وهو تجويف في أقصى الفم فيه مجرى التنفس.

(٣) اللها واللهازم: اللهى: هي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم. واللهزمة: عظم ناتىء في اللحى تحت الأذن.

(٤) الكماة: الفرسان الأبطال.

(٥) العجاج: الغبار، والسواهم: العابسة.

(٦) الصادي: المتعطش الذي يريد أن يروي ظمأه.

كَذَاكَ نَصِيبِينُ وَمَوْصِلُهَا إلى ... جَزِيرَةِ آبَائِي وَمُلْكِ الأَقَادِمِ
سَأَفْتَحُ سَامُرّا وَكُوثَا وَعَكْبَرَا ... وَتَكْرِيتَهَا مَعْ مَارِدِينَ العَوَاصِمِ
وَأَقْتُلُ أَهْلِيهَا الرِّجَالَ بِأَسْرِهَا ... وَأَغْنَمُ أَمْوالاً بِهَا وَحَرَائِمِ
أَلاَ شَمِّرُوا يا أَهْلَ بَغْدَادَ وَيْلَكُمْ ... فَكُلُّكُمْ مُسْتَضْعَفٌ غَيْرُ رَائِمِ
رَضِيتُمْ بِحُكْمِ الدَّيْلَمِيِّ ورفضِهِ ... فَصِرْتُمْ عَبِيداً لِلْعَبِيدِ الدَّيَالِمِ
وَيَا قَاطِنِي الرَّمْلاتِ وَيْلَكُمُ ارْجِعُوا ... إلى أَرْضِ صَنْعَا راعيين البَهَائِمِ
وَعُودُوا إلى أَرْضِ الحِجَازِ أَذِلَّةً ... وَخَلُّوا بِلادَ الرُّومِ أَهْلِ المَكَارِمِ
سَأُلْقِي جُيُوشاً نَحْوَ بَغْدَادَ سَائِراً ... إلى بَابِ طَاقٍ حَيْثُ دَارُ القَمَاقِمِ
وَأُحْرِقُ أَعْلاهَا وَأَهْدِمُ سُورَهَا ... وَأَسْبِي ذَرَارِيهَا عَلَى رَغْمِ رَاغِمِ
وَأُحْرِزُ أَمْوالاً بِهَا وَأَسِرَّةً ... وَأَقْتُلُ مَنْ فِيها بِسَيْفِ النَّقَائِمِ
وَأَسْرِي بِجَيْشِي نَحْوَ أَهْوَازَ مُسْرِعاً ... لإِحْرَازِ دِيبَاجٍ وَخَزِّ السَّوَاسِمِ
وَأُشْعِلُهَا نَهْباً وَأَهْدِمُ قُصُورَهَا ... وَأَسْبِي ذَرَارِيهَا كَفِعْلِ الأَقَادِمِ
وَمِنْهَا إلى شِيرَازَ وَالرَّيِّ فَاعْلَمُوا ... خُرَاسَانُ قَصْدِي وَالجُيُوشُ بِحَارِمِ
إلى شَاسِ بَلْخٍ بَعْدَها وَخَوَاتِهَا ... وَفَرْغَانَةٍ مَعْ مَرْوِهَا وَالمَخَازِمِ
وسَابُورُ أَهدمها وَأَهْدِمُ حُصُونَهَا ... وَأُورِدُهَا يَوْماً كَيَوْمِ السَّمَائِمِ[1]
وَكَرْمانُ لا أَنْسَى سِجِسْتَانَ كُلَّها ... وَكَابُلَهَا النَّائي وَمُلْكَ الأَعَاجِمِ
أَسِيرُ بِجُنْدِي نَحْوَ بَصْرَتِهَا الَّتِي ... لَهَا بَحْرُ عَجٌّ رَائِعٍ مُتَلازِمِ
إلى وَاسِطٍ وَسْطَ العِرَاقِ وَكُوفَةٍ ... كَمَا كَان يَوْماً جُنْدُنَا ذُو العَزَائِمِ
وَأَخْرُجُ مِنْهَا نَحْوَ مَكَّةَ مسرعاً ... أَجُرُّ جُيُوشاً كَاللَّيَالِي السَّوَاجِمِ[2]
فَأَمْلِكُهَا دَهْراً عَزِيزاً مُسَلَّماً ... أُقِيمُ بِهَا لِلْحَقِّ كُرْسِيَّ عَالِمِ
وَأَحْوِيَ نَجْداً كُلَّهَا وَتِهَامَهَا ... وَسَرَا واتِهَام مِنْ مَذْحِجٍ وَقَحَاطِمِ
وَأَغْزُو يَمَاناً كُلَّهَا وَزَبِيدَهَا ... وَصَنْعَاءَهَا مَعْ صَعْدَةٍ والتهائِمِ
فَأَتْرُكُهَا أَيْضاً خراباً بَلاقِعاً ... خَلاءً مِنَ الأَهْلِينَ أَهْلِ نَعَائِمِ
وَأَحْوِيَ أَمْوالَ اليَمَانِينَ كُلَّهَا ... وَمَا جَمَعَ القرماطُ يَوْمَ مَحَارِمِ
أَعُودُ إلى القُدْسِ الَّتِي شَرُفَتْ بِنَا ... بِعِزٍّ مَكِينٍ ثَابِتِ الأَصْلِ قَائِمِ

---

(١) يوم السمائم: يوم الريح الحارة التي تشوي الوجوه.

(٢) السواجم: الكثيفة. وسجم الدمع أو المطر: سال وانصبّ.

وَأَعْلُو سَرِيرِي لِلسُّجُودِ مُعَظَّماً وَتَبْقَى مُلُوكُ الأَرْضِ مِثْلَ الخَوَادِمِ
هُنَالِكَ تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ لِكُلِّ نَقِيِّ الدِّينِ أَغْلَفَ زاعِمِ(١)
نُصِرْنَا عَلَيْكُمْ حِينَ جَارَتْ وُلاتُكُمْ وَأَعْلَنْتُمُوا بِالمُنْكَرَاتِ العَظَائِمِ
قُضَاتُكُمُ بَاعُوا القَضَاءَ بِدِينِهِمْ كَبَيْعِ ابْنِ يَعْقُوبٍ بِبَخْسِ الدَّرَاهِمِ
عَدُوٌّ لَكُمْ بِالزُّورِ يَشْهَدُ ظَاهِراً وبِالإفْكِ وَالبِرْطِيلِ مَعْ كُلِّ قَائِمِ
سَأَفْتَحُ أَرْضَ الله شَرْقاً وَمَغْرِباً وَأَنْشُرُ دِيناً لِلصَّلِيبِ بِصَارِمِي(٢)
فَعِيسَى عَلا فَوْقَ السَّمٰواتِ عَرْشُهُ يفُوزُ الَّذِي وَالاهُ يَوْمَ التَّخَاصُمِ
وَصَاحِبُكُمْ بالتُّرْبِ أَوْدَى بِهِ الثَّرَى فَصَارَ رُفَاتاً بَيْنَ تِلْكَ الرَّمَائِمِ(٣)
تَنَاوَلْتُمُ أَصْحَابَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ بِسَبٍّ وَقَذْفٍ وَانْتِهَاكِ المَحَارِمِ

هذا آخرها لعن الله ناظمها وأسكنه النار، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر: ٥٢] يوم يدعو ناظمها ثبوراً ويصلى ناراً سعيراً ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩] إن كان مات كافراً.

وهذا جوابها لأبي محمد بن حزم الفقيه الظاهري الأندلسي قالها ارتجالاً حين بلغته هذه الملعونة غضباً لله ولرسوله ولدينه كما ذكر ذلك من رآه، فرحمه الله وأكرم مثواه وغفر له خطاياه.

مِنَ المُحْتَمِي بِالله ربِّ العَوَالِمِ وَدِينِ رَسُولِ الله مِنْ آلِ هَاشِمِ
مُحَمَّدٍ الهَادِي إِلى الله بِالتُّقَى وَبِالرُّشْدِ وَالإِسْلامِ أَفْضَلِ قَائِمِ
عَلَيْهِ مِنَ الله السَّلامُ مُرَدَّداً إِلى أَنْ يُوَافِي الحَشْرَ كُلُّ العَوَالِمِ
إِلَى قَائِلٍ بِالإفْكِ جَهْلاً وَضِلَّةً عَنِ النَّقْفُورِ المُفْتَرِي في الأَعَاجِمِ
دَعَوْتَ إِمَاماً لَيْسَ مِنْ أَمْرَائِهِ بِكَفَّيْهِ إِلا كَالرُّسُومِ الطَّوَاسِمِ(٤)
دَهَتْهُ الدَّوَاهِي فِي خِلافَتِهِ كَمَا دَهَتْ قَبْلَهُ الأَمْلاكَ دُهْمُ الدَّوَاهِمِ
وَلا عَجَبٌ مِنْ نَكْبَةٍ أَوْ مُلِمَّةٍ تُصِيبُ كَرِيمَ الجَدِّ ابْنَ الأَكَارِمِ
وَلَوْ أَنَّهُ فِي حَالِ مَاضِي جُدُودِهِ لَجُرِّعْتُمُ مِنْهُ سُمُومَ الأَرَاقِمِ

(١) في ط: أعلف ناعم.
(٢) الصارم: الحسام والسيف القاطع.
(٣) الرمائم: البالي من العظام.
(٤) الطواسم: التي انطمست بالغبار واختفت معالمها.

عَسَى عَطْفَةٌ لله في أَهْلِ دِينِهِ ... تُجَدِّدُ مِنْهُ دَارِسَاتِ المَعَالِمِ
فَخَرْتُمْ بِمَا لَوْ كَانَ فِيكُمْ حَقِيقَةً ... لَكَانَ بِفَضْلِ الله أَحْكَمَ حَاكِمِ
إِذَنْ لاعْتَرَتْكُم خَجْلَةٌ عِنْدَ ذِكْرِهِ ... وَأُخْرِسَ مِنْكُمْ كُلُّ فَاهٍ مُخَاصِمِ
سَلَبْنَاكُم كَرّاً فَفُزْتُمْ بِغِرَّةٍ[1] ... مِنَ الكَرِّ أَفْعَالَ الضِّعَافِ العَزَائِمِ
فَطِرْتُمْ سُرُوراً عِنْدَ ذَاكَ وَنَشْوَةً ... كَفِعْلِ المَهِينِ النَّاقِصِ المُتَعَالِمِ
وَمَا ذَاكَ إلاَّ في تَضَاعِيفِ عَقْلِهِ ... عَرِيقاً وَصَرْفُ الدَّهْرِ جَمُّ المَلاحِمِ
وَلَمَّا تَنَازَعْنَا الأُمُورَ تَخَاذُلاً ... وَدَانَتْ لأَهْلِ الجَهْلِ دَوْلَةُ ظَالِمِ
وَقَدْ شَغَلَتْ فِينَا الخَلائِفُ فِتْنَةً ... لِعُبْدَانِهِمْ مِنْ تُرْكِهِمْ وَالدَّلائِمِ
بِكُفْرِ أَيَادِيهِمْ وَجَحْدِ حُقُوقِهِمْ ... بِمَنْ رَفَعُوهُ مِن حَضِيضِ البَهَائِمِ
وَثَبْتُمْ عَلَى أَطْرَافِنَا عِنْدَ ذَاكُمُ ... وُثُوبَ لُصُوصٍ عِنْدَ غَفْلَةِ نَائِمِ
أَلَمْ نَنْتَزِعْ مِنْكُمْ بِأَعْظَمِ قُوَّةٍ ... جَمِيعَ بِلادِ الشَّامِ ضَرْبَةَ لازِمِ
وَمِصْراً وَأَرْضَ القَيْرَوَانِ بِأَسْرِهَا ... وَأَنْدَلُساً قَسْراً بِضَرْبِ الجَمَاجِمِ
أَلَمْ نَنْتَزِعْ مِنْكُمْ عَلَى ضَعْفِ حَالِنا ... صِقِلِّيَةً فِي بَحْرِهَا المتلاطِمِ
مَشَاهِدُ تَقْدِيسَاتِكُمْ وَبُيُوتُهَا ... لَنَا وَبِأَيْدِينَا عَلَى رَغْمِ رَاغِمِ
وَسِرْكَسِيُّكُمْ في أَرْضِ إِسْكَنْدَرِيَّةٍ ... وَكُرْسِيُّكُمْ في القُدْسِ في أدرثاكم
ضَمَمْنَاكُمُ قَسْراً بِرَغْمِ أُنُوفِكُمْ ... وَكُرْسِيُّ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ في المَعَادِمِ
وَلا بُدَّ مِنْ عَوْدِ الجَمِيعِ بِأَسْرِهِ ... إِلَيْنَا بِعِزٍّ قَاهِرٍ مُتَعَاظِمِ
أَلَيْسَ يَزِيدُ حَلَّ وَسْطَ دِيَارِكُمْ ... عَلَى بَابِ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ بِالصَّوَارِمِ
وَمَسْلَمَةٌ قَدْ دَاسَهَا بَعْدَ ذَاكُمُ ... بِجَيْشٍ تهَامٍ قد دوى بِالضَّرَاغِمِ[2]
وَأَخْدَمَكُمْ بِالذُّلِّ مَسْجِدَنَا الَّذِي ... بَنَى فِيكُمُ في عَصْرِهِ المُتَقَادِمِ
إلى جَنْبِ قَصْرِ المَلِكِ مِنْ دَارِ مُلْكِكُمْ ... أَلاَ هَذِهِ حَقٌّ صَرَامَةُ صَارِمِ
وَأَدَّى لِهَارُونَ الرَّشِيدِ مَلِيكُكُمْ ... رفادة[3] مَغْلُوبٍ وَجِزْيَةَ غَارِمِ[4]
سَلَبْنَاكُمُ مِصْراً شُهُودٌ بِقُوَّةٍ ... حَبَانَا بِهَا الرَّحْمَنُ أَرْحَمُ رَاحِمِ
أَمَا بَيْتُ لَخْمٍ وَالقُمَامَةُ بَعْدَهَا ... بِأَيْدِي رِجَالِ المُسْلِمِينَ الأَعَاظِمِ
إِلَى بيت يَعْقُوبٍ وَأَرْبَابِ دَوْمَةٍ ... إِلَى لُجَّةِ البَحْرِ المحيط المَخَارِمِ
فَهَلْ سِرْتُمْ في أَرْضِنَا قَطُّ جُمْعَةً ... أَبَى الله ذَاكُمْ يَا بَقَايَا الهَزَائِمِ

---

(١) الغرة: الغفلة.
(٢) الضراغم: الأسود الشجعان.
(٣) الرفادة: العطاء والجزية.
(٤) الغارم: الملزم بتأدية الدية أو الدين.

فَمَا لَكُمُ إلاّ الأَمَانِيُّ وَحْدَهَا بَضَائِعُ نَوْكَى[1] تِلْكَ أَحْلامُ نَائِمِ
رُوَيْداً فما بعد الخلافةِ نورها وسفرٌ مُغَيَّرٌ أو وجُوهُ الهواشم
وَحِينَئِذٍ تَدْرُونَ كَيْفَ قَرَارُكُمْ إذا صَدَمَتْكُمْ خَيْلُ جَيْشٍ مُصَادِمِ
عَلَى سَالِفِ العَادَاتِ مِنَّا وَمِنْكُمُ لَيَالِيَ أَنْتُمْ فِي عِدَادِ الغَنَائِمِ
سَبَيْتُمْ سَبَايَا يَحْصُرُ العَدُّ دُونَهَا وَسَبْيُكُمُ فِينَا كَقَطْرِ الغَمَائِمِ
فَلَوْ رَامَ خَلْقٌ عَدَّهَا رَامَ مُعْجِزاً وَأَنَّى بِتَعْدَادٍ لِرَشِّ الحَمَائِمِ
بِابْنِي حُمَيْدَانٍ وَكَافُورَ صُلْتُمُ أَرَاذِلُ أَنْجَاسٌ قِصَارُ المَعَاصِمِ
دَعِيٌّ وَحَجَّامٌ سَطَوْتُمْ عَلَيْهِمَا وما قدرهم مَصَّاص دَمِ المَحَاجِمِ
فَهَلاَّ عَلَى دمياتَةٍ قَبْلَ ذَاكَ أَوْ عَلَى مَحَلِّ أَرْبَاضِ رُمَاةِ الضَّرَاغِمِ
لَيَالِيَ قَادُوكُمْ كَمَا اقْتَادَكُمْ أَقْيَالُ[2] جُرْجَانٍ بِحَزِّ الحَلاقِمِ
وَسَاقُوا عَلَى رِسْلٍ بَنَاتِ مُلُوكِكُمْ سَبَايَا كَمَا سِيقَتْ ظِبَاءُ الصَّرَائِمِ[3]
وَلٰكِنْ سَلُوا عَنَّا هِرَقْلاً وَمَنْ خَلاَ لَكُمْ مِنْ مُلُوكٍ مُكْرَمِينَ قَمَاقِمِ[4]
يُخَبِّرُكُمْ عَنَّا التنوخُ وكم قد وَقَيْصَرُ سَبينا من نساءٍ كرائم
وَعَمَّا فَتَحْنَا مِنْ مَنِيعِ بِلادِكُمْ وَعَمَّا أَقَمْنَا فِيكُمُ مِنْ مَآتِمِ
وَدَعْ كُلَّ نَذْلٍ مُفْتَرٍ لا تَعُدُّهُ إماماً ولا الدعوى له بالتقادم
فَهَيْهَاتَ سَامرّا وَتَكْرِيتُ مِنْكُمُ إِلَى جَبَلٍ تِلْكُمْ أَمَانِيُّ هَائِمِ
مُنًى يَتَمَنَّاهَا الضَّعِيفُ وَدُونَهَا نظائرها . . . وحزُّ الغلاصم
تريدونَ بغدادَ سوقاً جديدةً مسيرةَ شهرٍ للفنيقِ القواصم[5]
مَحَلَّةُ أَهْلِ الزُّهْدِ وَالعِلْمِ وَالتُّقَى وَمَنْزِلَةٌ يَخْتَارُهَا كُلُّ عَالِمِ
دَعُوا الرَّمْلَةَ الصَّهْبَاءَ عَنْكُمْ فَدُونَهَا مِنَ المُسْلِمِينَ الغُرِّ كُلُّ مقاوم
وَدُونَ دِمَشْقٍ جَمْعُ جَيْشٍ كَأَنَّهُ سَحَائِبُ طَيْرٍ يَنْتَحِي بِالقَوَادِمِ
وَضَرْبٌ يُلَقِّي الكُفْرَ كُلَّ مَذَلَّةٍ كَمَا ضَرَبَ السِّكِّيُّ بِيضَ الدَّرَاهِمِ
وَمِنْ دُونِ أَكْنَافِ الحِجَازِ جَحَافِلٌ كَقَطْرِ الغُيُومِ الهَائِلاتِ السَّوَاجِمِ

---

(١) النوكى: الحمقى.
(٢) الأقيال: السادة.
(٣) الصرائم: جمع صريمة وهي الرمال ذات الشجر.
(٤) القماقم: السادة الذين يكثرون العطاء.
(٥) الفنيق: الفحل من الإبل. القواصم: المحطمة لكل ما تلقاه القوية.

بِهَا مِنْ بَنِي عَدْنَانَ كُلُّ سَمَيْدَعٍ[1] … وَمِنْ حَيِّ قَحْطَانٍ كِرَامِ الْعَمَائِمِ
وَلَوْ قَدْ لَقِيتُمْ مِنْ قُضَاعَةَ كُبَّةً[2] … لَقِيتُمْ ضِرَاماً فِي يَبِيسِ الْهَشَائِمِ
إذا صَبَّحُوكُمْ ذَكَّرُوكُمْ بِمَا خَلاَ … لَهُمْ مَعَكُمْ مِنْ صَادِقٍ مُتَلاحِمِ
زَمَانَ يَقُودُونَ الصَّوَافِنَ[3] نَحْوَكُمْ … فَجِئْتُمْ ضَمَاناً أَنَّكُمْ في الغنائم
سَيَأْتِيكُمْ مِنْهُمْ قَرِيباً عَصَائِبٌ[4] … تُنَسِّيكُمُ تَذْكَارَ أَخْذِ الْعَوَاصِمِ
وَأَمْوَالُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَدِمَاؤُكُمْ … بِهَا يَشْتَفِي حَرُّ الصُّدُورِ الْحَوَائِمِ
وَأَرْضِيكُمُ حَقّاً سَيَقْتَسِمُونَهَا … كَمَا فَعَلُوا دَهْراً بِعَدْلِ الْمَقَاسِمِ
وَلَوْ طَرَقَتْكُمْ مِنْ خُرَاسَانَ عُصْبَةٌ … وَشِيرَازَ وَالرَّيِّ الْملاحِ الْقَوَائِمِ
لَمَا كَانَ مِنْكُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ غَيْرَ ما … عَهِدنَا لَكُمْ: ذُلٌّ وَعَضُّ الأَبَاهِمِ
فَقَدْ طَالَمَا زَارُوكُمُ فِي دِيَارِكُمْ … مَسِيرَةَ عَامٍ بِالْخُيُولِ الصوادمِ
فَأَمَّا سِجِسْتَانٌ وَكَرْمَانُ بالأولى … وكابلُ حلوانٌ بلادُ المراهم
وَفِي فَارِسٍ وَالسُّوسِ جَمْعٌ عَرَمْرَمٌ … وَفِي أَصْبَهَانَ كُلُّ أَرْوَعَ عَارِمِ
فَلَوْ قَدْ أَتَاكُمْ جَمْعُهُمْ لَغَدَوْتُمُ … فَرَائِسَ كَالآسَادِ فَوْقَ البهائم
وَبِالبَصْرَةِ الغراء وَالكُوفَةِ الَّتِي … سَمَتْ وبِآدي وَاسِطٍ بالعظائم
جُمُوعٌ تُسَامِي الرَّمْلَ عَدّاً وَكَثْرَةً … فَمَا أَحَدٌ عَادَوْهُ مِنْهُمْ بِسَالِمِ
وَمِنْ دُونِ بَيْتِ الله في مَكَّةَ الَّتِي … حَبَاهَا بِمَجْدٍ لِلْبَرَايَا مراحم
مَحَلُّ جَمِيعِ الأَرْضِ مِنْهَا تَيَقُّناً … مَحَلَّةَ سُفْلِ الخُفِّ مِنْ فَصِّ خَاتِمِ
دِفَاعٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ عَنْها بِحَقِّهَا … فَمَا هُوَ عَنْهَا رَدُّ طَرْفٍ بِرَائِمِ
بِهَا وَقَعَ الأَحْبُوشُ هَلْكَى وَفِيلُهُمْ … بِحَصْبَاءِ طَيْرٍ في ذُرَى الجَوِّ حَائِمِ
وَجَمْعٍ كَجَمْعِ البَحْرِ مَاضٍ عَرَمْرَمٍ … حَمَى بنية البَطْحَاءِ ذَاتِ المَحَارِمِ
وَمِنْ دُونِ قَبْرِ المُصْطَفَى وَسْطَ طَيْبَةٍ … جُمُوعٌ كَمُسْوَدٍّ مِنَ اللَّيْلِ فَاحِمِ
يَقُودُهُمُ جَيْشُ المَلائِكَةِ العُلَى … دِفَاعاً وَدَفْعاً عَنْ مُصَلٍّ وَصَائِمِ
فَلَوْ قَدْ لَقِينَاكُمْ لَعُدتُمْ رَمَائِماً … كَمَا فَرَّقَ الإِعْصَارُ عُظْمَ البَهَائِمِ
وبِاليَمَنِ المَمْنُوعِ فِتْيَانُ غَارَةٍ … إذا مَا لَقُوكُمْ كُنْتُمُ كَالمَطَاعِمِ

(١) السميدع: السيد الكريم الشجاع.
(٢) الكبّة: الجماعة.
(٣) الصوافن: الخيل الجياد.
(٤) العصائب: الجماعات.

وَفِي جَانِبَيْ أَرْضِ الْيَمَامَةِ عُصْبَةٌ ... مَعاذر أَمْجَادٍ طِوالُ الْبَرَاجِمِ[(١)]
ونستفتكم والقرمطيين دولةً ... تقووا بميمونِ التقيةِ حَازِمِ
خَلِيفَةِ حَقٍّ يَنْصُرُ الدِّينَ حُكْمُهُ ... وَلاَ يَتَّقِي فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمِ
إِلَى وَلَدِ الْعَبَّاسِ تَنْمِي جُدُودُهُ ... بِفَخْرٍ عَمِيمٍ مُزْبِدِ الْمَوْجِ نَاعِمِ
مُلُوكٌ جَرَى بِالنَّصْرِ طَائِرُ سَعْدِهِمْ ... فَأَهْلاً بِمَاضٍ مِنْهُمُ وَبِقَادِمِ
مَحَلُّهُمُ فِي مَسْجِدِ الْقُدْسِ أَوْ لَدَى ... مَنَازِلِ بَغْدَادٍ مَحَلُّ الْمَكَارِمِ
وَإِنْ كَانَ مِنْ عُلْيَا عَدِيٍّ وَتَيْمِهَا ... وَمِنْ أَسَدٍ هٰذَا الصَّلاحِ الْحَضَارِمِ
فَأَهْلاً وَسَهْلاً ثُمَّ نُعْمَى وَمَرْحَباً ... بِهِمْ مِنْ خِيَارٍ سَالِفِينَ أَقَادِمِ
هُمُ نَصَروا الإِسْلاَمَ نَصْراً مُؤَزَّراً ... وَهُمْ فَتَحُوا الْبُلْدَانَ فَتْحَ الْمَرَاغِمِ
رُوَيْداً فَوَعْدُ اللهِ بِالصِّدْقِ وَارِدٌ ... بِتَجْرِيعِ[(٢)] أَهْلِ الْكُفْرِ طَعْمَ الْعَلاقِمِ
سَنَفْتَحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَذَوَاتِهَا ... وَنَجْعَلُكُمْ فَوْقَ النُّسُورِ الْقَشَاعِمِ[(٣)]
ونملك أقصى أرضكم وبلادكم ... ونلزمكم ذل الخزي المغارم
وَنَفْتَحُ أَرْضَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ عَنْوَةً ... بِجَيْشٍ لِأَرْضِ التُّرْكِ وَالْخَزْرِ حَاطِمِ
مَوَاعِيدُ لِلرَّحْمٰنِ فِينَا صَحِيحَةٌ ... وَلَيْسَتْ كَآمَالِ الْعُقُولِ السَّواقِمِ
وَنَمْلِكُ أَقْصَى أَرْضِكُمْ وَبِلاَدِكُمْ ... وَنُلْزِمُكُمْ ذُلَّ الْجِرَابِ الْمَخَارِمِ
إِلَى أَنْ تَرَى الإِسْلاَمَ قَدْ عَمَّ حُكْمُهُ ... جَمِيعَ الأَرَاضِي بِالْجُيُوشِ الصَّوَارِمِ
أَتَقْرِنُ يَا مَخْذُولُ دِيناً مُثَلَّثاً ... بَعِيداً عَنِ الْمَعْقُولِ بَادِي الْمَآثِمِ
تَدِينُ لِمَخْلُوقٍ يَدِينُ لِغَيْرِهِ ... فَيَا لَكَ سُحْقاً لَيْسَ يَخْفَى لِعَالِمِ
أَنَاجِيلُكُمْ مَصْنُوعَةٌ قَدْ تَشَابَهَتْ ... كَلاَمُ الأُولَى فِيهَا أَتَوْا بِالْعَظَائِمِ
وَعُودُ صَلِيبٍ مَا تَزَالُونَ سُجَّداً ... لَهُ يَا عُقُولَ الْهَامِلاتِ السَّوَائِمِ[(٤)]
تَدِينُونَ تَضْلالاً بِصَلْبِ إِلٰهِكُمْ ... بِأَيْدِي يَهُودٍ أَرْذَلِينَ أَلائِمِ
إِلَى مِلَّةِ الإِسْلاَمِ تَوْحِيدُ رَبِّنَا ... فَمَا دِينُ ذِي دِينٍ لَهَا بِمُقَاوِمِ
وَصِدْقِ رِسَالاتِ الَّذِي جَاءَ بِالْهُدَى ... مُحَمَّدٍ الآتِي بِرَفْعِ الْمَظَالِمِ
وَأَذْعَنَتِ الأَمْلاكُ طَوْعاً لِدِينِهِ ... بِبُرْهَانِ صِدْقٍ طَاهِرٍ فِي الْمَوَاسِمِ

---

(١) معاذر: أصحاب حجة، والبراجم: مفاصل الأصابع أي أنهم أقوياء طوال.

(٢) التجريع: الإجبار على الشرب والتذرق.

(٣) القشاعم: النسور الجارحة.

(٤) الهاملات السوائم: أي البهائم.

كَمَا دَانَ فِي صَنْعَاءَ مَالِكُ دَوْلَةٍ ... وَأَهْلُ عُمَانٍ حَيْثُ رَهْطُ الجَهَاضِمِ(١)

وَسَائِرُ أَمْلاكِ اليَمَانِينَ أَسْلَمُوا ... وَمِنْ بَلَدِ البَحْرَيْنِ قَوْمُ اللَّهَازِمِ(٢)

أَجَابُوا لِدِينِ اللهِ لا مِنْ مَخَافَةٍ ... وَلا رَغْبَةٍ يَحْظَى بِهَا كَفُّ عَادِمِ

فَحَلُّوا عُرَى التِّيجَانِ طَوْعاً وَرَغْبَةً ... بِحَقٍّ يَقِينٍ بِالبَرَاهِينَ فَاحِمِ

وَحَابَاهُ بِالنَّصْرِ المَكِينِ إِلَهُهُ ... وَصَيَّرَ مَنْ عَادَاهُ تَحْتَ المَنَاسِمِ(٣)

فَقِيرٌ وَحِيدٌ لَمْ تُعِنْهُ عَشِيرَةٌ ... وَلا دَفَعُوا عَنْهُ شَتِيمَةَ شَاتِمِ

وَلا عِنْدَهُ مَالٌ عَتِيدٌ لِنَاصِرٍ ... وَلا دَفْعُ مَرْهُوبٍ وَلا لِمُسَالِمِ

وَلا وَعَدَ الأَنْصَارَ مَالاً يَخُصُّهُمْ ... بَلَى كَانَ مَعْصُوماً لأَقْدَرِ عَاصِمِ

ولَمْ تَنْهَهُ فِي الحَقِّ قُوَّةُ آسِرٍ ... وَلا مُكِّنَتْ مِنْ جِسْمِهِ يَدُ ظَالِمِ

كَمَا يَفْتَرِي إِفْكاً وَزُوراً وَضَلَّةً ... عَلَى وَجْهِ عِيسَى مِنْكُم كُلُّ لاَطِمِ

عَلَى أَنَّكُمْ قَدْ قُلْتُمُوا هُوَ رَبُّكُمْ ... فَيَا لِضَلالٍ في القِيامة عَائِمِ

أَبَى اللهُ أَنْ يُدْعَى لَهُ ابْنٌ وَصَاحِبٌ ... سَتَلْقَى دُعَاةُ الكُفْرِ حَالَةَ نَادِمِ

وَلَكِنَّهُ عَبْدٌ نَبِيٌّ مُكَرَّمٌ ... مِنَ النَّاسِ مَخْلُوقٌ وَلا قَوْلُ زَاعِمِ

أَيُلْطَمُ وَجْهُ الرَّبِّ؟ تَبّاً لِدِينِكُمْ ... لَقَدْ فَقْتُمُ في قولكم كُلَّ ظَالِمِ

وَكَمْ آيَةٍ أَبْدَى النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ... وَكَمْ عَلَمٍ أَبْدَاهُ لِلشِّرْكِ حَاطِمِ

تَسَاوَى جَمِيعُ النَّاسِ فِي نَصْرِ حَقِّهِ ... بلى ولكلٍّ فِي العطا حَالُ خَادِمِ

فَعُرْبٌ وَأُحْبُوشٌ وَفُرْسٌ وَبَرْبَرٌ ... وَكُرْدِيُّهُمْ قَدْ فَازَ قدحَ المَرَاجِمِ

وَقِبْطٌ وَأَنْبَاطٌ وَخَزْرٌ وَدَيْلَمٌ ... وَرُومٌ رَمَوْكُمْ دُونَهُ بِالقَوَاصِمِ

أَبَوْا كُفْرَ أَسْلافٍ لَهُمْ فَتَمَنَّعُوا ... فَآبُوا بِحَظٍّ فِي السَّعَادَةِ لازِمِ

بِهِ دَخَلُوا فِي مِلَّةِ الحَقِّ كُلُّهُمْ ... وَدَانُوا لأَحْكَامِ الإِلَهِ اللَّوَازِمِ

بِهِ صَحَّ تَفْسِيرُ المَنَامِ الَّذِي أَتَى ... بِهِ دَانِيَالٌ قَبْلَهُ خَتْمُ خَاتِمِ

وَهِنْدٌ وَسِنْدٌ أَسْلَمُوا وَتَدَيَّنُوا ... بِدِينِ الهُدَى رَفْضٌ لِدِينِ الأَعَاجِمِ

وَشَقَّ لَهُ بَدْرُ السَّمَوَاتِ آيَةً ... وَأَشْبَعَ مَنْ صَاعٍ لَهُ كُلَّ طَاعِمِ

وَسَالَتْ عُيُونُ المَاءِ فِي وَسْطِ كَفِّهِ ... فَأَرْوَى بِهِ جَيْشاً كَثِيراً هَمَاهِمِ

---

(١) رهط الجهاضم: الرهط: القوم والجماعة، والجهاضم: جمع جهضم وهو الضخم الهامة المستدير الوجه والرحب الجبين الواسع الصدر، كناية عن القوة.

(٢) اللهازم: ناتئتان تحت الأذن.

(٣) المناسم: جمع منسم، وهو للجمال كالظفر للإنسان، أي طرف خف الجمل.

وَجَاءَ بِمَا تَقْضِي العُقُولُ بِصِدْقِهِ وَلاَ كَدُعَاءٍ غَيْرِ ذَاتِ قَوَائِمِ
عَلَيْهِ سَلامُ اللهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ تَعَقَّبُهُ ظَلْمَاءُ أَسْحَمُ قَاتِمِ(١)
بَرَاهِينُهُ كَالشَّمْسِ لا مِثْلَ قَوْلِكُمْ وَتَخْلِيطِكُمْ في جَوْهَرٍ وَأَقَانِمِ
لَنَا كُلُّ عَلِمٍ مِنْ قَدِيمٍ وَمُحْدَثٍ وَأَنْتُمْ حَمِيرٌ دَامِيَاتُ المَحَازِمِ
أَتَيْتُمْ بِشِعْرٍ بَارِدٍ مُتَخَاذِلٍ ضَعِيفِ مَعَانِي النَّظْمِ جَمِّ البَلاعِمِ
فَدُونَكَهَا كَالعِقْدِ فِيهِ زُمُرُّدٌ وَدُرٌّ وَيَاقُوتٌ بِأَحْكَامِ حَاكِمِ

وفيها عزل ابن أبي الشوارب عن القضاء ونقضت سجلاته وأبطلت أحكامه مدة أيامه، وولي القضاء عوضه أبو بشر عمر بن أكثم بن رزق، ورفع عنه ما كان يحمله ابن أبي الشوارب في كل سنة وفي ذي الحجة منها استسقى الناس لتأخر المطر - وذلك في كانون الثاني - فلم يسقوا. وحكى ابن الجوزي في المنتظم عن ثابت بن سنان المؤرخ قال: حدثني جماعة ممن أثق بهم أن بعض بطارقة الأرمن أنفذ في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة إلى ناصر الدولة بن حمدان رجلين من الأرمن ملتصقين سنهما خمس وعشرون سنة، ملتحمين ومعهما أبوهما، ولهما سرتان وبطنان ومعدتان وجوعهما وريهما يختلفان، وكان أحدهما يميل إلى النساء والآخر يميل إلى الغلمان، وكان يقع بينهما خصومة وتشاجر، وربما يحلف الآخر لا يكلم الآخر فيمكث كذلك أياماً ثم يصطلحان، وهبهما ناصر الدولة ألفي درهم وخلع عليهما ودعاهما إلى الإسلام فيقال إنهما أسلما. وأراد أن يبعثهما إلى بغداد ليراهما الناس ثم رجع عن ذلك، ثم إنهما رجعا إلى بلدهما مع أبيهما فاعتل أحدهما ومات وأنتن ريحه وبقي الآخر لا يمكنه التخلص منه، وقد كان اتصال ما بينهما من الخاصرتين، وقد كان ناصر الدولة أراد فصل أحدهما عن الآخر وجمع الأطباء لذلك فلم يمكن، فلما مات أحدهما حار أبوهما في فصله عن أخيه فاتفق اعتلال الآخر من غمه ونتن رائحة أخيه فمات غماً فدفنا جميعاً في قبر واحد.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عمر بن أكثم بن أحمد بن حيان بن بشر أبو بشر الأسدي [الفقيه الشافعي](٢)، ولد سنة أربع وثمانين ومائتين، ووليَ القضاء في زمن المطيع نيابة عن أبي السائب عتبة بن عبيد الله، ثم ولِّيَ قضاء القضاة، وهو أول من ولِّيَ قضاء القضاة من الشافعية سوى أبي السائب، وكان جيد السيرة في القضاء. توفي في ربيع الأول منها.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها عملت الرافضة عزاء الحسين كما تقدم في السنة الماضية فاقتتل

---

(١) ما ذر شارق: أي ما طلع. والأسحم: الشديد السواد.

(٢) سقط في ط.

الروافض وأهل السنة في هذا قتالاً شديداً، وانتهبت الأموال. وفيها عصى نجا غلام سيف الدولة عليه، وذلك أنه كان في العام الماضي قد صادر أهل حران وأخذ منهم أموالاً جزيلة فتمرد بها وذهب إلى بلاد أذربيجان وأخذ طائفة منها من يد رجل من الأعراب يقال له أبو الورد، فقتله وأخذ من أمواله شيئاً كثيراً، وقويت شوكته بسبب ذلك، فسار إليه سيف الدولة فأخذه وأمر بقتله فقتل بين يديه، وألقيت جثته في الأقذار. وفيها جاء الدمستق إلى المصيصة فحاصرها وثقب سورها فدافعه أهلها فأحرق رستاقها وقتل ممن حولها خمسة عشر ألفاً وعاثوا فساداً في بلاد أذنة وطرسوس، وكر راجعاً إلى بلاده. وفيها قصد معز الدولة الموصل وجزيرة ابن عمر فأخذ الموصل وأقام بها فراسله في الصلح صاحبها فاصطلحا على أن يكون الحمل في كل سنة، وأن يكون أبو تغلب بن ناصر الدولة ولي عهد أبيه من بعده، فأجاب معز الدولة إلى ذلك، وكر راجعاً إلى بغداد بعد ما جرت له خطوب كثيرة استقصاها ابن الأثير. وفيها ظهر رجل ببلاد الديلم وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين من أولاد الحسن بن علي، ويعرف بابن الداعي، فالتف عليه خلق كثير، ودعا إلى نفسه وتسمّى بالمهدي، وكان أصله من بغداد وعظم شأنه بتلك البلاد، وهرب منه ابن الناصر العلوي. وفيها قصد ملك الروم وفي صحبته الدمستق ملك الأرمن بلاد طرسوس فحاصرها مدة ثم غلت عليهم الأسعار وأخذهم الوباء فمات كثير منهم فكروا راجعين: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥] وكان من عزمهم يريدون أن يستحوذوا على البلاد الإسلامية كلها، وذلك لسوء حكامها وفساد عقائدهم في الصحابة فسلم الله ورجعوا خائبين. وفيها كانت وقعة المختار ببلاد صقلية، وذلك أنه أقبل من الروم خلق كثير، ومن الفرنج ما يقارب مائة ألف، فبعث أهل صقلية إلى المعز الفاطمي يستنجدونه، فبعث إليهم جيوشاً كثيرة في الأسطول، وكانت بين المسلمين والمشركين وقعة عظيمة صبر فيها الفريقان من أول النهار إلى العصر، ثم قتل أمير الروم مويل، وفرت الروم وانهزموا هزيمة قبيحة فقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً وسقط الفرنج في وادٍ من الماء عميق فغرق أكثرهم وركب الباقون في المراكب، فبعث الأمير أحمد صاحب صقلية في آثارهم مراكب أخر فقتلوا أكثر المشركين في البحر أيضاً، وغنموا في هذه الغزوة كثيراً من الأموال والحيوانات والأمتعة والأسلحة، فكان في جملة ذلك سيف مكتوب عليه: هذا سيف هندي زنته مائة وسبعون مثقالاً، طالما قوتل به بين يدي رسول الله ﷺ، فبعثوا به في جملة تحف إلى المعز الفاطمي إلى إفريقية. وفيها قصدت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد الإخشيد صاحب مصر والشام، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحاً، فقلع لهم أبواب الرقة ـ وكانت من حديد صامت ـ وأخذ لهم من حديد الناس حتى أخذ أواقي الباعة والأسواق، وأرسل بذلك كله إليهم، فأرسلوا إليه يقولون اكتفينا. وفيها طلب معز الدولة من الخليفة المطيع أن يأذن له في دخول دار الخلافة ليتفرج فيها فأذن له فدخلها، فبعث الخليفة خادمه وصاحبه معه فطافوا بها وهو مسرع خائف، ثم خرج منها وقد

خاف من غائلة ذلك وخشي أن يقتل في دهاليزها، فتصدق بعشرة آلاف لما خرج شكراً لله على سلامته، وازداد حباً في الخليفة المطيع من يومئذٍ، وكان في جملة ما رأى فيها من العجائب صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جداً، وحولها أصنام صغار في هيئة الخدم لها كان قد أتى بها في زمن المقتدر فأقيمت هناك ليتفرج عليها الجواري والنساء، فهمّ معز الدولة أن يطلبه من الخليفة ثم ارتأى فترك ذلك.

وفي ذي الحجة منها خرج رجل بالكوفة فادعى أنه علويّ، وكان يتبرقع فسمي المتبرقع وغلظت فتنته وبعد صيته، وذلك في غيبة معز الدولة عن بغداد واشتغاله بأمر الموصل كما تقدم، فلما رجع إلى بغداد اختفى المتبرقع وذهب في البلاد فلم يتتج له أمر بعد ذلك.

وممن توفي فيها من الأعيان:

بكار بن أحمد

ابن بكار بن بيان بن بكار بن درستويه بن عيسى المقري، روى الحديث عن عبد الله بن أحمد وعنه أبو الحسن الحماني، وكان ثقة أقرأ القرآن أزيد من ستين سنة رحمه الله. توفي في ربيع الأول وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين، ودفن بمقبرة الخيزران عند قبر أبي حنيفة.

أبو إسحاق الجهمي

ولد سنة خمسين ومائتين، وسمع الحديث وكان إذا سئل أن يحدث يقسم أن لا يحدث حتى يجاوز المائة فأبرّ الله قسمه وجاوزها فأسمع. توفي منها عن مائة سنة وثلاثين سنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها عملت الشيعة مأتمهم وبدعتهم على ما تقدم قبل، وغلقت الأسواق وعلقت المسوح، وخرجت النساء سافرات ناشرات شعورهن، ينحن ويلطمن وجوههن في الأسواق والأزقة على الحسين، وهذا تكلف لا حاجة إليه في الإسلام، ولو كان هذا أمراً محموداً لفعله خير القرون وصدر هذه الأمة وخيرتها وهم أولى به ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١] وأهل السنة يقتدرون ولا يبتدعون، ثم تسلطت أهل السنة على الروافض فكبسوا مسجدهم مسجد براثا الذي هو عش الروافض وقتلوا بعض من كان فيه من القومة. وفيها في رجب منها جاء ملك الروم بجيش كثيف إلى المصيصة ففتحها قسراً وقتل من أهلها خلقاً، واستاق بقيتهم معه أسارى، وكانوا قريباً من مائتي ألف إنسان، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم جاء إلى طرسوس فسأل أهلها منه الأمان فأمنهم وأمرهم بالجلاء عنها والانتقال منها، واتخذ مسجدها الأعظم اسطبلاً لخيوله وحرق المنبر ونقل قناديله إلى كنائس

بلده، وتنصر بعض أهلها معه لعنه الله، وكان أهل طرسوس والمصيصة قد أصابهم قبل ذلك بلاء وغلاء عظيم، ووباء شديد، بحيث كان يموت منهم في اليوم الواحد ثمانمائة نفر، ثم دهمهم هذا الأمر الشديد فانتقلوا من شهادة إلى شهادة أعظم منها. وعزم ملك الروم على المقام بطرسوس ليكون أقرب إلى بلاد المسلمين، ثم عنّ له فسار إلى القسطنطينية وفي خدمته الدمستق ملك الأرمن لعنه الله. وفيها جعل أمر تسفير الحجيج إلى نقيب الطالبيين وهو أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوي، وهو والد الرضى والمرتضى، وكتب له منشور بالنقابة والحجيج.

وفيها توفيت أخت معز الدولة فركب الخليفة في طيارة[1] وجاء لعزائه فقبّل معز الدولة الأرض بين يديه وشكر له سعيه إليه، وصدقاته عليه. وفي ثاني عشر ذي الحجة منها عملت الروافض عيد غدير خم على العادة الجارية كما تقدم. وفيها تغلب على أنطاكية رجل يقال له رشيق النسيمي بمساعدة رجل يقال له ابن الأهوازي، وكان يضمن الطواحين، فأعطاه أموالاً عظيمة وأطمعه في أخذ أنطاكية، وأخبره أن سيف الدولة قد اشتغل عنه بميافارقين وعجز عن الرجوع إلى حلب، ثم تم لهما ما راماه من أخذ أنطاكية، ثم ركبا منها في جيوش إلى حلب فجرت بينهما وبين نائب سيف الدولة حروب عظيمة، ثم أخذ البلد وتحصن النائب بالقلعة وجاءته نجدة من سيف الدولة مع غلام له اسمه بشارة، فانهزم رشيق فسقط عن فرسه فابتدره بعض الأعراب فقتله وأخذ رأسه وجاء به إلى حلب، واستقل ابن الأهوازي سائراً إلى أنطاكية، فأقام رجلاً من الروم اسمه دزبر فسماه الأمير، وأقام آخر من العلويين ليجعله خليفه وسماه الأستاذ. فقصده نائب حلب وهو قرعويه فاقتتلا قتالاً شديداً فهزمه ابن الأهوازي، [واستقر بأنطاكية، فلما عاد سيف الدولة إلى حلب لم يبت بها إلا ليلة واحدة حتى سار إلى أنطاكية فالتقاه ابن الأهوازي فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم دزبر وابن الأهوازي][2] وأسرا فقتلهما سيف الدولة.

وفيها ثار رجل من القرامطة اسمه مروان كان يحفظ الطرقات لسيف الدولة، ثار بحمص فملكها وما حولها، فقصده جيش من حلب مع الأمير بدر فاقتتلوا معه فرماه بدر بسهم مسموم فأصابه، واتفق أن أسر أصحاب مروان بدراً فقتله مروان بين يديه صبراً ومات مروان بعد أيام وتفرق عنه أصحابه. وفيها عصى أهل سجستان أميرهم خلف بن أحمد، وذلك أنه حج في سنة ثلاث وخمسين واستخلف عليهم طاهر بن الحسين، فطمع في الملك بعده واستمال أهل البلد، فلما رجع من الحج لم يسلمه البلد وعصى عليه، فذهب إلى بخارى إلى الأمير منصور بن نوح الساماني فاستنجده، فبعث معه جيشاً فاستنقذ البلد من طاهر وسلمها إلى الأمير خلف بن أحمد ـ وقد كان خلف عالماً محباً للعلماء ـ فذهب طاهر

(١) الطيارة: نوع من المراكب.

(٢) ما بين معقوفين سقط من المصرية.

فجمع جموعاً ثم جاء فحاصر خلفاً وأخذ منه البلد. فرجع خلف إلى الأمير منصور الساماني فبعث معه من استرجع له البلد ثانية وسلمها إليه، فلما استقر خلف بها وتمكن منها منع ما كان يحمله من الهدايا والتحف والخلع إلى الأمير منصور الساماني ببخارى، فبعث إليه جيشاً فتحصن خلف في حصن يقال له حصن إراك، فنازله الجيش فيه تسع سنين لم يقدروا عليه، وذلك لمناعة هذا الحصن وصعوبته وعمق خندقه وارتفاعه، وسيأتي ما آل إليه أمر خلف بعد ذلك. وفيها قصدت طائفة من الترك بلاد الخزر فاستنجد أهل الخزر بأهل خوارزم فقالوا لهم: لو أسلمتم لنصرناكم: فأسلموا إلا ملكهم، فقاتلوا معهم الترك فأجلوهم عنها ثم أسلم الملك بعد ذلك ولله الحمد والمنة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

المتنبي الشاعر المشهور

أحمد بن الحسين بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي، كان أبوه يعرف بعيدان السقاء وكان يسقي الماء لأهل الكوفة على بعير له، وكان شيخاً كبيراً. وعيدان هذا قال ابن ماكولا والخطيب: هو بكسر العين المهملة وبعدها ياء مثناة من تحت، وقيل بفتح العين لا كسرها، فالله أعلم. كان مولد المتنبي بالكوفة سنة ست وثلاثمائة ونشأ بالشام بالبادية فطلب الأدب ففاق أهل زمانه فيه، ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان وامتدحه وحظي عنده، ثم صار إلى مصر وامتدح الإخشيد ثم هجاه وهرب منه، وورد بغداد فامتدح بعض أهلها، وقدم الكوفة ومدح ابن العميد فوصله من جهته ثلاثون ألف دينار، ثم سار إلى فارس فامتدح عضد الدولة بن بويه فأطلق له أموالاً جزيلة تقارب مائتي ألف دينار، وقيل بل حصل له منه نحو من ثلاثين ألف دينار، ثم دس إليه من يسأله أيما أحسن عطايا عضد الدولة بن بويه أو عطايا سيف الدولة بن حمدان؟ فقال: هذه أجزل وفيها تكلف، وتلك أقل ولكن عن طيب نفس من معطيها، لأنها عن طبيعة وهذه عن تكلف. فذكر ذلك لعضد الدولة فتغيظ عليه ودس عليه طائفة من الأعراب فوقفوا له في أثناء الطريق وهو راجع إلى بغداد، ويقال إنه كان قد هجا مقدمهم ابن فاتك الأسدي ـ وقد كانوا يقطعون الطريق ـ فلهذا أوعز إليهم عضد الدولة أن يتعرضوا له فيقتلوه ويأخذوا له ما معه من الأموال، فانتهوا إليه ستون راكباً في يوم الأربعاء وقد بقي من رمضان ثلاثة أيام، وقيل بل قتل في يوم الاثنين لخمس بقين من رمضان، وقيل بل كان ذلك في شعبان، وقد نزل عند عين تحت شجرة إجاص، وقد وضعت سفرته ليتغدى، ومعه ولده محسن وخمسة عشر غلاماً له، فلما رآهم قال: هلموا يا وجوه العرب إلى الغداء، فلما لم يكلموه أحس بالشر فنهض إلى سلاحه وخيله فتواقفوا ساعة فقتل ابنه محسن وبعض غلمانه وأراد هو أن ينهزم. فقال له مولى له: أين تذهب وأنت القائل:

فَالخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي   وَالطَّعْنُ وَالضَّرْبُ وَالقِرْطَاسُ وَالقَلَمُ

فقال له: ويحك قتلتني، ثم كر راجعاً فطعنه زعيم القوم برمح في عنقه فقتله. ثم اجتمعوا عليه فطعنوه بالرماح حتى قتلوه وأخذوا جميع ما معه، وذلك بالقرب من النعمانية، وهو آيب إلى بغداد. ودفن هناك وله من العمر ثمانٍ وأربعون سنة. وذكر ابن عساكر أنه لما نزل تلك المنزلة التي كانت قبل منزلته التي قتل بها، سأله بعض الأعراب أن يعطيهم خمسين درهماً ويخفرونه، فمنعه الشح والكبر ودعوى الشجاعة من ذلك. وقد كان المتنبي جعفيّ النسب صليبة منهم، وقد ادعى حين كان مع بني كلب بأرض السماوة قريباً من حمص إنه علوي، ثم ادعى أنه نبيّ يوحى إليه، فاتبعه جماعة من جهلتهم وسفلتهم، وزعم أنه أنزل عليه قرآن فمن ذلك قوله: «والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، إن الكافر لفي خسار، امض على سنتك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك من ألحد في دينه، وضل عن سبيله» وهذا من خذلانه وكثرة هذيانه وفشاره[1]، ولو لزم قافية مدحه النافق بالنفاق، والهجاء بالكذب والشقاق، لكان أشعر الشعراء، وأفصح الفصحاء. ولكن أراد بجهله وقلة عقله أن يقول ما يشبه كلام رب العالمين [رب الأرض والسماء الذي لا يشبه شيء من الأشياء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأحواله تعالى الله خالق الأشياء][2] الذي لو اجتمعت الجن والإنس والخلائق أجمعون على أن يأتوا بسورة مثل سورة من أقصر سوره لما استطاعوا. ولما اشتهر خبره بأرض السماوة وأنه قد التف عليه جماعة من أهل الغباوة، خرج إليه نائب حمص من جهة بني الأخشيد وهو الأمير لؤلؤ بيض الله وجهه، فقاتله وشرد شمله، وأسر مذموماً مدحوراً، وسجن دهراً طويلاً، فمرض في السجن وأشرف على التلف، فاستحضره واستتابه وكتب عليه كتاباً اعترف فيه ببطلان ما ادعاه من النبوة، وأنه قد تاب من ذلك ورجع إلى دين الإسلام، فأطلق الأمير سراحه فكان بعد ذلك إذا ذكر له هذا يجحده إن أمكنه وإلا اعتذر منه واستحيا، وقد اشتهر بلفظة تدل على كذبه فيما كان ادعاه من الإفك والبهتان، وهي لفظة المتنبي، الدالة على الكذب ولله الحمد والمنة وقد قال بعضهم يهجوه:

أيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الـ ... فَضْلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيَّا
عَاشَ حِيناً يَبِيعُ في الكُوفَةِ المـا ... ءَ وَحِيناً يَبِيعُ مَاءَ المُحَيَّا[3]

وللمتنبي ديوان شعر مشهور، فيه أشعار رائقة ومعانٍ ليست بمسبوقة، بل مبتكرة شائقة. وهو في الشعراء المحدثين كامرىء القيس في المتقدمين، وهو عندي بخط كما ذكر من له خبرة بهذه الأشياء مع تقدم أمره. وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي في منتظمه قطعاً رائقة استحسنها من شعره، وكذلك الحافظ [أبو القاسم][4] ابن عساكر شيخ إقليمه، فمما استحسنه ابن الجوزي:

---

(١) الفشار: الخيبة والفشل.
(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٣) يبيع ماء المحيا: أي ماء الوجه وهذا دليل على الذلة.
(٤) سقط في ط.

عزيزاً سبى مَنْ دَاؤُهُ الحَدَقُ النُّجْلُ عَيَاءٌ بِه مَاتَ المُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إلَيَّ فَمَنْظَرِي نَذِيرٌ إلى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الهَوَى سَهْلُ
جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي في مَفَاصِلِي فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ
وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرَةً فَمَا فَوْقَهَا إلاّ وَفِيهَا لَهُ فِعْلُ
كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكِ سَدَّ مَسَامِعِي عَنِ العَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا العَذْلُ
كَأَنَّ سُهَادَ اللَّيْلِ يَعْشَقُ مُقْلَتِي فَبَيْنَهُمَا في كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ

ومن ذلك قوله:

كَشَفَتْ ثَلاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا في لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ في وَقْتٍ مَعَا

ومن ذلك قوله:

مَا نَالَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي وَلا سَمِعَتْ بِسِحْرِيَ بَابِلُ
وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ
مَنْ لِي بِفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدَّعِي أَنْ يَحْسبَ الهِنْدِيُّ مِنْهُمْ بَاقِلُ(١)

ومن ذلك قوله:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوّاً لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

وله:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَاراً تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

وله:

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلاً تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبا

وله:

خُذْ ما تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ في طَلْعَةِ الشَّمْسِ ما يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

وله في مدح بعض الملوك:

تَمْضِي الكَوَاكِبُ وَالأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ مِنْهَا إلى المَلِكِ المَيْمُونِ طَائِرُهُ
قَدْ حُزْنَ في بَشَرٍ في تَاجِهِ قَمَرٌ في دِرْعِهِ أَسَدٌ تدمى أَظَافِرُهُ
حُلْوٌ خَلائِقُهُ شُوسٌ حَقَائِقُهُ يُحْصِي الحَصَى قَبْلَ أَنْ تُحْصَى مَآثِرُهُ

ومنها قوله:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ

(١) الهندي: أي الذي في لسان رطانة.

لا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْماً أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلا يَهِيضُونَ[١] عَظْماً أَنْتَ جَابِرُهُ

وقد بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله سبحانه وتعالى. وأخبرني العلامة شمس الدين بن القيم رحمه الله أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود أدعو الله بما تضمناه من الذل والخضوع. ومما يورده ابن عساكر للمتنبي في ترجمته قوله:

أَبِعَيْنِ مُفْتَقِرٍ إِلَيْكَ رَأَيْتَنِي فَأَهَنْتَنِي وَقَذَفْتَنِي مِنْ حَالِقِي

لَسْتَ المَلُومَ، أنا المَلُومُ، لأنَّنِي أَنْزَلْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الخَالِقِ

قال ابن خلكان: وهذان البيتان ليسا في ديوانه، وقد عزاهما الحافظ الكندي إليه بسند صحيح ومن ذلك قوله:

إذا ما كُنْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ فَلا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ

فَطَعْمُ المَوتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ المَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ

ومن ذلك قوله:

وَمَا أَنَا بِالبَاغِي عَلَى الحُبِّ رِشْوَةً قَبِيحٌ هَوًى يُرْجَى عَلَيْهِ ثَوَابُ

إذا نِلْتُ مِنْكَ الوُدَّ فَالكُلُّ هَيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

وقد تقدم أنه ولد بالكوفة سنة ست وثلاثمائة، وأنه قتل في رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. قال ابن خلكان: وقد فارق سيف الدولة بن حمدان سنة أربع وخمسين لما كان من ابن خالويه إليه ما كان من ضربه إياه بمفتاح في وجهه فأدماه، فصار إلى مصر فامتدح كافوراً الأخشيدي وأقام عنده أربع سنين، وكان المتنبي يركب في جماعة من مماليكه فتوهم منه كافور فجاءه، فخاف المتنبي فهرب، فأرسل في طلبه فأعجزه، فقيل لكافور: ما هذا حتى تخافه؟ فقال: هذا رجل أراد أن يكون نبياً بعد محمد ﷺ، أفلا يروم أن يكون ملكاً بديار مصر؟ والملك أقل وأذل من النبوة. ثم صار المتنبي إلى عضد الدولة فامتدحه فأعطاه مالاً كثيراً ثم رجع من عنده فعرض له فاتك بن أبي الجهل الأسدي فقتله وابنه محسن وغلامه مفلح يوم الأربعاء لست بقين من رمضان وقيل لليلتين [بقيتا من رمضان وقيل يوم الاثنين لثمان وقيل لخمس بقين منه وذلك][٢]، بسواد بغداد، وقد رثاه الشعراء، وقد شرح ديوانه العلماء بالشعر واللغة نحواً من ستين شرحاً وجيزاً وبسيطاً.

وممن توفي فيها من الأعيان: أبو حاتم [ابن حبان][٣] البستي صاحب الصحيح.

---

(١) أهاض: أضعف وكسر.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٣) سقط في ط.

محمد بن حبان

ابن أحمد [ابن حبان] بن معاذ بن معبد أبو حاتم البستي صاحب الأنواع والتقاسيم، وأحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين، رحل إلى البلدان وسمع الكثير من المشايخ، ثم وليَ قضاء بلده ومات بها في هذه السنة وقد حاول بعضهم الكلام فيه من جهة معتقده ونسبه إلى القول بأن النبوة مكتسبة، وهي نزعة فلسفية والله أعلم بصحة عزوها إليه ونقلها عنه. وقد ذكره في طبقات الشافعية.

محمد بن الحسن بن يعقوب

ابن الحسن بن الحسين بن مقسم أبو بكر بن مقسم المقري، ولد سنة خمس ومائتين، وسمع الكثير من المشايخ، روى عنه الدارقطني وغيره، وكان من أعرف الناس بالقراءات، وله كتاب في النحو على طريقة الكوفيين، سماه كتاب الأنوار. قال ابن الجوزي: ما رأيت مثله، وله تصانيف غيره، ولكن تكلم الناس فيه بسبب تفرده بقراءات لا تجوز عند الجميع، وكان يذهب إلى أن كل ما لا يخالف الرسم ويسوغ من حيث المعنى تجوز القراءة به كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] أي يتناجون. قال لو قرىء نجيباً من النجابة لكان قوياً. وقد ادعى عليه وكتب عليه مكتوب أنه قد رجع عن مثل ذلك، ومع هذا لم ينته عما كان يذهب إليه حتى مات. قاله ابن الجوزي.

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد ربه

ابن موسى أبو بكر الشافعي، ولد بجبلان سنة ستين ومائتين، وسمع الكثير، وسكن بغداد وكان ثقة ثبتاً كثير الرواية، سمع منه الدارقطني وغيره من الحفاظ، وكان يحدث بفضائل الصحابة حين منعت الديالم من ذلك جهراً بالجامع بمدينة المنصور مخالفة لهم، وكذلك بمسجده بباب الشام توفي في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم عملت الروافض بدعتهم الشنعاء وضلالتهم الصلعاء على عادتهم ببغداد. وفيها أجلى القرامطة الهجريين من عمان. وفيها قصدت الروم آمد فحاصروها فلم يقدروا عليها، ولكن قتلوا من أهلها ثلاثمائة وأسروا منهم أربعمائة، ثم ساروا إلى نصيبين، وفيها سيف الدولة فهم بالهرب مع العرب، ثم تأخر مجيء الروم فثبت مكانه وقد كادت تزلزل أركانه. وفيها وردت طائفة من جيش خراسان ـ وكانوا بضعة عشر ألفاً ـ يظهرون أنهم يريدون غزو الروم، فأكرمهم ركن الدولة بن بويه وأمنوا إليهم فنهضوا إليهم وأخذوا الديلم على غرة فقاتلهم ركن الدولة فظفر بهم لأن البغي له مصرع وخيم وهرب أكثرهم. وفيها خرج معز الدولة من بغداد إلى واسط لقتال عمران بن شاهين حين تفاقم الحال بشأنه، واشتهر أمره في تلك النواحي، فقوي المرض بمعز الدولة فاستناب على الحرب ورجع إلى

بغداد فكانت وفاته في السنة الآتية كما سنذكره - إلى حيث ألقت. وفيها قوي أمر أبي عبد الله بن الداعي ببلاد الديلم وأظهر النسك والعبادة، ولبس الصوف وكتب إلى الآفاق حتى إلى بغداد يدعو إلى الجهاد في سبيل الله لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ، وفي جمادى الآخرة نودي برفع المواريث الحشرية وأن ترد إلى ذوي الأرحام. وفيها وقع الفداء بين سيف الدولة وبين الروم فاستنقذ منهم أسارى كثيرة، منهم ابن عمه أبو فراس بن سعيد بن حمدان، وأبو الهيثم بن حصن القاضي، وذلك في رجب منها. وفيها ابتدأ معز الدولة بن بويه في بناء مارستان وأرصد له أوقافاً جزيلة. وفيها قطعت بنو سليم السابلة[1] على الحجيج من أهل الشام ومصر والمغرب، وأخذوا منهم عشرين ألف جمل بأحمالها، وكان عليها من الأموال والأمتعة ما لا يقدر كثرة، وكان لرجل يقال له ابن الخواتيمي قاضي طرسوس مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار عيناً، وذلك أنه أراد التحول من بلاد الشام إلى العراق بعد الحج، وكذلك أراد كثير من الناس، وحين أخذوا جمالهم تركوهم على يرد الديار لا شيء لهم، فقل منهم من سلم والأكثر عطب، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وحج بالناس فيها الشريف أبو أحمد نقيب الطالبيين من جهة العراق.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن داود

ابن علي بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله العلوي الحسني.

قال الحاكم: أبو عبد الله كان شيخ آل رسول الله ﷺ في عصره بخراسان وسيد العلوية في زمانه، وكان من أكثر الناس صلاة وصدقة ومحبة للصحابة، وصحبته مدة فما سمعته ذكر عثمان إلا قال: الشهيد، ويبكي. وما سمعته ذكر عائشة إلا قال: الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله، ويبكي. وقد سمع الحديث من ابن خزيمة وطبقته، وكان آباؤه بخراسان وفي سائر بلدانهم سادات نجباء حيث كانوا:

مِنْ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ مِنْهُمُ ... لَهُمْ دَانَتْ رِقَابُ بَنِي مَعَدٍّ[2]

محمد بن الحسين بن علي بن الحسن

ابن يحيى بن حسان بن الوضاح، أبو عبد الله الأنباري الشاعر المعروف بالوضاحي، كان يذكر أنه سمع الحديث من المحاملي وابن مخلد وأبي روق. روى عنه الحاكم المجلل شيئاً من شعره كان أشعر من في وقته، ومن شعره:

سَقَى اللهُ بَابَ الكَرْخِ رَبْعاً وَمَنْزِلاً ... وَمَنْ حَلَّهُ صَوْبَ السَّحَابِ المجلل[3]

---

(١) السابلة: الطريق.

(٢) البيت غير مستقيم الوزن.

(٣) صوب السحاب: مطره.

فَلَوْ أَنَّ بَاكِي دِمْنَةِ الدَّارِ بِالكَوى ... وَجَارَتَهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

رَأَى عَرَصَاتِ الكَرْخِ أَو حَلَّ أَرْضَهَا ... لأَمْسَكَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ [١]

أبو بكر بن الجعابي

محمد بن عمر بن سلم بن البراء بن سبرة بن سيار، أبو بكر الجعابي، قاضي الموصل، ولد في صفر سنة أربع وثمانين ومائتين، سمع الكثير وتخرج بأبي العباس بن عقدة، وأخذ عنه علم الحديث وشيئاً من التشيع أيضاً، وكان حافظاً مكثراً، يقال إنه كان يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيدها ومتونها، ويذاكر بستمائة ألف حديث ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والحكايات قريباً من ذلك، ويحفظ أسماء الرجال وجرحهم وتعديلهم، وأوقاتِ وفياتهم ومذاهبهم، حتى تقدم على أهل زمانه، وفاق سائر أقرانه. وكان يجلس للإملاء فيزدحم الناس عند منزله، وإنما كان يملي من حفظه إسناد الحديث ومتنه جيداً محرراً صحيحاً، وقد نسب إلى التشيع كأستاذه ابن عقدة، وكان يسكن بباب البصرة عندهم، وقد سئل عنه الدارقطني فقال: خلط. وقال أبو بكر البرقاني: صاحب غرائب، ومذهبه معروف في التشيع، وقد حكى عنه قلة دين وشرب خمر فالله أعلم. ولما احتضر أوصى أن تحرق كتبه فحرقت، وقد أحرق معها كتب كثيرة كانت عنده للناس، فبئس ما عمل. ولما أخرجت جنازته كانت سكينة نائحة الرافضة تنوح عليه في جنازته.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة

استهلت هذه السنة والخليفة المطيع لله، والسلطان معز الدولة بن بويه الديلمي وفيها عملت الروافض في يوم عاشوراء عزاء الحسين على عادة ما ابتدعوه من النوح وغيره كما تقدم.

وفاة معز الدولة بن بويه

ولما كان ثالث عشر ربيع الأول منها توفي أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي الذي أظهر الرفض ويقال له معز الدولة، بعلة الذرب[٢]، فصار لا يثبت في معدته شيء بالكلية، فلما أحس بالموت أظهر التوبة وأناب إلى الله عز وجل، ورد كثيراً من المظالم، وتصدق بكثير من ماله، وأعتق طائفة كثيرة من مماليكه، وعهد بالأمر إلى ولده بختيار عز الدولة، وقد اجتمع ببعض العلماء فكلمه في السنة وأخبره أن علياً زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، فقال: والله ما سمعت بهذا قط، ورجع إلى السنة ومتابعتها، ولما حضر وقت الصلاة خرج عنه ذلك الرجل العالم فقال له معز الدولة: إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الصلاة

(١) العرصات، جمع عرصة، وهي الساحة. والدخول وحومل موضعان.

(٢) الذرب: علة تصيب المعدة ويصحبها إمساك شديد.

فقال له ألا تصلي ههنا؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأن دارك مغصوبة. فاستحسن منه ذلك. وكان معز الدولة حليماً كريماً عاقلاً، وكانت إحدى يديه مقطوعة، وهو أول من أجرى السعاة بين يديه ليبعث بأخباره إلى أخيه ركن الدولة سريعاً إلى شيراز، وحظي عنده أهل هذه الصناعة وكان عنده في بغداد ساعيان ماهران، وهما فضل، وبرغوش، يتعصب لهذا عوام أهل السنة، ولهذا عوام أهل الشيعة، وجرت لهما مناصف ومواقف. ولما مات معز الدولة دفن بباب التبن في مقابر قريش، وجلس ابنه للعزاء. وأصاب الناس مطر ثلاثة أيام تباعاً، وبعث عز الدولة إلى رؤوس الأمراء في هذه الأيام بمال جزيل لئلا تجتمع الدولة على مخالفته قبل استحكام مبايعته، وهذا من دهائه، وكان عمر معز الدولة ثلاثاً وخمسين سنة، ومدة ولايته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ويومين، وكان قد نادى في أيامه برد المواريث إلى ذوي الأرحام قبل بيت المال وقد سمع بعض الناس ليلة توفي معز الدولة هاتفاً يقول:

لَمَّا بَلَغْتَ أَبَا الحُسَيْنِ ... مُرَادَ نَفْسِكَ بالطَّلَبْ
وَأَمِنْتَ مِنْ حَدَثِ اللَّيَا ... لِي وَاحْتَجَبْتَ عَنِ النُّوَبْ[1]
مُدَّتْ إِلَيْكَ يَدُ الرَّدَى ... وَأُخِذْتَ مِنْ بَيْنِ الرُّتَبْ

ولما مات قام بالأمر بعده ولده عز الدولة فأقبل على اللعب واللهو والاشتغال بأمر النساء فتفرق شمله واختلفت الكلمة عليه، وطمع الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان في ملك بني بويه، وأرسل الجيوش الكثيرة صحبة وشمكير، فلما علم بذلك ركن الدولة بن بويه أرسل إليه ابنه عضد الدولة وابن أخيه عز الدولة يستنجدهما، فأرسلا إليه بجنود كثيرة، فركب فيها ركن الدولة وبعث إليه وشمكير يتهدده ويتوعده، ويقول لئن قدرت عليك لأفعلن بك ولأفعلن، فبعث إليه ركن الدولة يقول: لكني إن قدرت عليك لأحسنن إليك ولأصفحن عنك. فكانت الغلبة لهذا، فدفع الله عنه شره، وذلك أن وشمكير ركب فرساً صعباً يتصيد عليها فحمل عليه خنزير فنفرت منه الفرس فألقته على الأرض فخرج الدم من أذنيه فمات من ساعته وتفرقت العساكر. وبعث ابن وشمكير يطلب الأمان من ركن الدولة فأرسل إليه بالمال والرجال، ووفى بما قال من الإحسان، وصرف الله عنه كيد السامانية، وذلك بصدق النية وحسن الطوية والله أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أبو الفرج الأصبهاني

صاحب كتاب الأغاني، واسمه علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي، صاحب كتاب الأغاني

(١) حدث الليالي: نوائبها، والنوب: المصائب.

وكتاب أيام العرب، ذكر فيه ألفاً وسبعمائة يوم من أيامهم، وكان شاعراً أديباً كاتباً، عالماً بأخبار الناس وأيامهم، وكان فيه تشيع. قال ابن الجوزي: ومثله لا يوثق به، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب العشق ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى فيه كل قبيح ومنكر، وقد روي الحديث عن محمد بن عبد الله بن بطين وخلق، وروى عنه الدارقطني وغيره، توفي في ذي الحجة من هذه السنة وكان مولده في سنة أربع وثمانين ومائتين، التي توفي فيها البحتري الشاعر، وقد ذكر له ابن خلكان مصنفات عديدة منها الأغاني والمزارات وأيام العرب. وفيها توفي:

سيف الدولة [بن حمدان صاحب حلب أبو الحسن بن أبي الهيجا عبد الله بن أحمد بن حمدان بن حمدون التغلبي الربعي الملقب بسيف الدولة](١)

أحد الأمراء الشجعان، والملوك الكثيري الإحسان، على ما كان فيه من تشيع، وقد ملك دمشق في بعض الأوقات، واتفق له أشياء غريبة، منها أن خطيبه كان مصنف الخطب النباتية أحد الفصحاء البلغاء. ومنها أن شاعره كان المتنبي، ومنها أن مطربه كان أبو نصر الفارابي، وكان سيف الدولة كريماً جواداً معطياً للجزيل. ومن شعره في أخيه ناصر الدولة صاحب الموصل:

رَضِيتُ لَكَ العَلْيَا، وَقَدْ كُنْتَ أَهْلَهَا ... وَقُلْتَ لَهُمْ: بَيْنِي وَبَيْنَ أَخِي فَرْقُ
وَمَا كَانَ لِي عَنْهَا نُكُولٌ(٢)، وَإِنَّمَا ... تَجَاوَزْتُ عَنْ حَقِّي فَتَمَّ لَكَ السبقُ(٣)
أَمَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ أَكُونَ مُصَلِّياً ... إذا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ السّبقُ

وله أيضاً:

قَدْ جَرَى فِي دَمْعِهِ دَمُهُ ... قَالَ لِي كَمْ أَنْتَ تَظْلِمُهُ
رَدَّ عَنْهُ الطَّرْفَ مِنْكَ فَقَدْ ... جَرَّحَتْهُ مِنْكَ أَسْهُمُهُ
كَيْفَ يَسْتَطِيعُ التَّجَلُّدَ ... مَنْ خَطَرَاتُ الوَهْم(٤) تُؤْلِمُهُ

وكان سبب موته الفالج، وقيل عسر البول. توفي بحلب وحمل تابوته إلى ميافارقين فدفن بها، وعمره ثلاث وخمسون سنة، ثم أقام في ملك حلب بعده ولده سعد الدولة أبو المعالي شريف، ثم تغلب عليه مولى أبيه فأخرجه من حلب إلى أمه بميافارقين، ثم عاد إليها كما سيأتي.

وذكر ابن خلكان أشياء كثيرة مما قاله سيف الدولة، وقيل فيه، قال ولم يجتمع بباب

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٢) النكول: التراجع.
(٣) في ط: الحق.
(٤) خطرات الوهم: أطيافه وخيالاته.

أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشعراء، وقد أجاز لجماعة منهم وقال [ابن خلكان][1]: إنه ولد سنة ثلاث، وقيل إحدى وثلاثمائة وأنه ملك حلب بعد الثلاثين والثلاثمائة، وقبل ذلك ملك واسطاً ونواحيها، ثم تقلبت به الأحوال حتى ملك حلب. انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي صاحب الإخشيد وقد قال يوماً: أيكم يجيز قولي وما أظن أحداً منكم يجيز ذلك: لك جسمي تعله فدمي لم تحله؟ فقال أبو فراس اخوه بديهة: إن كنت مالكاً الأمر كله.

وقد كان هؤلاء الملوك رفضة وهذا من أقبح القول. وفيها توفي:

كافور الإخشيدي

ولى محمد بن طغج الإخشيدي، وقد قام بالأمر بعده مولاه لصغر ولده. تملك كافور مصر ودمشق وقاده لسيف الدولة وغيره. وقد كتب على قبره:

انْظُرْ إلى غِيَرِ الأيَامِ[2] مَا صَنَعَتْ ... أَفْنَتْ قُرُوناً بِهَا كَانُوا وَمَا فَنِيَتْ

دُنْيَاهُمُ ضَحِكَتْ أَيَامَ دَوْلَتِهِمْ ... حَتَّى إذَا فَنِيَتْ نَاحَتْ لَهُمْ وَبَكَتْ

أبو علي القالي

صاحب الأمالي إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان، أبو علي القاضي القالي اللغوي الأموي مولاهم، لأن سليمان هذا كان مولى لعبد الملك بن مروان، والقالي نسبة إلى قاليقلا. ويقال إنها أرزن الروم فالله أعلم. وكان مولده بميافارقين، جزء من أرض الجزيرة من ديار بكر، وسمع الحديث من أبي يعلى الموصلي وغيره، وأخذ النحو واللغة عن ابن دريد وأبي بكر الأنباري ونفطويه وغيرهم، وصنف الأمالي وهو مشهور، وله كتاب التاريخ على حروف المعجم في خمسة آلاف رقة، وغير ذلك من المصنفات في اللغة، ودخل بغداد وسمع بها ثم ارتحل إلى قرطبة فدخلها في سنة ثلاثين وثلاثمائة واستوطنها، وصنف بها كتباً كثيرة إلى أن توفي بها في هذه السنة عن ثمانٍ وستين سنة قاله ابن خلكان.

وفيها توفي: **أبو علي محمد بن إلياس**: صاحب بلاد كرمان ومعاملاتها، فأخذ عضد الدولة بن ركن الدولة بلاد كرمان، من أولاد محمد بن إلياس - وهم ثلاثة - اليسع، وإلياس وسليمان، والملك الكبير وشمكير، كما قدمنا.

وفيها توفي من الملوك أيضاً الحسن بن الفيرزان. فكانت هذه السنة محل موت الملوك مات فيها معز الدولة وكافور، وسيف الدولة، قال ابن الأثير: وفيها هلك نقفور ملك الأرمن وبلاد الروم يعني الدمستق كما تقدم.

---

(١) سقط في ط.

(٢) غير الأيام: الصروف.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

فيها شاع الخبر ببغداد وغيرها من البلاد أن رجلاً ظهر يقال له محمد بن عبد الله وتلقب بالمهدي وزعم أنه الموعود به، وأنه يدعو إلى الخير وينهي عن الشر، ودعا إليه ناس من الشيعة وقالوا: هذا علوي من شيعتنا، وكان هذا الرجل إذ ذاك مقيماً بمصر عند كافور الإخشيدي قبل أن يموت وكان يكرمه، وكان من جملة المستحسنين له سبكتكين الحاجب، وكان شيعياً فظنه علوياً، وكتب إليه أن يقدم إلى بغداد ليأخذ له البلاد، فترحل عن مصر قاصداً العراق فتلقاه سبكتكين الحاجب إلى قريب الأنبار، فلما رآه عرفه وإذا هو محمد بن المستكفي بالله العباسي، فلما تحقق أنه عباسي وليس بعلوي انثنى رأيه فيه، فتفرق شمله وتمزق أمره، وذهب أصحابه كل مذهب، وحمل إلى معز الدولة فأمنه وسلمه إلى المطيع لله فجدع أنفه واختفى أمره، فلم يظهر له خبراً بالكلية بعد ذلك. وفيها وردت طائفة من الروم إلى بلاد أنطاكية فقتلوا خلقاً من حواضرها وسبوا اثني عشر ألفاً من أهلها ورجعوا إلى بلادهم، ولم يعرض لهم أحد. وفيها عملت الروافض في يوم عاشوراء منها المأتم على الحسين، وفي يوم غدير خم الهناء والسرور. وفيها في تشرين عرض للناس داء الماشري فمات به خلق كثير. وفيها مات أكثر جمال الحجيج في الطريق من العطش، ولم يصل منهم إلى مكة إلا القليل، بل مات أكثر من وصل منهم بعد الحج. وفيها اقتتل أبو المعالي شريف بن سيف الدولة هو وخاله وابن عم أبيه أبو فراس في المعركة. قال ابن الأثير: ولقد صدق من قال: إن الملك عقيم.

وفيها توفي من الأعيان أيضاً: **إبراهيم المتقي لله**، وكان قد ولي الخلافة ثم ألجىء أن خلع من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة إلى هذه السنة، ولزم بيته فمات في هذه السنة ودفن بداره عن ستين سنة [رحمه الله].

عمر بن جعفر بن عبد الله

ابن أبي السري: أبو جعفر البصري الحافظ ولد سنة ثمانين ومائتين، حدث عن أبي الفضل بن الحباب وغيره، وقد انتقد عليه مائة حديث وضعها. قال الدارقطني فنظرت فيها فإذا الصواب مع عمر بن جعفر.

محمد بن أحمد بن علي بن مخلد

أبو عبد الله الجوهري المحتسب، ويعرف بابن المخرم، كان أحد أصحاب ابن جرير الطبري، وقد روى عن الكديمي وغيره، وقد اتفق له أنه تزوج امرأة فلما دخلت عليه جلس يكتب الحديث فجاءت أمها فأخذت الدواة فرمت بها وقالت: هذه أضر على ابنتي من مائة ضرة. توفي في هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة، وكان يضعف في الحديث.

كافور بن عبد الله الإخشيدي

كان مولًى السلطان محمد بن طغج، اشتراه من بعض أهل مصر بثمانية عشر ديناراً، ثم قرَّبه وأدناه، واختصه من بين الموالي واصطفاه، ثم جعله أتابكاً حين ملك ولداه، ثم استقل بالأمور بعد موتهما في سنة خمس وخمسين، واستقرت المملكة باسمه فدعي له على المنابر بالديار المصرية والشامية والحجازية، وكان شهماً شجاعاً ذكياً جيد السيرة، مدحه الشعراء، منهم المتنبي وحصل له منه مال، ثم غضب عليه فهجاه ورحل عنه إلى عضد الدولة، ودفن كافور بتربته المشهورة به، وقام في الملك بعده أبو الحسن علي بن الإخشيد، ومنه أخذ الفاطميون الأدعياء بلاد مصر كما سيأتي. ملك كافور سنتين وثلاثة أشهر.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة

في عاشوراء منها عملت الروافض بدعتهم وفي يوم غدير خم عملوا الفرح والسرور المبتدع على عادتهم. وفيها حصل الغلاء العظيم حتى كاد أن يعدم الخبز بالكلية، وكاد الناس أن يهلكوا. وفيها عاث الروم في الأرض فساداً وحرقوا حمص وأفسدوا فيها فساداً عريضاً، وسبوا من المسلمين نحواً من مائة ألف إنسان فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها دخل أبو الحسين جوهر القائد الرومي في جيش كثيف من جهة المعز الفاطمي إلى ديار مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان فلما كان يوم الجمعة خطبوا للمعز الفاطمي على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها، وأمر جوهر المؤذنين بالجوامع أن يؤذنوا بحيَّ على خير العمل، وأن يجهر الأئمة بالتسليمة الأولى، وذلك أنه لما مات كافور لم يبق بمصر من تجتمع القلوب عليه، وأصابهم غلاء شديد أضعفهم، فلما بلغ ذلك المعز بعث جوهراً هذا - وهو مولى أبيه المنصور - في جيش إلى مصر. فلما بلغ ذلك أصحاب كافور هربوا منها قبل دخول جوهر إليها، فدخلها بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة، ففعل ما ذكرنا، واستقرت أيدي الفاطميين على تلك البلاد. وفيها شرع جوهر القائد في بناء القاهرة المعزية، وبناء القصرين عندها على ما نذكره. وفيها شرع في الإمامات إلى مولاه المعز الفاطمي. وفيها أرسل جوهر جعفر بن فلاح في جيش كثيف إلى الشام فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن يعلى الهاشمي، وكان مطاعاً في أهل الشام فحاجف عن العباسيين مدة طويلة، ثم آل الحال إلى أن يخطبوا للمعز بدمشق، وحمل الشريف أبو القاسم هذا إلى الديار المصرية، وأسر الحسن بن طغج وجماعة من الأمراء وحملوا إلى الديار المصرية، فحملهم جوهر القائد إلى المعز بإفريقية، واستقرت يد الفاطميين على دمشق في سنة ستين كما سيأتي وأذن فيها وفي نواحيها بحي على خير العمل أكثر من مائة سنة، وكتب لعنة الشيخين على أبواب الجوامع بها، وأبواب المساجد، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولم يزل ذلك كذلك حتى أزالت ذلك دولة الأتراك والأكراد نور الدين الشهيد وصلاح الدين بن أيوب

على ما سيأتي بيانه. وفيها دخلت الروم إلى حمص فوجدوا أكثر أهلها قد انجلوا عنها وذهبوا، فحرقوها وأسروا ممن بقي فيها ومن حولها نحواً من مائة ألف إنسان، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفي ذي الحجة منها نقل عز الدولة والده معز الدولة بن بويه من داره إلى تربته بمقابر قريش. [وممن توفي فيها من الأعيان على ما ذكره ابن الجوزي في منتظمه **كافور الإخشيدي**.

قال ابن الجوزي: وقد رأيت مدح المتنبي لكافور يحمل الذم والمدح وكأنه يلعب به والله تعالى أعلم به].

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها عملت الروافض بدعتهم الشنعاء فغلقت الأسواق وتعطّلت المعايش ودارت النساء سافرات عن وجوههن ينحن على الحسين بن علي ويلطمن وجوههن، والمسوح معلقة في الأسواق والتبن مدرور فيها. وفيها دخلت الروم أنطاكية فقتلوا من أهلها الشيوخ والعجائز وسبوا الصبايا والأطفال نحواً من عشرين ألفاً فإنا لله وإنا إليه راجعون. وذلك كله بتدبير ملك الأرمن نقفور لعنه الله، وكل هذا في ذمة ملوك الأرض أهل الرفض الذين قد استحوذوا على البلاد وأظهروا فيها الفساد قبحهم الله. قال ابن الجوزي: وكان قد تمرد وطغا، وكان هذا الخبيث قد تزوج بامرأة الملك الذي كان قبله، ولهذا الملك المتقدم ابنان، فأراد أن يخصيهما ويجعلهما في الكنيسة لئلا يصلحا بعد ذلك للملك، فلما فهمت ذلك أمهما عملت عليه وسلّطت عليه الأمراء فقتلوه وهو نائم وملّكوا عليهم أكبر ولديها. وفي ربيع الأول صرف عن القضاء أبو بكر أحمد بن سيار وأعيد إليه أبو محمد بن معروف.

قال ابن الجوزي: وفيها نقصت دجلة حتى غارت الآبار.

وحج بالناس الشريف أبو أحمد النقيب، وانقض كوكب في ذي الحجة فأضاءت له الأرض حتى بقي له شعاع كالشمس، ثم سمع له صوت كالرعد.

قال ابن الأثير: وفي المحرم منها خطب للمعز الفاطمي بدمشق عن أمر جعفر بن فلاح الذي أرسله جوهر القائد بعد أخذه مصر؛ فقاتله أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طغج بالرملة فغلبه ابن فلاح وأسره وأرسله إلى جوهر فأرسله إلى المعز وهو بإفريقية. وفيها وقعت المنافرة بين ناصر الدولة بن حمدان وبين ابنه أبي تغلب، وسببه أنه لما مات معز الدولة بن بويه عزم أبو تغلب ومن وافقه من أهل بيته على أخذ بغداد، فقال لهم أبوهم: إن معز الدولة قد ترك لولده عز الدولة أموالاً جزيلة فلا تقدرون عليه ما دامت في يده، فاصبروا حتى ينفقها فإنه مبذر، فإذا أفلس فسيروا إليه فإنكم تغلبونه، فحقد عليه ولده أبو تغلب بسبب هذا القول ولم يزل بأبيه حتى سجنه بالقلعة، فاختلف أولاده بينهم وصاروا أحزاباً، وضعفوا عما في أيديهم، فبعث أبو تغلب إلى عز الدولة يضمن منه بلاد الموصل

بألف ألف [درهم][1] كل سنة إليه، واتفق موت أبيه ناصر الدولة في هذه السنة، واستقر أبو تغلب بالموصل وملكها، إلا أنهم فيما بينهم مختلفين متحاربين [فهلكوا ولو اتفقوا لملكوا][2].

وفيها دخل ملك الروم إلى طرابلس فأحرق كثيراً منها وقتل خلقاً، وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها منها لشدة ظلمه، فأسرته الروم واستحوذوا على جميع أمواله وحواصله، وكانت كثيرة جداً، ثم مالوا على السواحل فملكوا ثمانية عشر بلداً سوى القرى، وتنصَّر خلق كثير على أيديهم فإنا لله وإنا إليه راجعون. وجاؤوا إلى حمص فأحرقوا ونهبوا وسبوا، ومكث ملك الروم شهرين يأخذ ما أراد من البلاد ويأسر من قدر عليه، وصارت له مهابة في قلوب الناس، ثم عاد إلى بلده ومعه من السبي نحو من مائة ألف ما بين صبي وصبية، وكان سبب عوده إلى بلاده كثرة الأمراض في جيشه واشتياقهم إلى أولادهم، وبعث سرية إلى الجزيرة فنهبوا وسبوا، وكان قرعويه غلام سيف الدولة قد استحوذ على حلب وأخرج منها ابن أستاذه شريف، فسار إلى طرف وهي تحت حكمه فأبوا أن يمكنوه من الدخول إليهم، فذهب إلى أمه بميافارقين، وهي ابنة سعيد بن حمدان، فمكث عندها حيناً ثم سار إلى حماه فملكها، ثم عاد إلى حلب بعد سنتين كما سيأتي، ولما عاثت الروم في هذه السنة بالشام صانعهم قرعويه عن حلب، وبعث إليهم بأموال وتحف ثم عادوا إلى أنطاكية فملكوها وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها، وسبوا عامة أهلها وركبوا إلى حلب وأبو المعالي شريف محاصر قرعويه بها، فخافهم فهرب عنها فحاصرها الروم فأخذوا البلد، وامتنعت القلعة عليهم ثم اصطلحوا مع قرعويه على هدية ومال يحمله إليهم كل سنة، وسلموا إليه البلد ورجعوا عنه. وفيها خرج على المعز الفاطمي وهو بإفريقية رجل يقال له أبو خزر فنهض إليه بنفسه وجنوده وطرده ثم عاد فاستأمنه فقبل منه وصفح عنه وجاءه الرسول من جوهر يبشره بفتح مصر وإقامة الدعوة له بها، ويطلبه إليها، ففرح بذلك وامتدحه الشعراء من جملتهم شاعره محمد بن هانىء في قصيدة له أولها:

يَقُولُ بَنُو العَبَّاسِ قَدْ فُتِحَتْ مِصْرُ ... فَقُلْ لِبَنِي العَبَّاسِ قَدْ قُضِيَ الأَمْرُ

وفيها رام عز الدولة صاحب بغداد محاصرة عمران بن شاهين الصياد فلم يقدر عليه، فصالحه ورجع إلى بغداد. وفيها اصطلح قرعويه وأبو المعالي شريف، فخطب له قرعويه بحلب وجميع معاملاتها تخطب للمعز الفاطمي، وكذلك حمص ودمشق، ويخطب بمكة للمطيع بالله وللقرامطة، وبالمدينة للمعز الفاطمي. وخطب أبو أحمد الموسوي بظاهرها للمطيع.

وذكر ابن الأثير أن نقفور توفي في هذه السنة ثم صار ملك الروم إلى ابن الملك الذي قبله، قال وكان يقال له الدمستق، ثم صار ملك الروم وأراد قتل ابن الملك الذي كان قبله

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.

فغارت لهما أمهما فقتلته غيلة وقد كان من أبناء المسلمين كان أبوه من أهل طرسوس من خيار المسلمين يعرف بابن الفقاس، فتنصَّر ولده هذا وحظي عند النصارى حتى صار من أمره ما صار، وقد كان من أشد الناس على المسلمين، أخذ منهم بلاداً كثيرة عنوة، من ذلك طرسوس وأذنة وعين زربة والمصيصة وغير ذلك، وقتل من المسلمين خلقاً لا يعلمهم إلا الله، وسبى منهم ما لا يعلم عددهم إلا الله، وتنصروا أو غالبهم، وهو الذي بعث تلك القصيدة إلى المطيع كما تقدم [وقد أوردناها في آخر الجزء الذي قبل هذا في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة][١].

وممن توفي فيها من الأعيان:

محمد بن أحمد بن الحسين

ابن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله أبو علي الصواف، روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وطبقته، وعنه خلق منهم الدارقطني، وقال ما رأت عيناي مثله في تحريره ودينه وقد بلغ تسعاً وثمانين سنة رحمه الله.

محارب بن محمد بن محارب

أبو العلاء الفقيه الشافعي من ذرية محارب بن دثار، كان ثقة عالماً، روى عن جعفر الفريابي وغيره.

أبو الحسين أحمد بن محمد

المعروف بابن القطان أحد أئمة الشافعية، تفقه على ابن سريج، ثم الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وتفرد برياسة المذهب بعد موت أبي القاسم الداراني، وصنَّف في أصول الفقه وفروعه، وكانت الرحلة إليه ببغداد، ودرس بها وكتب شيئاً كثيراً، توفي في جمادى الأولى.

ثم دخلت سنة ستين وثلاثمائة

في عاشر محرمها عملت الروافض بدعتهم المحرمة على عادتهم المتقدمة. وفي ذي القعدة منها أخذت القرامطة دمشق وقتلوا نائبها جعفر بن فلاح [من جهة المعز الفاطمي][٢]، وكان رئيس القرامطة وأميرهم الحسين بن أحمد بن بهرام وقد أمده عز الدولة من بغداد بسلاح وعدد كثيرة، ثم ساروا إلى الرملة فأخذوها وتحصن بها من كان بها من المغاربة نواباً. ثم إن القرامطة تركوا عليهم من يحاصرها ثم ساروا نحو القاهرة في جمع كثير من الأعراب والإخشيدية والكافورية، فوصلوا عين شمس فاقتتلوا هم وجنود جوهر القائد قتالاً شديداً، والظفر للقرامطة وحصروا المغاربة حصراً عظيماً. ثم حملت المغاربة في بعض الأيام على ميمنة القرامطة فهزمتها ورجعت القرامطة إلى الشام فجدوا في حصار باقي

(١) ما بين معقوفين سقط في ط. (٢) سقط في ط.

المغاربة فأرسل جوهر إلى أصحابه خمسة عشر مركباً ميرة لأصحابه، فأخذتها القرامطة سوى مركبين أخذتها الإفرنج. وجرت خطوب كثيرة. ومن شعر الحسين بن أحمد بن بهرام أمير القرامطة في ذلك:

زَعَمَتْ رِجَالُ الغَرْبِ أَنِّي هِبْتُهَا   فَدَمِي إِذَنْ مَا بَيْنَهُمْ مَطْلُولُ[(١)]

يا مِصْرُ إِنْ لَمْ أَسْقِ أَرْضَكِ مِنْ دَمٍ   يَرْوِي ثَرَاكِ فَلا سَقَانِي النِّيلُ

وفيها تزوج أبو تغلب بن حمدان بنت بختيار عز الدولة وعمرها ثلاث سنين على صداق مائة ألف دينار، ووقع العقد في صفر منها. وفيها استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة الصاحب أبا القاسم بن عباد فأصلح أموره وساس دولته جيداً. وفيها أذن بدمشق وسائر الشام بحي على خير العمل.

قال ابن عساكر في ترجمة جعفر بن فلاح نائب دمشق: وهو أول من تأمر بها عن الفاطميين أخبرنا أبو محمد الأكفاني قال: قال أبو بكر أحمد بن محمد بن شرام: وفي يوم الخميس لخمس خلون من صفر من سنة ستين وثلاثمائة أعلن المؤذنون في الجامع بدمشق وسائر مآذن البلد، وسائر المساجد بحيٍّ على خير العمل بعد حي على الفلاح، أمرهم بذلك جعفر بن فلاح، ولم يقدروا على مخالفته، ولا وجدوا من المسارعة إلى طاعته بدّاً. وفي يوم الجمعة الثامن من جمادى الآخرة أمر المؤذنون أن يثنوا الأذان والتكبير في الإقامة مثنى مثنى. وأن يقولوا في الإقامة حيّ على خير العمل، فاستعظم الناس ذلك وصبروا على حكم الله تعالى.

وفيها توفي من الأعيان:

سليمان بن أحمد بن أيوب

أبو القاسم الطبراني [اللخمي][(٢)] الحافظ الكبير صاحب المعاجم الثلاثة: الكبير، والأوسط، والصغير. وله كتاب السنة وكتاب مسند الشاميين، وغير ذلك، من المصنفات المفيدة، عمر مائة سنة. توفي بأصبهان ودفن على بابها عند قبر حممة الصحابي رضي الله تعالى عنه. قاله أبو الفرج بن الجوزي [في المنتظم][(٣)].

قال ابن خلكان: سمع من ألف شيخ.

قال: وكانت وفاته في يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة من هذه السنة وقيل في شوال منها، وكان مولده في سنة ستين ومائتين فمات وله من العمر مائة سنة.

الرفا الشاعر أحمد بن السري أبو الحسن

الكندي الرّفّا الشاعر الموصلي، أرخ وفاته ابن الأثير في هذه السنة توفي في بغداد. وذكر ابن الجوزي أنه توفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كما سيأتي.

---

(١) مطلول: مسفوح.   (٢) سقط في ط.   (٣) سقط في ط.

محمد بن جعفر

ابن محمد بن الهيثم بن عمران بن يزيد أبو بكر بن المنذر أصله أنباري. سمع من أحمد بن الخليل بن البرجلاني، ومحمد بن العوام الرياحي، وجعفر بن محمد الصائغ، وأبي إسماعيل الترمذي. وقال ابن الجوزي وهو آخر من روى عنهم. قالوا: وكانت أصوله جياداً بخط أبيه، وسماعه صحيحاً، وقد انتقى عنه أبو عمرو البصري توفي. فجأة يوم عاشوراء وقد جاوز التسعين رحمه الله تعالى.

محمد بن الحسن بن عبد الله أبو بكر الآجري

سمع جعفر الفريابي، وأبا شعيب الحراني، وأبا مسلم الكجي وخلقاً، وكان ثقة صادقاً ديناً، وله مصنفات كثيرة مفيدة، منها الأربعون الآجرية، وقد حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، ثم انتقل إلى مكة فأقام بها حتى مات بعد إقامته بها ثلاثين سنة رحمه الله تعالى.

محمد بن جعفر بن محمد [بن مظفر](١)

أبو عمرو الزاهد، سمع الكثير ورحل إلى الآفاق المتباعدة، وسمع منه الحفاظ الكبار، وكان فقيراً متقللاً يضرب اللبن بقبور الفقراء، ويتقوت برغيف وجزرة أو بصلة، ويقوم الليل كله. توفي في جمادى الآخرة منها عن خمس وتسعين سنة.

محمد بن داود أبو بكر الصوفي

ويعرف بالدقي أصله من الدينور أقام ببغداد، ثم ارتحل وانتقل إلى دمشق، وقد قرأ على ابن مجاهد وسمع الحديث من محمد بن جعفر الخرائطي، صاحب ابن الجلاء، والدقاق. توفي في هذه السنة وقد جاوز المائة رحمه الله تعالى.

محمد بن الفرحاني

ابن زرويه المروزي الطبيب، دخل بغداد وحدَّث بها عن أبيه بأحاديث منكرة، وروى عن الجنيد وابن مرزوق، قال ابن الجوزي: وكان فيه ظرف ولباقة، غير أنهم كانوا يتهمونه بوضع الحديث [وممن توفي فيها].

أحمد بن [محمد بن](٢) الفتح

ويقال ابن أبي الفتح الخاقاني، أبو العباس النجاد، إمام جامع دمشق.

قال ابن عساكر: كان عابداً صالحاً، وذكر أن جماعة جاؤوا لزيارته فسمعوه يتأوه من وجع كان به، فأنكروا عليه ذلك، فلما خرج إليهم قال لهم: إن آه اسم من تستروح إليه الأعلى، قال فزاد في أعينهم وعظموه.

---

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

قلت: لكن هذا الذي قاله لا يؤخذ عنه مسلماً إليه فيه، بل يحتاج إلى نقل صحيح عن المعصوم، فإن أسماء الله تعالى توقيفية على الصحيح والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها عملت الروافض بدعتهم كما تقدم، وفي المحرم منها أغارت الروم على الجزيرة وديار بكر فقتلوا خلقاً من أهل الرها، وساروا في البلاد كذلك يقتلون ويأسرون ويغنمون إلى أن وصلوا نصيبين ففعلوا ذلك، ولم يغن عن تلك النواحي أبو تغلب بن حمدان متوليها شيئاً، ولا دافع عنهم ولا له قوة، فعند ذلك ذهب أهل الجزيرة إلى بغداد وأرادوا أن يدخلوا على الخليفة المطيع لله وغيره يستنصرونه ويستصرخون، فرثا لهم أهل بغداد وجاؤوا معهم إلى الخليفة فلم يمكنهم ذلك، وكان بختيار بن معز الدولة مشغولاً بالصيد فذهبت الرسل وراءه فبعث الحاجب سبكتكين يستنفر الناس، فتجهز خلق كثير من العامة، وكتب إلى تغلب أن يعد الميرة والإقامة، فأظهر السرور والفرح، ولما تجهزت العامة للغزاة وقعت بينهم فتنة شديدة بين الروافض وأهل السنة، وأحرق أهل السنة دور الروافض في الكرخ وقالوا: الشر كله منكم، وثار العيارون[1] ببغداد يأخذون أموال الناس، وتناقض[2] النقيب أبو أحمد الموسوي والوزير أبو الفضل الشيرازي، وأرسل بختيار بن معز الدولة إلى الخليفة يطلب منه أموالاً يستعين بها على هذه الغزوة، فبعث إليه يقول: لو كان الخراج يجيء إليّ لدفعت منه ما يحتاج المسلمون إليه، ولكن أنت تصرف منه في وجوه ليس بالمسلمين إليها ضرورة وأما أنا فليس عندي شيء أرسله إليك. فترددت الرسل بينهم وأغلظ بختيار للخليفة في الكلام وتهدده فاحتاج الخليفة أن يحصل له شيئاً فباع بعض ثياب بدنه وشيئاً من أثاث بيته، ونقض بعض سقوف داره وحصل له أربعمائة ألف درهم فصرفها بختيار في مصالح نفسه وأبطل تلك الغزاة، فنقم الناس للخليفة وساءهم ما فعل به ابن بويه الرافضي من أخذه مال الخليفة وتركه الجهاد، فلا جزاه الله خيراً عن المسلمين [ولا عن إمامهم آمين][3]. وفيها تسلم أبو تغلب بن حمدان قلعة ماردين فنقل حواصلها وما فيها إلى الموصل. وفيها اصطلح الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان وركن الدولة بن بويه وابنه عضد الدولة على أن يحملا إليه في كل سنة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار، وتزوج بابنة ركن الدولة، فحمل إليه من الهدايا والتحف ما لا يعد ولا يحصى. وفي شوّال منها خرج المعز الفاطمي بأهله وحاشيته وجنوده من المدينة المنصورة من بلاد المغرب قاصداً البلاد المصرية، بعد ما مهّد له مولاه جوهر القائد أمرها وبنى له بها القصرين، واستخلف المعز على بلاد المغرب ونواحيها وصقلية وأعمالها نواباً من جهته وحزبه وأنصاره

---

(١) العيارون: اللصوص والسراق.

(٢) المناقضة: الاختلاف والمعارضة.

(٣) سقط في ط.

من أهل تلك البلاد، واستصحب معه شاعره محمد بن هانىء الأندلسي، فتوفي في أثناء الطريق، وكان قدوم المعز إلى القاهرة في رمضان من السنة الآتية على ما سيأتي.

وفيها حج بالناس الشريف أبو أحمد الموسوي النقيب على الطالبيين كلهم.

وفيها توفي من الأعيان:

سعيد بن أبي سعيد الجنابي

أبو القاسم القرمطي الهجري، وقام بالأمر من بعده أخو أبو يعقوب يوسف، ولم يبق من سلالة أبي سعيد سواه.

عثمان بن عمر بن خفيف

أبو عمر المقري المعروف بالدراج، حدث عن أبي بكر بن أبي داود وعنه ابن رزقويه، وكان من أهل القراءات والفقه والدراية والديانة والسيرة الجميلة. وكان يعد من الأبدال[1]. وكانت وفاته يوم الجمعة في رمضان منها.

علي بن إسحاق بن خلف

أبو الحسن القطان الشاعر المعروف بالزاهي، ومن شعره:

قُمْ فَهُنَّ عَاشِقَيْنِ ... أَصْبَحَا مُصْطَحِبَيْنِ
جُمِعَا بَعْدَ فِرَاقٍ ... فُجِعَا مِنْهُ بِبَيْنِ
ثُمَّ عَادَا فِي سُرُورٍ ... مِنْ صُدُودٍ آمِنَيْنِ
بِهِمَا رُوحٌ وَلٰكِنْ ... رُكِّبَتْ فِي بَدَنَيْنِ

أحمد بن سهل

ابن شداد أبو بكر المخرمي، سمع أبا خليفة وجعفر الفريابي، وابن أبي الفوارس وابن جرير وغيرهم، وعنه الدارقطني وابن زرقويه وأبو نعيم، وقد ضعفه البرقاني ابن الجوزي وغيرهم.

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وثلاثمائة

في عاشر محرمها عملت الروافض من النياحة وتعليق المسوح وغلق الأسواق ما تقدم قبلها. وفيها اجتمع الفقيه أبو بكر الرازي الحنفي وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني وابن الدقاق الحنبلي بعز الدولة بختيار بن بويه وحرّضوه على غزو الروم فبعث جيشاً لقتالهم فأظفره الله بهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وبعثوا برؤوسهم إلى بغداد فسكنت أنفس الناس.

---

(١) الأبدال: قوم من الصالحين العباد.

وفيها سارت الروم مع ملكهم لحصار آمد وعليها هزار مرد غلام أبي الهيجاء بن حمدان، فكتب إلى أبي تغلب يستنصره فبعث إليه أخاه أبا القاسم هبة الله ناصر الدولة بن حمدان، فاجتمعا لقتاله فلقياه في آخر يوم من رمضان في مكان ضيق لا مجال للخيل فيه، فاقتتلوا مع الروم قتالاً شديداً فعزمت الروم على الفرار فلم يقدروا فاستحر فيهم القتل وأخذ الدمستق أسيراً فأودع السجن فلم يزل فيه حتى مرض ومات في السنة القابلة، وقد جمع أبو تغلب الأطباء له فلم ينفعه شيء. وفيها أحرق أهل الكرخ بغداد وكان سببه أن صاحب المعونة ضرب رجلاً من العامة فمات فثارت عليه العامة وجماعة من الأتراك، فهرب منهم فدخل داراً فأخرجوه مسجوناً وقتلوه وحرقوه، فركب الوزير أبو الفضل الشيرازي ـ وكان شديد التعصب للسنة ـ وبعث حاجبه إلى أهل الكرخ فألقى في دورهم النار فاحترقت طائفة كبيرة من الدور والأموال من ذلك ثلاثمائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجداً، وسبعة عشر ألف إنسان، فعند ذلك عزل بختيار عن الوزارة وولاَّها محمد بن بقية، فتعجب الناس من ذلك، وذلك أن هذا الرجل كان وضيعاً عند الناس لا حرمة له، كان أبوه فلاحاً بقرية كوثا، وكان هو ممن يخدم عز الدولة، كان يقدم له الطعام ويحمل منديل الزفر على كتفه، إلى أن ولِّيَ الوزارة، ومع هذا كان أشد ظلماً للرعية من الذي قبله، وكثر في زمانه العيّارون ببغداد، وفسدت الأمور. وفيها وقع الخلاف بين عز الدولة وبين حاجبه سبكتكين ثم اصطلحا على دخن. وفيها كان دخول المعز الفاطمي الديار المصرية وصحبته توابيت آبائه، فوصل إلى الإسكندرية في شعبان، وقد تلقاه أعيان مصر إليها، فخطب الناس هنالك خطبة بليغة ارتجالاً، ذكر فيها. فضلهم وشرفهم، وقد كذب فقال فيها: إن الله أغاث الرعايا بهم وبدولتهم. وحكى قاضي بلاد مصر وكان جالساً إلى جنبه فسأله: هل رأيت خليفة أفضل مني؟ فقال له: لم أر أحداً من الخلفاء سوى أمير المؤمنين. فقال له: أحججت؟ قال نعم. قال: وزرت قبر الرسول؟ قال: نعَم. قال: وقبر أبي بكر وعمر؟ قال فتحيرت ماذ أقول فإذا ابنه العزيز مع كبار الأمراء فقلت: شغلني عنهما رسول الله كما شغلني أمير المؤمنين عن السلام على ولي العهد من بعده، ونهضت إليه فسلمت عليه ورجعت فانفسح المجلس إلى غيره. ثم سار من الإسكندرية إلى مصر فدخلها في الخامس من رمضان من هذه السنة فنزل القصرين فقيل إنه أول ما دخل إلى محل ملكه خر ساجداً شكراً لله عز وجل، ثم كان أول حكومة انتهت إليه أن امرأة كافور الإخشيدي ذكرت أنها كانت أودعت رجلاً من اليهود الصواغ قباء[1] من لؤلؤ منسوج بالذهب، وأنه جحدها ذلك[2]، فاستحضره وقرره فجحد ذلك وأنكره. فأمر أن تحفر داره ويستخرج منها ما فيها، فوجدوا القباء بعينه قد جعله في جرة ودفنه في بعض المواضع من داره، فسلمه المعز إليها ووفره عليها[3]، ولم يتعرض إلى

---

(١) القباء: ثوب يلبس فوق القميص.

(٢) جحدها: أنكر ما أودعته.

(٣) وفره عليها: أي سهّل أخذه لها.

القباء فقدمته إليه فأبى أن يقبله منها فاستحسن الناس منه ذلك. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «إِنَّ الله لَيُؤَيِّدُ هٰذا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ» والله أعلم بالصواب.

وفيها توفي من الأعيان:

السري بن أحمد بن أبي السري: أبو الحسن الكندي الموصلي، الرفا الشاعر، له مدائح في سيف الدولة بن حمدان وغيره من الملوك والأمراء، وقد قدم بغداد فمات بها في هذه السنة، وقيل في سنة أربع وقيل خمس وقيل ست وأربعين. وقد كان بينه وبين محمد بن سعيد معاداة، وادعى عليه أنه سرق شعره، وكان مغنياً ينسج على ديوان كشاجم الشاعر، وربما زاد فيه من شعر الخالديين ليكثر حجمه.

قال ابن خلكان: وللسري الرفّا هذا ديوان كبير جداً وأنشد من شعره.

يَلْقَى النَّدَى بِرَقِيقِ وَجْهٍ مُسْفِرٍ ... فَإِذا الْتَقَى الجَمْعَانِ عَادَ صَفِيقا[1]

رَحْبُ المنَازِلِ مَا أقَامَ، فَإنْ سَرَى ... في جَحْفَلٍ تَرَكَ الفَضَاءَ مَضِيقا

وقوله:

أَلْبَسْتَنِي نِعَماً لَقِيتُ بِهَا الدُّجَى ... صُبْحاً وَكُنْتُ أَرَى الصَّبَاحَ بَهِيمَا

فَغَدَوْتُ يَحْسُدُني الصَّدِيقُ وَقَبْلَهَا ... قَدْ كَانَ يَلْقَانِي العَدُوُّ رَحِيمَا

وقوله:

بِنَفْسِي مَنْ أَجُودُ لَهُ بِنَفْسِي ... وَيَبْخَلُ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلامِ

وَحَتْفِي كَائِنٌ في مُقْلَتَيْهِ ... كَكَوْنِ المَوْتِ في جِلْدِ الحُسَامِ

محمد بن هانئ

الأندلسي الشاعر استصحبه المعز الفاطمي من بلاد القيروان حين توجه إلى مصر، فمات ببعض الطريق، وجد مقتولاً على حافة البحر وذلك في رجب منها، وقد كان قوي النظم إلا أنه قد كفّره غير واحد من العلماء في مبالغته في مدحه الخلق، فمن ذلك قوله بمدح المعز:

مَا شِئْتَ لا مَا شَاءَتِ الأَقْدَارُ ... فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الوَاحِدُ القَهَّارُ

وهذا خطأ كبير وكفر من أكبر الكفر. وقال أيضاً قبّحه الله وأخزاه:

* وَلَطَالَمَا زَاحَمْتُ تَحْتَ رِكَابِهِ جِبْرِيلا *

ومن ذلك قوله ـ قال ابن الأثير: ولم أراها في شعره ولا في ديوانه:

جلّ بزيادة جلّ المسيح ... بها وجلّ آدمٌ ونوح

جلّ بها الله ذو المعالي ... فكلّ شيءٍ سواه ريح

(١) الصفيق: الجريء الوقح.

قال ابن الأثير: وقد اعتذر عنه بعض المتعصبين له.

قلت: هذا الكلام إن صح عنه فليس عنه اعتذار، لا في الدار الآخرة ولا في هذه الدار.

وفيها توفي من الاعيان:

إبراهيم بن محمد

ابن شجنونة بن عبد الله المزكي أحد الحفاظ أنفق على الحديث وأهله أموالاً جزيلة وأسمع الناس بتخريجه، وعقد له مجلس للإملاء بنيسابور، ورحل وسمع من المشايخ غرباً وشرقاً، ومن مشايخه ابن جرير وابن أبي حاتم، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من كبار المحدثين، منهم أبو العباس الأصم وأضرابه، توفي عن سبع وستين سنة.

سعيد بن القاسم بن العلاء بن خالد

أبو عمرو البردعي أحد الحفاظ، روى عنه الدارقطني وغيره.

محمد بن الحسن بن كوثر بن علي

أبو بحر البربهاري، روى عن إبراهيم الحربي وتمام والباغندي والكديمي وغيرهم، وقد روي عنه ابن زرقويه وأبو نعيم وانتخب عليه الدارقطني، وقال: اقتصروا على ما خرجته له فقد اختلط صحيح سماعه بفاسده. وقد تكلم فيه غير واحد من حفاظ زمانه بسبب تخليطه وغفلته واتهمه بعضهم بالكذب أيضاً.

القاضي حسين بن محمد بن أحمد أبو علي المروروذي أحد مشايخ المذهب في زمانه وله التعليقة المشهورة تفقه بأبي بكر القفال المروزي، وأخذ عنه جماعة منهم البغوي صاحب التهذيب والتفسير وشرح السنة والمصابيح وغير ذلك، وقد ذكرته في الطبقات بما فيه الكفاية. قال ابن خلكان: وإذا قال الإمام الغزالي قال القاضي، فهو هذا، والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

فيها في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والروافض، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه، بعيد عن السداد، وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة جملاً وسموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب علي، فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير، وعاث العيارون في البلد فساداً، ونهبت الأموال، ثم أخذ جماعة منهم فقتلوا وصلبوا فسكنت الفتنة، وفيها أخذ بختيار بن معز الدولة الموصل، وزوج ابنته بابن أبي تغلب بن حمدان. وفيها وقعت الفتنة بالبصرة، بين الديالم والأتراك، فقويت الديلم على الترك بسبب أن الملك

منهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وحبسوا رؤوسهم ونهبوا كثيراً من أموالهم. وكتب عز الدولة إلى أهله أني سأكتب إليكم أني قدمتُ فإذا وصل إليكم الكتاب فأظهروا النوح واجلسوا للعزاء، فإذا جاء سبكتكين للعزاء فاقبضوا عليه فإنه ركن الأتراك ورأسهم. فلما جاء البريد إلى بغداد بذلك أظهروا النوح وجلسوا للعزاء ففهم سبكتكين أن هذه مكيدة فلم يقربهم، وتحقق العداوة بينه وبين عز الدولة، وركب من فوره في الأتراك فحاصر دار عز الدولة يومين، ثم أنزل أهله منها ونهب ما فيها وأحدرهم[١] إلى دجلة وإلى واسط منفيين، وكان قد عزم على إرسال الخليفة المطيع معهم، فتوسل إليه الخليفة فعفا عنه وأقره بداره، وقويت شوكة سبكتكين والأتراك ببغداد، ونهبت الأتراك دور الديلم، وخلع سبكتكين على رؤوس العامة، لأنهم كانوا معه على الديلم، وقويت السنة على الشيعة وأحرقوا الكرخ ـ لأنه محل الرافضة ـ ثانياً، وظهرت السنة على يدي الأتراك، وخلع المطيع وولّي ولده على ما سنذكر إن شاء الله وتعالى.

خلافة الطائع وخلع [أبيه المطيع لله][٢]

وذكر ابن الأثير أنه لما كان الثالث عشر من ذي القعدة، وقال ابن الجوزي: كان ذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة من هذه السنة، خلع المطيع لله وذلك لفالج أصابه فثقل لسانه، فسأله سبكتكين أن يخلع نفسه ويولّي من بعده ولده الطائع، فأجاب إلى ذلك فعقدت البيعة للطائع بدار الخلافة على يدي الحاجب سبكتكين، وخلع أبوه المطيع بعد تسع وعشرين سنة كانت له في الخلافة، ولكن تعوض بولاية ولده. واسم الطائع أبو بكر عبد الكريم بن المطيع أبي القاسم، ولم يل الخلافة من اسمه عبد الكريم سواه، ولا من أبوه حي سواه، ولا من كنيته أبو بكر سواه وسوى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولم يل الخلافة من بني العباس أسنّ منه، كان عمره لما تولى ثمانياً وأربعين سنة، وكانت أمه أم ولد اسمها غيث، تعيش يوم ولي. ولما بويع ركب وعليه البردة وبين يديه سبكتكين والجيش، ثم خلع من الغد على سبكتكين خلع الملوك ولقبه ناصر الدولة، وعقد له الإمارة. ولما كان يوم الأضحى ركب الطائع وعليه السواد، فخطب الناس بعد الصلاة خطبة خفيفة حسنة، وحكى ابن الجوزي في منتظمه أن المطيع لله كان يسمى بعد خلعه بالشيخ الفاضل.

ذكر الحرب بين المعز الفاطمي والحسين [بن أحمد القرمطي][٣]

لما استقر المعز الفاطمي بالديار المصرية وابتنى فيها القاهرة والقصرين وتأكد ملكه، سار إليه الحسين بن أحمد القرمطي من الأحساء في جمع كثيف من أصحابه، والتف معه أمير العرب ببلاد الشام وهو حسان بن الجراح الطائي، في عرب الشام بكمالهم، فلما سمع

(١) أحدرهم: أرسلهم. (٢) سقط في ط. (٣) سقط في ط.

بهم المعز الفاطمي أسقط في يده لكثرتهم، وكتب إلى القرمطي يستميله ويقول: إنما دعوة آبائك كانت إلى آبائي قديماً، فدعوتنا واحدة، ويذكر فيه فضله وفضل آبائه، فرد عليه الجواب: وصل كتابك الذي كثر تفضيله وقل تحصيله ونحن سائرون إليك على إثره والسلام. فلما انتهوا إلى ديار مصر عاثوا فيها قتلاً ونهباً وفساداً وحار المعز فيما يصنع وضعف جيشه عن مقاومتهم، فعدل إلى المكيدة والخديعة، فراسل حسان بن الجراح أمير العرب ووعده بمائة ألف دينار إن هو خذل بين الناس، فبعث إليه حسان يقول أن أبعث إليّ بما التزمت وتعال بمن معك، فإذا لقيتنا انهزمت بمن معي فلا يبقى للقرمطي قوة فتأخذه كيف شئت فأرسل إليه بمائة ألف دينار في أكياسها، ولكن أكثرها زغل[1] ضرب النحاس وألبسه ذهباً وجعله في أسفل الأكياس، وجعل في رؤوسها الأكياس الدنانير الخالصة، ولما بعثها إليه ركب في إثرها جيشه فالتقى الناس، فضعف جانب القرمطي وقوي عليه الفاطمي فكسره، وانهزمت القرامطة ورجعوا إلى أذرعات في أذل حال وأرذله، وبعث المعز في آثارهم القائد أبا المحمود بن إبراهيم في عشرة آلاف فارس، ليحسم مادة القرامطة ويطفىء نارهم عنه.

المعز الفاطمي ينتزع دمشق من القرامطة

لما انهزم القرمطي بعث المعز سرية وأمر عليهم ظالم بن موهوب العقيلي، فجاؤوا إلى دمشق فتسلمها من القرامطة بعد حصار شديد واعتقل متوليها أبا الهيجاء القرمطي وابنه، واعتقل رجلاً يقال له أبو بكر من أهل نابلس، كان يتكلم في الفاطميين ويقول: لو كان معي عشرة أسهم لرميت الروم بواحد ورميت الفاطميين بتسعة. فأمر به فسلخ بين يدي المعز وحشي جلده تبناً وصلب بعد ذلك. ولما تفرغ أبو محمود القائد من قتال القرامطة أقبل نحو دمشق فخرج إليه ظالم بن موهوب فتلقاه إلى ظاهر البلد وأكرمه وأنزله ظاهر دمشق، فأفسد أصحابه في الغوطة ونهبوا الفلاحين وقطعوا الطرقات، فتحول أهل الغوطة إلى البلد من كثرة النهب، وجيء بجماعة من القتلى فألقوا فكثر الضجيج، وغلقت الأسواق، واجتمعت العامة للقتال، والتقوا مع المغاربة فقتل من الفريقين جماعة وانهزمت العامة غير مرة، وأحرقت المغاربة ناحية باب الفراديس، فاحترق شيء كثير من الأموال والدور، وطال القتال بينهم إلى سنة أربع وستين وأحرقت البلد مرة أخرى بعد عزل ظالم بن موهوب وتولية جيش بن صمصامة ابن أخت أبي محمود قبّحه الله، وقطعت القنوات وسائر المياه عن البلد، ومات كثير من الفقراء في الطرقات من الجوع والعطش، ولم يزل الحال كذلك حتى ولي عليهم الطواشي ريان الخادم من جهة المعز الفاطمي، فسكنت النفوس ولله الحمد.

فصل: ولما قويت الأتراك ببغداد تحير بختيار بن معز الدولة في أمره وهو مقيم بالأهواز لا يستطيع الدخول إلى بغداد، فأرسل إلى عمه ركن الدولة يستنجده فأرسل إليه

---

(١) زغل أكثرها: زوّر أكثرها.

بعسكر مع وزيره أبي الفتح بن العميد، وأرسل إلى [عمه] ركن الدولة فأبطأ عليه وأرسل إلى عمران بن شاهين فلم يجبه، وأرسل إلى أبي تغلب بن حمدان فأظهر نصره وإنما يريد في الباطن أخذ بغداد، وخرجت الأتراك من بغداد في جحفل عظيم ومعهم الخليفة المطيع وأبوه، فلما انتهوا إلى واسط توفي المطيع وبعد أيام توفي سبكتكين، فحملا إلى بغداد والتف الأتراك على أمير يقال له افتكين، فاجتمع شملهم والتقوا مع بختيار فضعف أمره جداً وقوي عليه ابن عمه عضد الدولة فأخذ منه ملك العراق وتمزق شمله، وتفرق أمره وفيها خطب للمعز الفاطمي بالحرمين مكة والمدينة النبوية. وفيها خرج طائفة من بني هلال وطائفة من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وعطلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام. وفيها انتهى تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وأوله من سنة خمس وتسعين ومائتين، وهي أول دولة المقتدر. وفيها كانت زلزلة شديدة بواسط، وحج بالناس فيها الشريف أبو أحمد الموسوي، ولم يحصل لأحد حج في هذه السنة سوى من كان معه على درب العراق، وقد أخذ بالناس على طريق المدينة فتم حجهم.

وفيها توفي من الأعيان:

العباس بن الحسين

أبو الفضل السراجي الوزير لعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه، وكان من الناصرين للسنة المتعصبين لها، عكس مخدومه، فعزله وولّي محمد بن بقية البابا كما تقدم، وحبس هذا فقتل في محبسه في ربيع الآخر منها، عن تسع وخمسين سنة، وكان فيه ظلم وحيف والله أعلم.

وأبو بكر عبد العزيز بن [أحمد بن](1) جعفر

الفقيه الحنبلي المعروف بغلام الخلال، أحد مشاهير الحنابلة الأعيان، وممن صنف وجمع وناظر، وسمع الحديث من أبي القاسم البغوي وطبقته، ومات وقد عدا الثمانين. وقال ابن الجوزي: وله المقنع في مائة جزء، والشافي في ثمانين جزءاً، وزاد المسافر والخلاف مع الشافعي وكتاب القولين ومختصر السنة، وغير ذلك في التفسير والأصول.

علي بن محمد

أبو الفتح البستي الشاعر المشهور، له ديوان جيد قوي، وله في المطابقة والمجانسة اليد الطولى، ومبتكرات أولى. وقد ذكر ابن الجوزي له في منتظمه من ذلك قطعة كبيرة مرتبة على حروف المعجم، من ذلك قوله:

إذا قَنِعْتَ بِمَيْسُورٍ مِنَ القُوتِ بَقِيتَ في النَّاسِ حُرّاً غَيْرَ مَمْقُوتِ

(١) سقط في ط.

يَـا قُـوتَ يَـوْمِـي إذا مَـا دَرَّ خَـلْـفُـكَ لـي فَـلَـسْـتُ آسَـى عَـلَـى دُرٍّ وَيَـاقُـوتِ

وقوله:

يَـا أَيُّـهَـا الـسَّـائِـلَ عَـنْ مَـذْهَـبِـي لِـيَـقْـتَـدِي فِـيـهِ بِـمِـنْـهَـاجِـي
مِـنْـهَـاجِـيَ الـحَـقُّ وَقَـمْـعُ الـهَـوَى فَـهَـلْ لِـمِـنْـهَـاجِـيَ مِـنْ هَـاجِـي

وقوله:

أَفِـدْ طَـبْـعَـكَ الـمَـكْـدُودَ بِـالـجِـدِّ رَاحَـةً تـجـمُّ، وَعَـلِّـلْـهُ بِـشَـيْءٍ مِـنَ الـمَـزْحِ[١]
وَلٰـكِـنْ إذا أَعْـطَـيْـتَ ذٰلِـكَ فَـلْـيَـكُـنْ بِـمِقْدَارِ ما يعطى الطَّعَامَ مِنَ الـمِلْحِ

وقوله:

إذَا خَـدَمْـتَ الـمُـلُـوكَ فَـالْـبَـسْ مِـنَ الـتَّـوَقِّـي أَعَـزَّ مَـلْـبَـسْ
وَادْخُـلْ عَـلَـيْـهِـمْ إذَا دَخَـلْـتَ أَعْـمَـى وَاخْـرُجْ إذا مَـا خَـرَجْـتَ أَخْـرَسْ

وقوله:

إذَا مَـا شِـئْـتَ أَنْ تَـلْـقَـى عَـدُوَّكَ رَاغِـمـاً وَتَـقْـتُـلَـهُ وَتَـحْـرِقَـهُ غَـمَّـا
فَـسَـامِ الـعُـلَـى وَازْدَدْ مِـنَ الـفَـضْـلِ إِنَّـهُ مَـنِ ازْدَادَ فَـضْـلاً زَادَ حَـاسِـدَهُ غَـمَّـا

وقوله:

إنَّ أَسْـيَـافَـنَـا الـعُـصَـاةَ الـدَّوَامِـي قَـرَنَـتْ مُـلْـكَـنَـا بِـطُـولِ الـدَّوَام
لَـمْ نَـزَلْ نَـحْـنُ مِـنْ سَـدَادِ ثُـغُـورٍ وَاضْـطِـلامِ الأَعْـدَاءِ وَسْـطَ لاَمِ
وَاقْـتِـحَـامِ الأَهْـوَالِ مِـنْ وَقْـتِ هَـام وَاقْـتِـسَـامِ الأَقْـوَالِ مِـنْ وَقْـتِ سَـامِ

وقوله:

يَـا خَـادِمَ الـجِـسْـمِ كـم تَـسْـعَـى لِـخِـدْمَـتِـهِ تَـطْـلُـبُ الـرِّبـحَ فِـيـمَـا فِـيـهِ خُـسْـرَانُ
أَقْـبِـلْ عَـلَـى الـنَّـفْـسِ وَاسْـتَـكْـمِـلْ فَـضَـائِـلَـهَـا فَـأَنْـتَ بِـالـنَّـفْـسِ لا بِـالـجِـسْـمِ إِنْـسَـانِـي

أبو فراس [الحارث بن سعيد][٢] بن حمدان الشاعر

له ديوان مشهور. استنابه ابن عمه سيف الدولة على حران ومنبج، فقاتل مرة الروم فأسروه ثم استنقذه سيف الدولة، واتفق موته في هذه السنة عن ثمانٍ وأربعين سنة، وله شعر رائق ومعانٍ حسنة، وقد رثاه سيف الدولة فقال:

الـمَـرْءُ نـصـب مَـصَـائِـبٍ لا تَـنْـقَـضِـي حَـتَّـى يُـوَارَى جِـسْـمُـهُ فـي رَمْـسِـهِ[٣]

---

(١) المكدود: المتعب. وتجم: ترتاح.

(٢) سقط في ط.

(٣) الرمس: القبر.

فَمُؤَجَّلٌ يَلْقَى الرَّدَى فِي أَهْلِهِ ... وَمُعَجَّلَ يَلْقَى الأذى في نَفْسِهِ

فلما قالهما كان عنده رجل من العرب فقال قل في معناهما فقال الأعرابي:

مَنْ يَتَمَنَّى العُمْرَ فَلْيَتَّخِذْ ... صَبْراً عَلَى فَقْدِ أَحْبَابِهِ

وَمَنْ يُعَمَّرْ يَلْقَ فِي نَفْسِهِ ... مَا يَتَمَنَّاهُ لأَعْدَائِهِ

كذا ذكر ابن الساعي هذين البيتين من شعر سيف الدولة في أبي فراس، وذكرها ابن الجوزي في المنتظم من شعر أبي فراس نفسه، وأن الأعرابي أجازهما بالبيتين المذكورين بعدهما، وذكر من شعر أبي فراس:

سَيَفْقِدُنِي قَوْمِي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ ... وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ اكْتَفَوْا بِهِ ... وَمَا كَانَ يَغْلُو التِّبْرُ لَوْ نفق الصَّخْرُ

وقوله في قصيدة:

إِلَى اللهِ أَشْكُو إِنَّنَا بِمَنَازِلِ ... تُحَكَّمُ فِي آسَادِهِنَّ كِلابُ

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالحَيَاةُ مَرِيرَةٌ ... وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالأَنَامُ غِضَابُ

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ ... وَبَيْنِي وَبَيْنَ العَالَمِينَ خَرَابُ

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة

فيها جاء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه إلى واسط ومعه وزير أبيه أبو الفتح بن العميد، فهرب منه الفتكين في الأتراك إلى بغداد، فسار خلفهم فنزل في الجانب الشرقي منها، وأمر بختيار أن ينزل على الجانب الغربي، وحصر الترك حصراً شديداً، وأمر أمراء الأعراب أن يغيروا على الأطراف ويقطعوا عن بغداد الميرة الواصلة إليها، فغلت الأسعار وامتنع الناس من المعاش من كثرة العيارين والنهوب، وكبس الفتكين البيوت لطلب الطعام واشتد الحال، ثم التقت الأتراك وعضد الدولة فكسرهم وهربوا إلى تكريت واستحوذ عضد الدولة على بغداد وما والاها من البلاد، وكانت الترك قد أخرجوا معهم الخليفة فردَّه عضد الدولة إلى دار الخلافة مكرماً، ونزل هو بدار الملك وضعف أمر بختيار جداً، ولم يبق معه شيء بالكلية، فأغلق بابه وطرد الحجبة والكتاب عن بابه واستعفى عن الأمارة، وكان ذلك بمشورة عضد الدولة، فاستعطفه عضد الدولة في الظاهر، وقد أشار عليه في الباطن أن لا يقبل فلم يقبل. وترددت الرسل بينهما فصمم بختيار على الامتناع ظاهراً، فألزم عضد الدولة بذلك وأظهر للناس أنه إنما يفعل هذا عجزاً منه عن القيام بأعباء الملك فأمر بالقبض على بختيار وعلى أهله وإخوته، ففرح بذلك الخليفة الطائع، وأظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ما كان دارساً، وجدَّد دار الخلافة حتى صار كل منها آنساً، وأرسل إلى الخليفة بالأموال والأمتعة الحسنة العزيزة وقتل المفسدين من مردة الترك وشطار العيارين.

قال ابن الجوزي: وفي هذه السنة عظم البلاء بالعيارين ببغداد، وأحرقوا سوق باب

الشعير، وأخذوا أموالاً كثيرة، وركبوا الخيول وتلقبوا بالقواد، وأخذوا الخفر من الأسواق والدروب، وعظمت المحنة بهم جداً واستفحل أمرهم، حتى أن رجلاً منهم أسود كان مستضعفاً نجم فيهم[١] وكثر ماله حتى اشترى جارية بألف دينار، فلما حصلت عنده حاولها عن نفسها فأبت عليه فقال لها: ما تكرهين مني؟ قالت: أكرهك كلك. فقال: فما تحبين؟ فقالت: تبيعني. فقال: أو خير من ذلك؟ فحملها إلى القاضي فأعتقها وأعطاها ألف دينار. وأطلقها، فتعجب الناس من حلمه وكرمه مع فسقه وقوته. قال: وورد الخبر في المحرم بأنه خطب للمعز الفاطمي بمكة والمدينة في الموسم، ولم يخطب للطائع. قال: وفي رجب منها غلت الأسعار ببغداد حتى بيع السكر الدقيق الحواري بمائة ونيف وسبعين ديناراً. قال: وفيها اضمحل أمر عضد الدولة بن بويه وتفرق جنده عنه ولم يبق معه سوى بغداد وحدها، فبعث إلى أبيه يشكو له ذلك، فأرسل يلومه على الغدر بابن عمه بختيار، فلما بلغه ذلك خرج من بغداد إلى فارس بعد أن أخرج ابن عمه من السجن وخلع عليه وأعاده إلى ما كان عليه، وشرط عليه أن يكون نائباً له بالعراق يخطب له بها، وجعل معه أخاه أبا إسحاق أمير الجيوش لضعف بختيار عن تدبير الأمور، واستمر ذاهباً إلى بلاده، وذلك كله عن أمر أبيه له بذلك، وغضبه عليه بسبب غدره بابن عمه وتكرار مكاتباته فيه إليه. ولما سار ترك بعده وزير أبيه أبا الفتح بن العميد ولما استقر عز الدولة بختيار ببغداد وملك العراق لم يف لابن عمه عضد الدولة بشيء مما قال، ولا ما كان التزم، بل تمادى على ضلاله القديم، واستمر على حشيه الذي هو غير مستقيم، من الرفض وغيره.

قال: وفي يوم الخميس لعشر خلون من ذي القعدة تزوج الخليفة الطائع شاه باز بنت عز الدولة على صداق مائة ألف دينار، وفي سلخ ذي القعدة عزل القاضي أبو الحسن محمد بن صالح ابن أم شيبان وقلده أبو محمد بن معروف. وإمام الحج فيها أصحاب الفاطمي، وخطب له بالحرمين دون الطائع والله سبحانه أعلم.

ذكر أخذ دمشق من أيدي الفاطميين

ذكر ابن الأثير في كامله أن الفتكين غلام معز الدولة الذي كان قد خرج عن طاعته كما تقدم، والتف عليه عساكر وجيوش من الديلم والترك والأعراب، نزل في هذه السنة على دمشق [ليأخذها من أيدي الفاطميين][٢]، وكان عليها من جهة الفاطميين ريان الخادم فلما نزل بظاهرها خرج إليه كبراء أهلها وشيوخها فذكروا له ما هم فيه من الظلم والغشم ومخالفة الاعتقاد بسبب الفاطميين، وسألوه أن يصمم على أخذها ليستنقذها منهم، فعند ذلك صمم على أخذها ولم يزل حتى أخذها وأخرج منها ريان الخادم وكسر أهل الشر بها. ورفع أهل الخير، ووضع في أهلها العدل وقمع أهل اللعب واللهو، وكف أيدي الأعراب الذين كانوا قد عاثوا في الأرض فساداً، وأخذوا عامة المرج والغوطة، ونهبوا أهلها. ولما

(١) نجم فيهم: ظهر واشتهر.
(٢)

استقامت الأمور على يديه وصلح أمر أهل الشام كتب إليه المعز الفاطمي يشكر سعيه ويطلبه إليه ليخلع عليه ويجعله نائباً من جهته، فلم يجبه إلى ذلك، بل قطع خطبته من الشام وخطب للطائع العباسي، ثم قصد صيدا وبها خلق من المغاربة عليهم ابن الشيخ، وفيهم ظالم بن موهوب العقيلي الذي كان نائباً على دمشق للمعز الفاطمي، فأساء بهم السيرة، فحاصرهم ولم يزل حتى أخذ البلد منهم، وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف من سراتهم[١]، ثم قصد طبرية ففعل بأهلها مثل ذلك، فعند ذلك عزم المعز الفاطمي على المسير إليه، فبينما هو يجمع له العساكر إذ توفي المعز في سنة خمس وستين كما سيأتي، وقام بعده ولده العزيز، فاطمأن عند ذلك الفتكين بالشام، واستفحل أمره وقويت شوكته[٢]، ثم اتفق أمر المصريين على أن يبعثوا جوهراً القائد لقتاله وأخذ الشام من يده، فعند ذلك حلف أهل الشام لألفتكين أنهم معه على الفاطميين، وأنهم ناصحون له غير تاركيه وجاء جوهر فحصر دمشق سبعة أشهر حصراً شديداً ورأى من شجاعة الفتكين ما بهره، فلما طال الحال أشار من أشار من الدماشقة على الفتكين أن يكتب إلى الحسين بن أحمد القرمطي وهو بالحساء[٣]، ليجيء إليه، فلما كتب إليه أقبل لنصره، فلما سمع به جوهر لم يمكنه أن يبقى بين عدوين من داخل البلد وخارجها، فارتحل قاصداً الرملة فتبعه الفتكين والقرمطي في نحو من خمسين ألفاً، فتواقعوا عند نهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من الرملة، وحصروا جوهراً بالرملة فضاق حاله جداً من قلة الطعام والشراب، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك، فسأل من الفتكين على أن يجتمع هو وهو على ظهور الخيل، فأجابه إلى ذلك، فلم يزل يترفق له أن يطلقه حتى يذهب بمن معه من أصحابه إلى أستاذه شاكراً له مثنياً عليه الخير، ولا يسمع من القرمطي فيه - وكان جوهر داهية - فأجابه إلى ذلك فندّمه القرمطي وقال: الرأي أنا كنا نحصرهم حتى يموتوا عن آخرهم فإنه يذهب إلى أستاذه ثم يجمع العساكر ويأتينا، ولا طاقة لنا به. وكان الأمر كما قال، فإنه لما أطلقه الفتكين من الحصر لم يكن له دأب إلا أنه حث العزيز على الخروج إلى الفتكين بنفسه، فأقبل في جحافل أمثال الجبال، وفي كثرة من الرجال والعدد والأثقال والأموال، وعلى مقدمته جوهر القائد. وجمع الفتكين والقرمطي الجيوش والأعراب وساروا إلى الرملة فاقتتلوا في محرم سنة سبع وستين، ولما تواجهوا رأى العزيز من شجاعة الفتكين ما بهره، فأرسل إليه يعرض عليه إن أطاعه ورجع إليه أن يجعله مقدم عساكره، وأن يحسن إليه غاية الإحسان. فترجل الفتكين عن فرسه بين الصفين وقبّل الأرض نحو العزيز، وأرسل إليه يقول: لو كان هذا القول سبق قبل هذا الحال لأمكنني وسارعت وأطعت، وأما الآن فلا. ثم ركب فرسه وحمل على ميسرة العزيز ففرّق شملها وبدّد خيلها ورجلها، فبرز عند ذلك العزيز من القلب وأمر الميمنة فحملت حملة صادقة فانهزم القرمطي وتبعه بقية الشاميين وركبت المغاربة أقفيتهم يقتلون ويأسرون من شاؤوا،

---

(١) سراتهم: سادتهم. (٢) الشوكة: القوة.

(٣) كذا بالأصل: بالحساء، والأصح بالإحساء.

وتحول العزيز فنزل خيام الشاميين بمن معه، وأرسل السرايا وراءهم، وجعل لا يؤتى بأسير إلا خلع على من جاء به، وجعل لمن جاءه لفتكين مائة ألف دينار، فاتفق أن الفتكين عطش عطشاً شديداً، فاجتاز بمفرج بن دعبل، وكان صاحبه، فاستسقاه فسقاه وأنزله عنده في بيوته، وأرسل إلى العزيز يخبره بأن طلبته عنده، فليحمل المال إليّ وليأخذ غريمه، فأرسل إليه بمائة ألف دينار وجاء من تسلمه منه، فلما أحيط بالفتكين لم يشك أنه مقتول، فما هو إلا أن حضر عند العزيز أكرمه غاية الإكرام، ورد إليه حواصله وأمواله لم يفقد منها شيئاً، وجعله من أخص أصحابه وأمرائه، وأنزله إلى جانب منزله، ورجع به إلى الديار المصرية مكرماً معظماً، وأقطعه هنالك إقطاعات جزيلة، وأرسل إلى القرمطي أن يقدم عليه ويكرمه كما أكرم الفتكين، فامتنع عليه وخاف منه، فأرسل إليه بعشرين ألف دينار، وجعلها له عليه في كل سنة، يكف بها شره، ولم يزل الفتكين مكرماً عند العزيز حتى وقع بينه وبين الوزير ابن كلس، فعمل عليه حتى سقاه سماً فمات، وحين علم العزيز بذلك غضب على الوزير وحبسه بضعة وأربعين يوماً، وأخذ منه خمسمائة ألف دينار ثم رأى أن لا غنى به عنه فأعاده إلى الوزارة. وهذا ملخص ما ذكره ابن الأثير.

وفيها توفي من الأعيان:

سبكتكين الحاجب التركي

مولى المعز الديلمي وحاجبه، وقد ترقى في المراتب حتى آل به الأمر إلى أن قلّده الطائع الإمارة وخلع عليه وأعطاه اللواء، ولقبّه بنور الدولة، وكانت مدة أيامه في هذا المقام شهرين وثلاثة عشر يوماً، ودفن ببغداد وداره هي دار الملك ببغداد، وهي دار عظيمة جداً، وقد اتفق له أنه سقط مرة عن فرسه فانكسر صلبه[1] فداواه الطبيب حتى استقام ظهره وقدر على الصلاة إلا أنه لا يستطيع الركوع، فأعطاه شيئاً كثيراً من الأموال، وكان يقول للطبيب: إذا ذكرت مرضي ومداواتك لي لا أقدر على مكافأتك، ولكن إذا تذكرت وضعك قدميك على ظهري اشتد غضبي منك. توفي ليلة الثلاثاء لسبع بقين من المحرم منها، وقد ترك من الأموال شيئاً كثيراً جداً. من ذلك ألف ألف دينار وعشرة آلاف ألف درهم، وصندوقان من جوهر، وخمسة عشر صندوقاً من البلور، وخمسة وأربعين صندوقاً من آنية الذهب، ومائة وثلاثون كوكباً من ذهب، منها خمسون وزن كل واحد ألف دينار، وستمائة مركب من فضة وأربعة آلاف ثوب من ديباج، وعشرة آلاف ديبقي وعنابي، وثلاثمائة عدل معكومة[2] من الفرش، وثلاثة آلاف فرس وألف جمل وثلاثمائة غلام وأربعون خادماً وذلك غير ما أودع عند أبي بكر البزار، وكان صاحبه الله أعلم.

(١) الصلب: عمود الظهر.

(٢) العدل: الكيس الكبير. ومعكومة: مشدودة بالعكام، وهو ما يشد به كالحبل وغيره.

ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة

فيها قسم ركن الدولة بن بويه ممالكه بين أولاده عندما كبرت سنه، فجعل لولده عضد الدولة بلاد فارس وكرمان وأرجان، ولولده مؤيد الدولة الري وأصبهان، ولفخر الدولة همدان والدينور، وجعل ولده أبا العباس في كنف عضد الدولة وأوصاه به. وفيها جلس قاضي القضاة ببغداد أبو محمد بن معروف في دار عز الدولة لفصل الحكومات عن أمره له بذلك، فحكم بين يديه بين الناس وفيها حج بالناس أمير المصريين من جهة العزيز الفاطمي بعدما حاصر أهل مكة ولقوا شدة عظيمة، وغلت الأسعار بها جداً. وفيها ذكر ابن الأثير أن يوسف بلكين نائب المعز الفاطمي على بلاد إفريقية ذهب إلى سبتة فأشرف عليها من جبل فطل عليها فجعل يتأمل من أين يحاصرها، فحاصرها نصف يوم فخافه أهلها خوفاً شديداً، ثم انصرف عنها إلى مدينة هنالك يقال لها بصرة في المغرب، فأمر بهدمها ونهبها، ثم سار إلى مدينة برغواطة وبها رجل يقال له عيسى ابن أم الأنصار، وهو ملكها وقد اشتدت المحنة به لسحره وشعبذته وادّعى أنه نبي فأطاعوه، ووضع لهم شريعة يقتدون بها، فقاتلهم بلكين فهزمهم وقتل هذا الفاجر ونهب أموالهم وسبى ذراريهم فلم ير سبيٌ أحسن أشكالاً منهم فيما ذكره أهل تلك البلاد في ذلك الزمان والله أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن جعفر بن محمد بن مسلم

أبو بكر الحنبلي، له مسند كبير، روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وأبي محمد الكجي وخلق، وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة وقد قارب التسعين.

ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابىء

المؤرخ فيما ذكره ابن الأثير في الكامل.

الحسين بن محمد بن أحمد

أبو علي الماسرجسي الحافظ، رحل وسمع الكثير وصنّف مسنداً في ألف وثلاثمائة جزء، بطرقه وعلله، وله المغازي والقبائل، وخرج على الصحيحين وغيرهما، قال ابن الجوزي: وفي بيته وسلفه تسعة عشر محدثاً، توفي في رجب منها.

أبو أحمد بن عدي الحافظ

أبو عبد الله بن عدي بن عبد الله ﷺ ابن محمد بن أبي أحمد الجرجاني - أبو أحمد بن عدي - الحافظ الكبير المفيد الإمام العالم الجوّال النقّال الرحّال، له كتاب الكامل في الجرح والتعديل، لم يسبق إلى مثله ولا يلحق في شكله. قال حمزة عن الدارقطني: فيه كفاية لا يزاد عليه. ولد أبو أحمد بن عدي في سن سبع وسبعين ومائتين وهي السنة التي توفي فيها أبو حاتم الرازي، وتوفي ابن عدي في جمادى الآخرة من هذه السنة.

المعز الفاطمي

باني القاهرة معد بن إسماعيل بن سعيد بن عبد الله أبو تميم المدّعي أنه فاطمي، صاحب الديار المصرية، وهو أول من ملكها من الفاطميين، وكان أولاً ملكاً ببلاد إفريقية وما والاها من بلاد المغرب، فلما كان في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة، بعث بين يديه جوهراً القائد فأخذ له بلاد مصر من كافور الإخشيدي بعد حروب تقدم ذكرها، واستقرت أيدي الفاطميين عليها، فبنى بها القاهرة وبنى منزل الملك وهما القصران ثم أقام جوهر الخطبة للمعز الفاطمي في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ثم قدم المعز بعد ذلك ومعه جحافل من الجيوش، وأمراء من المغاربة والأكابر، وحين نزل الإسكندرية تلقّاه وجوه الناس فخطبهم بها خطبة بليغة ادّعى فيها أنه ينصف المظلوم من الظالم، وافتخر فيها بنسبه وأن الله قد رحم الأمة بهم، وهو مع ذلك متلبس[1] بالرفض ظاهراً وباطناً كما قاله القاضي الباقلاني إن مذهبهم الكفر المحض، واعتقادهم الرفض، وكذلك أهل دولته ومن أطاعه ونصره ووالاه قبّحهم الله وإياه. وقد أحضر إلى بين يديه الزاهد العابد الورع الناسك التقي أبو بكر النابلسي، فقال له المعز بلغني عنك أنك قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم، فقال ما قلت هذا، فظن أنه رجع عن قوله فقال: كيف قلت؟ قال: قلت ينبغي أن نرميكم بتسعة ثم نرميكم بالعاشر. قال: ولم؟ قال: لأنكم غيرتم دين الأمة وقتلتم الصالحين وأطفأتم نور الإلهية، وادعيتم ما ليس لكم. فأمر بإشهاره في أول يوم ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضرباً شديداً مبرحاً ثم أمر بسلخه في اليوم الثالث، فجيء بيهودي فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن قال اليهودي: فأخذتني رقة عليه، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات رحمه الله. فكان يقال له الشهيد، وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى اليوم، ولم تزل فيهم بقايا خير، وقد كان المعز قبّحه الله فيه شهامة وقوة حزم وشدة عزم، وله سياسة، وكان يظهر أنه يعدل وينصر الحق ولكنه كان مع ذلك منجماً يعتمد على حركات النجوم، قال له منجمه: إن عليك قطعاً ـ أي خوفاً ـ في هذه السنة فتوار عن وجه الأرض حتى تنقضي هذه المدة. فعمل له سرداباً وأحضر الأمراء وأوصاهم بولده نزار ولقبه العزيز وفوّض إليه الأمر حتى يعود إليهم، فبايعوه على ذلك، ودخل المعز ذلك السرداب فتوارى فيه سنة فكانت المغاربة إذا رأوا سحاباً ترجل الفارس منهم له عن فرسه وأومأ إليه بالسلام ظانين أن المعز في ذلك الغمام، ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۝٥٤﴾ [الزخرف: ٥٤] ثم برز إليهم بعد سنة وجلس في مقام الملك وحكم على عادته أياماً، ولم تطل مدته بل عاجله القضاء المحتوم، ونال رزقه المقسوم، فكانت وفاته في هذه السنة، وكانت أيامه في الملك قبل أن يملك مصر وبعدها ملكها ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، منها بمصر سنتان وتسعة أشهر والباقي ببلاد المغرب، وجملة عمره كله

(١) متلبس: معتقد.

خمس وأربعون سنة وستة أشهر، لأنه ولد بإفريقية في عاشر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة وكانت وفاته بمصر في اليوم التاسع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وهي هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمائة

فيها توفي ركن الدولة بن علي بن بويه وقد جاوز التسعين سنة، وكانت أيام ولايته نيفاً وأربعين سنة، وقبل موته بسنة قسم ملكه بين أولاده كما ذكرنا، وقد عمل ابن العميد مرة ضيافة في داره وكانت حافلة حضرها ركن الدولة وبنوه وأعيان الدولة، فعهد ركن الدولة في هذا اليوم إلى ابنه عضد الدولة وخلع عضد الدولة على إخوته وسائر الأمراء الأقبية والأكسية على عادة الديلم، وحفوه بالريحان على عادتهم أيضاً، وكان يوماً مشهوداً. وقد كان ركن الدولة قد أسن وكبر وتوفي بعد هذه الوليمة بقليل في هذه السنة، وكان حليماً وقوراً كثير الصدقات محباً للعلماء فيه بر وكرم وإيثار، وحسن عشرة ورياسة، وحنو على الرعية وعلى أقاربه. وحين تمكن ابنه عضد الدولة قصد العراق ليأخذها من ابن عمه بختيار لسوء سيرته ورداءة سريرته، فالتقوا في هذه السنة بالأهواز فهزمه عضد الدولة وأخذ أثقاله وأمواله، وبعث إلى البصرة فأخذها وأصلح بين أهلها حيي ربيعة ومضر، وكان بينهما خلف متقادم من نحو مائة وعشرين سنة، وكانت مضر تميل إليه وربيعة عليه، ثم اتفق الحيان عليه وقويت شوكته، وأذل بختيار وقبض على وزيره ابن بقية لأنه استحوذ على الأمور دونه، وجبى الأموال إلى خزائنه، فاستظهر عضد الدولة بما وجده في الخزائن والحواصل لابن بقية ولم يبق له منها بقية. وكذلك أمر ركن الدولة بالقبض على وزير أبيه أبي الفتح بن العميد لموجدة[1] تقدمت منه إليه، وقد سلف ذكرها. ولم يبق لابن العميد أيضاً في الأرض بقية، وقد كانت الأكابر تتقيه. وقد كان ابن العميد من الفسوق والعصيان بأوفر مكان، فخانته المقادير ونزل به غضب السلطان، ونحن نعوذ من غضب الرحمن.

وفي منتصف شوال منها توفي الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب بلاد خراسان وبخارى وغيرها، وكانت ولايته خمس عشرة سنة، وقام بالأمر من بعده ولده أبو القاسم نوح، وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، ولقب بالمنصور.

وفيها توفي الحاكم وهو المستنصر بالله بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي، وقد كان هذا من خيار الملوك وعلمائهم، وكان عالماً بالفقه والخلاف والتواريخ محباً للعلماء محسناً إليهم. توفي وله من العمر ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر، ومدة خلافته منها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وقام بالأمر من بعده ولده هشام وله عشر سنين ولقب بالمؤيد بالله، وقد اختلف عليه في أيامه واضطربت الرعايا عليه وحبس مدة ثم أخرج وأعيد إلى الخلافة، وقام بأعباء أمره حاجبه المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري، وابناه

(١) الموجدة: الغضب والحزن.

المظفر والناصر، فساسوا الرعايا جيداً وعدلوا فيهم وغزوا الأعداء واستمر لهم الحال كذلك نحواً من ست وعشرين سنة. وقد ساق ابن الأثير هنا قطعة من أخبارهم وأطال.

وفيها رجع ملك حلب إلى أبي المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان، وذلك أنه لما مات أبوه وقام هو من بعده تغلب قرعويه مولاهم واستولى عليهم سار إليه فأخرجه منها خائفاً يترقب، ثم جاء فنزل حماه وكانت الروم قد خربت حمص فسعى في عمارتها وترميمها وسكنها، ثم اختلف الأمور على قرعوية كتب أهل حلب إلى أبي المعالي هذا وهو بحمص أن يأتيهم، فسار إليهم فحاصر حلب أربعة أشهر فافتتحها وامتنعت منه القلعة وقد تحصن بها نكجور، ثم اصطلح مع أبي المعالي على أن يؤمنه على نفسه ويستنيبه بحمص. ثم انتقل إلى نيابة دمشق وإليه تنسب هذه المزرعة ظاهر دمشق التي تعرف بالقصر النكجوري...

ابتداء ملك بني سبكتكين

والد محمود صاحب غزنة. وقد كان سبكتكين مولى للأمير أبي إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة وأعمالها للسامانية، وليس هذا بحاجب معز الدولة، ذاك توفي قبل هذه السنة كما تقدم، وأما هذا فإنه لما مات مولاه لم يترك أحداً يصلح للملك من بعده لا من ولده ولا من قومه، فاصطلح الجيش على مبايعة سبكتكين هذا لصلاحه فيهم وخيره وحسن سيرته، وكمال عقله وشجاعته وديانته، فاستقر الملك في يده واستمر من بعده في ولده السعيد محمود بن سبكتكين، وقد غزا هذا بلاد الهند، وفتح شيئاً كثيراً من حصونهم، وغنم أموالاً كثيرة، وكسر من أصنامهم ونذورهم أمراً هائلاً، وباشر بمن معه من الجيوش حرباً عظيمة هائلة، وقد قصده جيبال ملك الهند الأعظم بنفسه وجنوده التي تعم السهول والجبال، فكسرهم مرتين وردهم إلى بلادهم في أسوأ حال وأردأ بال. وذكر ابن الأثير في كامله أن سبكتكين لما التقى مع جيبال ملك الهند في بعض الغزوات كان بالقرب منهم عين في عقبة باغورك وكان من عادتهم أنها إذا وضعت فيها نجاسة أو قذر اكفهرت السماء[1] وأرعدت وأبرقت وأمطرت، ولا تزال كذلك حتى تطهر تلك العين من ذلك الشيء الذي ألقي فيها، فأمر سبكتكين بإلقاء نجاسة فيها ـ وكانت قريباً من نحو العدو ـ فلم يزالوا في رعود وبروق وأمطار وصواعق حتى ألجأهم ذلك إلى الهرب والرجوع إلى بلادهم خائبين هاربين، وأرسل ملك الهند يطلب من سبكتكين الصلح فأجابه بعد امتناع من ولده محمود، على مال جزيل يحمله إليه، وبلاد كثيرة يسلمها إليه، وخمسين فيلاً ورهائن من رؤوس قومه يتركها عنده حتى يقوم بما التزمه من ذلك.

وفيها توفي:

---

(١) اكفهرت السماء: تغير لونها ومال إلى السواد.

أبو يعقوب يوسف

ابن الحسين الجنابي، صاحب هجر ومقدم القرامطة، وقام بالأمر من بعده ستة من قومه وكانوا يسمون بالسادة، وقد اتفقوا على تدبير الأمر من بعده ولم يختلفوا فمشى حالهم. وفيها كانت وفاته.

الحسين بن أحمد

ابن أبي سعيد الجنابي أبو محمد القرمطي. قال ابن عساكر: واسم أبي سعيد الحسين بن بهرام، ويقال ابن أحمد، يقال أصلهم من الفرس، وقد تغلب هذا على الشام في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ثم عاد إلى الأحساء بعد سنة ثم عاد إلى دمشق في سنة ستين، وكسر جيش جعفر بن فلاح، أول من ناب بالشام عن المعز الفاطمي وقتله، ثم توجه إلى مصر فحاصرها في مستهل ربيع الأول من سنة إحدى وستين، واستمر محاصرها شهوراً، وقد كان استخلف على دمشق ظالم بن موهوب ثم عاد إلى الأحساء ثم رجع إلى الرملة فتوفي بها في هذه السنة، وقد جاوز التسعين، وهو يظهر طاعة عبد الكريم الطائع لله العباسي.

وقد أورد له ابن عساكر أشعاراً رائقة، من ذلك ما كتب به إلى جعفر بن فلاح قبل وقوع الحرب بينهما وهي من أفحل الشعر:

الكُتْبُ مَعْذِرَةٌ وَالرُسْلُ مُخْبِرَةٌ ... وَالحَقُّ مُتَّبَعٌ وَالخَيْرُ مَحْمُودُ
وَالحَرْبُ سَاكِنَةٌ وَالخَيْلُ صَافِنَةٌ[1] ... وَالسِّلْمُ مُبْتَذَلٌ وَالظِّلُّ مَمْدُودُ
فَإِنْ أَنَبْتُمْ فَمَقْبُولٌ إِنَابَتُكُمْ ... وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَهٰذا الكُورُ مَشْدُودُ[2]
عَلَى ظُهُورِ المَنَايَا أَوْ يَرِدْنَ بِنَا ... دِمَشْقَ وَالبَابُ مَهْدُومٌ وَمَرْدُودُ
إِنِّي امْرُؤٌ لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلا أَرَبِي ... طَبْلٌ يَرِنُّ وَلا نَايٌ وَلا عُودُ
وَلا اعْتِكَافٌ عَلَى خَمْرٍ وَمَخْمَرَةٍ ... وَذَاتِ دَلٍّ لَهَا غُنْجٌ وَتَفْنِيدُ
وَلا أَبِيتُ بَطِينَ البَطْنِ مِنْ شَبَعٍ ... وَلي رَفِيقٌ خَمِيصُ البَطْنِ مَجْهُودُ[3]
وَلا تُسَامِتُ بي الدُّنْيَا إلى طَمَعٍ ... يَوْماً وَلا غَرَّنِي فِيهَا المَوَاعِيدُ

ومن شعره أيضاً:

يا سَاكِنَ البَلَدِ المُنِيفِ تَعَزُّزاً ... بِقِلاعِهِ وَحُصُونِهِ وَكُهُوفِهِ
لا عِزَّ إلاَّ لِلْعَزِيزِ بِنَفْسِهِ ... وَبِخَيْلِهِ وَبِرَجْلِهِ وَسُيُوفِهِ

(١) الصافنة: القائمة على ثلاث قوائم، كناية عن استعدادها وتأهبها.
(٢) أنبتم: رجعتم. والكور: ما يوضع على ظهر البعير كالسرج.
(٣) بطين البطن: متخم مكتظ. والخميص: الجائع. والمجهود: المتعب.

وَبِقُبَّةٍ بَيْضَاءَ قَدْ ضُرِبَتْ عَلَى شَرَفِ الخِيَامِ بِجَارِهِ وَضُيُوفِهِ
قَوْمٌ إذا اشْتَدَّ الوغا أَرْدَى العِدَا وَشَفَى النُّفُوسَ بِضَرْبِهِ وَزُحُوفِهِ
لم يجعل الشَّرَفِ التَّلِيدِ لِنَفْسِهِ حَتَّى أفاد تَلِيدَهُ بِطَرِيفِهِ[(١)]

وفيها تملك قابوس بن وشمكير بلاد جرجان وطبرستان وتلك النواحي. وفيها دخل الخليفة الطائع بشاه باز بنت عز الدولة بن بويه، وكان عرساً حافلاً. وفيها حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان في تحمّل عظيم، حتى كان يضرب المثل بحجها، وذلك أنه عملت أربعمائة محمل وكان لا يدرى في أيها هي، ولما وصلت إلى الكعبة نثرت عشرة آلاف دينار على الفقراء والمجاورين، وكست المجاورين بالحرمين كلهم، وأنفقت أموالاً جزيلة في ذهابها وإيابها. وحج بالناس من العراق الشريف أحمد بن الحسين بن محمد العلوي، وكذلك حج بالناس إلى سنة ثمانين وثلاثمائة، وكانت الخطبة بالحرمين في هذه السنة للفاطميين أصحاب مصر دون العباسيين.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إسماعيل بن نجيد

ابن أحمد بن يوسف [بن سالم][(٢)] أبو عمرو السلمي، صحب الجنيد وغيره، وروى الحديث، وكان ثقة. ومن جيد كلامه قوله: من لم تهدك رؤيته فليس بمهذب. وقد احتاج شيخه أبو عثمان مرة إلى شيء فسأل أصحابه فيه فجاءه ابن نجيد بكيس فيه ألفا درهم فقبضه منه وجعل يشكره إلى أصحابه، فقال له ابن نجيد بين أصحابه: يا سيدي إن المال الذي دفعته إليك كان من مال أمي أخذته وهي كارهة فأنا أحب أن ترده إليَّ حتى أرده إليها. فأعطاه إياه، فلما كان الليل جاءه به وقال أحب أن تصرفها في أمرك ولا تذكرها لأحد. فكان أبو عثمان يقول: أنا أجتني من همة أبي عمرو بن نجيد رحمهم الله تعالى.

الحسن بن بويه

أبو علي ركن الدولة عرض له قولنج فمات في ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم منها، وكانت مدة ولايته أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام؛ ومدة عمره ثمانٍ وسبعون سنة، وكان حليماً كريماً.

محمد بن إسحاق

ابن إبراهيم بن أفلح بن رافع بن رافع بن إبراهيم بن أفلح بن عبد الرحمن بن رفاعة بن رافع أبو الحسن الأنصاري الزرقي، كان نقيب الأنصار، وقد سمع الحديث من أبي القاسم البغوي وغيره، وكان ثقة يعرف أيام الأنصار ومناقبهم، وكانت وفاته في جمادى الآخرة منها.

---

(١) التليد: المال القيم الموروث. والطريف: الجديد المستحدث.

(٢) سقط في ط.

محمد بن الحسن

ابن أحمد بن إسماعيل أبو الحسن السراج، سمع يوسف بن يعقوب القاضي وغيره، وكان شديد الاجتهاد في العبادة. صلى حتى أقعد، وبكى حتى عمي، توفي في يوم عاشوراء منها.

القاضي منذر البلوطي [المنذر بن سعيد أبو الحكم البلوطي][1]: رحمه الله قاضي قضاة الأندلس، كان إماماً عالماً فصيحاً خطيباً شاعراً أديباً، كثير الفضل، جامعاً لصنوف من الخير والتقوى والزهد، وله مصنفات واختيارات، منها أن الجنة التي سكنها آدم وأهبط منها كانت في الأرض وليست بالجنة التي أعدها الله لعباده في الآخرة وله في ذلك مصنف مفرد، له وقع في النفوس وعليه حلاوة وطلاوة، دخل يوماً على الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء وقصورها، وقد بني له فيها قصر عظيم منيف، وقد زخرف بأنواع الدهانات وكسي الستور، وجلس عنده رؤوس دولته وأمراؤه، فجاءه القاضي فجلس إلى جانبه وجعل الحاضرون يثنون على ذلك البناء ويمدحونه، والقاضي ساكت لا يتكلم، فالتفت إليه الملك وقال: ما تقول أنت يا أبا الحكم؟ فبكى القاضي وانحدرت دموعه على لحيته وقال: ما كنت أظن أن الشيطان أخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ المفضح المهتك المهلك لصاحبه في الدنيا والآخرة، ولا أنك تمكنه من قيادك مع ما آتاك الله وفضلك به على كثير من الناس، حتى أنزلك منازل الكافرين والفاسقين. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا﴾ [الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥]. ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾[2] قال: فوجم الملك عند ذلك وبكى وقال: جزاك الله خيراً، وأكثر في المسلمين مثلك. وقد قحط الناس في بعض السنين فأمره الملك القاضي أن يستسقي للناس، فلما جاءته الرسالة مع البريد قال للرسول: كيف تركت الملك؟ فقال تركته أخشع ما يكون وأكثره دعاء وتضرعاً. فقال القاضي: سقيتم والله، إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء. ثم قال لغلامه: ناد في الناس الصلاة. فجاء الناس إلى محل الاستسقاء جاء القاضي منذر فصعد المنبر والناس ينظرون إليه ويسمعون ما يقول، فلما أقبل عليهم كان أول ما خاطبهم به قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤] ثم أعادها مراراً فأخذ الناس في البكاء والنحيب والتوبة والإنابة، فلم يزالوا كذلك حتى سقوا ورجعوا يخوضون الماء.

أبو الحسن علي بن أحمد

ابن المرزبان البغدادي الفقيه الشافعي، تفقه بأبي الحسين بن القطان وأخذ عنه الشيخ

---

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.

أبو حامد الأسفرابيني. قال ابن خلكان: كان ورعاً زاهداً ليس لأحد عنده مظلمة، وله في المذهب وجه، وكان له درس ببغداد. توفي في رجب منها.

ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة

فيها دخل عضد الدولة إلى بغداد وخرج منها عز الدولة بختيار واتبعه عضد الدولة وأخذ معه الخليفة فاستعفاه فأعفاه، وسار عضد الدولة وراءه فأخذ أسيراً، ثم قتل سريعاً وتصرّمت دولته[(١)]، واستقر أمر عضد الدولة ببغداد، وخلع عليه الخليفة الخلع السنية والأسورة والطوق، وأعطاه لواءين أحدهما ذهب والآخر فضة، ولم يكن هذه لغيره إلا لأولياء العهد، وأرسل إليه الخليفة بتحف سنية، وبعث عضد الدولة إلى الخليفة أموالاً جزيلة من الذهب والفضة واستقرت يده على بغداد وما والاها من البلاد، وزلزلت بغداد مراراً في هذه السنة، وزادت دجلة زيادة كثيرة غرق بسببها خلق كثير، وقيل لعضد الدولة إن أهل بغداد قد قلوا كثيراً بسبب الطاعون وما وقع بينهم من الفتن بسبب الرفض والسنة وأصابهم حريق وغرق، فقال: إنما يهيج الشر بين الناس هؤلاء القصاص والوعاظ، ثم رسم أن أحداً لا يقص ولا يعظ في سائر بغداد ولا يسأل سائل باسم أحد من الصحابة، وإنما يقرأ القرآن فمن أعطاه أخذ منه. فعمل بذلك في البلد، ثم بلغه أن أبا الحسين بن سمعون الواعظ - وكان من الصالحين - لم يترك بل استمر على عادته، فأرسل إليه من جاء به، وتحول عضد الدولة من مجلسه وجلس وحده لئلا يبدر من ابن سمعون إليه بين الدولة كلام يكرهه وقيل لابن سمعون إذا دخلت على الملك فتواضع في الخطاب وقبّل التراب. فلما دخل دار الملك وجده قد جلس وحده لئلا يبدر من ابن سمعون في حقه كلام بحضرة الناس يؤثر عنه. ودخل الحاجب بين يديه يستأذن له عليه ودخل ابن سمعون وراءه، ثم استفتح القراءة بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ [إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾][(٢)]﴾ [هود:١٠٢]. ثم التفت بوجهه نحو دار عز الدولة ثم قرأ ﴿[بسم الله الرحمن الرحيم][(٣)] ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس:١٤] ثم أخذ في مخاطبة الملك ووعظه فبكى عضد الدولة بكاء كثيراً، وجزاه خيراً. فلما خرج من عنده قال للحاجب: اذهب فخذ ثلاثة آلاف درهم وعشرة أثواب وادفعها له فإن قبلها جئني برأسه، قال الحاجب: فجئته فقلت: هذا أرسل به الملك إليك. فقال: لا حاجة لي به، هذه ثيابي من عهد أبي منذ أربعين سنة كلما خرجت إلى الناس لبستها، فإذا رجعت طويتها، ولي دار آكل من أجرتها تركها لي أبي، فأنا في غنية عما أرسل به الملك. فقلت: فرقها في فقراء أهلك. فقال: فقراء أهله أحق بها من فقراء أهلي، وأفقر إليها منهم. فرجعت إلى الملك

---

(١) تصرمت دولته: تقطعت وانتهت.

(٢) سقط في ط.

(٣) سقط في ط.

لأشاوره وأخبره بما قال: فسكت ساعة ثم قال: الحمد لله الذي سلمه منا وسلمنا منه. ثم إن عضد الدولة أخذ ابن بقية الوزير لعز الدولة فأمر به فوضع بين قوائم الفيلة فتخبطته بأرجلها حتى هلك، ثم صلب على رأس الجسر في شوال منها، فرثاه أبو الحسين بن الأنباري بأبيات يقول فيها:

عُلُوٌّ في الحَيَاةِ وفي المَمَاتِ — بِحَقٍّ أَنْتَ إِحْدَى المُعْجِزَاتِ
كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا — وُفُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصِّلاتِ[1]
كَأَنَّكَ وَاقِفٌ فِيهِمْ خَطِيباً — وَكُلُّهُمُ وُقُوفٌ لِلصَّلاةِ
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ احْتِفَاءً — كَمَدِّهِمَا إِلَيْهِمْ بِالهِبَاتِ

وهي قصيدة طويلة أورد كثيراً منها ابن الأثير في كامله.

[صفة][2] مقتل عز الدين بختيار

لما دخل عضد الدولة بغداد وتسلمها خرج منها بختيار ذليلاً طريداً في فل من الناس، ومن عزمه أن يذهب إلى الشام فيأخذها، وكان عضد الدولة قد حلفه أن لا يتعرض لأبي تغلب لمودة كانت بينهما ومراسلات، فحلف له على ذلك، وحين خرج من بغداد كان معه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان فحسن لعز الدولة أخذ بلاد الموصل من أبي تغلب، لأنها أطيب وأكثر مالاً من الشام وأقرب إليه، وكان عز الدولة ضعيف العقل قليل الدين، فلما بلغ ذلك أبا تغلب أرسل إلى عز الدولة يقول له: لئن أرسلت إليَّ ابن أخي حمدان بن ناصر الدولة أغنيتك بنفسي وجيشي حتى أخذلك ملك بغداد من عضد الدولة وأدرك إليها. فعند ذلك أمسك حمدان وأرسله إلى عمه أبي تغلب فسجنه في بعض القلاع وبلغ ذلك عضد الدولة وأنهما قد اتفقا على حربه فركب إليهما بجيشه وأراد إخراج الخليفة الطائع معه فاستعفاه فأعفاه، فذهب إليهما فالتقى معهما فكسرهما وهزمهما، وأخذ عز الدولة أسيراً وقتله من فوره، وأخذ الموصل ومعاملتها، وكان قد حمل معه ميرة كثيرة، وشرَّد أبا تغلب في البلاد وبعث وراءه السرايا في كل وجه، وأقام بالموصل إلى أواخر سنة ثمانٍ وستين، وفتح ميافارقين وآمد وغيرهما من بلاد بكر وربيعة، وتسلم بلاد مضر من أيدي نواب أبي تغلب، وأخذ منهم الرحبة ورد بقيتها على صاحب حلب سعد الدولة بن سيف الدولة، وتسلَّط على سعد الدولة، وحين رجع من الموصل استناب عليها أبا الوفا، وعاد إلى بغداد فتلقَّاه الخليفة ورؤوس الناس إلى ظاهر البلد، وكان يوماً مشهوداً.

ومما وقع من الحوادث فيها الوقعة التي كانت بين العزيز بن المعز الفاطمي وبين الفتكين غلام معز الدولة صاحب دمشق فهزمه وأسره وأخذه معه إلى الديار المصرية مكرماً معظماً كما تقدم، وتسلم العزيز دمشق وأعمالها، وقد تقدم في سنة أربع وستين.

---

(١) الصلات: الهبات.

(٢) سقط في ط.

وفيها خلع على القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي بقضاء قضاة الري وما تحت حكم مؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه من البلاد، وله مصنفات حسنة، منها دلائل النبوة وعمد الأدلة وغيرها. وحج بالناس فيها نائب المصريين وهو الأمير باديس بن زيري أخو يوسف بن بلكين. ولما دخل مكة اجتمع إليه اللصوص وسألوا منه أن يُضمِّنهم الموسم هذا العام بما شاء من الأموال. فأظهر لهم الإجابة إلى ما سألوا وقال لهم: اجتمعوا كلكم حتى أضمنكم كلكم، فاجتمع عنده بضعة وثلاثون حرامياً، فقال: هل بقي منكم أحد؟ فحلفوا له أنه لم يبق منهم أحد. فأخذ عند ذلك بالقبض عليهم وبقطع أيديهم كلهم، ونعماً ما فعل. وكانت الخطبة في الحجاز للفاطميين دون العباسيين.

وممن توفي فيها من الأعيان الملك عز الدولة:

بختيار بن بويه الديلمي

ملك بعد أبيه وعمره فوق العشرين سنة بقليل، وكان حسن الجسم شديد البطش قوي القلب، يقال إنه كان يأخذ بقوائم الثور الشديد فيلقيه في الأرض من غير أعوان، ويقصد الأسود في أماكنها، ولكنه كان كثير اللهو واللعب والإقبال على اللذات، ولما كسره ابن عمه ببلاد الأهواز كان في جملة ما أخذ منه أمرد[1] كان يحبه حباً شديداً لا يهنأ بالعيش إلا معه، فبعث يترفق له في رده إليه، وأرسل إليه بتحف كثيرة وأموال جزيلة وجاريتين عوّادتين[2] لا قيمة لهما، فرد عليه الغلام المذكور فكثر تعنيف الناس له عند ذلك وسقط من أعين الملوك، فإنه كان يقول: ذهاب هذا الغلام مني أشد عليَّ من أخذ بغداد من يدي، بل وأرض العراق كلها. ثم كان من أمره بعد ذلك أن ابن عمه أسره كما ذكرنا وقتله سريعاً، فكانت مدة حياته ستاً وثلاثين سنة، ومدة دولته منها إحدى وعشرين سنة وشهور، وهو الذي أظهر الرفض ببغداد وجرى بسبب ذلك شرور كما تقدم.

محمد بن عبد الرحمن

أبو بكر القاضي المعروف بابن قريعة، ولِّي القضاء بالسندية، وكان فصيحاً يأتي بالكلام المسجوع من غير تكلف ولا تردد، وكان جميل المعاشرة ومن شعره:

لـي حِيلَةٌ فـي مَـنْ يَـنِـمُّ ... وَلَـيْـسَ فـي الـكَـذَّابِ حِـيَـلـهْ[3]
مَـنْ كَـانَ يَـخْـلُـقُ مَـا يَـقُـو ... لُ فَـحِـيـلَـتِـي فِـيـهِ قَـلِـيـلَـهْ

وكان يقول للرجل من أصحابه إذا تماشيا: إذا تقدمت بين يديك فإني حاجب وإن تأخرت فواجب. توفي يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة منها.

(١) الأمرد: الشاب الذي طلع شاربه ولم تنبت لحيته.

(٢) العوادة: التي تحسن الضرب على العود.

(٣) الحيلة: القدرة على المعالجة، وينم: من النميمة.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة

في شعبان منها أمر الطائع لله أن يدعى لعضد الدولة بعد الخليفة على المنابر ببغداد، وأن تضرب الدبادب على بابه وقت الفجر وبعد المغرب والعشاء. قال ابن الجوزي: وهذا يتفق لغيره من بني بويه، وقد كان معز الدولة سأل من الخليفة أن يضرب الدبادب فلم يأذن له، وقد افتتح عز الدولة في هذه السنة وهو مقيم بالموصل، أكثر بلاد أبي تغلب بن حمدان، كآمد والرحبة وغيرهما ثم دخل في سلخ ذي القعدة فتلقَّاه الخليفة والأعيان إلى أثناء الطريق.

[ذكر ملك][1] قسام التراب يملك دمشق [في هذه السنة][2]

لما ذهب الفتكين إلى ديار مصر نهض رجل من أهل دمشق يقال له قسام التراب، كان الفتكين يقربه ويدنيه، ويأمنه على أسراره، فاستحوذ على دمشق وطاوعه أهلها وقصدته عساكر العزيز من مصر فحاصروه فلم يتمكنوا منه، وجاء أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان فحاصره فلم يقدر أن يدخل دمشق، فانصرف عنه خائباً إلى طبرية، فوقع بينه وبين بني عقيل وغيرهم من العرب حروب طويلة، آل الحال إلى أن قتل أبو تغلب وكانت معه أخته وجميلة امرأته وهي بنت سيف الدولة، فردتا إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بحلب، فأخذ أخته وبعث بجميلة إلى بغداد فحبست في دار وأخذ منها أموال جزيلة. وأما قسام التراب هذا ـ وهو من بني الحارث بن كعب من اليمن ـ فإنه أقام بالشام فسد خللها وقام بمصالحها مدة سنين عديدة، وكان مجلسه بالجامع يجتمع الناس إليه فيأمرهم وينهاهم فيمتثلون ما يأمر به. قال ابن عساكر: أصله من قرية تلفيتا، وكان تراباً. قلت والعامة يسمونه قسيم الزبال، وإنما هو قسام، ولم يكن زبالاً بل ترّاباً من قرية تلفيتا بالقرب من قرية منين، وكان بدو أمره أنه انتمى إلى رجل من أحداث أهل دمشق يقال له أحمد بن المسطان، فكان من حزبه ثم استحوذ على الأمور وغلب على الولاة والأمراء إلى أن قدم بلكتكين التركي من مصر في يوم الخميس السابع عشر من المحرم سنة ست وسبعين وثلاثمائة، فأخذها منه واختفى قسام التراب مدة ثم ظهر فأخذه أسيراً وأرسله مقيداً إلى الديار المصرية، فأطلق وأحسن إليه وأقام بها مكرماً.

وممن توفي فيها من الأعيان:

العقيقي

صاحب الحمام والدار المنسوبتين إليه بدمشق بمحلة باب البريد، واسمه أحمد بن الحسن العقيقي بن ضعقن بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسن بن علي بن

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط.

أبي طالب، الشريف أبو القاسم الحسين العقيقي، قال ابن عساكر: كان من وجوه الأشراف بدمشق وإليه تنسب الدار والحمام بمحلة باب البريد، وذكر أنه توفي يوم الثلاثاء لأربع خلون من جمادى الأولى منها، وأنه دفن من الغد وأغلقت البلد لأجل جنازته، وحضرها تكجور وأصحابه ـ يعني نائب دمشق ـ ودفن خارج باب الصغير. قلت: وقد اشترى الملك الظاهر بيبرس داره وبناها مدرسة ودار حديث وتربة وبها قبره، وذلك في حدود سنة سبعين وستمائة كما سيأتي.

أحمد بن جعفر

ابن مالك بن شبيب بن عبد الله أبو بكر بن مالك القطيعي ـ من قطيعة الدقيق ببغداد ـ راوي مسند أحمد عن ابنه عبد الله، وقد روى عنه غير ذلك من مصنفات أحمد، وحدَّث عن غيره من المشايخ، وكان ثقة كثير الحديث، حدث عنه الدارقطني وابن شاهين والبرقاني وأبو نعيم والحاكم، ولم يمتنع أحد من الرواية عنه ولا التفتوا إلى ما طعن عليه[1] بعضهم وتكلم فيه، بسبب غرق كتبه حين غرقت القطيعة بالماء الأسود، فاستحدث بعضها من نسخ أخرى، وهذا ليس بشيء، لأنها قد تكون معارضة على كتبه التي غرقت والله أعلم. ويقال إنه تغير في آخر عمره فكان لا يدري ما جرى عليه، وقد جاوز التسعين.

تميم بن المعز الفاطمي

وبه كان يكنى، وقد كان من أكابر أمراء دولة أبيه وأخيه العزيز وقد اتفقت له كائنة غريبة وهي أنه أرسل إلى بغداد فاشتريت له جارية مغنية بمبلغ جزيل، فلما حضرت عنده أضاف أصحابه ثم أمرها فغنت ـ وكانت تحب شخصاً ببغداد ـ:

وَبَدَا لَهُ مِنْ بَعْدِ ما انتقل الهَوَى ... بَرْقٌ تَأَلَّقَ من هنا لَمَعَانُهُ
يَبْدُو لِحَاشِيَةِ اللواء وَدُونَهُ ... صَعْبُ الذُّرَى مُتَمَنِّعٌ أَرْكَانُهُ
فَبَدَا ينظر كَيْفَ لاحَ فَلَمْ يُطِقْ ... نَظَراً إِلَيْهِ وَشَدَّهُ أَشْجَانُهُ[2]
فَالنَّارُ ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ ... وَالماءُ ما سَمَحَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ

ثم غنته أبياتاً غيرها فاشتد طرب تميم هذا وقال لها: لا بد أن تسأليني حاجة، فقالت: عافيتك. فقال: ومع العافية. فقالت: تردني إلى بغداد حتى أغني بهذه الأبيات، فوجم[3] لذلك ثم لم يجد بداً من الوفاء لها بما سألت، فأرسلها مع بعض أصحابه فحجبها ثم سار بها على طريق العراق، فلما أمسوا في الليلة التي يدخلون فيها بغداد من صبيحتها ذهبت في الليل فلم يدر أين ذهبت، فلما سمع تميم خبرها شق عليه ذلك وتألم ألماً شديداً، وندم ندماً شديداً حيث لا ينفعه الندم.

---

(١) طعن عليه: رُمي به من مآخذ.

(٢) لم يطق: لم يستطع ولم يتحمل، والأشجان: الأحزان.

(٣) وجم: اضطرب وتجهم وحزن.

أبو سعيد السيرافي

النحوي الحسن بن عبد الله بن المرزبان القاضي، سكن بغداد وولِّي القضاء بها نيابة، وله شرح كتاب سيبويه، وطبقات النحاة. روى عن أبي بكر بن دريد وغيره، وكان أبوه مجوسياً، وكان أبو سعيد هذا عالماً باللغة والنحو والقراءات والفرائض والحساب وغير ذلك من فنون العلم، وكان مع ذلك زاهداً لا يأكل إلا من عمل يده، كان ينسخ في كل يوم عشر ورقات بعشرة دراهم، تكون منها نفقته، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين، وكان ينتحل مذهب أهل العراق في الفقه، وقرأ القراءات على ابن مجاهد، واللغة على ابن دريد، والنحو على ابن السراج وابن المرزبان، ونسبه بعضهم إلى الاعتزال وأنكره آخرون. توفي في رجب منها عن أربع وثمانين سنة، ودفن بمقبرة الخيزران.

عبد الله بن إبراهيم

ابن أبي القاسم الريحاني، ويعرف بالأنبدري، رحل في طلب الحديث إلى الآفاق ووافق ابن عدي في بعض ذلك، ثم سكن بغداد وحدث بها عن أبي يعلى والحسن بن سفيان وابن خزيمة وغيرهم، وكان ثقة ثبتاً، له مصنفات، زاهداً روى عنه البرقاني وأثنى عليه خيراً، وذكر أن أكثر أدم أهله الخبز اليابس المأدوم بمرق الباقلا، وذكر أشياء من تقلله وزهده وورعه، توفي عن خمس وتسعين سنة.

عبد الله بن محمد بن ورقاء

الأمير أبو أحمد الشيباني من أهل البيوتات والحشمة، بلغ التسعين سنة، روي عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه أنشد في صفة النساء:

هِيَ الضِّلَعُ العَوْجَاءُ لَسْتَ تُقِيمُهَا ... ألاَ إنَّ تَقْوِيمَ الضُّلُوعِ انْكِسَارُهَا[1]

أَيَجْمَعْنَ ضَعْفاً وَاقْتِدَاراً عَلَى الفَتَى ... أَلَيْسَ عَجِيباً ضَعْفُهَا وَاقْتِدَارُهَا؟

قلت: وهذا المعنى أخذه من الحديث الصحيح: «إنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضلع أَعْوَجَ وَإِنْ أَعْوَجَ شَيْءٍ في الضلع أعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسرْتَهُ، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بها اسْتَمْتَعْتَ بها وَفِيهَا عِوَجٌ».

محمد بن عيسى

ابن عمرويه الجلودي راوي صحيح مسلم عن إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه عن مسلم بن الحجاج وكان من الزهاد، يأكل من كسب يده من النسخ وبلغ ثمانين سنة.

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة

في المحرم منها توفي الأمير عمر بن شاهين صاحب بلاد البطيحة منذ أربعين سنة،

(١) التقويم إصلاح الاعوجاج.

تغلب عليها وعجز عنه الأمراء والملوك والخلفاء، وبعث إليه الجنود والسرايا والجيوش غير مرة، فكل ذلك يفلها ويكسرها، وكل ما له في تمكن وزيادة وقوة، ومكث كذلك هذه المدة، ومع هذا كله مات على فراشه حتف أنفه، فلا نامت أعين الجبناء. وقام بالأمر من بعده ولده الحسن فرام عضد الدولة أن ينتزع الملك من يده، فأرسل إليه سرية حافلة من الجنود فكسرهم الحسن بن عمر بن شاهين، وكاد أن يتلفهم بالكلية حتى أرسل إليه عضد الدولة فصالحه على مال يحمله إليه في كل سنة، وهذا من العجائب الغريبة. وفي صفر قبض على الشريف أبي أحمد الحسن بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين، وقد كان أمير الحج مدة سنين، اتهم بأنه يفشي الأسرار وأن عز الدولة أودع عنده عقداً ثميناً، ووجدوا كتاباً بخطه في إفشاء الأسرار فأنكر أنه خطه وكان مزوراً عليه، واعترف بالعقد فأخذ منه وعزل عن النقابة وولّوا غيره، وكان مظلوماً. وفي هذا الشهر أيضاً عزل عضد الدولة قاضي القضاة أبا محمد بن معروف وولّى غيره، وفي شعبان منها ورد البريد من مصر إلى عضد الدولة بمراسلات كثيرة فرد الجواب بما مضمونه صدق النية وحسن الطوية، ثم سأل عضد الدولة من الطائع أن يجدد عليه الخلع والجواهر، وأن يزيد في انشائه تاج الدولة، فأجابه إلى ذلك، وخلع عليه من أنواع الملابس ما لم يتمكن معه من تقبيل الأرض بين يدي الخليفة، وفوّض إليه ما وراء بابه من الأمور ومصالح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وحضر ذلك أعيان الناس، وكان يوماً مشهوداً، وأرسل في رمضان إلى الأعراب من بني شيبان وغيرهم فعقرهم وكسرهم، وكان أميرهم منبه بن محمد الأسدي متحصناً بعين التمر مدة نيف وثلاثين سنة، فأخذ ديارهم وأموالهم.

وفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة تزوج الطائع لله بنت عضد الدولة الكبرى، وعقد العقد بحضرة الأعيان على صداق مبلغه مائة ألف دينار، وكان وكيل عضد الدولة الشيخ أبو علي الحسين بن أحمد الفارسي النحوي، صاحب الإيضاح والتكملة، وكان الذي خطب خطبة العقد القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي [وكان يوماً مشهوداً. وفيها كان مقتل أبي تغلب بن ناصر الدولة بالشام قريباً من نوى وأعمالها وكان معه أخته جميلة وزوجته بنت عمه سيف الدولة فردت إلى ابن عمه سعد الدولة بن سيف الدولة صاحب حلب](١). قال ابن الأثير: وفيها جدد عضد الدولة عمارة بغداد ومحاسنها، وجدد المساجد والمشاهد، وأجرى على الفقهاء الأرزاق، وعلى الأئمة من الفقهاء والمحدثين والأطباء والحساب وغيرهم، وأطلق الصلات لأرباب البيوتات والشرف، وألزم أصحاب الأملاك بعمارة بيوتهم ودورهم، ومهد الطرقات وأطلق المكوس وأصلح الطريق للحجاج من بغداد إلى مكة، وأرسل الصدقات للمجاورين بالحرمين. قال: وأذن لوزيره نصر بن هارون ـ وكان نصرانياً ـ بعمارة البيع والأديرة وأطلق الأموال لفقرائهم.

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

وفيها توفي حسنويه بن حسين الكردي، وكان قد استحوذ على نواحي بلاد الدينور وهمدان ونهاوند مدة خمسين سنة، وكان حسن السيرة كثير الصدقة بالحرمين وغيرهما، فلما توفي اختلف أولاده من بعده وتمزق شملهم، وتمكن عضد الدولة من أكثر بلادهم، وقويت شوكته في تلك الأرض.

وفيها ركب عضد الدولة في جنود كثيفة إلى بلاد أخيه فخر الدولة، وذلك لما بلغه من ممالأته لعز الدولة واتفاقهما عليه، فتسلم بلاد أخيه فخر الدولة وهمدان والري وما بينهما من البلاد، وسلم ذلك إلى مؤيد الدولة ـ وهو أخوه الآخر ـ ليكون نائبه عليها، ثم سار إلى بلاد حسنويه الكردي فتسلمها وأخذ حواصله وذخائره، وكانت كثيرة جداً، وحبس بعض أولاده وأسر بعضهم، وأرسل إلى الأكراد الهكارية فأخذ منهم بعض بلادهم، وعظم شأنه وارتفع صيته، إلا أنه أصابه في السفر داء الصداع، وكان قد تقدم له بالموصل مثله، وكان يكتمه إلى أن غلب عليه كثرة النسيان فلا يذكر الشيء إلا بعد جهد جهيد، والدنيا لا تسر بقدر ما تضر:

دَارٌ إذا مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا ... أَبْكَتْ غَداً، بُعْداً لَهَا مِنْ دَارِ

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن زكريا أبو الحسن اللغوي

صاحب كتاب المجمل في اللغة وغيره، ومن شعره قبل موته بيومين:

يَا رَبُّ إنَّ ذُنُوبِي قَدْ أَحَطْتَ بِهَا[1] ... عِلْماً وَبِي وَبِإِعْلَانِي وَأَسْرَارِي

أَنَا المُوَحِّدُ لٰكِنِّي المُقِرُّ بِهَا ... فَهَبْ ذُنُوبِي لِتَوْحِيدِي وَإِقْرَارِي

ذكر ذلك ابن الأثير.

أحمد بن عطاء بن أحمد

أبو عبد الله الروذباري ـ ابن أخت أبي علي الروذباري ـ أسند الحديث، وكان يتكلم على مذهب الصوفية، وكان قد انتقل من بغداد فأقام بصور وتوفي بها في هذه السنة قال: رأيت في المنام كأن قائلاً يقول: أي شيء أصح في الصلاة؟ فقلت صحة القصد، فسمعت قائلاً يقول: رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم. وقال: مجالسة الأضداد ذوبان الروح، ومجالسة الأشكال تلقيح العقول، وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة، ولا كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار، ولا يؤمن على الأسرار إلا الأمناء فقط. وقال: الخشوع في الصلاة علامة الفلاح. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢] وترك الخشوع في الصلاة علامة النفاق وخراب القلب. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧].

---

(١) أحطت بها: علمت بها.

الحسن البصري

[الحسن بن علي أبو عبد الله البصري أحد مشايخ المعتزلة، سكن بغداد وانتحل مذهب العراقيين وصنف للمعتزلة، وكان اشتغاله في الفروع على أبي الحسين الكرخي وتوفي وقد قارب الثمانين][(١)].

عبد الله بن إبراهيم

ابن أيوب بن ماسي أبو محمد البزار، أسند الكثير وبلغ خمساً وتسعين سنة، وكان ثقة ثبتاً. توفي في رجب منها.

محمد بن صالح

ابن علي بن يحيى أبو الحسن الهاشمي [قاضي بغداد][(٢)]، يعرف بابن أم شيبان، كان عالماً فاضلاً، له تصانيف، وقد ولّي الحكم ببغداد قديماً وكان جيد السيرة، توفي فيها وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين.

ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمائة

فيها ورد الصاحب ابن عباد من جهة مؤيد الدولة إلى أخيه عضد الدولة فتلقَّاه عضد الدولة إلى ظاهر البلد وأكرمه وأمر الأعيان باحترامه، وخلع عليه وزاده في إقطاعه، وورد معه هدايا كثيرة. وفي جمادى الآخرة منها رجع عضد الدولة إلى بغداد فتلقاه الخليفة الطائع وضربت له القباب وزينت الأسواق. وفي هذا الشهر أيضاً وصلت هدايا من صاحب اليمن إلى عضد الدولة، وكانت الخطبة بالحرمين لصاحب مصر، وهو العزيز بن المعز الفاطمي.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أبو بكر الرازي الحنفي

أحمد بن علي أبو بكر الفقيه الحنفي الرازي أحد أئمة أصحاب أبي حنيفة، وله من المصنفات المفيدة كتاب أحكام القرآن، وهو تلميذ أبي الحسن الكرخي، وكان عابداً زاهداً ورعاً، انتهت إليه رياسة الحنفية في وقته ورحل إليه الطلبة من الآفاق، وقد سمع الحديث من أبي العباس الأصم وأبي القاسم الطبراني، وقد أراده الطائع على أن يوليه القضاء فلم يقبل، توفي في ذي الحجة من هذا العام، وصلّى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي.

محمد بن جعفر [بن الحسن][(٣)]

ابن محمد بن زكريا أبو بكر الوراق، ويلقب بغندر، كان جوالاً رحالاً، سمع الكثير

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط. (٣) سقط في ط.

ببلاد فارس وخراسان، وسمع الباغندي وابن صاعد وابن دريد وغيرهم، عنه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني، وكان ثقة حافظاً.

ابن خالويه

الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوي اللغوي صاحب المصنفات، أصله من همذان، ثم دخل بغداد فأدرك بها مشايخ هذا الشأن: كابن دريد وابن مجاهد، وأبي عمر الزاهد، واشتغل على أبي سعيد السيرافي ثم صار إلى حلب فعظمت مكانته عند آل حمدان، وكان سيف الدولة يكرمه وهو أحد جلسائه، وله مع المتنبي مناظرات. وقد سرد له ابن خلكان مصنفات كثيرة منها كتاب ليس في كلام العرب ـ لأنه كان يكثر أن يقول ليس في كلام العرب كذا وكذا ـ وكتاب الآل تكلم فيه على أقسامه وترجم الأئمة الاثني عشر وأعرب ثلاثين سورة من القرآن، وشرح الدريدية وغير ذلك، وله شعر حسن، وكان به داء كانت به وفاته.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة

في ربيع الأول منها وقع حريق عظيم بالكرخ وفيها سرق شيء نفيس لعضد الدولة فتعجب الناس من جرأة من سرقه مع شدة هيبة عضد الدولة، ثم مع هذا اجتهدوا كل الاجتهاد فلم يعرفوا من أخذه. ويقال إن صاحب مصر بعث من فعل ذلك فالله أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الإسماعيلي

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني الحافظ الكبير الرحال الجوال، سمع الكثير وحدث وخرّج وصنف فأفاد وأجاد، وأحسن الانتقاد والاعتقاد، صنف كتاباً على صحيح البخاري فيه فوائد كثيرة، وعلوم غزيرة. قال الدارقطني: كنت عزمت غير مرة على الرحلة إليه فلم أرزق. وكانت وفاته يوم السبت عاشر رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وهو ابن أربع وسبعين سنة رحمه الله.

الحسن بن أحمد بن صالح

أبو محمد السبيعي، سمع ابن جرير وقاسماً المطرز وغيرهما، وعنه الدارقطني والبرقاني، وكان ثقة حافظاً مكثراً، وكان عسر الرواية.

الحسن بن علي بن الحسن

ابن الهيثم بن طهمان أبو عبد الله الشاهد، المعروف بالبادي، سمع الحديث وكان ثقة، عاش سبعاً وتسعين سنة، منها خمس عشرة سنة مقعداً أعمى.

عبد الله بن الحسين

ابن إسماعيل بن محمد أبو بكر الضبي، ولِّي الحكم، وكان عفيفاً نزيهاً ديِّناً.

عبد العزيز بن الحارث

ابن أسد بن الليث أبو الحسن التميمي الفقيه الحنبلي. له كلام ومصنف في الخلاف، وسمع الحديث وروى عن غير واحد، وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه وضع حديثاً. وأنكر ذلك ابن الجوزي وقال: ما زال هذا دأب الخطيب في أصحاب أحمد بن حنبل. قال: وشيخ الخطيب الذي حكى عنه هذا هو أبو القاسم عبد الواحد بن أسد العكبري لا يعتمد على قوله، فإنه كان معتزلياً وليس من أهل الحديث، وكان يقول بأن الكفار لا يخلدون في النار. قلت: وهذا غريب فإن المعتزلة يقولون بأن الكفار يخلدون في النار بل يقولون بتخليد أصحاب الكبائر. قال: وعنه حكي الكلام عن ابن بطة أيضاً.

علي بن إبراهيم

أبو الحسن الحصري الصوفي الواعظ شيخ المتصوفة ببغداد، أصله من البصرة صحب الشبلي وغيره، وكان يعظ الناس بالجامع، ثم لما كبرت سنه بنى له الرباط المقابل لجامع المنصور، ثم عرف بصاحبه المروزي، وكان لا يخرج إلا من الجمعة إلى الجمعة، وله كلام جيد في التصوف على طريقتهم. ومما نقله ابن الجوزي عنه أنه قال: ما عليّ منّي؟ وأي شيء لي فيَّ؟ حتى أخاف وأرجو، إن رحم رحم ما له، وإن عذب عذب ما له. توفي في ذي الحجة وقد نيف على الثمانين، ودفن بمقبرة دار حرب من بغداد.

علي بن محمد الأحدب المزور

كان قوي الخط، له ملكة على التزوير لا يشاء يكتب على أحد كتابة إلا فعل، فلا يشك ذلك المزور عليه أنه خطه، وحصل للناس به بلاء عظيم، وختم السلطان على يده مراراً فلم يقدر، وكان يزور، ثم كانت وفاته في هذه السنة.

الشيخ أبو زيد المروزي الشافعي

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو زيد المروزي شيخ الشافعية في زمانه وإمام أهل عصره في الفقه والزهد والعبادة والورع، سمع الحديث ودخل بغداد وحدث بها فسمع منه الدارقطني وغيره. وقال أبو بكر البزار: عادلت الشيخ أبا زيد في طريق الحج فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة. وقد ذكرت ترجمته بكاملها في طبقات الشافعية. قال الشيخ أبو نعيم: توفي بمرو يوم الجمعة الثالث عشر من رجب من هذه السنة.

محمد بن خفيف

أبو عبد الله الشيرازي أحد مشاهير الصوفية، صحب الجريري وابن عطاء وغيرهما.

قال ابن الجوزي: وقد ذكرت في كتاب المسمى بتلبيس إبليس عنه حكايات تدل على أنه كان يذهب مذهب الإباحية.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في المحرم منها جرى الماء الذي ساقه عضد الدولة إلى داره وبستانه. وفي صفر فتح المارستان الذي أنشأه عضد الدولة في الجانب الغربي من بغداد، وقد رتب فيه الأطباء والخدم، ونقل إليه من الأدوية والأشربة والعقاقير شيئاً كثيراً. وقال: وفيها توفي عضد الدولة فكتم أصحابه وفاته حتى أحضروا ولده صمصامة فولوه الأمر وراسلوا الخليفة فبعث إليه بالخلع والولاية.

شيء من أخبار عضد الدولة

أبو شجاع بن ركن الدولة أبو علي الحسين بن بويه الديلمي، صاحب ملك بغداد وغيرها، وهو أول من تسمَّى شاهنشاه، ومعناه ملك الملوك. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَوْضَعُ اسم - أَخْنَعُ اسْمٍ[1] - عِنْدَ الله رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ المُلوكِ» وفي رواية «مَلِكَ الملوك لا مَلِكَ إلاَّ الله عَزَّ وَجَلَّ». وهو أول من ضربت له الدبادب[2] ببغداد، وأول من خطب له بها مع الخليفة، وذكر ابن خلكان أنه امتدحه الشعراء بمدائح هائلة منهم المتنبي وغيره، فمن ذلك قول أبي الحسن محمد بن عبد الله السلامي في قصيدة له:

إِلَيْكَ طَوَى عَرْضَ البَسِيطَةِ جَاعِلٌ قُصَارَى المَطَايَا أَنْ يَلُوحَ لَهَا القَصْرُ[3]
فَكُنْتَ وَعَزْمِي في الظَّلامِ وَصَارِمِي ثَلاثَةَ أَشْيَاءٍ كَمَا اجْتَمَعَ النَّسْرُ
وَبَشَّرْتُ آمَالِي بِمُلْكٍ هُوَ الوَرَى وَدَارٍ هِيَ الدُّنْيَا وَيَوْمٍ هُوَ الدَّهْرُ

وقال المتنبي أيضاً:

هِيَ الغَرَضُ الأَقْصَى وَرُؤْيَتُكَ المُنَى وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الخَلائِقُ

قال وقال أبو بكر أحمد الأرجاني في قصيدة له بيتاً فلم يلحق السلامي أيضاً وهو قوله:

لَقِيتُهُ فَرَأَيْتُ النَّاسَ في رَجُلٍ وَالدَّهْرَ في سَاعَةٍ وَالأَرْضَ في دَارِ

قال: وكتب إليه الفتكين مولى أخيه يستمده بجيش إلى دمشق يقاتل به الفاطميين، فكتب إليه عضد الدولة «غَرَّكَ عزُّك فصار قصاراك ذلك، فاخش فاحش فعلك! فعلَّك بهذا

(١) أخنع اسم: أذل اسم.
(٢) الدبادب: الطبول.
(٣) البسيطة: الأرض، وقصارى الشيء: مداه وجهده.

تهدأ﴾. قال ابن خلكان: ولقد أبدع فيها كل الإبداع، وقد جرى له من التعظيم من الخليفة ما لم يقع لغيره قبله، وقد اجتهد في عمارة بغداد والطرقات، وأجرى النفقات على المساكين والمحاويج، وحفر الأنهار وبنى المارستان العضدي وأدار السور على مدينة الرسول ﷺ، فعل ذلك مدة ملكه على العراق، وهي خمس سنين، وقد كان عاقلاً فاضلاً حسن السياسة شديد الهيبة بعيد الهمة، إلا أنه كان يتجاوز في سياسة الأمور الشرعية، كان يحب جارية فألهته عن تدبير المملكة، فأمر بتغريقها. وبلغه أن غلاماً له أخذ لرجل بطيخة فضربه بسيفه فقطعه نصفين، وهذه مبالغة. وكان سبب موته الصرع. وحين أخذ في علة موته لم يكن له كلام سوى تلاوة قوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٨ ـ ٢٩] فكان هذا هجيراه[١] حتى مات. وحكى ابن الجوزي أنه كان يحب العلم والفضيلة، وكان يقرأ عنده كتاب إقليدس وكتاب النحو لأبي علي الفارسي، وهو الإيضاح والتكملة الذي صنفه له وقد خرج مرة إلى بستان له فقال أودّ لو جاء المطر، فنزل المطر فأنشأ يقول:

لَيْسَ شُرْبُ الرَّاحِ إلاَّ فِي المَطَرْ ... وَغِنَاءٌ مِنْ جَوَارٍ فِي السَّحَرْ
غَانِيَاتٌ سَالِبَاتٌ لِلنُّهَى ... نَاعِمَاتٌ فِي تَضَاعِيفِ الوَتَرْ
رَاقِصَاتٌ زَاهِرَاتٌ نُجُلٌ ... رَافِلاتٌ فِي أَفَانِينِ الحِبَرْ[٢]
مُطْرِبَاتٌ غَنِجَاتٌ لُحُنٌ ... رَافِضَاتُ الهَمِّ أُمَّالُ الفِكَرْ
مُبْرِزَاتُ الكَأْسِ مِنْ مَطْلَعِهَا ... مُسْقِيَاتُ الخَمْرِ مَنْ فَاقَ البَشَرْ
عَضُدَ الدَّوْلَةِ بَانِيَ رُكْنِهَا ... مَالِكَ الأَمْلاكِ غَلاَّبَ القَدَرْ
سَهَّلَ اللهُ إِلَيْهِ نَصْرَهُ ... فِي مُلُوكِ الأَرْضِ مَا دَامَ القَمَرْ
وَأَرَاهُ الخَيْرَ فِي أَوْلادِهِ ... وَلِبَاسَ المُلْكِ فِيهِمْ بِالغُرَرْ

قبحه الله وقبح شعره وقبّح أولاده، فإنه قد اجترأ في أبياته هذه فلم يفلح بعدها قال: فيقال إنه حين أنشد قوله غلاّب القدر، أخذه الله فأهلكه، ويقال: إن هذه الأبيات إنما أنشدت بين يده ثم هلك عقيبها. مات في شوال من هذه السنة عن سبع أو ثمان وأربعين سنة، وحمل إلى مشهد علي فدفن فيه، وكان فيه رفض وتشيع، وقد كتب على قبره في تربته عند مشهد علي: هذا قبر عضد الدولة، وتاج المملكة، أبي شجاع بن ركن الدولة، أحب مجاورة هذا الإمام المتقي لطمعه في الخلاص ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] والحمد لله وصلواته على محمد وعترته الطاهرة. وقد تمثل عند موته بهذه الأبيات وهي للقاسم بن عبيد الله:

قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ فَلَمْ أَدَعْ ... عَدُوّاً وَلَمْ أُمْهِلْ عَلَى ظَنِّهِ خَلْقَا

---

(١) هجيراه: دأبه.

(٢) النجل: ذوات العيون الواسعة، والحبر: الأثواب.

وَأَخْلَيْتُ دَارَ المُلْكِ مَنْ كَانَ بَاذِلاً فَشَرَّدْتُهُمْ غَرْباً وَشَرَّدْتُهُمْ شَرْقَا
فَلَمَّا بَلَغْتُ النَّجْمَ عِزّاً وَرِفْعَةً وَصَارَتْ رِقَابُ الخَلْقِ أَجْمَعَ لي رِقَا
رَمَانِي الرَّدَى سَهْماً فَأَخْمَدَ جمرتي[1] فَهَا أَنَا ذا في حُفْرَتِي عَاطِلاً مُلْقَى
فَأَذْهَبْتُ دُنْيَايَ وَدِينِي سَفَاهَةً فَمَنْ ذا الَّذِي مِنِّي بِمَصْرَعِهِ أَشْقَى؟

ثم جعل يكرر هذه الأبيات وهذه الآية ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ (٢٩)﴾ [الحاقة: ٢٨ ـ ٢٩] إلى أن مات. وأجلس ابنه صمصامة على الأرض وعليه ثياب السواد، وجاءه الخليفة معزياً وناح النساء عليه في الأسواق حاسرات عن وجوههن أياماً كثيرةً، ولما انقضى العزاء ركب ابنه صمصامة إلى دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع وطوقه وسوره وألبسه التاج ولقبه شمس الدولة، وولاَّه ما كان يتولاه أبوه، وكان يوماً مشهوداً.

محمد بن جعفر

ابن أحمد بن جعفر بن الحسن بن وهب أبو بكر الجريري المعروف بزوج الحرة، سمع ابن جرير والبغوي وابن أبي داود وغيرهم، وعنه ابن رزقويه وابن شاهين والبرقاني، وكان أحد العدول الثقات جليل القدر. وذكر ابن الجوزي والخطيب سبب تسميته بزوج الحرة أنه كان يدخل إلى مطبخ أبيه بدار مولاته التي كانت زوجة المقتدر بالله، فلما توفي المقتدر وبقيت هذه المرأة سالمة من الكتاب والمصادرات وكانت كثيرة الأموال، وكان هذا غلاماً شاباً حدث السن يحمل شيئاً من حوائج المطبخ على رأسه فيدخل بها إلى مطبخها مع جملة الخدم، وكان شاباً رشيقاً حركاً، فنفق على القهرمانة حتى جعلته كاتباً على المطبخ، ثم ترقى إلى أن صار وكيلاً للست على ضياعها، ينظر فيها وفي أموالها، ثم آل به الحال حتى صارت الست تحدثه من وراء الحجاب، ثم علقت به وأحبته وسألته أن يتزوج بها فاستصغر نفسه وخاف من غائلة ذلك فشجعته هي وأعطته أموالاً كثيرة ليظهر عليه الحشمة والسعادة مما يناسبها ليتأهل لذلك، ثم شرعت تهادي القضاة والأكابر، ثم عزمت على تزويجه ورضيت به عند حضور القضاة، واعترض أولياؤها عليها فغلبتهم بالمكارم والهدايا، ودخل عليها فمكثت معه دهراً طويلاً ثم ماتت قبله فورث منها نحو ثلاثمائة ألف دينار، وطال عمره بعدها حتى كانت وفاته في هذه السنة والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة

فيها غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكر من الطعام إلى أربعة آلاف وثمانمائة، ومات كثير من الناس جوعاً وجافت الطرقات من الموتى من الجوع، ثم تساهل الحال في ذي الحجة منها، وجاء الخبر بموت مؤيد الدولة بن ركن الدولة، وأن أبا القاسم بن عباد الوزير بعث أخيه فخر الدولة فولاَّه الملك مكانه، فاستوزر ابن عباد أيضاً على ما كان عليه، ولما

---

(١) أخمد جمرتي: أطفأ قوتي ونشاطي، وفي ط: فأخلق نجدتي.

بلغ القرامطة موت عضد الدولة قصدوا البصرة ليأخذوها مع الكوفة فلم يتم لهم ذلك، ولكن صولحوا على مال كثير فأخذوا وانصرفوا.

وممن توفي فيها من الأعيان **بويه مؤيد الدولة بن ركن الدولة**، وكان ملكاً على بعض ما كان أبوه يملكه، وكان الصاحب أبو القاسم بن عباد وزيره، وقد تزوج مؤيد الدولة هذا ابنة عمه معز الدولة، فغرم على عرسه سبعمائة ألف دينار، وهذا سرف عظيم.

بلكين بن زيري بن منادي

الحميري الصنهاجي، ويسمى أيضاً يوسف، وكان من أكابر أمراء المعز الفاطمي، وقد استخلفه على بلاد إفريقية حين سار إلى القاهرة، وكان حسن السيرة، له أربعمائة حظية، وقد بُشِّر في ليلة واحدة بتسعة عشر ولداً، وهو جدّ باديس المغربي.

سعيد بن سلام

أبو عثمان المغربي، أصله من بلاد القيروان، ودخل الشام وصحب أبا الخير الأقطع، وجاور مكة مدة سنين، وكان لا يظهر في المواسم، وكانت له كرامات، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطابي وغيره، وروي له أحوال صالحة رحمه الله تعالى.

عبد الله بن محمد

ابن عبد الله بن عثمان بن المختار بن محمد المري الواسطي، يعرف بابن السقا، سمع عبدان وأبا يعلى الموصلي وابن أبي داود والبغوي، وكان فهماً حافظاً، دخل بغداد فحدث بها مجالس كثيرة من حفظه، وكان يحضره الدارقطني وغيره من الحفاظ فلم ينكروا عليه شيئاً، غير أنه حدث مرة عن أبي يعلى بحديث أنكروه عليه ثم وجدوه في أصله بخط الضبي، كما حدث به، فبرىء من عهدته.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة

فيها جرى الصلح بين صمصامة وبين عمه فخر الدولة، فأرسل الخليفة لفخر الدولة خلعاً وتحفاً. قال ابن الجوزي: وفي رجب منها عمل عرس في درب رياح فسقطت الدار على من فيها فهلك أكثر النساء بها، ونبش من تحت الردم فكانت المصيبة عامة.

وفيها كانت وفاة:

الحافظ أبي الفتح محمد بن الحسن

ابن أحمد بن الحسين الأزدي الموصلي المصنف في الجرح والتعديل، وقد سمع الحديث من أبي يعلى وطبقته، وضعفه كثير من حفاظ من أهل زمانه، واتهمه بعضهم بوضع حديث رواه لابن بويه، حين قدم عليه بغداد، فساقه بإسناده إلى النبي ﷺ: «أنَّ جبريل كان ينزل عليه في مثل صورة ذلك الأمير». فأجازه وأعطاه دراهم كثيرة. والعجب إن كان هذا صحيحاً كيف راج هذا على أحد ممن له أدنى فهم وعقل، وقد أرّخ ابن الجوزي وفاته في

هذه السنة، وقد قيل إنه توفي سنة تسع وستين.

الخطيب ابن نباتة الحذاء

في بطن من قضاعة، وقيل إياد الفارقي خطيب حلب في أيام سيف الدولة بن حمدان، ولهذا أكثر ديوانه الخطب الجهادية، ولم يسبق إلى مثل ديوانه هذا، ولا يلحق إلا أن يشاء الله شيئاً، لأنه كان فصيحاً بليغاً ديناً ورعاً، روى الشيخ تاج الدين الكندي عنه أنه خطب يوم جمعة بخطبة المنام ثم رأى ليلة السبت رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه بين المقابر، فلما أقبل عليه قال له: مرحباً بخطيب الخطباء، ثم أومأ إلى قبور هناك فقال لابن نباتة: كأنهم لم يكونوا للعيون قرة، ولم يعدوا في الأحياء مرّة، أبادهم الذي خلقهم، وأسكتهم الذي أنطقهم، وسيجدُهم كما أخلقهم، ويجمعهم كما فرقهم فتمم الكلام ابن نباتة حتى انتهى إلى قوله ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ـ وأشار إلى الصحابة الذين مع الرسول ـ ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] وأشار إلى رسول الله ﷺ فقال: أحسنت أحسنت أدنه أدنه، فقبّل وجهه وتفل في فيه ـ وقال: وفقك الله. فاستيقظ وبه من السرور أمر كبير، وعلى وجهه بهاء ونور، ولم يعش بعد ذلك إلا سبعة عشر يوماً لم يستطعم بطعام، وكان يوجد منه مثل رائحة المسك حتى مات رحمه الله. قال ابن الأزرق الفارقي: ولد ابن نباتة في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة. حكاه ابن خلكان.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

فيها خلع الخليفة على صمصامة الدولة وسوره وطوقه وأركب على فرس بسرج ذهب، وبين يديه جنيب مثله، وفيها ورد الخبر بأن اثنين من سادة القرامطة وهما إسحاق وجعفر، دخلا الكوفة في حفل عظيم فانزعجت النفوس بسبب ذلك، وذلك لصرامتهما وشجاعتهما، ولأن عضد الدولة مع شجاعته قد كان يصانعهما، وأقطعهما أراضي من أراضي واسط، وكذلك عز الدولة من قبله أيضاً. فجهز إليهما صمصامة جيشاً فطردهما عن تلك النواحي التي قد أكثروا فيها الفساد، وبطل ما كان في نفوس الناس منهما. وفيها عزم صمصامة الدولة على أن يضع مكساً على الثياب الإبريسميات، فاجتمع الناس بجامع المنصور وأرادوا تعطيل الجمعة وكادت الفتنة تقع بينهم فأعفوا من ذلك.

وفي ذي الحجة ورد الخبر بموت مؤيد الدولة فجلس صمصامة للعزاء، وجاء إليه الخليفة معزياً له فقام إليه صمصامة وقبّل الأرض بين يديه وتخاطبا في العزاء بألفاظ حسنة. وفيها توفي الشيخ:

أبو علي بن أبي هريرة

واسمه الحسن بن الحسين، وهو أحد مشايخ الشافعية، وله اختيارات كثيرة غريبة في المذهب وقد ترجمناه في طبقات الشافعية.

الحسين بن علي

ابن محمد بن يحيى أبو أحمد النيسابوري المعروف بحسنك، كانت تربيته عند ابن خزيمة وتلميذاً له، وكان يقدمه على أولاده ويقر له ما لا يقرأ لغيره، وإذا تخلف ابن خزيمة عن مجالس السلطان بعث حسنك مكانه. ولما توفي ابن خزيمة كان عمر حسنك ثلاثاً وعشرين سنة، ثم عمر بعده دهراً طويلاً، وكان من أكثر الناس عبادة وقراءة للقرآن، لا يترك قيام الليل حضراً ولا سفراً، كثير الصدقات والصّلات، وكان يحكي وضوء ابن خزيمة وصلاته، ولم يكن في الأغنياء أحسن صلاة منه رحمه الله، وصلّى عليه الحافظ أبو أحمد النيسابوري.

أبو القاسم الداركي

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد أبو القاسم الداركي أحد أئمة الشافعية في زمانه، نزل نيسابور ثم سكن بغداد إلى أن مات بها، قال الشيخ أبو حامد الأسفراييني: ما رأيت أفقه منه. وحكى الخطيب البغدادي عنه أنه كان يسأل عن الفتوى فيجيب بعد تفكر طويل، فربما كانت فتواه مخالفة لمذهب الشافعي وأبي حنيفة فيقال له في ذلك فيقول: ويلكم روى فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ كذا وكذا، فالأخذ به أولى من الأخذ بمذهب الشافعي وأبي حنيفة، ومخالفتهما أسهل من مخالفة الحديث قال ابن خلكان: وله في المذهب وجوه جيدة دالة على متانة علمه، وكان يتهم بالاعتزال، وكان قد أخذ الفقه عن الشيخ أبي إسحاق المروزي، والحديث عن جده لأمه الحسن بن محمد الداركي، وهو أحد مشايخ أبي حامد الأسفراييني، وأخذ عنه عامة شيوخ بغداد وغيرهم من أهل الآفاق، وكانت وفاته في شوال، وقيل في ذي القعدة منها، وقد نيف على السبعين رحمه الله.

محمد بن أحمد بن محمد بن حسنويه

أبو سهل النيسابوري، ويعرف بالحسنوي، كان فقيهاً شافعياً أديباً محدثاً مشتغلاً بنفسه عمّا لا يعنيه رحمه الله.

محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح

أبو بكر الفقيه المالكي، سمع من ابن أبي عمرويه والباغندي وأبي بكر بن أبي داود وغيرهم، وعنه البرقاني، وله تصانيف في شرح مذهب مالك، وانتهت إليه رياسة مذهب مالك، وعرض عليه القضاء فأباه وأشار بأبي بكر الرازي الحنفي، فلم يقبل الآخر أيضاً. توفي في شوال منها عن ست وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في محرمها كثرت الحيات في بغداد فهلك بسبب ذلك خلق كثير.

ولسبع خلون من ربيع الأول ـ وكان يوم العشرين من تموز ـ وقع مطر كثير ببرق ورعد. وفي رجب غلت الأسعار جداً وورد الخبر فيه بأنه كانت بالموصل زلزلة عظيمة سقط بسببها عمران كثير، ومات من أهلها أمة عظيمة. وفيها وقع بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة فاقتتلا فغلبه شرف الدولة ودخل بغداد فتلقاه الخليفة وهنأه بالسلامة، ثم استدعى شرف الدولة بفراش ليكحل صمصام الدولة فاتفق موته فأكحله بعد موته، وهذا من غريب ما وقع. وفي ذي الحجة منها قبل قاضي القضاة أبو محمد بن معروف شهادة القاضي الحافظ أبي الحسن الدارقطني، وأبي محمد بن عقبة، فذكر أن الدارقطني ندم على ذلك وقال: كان يقبل قولي على رسول الله ﷺ وحدي فصار لا يقبل قولي على نقلي إلا مع غيري.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة

في صفرها عقد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة وأعيان الدولة وجددت البيعة بين الطائع وبين شرف الدولة بن عضد الدولة وكان يوماً مشهوداً، ثم في ربيعها الأول منها ركب شرف الدولة من داره إلى دار الخليفة وزينت البلد وضربت البوقات والطبول والدبادب، فخلع عليه الخليفة وسوره وأعطاه لوءاين معه، وعقد له على ما وراء داره، واستخلفه على ذلك، وكان في جملة من قدم مع شرف الدولة القاضي أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف، فلما رآه الخليفة قال:

مَـرْحَـبـاً بِـالأَحِـبَّـةِ الـقَـادِمِـيـنَـا أَوْحَـشُـونَـا وَطَـالَ مَـا آنَـسُـونَـا

فقبّل الأرض بين يدي الخليفة، ولما قضيت البيعة دخل شرف الدولة على أخته امرأة الخليفة فمكث عندها إلى العصر والناس ينتظرونه، ثم خرج وسار إلى داره للتهنئة. وفيها اشتد الغلاء جداً ثم لحقه فناء كثير. وفيها توفيت أم شرف الدولة ـ وكانت تركية أم ولد ـ فجاءه الخليفة فعزّاه. وفيها ولد لشرف الدولة ابنان توأمان.

وممن توفي فيها من الأعيان.

أحمد بن الحسين بن علي

أبو حامد المروزي، ويعرف بابن الطبري، كان حافظاً للحديث مجتهداً في العبادة، متقناً بصيراً بالأثر، فقيهاً حنفياً، درس على أبي الحسين الكرخي وصنف كتباً في الفقه والتاريخ، وولّي قضاء القضاة بخراسان، ثم دخل بغداد وقد علت سنه، فحدث الناس وكتب الناس عنه، منهم الدارقطني.

إسحاق بن المقتدر بالله

توفي ليلة الجمعة لسبع عشرة من ذي الحجة عن ستين سنة، وصلى عليه ابنه القادر بالله وهو إذ ذاك أمير المؤمنين، ودفن في تربة جدته شغب أم المقتدر، وحضر جنازته الأمراء والأعيان من جهة الخليفة وشرف الدولة، وأرسل شرف الدولة من عزى الخليفة فيه، واعتذر من الحضور لوجع حصل له.

جعفر بن المكتفي بالله

كان فاضلاً توفي أيضاً.

أبو علي الفارسي النحوي [الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان](١): صاحب الإيضاح والمصنفات الكثيرة، ولد ببلده ثم دخل بغداد وخدم الملوك وحظي عند عضد الدولة بحيث إن عضد الدولة كان يقول أنا غلام أبي علي في النحو، وحصلت له الأموال، وقد اتهمه قوم بالاعتزال وفضله قوم من أصحابه على المبرد، وممن أخذ عنه أبو عثمان بن جني وغيره، توفي فيها عن بضع وتسعين سنة.

ستيتة

بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، وتكنى أم عبد الواحد، قرأت القرآن وحفظت الفقه والفرائض والحساب والدور والنحو وغير ذلك، وكانت من أعلم الناس في وقتها بمذهب الشافعي، وكانت تفتي به مع الشيخ أبي علي بن أبي هريرة، وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة، مسارعة إلى فعل الخيرات، وقد سمعت الحديث أيضاً، وكانت وفاتها في رجب عن بضع وتسعين سنة.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وسبعين وثلاثمائة

في محرمها كثر الغلاء والفناء ببغداد وفي شعبان كثرت الرياح والعواصف، بحيث هدمت كثيراً من الأبنية، وغرق شيء كثير من السفن، واحتملت بعض الزوارق فألقته بالأرض من ناحية جوخى، وهذا أمر هائل وخطب شامل. وفي ذلك الوقت لحق أهل البصرة حر شديد بحيث سقط كثير من الناس في الطرقات وماتوا من شدته.

وفيها توفي من الأعيان:

الحسن بن علي بن ثابت

أبو عبد الله المقري، ولد أعمى، وكان يحضر مجلس ابن الأنباري فيحفظ ما يقول وما يمليه كله، وكان ظريفاً حسن الزي، وقد سبق الشاطبي إلى قصيدة عملها في القراءات السبع وذلك في حياة النقاش، وكانت تعجبه جداً، وكذلك شيوخ ذلك الزمان أذعنوا إليها.

الخليل بن أحمد القاضي

شيخ الحنفية في زمانه، كان مقدماً في الفقه والحديث، سمع ابن خزيمة والبغوي وابن صاعد وغيرهم، ولهذا سمي باسم النحوي المتقدم.

---

(١) سقط في ط.

زياد بن محمد بن زياد بن الهيثم

أبو العباس الخرخاني بخاءين معجمتين نسبة إلى قرية من قرى قومس، ولهم الجرجاني بجيمين، وهم جماعة، ولهم الخرجاني بخاء معجمة ثم جيم. وقد حرر هذه المواضع الشيخ ابن الجوزي في منتظمه.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة

فيها كانت وفاة شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه الديلمي، وكان قد انتقل إلى قصر معز الدولة عن إشارة الأطباء لصحة الهواء، وذلك لشدة ما كان يجده من الداء، فلما كان في جمادى الأولى تزايد به ومات في هذا الشهر، وقد عهد إلى ابنه أبي نصر، وجاء الخليفة في طيارة لتعزيته في والده فتلقاه أبو نصر والترك بين يديه والديلم، فقبّل الأرض بين يدي الخليفة، وكذلك بقية العسكر والخليفة في الطيارة وهم يقبلون الأرض إلى ناحيته. وجاء الرئيس أبو الحسين علي بن عبد العزيز من عند الخليفة إلى أبي نصر فبلغه تعزيته له في والده فقبّل الأرض أيضاً ثانية، وعاد الرسول أيضاً إلى الخليفة فبلغه شكر الأمير، ثم عاد من جهة الخليفة لتوديع أبي نصر فقبل الأرض ثالثاً، ورجع الخليفة. فلما كان يوم السبت عاشر هذا الشهر ركب الأمير أبو نصر إلى حضرة الخليفة الطائع لله ومعه الأشراف والأعيان والقضاة والأمراء، وجلس الخليفة في الرواق، فلما وصل الأمير أبو نصر خلع عليه الخليفة سبع خلع أعلاهن السواد وعمامة سوداء وفي عنقه طوق وفي يده سواران ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف والمناطق[1] فقبل الأرض ثانية ووضع له كرسي فجلس عليه وقرأ الرئيس أبو الحسن عهده، وقدم إلى الطائع لواء فعقده بيده ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة، ثم خرج من بين يديه والعسكر معه حتى عاد إلى دار المملكة، وأقر الوزير أبا منصور بن صالح على الوزارة، وخلع عليه. وفيها بنى جامع القطيعة ـ قطيعة أم جعفر ـ بالجانب الغربي من بغداد، وكان أصل بناء هذا المسجد أن امرأة رأت في منامها رسول الله ﷺ يصلي في مكانه، ووضع يده في جدار هناك، فلما أصبحت فذكرت ذلك فوجدوا أثر الكف في ذلك الموضع، فبنى مسجداً ثم توفيت تلك المرأة في ذلك اليوم، ثم إن الشريف أبا أحمد الموسوي جدده وجعله جامعاً، وصلى الناس فيه في هذه السنة.

وفيها توفي من الأعيان:

شرف الدولة

ابن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي، تملك بغداد بعد أبيه، وكان يحب الخير ويبغض الشر، وأمر بترك المصادرات. وكان مرضه بالاستسقاء فتزايد به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة الثاني من جمادى الآخرة عن ثمان وعشرين سنة وخمسة أشهر، وكانت

(١) المناطق: جمع منطقة، وهي ما يشدّ به الوسط.

مدة ملكه سنتين وثمانية أشهر، وحمل تابوته إلى تربة أبيه بمشهد علي، وكلهم فيهم تشيّع ورفض.

محمد بن جعفر بن العباس

أبو جعفر، وأبو بكر النجار، ويلقب غندر أيضاً، روى عن أبي بكر النيسابوري وطبقته، وكان فهماً يفهم القرآن فهماً حسناً وهو من ثقات الناس.

عبد الكريم بن عبد الكريم

ابن بديل أبو الفضل الخزاعي الجرجاني قدم بغداد وحدث بها. قال الخطيب: كانت له عناية بالقراءات وصنف أسانيدها، ثم ذكر أنه كان يخلط ولم يكن مأموناً على ما يرويه، وأنه وضع كتاباً في الحروف ونسبه إلى أبي حنيفة، فكتب الدارقطني وجماعة أن هذا الكتاب موضوع لا أصل له، فافتضح وخرج من بغداد إلى الجبل فاشتهر أمره هناك وحبطت منزلته، وكان يسمي نفسه أولاً جميلاً، ثم غيّره إلى محمد.

محمد بن المطرف

ابن موسى بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن سلمة بن إياس، أبو الحسين البزار الحافظ، ولد في محرم سنة ثلاثمائة، ورحل إلى بلاد شتى، وروى عن ابن جرير والبغوي وخلق، وروى عنه جماعة من الحفاظ ـ منهم الدارقطني ـ شيئاً كثيراً، وكان يعظمه ويجله ولا يستند بحضرته، كان ثقة ثبتاً، وكان قديماً ينتقد على المشايخ، ثم كانت وفاته في هذه السنة ودفن يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الأولى أو الأخرى منها.

ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة من الهجرة

فيها قلد الشريف أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوي نقابة الأشراف الطالبيين والنظر في المظالم وإمرة الحاج، وكتب عهده بذلك واستخلف ولداه المرتضى أبو القاسم والرضى أبو الحسين على النقابة وخلع عليهما وفيها تفاقم أمر العيارين ببغداد وصار الناس أحزاباً في كل محلة أمير مقدم، واقتتل الناس وأخذت الأموال واتصلت الكبسات وأحرقت دور كبار، ووقع حريق بالنهار في نهر الدجاج، فاحترق بسببه شيء كثير للناس والله أعلم.

وفيها توفي من الأعيان:

يعقوب بن يوسف

أبو الفتوح بن كلس، وزير العزيز صاحب مصر، وكان شهماً فهماً ذا همة وتدبير جيد وكلمة نافذة عند مخدومه، وقد فوض إليه أموره في سائر مملكته، ولما مرض عاده العزيز ووصاه الوزير بأمر مملكته ولما مات دفنه في قصره وتولى دفنه بيده وحزن عليه كثيراً، وأغلق الديوان أياماً من شدة حزنه عليه.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة

فيها كان القبض على الخليفة الطائع لله وخلافة القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله، وكان ذلك في يوم السبت التاسع عشر من شعبان منها، وذلك أنه جلس الخليفة على عادته في الرواق[1] وقعد الملك بهاء الدولة على السرير، ثم أرسل من اجتذب الخليفة بحمائل[2] سيفه عن السرير ولفوه في كساء وحملوه إلى الخزانة بدار المملكة، وتشاغل الناس بالنهب ولم يدر أكثر الناس ما الخطب ولا الخبر، حتى أن كثيراً منهم يظن أن الملك بهاء الدولة ظن الناس أنه هو الذي مسك، فنهبت الخزائن والحواصل وأشياء من أثاث دار الخلافة، حتى أخذت ثياب الأعيان والقضاة والشهود وجرت كائنة عظيمة جداً، ورجع بهاء الدولة إلى داره وكتب على الطائع كتاباً بالخلع من الخلافة، وأشهد عليه الأشراف وغيرهم أنه قد خلع نفسه من الخلافة وسلمها إلى القادر بالله، ونودي بذلك في الأسواق، وسبقت الديلم والأتراك وطالبوا برسم البيعة، وراسلوا بهاء الدولة في ذلك وتطاول الأمر في يوم الجمعة، ولم يمكنوا من الدعاء له على المنبر بصريح اسمه، بل قالوا اللهم أصلح عبدك وخليفتك القادر بالله، ثم أرضوا وجوههم وأكابرهم وأخذت البيعة له واتفقت الكلمة، وأمر بهاء الدولة بتحويل جميع ما في دار الخلافة من الأواني والأثاث وغيره إلى داره، وأبيحت للعامة والخاصة، فقلعوا وشعثوا أبنيتها، هذا والخليفة القادر قد هرب إلى أرض البطيحة من الطائع حين كان يطلبه، ولما رجع إلى بغداد مانعته الديلم من الدخول إليها حتى يعطيهم رسم البيعة، وجرت بينهم خطوب طويلة، ثم رضوا عنه ودخل بغداد، وكانت مدة هربه إلى أرض البطيحة ثلاث سنين. ولما دخل بغداد جلس في اليوم الثاني جلوساً عاماً إلى التهنئة وسماع المدائح والقصائد فيه، وذلك في العشر الأخير من شوال، ثم خلع على بهاء الدولة وفوّض إليه ما وراء بابه، وكان الخليفة القادر بالله من خيار الخلفاء وسادات العلماء في ذلك الزمان، وكان كثير الصدقة حسن الاعتقاد، وصنف قصيدة فيها فضائل الصحابة وغير ذلك، فكانت تقرأ في حلق أصحاب الحديث كل جمعة في جامع المهدي، وتجتمع الناس لسماعها مدة خلافته، وكان ينشد هذه الأبيات يترنم بها وهي لسابق البربري:

سَبَقَ القَضَاءُ بِكُلِّ ما هُوَ كَائِنُ ... وَاللهُ يَا هَذا لِرِزْقِكَ ضَامِنُ
تُعْنَى بِمَا تُكْفَى وَتَتْرُكُ مَا بِهِ ... تُعْنَى كَأَنَّكَ لِلْحَوَادِثِ آمِنُ
أَوَ مَا تَرَى الدُّنْيَا وَمَصْرَعَ أَهْلِهَا ... فَاعْمَلْ لِيَوْمِ فِرَاقِهَا يا خَائِنُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لا أَبَا لَكَ فِي الَّذِي ... أَصْبَحْتَ تَجْمَعُهُ لِغَيْرِكَ خَازِنُ

---

(١) الرواق: البهو الذي يستقبل فيه السلطان الناس.
(٢) حمائل سيفه: علائقه.

يَا عَامِرَ الدُّنْيَا أَتَعْمُرُ مَنْزِلاً لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَعَ المَنِيَّةِ سَاكِنُ
المَوْتُ شَيْءٌ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَأَنْتَ بِذِكْرِهِ مُتَهَاوِنُ
إن المنِيَّةَ لا تُؤَامِرُ[1] مَنْ أَتَتْ فِي نَفْسِهِ يَوْماً وَلا تَسْتَأْذِنُ

وفي اليوم الثالث عشر من ذي الحجة ـ وهو يوم غدير خم ـ جرت فتنة بين الروافض والسنة واقتتلوا فقتل منهم خلق كثير، واستظهر أهل باب البصرة وحرقوا أعلام السلطان فقتل جماعة اتهموا بفعل ذلك، وصلبوا على القناطر ليرتدع أمثالهم. وفيها ظهر أبو الفتوح الحسين بن جعفر العلوي أمير مكة، وادعى أنه خليفة، وسمى نفسه الراشد بالله، فمالأه أهل مكة وحصل له أموال من رجل أوصى له بها، فانتظم أمره بها، وتقلَّد سيفاً وزعم أنه ذو الفقار، وأخذ بيده قضيباً زعم أنه كان لرسول الله ﷺ، ثم قصد بلاد الرملة ليستعين بعرب الشام، فتلقوه بالرحب وقبّلوا له الأرض، وسلموا عليه بأمير المؤمنين، وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود. ثم إن الحاكم صاحب مصر ـ وكان قد قام بالأمر من بعد أبيه العزيز في هذه السنة ـ بعث إلى عرب الشام بملطفات ووعدهم من الذهب بألوف ومئات، وكذلك إلى عرب الحجاز، واستناب على مكة أميراً وبعث إليه بخمسين ألف دينار، فانتظم أمر الحاكم وتمزق أمر الراشد، وانسحب إلى بلاده كما بدأ منها، وعاد إليها كما خرج عنها، واضمحل حاله وانقضت حباله، وتفرق عنه رجاله.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن الحسين بن مهران

أبو بكر المقري، توفي في شوال منها عن ست وثمانين سنة، واتفق له أنه مات في يوم وفاته أبو الحسن العامري الفيلسوف، فرأى بعض الصالحين أحمد بن الحسين بن مهران هذا في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أقام أبا الحسن العامري بجانبي، وقال هذا فداؤك من النار.

عبد الله بن أحمد بن معروف

أبو محمد قاضي قضاة بغداد، روى عن ابن صاعد وعنه الخلال والأزهري وغيرهما، وكان من العلماء الثقات العقلاء الفطناء، حسن الشكل جميل اللبس، عفيفاً عن الأموال، توفي عن خمس وسبعين سنة، وصلّى عليه أبو أحمد الموسوي، فكبر عليه خمساً، ثم صلى عليه ابنه بجامع المنصور فكبر عليه أربعاً، ثم دفن في داره سامحه الله.

جوهر بن عبد الله

القائد باني القاهرة، أصله أرمني ويعرف بالكاتب، أخذ مصر بعد موت كافور

(١) تؤامر: تشاور.

الإخشيدي، أرسله مولاه العزيز الفاطمي إليها في ربيع الأول سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة فوصل إليها في شعبان منها في مائة ألف مقاتل ومائتي صندوق لينفقه في عمارة القاهرة. فبرزوا لقتاله فكسرهم وجدد الأمان لأهلها، ودخلها يوم الثلاثاء لثمان عشرة خلت من شعبان، فشق مصر ونزل في مكان القاهرة اليوم، وأسس من ليلته القصرين وخطب يوم الجمعة الآتية لمولاه، وقطع خطبة بني العباس، وذكر في خطبته الأئمة الاثني عشر، وأمر فأذن بحيَّ على خير العمل، وكان يظهر الإحسان إلى الناس، ويجلس كل يوم سبت مع الوزير ابن الفرات والقاضي، واجتهد في تكميل القاهرة وفرغ من جامعها الأزهر سريعاً، وخطب به في سنة إحدى وستين، وهو الذي يقال له الجامع الأزهر، ثم أرسل جعفر بن فلاح إلى الشام فأخذها، ثم قدم مولاه المعز في سنة اثنتين وستين كما تقدم، فنزل بالقصرين ولم تزل منزلته عالية عنده إلى أن مات في هذه السنة، وقام مكانه الحسين الذي كان يقال له قائد القواد، وهو أكبر أمراء الحاكم، ثم كان قتله على يديه في سنة إحدى وأربعمائة، وقتل معه صهره زوج أخته القاضي عبد العزيز بن النعمان، وأظن هذا القاضي هو الذي صنف كتاب البلاغ الأكبر، والناموس الأعظم، الذي فيه من الكفر ما لم يصل إبليس إلى مثله، وقد رد على هذا الكتاب أبو بكر الباقلاني رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلاثمائة

في عاشر محرمها أمر الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي ـ ويعرف بابن المعلم وكان قد استحوذ على السلطان ـ أهل الكرخ وباب الطاق من الرافضة بأن لا يفعلوا شيئاً من تلك البدع التي كانوا يتعاطونها في عاشوراء: من تعليق المسوح وتغليق الأسواق والنياحة على الحسين، فلم يفعلوا شيئاً من ذلك ولله الحمد. وقد كان هذا الرجل من أهل السنة إلا أنه كان طماعاً، رسم أن لا يقبل أحداً من الشهود ممن أحدثت عدالته بعد ابن معروف، وكان كثيراً منهم قد بذل أموالاً جزيلة في ذلك، فاحتاجوا إلى أن جمعوا له شيئاً فوقّع لهم بالاستمرار، ولما كان في جمادى الآخرة سعت الديلم والترك على ابن المعلم هذا وخرجوا بخيامهم إلى باب الشماسية وراسلوا بهاء الدولة ليسلمه إليهم، لسوء معاملته لهم، فدافع عنه مدافعة عظيمة في أيام متعددة، ولم يزالوا يراسلونه في أمره حتى خنقه في حبل ومات ودفن بالمحرم. وفي رجب منها سلم الخليفة الطائع الذي خلع إلى الخليفة القادر فأمر بوضعه في حجرة من دار الخلافة وأمر أن تجري عليه الأرزاق والتحف والألطاف، مما يستعمله الخليفة القادر من مأكل وملبس وطيب وغيره ووكل به من يحفظه ويخدمه، وكان يتعنّت على القادر في تقلّله من المأكل والملبس، فرتب من يحضر له من سائر الأنواع، ولم يزالوا كذلك حتى توفي وهو في السجن. وفي شوال منها ولد للخليفة القادر ولد ذكر، وهو أبو الفضل محمد القادر بالله، وقد ولاه العهد من بعده وسماه الغالب بالله، فلم يتم له الأمر. في هذا الوقت غلت الأسعار ببغداد حتى بيع رطل الخبز بأربعين درهماً، والجزر بدرهم. وفي ذي

القعدة قدم صاحب الصفراء الأعرابي والتزم بحراسة الحجاج في ذهابهم وإيابهم، وأن يخطب للقادر من اليمامة والبحرين إلى الكوفة، فأجيب إلى ذلك، وأطلقت له الخلع والأموال والأواني وغيرها.

وممن توفي فيها من الأعيان:

محمد بن العباس

ابن محمد بن محمد بن زكريا بن يحيى بن معاذ أبو عمر القزاز المعروف بابن حيوة، سمع البغوي والباغندي وابن صاعد وخلقاً كثيراً، وانتقد عليه الدارقطني وسمع منه الأعيان، وكان ثقة ديناً متيقظاً ذا مروءة، وكتب من الكتب الكبار كثيراً بيده، وكانت وفاته في ربيع الآخر منها وقد قارب التسعين.

أبو أحمد العسكري

الحسن بن عبد الله بن سعيد أحد الأئمة في اللغة والأدب والنحو والنوادر، وله في ذلك تصانيف مفيدة، منها التصحيف وغيره، وكان الصاحب ابن عباد يود الاجتماع به فسافر إلى عسكر خلفه حتى اجتمع به فأكرمه وراسله بالأشعار. توفي فيها وله تسعون سنة. كذا ذكره ابن خلكان. وذكره ابن الجوزي فيمن توفي في سنة سبع وثمانين كما سيأتي.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

فيها أمر القادر بالله بعمارة مسجد الحربية وكسوته، وأن يجري مجرى الجوامع في الخطب وغيرها وذلك بعد أن استفتى العلماء في جواز ذلك، قال الخطيب البغدادي: أدركت الجمعة تقام ببغداد في مسجد المدينة، ومسجد الرصافة، ومسجد دار الخلافة، ومسجد براثا، ومسجد قطيعة أم جعفر، ومسجد الحربية. قال: ولم يزل الأمر على هذا إلى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، فتعطلت في مسجد براثا. وفي جمادى الأولى فرغ من الجسر الذي بناه بهاء الدولة في مشرعة القطانين، واجتاز عليه هو بنفسه، وقد زين المكان. وفي جمادى الآخرة، شعثت الديالم[1] والأتراك في نواحي البلد لتأخر العطاء عنهم، وغلت الأسعار وراسلوا بهاء الدولة فأزيحت وعللهم.

وفي يوم الخميس الثاني من ذي القعدة تزوج الخليفة سكينة بنت بهاء الدولة على صداق مائة ألف دينار وكان وكيل بهاء الدولة الشريف أبو أحمد الموسوي، ثم توفيت هذه المرأة قبل دخول الخليفة بها. وفيها ابتاع الوزير أبو نصر سابور بن أزدشير داراً بالكرخ وجدد عمارتها، ونقل إليها كتباً كثيرة، ووقفها على الفقهاء، وسماها دار العلم. وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء، وكانت قبل النظامية بمدة طويلة. وفيها في أواخرها ارتفعت الأسعار وضاق الحال وجاع العيال.

---

(١) شعثت الديالم: أفسدت.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن إبراهيم

ابن الحسن بن شاذان بن حرب بن مهران، أبو بكر البزار، سمع الكثير من البغوي وابن صاعد وابن أبي داود وابن دريد، وعنه الدارقطني والبرقاني والأزهري وغيرهم، وكان ثبتاً صحيح السماع، كثير الحديث، متحرياً ورعاً. توفي عن خمس وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

فيها عظم الخطب بأمر العيارين، عاثوا ببغداد فساداً وأخذوا الأموال والعملات الثقال ليلاً ونهاراً، وحرقوا مواضع كثيرة، وأخذوا من الأسواق الجبايات، وتطلبهم الشرط فلم يفد ذلك شيئاً ولا فكروا في الدولة، بل استمروا على ما هم عليه من أخذ الأموال، وقتل الرجال، وإرعاب النساء والأطفال، في سائر المحال. فلما تفاقم الحال بهم تطلبهم السلطان بهاء الدولة وألح في طلبهم فهربوا بين يديه واستراح الناس من شرهم. وأظن هذه الحكايات التي يذكرها بعض الناس عن أحمد الدنف عنهم، أو كان منهم والله أعلم.

وفي ذي القعدة عزل الشريف الموسوي وولداه عن نقابة الطالبيين. وفيها رجع ركب العراق من أثناء الطريق بعد ما فاتهم الحج، وذلك أن الأصيفر الأعرابي الذي كان قد تكفل بحراستهم اعترض لهم في الطريق وذكر لهم أن الدنانير التي أقطعت له من دار الخلافة كانت دراهم مطلية، وأنه يريد من الحجيج بدلها وإلا لا يدعهم يتجاوزوا هذا المكان، فمانعوه وراجعوه، فحبسهم عن السير حتى ضاق الوقت ولم يبق منه ما يدركون فيه الحج فرجعوا إلى بلادهم، ولم يحج منهم أحد، وكذلك ركب الشام وأهل اليمن لم يحج منهم أحد وإنما حج أهل مصر والمغرب خاصة. وفي يوم عرفة قلد الشريف أبو الحسين الزينبي محمد بن علي بن أبي تمام الزينبي نقابة العباسيين، وقرىء عهده بين يدي الخليفة بحضرة القضاة والأعيان.

وفيها توفي من الأعيان: الصابئي الكاتب المشهور صاحب التصانيف، وهو:

إبراهيم بن هلال

ابن إبراهيم بن زهرون بن حبون أبو إسحاق الحراني كاتب الرسائل للخليفة ولمعز الدولة بن بويه، كان على دين الصابئة إلى أن مات عليه، وكان مع هذا يصوم رمضان ويقرأ القرآن من حفظه، وكان يحفظه حفظاً حسناً، ويستعمل منه في الرسائل، وكانوا يحرضون عليه أن يسلم فلم يفعل، وله شعر جيد قوي. توفي في شوال منها وقد جاوز السبعين، وقد رثاه الشريف الرضي وقال: إنما رثيت فضائله، وليس له فضائل ولا هو أهل لها ولا كرامة.

عبد الله بن محمد

ابن نافع بن مكرّم أبو العباس البستي الزاهد، ورث من آبائه أموالاً كثيرةً فأنفقها كلها في وجوه الخير والقُرَب، وكان كثير العبادة، يقال إنه مكث سبعين سنة لم يستند إلى حائط ولا إلى شيء، ولا اتكأ على وسادة، وحج من نيسابور ماشياً حافياً، ودخل الشام وأقام ببيت المقدس شهوراً، ثم دخل مصر وبلاد المغرب، وحج من هناك ثم رجع إلى بلاده بست، وكانت له بها بقية أموال وأملاك فتصدق بها كلها، ولما حضرته الوفاة جعل يتألم ويتوجع، فقيل له في ذلك؟ فقال: أرى بين يدي أموراً هائلة، ولا أدري كيف أنجو منها. توفي في المحرم من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة، وليلة موته رأت امرأة أمها بعد موتها وعليها ثياب حسان وزينة فقالت: يا أمه ما هذه الزينة؟ فقالت: نحن في عيد لأجل قدوم عبيد الله بن محمد الزاهد البستي علينا رحمه الله تعالى.

علي بن عيسى بن عبد(1) الله

أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني، روى عن ابن دريد، وكانت له يد طولى في النحو واللغة والمنطق والكلام، وله تفسير كبير وشهد عند ابن معروف فقبله، وروى عنه التنوخي والجوهري، قال ابن خلكان: والرماني نسبة إلى بيع الرمان أو إلى قصر الرمان بواسط، توفي عن ثمان وثمانين سنة ودفن في الشونيزية عند قبر أبي علي الفارسي.

محمد بن العباس بن أحمد بن محمد الفرات(2)

أبو الحسن الكاتب المحدث الثقة المأمون. قال الخطيب: كان ثقة، كتب الكثير وجمع ما لم يجمعه أحد في وقته، بلغني أنه كتب مائة تفسير ومائة تاريخ، وخلف ثمانية عشر صندوقاً مملوءة كتباً أكثرها بخطه سوى ما سرق منه، وكان حفظه في غاية الصحة، ومع هذا كان له جارية تعارض معه ـ أي تقابل ما يكتبه ـ رحمه الله تعالى.

محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله

أبو عبد الله الكاتب المعروف بابن المرزبان، روى عن البغوي وابن دريد وغيرهما، وكان صاحب اختيار وآداب، وصنف كتباً كثيرة في فنون مستحسنة، وهو مصنف كتاب تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب، وكان مشايخه وغيرهم يحضرون عنده ويبيتون في داره على فرش وأطعمة وغير ذلك، وكان عضد الدولة إذا اجتاز بداره لا يجتاز حتى يسلم عليه، وكان يقف حتى يخرج إليه، وكان أبو علي الفارسي يقول عنه: هو من محاسن الدنيا. وقال العقيقي: كان ثقة وقال الأزهري: ما كان ثقة. وقال ابن الجوزي: ما كان من الكذابين وإنما كان فيه تشيع واعتزال ويخلط السماع بالإجازة، وبلغ الثمانين سنة رحمه الله تعالى.

---

(1) في ط: عبيد. (2) في ط: القزاز.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

فيها استوزر ابن ركن الدولة بن بويه أبا العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، الملقب بالكافي، وذلك بعد وفاة الصاحب إسماعيل بن عباد، وكان من مشاهير الوزراء. وفيها قبض بهاء الدولة على القاضي عبد الجبار وصادره بأموال جزيلة، فكان من جملة ما بيع له في المصادرة ألف طيلسان وألف ثوب عدني، ولم يحج في هذه السنة وما قبلها وما بعدها ركب العراق، والخطبة في الحرمين للفاطميين. وممن توفي فيها من الأعيان:

الصاحب ابن عباد

وهو إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني، أبو القاسم الوزير المشهور الملقب بكافي الكفاة، وزر لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، وقد كان من العلم والفضيلة والبراعة والكرم والإحسان إلى العلماء والفقراء على جانب عظيم، كان يبعث في كل سنة إلى بغداد بخمسة آلاف دينار لتصرف على أهل العلم، وله اليد الطولى في الأدب، وله مصنفات في فنون من العلم واقتنى كتباً كثيرة، وكانت تحمل على أربعمائة بعير، ولم يكن في وزراء بني بويه مثله ولا قريب منه في مجموع فضائله، وقد كانت دولة بني بويه مائة وعشرين سنة وأشهراً، وفتح خمسين قلعة لمخدومه مؤيد الدولة، وابنه فخر الدولة، بصرامته وحسن تدبيره وجودة رأيه، وكان يحب العلوم الشرعية، ويبغض الفلسفة وما شابهها من علم الكلام والآراء البدعية، وقد مرض مرة بالإسهال فكان كلما قام عن المطهرة وضع عندها عشر دنانير لئلا يتبرم به الفراشون، فكانوا يتمنون لو طالت علته، ولما عوفي أباح للفقراء نهب داره، وكان فيها ما يساوي نحواً من خمسين ألف دينار من الذهب، وقد سمع الحديث من المشايخ الجياد العوالي الأسناد، وعقد له في وقت مجلس للإملاء فاحتفل الناس لحضوره، وحضره وجوه الأمراء، فلما خرج إليه لبس زي الفقهاء وأشهد على نفسه بالتوبة والإنابة مما يعانيه من أمور السلطان، وذكر للناس أنه كان يأكل من حين نشأ إلى يومه هذا من أموال أبيه وجده مما ورثه منهم، ولكن كان يخالط السلطان وهو تائب مما يمارسونه، واتخذ بناء في داره سماه بيت التوبة، ووضع العلماء خطوطهم بصحة توبته، وحين حدث استملى عليه جماعة لكثرة مجلسه، فكان في جملة من يكتب عنه ذلك اليوم القاضي عبد الجبار الهمداني وأضرابه من رؤوس الفضلاء وسادات الفقهاء والمحدثين، وقد بعث إليه قاضي قزوين بهدية كتب سنية، وكتب معها:

الـعَـمِـيـدِيُّ عَـبْـدُ كَـافِـي الـكُـفَـاةِ ... إنـه الـعـقـلُ فـي وُجُـوهِ الـقُـضَـاةِ
خَـدَمَ الـمَـجْـلِـسَ الـرَّفِـيـعَ، بِـكُـتْـبٍ ... مـنـعـمـات، مِـنْ حُـسْـنِـهَـا مُـتْـرَعَـاتِ[1]

فلما وصلت إليه أخذ منها كتاباً واحداً ورد باقيها وكتب تحت البيتين:

(١) مترعات: جمع مترعة: مليئة.

قَدْ قَبِلْنَا مِنَ الجَمِيعِ كِتَاباً وَرَدَدْنَا لِوَقْتِهَا البَاقِيَاتِ
لَسْتُ أَسْتَغْنِمُ الكَثِيرَ وَطَبْعِي قَوْلُ خُذْ، لَيْسَ مَذْهَبِي قَوْلُ هَاتِ

وجلس مرة في مجلس شراب فناوله الساقي كأساً، فلما أراد شربها قال له بعض خدمه: إن هذا الذي في يدك مسموم. فقال: وما الشاهد على صحة قولك؟ قال تجربه، قال فيمن؟ قال في الساقي. قال ويحك لا أستحل ذلك، قال ففي دجاجة، قال: إن التمثيل بالحيوان لا يجوز، ثم أمر بصب ما في ذلك القدح وقال للساقي: لا تدخل بعد اليوم داري، ولم يقطع عنه معلومه. وقد عمل عليه الوزير أبو الفتح ابن ذي الكفايتين حتى عزله عن وزارة مؤيد الدولة في وقت وباشرها عوضه واستمر فيها مدة، فبينما هو ذات ليلة قد اجتمع عنده أصحابه وهو في أتم السرور، قد هيىء له في مجلس حافل بأنواع اللذات، وقد نظم أبياتاً والمغنون يغنونه بها وهو في غاية الطرب والسرور والفرح، وهي هذه الأبيات:

دَعَوْتُ الهَنَا وَدَعَوْتُ العُلا فَلَمَّا أَجَابَا دَعَوْتُ القَدَحْ
وَقُلْتُ لأَيَّامِ شَرْخِ الشَّبَا بِ إِلَيَّ، فَهٰذا أَوَانُ الفَرَحْ [1]
إذا بَلَغَ المَرْءُ آمَالَهُ فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَهَا مُنْتَزَحْ [2]

ثم قال لأصحابه: باكروني غداً إلى الصبوح [3]، ونهض إلى بيت منامه فما أصبح حتى قبض عليه مؤيد الدولة وأخذ جميع ما في داره من الحواصل والأموال، وجعله مثله في العباد، وأعاد إلى وزارته ابن عباد. وقد ذكر ابن الجوزي أن ابن عباد هذا حين حضرته الوفاة جاءه الملك فخر الدولة بن مؤيد الدولة يعوده ليوصيه في أموره فقال له: إني موصيك أن تستمر في الأمور على ما تركتها عليه، ولا تغيرها، فإنك إن استمريت بها نسبت إليك من أول الأمر إلى آخره، وإن غيرتها وسلكت غيرها نسبت الخير المتقدم إليَّ لا إليك، وأنا أحب أن تكون نسبة الخير إليك، وإن كنت أنا المشير بها عليك. فأعجبه ذلك منه واستمر بما أوصاه به من الخير، وكان وفاته في عشية يوم الجمعة لست بقين من صفر منها. قال ابن خلكان: وهو أول من تسمى من الوزراء بالصاحب، ثم استعمل بعده فيهم، وإنما سمي بذلك لكثرة صحبته الوزير أبا الفضل بن العميد، ثم أطلق عليه أيام وزارته. وقال الصابىء في كتابه التاجي: إنما سماه الصاحب مؤيد الدولة لأنه كان صاحبه من الصغر، وكان إذ ذاك يسميه الصاحب، فلما ملك واستوزره سماه به واستمر فاشتهر به، وسمي به الوزراء بعده، ثم ذكر ابن خلكان قطعة صالحة من مكارمه وفضائله وثناء الناس عليه، وعدد له مصنفات كثيرة، منها كتابه المحيط في اللغة في سبعة مجلدات، يحتوي على أكثر اللغة وأورد من شعره أشياء منها في الخمر:

---

(١) شرخ الشباب: حدته ونشاطه.

(٢) المنتزح: المذهب.

(٣) الصبوح: شرب الخمرة صباحاً.

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتِ الخَمْرُ ... وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلا قَدَحٌ ... وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلا خَمْرُ[١]

قال ابن خلكان: توفي بالري في هذه السنة وله نحو ستين سنة ونقل إلى أصبهان رحمه الله.

الحسن بن حامد [بن الحسين بن حامد][٢]

أبو محمد الأديب، كان شاعراً متجولاً كثير المكارم، روى عن علي بن محمد بن سعيد الموصلي وعنه الصوري، وكان صدوقاً وهو الذي أنزل المتنبي داره حين قدم بغداد وأحسن إليه حتى قال له المتنبي: لو كنت مادحاً تاجراً لمدحتك، وقد كان أبو محمد هذا شاعراً ماهراً، فمن شعره الجيد قوله:

شَرِبْتُ المَعَالِي غَيْرَ مُنْتَظِرٍ بِهَا ... كَسَاداً وَلا سُوقاً يُقَامُ لَهَا أُخْرَى
وَمَا أَنَا مِنْ أَهْلِ المَكَاسِبِ كُلَّمَا ... تَوَفَّرَتِ الأَثْمَانُ كُنْتُ لَهَا أَشْرَى

ابن شاهين الواعظ

عمر بن أحمد بن عثمان بن محمد بن أيوب بن زاذان، أبو حفص المشهور، سمع الكثير وحدث عن الباغندي وأبي بكر بن أبي داود والبغوي، وابن صاعد، وخلق. وكان ثقة أميناً، يسكن الجانب الشرقي من بغداد، وكانت له المصنفات العديدة. ذكر عنه أنه صنف ثلاثمائة وثلاثين مصنفاً منها التفسير في ألف جزء، والمسند في ألف وخمسمائة جزء، والتاريخ في مائة وخمسين جزءاً، والزهد في مائة جزء. توفي في ذي الحجة منها وقد قارب التسعين رحمه الله.

الحافظ [أبو الحسن][٣] الدارقطني

علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله الحافظ الكبير، أستاذ هذه الصناعة، وقبله بمدة وبعده إلى زماننا هذا، سمع الكثير، وجمع وصنف وألف وأجاد وأفاد، وأحسن النظر والتعليل والانتقاد والاعتقاد، وكان فريد عصره، ونسيج وحده، وإمام دهره في أسماء الرجال وصناعة التعليل، والجرح والتعديل، وحسن التصنيف والتأليف، واتساع الرواية، والاطلاع التام في الدراية، له كتابه المشهور من أحسن المصنفات في بابه، لم يسبق إلى مثله ولا يلحق في شكله إلا من استمد من بحره وعمل كعمله، وله كتاب العلل بين فيه الصواب من الدخل[٤]، والمتصل من المرسل والمنقطع والمعضل، وكتاب الإفراد الذي لا يفهمه، فضلاً عن أن ينظمه، إلا من هو من الحفاظ الأفراد، والأئمة

---

(١) تنسب هذه الأبيات إلى أبي نواس.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) في ط: الزلل، والدخل: الفساد وعدم الصحة.

النقاد، والجهابذة[١] الجياد، وله غير ذلك من المصنفات التي هي كالعقود في الأجياد، وكان من صغره موصوفاً بالحفظ الباهر، والفهم الثاقب، والبحر الزاخر جلس مرة في مجلس إسماعيل الصفار وهو يملي على الناس الأحاديث، والدارقطني ينسخ في جزء حديث، فقال له بعض المحدثين في أثناء المجلس: إن سماعك لا يصح وأنت تنسخ، فقال الدارقطني: فهمي للإملاء أحسن من فهمك وأحضر، ثم قال له ذلك الرجل: أتحفظ كم أملى حديثاً؟ فقال: إنه أملى ثمانية عشر حديثاً إلى الآن، والحديث الأول منها عن فلان عن فلان، ثم ساقها كلها بأسانيدها وألفاظها لم يخرم منها شيئاً، فتعجب الناس منه.

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: لم ير الدارقطني مثل نفسه.

وقال ابن الجوزي: وقد اجتمع له مع معرفة الحديث والعلم بالقراءات والنحو والفقه والشعر مع الأمانة والعدالة، وصحة العقيدة، وقد كانت وفاته في يوم الثلاثاء السابع من ذي القعدة منها، وله من العمر سبع وسبعون سنة ويومان، ودفن من الغد بمقبرة معروف الكرخي رحمه الله.

قال ابن خلكان: وقد رحل إلى الديار المصرية فأكرمه أبو الفضل جعفر بن خُنزابة وزير كافور الإخشيدي، وساعده هو والحافظ عبد الغني على إكمال مسنده، وحصل للدارقطني منه مال جزيل. قال: والدارقطني نسبة إلى دار القطن وهي محلة كبيرة ببغداد، وقال عبد الغني بن سعيد الضرير: لم يتكلم على الأحاديث مثل علي بن المديني في زمانه، وموسى بن هارون في زمانه، والدارقطني في زمانه. وسئل الدارقطني هل رأى مثل نفسه؟ قال: أما في فن واحد فربما رأيت من هو أفضل مني، وأما فيما اجتمع ليَّ من الفنون فلا. وقد روى الخطيب البغدادي عن الأمير أبي نصر هبة الله بن ماكولا قال: رأيت في المنام كأني أسأل عن حال أبي الحسن الدارقطني وما آل أمره إليه في الآخرة، فقيل لي ذاك يدعى في الجنة الإمام.

عباد بن عباس بن عباد

أبو الحسن الطالقاني، والد الوزير إسماعيل بن عباد المتقدم ذكره، سمع أبا خليفة الفضل بن الحباب وغيره من البغداديين والأصفهانيين والرازيين وغيرهم، وحدث عنه ابنه الوزير أبو الفضل القاسم، وأبو بكر بن مردويه، ولعباد هذا كتاب في أحكام القرآن، وقد اتفق موته وموت ابنه في هذه السنة رحمهما الله.

عقيل بن محمد بن عبد الواحد

أبو الحسن الأحنف العكبري الشاعر المشهور، له ديوان مفرد، ومن مستجاد شعره ما ذكره ابن الجوزي في منتظمه قوله:

---

(١) الجهابذة: العلماء المتبحرون.

أَقْـضَـى عَـلَـيَّ مِـنَ الأَجَـلْ ... عَـذْلُ الـعَـذُولِ إِذَا عَـذَلْ (١)
وَأَشَـدُّ مِـنْ عَـذْلِ الـعَـذُو ... لِ صُـدُودُ إِلْـفٍ قَـدْ وَصَـلْ
وَأَشَـدُّ مِـنْ هٰـذا وَذَا ... طَـلَـبُ الـنَّـوَالِ مِـنَ الـسَّـفَـلْ

وقوله:

مَـنْ أَرَادَ الـعِـزَّ وَالـرَّا ... حَـةَ مِـنْ هَـمٍّ طَـوِيـلِ
فَـلْـيَـكُـنْ فَـرْداً مِـنَ الـنَّـا ... سِ وَيَـرْضَـى بِـالـقَـلِـيـلِ
وَيَـرَى أن سـيـري ... كَـافِـيـاً عـمـا قَـلِـيـلِ
وَيَـرَى بِـالـحَـزْمِ أَنَّ الـحَـزْ ... مَ فِـي تَـرْكِ الـفُـضُـولِ
وَيُـدَاوِي مَـرَضَ الـوَحْـ ... دَةِ بِـالـصَّـبْـرِ الـجَـمِـيـلِ
لا يُـمَـارِي أَحَـداً مَـا ... عَـاشَ فِـي قَـالٍ وَقِـيـلِ (٢)
يَـلْـزَمُ الـصَّـمْـتَ فَـإِنَّ الـصَّـمْـ ... تَ تَـهْـذِيـبُ الـعُـقُـولِ
يَـذَرُ الـكِـبْـرَ لِأَهْـلِ الـكِـبْـ ... رِ وَيَـرْضَـى بِـالـخُـمُـولِ
أَيُّ عَـيْـشٍ لامْـرِىءٍ ... يُـصْـبِـحُ فِـي حَـالٍ ذَلِـيـلِ
بَـيْـنَ قَـصْـدٍ مِـنْ عَـدُوٍّ ... وَمُـدَارَاةِ جَـهُـولِ
وَاعْـتِـلالٍ مِـنْ صَـدِيـ ... قٍ وَتَـجَـنٍّ مِـنْ مَـلُـولِ
وَاحْـتِـرَاسٍ مِـنْ ظُـنُـونِ الـسُّـو ... ءِ مَـعْ عَـذْلِ الـعَـذُولِ
ومـقـاسـاة بـغـيـض ... ومـدانـاة ثـقِـيـلِ
أُفٍّ مِـنْ مَـعْـرِفَـةِ الـنَّـا ... سِ عَـلَـى كُـلِّ سَـبِـيـلِ
وَتَـمَـامُ الأَمْـرِ لا يَـعْـ ... رِفُ سَـمْـحـاً مِـنْ بَـخِـيـلِ
فَـإِذَا أَكْـمَـلَ هٰـذا كَـا ... نَ فِـي ظِـلٍّ ظَـلِـيـلِ

محمد بن عبد الله بن سكرة

أبو الحسين الهاشمي، من ولد علي بن المهدي، كان شاعراً خليعاً ظريفاً، وكان ينوب في نقابة الهاشميين. فترافع إليه رجل اسمه علي وامرأة اسمها عائشة يتحاكمان في جمل فقال هذه قضية لا أحكم فيها بشيء لئلا يعود الحال خدعة. ومن مستجاد شعره ولطيف قوله:

فِـي وَجْـهِ إِنْـسَـانَـةٍ كَـلِـفْـتُ بِـهَـا ... أَرْبَـعَـةٌ مَـا اجْـتَـمَـعْـنَ فِـي أَحَـدِ

---

(١) الأجل: الموت، والعذل: اللوم.

(٢) يماري: يمالىء، ويشارك.

الـوَجْـهُ بَـدْرٌ، وَالـصُّـدْغُ غَـالِـيَـةٌ[1] وَالـرِّيـقُ خَـمْـرٌ، وَالـثَّـغْـرُ مِـنْ بَـرَدِ

وله في قوله وقد دخل حمّاماً فَسُرِقَ نعليه فعاد إلى منزله حافياً فقال:

إِلَـيْـكَ أَذُمُّ حَـمَّـامَ ابْـنِ مُـوسَـى وَإِنْ فَـاقَ الـمُـنَـى طِـيـبـاً وَحَـرّا
تَـكَـاثَـرَتِ الـلُّـصُـوصُ عَـلَـيْـهِ حَـتَّـى لَـيَـحْـفَـى مَـنْ يُـطِـيـفُ بِـهِ وَيَـعْـرَى
وَلَـمْ أَفْـقِـدْ بِـهِ ثَـوْبـاً وَلَـكِـنْ دَخَـلْـتُ مُـحَـمَّـداً وَخَـرَجْـتُ بِـشْـرَا

يوسف بن عمر بن مسرور

أبو الفتح القواس، سمع البغوي وابن أبي داود وابن صاعد وغيرهم، وعنه الخلال والعشاري والبغدادي والتنوخي وغيرهم، وكان ثقة نبيلاً، يعد من الأبدال. وقال الدارقطني: كنا نتبرك به وهو صغير. توفي لثلاث بقين من ربيع الآخر عن خمس وثمانين سنة، ودفن بباب حرب.

يوسف بن أبي سعيد

السيرافي أبو محمد النحوي، وهو الذي تمم شرح أبيه لكتاب سيبويه، وكان يرجع إلى علم ودين وكانت وفاته في ربيع الأول منها عن خمس وخمسين سنة.

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة

في محرمها السنة كشف أهل البصرة عن قبر عتيق فإذا هم بميت طريّ عليه ثيابه وسيفه، فظنوه الزبير بن العوام، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه واتخذوا عند قبره مسجداً، ووقفت عليه أوقاف كثيرة، وجعل عنده خدام وقوام وفرش وتنوير. وفيها ملك الحاكم العبيدي بلاد مصر بعد أبيه العزيز بن المعز الفاطمي، وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة وستة أشهر، وقام بتدبير المملكة أرجوان الخادم، وأمين الدولة الحسن بن عامر فلما تمكن الحاكم قتلهما وأقام غيرهما، ثم قتل خلقاً حتى استقام له الأمر على ما سنذكره. وحج بالناس الأمير الذي من جهة المصريين والخطبة لهم.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن إبراهيم

ابن محمد بن يحيى بن سحنويه أبو حامد بن إسحاق المزكى النيسابوري، سمع الأصم وطبقته وكان كثير العبادة من صغره إلى كبره، وصام في عمره سرداً تسعاً وعشرين سنة، وقال الحاكم: وعندي أن الملائكة لم تكتب عليه خطيئة، توفي في شعبان منها عن ثلاث وستين سنة.

---

(١) الغالية: الطيب.

أبو طالب المكي

صاحب قوت القلوب، محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي الواعظ المذكر، الزاهد المتعبد، الرجل الصالح، سمع الحديث وروى عن غير واحد. قال القعنبي: كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة وصنف كتاباً سماه قوت القلوب، وذكر فيه أحاديث لا أصل لها، وكان يعظ الناس في جامع بغداد، وحكى ابن الجوزي أن أصله من الجبل، وأنه نشأ بمكة، وأنه دخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم، فانتمى إلى مقالته، ودخل بغداد فاجتمع عليه الناس وعقد له مجلس الوعظ بها، فغلط في كلام وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق، فبدّعه الناس وهجروه، وامتنع من الكلام على الناس. وقد كان أبو طالب هذا يبيح السماع، فدعا عليه عبد الصمد بن علي ودخل عليه فعاتبه في ذلك فأنشد أبو طالب:

فَيَا لَيْلُ كَمْ فِيكَ مِنْ مُتعبٍ ... وَيَا صُبْحُ لَيْتَكَ لَمْ تَقْرُبِ

فخرج عبد الصمد مغضباً، وقال أبو القاسم بن فرات: دخلت على شيخنا أبي طالب المكي وهو يموت فقلت له: أوص، فقال: إذا ختم لي بخير فانثر على جنازتي لوزاً وسكراً فقلت: كيف أعلم بذلك؟ فقال: اجلس عندي ويدك في يدي، فإن قبضت على يدك فاعلم أنه قد ختم لي بخير. قال ففعلت فلما حان فراقه قبض على يدي قبضاً شديداً، فلما رفع على جنازته نثرت اللوز والسكر على نعشه. قال ابن الجوزي: توفي في جمادى الآخرة منها وقبره ظاهر في جامع الرصافة.

العزيز صاحب مصر

نزار بن المعز معد أبي تميم، ويكنى نزار بأبي منصور، ويلقب بالعزيز، توفي عن اثنتين وأربعين سنة منها، وكانت ولايته بعد أبيه إحدى وعشرين سنة، وخمسة أشهر وعشرة أيام، وقام بالأمر من بعده ولده الحاكم قبحه الله، والحاكم هذا هو الذي ينسب إليه الفرقة الضالة المضلة الزنادقة الحاكمية وإليه ينسب أهل وادي التيم من الدرزية أتباع هستكر غلام الحاكم الذي بعثه إليهم يدعوهم إلى الكفر المحض فأجابوه، لعنه الله وإياهم أجمعين، وأما العزيز هذا فإنه كان قد استوزر رجلاً نصرانياً يقال له عيسى بن نسطورس، وآخر يهودياً اسمه ميشا، فعز بسببها أهل هذين الملتين في ذلك الزمان على المسلمين، حتى كتبت إليه امرأة في قصة في حاجة لها تقول له: بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس، واليهود بميشا وأذل المسلمين بهما لما كشفت ظلامتي: فعند ذلك أمر بالقبض على هذين الرجلين وأخذ من النصارى ثلاثمائة ألف دينار.

وفيها توفيت بنت عضد الدولة امرأة الطائع فحملت تركتها إلى ابن أخيها بهاء الدولة، وكان فيها جوهر كثير والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

فيها توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة بن بويه، وأقيم ولده رستم في الملك بعده، وكان عمره أربع سنين، وقام خواص أبيه بتدبير الملك في الرعايا.

وممن توفي فيها من الأعيان أبو أحمد العسكري اللغوي.

الحسن بن عبيد الله

ابن سعيد بن أحمد العسكري اللغوي، العلامة في فنه وتصانيفه المفيد في اللغة وغيرها، يقال إنه كان يميل إلى الاعتزال، ولما قدم الصاحب ابن عباد هو وفخر الدولة البلدة التي كان فيها أبو أحمد العسكري ـ وكان قد كبر وأسن ـ بعث إليه الصاحب رقعة فيها هذه الأبيات:

وَلَـمَّـا أَبَـيْـتُـمْ أَنْ تَـزُورُوا وَقُـلْـتُـمُ ... ضَـعُـفْـنَـا فَـمَـا نَـقْـوَى عَـلَـى الـوحـدانِ

أَتَـيْـنَـاكُـمُ مِـنْ بُـعْـدِ أَرْضٍ نَـزُورُكُـمْ ... فَـكَـمْ مِـنْ مَـنْـزِلٍ بِـكْـرٍ لَـنَـا وَعَـوَانِ[1]

نُـنَـاشِـدُكُـمْ هَـلْ مِـنْ قِـرَى لِـنَـزِيـلِـكُـمْ ... بِـطُـولِ جِـوَارٍ لا يَـمَـلُّ جِـفَـانِ

تـضـمـنـت بـنـت ابـنِ الـرَّشِـيـدِ كـأنـمـا ... تـعـمَّـدَ تَـشْـبِـيـهِـي بِـهِ وَعِـنَـانِـي

أَهُـمُّ بِـأَمْـرِ الـحَـزْمِ لا أَسْـتَـطِـيـعُـهُ ... وَقَـدْ حِـيـلَ بَـيْـنَ الـعَـيْـرِ وَالـنَّـزَوَانِ[2]

ثم ركب بغلته تحاملاً وصار إلى الصاحب فوجده مشغولاً في خيمته بأبهة الوزارة فصعد أكمة ثم نادى بأعلى صوته:

مَـا لِـي أَرَى الـقُـبَّـةَ الـفَـيْـحَـاءَ مُـقْـفَـلَـةً ... دُونِـي وَقَـدْ طَـالَ مَـا اسْـتَـفْـتَـحْـتُ مُـقْـفَـلَـهَـا

كَـأَنَّـهَـا جَـنَّـةُ الـفِـرْدَوْسِ مُـعْـرِضَـةً ... وَلَـيْـسَ لـي عَـمَـلٌ زَاكٍ فَـأَدْخُـلُـهَـا[3]

فلما سمع الصاحب صوته ناداه: ادخلها يا أبا أحمد فلك السابقة الأولى، فلما صار إليه أحسن إليه. توفي في يوم التروية منها.

قال ابن خلكان: وكانت ولادته يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين، وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة.

عبد الله بن محمد بن عبد الله

ابن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن مهران، أبو القاسم الشاعر المعروف بابن الثلاج، لأن جده أهدى لبعض الخلفاء ثلجاً، فوقع منه موقعاً، فعرف عند الخليفة بالثلاج، وقد

---

(١) البكر: الفتاة العذراء، والعوان: الفاقدة لعذريتها.

(٢) حيل: منع، والعير: النوق وغيرها، والنزوان: الوثوب.

(٣) زاكٍ: أي زكي.

سمع أبو القاسم هذا من البغوي وابن صاعد وابن أبي داود، وحدث عن التنوخي والأزهري والعقيقي وغيرهم من الحفاظ.

قال ابن الجوزي: وقد اتهمه المحدثون منهم الدارقطني ونسبوه إلى أنه كان يركب الإسناد ويضع الحديث على الرجال. توفي في ربيع الأول فجأة.

ابن زولاق

الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خلد بن راشد بن عبيد الله بن سليمان بن زولاق، أبو محمد المصري الحافظ، صنف كتاباً في قضاة مصر ذيل به كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي إلى سنة ست وأربعين ومائتين، وذيل ابن زولاق من القاضي بكار إلى سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وهي أيام محمد بن النعمان قاضي الفاطميين، الذي صنف البلاغ الذي انتصب فيه للرد على القاضي الباقلاني، وهو أخو عبد العزيز بن النعمان والله أعلم. وكانت وفاته في أواخر ذي القعدة من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة.

ابن بطة عبيد الله بن محمد

ابن حمران، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بطة، أحد علماء الحنابلة، وله التصانيف الكثيرة الحافلة في فنون من العلوم، سمع الحديث من البغوي وأبي بكر النيسابوري ابن صاعد وخلق في أقاليم متعددة، وعنه جماعة من الحفاظ، منهم أبو الفتح بن أبي الفوارس، والأزجي والبرمكي، وأثنى عليه غير واحد من الأئمة، وكان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد رأى بعضهم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد اختلفت على المذاهب. فقال: عليك بأبي عبد الله بن بطة، فلما أصبح ذهب إليه ليبشره بالمنام فحين رآه ابن بطة تبسم إليه وقال له ـ قبل أن يخاطبه ـ صدق رسول الله ﷺ ثلاث مرات. وقد تصدى الخطيب البغدادي للكلام في ابن بطة والطعن عليه وفيه بسبب بعض الجرح في ابن بطة الذي أسنده إلى شيخه عبد الواحد بن علي الأسدي المعروف بابن برهان اللغوي، فانتدب ابن الجوزي للرد على الخطيب والطعن عليه أيضاً بسبب بعض مشايخه والانتصار لابن بطة، فحكى عن أبي الوفا بن عقيل أن ابن برهان كان يرى مذهب مرجئة المعتزلة، في أن الكفار لا يخلدون في النار، وإنما قالوا ذلك لأن دوام ذلك إنما هو للتشفي[(١)] ولا معنى له هنا مع أنه قد وصف نفسه بأنه غفور رحيم، وأنه أرحم الراحمين. ثم شرع ابن عقيل يرد على ابن برهان. قال ابن الجوزي: فكيف يقبل الجرح من مثل هذا؟. ثم روى ابن الجوزي بسنده عن ابن بطة أنه سمع المعجم من البغوي، قال: والمثبت مقدم على النافي.

---

(١) التشفي: الانتقام.

قال الخطيب: وحدثني عبد الواحد بن برهان قال: ثنا محمد بن أبي الفوارس روى عن ابن بطة عن البغوي عن أبي مصعب عن مالك عن الزهري عن أنس. قال قال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ».

قال الخطيب: وهذا باطل من حديث مالك، والحمل فيه على ابن بطة. قال ابن الجوزي: والجواب عن هذا من وجهين: أحدهما أنه وجد بخط ابن برهان: ما حكاه الخطيب في القدح في ابن بطة باطل وهو شيخي أخذت عنه العلم في البداية، الثاني أن ابن برهان قد تقدم القدح فيه بما خلف فيه الإجماع، فكيف قبلت منه القول في رجل قد حكيت عن المشايخ العلماء أنه رجل صالح مجاب الدعوة، نعوذ بالله من الهوى.

علي بن عبد العزيز بن مدرك

أبو الحسن البردعي، روى عن أبي حاتم وغيره، وكان كثير المال فترك الدنيا وأقبل على الآخرة، فاعتكف في المسجد، وكان كثير الصلاة والعبادة.

فخر الدولة بن بويه

علي بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي، ملك بلاد الري ونواحيها، وحين مات أخوه مؤيد الدولة كتب إليه الوزير ابن عباد بالإسراع إليه فولاه الملك بعده، واستوزر ابن عباد على ما كان عليه. توفي عن ست وأربعين سنة، منها مدة ملكه ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة عشر يوماً، وترك من الأموال شيئاً كثيراً، من الذهب ما يقارب ثلاث آلاف ألف دينار، ومن الجواهر نحواً من خمسة عشر ألف قطعة، ويقارب قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار ذهباً. وغير ذلك من أواني الذهب زنته ألف ألف دينار، ومن الفضة زنته ثلاثة آلاف ألف درهم، كلها آنية، ومن الثياب ثلاثة آلاف حمل، وخزانة السلاح ألف حمل، ومن الفرش ألف وخمسمائة حمل، ومن الأمتعة مما يليق بالملوك شيئاً كثيراً، لا يحصر، ومع هذا لم يصلوا ليلة موته إلى شيء من المال ولم يحصل له كفن إلا ثوب من المجاورين في المسجد، واشتغلوا عنه بالملك حتى تم لولده رستم من بعده، فأنتن الملك ولم يتمكن أحد من الوصول إليه فربطوه في حبال وجروه على درج القلعة من نتن ريحه، فتقطع، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ: ٢٦].

ابن سمعون الواعظ

محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسين بن سمعون الواعظ، أحد الصلحاء والعلماء، كان يقال له الناطق بالحكمة، روى عن أبي بكر بن داود وطبقته، وكان له يد طولى في الوعظ والتدقيق في المعاملات، وكانت له كرامات ومكاشفات، كان يوماً يعظ على المنبر وتحته أبو الفتح بن القواس، وكان من الصالحين المشهورين، فنعس ابن القواس فأمسك ابن سمعون عن الوعظ حتى استيقظ، فحين استيقظ قال ابن سمعون: رأيت

رسول الله ﷺ في منامك هذا؟ قال نعم! قال فلهذا أمسكت عن الوعظ حتى لا أزعجك عما كنت فيه. وكان لرجل ابنة مريضة مدنفة[١] فرأى أبوها رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له: اذهب إلى ابن سمعون ليأتي منزلك فيدعو لابنتك تبرأ بإذن الله. فلما أصبح ذهب إليه فلما رآه نهض ولبس ثيابه وخرج مع الرجل، فظن الرجل أنه يذهب إلى مجلس وعظه، فقال في نفسه أقول له في أثناء الطريق، فلما مر بدار الرجل دخل إليها فأحضر إليه ابنته فدعا لها وانصرف، فبرأت من ساعتها. وبعث إليه الخليفة الطائع لله من أحضره إليه وهو مغضب عليه، فخيف على ابن سمعون منه، فلما جلس بين يديه أخذ في الوعظ، وكان أكثر ما أورده من كلام علي بن أبي طالب، فبكى الخليفة حتى سمع نشيجه[٢]، ثم خرج من بين يديه وهو مكرم، فقيل للخليفة: رأيناك طلبته وأنت غضبان، فقال: بلغني أنه ينتقص علياً فأردت أن أعاقبه، فلما حضر أكثر من ذكر علي فعلمت أنه موفق، فذكرني وشفى ما كان في خاطري عليه. ورأى بعضهم في المنام رسول الله ﷺ وإلى جانبه عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو يقول: أليس من أمتي الأحبار أليس من أمتي أصحاب الصوامع. فبينا هما كذلك إذ دخل ابن سمعون فقال رسول الله ﷺ لعيسى عليه السلام: أفي أمتك مثل هذا؟ فسكت عيسى.

ولد ابن سمعون في سنة ثلاثمائة، وتوفي يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة في هذه السنة، ودفن بداره.

قال ابن الجوزي: ثم أخرج بعد سنتين إلى مقبرة أحمد بن حنبل وأكفانه لم تبل رحمه الله [تعالى آمين].

آخر ملوك السامانية نوح بن منصور

ابن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل، أبو القاسم الساماني، ملك خراسان وغزنة وما وراء النهر، ولي الملك وعمره ثلاث عشرة سنة، واستمر في الملك إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر، ثم قبض عليه خواصه وأجلسوا مكانه أخاه عبد الملك، فقصدهم محمود بن سبكتكين فانتزع الملك من أيديهم، وقد كان لهم الملك مائة وستين سنة وشهوراً، فباد ملكهم في هذا العام، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أبو الطيب سهل بن محمد

ابن سليمان بن محمد بن سليمان الصعلوكي الفقيه الشافعي إمام أهل نيسابور، وشيخ تلك الناحية، كان يحضر مجلسه خمسمائة محبرة، وكانت وفاته في هذه السنة على المشهور. وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي في الإرشاد: إنه مات في سنة ستين وأربعمائة فالله أعلم.

---

(١) مدنفة: مريضة مرضاً شديداً، مشرفة منه على الهلاك.

(٢) نشيجه: نحيبه.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في ذي الحجة منها سقط في بغداد برد عظيم، بحيث جمد الماء في الحمامات، وبول الدواب في الطرقات. وفيها جاءت رسل أبي طالب ابن فخر الدولة في البيعة له فبايعه الخليفة وأمّره على بلاد الري ولقبه مجد الدولة كهف الأمة، وبعث إليه بالخلع والألوية، وكذلك فعل ببدر بن حسنويه ولقبه ناصر الدين والدولة، وكان كثير الصدقات. وفيها هرب أبو عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب، والمنتسب إلى جده الطائع، من السجن بدار الخلافة إلى البطيحة، فآواه صاحبها مهذب الدولة، ثم أرسل القادر بالله في أمره فجيء به مضيقاً عليه فاعتقله، ثم هرب من الاعتقال أيضاً فذهب إلى بلاد كيلان فادعى أنه الطائع لله، فصدقوه وبايعوه وأدوا إليه العشر، وغير ذلك من الحقوق، ثم اتفق مجيء بعضهم إلى بغداد فسألوا عن الأمر فإذا ليس له أصل ولا حقيقة، فرجعوا عنه واضمحل أمره وفسد حاله، فانهزم عنهم. وحج بالناس [في هذه السنة أيضاً][1] أمير المصريين، والخطبة بالحرمين للحاكم العبيدي قبّحه الله.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الخطابي

أبو سليمان حَمَد ويقال أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي، أحد المشاهير الأعيان، والفقهاء المحدثين المكثرين، له من المصنفات معالم السنن وشرح البخاري، وغير ذلك من التصانيف النافعة المفيدة. وله شعر حسن. فمنه قوله:

مـا دُمْـتَ حَـيّـاً فَـدَارِ الـنَّـاسَ كُـلَّـهُـمُ ... فَـإِنَّـمَـا أَنْـتَ فِـي دَارِ الـمُـدَارَاةِ
مَـنْ يَـدْرِ دَارَىٰ وَمَـنْ لَـمْ يَـدْرِ سَـوْفَ يُـرَى ... عَـمَّـا قَـلِـيـلٍ نَـدِيـمـاً لِـلـنَّـدَامَـاتِ

توفي بمدينة بست في ربيع الأول من هذه السنة. قاله ابن خلكان.

الحسين بن أحمد بن عبد الله

ابن عبد الرحمن بن بكر بن عبد الله الصيرفي الحافظ المطبق سمع إسماعيل الصفار وابن السماك والنجاد والخلدي وأبا بكر الشاشي. وعنه ابن شاهين والأزهري والتنوخي، وحكى الأزهري أنه دخل عليه وبين يديه أجزاء كبار فجعل إذا ساق إسناداً أورد متنه من حفظه وإذا سرد متناً ساق إسناده من حفظه. قال: وفعلت هذا معه مراراً، كل ذلك يورد الحديث إسناداً ومتناً كما في كتابه. قال: وكان ثقة فحسدوه وتكلموا فيه. وحكى الخطيب أن ابن أبي الفوارس اتهمه بأنه يزيد في سماع الشيوخ، ويلحق رجالاً في الأحاديث ويصل المقاطيع. توفي في ربيع الأول منها عن إحدى وسبعين سنة.

---

(١) سقط في ط.

صمصامة الدولة

ابن عضد الدولة صاحب بلاد فارس، خرج عليه ابن عمه أبو نصر بن بختيار فهرب منه ونجا في جماعة من الأكراد، فلما وغلوا به أخذوا ما في خزائنه وحواصله، ولحقه أصحاب ابن بختيار فقتلوه وحملوا رأسه إليه، فلما وضع بين يدي بختيار قال: هذه سنة سنها أبوك. وكان ذلك في ذي الحجة من هذه السنة، وكان عمره يوم قتل خمساً وثلاثين سنة، ومدة ملكه منها تسع سنين وأشهر.

عبد العزيز بن يوسف الحطان

أبو القاسم، كاتب الإنشاء لعضد الدولة، ثم وزر لابنه بهاء الدولة خمسة أشهر، وكان يقول الشعر. توفي في شعبان منها.

محمد بن أحمد

ابن إبراهيم أبو الفرج المعروف بغلام الشنبوذي، كان عالماً بالقراءات وتفسيرها، يقال إنه كان حفظ خمسين ألف بيت من الشعر، شواهد للقرآن، ومع هذا تكلموا في روايته عن أبي الحسين بن شنبوذ، وأساء الدارقطني القول فيه. توفي في صفر منها، وولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

فيها قصد محمود بن سبكتكين بلاد خراسان فاستلب ملكها من أيدي السامانية، وواقعهم مرات متعددة في هذه السنة وما قبلها، حتى أزال اسمهم ورسمهم عن البلاد بالكلية، وانقرضت دولتهم بالكلية، ثم صمد لقتال ملك الترك بما وراء النهر، وذلك بعد موت الخاقان الكبير الذي يقال له فائق، وجرت له معهم حروب وخطوب. وفيها استولى بهاء الدولة على بلاد فارس وخورستان، وفيها أرادت الشيعة أن يصنعوا ما كانوا يصنعونه من الزينة يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة فيما يزعمونه، فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين إلى السنة فادعوا أن في مثل هذا اليوم حصر النبي ﷺ وأبو بكر في الغار فامتنعوا من ذلك، وهذا أيضاً جهل من هؤلاء، فإن هذا إنما كان في أوائل شهر ربيع الأول من أول سني الهجرة، فإنهما أقاما فيه ثلاثاً، وحين خرجا منه قصدا المدينة فدخلاها بعد ثمانية أيام أو نحوها، وكان دخولهما المدينة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وهذا أمر معلوم مقرر محرر. ولما كانت الشيعة يصنعون في يوم عاشوراء مأتماً يظهرون فيه الحزن على الحسين بن عليّ، قابلتهم طائفة أخرى من جهلة أهل السنة فادّعوا أن في اليوم الثاني عشر من المحرم قتل مصعب بن الزبير، فعملوا له مأتماً كما تعمل الشيعة للحسين، وزاروا قبره كما زاروا قبر الحسين، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها، ولا يرفع البدعة إلا السنة الصحيحة. وفيها وقع برد شديد مع غيم مطبق، وريح قوية، بحيث أتلفت شيئاً كثيراً

من النخيل ببغداد، فلم يتراجع حملها إلى عادتها إلا بعد سنتين [فإن لله وأنا إليه راجعون][1]. وفيها حج بالناس بركب العراق الشريفان الرضي والمرتضى فاعتقلهما أمير الأعراب ابن الجراح فافتديا أنفسهما منه بتسعة آلاف دينار من أموالهما فأطلقهما.

وممن توفي فيها من الأعيان:

زاهد بن عبد الله

ابن أحمد بن محمد بن عيسى السرخسي: المقرىء الفقيه المحدث، شيخ عصره بخراسان، قرأ على ابن مجاهد، وتفقه بأبي إسحاق المروزي إمام الشافعية، وأخذ اللغة والأدب والنحو عن أبي بكر الأنباري. توفي في ربيع الآخر عن ست وتسعين سنة.

عبد الله بن محمد بن إسحاق

ابن سليمان بن مخلد بن إبراهيم بن مروز أبو القاسم المعروف بابن حبابة، روى عن البغوي وأبي بكر بن أبي داود وطبقتهما، وكان ثقة مأموناً مسنداً، ولد ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين، ومات في جمادى الأولى من هذه السنة عن تسعين سنة، وصلّى عليه الشيخ أبو حامد الأسفراييني شيخ الشافعية، ودفن في مقابر جامع المنصور.

ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمائة من الهجرة النبوية

فيها ظهر بأرض سجستان معدن من ذهب كانوا يحفرون فيه مثل الآبار، ويخرجون منه ذهباً أحمر. وفيها قتل الأمير أبو نصر بن بختيار صاحب بلاد فارس واستولى عليها بهاء الدولة. وفيها قلد القادر بالله القضاء بواسط وأعمالها أبا حازم محمد بن الحسن الواسطي، وقرىء عهده بدار الخلافة، وكتب له القادر وصية حسنة طويلة أوردها [الشيخ أبو الفرج][2] ابن الجوزي في منتظمه، وفيها مواعظ وأوامر ونواهي حسنة جيدة والله اعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد

ابن أبي موسى أبو بكر الهاشمي الفقيه المالكي القاضي بالمدائن وغيرها، وخطب بجامع المنصور، وسمع الكثير، وروى عنه الجم الغفير، وعنه الدارقطني الكبير، وكان عفيفاً نزهاً ثقة ديّناً. توفي في محرم هذه السنة عن خمس وسبعين سنة.

عبيد الله بن عثمان بن يحيى

أبو القاسم الدقاق، ويعرف بابن حنيفا قال القاضي العلامة أبو يعلى بن الفراء ـ وهذا

---

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

جده ـ وروي باللام لا بالنون ـ حليفاً ـ وقد سمع الحديث سماعاً صحيحاً، وروى عنه الأزهري وكان ثقة مأموناً حسن الخلق، ما رأينا مثله في معناه.

الحسين بن محمد بن خلف

ابن الفراء والد القاضي أبي يعلى، وكان صالحاً فقيهاً على مذهب أبي حنيفة، أسند الحديث وروى عنه ابنه أبو حازم محمد بن الحسين.

عبد الله بن أحمد

ابن علي بن أبي طالب البغدادي، نزل مصر وحدث بها فسمع منه الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري.

عمر بن إبراهيم

ابن أحمد أبو نصر المعروف بالكتاني المقري، ولد سنة ثلاثمائة، روى عن البغوي وابن مجاهد وابن صاعد، وعنه الأزهري وغيره، وكان ثقة صالحاً.

محمد بن عبد الله بن الحسين

ابن عبد الله بن هارون، أبو الحسين الدقاق، المعروف بابن أخي ميمي، سمع البغوي وغيره، وعنه جماعة، ولم يزل مع كبر سنه يكتب الحديث إلى أن توفي وله تسعون سنة، وكان ثقة مأموناً ديناً فاضلاً حسن الأخلاق، توفي ليلة الجمعة لثمان وعشرين من شعبان منها.

محمد بن عمر بن يحيى

ابن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الشريف أبو الحسين العلوي، الكوفي، ولد سنة خمس عشرة، وسمع من أبي العباس بن عقدة وغيره، وسكن بغداد، وكانت له أموال كثيرة وضياع ودخل عظيم وحشمة وافرة، وهمة عالية، وكان مقدماً على الطالبيين في وقته، وقد صادره عضد الدولة في وقت واستحوذ على جمهور أمواله وسجنه، ثم أطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة، ثم صادره بهاء الدولة بألف ألف دينار، ثم سجنه، ثم أطلقه واستنابه على بغداد. ويقال إن غلاله كانت تساوي في كل سنة بألفي ألف دينار، وله وجاهة كبيرة جداً. ورياسة باذخة[1].

الأستاذ أبو الفتوح برجوان

الناظر في الأمور بالديار المصرية في الدولة الحاكمية، وإليه تنسب حارة برجوان بالقاهرة، كان أولاً من غلمان العزيز بن المعز، ثم صار عند الحاكم نافذ الأمر مطاعاً كبيراً

---

(١) الباذخة: المتسعة العظيمة.

في الدولة، ثم أمر بقتله في القصر فضربه الأمير ريدان، ـ الذي تنسب إليه الريدانية خارج باب الفتوح ـ بسكين في بطنه فقتله. وقد ترك شيئاً كثيراً من الأثاث والثياب، من ذلك ألف سراويل بيدقي بألف تكة من حرير، قاله ابن خلكان. وولّى الحاكم بعده في منصبه الأمير حسين ابن القائد جوهر والله تعالى اعلم بالصواب.

الجريري المعروف بابن طرار

المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود أبو الفرج النهرواني القاضي ـ لأنه ناب في الحكم ـ المعروف بابن طراراً الجريري، لاشتغاله على ابن جرير الطبري، وسلك وراءه في مذهبه، فنسب إليه. وسمع الحديث من البغوي وابن صاعد وخلق، وروى عنه جماعة، وكان ثقة مأموناً عالماً فاضلاً كثير الآداب والتفنن في أصناف العلوم، وله المصنفات الكثيرة منها كتابه المسمى بالجليس والأنيس، فيه فوائد كثيرة جمة، وكان الشيخ أبو محمد الباقلاني أحد أئمة الشافعية يقول: إذا حضر المعافى حضرت العلوم كلها، ولو أوصى رجل بثلث ماله لأعلم الناس لوجب أن يصرف إليه. وقال غيره: اجتمع جماعة من الفضلاء في دار بعض الرؤساء وفيهم المعافى فقالوا: هلم نتذاكر في فن من العلوم، فقال المعافى لصاحب المنزل ـ وكان عنده كتب كثيرة في خزانة عظيمة ـ مر غلامك أن يأتي بكتاب من هذه الكتب، أي كتاب كان نتذاكر فيه. فتعجب الحاضرون من تمكنه وتبحره في سائر العلوم، وقال الخطيب البغدادي: أنشدنا الشيخ أبو الطيب الطبري أنشدنا المعافى بن زكريا لنفسه:

أَلاَ قُـلْ لِـمَـنْ كَـانَ لِـي حَـاسِـداً ... أَتَـدْرِي عَـلَـى مَـنْ أَسَـأْتَ الأَدَبْ
أَسَـأْتَ عَـلَـى الله سُـبْـحَـانَـهُ ... لأَنَّـكَ لا تَـرْضَـى لِـي مَـا وَهَـبْ
فَـجَـازَاكَ عَـنِّـي بِـأَنْ زَادَنِـي ... وَسَـدَّ عَـلَـيْـكَ وُجُـوهَ الـطَّـلَـبْ

توفي في ذي الحجة من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة، رحمه الله.

ابن فارس

صاحب المجمل، وقيل إنه توفي في سنة خمس وتسعين كما سيأتي.

أم السلامة

بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شنخرة، أم الفتح، سمعت من محمد بن إسماعيل النصلاني وغيره، وعنها الأزهري والتنوخي وأبو يعلى بن الفراء وغيرهم، وأثنى عليها غير واحد في دينها وفضلها وسيادتها، وكان مولدها في رجب من سنة ثمان وتسعين، وتوفيت في رجب أيضاً من هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة، رحمها الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة

فيها بايع الخليفة القادر بالله لولده أبي الفضل بولاية العهد من بعده، وخطب له على المنابر بعد أبيه، ولقب بالغالب بالله، وكان عمره حينئذٍ ثماني سنين وشهوراً، ولم يتم له ذلك وكان سبب ذلك أنَّ رجلاً يقال له عبد الله بن عثمان الواقفي ذهب إلى بعض الأطراف من بلاد الترك، وادعى أن القادر بالله جعله ولي العهد من بعده، فخطبوا له هنالك، فلما بلغ القادر أمره بعث يتطلبه فهرب في البلاد وتمزق، ثم أخذه بعض الملوك فسجنه في قلعة إلى أن مات، فلهذا بادر القادر إلى هذه البيعة. وفي يوم الخميس الثامن عشر من ذي القعدة ولد الأمير أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله، وهذا هو الذي صارت إليه الخلافة، وهو القائم بأمر الله. وفيها قتل الأمير حسام الدولة المقلد بن المسيب العقيلي غيلة ببلاد الأنبار، وكان قد عظم شأنه بتلك البلاد، ورام المملكة فجاءه القدر المحتوم فقتله بعض غلمانه الأتراك، وقام بالأمر من بعده ولده قرواش. وحج بالناس المصريون.

وفيها توفي من الأعيان:

جعفر بن الفضل بن جعفر

ابن محمد بن الفرات أبو الفضل، المعروف بابن حنزابة الوزير، ولد سنة ثمان وثلاثمائة ببغداد، ونزل الديار المصرية ووزر بها للأمير كافور الإخشيدي، وكان أبوه وزيراً للمقتدر، وقد سمع الحديث من محمد بن هارون الحضرمي وطبقته من البغداديين، وكان قد سمع مجلساً من البغوي، ولم يكن عنده، وكان يقول: من جاءني به أغنيته، وكان له مجلس للإملاء بمصر، وبسببه رحل الدارقطني إلى مصر فنزل عنده وخرّج له مسنداً، وحصل له منه مال جزيل، وحدث عنه الدارقطني وغيره من الأكابر. ومن مستجاد شعره قوله:

مَنْ أَخْمَلَ النَّفْسَ أَحْيَاهَا وَرَوَّحَهَا ... وَلَمْ يَبِتْ طَاوِياً[١] مِنْهَا عَلَى ضَجَرِ
إنَّ الرِّيَاحَ إذا اشْتَدَّتْ عَوَاصِفُهَا ... فَلَيْسَ تَرْمِي سِوَى العَالِي مِنَ الشَّجَرِ

قال ابن خلكان: كانت وفاته في صفر، وقيل في ربيع الأول منها، عن ثنتين وثمانين سنة ودفن بالقرافة، وقيل بداره، وقيل إنه كان قد اشترى بالمدينة النبوية داراً فجعل له فيها تربة له، فلما نقل إليها تلقته الأشراف لإحسانه إليهم، فحملوه وحجوا به ووقفوا به بعرفات، ثم أعادوه إلى المدينة فدفنوه بتربته.

ابن الحجاج الشاعر

الحسين بن أحمد بن الحجاج أبو عبد الله الشاعر الماجن المقذع في نظمه يستنكف[٢]

(١) الطاوي: الجائع. (٢) يستنكف: يمتنع، يأبى.

اللسان عن التلفظ بها والأذنان عن الاستماع لها، وقد كان أبوه من كبار العمال، وولّي هو حسبة بغداد في أيام عز الدولة، فاستخلف عليها نواباً ستة، وتشاغل هو بالشعر السخيف والرأي الضعيف، إلا أن شعره جيد من حيث اللفظ، وفيه قوة تدل على تمكين واقتدار على سبك المعاني القبيحة التي هي في غاية الفضيحة، في الألفاظ الفصيحة وله غير ذلك من الأشعار المستجادة، وقد امتدح مرة صاحب مصر فبعث إليه بألف دينار. وقول ابن خلكان بأنه عزل عن حسبة بغداد بأبي سعيد الاصطخري قول ضعيف لا يسامح بمثله، فإن أبا سعيد توفي في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، فكيف يعزل به ابن الحجاج وهو لا يمكن ادعاء أن يلي الحسبة بعده أبو سعيد الاصطخري، وابن خلكان قد أرخ وفاة هذا الشاعر بهذه السنة، ووفاة الاصطخري بما تقدم. وقد جمع الشريف الرضي أشعاره الجيدة على حدة في ديوان مفرد ورثاه حين توفي هو وغيره من الشعراء.

عبد العزيز بن أحمد بن الحسن الجزري

القاضي بالحرم وحريم دار الخلافة وغير ذلك من الجهات، وكان ظاهرياً على مذهب داود، وكان لطيفاً، تحاكم إليه وكيلان فبكى أحدهما في أثناء الخصومة فقال له القاضي: أرني وكالتك، فناوله فقرأها ثم قال له: لم يجعل إليك أن تبكي عنه. فاستضحك الناس ونهض الوكيل خجلاً.

عيسى ابن الوزير علي بن عيسى

ابن داود بن الجراح، أبو القاسم البغدادي، وكان أبوه من كبار الوزراء، وكتب هو للطائع أيضاً، وسمع الحديث الكثير، وكان صحيح السماع كثير العلوم، وكان عارفاً بالمنطق وعلم الأوائل فاتهموه بشيء من مذهب الفلاسفة، ومن جيد شعره قوله:

رُبَّ مَيْتٍ قَدْ صَارَ بِالعِلْمِ حَيًّا ... وَمُبَقًّى قَدْ مَاتَ جَهْلاً وَغَيًّا

فَاقْتَنُوا العِلْمَ كَيْ تَنَالُوا خُلُوداً ... لا تَعُدُّوا الحَيَاةَ فِي الجَهْلِ شَيًّا

ولد في سنة ثنتين وثلاثمائة وتوفي هذه السنة عن تسع وثمانين سنة، ودفن في داره ببغداد.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة

في محرمها منها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فقصده له ملكها جيبال في جيش عظيم فاقتتلوا قتالاً شديداً، ففتح الله على المسلمين، وانهزمت الهنود، وأسر ملكهم جيبال، وأخذوا من عنقه قلادة قيمتها ثمانون ألف دينار[1]، وغنم المسلمون منهم أموالاً عظيمة، وفتحوا بلاداً كثيرة، ثم إن محموداً سلطان المسلمين أطلق ملك الهند

(١) قال ابن الأثير: قوّموها بمائتي ألف دينار.

احتقاراً له واستهانة به، ليراه أهل مملكته والناس في المذلة فحين وصل جيبال إلى بلاده ألقى نفسه في النار التي يعبدونها من دون الله فاحترق، لعنه الله، وفي ربيع الأول منها ثارت العوام على النصارى ببغداد فنهبوا كنيستهم التي بقطيعة الدقيق وأحرقوها، فسقطت على خلق فماتوا، وفيهم جماعة من المسلمين رجال ونساء وصبيان. وفي رمضان منها قوي أمر العيارين وكثرت العملات ونهبت بغداد وانتشرت الفتنة. قال ابن الجوزي: وفي ليلة الاثنين منها ثالث القعدة انقض كوكب أضاء كضوء القمر ليلة التمام، ومضى الضياء وبقي جرمه يتموج نحو ذراعين في ذراعين في رأي العين ثم توارى بعد ساعة. وفي هذا الشهر قدم الحجاج من خراسان إلى بغداد ليسيروا إلى الحجاز فبلغهم عيث[1] الأعراب في الأرض بالفساد، وأنه لا ناصر لهم ولا ناظر ينظر في أمرهم، فرجعوا إلى بلادهم، ولم يحج من بلاد المشرق أحد في هذه السنة. وفي يوم عرفة منها ولد لبهاء الدولة ابنان توأمان فمات أحدهما بعد سبع سنين، وأقام الآخر حتى قام بالأمر من بعد أبيه، ولقب شرف الدولة، وحج المصريون فيها بالناس.

وممن توفي فيها من الأعيان:

ابن جنّي [النحوي][2]

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي، صاحب التصانيف الفائقة المتداولة في النحو واللغة، وكان أبوه جني عبداً روميًا مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي، ومن شعره في ذلك قوله:

فَإنْ أُصْبِحْ بِلا نَسَبٍ ... فَعِلْمِي في الوَرَى نَسَبِي
عَلَى أَنّي أَؤُولُ إلى ... قُرُومٍ سَادَةٍ نُجُبِ[3]
قَيَاصِرَةٍ إذا نَطَقُوا ... أَرَمَّوا الدَّهْرَ ذا الخُطُبِ[4]
أُولاكَ دَعَا النَّبِيُّ لَهُمْ ... كَفَى شَرَفاً دُعَاءُ نَبِي

وقد أقام ببغداد ودرس بها العلم إلى أن توفي ليلة الجمعة لليلتين خلتا من صفر منها.

قال ابن خلكان: ويقال إنه كان أعور وله في ذلك:

صُدُودُكِ عَنِّي وَلا ذَنْبَ لي ... يَدُلُّ عَلَى نِيَّةٍ فَاسِدَهْ
فَقَدْ ـ وَحَيَاتِكَ ـ مِمّا بَكَيْتُ ... خَشِيتُ عَلَى عَيْنِيَ الوَاحِدَهْ
وَلَوْلا مَخَافَةُ أَنْ لا أَرَا ... كِ لَمَا كَانَ في تَرْكِهَا فَائِدَهْ

(١) عيث الأعراب: فسادهم، وعبثهم.

(٢) سقط في ط.

(٣) أؤول: أرجع، أعود. والقروم: السادة. والنجب: الكرام.

(٤) أرمّوا: أبلوا. والخُطُب: الخطوب، المصائب.

ويقال: إن هذه الأبيات لغيره، وكان قائلها أعور. وله في مملوك حسن الصورة أعور قوله:

لَــهُ عَــيْــنٌ أَصَــابَــتْ كُــلَّ عَــيْــنٍ وعــيــن قَــدْ أَصَــابَــتْــهَــا الــعُــيُــونُ

أبو الحسن الجرجاني الشاعر الماهر.

علي بن عبد العزيز

القاضي بالري، سمع الحديث وترقّى في العلوم حتى أقر له الناس بالتفرد، وله أشعار حسان من ذلك قوله:

يَـقُـولُـونَ لـي فِـيـكَ انـقِـبـاضٌ وَإنَّـمَـا رَأَوْا رَجُلاً عَنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا[1]
أَرَى الـنَّـاسَ مَـنْ دَانَـاهُـم هَـانَ عِـنْـدَهُـمْ وَمَـنْ أَكْـرَمَـتْـهُ عِـزَّةُ الـنَّـفْـسِ أُكْـرِمَـا
وَلَـمْ أَقْـضِ حَـقَّ الـعِـلْـمِ إنْ كَـانَ كُـلَّـمَـا بَـدَا طَـمَـعٌ صَـيَّـرْتُـهُ لِـيَ سُـلَّـمَـا
إذا قِـيـلَ هٰـذا مـطـمـعٌ قُـلْـتُ قَـدْ أَرَى وَلٰـكِـنَّ نَـفْـسَ الـحُـرِّ تَـحْـتَـمِـلُ الـظَّـمَـا
وَلَـمْ أَبْـتَـذِلْ فـي خِـدْمَـةِ الـعِـلْـمِ مُـهْـجَـتِـي لِأَخْـدُمَ مَـنْ لاقَـيْـتُ لٰـكِـنْ لِأُخْـدَمَـا
أأسـقـي بِـهِ غَـرْسـاً وَأَجْـنِـيـهِ ذِلَّـةً إذاً فَـاتِّـبَـاعُ الـجَـهْـلِ قَـدْ كَـانَ أَحْـزَمَـا
وَلَـوْ أَنَّ أَهْـلَ الـعِـلْـمِ صَـانُـوهُ صَـانَـهُـمْ وَلَـوْ عَـظَّـمُـوهُ فـي الـنُّـفُـوسِ لَـعُـظِّـمَـا
وَلٰـكِـنْ أذلـوه، فَـهَـانَ، وَدَنَّـسُـوا مُـحَـيَّـاهُ بِـالأَطْـمَـاعِ حَـتَّـى تَـجَـهَّـمَـا[2]

ومن مستجاد شعره أيضاً:

مـا تَـطَّـعَّـمْـتُ لَـذَّةَ الـعَـيْـشِ حَـتَّـى صِـرْتُ لِـلْـبَـيْـتِ وَالـكِـتَـاب جَـلِـيـسـا
لَـيْـسَ عِـنْـدِي شَـيْءٌ أَلَـذُّ مِـنَ الـ ـعِـلْـمِ فَـمَـا أَبْـتَـغِـي سِـوَاهُ أَنِـيـسَـا
إِنَّـمَـا الـذُّلُّ فِـي مُـخَـالَـطَـةِ الـنَّـاسِ فَـدَعْـهُـمْ وَعِـشْ عَـزِيـزاً أنـيـسـا

ومن شعره أيضاً

إذا شِئْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ المَالَ مُنْفِقاً عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ في زَمَنِ العُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الإقراض مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا عَـلَـيْـكَ وَإنْـظَـاراً إلـى زَمَـنِ الـيُـسْـرِ
فَـإنْ فَـعَـلَـتْ كُـنْـتَ الـغَـنِـيَّ وَإنْ أَبَـتْ فَـكُـلُّ مَـمْـنُـوعٍ بَـعْـدَهَـا وَاسِـعُ الـعُـذْرِ

توفي رحمه الله في هذه السنة، وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

وفيها كانت وفاة الطائع لله على ما سنذكره وفيها منع عميد الجيوش الشيعة من النوح

(١) احجم: ابتعد واستنكف. (٢) تجهّم: تغير لونه إلى الجهمة.

على الحسين في عاشوراء، ومنع جهلة السنة بباب البصرة وباب الشعير من النوح على مصعب بن الزبير بعد ذلك بثمانية أيام، فامتنع الفريقان ولله الحمد والمنة. وفي أواخر المحرم خلع بهاء الدولة وزيره أبا غالب محمد بن خلف عن الوزارة وصادره بمائة ألف دينار قاشانية، وفي أوائل صفر منها غلت الأسعار ببغداد جداً، وعدمت الحنطة حتى بيع الكر منها بمائة وعشرين ديناراً. وفيها برز عميد الجيوش إلى سر من رأى واستدعى سيد الدولة أبا الحسن، علي بن مزيد، وقرر عليه في كل سنة أربعين ألف دينار، فالتزم بذلك فقرره على بلاده. وفيها هرب أبو العباس الضبي وزير مجد الدولة بن فخر الدولة من الري إلى بدر بن حسنويه، فأكرمه، وولي بعد ذلك وزارة مجد الدولة أبو علي الخطير. وفيها استناب الحاكم على دمشق وجيوش الشام أبا محمد الأسود ثم بلغه أنه عزر رجلاً مغربياً سب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وطاف به في البلد، فخاف من معرّة ذلك[1] فبعث إليه فعزله مكراً وخديعة. وانقطع الحج فيها من العراق بسبب الأعراب.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إبراهيم بن أحمد بن محمد

أبو إسحاق الطبري الفقيه المالكي، مقدم المعدلين ببغداد، وشيخ القراءات، وقد سمع الكثير من الحديث، وخرّج له الدارقطني خمسمائة جزء حديث، وكان كريماً مفضلاً على أهل العلم.

الطائع لله عبد الكريم بن المطيع

تقدم خلعه وذكر ما جرى له توفي ليلة عيد الفطر منها عن خمس او ست وسبعين سنة، منها سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام خليفة، وصلّى عليه الخليفة القادر فكبّر عليه خمساً، وشهد جنازته الأكابر، ودفن بالرصافة.

محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن زكريا

أبو طاهر المخلص، شيخ كبير الرواية، سمع البغوي وابن صاعد وخلقاً، وعنه البرقاني والأزهري والخلال والتنوخي، وكان ثقة من الصالحين. توفي في رمضان منها عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله.

محمد بن عبد الله

أبو الحسن السلامي الشاعر المجيد، له شعر مشهور، ومدائح في عضد الدولة وغيره.

ميمونة

بنت شاقولة الواعظة التي هي للقرآن حافظة، ذكرت يوماً في وعظها أن ثوبها الذي

(١) معرّة ذلك: مغبّته.

عليها ـ وأشارت إليه ـ له في صحبتها تلبسه منذ سبع وأربعين سنة وما تغير، وأنه كان من غزل أمها. قالت: والثوب إذا لم يعص الله فيه لا يتخرّق سريعاً، وقال ابنها عبد الصمد: كان في دارنا حائط يريد أن ينقضّ فقلت لأمي: ألا ندعو البناء ليصلح هذا الجدار؟ فأخذت رقعة فكتبت فيها شيئاً ثم أمرتني أن أضعها في موضع من الجدار، فوضعتها فمكث على ذلك عشرين سنة، فلما توفيت أردت أن أستعلم ما كتبت في الرقعة، فحين أخذتها من الجدار سقط، وإذا في الرقعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١] اللهم ممسك السموات والأرض أمسكه.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلاثمائة

وفيها ولّي بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن أحمد بن موسى الموسوي، قضاء القضاة والحج والمظالم، ونقابة الطالبيين، ولقب بالطاهر الأوحد، ذوي المناقب، وكان التقليد له بسيراج، فلما وصل الكتاب إلى بغداد لم يأذن له الخليفة القادر في قضاء القضاة، فتوقف حاله بسبب ذلك. وفيها ملك أبو العباس بن واصل بلاد البطيحة وأخرج منها مهذب الدولة، فقصده زعيم الجيوش ليأخذها منه، فهزمه ابن واصل ونهب أمواله وحواصله، وكان في جملة ما أصاب في خيمة الخزانة ثلاثون ألف دينار، وخمسون ألف درهم. وفيها خرج الركب العراقي إلى الحجاز في جحفل عظيم كبير وتجمل كثير، فاعترضهم الأصيفر أمير الأعراب، فبعثوا إليه بشابين قارئين مجيدين كانا معهم، يقال لهما أبو الحسن بن الرفا وأبو عبد الله بن الزجاجي، وكانا من أحسن الناس قراءة، ليكلماه في شيء يأخذه من الحجيج، ويطلق سراحهم ليدركوا الحج، فلما جلسا بين يديه قرآ جميعاً عشراً بأصوات هائلة مطربة مطبوعة، فأدهشه ذلك وأعجبه جدّاً، وقال لهما: كيف عيشكما ببغداد؟ فقالا: بخير لا يزال الناس يكرموننا ويبعثون إلينا بالذهب والفضة والتحف. فقال لهما: هل أطلق لكما أحد منهم بألف ألف دينار في يوم واحد؟ فقالا: لا، ولا ألف درهم في يوم واحد. قال: فإني أطلق لكما ألف ألف دينار في هذه اللحظة، أطلق لكما الحجيج كله ولولاكما لما قنعت منهم بألف ألف دينار. فأطلق الحجيج كله بسببهما، فلم يتعرض أحد من الأعراب لهم، وذهب الناس إلى الحج سالمين شاكرين لذينك الرجلين المقرئين. ولما وقف الناس بعرفات قرآ هذان الرجلان قراءة عظيمة على جبل الرحمة فضج الناس بالبكاء من سائر الركوب لقراءتهما، وقالوا لأهل العراق: ما كان ينبغي لكم أن تخرجوا معكم بهذين الرجلين في سفرة واحدة، لاحتمال أن يصابا جميعاً، بل كان ينبغي أن تخرجوا بأحدهما وتدعوا الآخر، فإذا أصيب سلم الآخر. وكانت الحجة والخطبة للمصريين كما هي لهم من سنين متقدمة، وقد كان أمير العراق بين عزم على العود سريعاً إلى بغداد على طريقهم التي جاؤوا منها، وأن لا يسيروا إلى المدينة النبوية خوفاً من الأعراب، وكثرة الخفارات، فشق ذلك على الناس، فوقف هذان الرجلان القارئان على جادة الطريق التي منها يعدل إلى المدينة النبوية،

وقرأ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠] فضج الناس بالبكاء وأمالت النوق أعناقها نحوهما، فمال الناس بأجمعهم والأمير إلى المدينة النبوية فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادهم ولله الحمد والمنة. ولما رجع هذان القارئان رتبهما ولي الأمر مع أبي بكر بن البهلول ـ وكان مقرئاً مجيداً أيضاً ـ ليصلوا بالناس صلاة التراويح في رمضان، فكثر الجمع وراءهم لحسن تلاوتهم، وكانوا يطيلون الصلاة جداً ويتناوبون في الإمامة، يقرؤون في كل ركعة بقدر ثلاثين آية، والناس لا ينصرفون من التراويح إلا في الثلث الأول من الليل، أو قريب النصف منه. وقد قرأ ابن البهلول يوماً في جامع المنصور قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]. فنهض إليه رجل صوفي وهو يتمايل فقال: كيف قلت؟ فأعاد الآية، فقال الصوفي: بلى والله، وسقط ميتاً رحمه الله. قال ابن الجوزي: وكذلك وقع لأبي الحسن بن الخشاب شيخ ابن الرفا، وكان تلميذاً لأبي بكر بن الأدمي المتقدم ذكره، وكان جيد القراءة حسن الصوت أيضاً، قرأ ابن الخشاب هذا في جامع الرصافة في الإحياء هذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ فتواجد رجل صوفي وقال: بلى والله قد آن، وجلس وبكى بكاء طويلاً، ثم سكت سكتة فإذا هو ميت رحمه الله.

وممن توفي فيها من الأعيان:

[الحسين بن محمد بن إسماعيل][(١)] أبو علي الإسكافي

ويلقب بالموفق، وكان مقدماً عند بهاء الدولة، فولاه بغداد فأخذ أموالاً كثيرة من اليهود ثم هرب إلى البطيحة، فأقام بها سنتين، ثم قدم بغداد فولاه بهاء الدولة الوزارة، وكان شهماً منصوراً في الحروب ثم عاقبه بعد ذلك وقتله في هذه السنة، عن تسع وأربعين سنة والله تعالى أعلم بالصواب.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة

فيها عاد مهذب الدولة إلى البطيحة ولم يمانعه ابن واصل، وتقرر عليه في كل سنة لبهاء الدولة خمسون ألف دينار. وفيها كان غلاء بإفريقية، بحيث تعطلت المخابز والحمامات، وذهب خلق كثير من الفناء، وهلك آخرون من شدة الغلاء، فنسأل الله حسن العافية والخاتمة آمين. وفيها أصاب الحجيج في الطريق عطش شديد بحيث هلك كثير منهم. وكانت الخطبة للمصريين والله تعالى أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

محمد بن أحمد بن موسى بن جعفر

أبو نصر البخاري، المعروف بالملاحمي، أحد الحفاظ، قدم بغداد وحدث بها عن

(١) سقط في ط.

محمود بن إسحاق عن البخاري، وروى عن الهيثم بن كليب وغيره، وحدث عنه الدارقطني، وكان من أعيان أصحاب الحديث. توفي ببخارى في شعبان منها، وقد جاوز الثمانين.

محمد بن أبي إسماعيل

علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم أبي الحسن العلوي، ولد بهمذان ونشأ ببغداد، وكتب الحديث عن جعفر الخلدي وغيره، وسمع بنيسابور من الأصم وغيره، ودرس فقه الشافعي على علي بن أبي هريرة، ثم دخل الشام فصحب الصوفية حتى صار من كبارهم، وحج مرات على الوحدة، توفي في محرم هذه السنة...

أبو الحسين أحمد بن فارس

ابن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي الرازي، صاحب المجمل في اللغة، وكان مقيماً بهمذان، وله رسائل حسان، أخذ عنه البديع صاحب المقامات، ومن رائق شعره قوله:

مَرَّتْ بِنَا هَيْفَاءُ مَجْدُولَةٌ ... تُرْكِيَّةٌ تَنْمِي لِتُرْكِيِّ
تَرْنُو بِطَرْفٍ فَاتِرٍ فَاتِنٍ ... أَضْعَفَ مِنْ حُجَّةِ نَحْوِيِّ

وله أيضاً:

إذا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلاً ... وَأَنْتَ بِهَا كَلِفٌ مُغْرَمُ
فَأَرْسِلْ حَكِيماً وَلا تُوصِهِ ... وَذَاكَ الحَكِيمُ هُوَ الدِّرْهَمُ

قال ابن خلكان: توفي سنة تسعين وثلاثمائة، وقيل سنة خمس وتسعين. والأول أشهر.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في ليلة الجمعة مستهل شعبان طلع نجم يشبه الزهرة في كبره وكثرة ضوئه عن يسار القبلة يتموج، وله شعاع على الأرض كشعاع القمر، وثبت إلى النصف من ذي القعدة، ثم غاب. وفيها ولي محمد بن الأكفاني قضاء جميع بغداد. وفيها جلس القادر بالله للأمير قرواش بن أبي حسان وأقره في إمارة الكوفة، ولقبه معتمد الدولة. وفيها قلد الشريف الرضي نقابة الطالبيين ببغداد، ولقب بالرضي ذي الحسنيين، ولقب أخوه المرتضى ذا المجدين. وفيها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فافتتح مدناً كباراً، وأخذ أموالاً جزيلة، وأسر بعض ملوكهم وهو ملك كراشي حين هرب منه لما افتتحها، وكسر أصنامها، فألبسه منطقته وشدها على وسطه بعد تمنع شديد، وقطع خنصره ثم أطلقه إهانة له، وإظهاراً لعظمة الإسلام وأهله. وفيها كانت الخطبة للحاكم العبيدي، وتجدد في الخطبة أنه إذا ذكر الخطيب الحاكم يقوم الناس كلهم إجلالاً له، وكذلك فعلوا بديار مصر مع زيادة

السجود له، وكانوا يسجدون عند ذكره، يسجد من هو في الصلاة ومن هو في الأسواق يسجدون لسجودهم، لعنه الله وقبحه.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أبو سعيد الإسماعيلي

إبراهيم بن إسماعيل أبو سعيد الجرجاني، المعروف بالإسماعيلي، ورد بغداد والدارقطني حيٌّ فحدث عن أبيه أبي بكر الإسماعيلي والأصم بن عدي، وحدث عنه الخلال والتنوخي؛ وكان ثقة فقيهاً فاضلاً، على مذهب الشافعي، عارفاً بالعربية، سخياً جواداً على أهل العلم، وله ورع ورياسة إلى اليوم في بلده في ولده. قال الخطيب البغدادي: سمعت الشيخ أبا الطيب يقول: ورد أبو سعيد الإسماعيلي بغداد فعقد له الفقهاء مجلسين تولى أحدهما أبو حامد الأسفراييني، وتولى الثاني أبو محمد الباجي، فبعث الباجي إلى القاضي المعافى بن زكريا الجريري يستدعيه إلى حضوره المجلس ليجمل بحضوره، وكانت الرسالة مع ولده أبي الفضل، وكتب على يده هذين البيتين:

إذا أَكْـرَمَ الـقَـاضِـي الـجَـلِـيـلُ وَلِـيَّـهُ ... وَصَـاحِـبَـهُ أَلْـفَـاهُ لِـلـشُّـكْـرِ مَـوْضِـعَـا

وَلِـي حَـاجَـةٌ يَـأْتِـي بُـنَـيٌّ بِـذِكْـرِهَـا ... وَيَـسْـأَلُـهُ فِـيـهَـا الـتَّـطَـوُّلَ أَجْـمَـعَـا

فأجابه الجريري مع ولد الشيخ:

دَعَـا الـشَّـيْـخُ مِـطْـوَاعـاً سَـمِـيـعـاً لِأَمْـرِهِ ... يُـوَاتِـيـهِ طـوعـاً حَـيْـثُ يَـرْسـمُ أصـنـعـا

ومـا أنَـا غَـادٍ فـي غَـدٍ نَـحْـوَ دَارِهِ ... أُبَـادِرُ مَـا قَـدْ حَـدَّهُ لِـيَ مُـسْـرِعَـا

توفي الإسماعيلي فجأة بجرجان في ربيع الآخر وهو قائم يصلي في المحراب، في صلاة المغرب، فلما قرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فاضت نفسه فمات رحمه الله.

محمد بن أحمد

ابن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد بن بجير أبو عمرو المزكي، الحافظ النيسابوري، ويعرف بالحيري، رحل إلى الآفاق في طلب العلم، وكان حافظاً جيد المذاكرة، ثقة ثبتاً، حدث ببغداد وغيرها من البلاد، وتوفي في شعبان عن ثلاث وسبعين سنة.

أبو عبد الله [بن يحيى][1] بن منده

الحافظ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبد الله الأصفهاني الحافظ، كان ثبت الحديث والحفظ، رحل إلى البلاد الشاسعة، وسمع الكثير وصنف التاريخ، والناسخ والمنسوخ. قال أبو العباس جعفر بن محمد: ما رأيت أحفظ من ابن منده، توفي في أصفهان في صفر منها.

---

(١) سقط في ط.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

فيها كان خروج أبي ركوة على الحاكم العبيدي صاحب مصر. وملخص أمر هذا الرجل أنه كان من سلالة هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، واسمه الوليد، وإنما لقب بأبي ركوة لركوة كان يصحبها في أسفاره على طريق الصوفية، وقد سمع الحديث بالديار المصرية، ثم أقام بمكة ثم رحل إلى اليمن ثم دخل الشام، وهو في غضون ذلك يبايع من انقاد له، ممن يرى عنده همة ونهضة للقيام في نصرة ولد هشام ثم إنه أقام ببعض بلاد مصر في محلة من محالّ العرب، يعلم الصبيان ويظهر التقشف والعبادة والورع، ويخبر بشيء من المغيبات، حتى خضعوا له وعظموه جداً، ثم دعا إلى نفسه وذكر لهم أنه الذي يدعى إليه من الأمويين، فاستجابوا له وخاطبوه بأمير المؤمنين، ولقب بالثائر بأمر الله المنتصر من أعداء الله، ودخل برقة في جحفل عظيم، فجمع له أهلها نحواً من مائتي ألف دينار، وأخذ رجلاً من اليهود اتهم بشيء من الودائع فأخذ منه مائتي ألف دينار أيضاً، ونقشوا الدراهم والدنانير بألقابه، وخطب بالناس يوم الجمعة ولعن الحاكم في خطبته ونعمّا فعل، فالتف على أبي ركوة من الجنود نحوٌ من ستة عشر ألفاً، فلما بلغ الحاكم أمره وما آل إليه حاله بعث بخمسمائة ألف دينار وخمسة آلاف ثوب من الحرير إلى مقدم جيوش أبي ركوة وهو الفضل بن عبد الله يستميله إليه ويثنيه عن أبي ركوة، فحين وصلت الأموال إليه رجع عن أبي ركوة وقال له: إنا لا طاقة لنا بالحاكم، وما دمت بين أظهرنا فنحن مطلوبون بسببك، فاختر لنفسك بلداً تكون فيها. فسأل أن يبعثوا معه فارسين يوصلانه إلى النوبة فإن بينه وبين ملكها مودة وصحبة، فأرسله، ثم بعث وراءه من رده إلى الحاكم بمصر، فلما وصل إليه أركبه جملاً وشهّره ثم قتله في اليوم الثاني، ثم أكرم الحاكم الفضل وأقطعه أقطاعاً كثيرة. واتفق مرض الفضل فعاده الحاكم مرتين، فلما عوفي قتله وألحقه بصاحبه. وهذه مكافأة التمساح. وفي رمضان منها عزل قرواش عما كان بيده ووليه أبو الحسن علي بن يزيد، ولقب بسند الدولة. وفيها هزم يمين الدولة محمود بن سبكتكين ملك الترك عن بلاد خراسان وقتل من الأتراك خلقاً كثيراً. وفيها قتل أبو العباس بن واصل وحمل رأسه إلى بهاء الدولة فطيف به بخراسان وفارس. وفيها ثارت على الحجيج وهم بالطريق ريح سوداء مظلمة جداً، واعترضهم ابن الجراح أمير الأعراب فاعتاقهم عن الذهاب ففاتهم الحج فرجعوا إلى بلادهم فدخلوها في يوم التروية فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكانت الخطبة بالحرمين للمصريين. وفيها توفي من الأعيان:

عبد الصمد بن عمر بن إسحاق

أبو القاسم الدينوري الواعظ الزاهد، قرأ القرآن ودرس على مذهب الشافعي على أبي سعيد الاصطخري، وسمع الحديث من النجاد، وروى عنه الصيمري، وكان ثقة صالحاً، يضرب به المثل في مجاهدة النفس، واستعمال الصدق المحض، والتعفف والتفقه

والتقشف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن وعظه ووقعه في القلوب، جاءه يوماً رجل بمائة دينار فقال: أنا غني عنها، قال خذها ففرقها على أصحابك هؤلاء، فقال: ضعها على الأرض. فوضعها ثم قال للجماعة: ليأخذ كل واحد منكم حاجته منها، فجعلوا يأخذون بقدر حاجاتهم حتى أنفذوها، وجاء ولده بعد ذلك فشكى إليه حاجتهم فقال: اذهب إلى البقال فخذ على ربع رطل تمر. ورآه رجل وقد اشترى دجاجة وحلواء فتعجب من ذلك فاتبعه إلى دار فيها امرأة ولها أيتام فدفعها إليهم، وقد كان يدق السعد للعطارين بالأجرة ويقتات منه، ولما حضرته الوفاة جعل يقول: سيدي لهذه الساعة خبأتك. توفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة منها، وصلي عليه بجامع المنصوري، ودفن بمقبرة الإمام أحمد.

أبو العباس بن واصل

صاحب سيراف والبصرة وغيرهما، كان أولاً يخدم بالكرخ، وكان منصوراً له أنه سيملك، كان أصحابه يهزؤون به، فيقول أحدهم: إذا ملكت فأي شيء تعطيني؟ ويقول الآخر: ولّني، ويقول الآخر: استخدمني، ويقول الآخر: اخلع علي، فقدر له أنه تقلبت به الأحوال حتى ملك سيراف والبصرة، وأخذ بلاد البطيحة من مهذب الدولة، وأخرجه منها طريداً، بحيث إنه احتاج في أثناء الطريق إلى أن ركب بقرة. واستحوذ ابن واصل على ما هناك، وقصد الأهواز وهزم بهاء الدولة، ثم ظفر به بهاء الدولة فقتله في شعبان منها، وطيف برأسه في البلاد.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

فيها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند، ففتح حصوناً كثيرة، وأخذ أموالاً جزيلة وجواهر نفيسة، فكان في جملة ما وجد بيت طوله ثلاثون ذراعاً، وعرضه خمسة عشر ذراعاً مملوء فضة، ولما رجع إلى غزنة بسط هذه الأموال كلها في صحن داره وأذن لرسل الملك فدخلوا عليه فرأوا ما بهرهم وهالهم. وفي يوم الأربعاء الحادي عشر من ربيع الآخر وقع ببغداد ثلج عظيم، بحيث بقي على وجه الأرض ذراعاً ونصفاً، ومكث أسبوعاً لم يذب، وبلغ سقوطه إلى تكريت والكوفة وعبادان والنهروان. وفي هذا الشهر كثرت العملات جهرة وخفية، حتى من المساجد والمشاهد ثم ظفر أصحاب الشرطة بكثير منهم فقطعوا أيديهم وكحلوهم[1] [وخمدت الفتنة والله أعلم][2].

قصة مصحف ابن مسعود وتحريقه

«على فتيا الشيخ أبي حامد الأسفراييني فيما ذكره ابن الجوزي في منتظمه».

وفي عاشر رجب جرت فتنة بين السنة والرافضة، سببها أن بعض الهاشميين قصد أبا

(١) كحلوهم: سملوا عيونهم. (٢) سقط في ط.

عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم ـ وكان فقية الشيعة ـ في مسجده بدرب رباح، فعرض له بالسبّ فثار أصحابه له واستنفر أصحاب الكرخ وصاروا إلى دار القاضي أبي محمد الأكفاني والشيخ أبي حامد الأسفراييني، فجرت فتنة عظيمة طويلة، وأحضرت الشيعة مصحفاً ذكروا أنه مصحف عبد الله بن مسعود، وهو مخالف للمصاحف كلها، فجمع الأشراف والقضاة والفقهاء في يوم جمعة لليلة بقيت من رجب، وعرض المصحف عليهم فأشار الشيخ أبو حامد الأسفراييني والفقهاء بتحريقه، ففعل ذلك بمحضر منهم، فغضب الشيعة من ذلك غضباً شديداً، وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبونه، وقصد جماعة من أحداثهم دار الشيخ أبي حامد ليؤذوه فانتقل منها إلى دار القطن، وصاحوا يا حاكم يا منصور، وبلغ ذلك الخليفة فغضب وبعث أعوانه لنصرة أهل السنة، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة، وجرت خطوب شديدة، وبعث عميد الجيوش إلى بغداد لينفي عنها ابن المعلم فقيه الشيعة، فأخرج منها ثم شفع فيه، ومنعت القصاص من التعرض للذكر والسؤال باسم الشيخين وعلي رضي الله عنهم، وعاد الشيخ أبو حامد إلى داره على عادته. وفي شعبان منها زلزلت الدينور زلزالاً شديداً، وسقطت منها دور كثيرة [وهلك تحت الهدم ستة عشر ألفاً غير من انساخت به الأرض][1] وهلك للناس شيء كثير من الأثاث والأمتعة، وهبت ريح سوداء شديدة بدقوقي وتكريت وشيراز، فأتلفت كثيراً من المنازل والنخيل والزيتون، وقتلت خلقاً كثيراً، وسقط بعض شيراز ووقعت رجفة بشيراز غرق بسببها مراكب كثيرة في البحر. ووقع بواسط برد زنة الواحدة مائة درهم وستة دراهم، ووقع ببغداد في رمضان ـ وذلك في أيار ـ مطر عظيم سالت منه المزاريب.

تخريب قمامة في هذه السنة

وفيها أمر الحاكم بتخريب قمامة وهي كنيسة النصارى ببيت المقدس، وأباح للعامة ما فيها من الأموال والأمتعة وغير ذلك، وكان سبب ذلك البهتان الذي يتعاطاه النصارى في يوم الفصح من النار التي يحتالون بها، وهي التي يوهمون جهلتهم أنها نزلت من السماء، وإنما هي مصنوعة بدهن البيلسان في خيوط الإبريسم، والرقاع المدهونة بالكبريت وغيره، بالصنعة اللطيفة التي تروج على الطغام منهم والعوام، وهم إلى الآن يستعملونها في ذلك المكان بعينه وكذلك هدم في هذه السنة عدة كنائس ببلاد مصر، ونودي في النصارى: من أحب الدخول في دين الإسلام دخل ومن لا يدخل فليرجع إلى بلاد الروم آمناً، ومن أقام منهم على دينه فليلتزم بما شرط عليهم من الشروط التي زادها الحاكم على العمرية، من تعليق الصلبان على صدورهم، وأن يكون الصليب من خشب زنته أربعة أرطال، وعلى اليهود تعليق رأس العجل زنته ستة أرطال. وفي الحمام يكون في عنق الواحد منهم قربة زنة خمسة أرطال، بأجراس، وأن لا يركبوا خيلاً. ثم بعد هذا كله أمر بإعادة بناء الكنائس التي هدمها

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

وأذن لمن أسلم منهم في الارتداد إلى دينه. وقال ننزه مساجدنا أن يدخلها من لا نية له، ولا يعرف باطنه، قبحه الله.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أبو محمد الباجي

سبق ذكره اسمه عبد الله بن محمد الباجي البخاري الخوارزمي، أحد أئمة الشافعية، تفقه على أبي القاسم الداركي ودرس مكانه، وله معرفة جيدة بالأدب والفصاحة والشعر، جاء مرة ليزور بعض أصحابه فلم يجده في المنزل فكتب هذه الأبيات:

قَدْ حَضَرْنَا وَلَيْسَ نَقْضِي التَّلاقِي ... نَسْأَلُ اللهَ خَيْرَ هَذَا الفِرَاقِ
إنْ تَغِبْ لم أغِبْ وَإنْ لَمْ تَغِبْ ... غِبْتُ كَأَنَّ افْتَرَاقَنَا بِاتِّفَاقِ

توفي في محرم هذه السنة، وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية.

عبد الله بن أحمد

ابن علي بن الحسين، أبو القاسم المعروف بالصيدلاني، وهو آخر من حدث عن ابن صاعد من الثقات، وروى عنه الأزهري، وكان ثقة مأموناً صالحاً. توفي في رجب من هذه السنة وقد جاوز التسعين والله تعالى أعلم.

الببغاء الشاعر: عبد الواحد بن نصر بن محمد، أبو الفرج المخزومي، الملقب بالببغاء، توفي في شعبان من هذه السنة، وكان أديباً فاضلاً مترسلاً شاعراً مطبقاً، فمن ذلك قوله:

يا مَنْ تَشَابَهَ مِنْهُ الخَلْقُ وَالخُلُقُ ... فَمَا تُسَافِرُ إلاَّ نَحْوَهُ الحَدَقُ
فَوَرْدُ دَمْعِيَ مِنْ خَدَّيْكَ مُخْتَلَسٌ ... وَسُقْمُ جِسْمِيَ مِنْ جَفْنَيْكَ مُسْتَرَقُ
لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُو هَوَاكَ بِهِ ... وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مَنْ بِهِ رَمَقُ

محمد بن يحيى

أبو عبد الله الجرجاني، أحد العلماء الزهاد العباد، المناظرين لأبي بكر الرازي، وكان يدرس في قطيعة الربيع، وقد فلج في آخر عمره، وحين مات دفن مع أبي حنيفة.

بديع الزمان

صاحب المقامات، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد. أبو الفضل الهمذاني، الحافظ المعروف ببديع الزمان، صاحب الرسائل الرائقة، والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحريري، واقتفى أثره وشكر تقدمه، واعترف بفضله، وقد كان أخذ اللغة عن ابن فارس، ثم برز، وكان أحد الفضلاء الفصحاء، ويقال إنه سم وأخذته سكتة، فدفن سريعاً، ثم عاش في قبره وسمعوا صراخه فنبشوا عنه فإذا هو قد مات وهو آخذ على لحيته من هول

القبر، وذلك يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة منها، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

فيها قتل أبو علي بن ثمال نائب الرحبة من طرف الحاكم العبيدي، قتله عيسى بن خلاط العقيلي، وملكها، فأخرجه منها عباس بن مرداس صاحب حلب وملكها، وفيها صرف عمرو بن عبد الواحد عن قضاء البصرة ووليه أبو الحسن بن أبي الشوارب، فذهب الناس يهنون هذا ويعزون هذا، فقال في ذلك العصفري:

عِنْدِي حَدِيثٌ ظَرِيفٌ ... بِمِثْلِهِ يُتَغَنَّى
مِنْ قَاضِيَيْنِ يُعَزَّى ... هٰذا وَهٰذا يُهَنَّا
فَذَا يَقُولُ اكْرَهُونِي ... وَذَا يَقُولُ اسْتَرَحْنَا
وَيَكْذِبَانِ جَمِيعاً ... وَمَنْ يُصَدِّقُ مِنَّا

وفي شعبان من هذه السنة عصفت ريح شديدة فألقت وحلاً أحمر في طرقات بغداد. وفيها هبت على الحجاج ريح سوداء مظلمة واعترضهم الأعراب فصدوهم عن السبيل، واعتاقوهم حتى فاتهم الحج فيها فرجعوا، وأخذت بنو هلال طائفة من حجاج البصرة نحواً من ستمائة واحد، وأخذوا منهم نحواً من ألف ألف دينار، وكانت الخطبة للمصريين.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عبد الله بن بكر بن محمد بن الحسين

أبو أحمد الطبراني، سمع بمكة وبغداد وغيرهما من البلاد، وكان مكرماً، سمع منه الدارقطني وعبد الغني بن سعيد ثم أقام بالشام بالقرب من جبل عند بانياس يعبد الله تعالى إلى أن مات في ربيع الأول منها.

محمد بن علي بن الحسين

أبو مسلم كاتب الوزير ابن خنزابة، روى عن البغوي وابن صاعد وابن دريد وابن أبي داود وابن عرفة وابن مجاهد وغيرهم، وكان آخر من بقي من أصحاب البغوي، وكان من أهل العلم والحديث والمعرفة والفهم، وقد تكلم بعضهم في روايته عن البغوي لأن أصله كان غالباً مفسوداً. وذكر الصوري أنه خلط في آخر عمره.

أبو الحسن علي بن أبي سعيد

عبد الواحد بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري، صاحب كتاب الزيج الحاكمي في أربعة مجلدات، كان أبوه من كبار المحدثين الحفاظ، وقد وضع لمصر تاريخاً نافعاً يرجع العلماء إليه فيه، وأما هذا فإنه اشتغل في علم النجوم فنال من شأنه منالاً جيداً، وكان شديد الاعتناء بعلم الرصد وكان مع هذا مغفلاً سيىء الحال، رث الثياب،

طويلاً يتعمم على طرطور طويل، ويتطيلس فوقه، ويركب حماراً، فمن رآه ضحك منه، وكان يدخل على الحاكم فيكرمه ويذكر من تغفله ما يدل على عدم اعتنائه بأمر نفسه، وكان شاهداً معدلاً، وله شعر جيد، فمنه ما ذكره ابن خلكان.

أُحَمِّلُ نَشْرَ الرِّيحِ عِنْدَ هُبُوبِهِ رِسَالَةَ مُشْتَاقٍ إلى فِي حَبِيبِهِ[1]
بِنَفْسِيَ مَنْ تَحْيَا النفوس بريقه وَمَنْ طَابَتِ الدُّنْيَا بِهِ وَبِطِيبِهِ
يجدد وَجْدِي طَائِفٌ مِنْهُ في الكَرَا سَرَى مَوْهِناً في جَفْنِهِ مِنْ رَقِيبِهِ
لَعَمْرِي لَقَدْ عَطَّلْتُ كَأْسِيَ بَعْدَهُ وَغَيَّبْتُهَا عَنِّي لِطُولِ مَغِيبِهِ

تمنّي أم أمير المؤمنين القادر بالله

مولاة عبد الواحد بن المقتدر، كانت من العابدات الصالحات، ومن أهل الفضل والدين توفيت ليلة الخميس الثاني والعشرين من شعبان منها، وصلّى عليها ابنها القادر، وحملت بعد العشاء إلى الرصافة.

ثم دخلت سنة أربعمائة من الهجرة [النبوية][2]

في ربيع الآخر منها نقصت دجلة نقصاً كثيراً، حتى ظهرت جزائر لم تغرق، وامتنع سير السفن في أعاليها من أذنة والراشدية، فأمر بكري تلك الأماكن وفيها كمل السور على مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي بناه أبو إسحاق الأجاني، وذلك أن أبا محمد بن سهلان مرض فنذر إن عوفي ليبنينه فعوفي. وفي رمضان أرجف[3] الناس بالخليفة القادر بالله بأنه مات فجلس الناس يوم جمعة بعد الصلاة وعليه البردة (وبيده) القضيب، وجاء الشيخ أبو حامد الأسفراييني فقبل الأرض بين يديه وقرأ ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦٠] الآيات فتباكى الناس ودعوا وانصرفوا وهو فراحاً. وفيها ورد الخبر بأن الحاكم أنفذ إلى دار جعفر بن محمد الصادق بالمدينة فأخذ منها مصحفاً وآلات كانت بها، وهذه الدار لم تفتح بعد موت صاحبها إلى هذا الآن، وكان مع المصحف قعب[4] خشب مطوق بحديد ودرقة خيزران وحربة وسرير، حمل ذلك كله جماعة من العلويين إلى الديار المصرية، فأطلق لهم الحاكم أنعاماً كثيرة ونفقات زائدة، ورد السرير وأخذ الباقي، وقال: أنا أحق به. فردوا وهم ذامون له داعون عليه. وبنى الحاكم فيها داراً للعلم وأجلس فيها الفقهاء، ثم بعد ثلاث سنين هدمها وقتل خلقاً كثيراً ممن كان فيها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير. وفيها عمر الجامع المنسوب إليه بمصر وهو جامع الحاكم،

---

(١) إلى فيّ حبيبه: أي إلى فم حبيبه.

(٢) سقط في ط.

(٣) الإرجاف: الخوض في ذكر الفتن والفساد.

(٤) القعب: القدح الضخم الغليظ.

وتأنق في بنائه. وفي ذي الحجة منها أعيد المؤيد هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الأموي إلى ملكه بعد خلعه وحبسه مدة طويلة، وكانت الخطبة بالحرمين للحاكم صاحب مصر والشام.

أبو أحمد الموسوي النقيب

الحسن بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الموسوي، والد الرضي والمرتضى، ولِّي نقابة الطالبيين مرات نحواً من خمس مرات، يعزل ويعاد، ثم أخر في آخر عمره، وتوفي عن سبع وتسعين سنة، وصلَّى عليه ابنه المرتضى، ودفن في مشهد الحسين. وقد رثاه ابنه المرتضى في قصيدة حسنة قوية المنزع والمطلع فمنها:

سَلامُ اللهِ تَنْقُلُهُ اللَّيَالِي ... وَتُهْدِيهِ الغُدُوُّ إلى الرَّوَاحِ[1]
عَلَى جَدَثٍ حَسِيبٍ مِنْ لُؤَيٍّ ... لِيَنْبُوعِ العِبَادَةِ وَالصَّلاحِ
فَتًى لَمْ يَرْوَ إلاَّ مِنْ حَلالٍ ... وَلَمْ يَكُ زَادُهُ إلا المُبَاحِ
وَلا دَنِسَتْ لَهُ أُزُرٌ[2] لِزور ... وَلا عَلِقَتْ لَهُ رَاحٌ بِرَاحِ
خَفِيفُ الظَّهْرِ مِنْ ثِقَلِ الخَطَايَا ... وَعُرْيَانُ الجوانح مِنْ جُنَاحِ
مَشُوقٌ فِي الأمُورِ إلى عُلاهَا ... وَمَدْلُولٌ عَلَى بَابِ النَّجَاحِ
مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ لَهُمْ قُلُوبٌ ... بِذِكْرِ اللهِ عَامِرَةُ النَّوَاحِي
بِأَجْسَامٍ مِنَ التَّقْوَى مِرَاضٍ ... لِنُضْرَتِهَا وَأَدْيَانٍ صِحَاح

الحجاج بن هرمز أبو جعفر

نائب بهاء الدولة على العراق، وكان تليده لقتال الأعراب والأكراد، وكان من المقدمين في أيام عضد الدولة، وكانت له خبرة تامة بالحرب، وحزمة شديدة، وشجاعة تامة وافرة، وهمة عالية، وآراء سديدة. ولما خرج من بغداد في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة كثرت بها الفتن. توفي بالأهواز عن مائة سنة وخمس سنين. رحمه الله.

أبو عبد الله بن القمي المصري التاجر

كان ذا مال جزيل جداً، اشتملت تركته على أزيد من ألف ألف دينار، من سائر أنواع المال. توفي بأرض الحجاز ودفن بالمدينة النبوية عند قبر الحسن بن علي، رضي الله عنهم.

أبو الحسين بن الرفا المقري

تقدم ذكره وقراءته على كبير الأعراف في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن وأحلاهم أداء رحمه الله.

---

(١) الغدو والرواح: الصباح والمساء.
(٢) الأزر: جمع إزار وهو الثوب.

ثم دخلت سنة إحدى وأربعمائة

في يوم الجمعة الرابع من المحرم منها خطب بالموصل للحاكم العبيدي عن أمر صاحبها قرواش بن مقلد أبي منيع، وذلك لقهره رعيته، وقد سرد ابن الجوزي صفة الخطبة بحروفها. وفي آخر الخطبة صلّوا على آبائه المهدي ثم ابنه القائم ثم المنصور، ثم ابنه المعز، ثم ابنه العزيز، ثم ابنه الحاكم صاحب الوقت، وبالغوا في الدعاء لهم، ولا سيما للحاكم، وكذلك تبعته أعمالها من الأنبار والمدائن وغيرهما. وكان سبب ذلك أن الحاكم ترددت مكاتباته ورسله. وهداياه إلى قرواش يستميله إليه، وليقبل بوجهه عليه، حتى فعل ما فعل من الخطبة وغيرها فلما بلغ الخبر القادر بالله العباسي كتب يعاتب قرواش على ما صنع، ونفذ بهاء الدولة إلى عميد الجيوش بمائة ألف دينار لمحاربة قرواش. فلما بلغ قرواشاً رجع عن رأيه وندم على ما كان منه، وأمر بقطع الخطبة للحاكم من بلاده، وخطب للقادر على عادته. قال ابن الجوزي: ولخمس بقين من رجب زادت دجلة زيادة كثيرة واستمرت الزيادة إلى رمضان، وبلغت أحداً وعشرين ذراعاً وثلثاً، ودخل إلى أكثر دور بغداد، وفيها رجع الوزير أبو خلف إلى بغداد ولقب فخر الملك بعميد الجيوش. وفيها عصى أبو الفتح الحسن بن جعفر العلوي ودعا إلى نفسه وتلقب بالراشد بالله. ولم يحج فيها أحد من أهل العراق والخطبة للحاكم.

وممن توفي فيها من الأعيان أبو مسعود صاحب الأطراف.

إبراهيم بن محمد بن عبيد

أبو مسعود الدمشقي الحافظ الكبير، مصنف كتاب الأطراف على الصحيحين، رحل إلى بلاد شتى كبغداد والبصرة والكوفة وواسط وأصبهان وخراسان، وكان من الحفاظ الصادقين، والأمناء الضابطين، ولم يرو إلا اليسير، روى عنه أبو القاسم وأبو ذر الهروي، وحمزة السهمي، وغيرهم. توفي ببغداد في رجب وأوصى إلى أبي حامد الأسفراييني فصلّى عليه، ودفن في مقبرة جامع المنصور قريباً من السكك [رحمه الله سبحانه]، وقد ترجمه ابن عساكر وأثنى عليه والله أعلم.

عميد الجيوش

الحسن بن أبي جعفر أستاذ هرمز ولد سنة خمسين وثلاثمائة، وكان أبوه من حجاب عضد الدولة، وولاّه بهاء الدولة وزارته سنة اثنتين وتسعين، والشرور كثيرة منتشرة، فمهد البلاد وأخاف العيارين واستقامت به الأمور، وأمر بعض غلمانه أن يحمل صينية فيها دراهم مكشوفة من أول بغداد إلى آخرها وأن يدخل بها في جميع الأزقة، فإن اعترضه أحد فليدفعها إليه وليعرف ذلك المكان، فذهب الغلام فلم يعترضه أحد، فحمد الله وأثنى عليه، ومنع الروافض النياحة في يوم عاشوراء، وما يتعاطونه من الفرح في يوم ثامن عشر من ذي

الحجة الذي يقال له عيد غدير خم، وكان عادلاً منصفاً [رحمه الله].

خلف الواسطي

صاحب الأطراف أيضاً، خلف بن محمد بن علي بن حمدون، وأبو محمد الواسطي رحل إلى البلاد وسمع الكثير ثم عاد إلى بغداد، ثم رحل إلى الشام ومصر، وكتب الناس عنه بانتخابه، وصنف أطرافاً على الصحيحين، وكانت له معرفة تامة، وحفظ جيد، ثم عاد إلى بغداد واشتغل بالتجارة وترك النظر في العلم حتى توفي في هذه السنة سامحه الله. روى عنه الأزهري.

أبو عبيد الهرويّ

صاحب الغريبين، أحمد بن محمد بن أبي عبيد العبدي أبو عبيد الهروي اللغوي البارع، كان من علماء الناس في الأدب واللغة، وكتابه الغريبين، في معرفة غريب القرآن والحديث، يدل على اطلاعه وتبحره في هذا الشأن، وكان من تلامذة أبي منصور الأزهري. قال ابن خلكان: وقيل كان يحب التنزه ويتناول في خلوته ما لا يجوز، ويعاشر أهل الأدب في مجلس اللذة والطرب، والله أعلم. سامحه الله. قال: وكانت وفاته في رجب سنة إحدى وأربعمائة.

وذكر ابن خلكان أن في هذه السنة أو التي قبلها كانت وفاة البستي الشاعر وهو:

علي بن محمد بن الحسين بن يوسف الكاتب

صاحب الطريقة الأنيقة والتجنيس الأنيس، البديع التأسيس، والحذاقة والنظم والنثر، وقد ذكرناه ومما أورد له ابن خلكان قوله: من أصلح فاسده أرغم حاسده، ومن أطاع غضبه أضاع أدبه. من سعادة جدك[1] وقوفك عند حدك. المنية تضحك من الأمنية. الرشوة رشا[2] الحاجات، حد العفاف الرضى بالكفاف. ومن شعره:

إنْ هَزَّ أَقْلامَهُ يَوْماً لِيُعْمِلَها ... أَنْسَاكَ كُلَّ كَمِيٍّ هَزَّ عَامِلَهُ[3]
وَإنْ أَمَرَّ عَلَى رَقٍّ أَنَامِلَهُ ... أَقَرَّ بِالرِّقِّ كُتَّابُ الأَنَامِ لَهُ

وله:

إذا تَحَدَّثْتَ فِي قَوْمٍ لِتُؤْنِسَهُمْ ... بِمَا تُحَدِّثُ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِ
فَلا تُعِدِ لِحَدِيثَ إنَّ طَبْعَهُمُ ... مُوَكَّلٌ بِمُعَادَاةِ الْمُعَادَاتِ

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعمائة

في المحرم منها أذن فخر الملك الوزير للروافض أن يعملوا بدعتهم الشنعاء،

---

(١) الجدّ: الحظ. (٢) الرشاء: الحبل. (٣) العامل: الرمح.

والفضيحة الصلعاء، من الانتحاب والنوح والبكاء، وتعليق المسوح، وأن تغلق الأسواق من الصباح إلى المساء، وأن تدور النساء حاسرات عن وجوههن ورؤوسهن، يلطمن خدودهن، كفعل الجاهلية الجهلاء، على الحسين بن علي، فلا جزاه الله خيراً، وسوّد الله وجهه يوم الجزاء، إنه سميع الدعاء. وفي ربيع الآخر أمر القادر بعمارة مسجد الكف بقطيعة الدقيق، وأن يعاد إلى أحسن ما كان، ففعل ذلك وزخرف زخرفة عظيمة جداً، فإنا لله وإنا إليه راجعون [والله تعالى أعلم].

ذكر الطعن من أئمة بغداد وعلمائهم في نسب الفاطميين

وفي ربيع الآخر منها كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين وهم ملوك مصر وليسوا كذلك، وإنما نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمي، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعدول، والصالحين والفقهاء، والمحدثين، وشهدوا جميعاً أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار، ابن معد بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد، لا أسعده الله، فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله، وتلقب بالمهدي، وأن من تقدم من سلفه [من الأنجاس الأرجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين][1] أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلقون بسبب وأنه منزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات علي بن أبي طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبة، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشراً انتشاراً يمنع أن يدلس أمرهم على أحد، أو يذهب وهم إلى تصديقهم بما ادعوه، وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار، ملحدون زنادقة، معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء وسبُّوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية، وكتب في سنة اثنتين وأربعمائة، وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير، فمن العلويين: المرتضى والرضي وابن الأزرق الموسوي، وأبو طاهر بن أبي الطيب، ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبي يعلى. ومن القضاة أبو محمد بن الأكفاني وأبو القاسم الجزري، وأبو العباس بن الشيوري. ومن الفقهاء أبو حامد الأسفرايني وأبو محمد بن الكسفلي، وأبو الحسن القدوري، وأبو عبد الله الصيمري، وأبو عبد الله البيضاوي، وأبو علي بن حمكان. ومن الشهود أبو القاسم التنوخي في كثير منهم، وكتب فيه خلق كثير. هذه عبارة أبي الفرج بن الجوزي.

قلت: ومما يدل على أن هؤلاء أدعياء كذبة، كما ذكر هؤلاء السادة العلماء، والأئمة الفضلاء، وأنهم لا نسب لهم إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى فاطمة كما يزعمون، قول

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

ابن عمر للحسين بن علي حين أراد الذهاب إلى العراق، وذلك حين كتب عوام أهل الكوفة بالبيعة إليه فقال له ابن عمر: لا تذهب إليهم فإني أخاف عليك أن تقتل، وإن جدك قد خيِّر بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا، وأنت بضعة منه، وإنه والله لا تنالها لا أنت ولا أحد من خلفك ولا من أهل بيتك. فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول، من هذا الصحابي الجليل، يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمد بن عبد الله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى ابن مريم، رغبة بهم عن الدنيا وأن لا يدنسوا بها. ومعلوم أن هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة، فدل ذلك دلالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل البيت، كما نص عليه سادة الفقهاء. وقد صنف القاضي الباقلاني كتاباً في الرد على هؤلاء وسماه «كشف الأسرار وهتك الأستار» بين فيه فضائحهم وقبائحهم، ووضح أمرهم لكل أحد، ووضوح أمرهم ينبىء عن مطاوي أفعالهم، وأقوالهم، وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم: هؤلاء قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض. والله سبحانه أعلم.

وفي رجب وشعبان ورمضان أجرى الوزير فخر الملك صدقات كثيرة على الفقراء والمساكين والمقيمين بالمشاهد والمساجد وغير ذلك، وزار بنفسه المساجد والمشاهد، وأخرج خلقاً من المحبوسين وأظهر نسكاً كثيراً، وعمر داراً عظيمة عند سوق الدقيق. وفي شوال عصفت ريح شديدة فقصفت كثيراً من النخل وغيره، أكثر من عشرة آلاف نخلة، وورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بأنه ركب بجيشه إلى أرض العدو فجازوا بمفازة فأعوزهم الماء حتى كادوا يهلكون عن آخرهم عطشاً، فبعث الله لهم سحابة فأمطرت عليهم حتى شربوا وسقوا واستقوا، ثم تواقفوا هم وعدوهم، ومع عدوهم نحو من ستمائة فيل، فهزموا العدو وغنموا شيئاً كثيراً من الأموال ولله الحمد. وفيها عملت الشيعة بدعتهم التي كانوا يعملونها يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وزينت الحوانيت وتمكنوا بسبب الوزير وكثير من الأتراك تمكناً كثيراً [فإنا لله وإنا إليه راجعون].

وفيها توفي من الأعيان:

الحسن بن الحسن بن علي بن العباس

ابن نوبخت أبو محمد النوبختي، ولد سنة عشرين وثلاثمائة، وروي عن المحاملي وغيره وعنه البرقاني، وقال كان شيعياً معتزلياً، إلا أنه تبين لي أنه كان صدوقاً، وروى عنه الأزهري وقال إنه كان رافضياً، رديء المذهب. وقال العقيقي: كان فقيراً في الحديث، ويذهب إلى الاعتزال والله أعلم.

عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلاني

أحد الزهاد الكبار المشهورين، كانت له نخلات يأكل منها ويعمل بيده في البواري، ويأكل من ذلك، وكان في غاية الزهادة والعبادة الكثيرة، وكان لا يخرج من مسجده إلا من

يوم الجمعة إلى يوم الجمعة، لأجل صلاة الجمعة ثم يعود إلى مسجده، وكان لا يجد شيئاً يشعله في مسجده، فسأله بعض الأمراء أن يقبل شيئاً ولو زيتاً يشعله في قناديل مسجده، فأبى الشيخ ذلك، ولهذا وأمثاله لما مات رأى بعضهم بعض الأموات من جيرانه في القبور فسأله عن جواره فقال: وأين هو، لما مات ووضع في قبره سمعنا قائلاً يقول: إلى الفردوس الأعلى، إلى الفردوس الأعلى. أو كما قال: توفي في رجب منها عن ست وثمانين سنة.

محمد بن جعفر بن محمد

ابن هارون بن فروة بن ناجية، أبو الحسن النحوي، المعروف بابن النجار التميمي الكوفي، قدم بغداد وروى عن ابن دريد والصولي ونفطويه وغيرهم، توفي في جمادى الأولى منها عن سبع وتسعين سنة.

أبو الطيب سهل بن محمد

الصعلوكي النيسابوري، قال أبو يعلى الخليلي: توفي فيها، وقد ترجمناه في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة

في سادس عشر محرمها قلد الشريف الرضي أبو الحسن الموسوي نقابة الطالبيين في سائر الممالك وقرىء تقليده في دار الوزير فخر الملك، بمحضر الأعيان، وخلع عليه السواد، وهو أول طالبي خلع عليه السواد. وفيها جيء بأمير بني خفاجة أبو قلنبة قبحه الله وجماعة من رؤوس قومه أسارى، وكانوا قد اعترضوا للحجاج في السنة التي قبلها وهم راجعون، وغوروا المناهل[1] التي يردها الحجاج، ووضعوا فيها الحنظل[2] بحيث إنه مات من الحجاج من العطش نحو من خمسة عشر ألفاً، وأخذوا بقيتهم فجعلوهم رعاة لدوابهم في أسوأ حال، وأخذوا جميع ما كان معهم، فحين حضروا عن دار الوزير سجنهم ومنعهم الماء، ثم صلبهم يرون صفاء الماء ولا يقدرون على شيء منه، حتى ماتوا عطشاً جزاء وفاقاً، وقد أحسن في هذا الصنيع اقتداء بحديث أنس في الصحيحين. ثم بعث إلى أولئك الذين اعتقلوا في بلاد بني خفاجة من الحجاج فجيء بهم، وقد تزوجت نساؤهم وقسمت أموالهم، فردوا إلى أهاليهم وأموالهم. قال ابن الجوزي: وفي رمضان منها انقضّ كوكب من المشرق إلى المغرب غلب ضوء علا ضوء القمر، وتقطع قطعاً وبقي ساعة طويلة. قال: وفي شوال توفيت زوجة بعض رؤساء النصارى، فخرجت النوائح والصلبان معها جهاراً، فأنكر ذلك بعض الهاشميين فضربه بعض غلمان ذلك الرئيس النصراني بدبوس في رأسه فشجه، فثار المسلمون بهم فانهزموا حتى لجؤوا إلى كنيسة لهم هناك، فدخلت العامة إليها

(١) المناهل: منابع الماء حيث يكون الورود.

(٢) الحنظل: نبات شديد المرارة.

فنهبوا ما فيها، وما قرب منها من دور النصارى، وتتبعوا النصارى في البلد، وقصدوا دار الناصح وابن أبي إسرائيل فقاتلهم غلمانهم، وانتشرت الفتنة ببغداد، ورفع المسلمون المصاحف في الأسواق، وعطلت الجمع في بعض الأيام، واستعانوا بالخليفة، فأمر بإحضار ابن أبي إسرائيل فامتنع، فعزم الخليفة على الخروج من بغداد، وقويت الفتنة جداً ونهبت دور كثير من النصارى، ثم أحضر ابن أبي إسرائيل فبذل أموالاً جزيلة، فعفى عنه وسكنت الفتنة. وفي ذي القعدة ورد كتاب يمين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة فذكر أنه ورد إليه رسول من الحاكم صاحب مصر ومعه كتاب يدعوه إلى طاعته فبصق فيه وأمر بتحريقه، وأسمع رسوله غليظ ما يقال. وفيها قلد أبو نصر بن مروان الكردي آمد وميافارقين وديار بكر، وخلع عليه طوق وسواران، ولقب بناصر الدولة، ولم يتمكن ركب العراق وخراسان من الذهاب الحج لفساد الطريق، وغيبة فخر الملك في إصلاح الأراضي.

وفيها عادت مملكة الأمويين ببلاد الأندلس فتولى فيها سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموي، ولقب بالمستعين بالله، وبايعه الناس بقرطبة. وفيها مات **بهاء الدولة بن بويه الديلمي** صاحب بغداد وغيرها، وقام بالأمر من بعده ولده سلطان الدولة أبو شجاع. وفيها مات ملك الترك الأعظم واسمه **إيلك الخان**، وتولى مكانه أخوه طغا خان. وفيها هلك شمس المعالي قابوس بن وشمكير، أدخل بيتاً بارداً في الشتاء وليس عليه ثياب حتى مات كذلك، وولّي الأمر من بعده منوجهر، ولقب فلك المعالي، وخطب لمحمود بن سبكتكين، وقد كان شمس المعالي قابوس عالماً فاضلاً أديباً شاعراً، فمن شعره قوله:

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ[1] عَيَّرَنَا ... هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إلاَّ مَنْ لَهُ خَطَرُ
أَمَا تَرَى البَحْرَ يَطْفُو فَوْقَهُ جِيَفٌ ... وَيَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ
فَإِنْ تَكُنْ نَشِبَتْ أَيْدِي الخُطُوبِ بِنَا ... وَمَسَّنَا مِنْ تَوَالِي صَرْفِهَا ضَرَرُ
فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ غَيْرُ ذِي عَدَدِ ... وَلَيْسَ يُكْشَفُ إلاَّ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ

ومن مستجاد شعره قوله:

خَطَرَاتُ ذِكْرِكَ تَسْتَثِيرُ مَوَدَّتِي ... فَأُحِسُّ مِنْهَا في الفُؤَادِ دَبِيبَا[2]
لا عُضْوَ لي إلاَّ وَفِيهِ صَبَابَةٌ ... وَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبَا[3]

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن علي أبو الحسن الليثي

كان يكتب للقادر وهو بالبطيحة، ثم كتب له على ديوان الخراج والبريد، وكان يحفظ

(١) صروف الدهر: أحداثه.
(٢) تستثير: أي تثير، والدبيب: أثر السير ووقع الأقدام.
(٣) الصبابة: العشق وشدة الشوق.

القرآن حفظاً حسناً، مليح الصوت والتلاوة، حسن المجالسة، ظريف المعاني، كثير الضحك والمجانة، خرج في بعض الأيام هو والشريفان الرضي والمرتضى وجماعة من الأكابر لتلقي بعض الملوك، فخرج بعض اللصوص فجعلوا يرمونهم بالحرّاقات ويقولون: يا أزواج القحاب، فقال الليثي: ما خرج هؤلاء علينا إلا بعين، فقالوا: ومن أين علمت هذا؟ فقال: وإلا من أين علموا أنا أزواج قحاب.

الحسن بن حامد بن علي بن مروان

الوراق الحنبلي، كان مدرس أصحاب أحمد وفقيههم في زمانه، وله المصنفات المشهورة، منها كتاب الجامع في اختلاف العلماء في أربعمائة جزء، وله في أصول الفقه والدين، وعليه اشتغل أبو يعلى بن الفراء، وكان معظماً في النفوس، مقدماً عند السلطان، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه من النسخ، وروى الحديث عن أبي بكر الشافعي، وابن مالك القطيعي، وغيرهما، وخرج من هذه السنة إلى الحج فلما عطش الناس في الطريق استند هو إلى حجر هناك في الحر الشديد، فجاءه رجل بقليل من ماء فقال له ابن حامد: من أين لك؟ فقال: ما هذا وقت سؤالك اشرب، فقال: بلى هذا وقته عند لقاء الله عزّ وجلّ، فلم يشرب ومات من فوره رحمه الله.

الحسين بن [أحمد][1]

ابن محمد بن حليم، أبو عبد الله الحليمي، صاحب المنهاج في أصول الديانة، كان أحد مشايخ الشافعية، ولد بجرجان وحمل إلى بخارى، وسمع الحديث الكثير حتى انتهت إليه رياسة المحدثين في عصره، وولي القضاء ببخارى. قال ابن خلكان: انتهت إليه الرياسة فيما وراء النهر، وله وجوه حسنة في المذهب، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله.

فيروز أبو نصر

الملقب ببهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمي، صاحب بغداد وغيرها، وهو الذي قبض على الطائع وولّى القادر، وكان يحب المصادرات فجمع من الأموال ما لم يجمعه أحد قبله من بني بويه، وكان بخيلاً جداً، توفي بأرّجان في جمادى الآخرة منها عن ثنتين وأربعين سنة وثلاثة أشهر [وعشرين يوماً وكانت مدة ملكه أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر][2]، وكان مرضه الصرع، ودفن بالمشهد إلى جانب أبيه.

قابوس بن وشمكير

كان أهل دولته قد تغيروا عليه فبايعوا ابنه منوجهر وقتلوه كما ذكرنا، وكان قد نظر في النجوم فرأى أن ولده يقتله، وكان يتوهم أن ولده دارا، لما يرى من مخالفته له، ولا يخطر

(١) في ط: الحسن.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

بباله منوجهر لما يرى من طاعته له، فكان هلاكه على يد منوجهر، وقد قدمنا شيئاً من شعره في الحوادث.

القاضي أبو بكر الباقلاني

محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، رأس المتكلمين على مذهب الشافعي وهو من أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام، يقال إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة، منها التبصرة، ودقائق الحقائق، والتمهيد في أصول الفقه، وشرح الإبانة، وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار، ومن أحسنها كتابه في الرد على الباطنية، الذي سماه كشف الأسرار وهتك الأستار، وقد اختلفوا في مذهبه في الفروع: فقيل شافعي وقيل مالكي، حكى ذلك عنه أبو ذر الهروي، وقيل إنه كان يكتب على الفتاوى: كتبه محمد بن الطيب الحنبلي، وهذا غريب جداً، وقد كان في غاية الذكاء والفطنة.

ذكر الخطيب البغدادي وغيره عنه أن عضد الدولة بعثه في رسالة إلى ملك الروم، فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل عليه أحد إلا من باب قصير كهيئة الراكع، ففهم الباقلاني أن مراده أن ينحني الداخل عليه له كهيئة الراكع لله عزّ وجلّ، فدار استه إلى الملك ودخل الباب بظهره يمشي إليه القهقرى، فلما وصل إليه انفتل فسلم عليه، فعرف الملك ذكاءه ومكانه من العلم والفهم، فعظّمه. ويقال إن الملك أحضر بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل، ليستفز عقله بها، فلما سمعها الباقلاني خاف على نفسه أن يظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك، فجعل لا يألو جهداً[1] أن جرح رجله حتى خرج منها الدم الكثير، فاشتغل بالألم عن الطرب، ولم يظهر عليه شيء من النقص والخفة، فعجب الملك من ذلك، ثم إن الملك استكشف عن الأمر فإذا هو قد جرح نفسه بما أشغله عن الطرب، فتحقق الملك وفور همته وعلو عزيمته، فإن هذه الآلة لا يسمعها أحد إلا طرب شاء أم أبى. وقد سأله بعض الأساقفة بحضرة ملكهم فقال: ما فعلت زوجة نبيكم؟ وما كان من أمرها بما رميت به من الإفك؟ فقال الباقلاني مجيباً له على البديهة: هما امرأتان ذكرتا بسوء: مريم وعائشة، فبرأهما الله عزّ وجلّ، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأتِ بولد، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج ـ يعني أن عائشة أولى بالبراءة من مريم ـ وكلتاهما بريئة مما قيل فيها، فإن تطرّق في الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع وهما بحمد الله منزهتان مبرأتان من السماء بوحي الله عزّ وجلّ عليهما السلام.

وقد سمع الباقلاني الحديث من أبي بكر بن مالك القطيعي وأبي محمد بن ماسي وغيرهما، وقد قبله الدارقطني يوماً وقال: هذا يرد على أهل الأهواء باطلهم، ودعا له. وكانت وفاته يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة، ودفن بداره ثم نقل إلى مقبرة باب حرب.

---

(١) لا يألو جهداً: لا يقصّر.

محمد بن موسى بن محمد

أبو بكر الخوارزمي شيخ الحنفية وفقيههم، أخذ العلم عن أحمد بن علي الرازي، وانتهت إليه رياسة الحنفية ببغداد، وكان معظماً عند الملوك، ومن تلامذة الرضيّ والصيمري، وقد سمع الحديث من أبي بكر الشافعي وغيره، وكان ثقة ديناً حسن الصلاة على طريقة السلف، ويقول في الاعتقاد: ديننا دين العجائز، لسنا من الكلام في شيء، وكان فصيحاً حسن التدريس، دعي إلى ولاية القضاء غير مرة فلم يقبل، توفي ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة، ودفن بداره من درب عبده.

الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف

العامري القابسي مصنف التلخيص، أصله قزويني وإنما غلب عليه القابسي لأن عمه كان يتعمم قابسية، فقيل لهم ذلك، وقد كان حافظاً بارعاً في علم الحديث، رجلاً صالحاً جليل القدر، ولما توفي في ربيع الآخر، من هذه السنة عكف الناس على قبره ليالي يقرؤون القرآن ويدعون له، وجاء الشعراء من كل أوب[1] يرثون ويترحمون، ولما أجلس للمناظرة أنشد لغيره:

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا نَسَبُ المُعَلَّى ... إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ
وَلَكِنَّ البِلادَ إذا اقْشَعَرَّتْ ... وَصَوَّحَ نَبْتُهَا رُعِيَ الهَشِيمُ[2]

ثم بكى وأبكى، وجعل يقول: أنا الهشيم أنا الهشيم. رحمه الله.

الحافظ ابن الفرضي

أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الفرضي، قاضي بكنسية، سمع الكثير وجمع وصنف التاريخ، وفي المؤتلف والمختلف، ومشتبه النسبة وغير ذلك، وكان علامة زمانه، قتل شهيداً على يد البربر فسمعوه وهو جريح طريح يقرأ على نفسه الحديث الذي في الصحيح: «ما يُكْلَمُ أَحَدٌ في سَبيلِ الله وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ في سَبِيلِهِ إلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ». وقد كان سأل الله الشهادة عند أستار الكعبة فأعطاه إياها، ومن شعره قوله:

أَسِيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ ... عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوباً لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غيبها ... وَيَرْجُوكَ فيها وَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى ... وَمَا لَكَ في فَصْلِ القَضَاءِ مُخَالِفُ
فَيَا سَيِّدِي لا تُخْزِنِي في صَحِيفَتِي ... إذا نُشِرَتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ

---

(١) من كل أوب: من كل صوب وفج.

(٢) صوّح نبتها: يبس. والهشيم: النبات اليابس.

وَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ القَبْرِ عِنْدَمَا يَصُدُّ ذَوُو القُرْبَى وَيَجْفُو المُوَالِفُ (١)
لَئِنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الوَاسِعُ الَّذِي أُرَجِّي لِإِسْرَافِي فَإِنِّيَ تَالِفُ (٢)

ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة

في يوم الخميس غرة ربيع الأول منها جلس الخليفة القادر في أبهة الخلافة وأحضر بين يديه سلطان الدولة والحجبة. فخلع عليه سبع خلع على العادة، وعممه بعمامة سوداء، وقلد سيفاً وتاجاً مرصعاً، وسوارين وطوقاً، وعقد له لواءين بيده، ثم أعطاه سيفاً وقال للخادم: قلده به، فهو شرف له ولعقبه، يفتح شرق الأرض وغربها، وكان ذلك يوماً مشهوداً، حضره القضاة والأمراء والوزراء وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند ففتح وقتل وسبى وغنم، وسلم، وكتب إلى الخليفة [القادر بالله] أن يوليه ما بيده من مملكة خراسان وغيرها من البلاد، فأجابه إلى ما سأل. وفيها عاثت بنو خفاجة ببلاد الكوفة فبرز إليهم نائبها أبو الحسن بن مزيد فقتل منهم خلقاً وأسر محمد بن يمان وجماعة من رؤوسهم، وانهزم الباقون، فأرسل الله عليهم ريحاً حارة فأهلك منهم خمسمائة إنسان. وحج بالناس أبو الحسن محمد بن الحسن الأفساسي.

وفيها توفي من الأعيان:

الحسن بن أحمد

ابن جعفر بن عبد الله المعروف بابن البغدادي، سمع الحديث، وكان زاهداً عابداً كثير المجاهدة، لا ينام إلا عن غلبة، وكان لا يدخل الحمام ولا يغسل ثيابه إلا بماء، وجده الحسين بن عثمان بن علي أبو عبد الله المقري الضرير المجاهدي، قرأ على ابن مجاهد القرآن وهو صغير، وكان آخر من بقي من أصحابه، توفي في جمادى الأولى منها، وقد جاوز المائة سنة، ودفن في مقابر الزرادين.

علي بن سعيد الإصطخري

أحد شيوخ المعتزلة، صنف للقادر بالله الرد على الباطنية فأجرى عليه جراية سنية، وكان يسكن درب رباح، توفي في شوال وقد جاوز الثمانين.

ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة

فيها منع الحاكم صاحب مصر النساء من الخروج من منازلهن، أو أن يطلعن من الأسطحة أو من الطاقات، ومنع الخفافين من عمل الخفاف لهن، ومنعهن من الخروج إلى

(١) الموالف: المحب والعشير.

(٢) تالف: هالك.

الحمامات، وقتل خلقاً من النساء على مخالفته في ذلك، وهدم بعض الحمامات عليهن، وجهز نساء عجائز كثيرة يستعلمن أحوال النساء لمن يَعْشَقْنَ أو يعشقهن، بأسمائهن وأسماء من يتعرض لهن، فمن وجد منهن كذلك أطفأها وأهلكها، ثم إنه أكثر من الدوران بنفسه ليلاً ونهاراً في البلد، في طلب ذلك، وغرّق خلقاً من الرجال والنساء والصبيان ممن يطلع على فسقهم، فضاق الحال واشتد على النساء وعلى الفساق ذلك، ولم يتمكن أحد منهن أن يصل إلى أحد إلا نادراً، حتى أن امرأة كانت عاشقة لرجل عشقاً قوياً كادت أن تهلك بسببه، لما حيل بينها وبينه، فوقفت لقاضي القضاة وهو مالك بن سعد الفارقي وحلفته بحق الحاكم لما وقف لها واستمع كلامها، فرحمها فوقف لها فبكت إليه بكاء شديداً مكراً وحيلة وخداعاً، وقالت له: أيها القاضي إن لي أخاً ليس لي غيره، وهو في السياق وإني أسألك بحق الحاكم عليك لما أوصلتني إلى منزله، لأنظر إليه قبل أن يفارق الدنيا، وأجرك على الله. فرق لها القاضي رقة شديدة وأمر رجلين كانا معه يكونان معها حتى يبلغانها إلى المنزل الذي تريده، فأغلقت بابها وأعطت المفتاح لجارتها، وذهبت معهما حتى وصلت إلى منزل معشوقها، فطرقت الباب ودخلت وقالت لهما: اذهبا هذا منزله فإذا رجل كانت تهواه وتحبه ويهواها ويحبها، فقال لها: كيف قدرت على الوصول إليّ؟ فأخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضي، فأعجبه ذلك من مكرها وحيلتها، وجاء زوجها من آخر النهار فوجد بابه مغلقاً وليس في بيته أحد، فسأل الجيران عن أمرها فذكرت له جارتها ما صنعت فاستغاث على القاضي وذهب إليه وقال له: ما أريد امرأتي إلا منك الساعة، وإلا عرّفت الحاكم، فإن امرأتي ليس لها أخ بالكلية، وإنما ذهبت إلى معشوقها، فخاف القاضي من معرّة هذا الأمر، فركب إلى الحاكم وبكى بين يديه، فسأله عن شأنه فأخبره بما اتفق له من الأمر مع المرأة، فأرسل الحاكم مع ذينك الرجلين من يحضر المرأة والرجل جميعاً، على أي حال كانا عليه فوجدهما متعانقين سكارى، فسألهما الحاكم عن أمرهما فأخذا يعتذران بما لا يجدي شيئاً، فأمر بتحريق المرأة في بادية وضرب الرجل ضرباً مبرحاً حتى أتلفه، ثم ازداد احتياطاً وشدة على النساء حتى جعلهن في أضيق من جحر ضب، ولا زال هذا دأبه حتى مات. ذكره ابن الجوزي.

وفي رجب منها ولّى أبو الحسن أحمد بن أبي الشوارب قضاء الحضرة بعد موت أبي محمد الأكفاني. وفيها عمّر فخر الدولة مسجد الشرقية ونصب عليه الشبابيك من الحديد.

وممن توفي فيها من الأعيان:

بكر بن شاذان بن بكر

أبو القاسم المقري الواعظ، سمع أبا بكر الشافعي، وجعفر الخلدي، وعنه الأزهري والخلال، وكان ثقة أميناً صالحاً عابداً زاهداً، له قيام ليل، وكريم أخلاق. مات فيها عن نيّفٍ وثمانين سنة، ودفن بباب حرب.

بدر بن حسنويه بن الحسين

أبو النجم الكردي، كان من خيار الملوك بناحية الدينور وهمدان، وله سياسة وصدقة كثيرة، كنّاه القادر بأبي النجم، ولقبه ناصر الدولة، وعقد له لواء وأنفذه إليه، وكانت معاملاته وبلاده في غاية الأمن والطيبة، بحيث إذا أعيى جمل أحد من المسافرين أو دابته عن حمله يتركها بما عليها في البرية فيرد عليه، ولو بعد حين لا ينقص منه شيء، ولما عاثت أمراؤه في الأرض فساداً عمل لهم ضيافة حسنة، فقدمها إليهم ولم يأتهم بخبز، فجلسوا ينتظرون الخبز، فلما استبطؤوه سألوا عنه فقال لهم: إذا كنتم تهلكون الحرث وتظلمون الزراع، فمن أين تؤتون بالخبز؟ ثم قال لهم: لا أسمع بأحد أفسد في الأرض بعد اليوم إلا أرقت دمه. واجتاز مرة في بعض أسفاره برجل قد حمل حزمة حطب وهو يبكي فقال له: ما لك تبكي؟ فقال: إني كان معي رغيفان أريد أن أتقوتهما فأخذهما مني بعض الجند، فقال: أتعرفه إذا رأيته؟ قال: نعم. فوقف به في موضع مضيق حتى مر عليه ذلك الرجل الذي أخذ رغيفيه، قال: هذا هو، فأمر به أن ينزل عن فرسه وأن يحمل حزمته التي احتطبها حتى يبلغ بها إلى المدينة، فأراد أن يفتدي من ذلك بمال جزيل فلم يقبل منه، حتى تأدب به الجيش كلهم وكان يصرف كل جمعة عشرين ألف درهم على الفقراء والأرامل، وفي كل شهر عشرين ألف درهم في تكفين الموتى، ويصرف في كل سنة ألف دينار إلى عشرين نفساً يحجون عن والدته، وعن عضد الدولة، لأنه كان السبب في تمليكه، وثلاثة آلاف دينار في كل سنة إلى الحدادين والحذائين لأجل المنقطعين من همذان وبغداد، يصلحون الأحذية ونعال دوابهم، ويصرف في كل سنة مائة ألف دينار إلى الحرمين صدقة على المجاورين، وعمارة المصانع، وإصلاح المياه في طريق الحجاز وحفر الآبار، وما اجتاز في طريقه وأسفاره بماء إلا بنى عنده قرية، وعمّر في أيامه من المساجد والخانات ما ينيف على ألفي مسجد وخان، هذا كله خارجاً عما يصرف من ديوانه من الجرايات، والنفقات والصدقات، والبر والصلات، على أصناف الناس، من الفقهاء والقضاة والمؤذنين والأشراف، والشهود والفقراء والمساكين والأيتام والأرامل. وكان مع هذا كثير الصلاة والذكر وكان له من الدواب المربوطة في سبيل الله وفي الحشر ما ينيف على عشرين ألف دابة. توفي في هذه السنة رحمه الله عن نيف وثمانين سنة، ودفن في مشهد علي، وترك من الأموال أربعة عشر ألف بدرة، ونيفاً وأربعين بدرة، البدرة عشرة آلاف، رحمه الله.

الحسن بن الحسين بن [حكان][1]

أبو علي الهمداني، أحد الفقهاء الشافعية ببغداد، عني أولاً بالحديث فسمع منه أبو حامد المروزي، وروى عن الأزهري، وقال: كان ضعيفاً ليس بشيء في الحديث.

(١) في ط: حمكان.

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم

أبو محمد الأسدي المعروف بابن الأكفاني، قاضي قضاة بغداد، ولد سنة ست عشرة وثلاثمائة وروى عن القاضي المحاملي، ومحمد بن خلف، وابن عقدة وغيرهم، وعنه البرقاني والتنوخي، يقال إنه أنفق على طلب العلم مائة ألف دينار، وكان عفيفاً نزهاً صين العرض. توفي في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة، ولي الحكم منها أربعين سنة نيابة واستقلالاً، رحمه الله.

عبد الرحمن بن محمد

ابن محمد بن عبد الله بن إدريس بن سعد، الحافظ الاستراباذي المعروف بالإدريسي، رحل في طلب العلم والحديث، وعني به وسمع الأصم وغيره، وسكن سمرقند، وصنف لها تاريخاً وعرضه على الدارقطني فاستحسنه، وحدث ببغداد فسمع منه الأزهري والتنوخي، وكان ثقة حافظاً رحمه الله.

أبو نصر عبد العزيز بن عمر [بن محمد][1]

ابن أحمد بن نباتة الشاعر المشهور، امتدح سيف الدولة بن حمدان أظنه أخو الخطيب ابن نباتة أو غيره، وهو القائل البيت المطروق المشهور:

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَنَوَّعَتِ الأَسْبَابُ وَالمَوْتُ وَاحِدُ

عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة

أبو نصر السعدي الشاعر وشعره موقوف ومن شعره قوله:

وَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ العَدُوِّ فَدَارِهِ وَامْزُجْ لَهُ إِنَّ المِزَاجَ وِفَاقُ

كَالمَاءِ بِالنَّارِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا يُعْطِي النَّضَاحَ وَطَبْعُهَا الإِحْرَاقُ

توفي فيها عبد الغفار بن عبد الرحمن أبو بكر الدينوري الفقيه السفياني، وهو آخر من كان يفتي بمذهب سفيان الثوري ببغداد، في جامع المنصور، وكان إليه النظر في الجامع والقيام بأمره.

توفي في [شوال][2] منها ودفن خلف جامع الحاكم.

الحاكم النيسابوري

صاحب المستدرك، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، ابن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله الحاكم الضبي الحافظ، ويعرف بابن البيع، من أهل نيسابور، وكان من أهل العلم والحفظ والحديث، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وأول سماعه من سنة ثلاثين

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط.

وثلاثمائة، سمع الكثير وطاف في الآفاق، وصنف الكتب الكبار والصغار، فمن ذلك المستدرك على الصحيحين، وعلوم الحديث والإكليل وتاريخ نيسابور، وقد روى عن خلق، ومن مشايخه الدارقطني وابن أبي الفوارس وغيرهما، وقد كان من أهل الدين والأمانة والصيانة، والضبط، والتجرد، والورع لكن قال الخطيب البغدادي: كان ابن البيع يميل إلى التشيع، فحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأرموي، قال: جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم، يلزمهما إخراجها في صحيحيهما، فمنها حديث الطير، «وَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ»، فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا إلى قوله ولاموه في فعله. وقال محمد بن طاهر المقدسي: قال الحاكم: حديث الطير لم يخرج في الصحيح وهو صحيح، قال ابن طاهر: بل هو موضوع لا يروى إلا عن إسقاط أهل الكوفة من المجاهيل، عن أنس: فإن كان الحاكم لا يعرف هذا فهو جاهل، وإلا فهو معاند كذاب. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: دخلت على الحاكم وهو مختف من الكرامية لا يستطيع أن يخرج منهم، فقلت له: لو خرجت حديثاً في فضائل معاوية لاسترحت مما أنت فيه، فقال: لا يجيء من قلبي، توفي فيها عن أربع وثمانين سنة [في صفر من هذه السنة][(١)]

ابن كج

يوسف بن أحمد بن كج أبو القاسم القاضي أحد أئمة الشافعية، وله في المذهب وجوه غريبة، وكانت له نعمة عظيمة جداً، وولي القضاء بالدينور لبدر بن حسنويه فلما تغيرت البلاد بعد موت بدر وثب عليه جماعة من العيارين فقتلوه ليلة سبع وعشرين من رمضان من هذه السنة.

---

(١) سقط في ط.

فهرس المحتويات

سنة ثلاث وثمانين ومائتين

سنة أربع وثمانين ومائتين

سنة خمس وثمانين ومائتين

سنة ست وثمانين ومائتين

سنة سبع وثمانين ومائتين

سنة ثمان وثمانين ومائتين

سنة تسع وثمانين ومائتين

سنة تسعين ومائتين من الهجرة النبوية

سنة إحدى وتسعين ومائتين

سنة ثنتين وتسعين ومائتين

سنة ثلاث وتسعين ومائتين

سنة أربع وتسعين ومائتين

سنة خمس وتسعين ومائتين

سنة ست وتسعين ومائتين

سنة سبع وتسعين ومائتين

سنة ثمان وتسعين ومائتين

سنة تسع وتسعين ومائتين

سنة ثلاثمائة من الهجرة

سنة إحدى وثلاثمائة من الهجرة

سنة ثنتين وثلاثمائة

سنة ثلاث وثلاثمائة

سنة أربع وثلاثمائة

سنة خمس وثلاثمائة

سنة ست وثلاثمائة

سنة سبع وثلاثمائة

سنة ثمان وثلاثمائة

سنة تسع وثلاثمائة

سنة ثمان عشرة وثلاثمائة

سنة تسع عشرة وثلاثمائة

سنة عشرين وثلاثمائة من الهجرة

سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة

سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة

سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

سنة ست وعشرين وثلاثمائة

سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

سنة ثلاثين وثلاثمائة

سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة

سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة

سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة

سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

سنة أربع وأربعين وثلاثمائة

سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

سنة ست وأربعين وثلاثمائة

سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة

سنة تسع وأربعين وثلاثمائة

سنة خمسين وثلاثمائة

سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة

سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة

سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة

سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

سنة خمس وخمسين وثلاثمائة

سنة ست وخمسين وثلاثمائة

سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة

سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

سنة ستين وثلاثمائة

سنة سبع وستين وثلاثمائة

سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة

سنة تسع وستين وثلاثمائة

سنة سبعين وثلاثمائة

سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة

سنة ثنتين وسبعين وثلاثمائة

سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة

سنة أربع وسبعين وثلاثمائة

سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

سنة ست وسبعين وثلاثمائة

سنة سبع وسبعين وثلاثمائة

سنة ثمانٍ وسبعين وثلاثمائة

سنة تسع وسبعين وثلاثمائة

سنة ثمانين وثلاثمائة من الهجرة

سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة

سنة ثنتين وثمانين وثلاثمائة

سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

سنة ست وثمانين وثلاثمائة

سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

سنة ست وتسعين وثلاثمائة

سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

سنة أربعمائة من الهجرة النبوية

سنة إحدى وأربعمائة

سنة ثنتين وأربعمائة

سنة ثلاث وأربعمائة

سنة أربع وأربعمائة

سنة خمس وأربعمائة

البداية والنهاية

تأليف

أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

وثقه وقابل مخطوطاته

الشيخ علي محمد معوض
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وضع حواشيه

دكتور أحمد أبو ملحم
دكتور علي نجيب عطوي
الأستاذ فؤاد السيد
الأستاذ مهدي ناصر الدين
الأستاذ علي عبد الساتر

الجزء الثاني عشر

المحتوى:

السنوات ٤٠٦ - ٥٨٨ من الهجرة النبوية

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وأربعمائة

في يوم الثلاثاء مستهل المحرم منها وقعت فتنة بين أهل السنة والروافض، ثم سكّن الفتنة الوزير فخر الملك على أن تعمل الروافض بدعتهم يوم عاشوراء من تعليق المسوح والنوح. وفي هذا الشهر ورد الخبر بوقوع وباء شديد في البصرة أعجز الحفارين والناس عن دفن موتاهم، وأنه أظلت البلد سحابة في حزيران. فأمطرتهم مطراً شديداً. وفي يوم السبت ثالث صفر تولى المرتضى نقابة الطالبيين والمظالم والحج، وجميع ما كان يتولاه أخوه الرضي، وقرىء تقليده بحضره الأعيان، وكان يوماً مشهوداً. وفيها ورد الخبر عن الحجاج بأنه هلك منهم بسبب العطش أربعة عشر ألفاً، وسلم ستة آلاف، وأنهم شربوا بول الإبل من العطش. وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند فأخذه الأدلاء على بلاد غريبة فانتهوا إلى أرض قد غمرها الماء من البحر فخاض بنفسه الماء أياماً وخاض الجيش حتى خلصوا بعدما غرق كثير من جيشه، وعاد إلى خراسان بعد جهد جهيد، ولم يحج فيها من العراق ركب لفساد البلاد من الأعراب.

وفيها توفي من الأعيان:

الشيخ أبو حامد الأسفراييني

إمام الشافعية أحمد بن محمد إمام الشافعية في زمانه، ولد في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وقدم بغداد وهو صغير سنة ثلاث أو أربع وستين وثلاثمائة، فدرس الفقه على أبي الحسن بن المرزبان، ثم على أبي القاسم الداركي، ولم يزل تترقى به الأحوال حتى صارت إليه رياسة الشافعية، وعظم جاهه عند السلطان والعوام، وكان فقيهاً إماماً، جليلاً نبيلاً، شرح المزني في تعليقه حافلة نحواً من خمسين مجلداً، وله تعليقة أخرى في أصول الفقه، وروى عن أبي بكر الإسماعيلي وغيره.

قال الخطيب: ورأيته غير مرة وحضرت تدريسه بمسجد عبد الله بن المبارك، في صدر قطيعة الربيع، وحدثنا عنه الأزجي والخلال، وسمعت من يذكر أنه كان يحضر تدريسه سبعمائة متفقه، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به. وقال أبو الحسن القدوري: ما رأيت في الشافعية أفقه من أبي حامد.

وقد ذكرت ترجمته مستقصاة في طبقات الشافعية.

وذكر ابن خلكان مسلماً أن القدوري قال: هو أفقه وأنظر من الشافعي.

قال الشيخ أبو إسحاق: وليس هذا مسلماً إلى القدوري فإن أبا حامد وأمثاله بالنسبة إلى الشافعي كما قال الشاعر:

نَـزَلُـوا بِـمَـكَّـةَ فِـي قَـبَـائِـلِ نَـوْفَـلٍ ... وَنَـزَلْـتُ بِـالـبَـيْـدَاءِ أَبْـعَـدِ مَـنْـزِلِ

قال ابن خلكان: وله مصنفات: التعليقة الكبرى، وله كتاب البستان، وهو صغير فيه غرائب قال وقد اعترض عليه بعض الفقهاء في بعض المناظرات فأنشأ الشيخ أبو حامد يقول:

جَفَاءٌ جَرَى جَهْراً لَدَى النَّاسِ وَانْبَسَطْ ... وَعُـذْرٌ أَتَـى سِـرّاً فَـأَكَّـدَ مَـا فَـرَطْ[١]

وَمَـنْ ظَـنَّ أَنْ يَـمْـحُـو جَـلِـيَّ جَـفَـائِـهِ ... خَفِيُّ اعْـتِـذَارٍ فَـهْـوَ فـي أَعْـظَـمِ الـغَـلَـطْ

توفي ليلة السبت لإحدى عشرة بقيت من شوال منها، ودفن بداره بعدما صلي عليه بالصحراء وكان الجمع كثيراً والبكاء غزيراً، ثم نقل إلى مقبرة باب حرب في سنة عشر وأربعمائة. قال ابن الجوزي: وبلغ من العمر إحدى وستين سنة وأشهراً.

أبو أحمد الفرضي

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد [بن محمد][٢] بن علي بن مهران، أبو مسلم الفرضي المقري. سمع المحاملي ويوسف بن يعقوب، وحضر مجلس أبي بكر بن الأنباري، وكان إماماً ثقة، ورعاً وقوراً، كثير الخير، يقرأ القرآن كثيراً، ثم يسمع الحديث، [وكان معظماً جليلاً][٣] وكان إذا قدم على الشيخ أبي حامد الأسفراييني، نهض إليه حافياً فتلقاه إلى باب المسجد، توفي وقد جاوز الثمانين.

الشريف الرضي

محمد بن الطاهر أبو أحمد الحسين بن موسى أبو الحسن العلوي، لقبه بهاء الدولة بالرضي، ذي الحسبتين، ولقب أخاه المرتضى ذي المجدين، ولي نقابة الطالبيين ببغداد بعد أبيه، وكان شاعراً مطبقاً، سخياً جواداً. قال بعضهم: كان الشريف في كثرة من أشعاره أشعر قريش، فمن شعره المستجاد قوله:

اشْـتَـرِ الـعِـزَّ بِـمَـا شِـئْـتَ فَـمَـا الـعِـزُّ بِـغَـالِ

بِـالـقِـصَـارِ[٤] الـبِـيـضِ إنْ شِـئْـتَ أَوِ الـسُّـمْـرِ الـطِّـوَالِ

لَـيْـسَ بِـالـمَـغْـبُـونِ عـقـلاً مَـنْ شَـرَى عِـزًّا بِـمَـالِ

إنَّـمَـا يُـذْخَـرُ الـمَـالُ لِـحَـاجَـاتِ الـرِّجَـالِ

وَالـفَـتَـى مَـنْ جَـعَـلَ الأَمْـوَالَ أَثْـمَـانَ الـمَـعَـالِـي

(١) فرط: مضى.

(٢) سقط في ط.

(٣) سقط في ط.

(٤) البيض القصار: السيوف. والسمر الطوال: الرماح.

وله أيضاً:

يـا طَـائِـرَ الـبـانِ غِـرِّيـداً عَـلَـى فَـنَـنِ ... مـا هَـاجَ نَـوْحُـكَ لـي يـا طَـائِـرَ الـبَـانِ
هَـلْ أَنْـتَ مُـبْـلِـغُ مَـنْ هَـامَ الـفُـؤَادُ بِـهِ ... إنَّ الـطَّـلِـيـقَ يُـؤَدِّي حَـاجَـةَ الـعَـانِـي[١]
جِـنَـايَـةٌ مَـا جَـنَـاهَـا غَـيْـرُ مُـتْـلِـفِـنَـا ... يَـوْمَ الـوَدَاعِ وَوَا شَـوْقِـي إلـى الـجَـانِـي
لَـوْلا تَـذَكُّـر أَيَّـامٍ بِـذِي سَـلَـمٍ ... وَعِـنْـدَ رَامَـةَ أَوْطَـارِي وَأَوْطَـانِـي
لَـمَا قَـدَحْـتُ بِـنَـارِ الشَّـوْقِ فِـي كَـبِـدِي ... وَلا بَـلَـلْـتُ بِـمَـاءِ الـدَّمْـعِ أَجْـفَـانِـي

وقد نسب إلى الرضي قصيدة يتمنى فيها أن يكون عند الحاكم العبيدي، ويذكر فيها أباه ويا ليته كان عنده، حين يرى حاله ومنزلته عنده وأن الخليفة لما بلغه ذلك أراد أن يسيره إليه ليقضي إربه ويعلم الناس كيف حاله. يقول في هذه القصيدة:

أَلْـبِـسُ الـذُّلَّ فـي بِـلادِ الأَعَـادِي ... وَبِـمِـصْـرَ الـخَـلِـيـفَـةُ الـعَـلَـوِيُّ!
وأَبُـوهُ أَبِـي وَمَـوْلاهُ مَـوْلا ... يَ إذا ضَـامَـنِـي الـبَـعِـيـدُ الـقَـصِـيُّ
[لَـفَّ عِـرْقِـي بِـعِـرْقِـهِ سَـيِّـدَ الـنَّـاسِ ... جَـمِـيـعَـاً مُـحَـمَّـدٌ وَعَـلِـيُّ
إنَّ خَـوْفِـي بِـذُلِـكَ الـرَّبْـعِ أَمْـنٌ ... واذومـي بِـذُلِـكَ الـورْدِيُّ][٢]

إلى آخرها، فلما سمع الخليفة القادر بأمر هذه القصيدة انزعج وبعث إلى أبيه الموسوي يعاتبه، فأرسل إلى ابنه الرضي فأنكر أن يكون قالها بالمرة، والروافض من شأنهم التزوير. فقال له أبوه: فإذا لم تكن قلتها فقل أبياتاً تذكر فيها أن الحاكم بمصر دعي لا نسب له، فقال: إني أخاف غائلة[٣] ذلك، وأصر على أن لا يقول ما أمره به أبوه، وترددت الرسائل من الخليفة إليهم في ذلك، وهم ينكرون ذلك حتى بعث الشيخ أبا حامد الأسفراييني والقاضي أبا بكر إليهما، فحلف لهما بالأيمان المؤكدة أنه ما قالها والله أعلم بحقيقة الحال. توفي في خامس المحرم منها عن سبع وأربعين سنة، وحضر جنازته الوزير والقضاة، وصلى عليه الوزير ودفن بداره بمسجد الأنباري، وولي أخوه المرتضى ما كان يليه، وزيد على ذلك أشياء ومناصب أخرى، وقد رثى الرضي أخاه بمرثاه حسنة.

باديس بن منصور الحميري

أبو المعز مناذر بن باديس[٤] نائب الحاكم على بلاد إفريقية وابن نائبها، لقبه الحاكم بنصير الدولة، كان ذا همة وسطوة وحرمة وافرة، وشجاعة وشهامة باهرة، كان إذا هز رمحاً كسره، توفي فجأة ليلة الأربعاء سلخ ذي القعدة[٥] منها، ويقال إن بعض الصالحين دعا عليه

(١) العاني: الأسير. (٢) البيتان الأخيران سقطا في ط.
(٣) الغائلة: العاقبة.
(٤) في النجوم الزاهر: المعز بن باديس بن بلكين الحميري.
(٥) سلخ ذي القعدة: أي نهايته.

تلك الليلة، وقام في الأمر بعده ولده المعز مناذر.

ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة

في ربيع الأول منها، احترق مشهد الحسين بن علي بكربلاء وأروقته، وكان سبب ذلك أن القومة أشعلوا شمعتين كبيرتين فمالتا في الليل على التازير، [فاحترق][1] ونفذت النار منه إلى غيره حتى كان ما كان. وفي هذا الشهر أيضاً احترقت دار القطن ببغداد وأماكن كثيرة بباب البصرة، واحترق جامع سامرا. وفيها ورد الخبر بتشعيث[2] الركن اليماني من المسجد الحرام، وسقوط جدار بين يدي قبر الرسول ﷺ بالمدينة، وأنه سقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس، وهذا من أغرب الاتفاقات وأعجبها. وفي هذه السنة قتلت الشيعة الذين ببلاد إفريقية ونهبت أموالهم، ولم يترك منهم إلا من لا يعرف. وفيها كان ابتداء دولة العلويين ببلاد الأندلس، وليها علي بن حمود بن أبي العيس العلوي، فدخل قرطبة في المحرم منها، وقتل سليمان بن الحكم الأموي، وقتل أباه أيضاً، وكان شيخاً صالحاً، وبايعه الناس وتلقب بالمتوكل على الله، ثم قتل في الحمام في ثامن ذي القعدة منها عن ثمان وأربعين سنة، وقام بالأمر من بعده أخوه القاسم بن حمود، وتلقب بالمأمون، فأقام في الملك ست سنين، ثم قام ابن أخيه يحيى بن إدريس، ثم ملك الأمويون حتى ملك أمر المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين. وفيها ملك محمود بن سبكتكين بلاد خوارزم بعد ملكها خوارزم شاه مأمون بن مأمون وفيها استوزر سلطان الدولة أبا الحسن علي بن الفضل الرامهرمزي، عوضاً عن فخر الملك، وخلع عليه. ولم يحج أحد في هذه السنة من بلاد المغرب لفساد البلاد والطرقات.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد [بن محمد][3] بن يوسف بن دوست

أبو عبد الله البزار، أحد حفاظ الحديث، وأحد الفقهاء على مذهب مالك، كان يذكر بحضرة الدارقطني ويتكلم في علم الحديث، فيقال إن الدارقطني تكلم فيه لذلك السبب، وقد تكلم في غيره بما لا يقدح فيه كبير شيء. قال الأزهري: رأيت كتبه طرية، وكان يذكر أن أصوله العُتق غرقت، وقد أملى الحديث من حفظه، والمخلص وابن شاهين حيان موجودان. توفي في رمضان عن أربع وثمانين سنة.

الوزير فخر الملك

محمد بن علي بن خلف أبو غالب الوزير، كان من أهل واسط، وكان أبوه صيرفياً، فتنقلت به الأحوال إلى أن وزر لبهاء الدولة، وقد اقتنى أموالاً جزيلة، وبنى داراً عظيمة،

---

(١) سقط في ط.
(٢) التشعيث: التصدع.
(٣) سقط في ط.

تعرف بالفخرية، وكانت أولاً للخليفة المتقي لله، فأنفق عليها أموالاً كثيرة، وكان كريماً جواداً، كثير الصدقة، كسا في يوم واحد ألف فقير، وكان كثير الصلاة أيضاً، وهو أول من فرق الحلاوة ليلة النصف من شعبان، وكان فيه ميل إلى التشيع، وقد صادره سلطان الدولة بالأهواز، وأخذ منه شيئاً أزيد من ستمائة ألف دينار، خارجاً عن الأملاك والجواهر والمتاع، قتله سلطان الدولة، وكان عمره يوم قتل ثنتين وخمسين سنة وأشهراً وقيل إن سبب هلاكه أن رجلاً قتله بعض غلمانه، فاستعدت امرأة الرجل على الوزير هذا، ورفعت إليه قصتها، وكل ذلك لا يلتفت إليها، فقالت له ذات يوم: أيها الوزير أرأيت القصص التي رفعتها إليك، ولا تلتفت إليها قد رفعتها إلى الله عزّ وجلّ، وأنا أنتظر التوقيع عليها، فلما مُسِك قال قد والله خرج توقيع المرأة، فكان من أمره ما كان.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة

فيها وقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والروافض ببغداد، قتل فيها خلق كثير من الفريقين. وفيها ملك أبو المظفر بن خاقان بلاد ما وراء النهر وغيرها، وتلقب بشرف الدولة، وذلك بعد وفاة أخيه طغان خان، وقد كان طغان خان هذا ديناً فاضلاً، يحب أهل العلم والدين، وقد غزا الترك مرة فقتل منهم مائتي ألف مقاتل، وأسر منهم مائة ألف، وغنم من أواني الذهب والفضة، وأواني الصين شيئاً لا يعهد لأحد مثله، فلما مات ظهرت ملوك الترك على البلاد الشرقية. وفي جمادى الأولى منها ولي أبو الحسين أحمد بن مهذب الدولة علي بن نصر بلاد البطائح بعد أبيه، فقاتله ابن عمه فغلبه وقتله، ثم لم تطل مدته فيها حتى قتل، ثم آلت تلك البلاد بعد ذلك إلى سلطان الدولة صاحب بغداد وطمع فيهم العامة، فنزلوا إلى واسط فقاتلوهم مع الترك. وفيها ولي نور الدولة أبو الأغر دبيس بن أبي الحسن علي بن مزيد بعد وفاة أبيه. وفيها قدم سلطان الدولة إلى بغداد، وضرب الطبل في أوقات الصلوات، ولم تجر بذلك عادة، وعقد عقده على بنت قرواش على صداق خمسين ألف دينار. ولم يحج أحد من أهل العراق لفساد البلاد، وعيث الأعراب وضعف الدولة. قال ابن الجوزي في المنتظم: أخبرنا سعد الله بن علي البزار أنبأ أبو بكر الطريثيثي أنبأ هبة الله بن الحسن الطبري. قال: وفي سنة ثمان وأربعمائة استتاب القادر بالله الخليفة فقهاء المعتزلة، فأظهروا الرجوع وتبرؤوا من الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذت خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوا أحل فيهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم، وامتثل محمود بن سبكتكين أمر أمير المؤمنين في ذلك واستن بسنته في أعماله التي استخلفه عليها من بلاد خراسان وغيرها، في قتل المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة، وصلبهم وحبسهم ونفاهم، وأمر بلعنهم على المنابر، وأبعد جميع طوائف أهل البدع، ونفاهم عن ديارهم، وصار ذلك سنة في الإسلام.

وفيها توفي من الأعيان الحاجب الكبير.

شباشي أبو نصر

مولى شرف الدولة، ولقبه بهاء الدولة بالسعيد، وكان كثير الصدقة والأوقاف على وجوه القربات فمن ذلك أنه وقف دباها على المارستان وكانت تغل شيئاً كثيراً من الزروع والثمار والخراج وبنى قنطرة الخندق والمارستان والناصرية وغير ذلك، ولما مات دفن بمقبرة الإمام أحمد وأوصى أن لا يبنى عليه فخالفوه، فعقدوا قبة عليه فسقطت بعد موته بنحو من سبعين سنة واجتمع نسوة عند قبره ينحن ويبكين، فلما رجعن رأت عجوز منهن ـ كانت هي المقدمة فيهن ـ في المنام كأنّ تركياً خرج إليه من قبره ومعه دبوس فحمل عليهن وزجرهن عن ذلك، وإذا هو الحاجب السعيد، فانتبهت مذعورة.

ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة

في يوم الخميس السابع عشر من المحرم قرىء بدار الخلافة في الموكب كتاب في مذاهب أهل السنة وفيه أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم. وفي النصف من جمادى الأولى منها فاض البحر المالح وتدانى إلى الأبلة، ودخل البصرة بعد يومين. وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند وتواقع هو وملك الهند فاقتتل الناس قتالاً عظيماً، ثم انجلت عن هزيمة عظيمة على الهند، وأخذ المسلمون يقتلون فيهم كيف شاؤوا، وأخذوا منهم أموالاً عظيمة من الجواهر والذهب والفضة، وأخذوا منهم مائتي فيل، واقتصوا آثار المنهزمين منهم، وهدموا معامل كثيرة. ثم عاد إلى غزنة مؤيداً منصوراً.

ولم يحج أحد من درب العراق فيها لفساد البلاد وعيث الأعراب.

وفيها توفي من الأعيان:

رجاء بن عيسى بن محمد

أبو العباس الأنصناوي، نسبة إلى قرية من قرى مصر يقال لها أنصنا، قدم بغداد فحدث بها وسمع منه الحفاظ، وكان ثقة فقيهاً مالكياً عدلاً عند الحكام، مرضياً. ثم عاد إلى بلده وتوفي فيها، وقد جاوز الثمانين.

عبد الله بن محمد بن أبي علان

أبو أحمد قاضي الأهواز كان ذا مال، وله مصنفات منها كتاب في معجزات النبي ﷺ، جمع فيه ألف معجزة، وكان من كبار شيوخ المعتزلة، توفي فيها عن تسع وثمانين سنة.

علي بن نصر

ابن أبي الحسن، مهذب الدولة، صاحب بلاد البطيحة، له مكارم كثيرة، وكان الناس يلجؤون إلى بلاده في الشدائد فيؤويهم، ويحسن إليهم، ومن أكبر مناقبه إحسانه إلى أمير المؤمنين القادر لما استجار به ونزل عنده بالبطائح فاراً من الطائع، فآواه وأحسن إليه، وكان

في خدمته حتى ولي إمرة المؤمنين، وكان له بذلك عنده اليد البيضاء، وقد ولي البطائح ثنتين وثلاثين سنة وشهوراً، وتوفي فيها عن ثنتين وسبعين سنة، وكان سبب موته أنه افتصد فانتفخ ذراعه فمات.

عبد الغني بن سعيد

ابن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز، أبو محمد الأزدي المصري، الحافظ، كان عالماً بالحديث وفنونه، وله فيه المصنفات الكثيرة الشهيرة. قال أبو عبد الله الصوري الحافظ: ما رأت عيناي مثله في معناه وقال الدارقطني: ما رأيت بمصر مثل شاب يقال له عبد الغني، كأنه شعلة نار، وجعل يفخم أمره ويرفع ذكره. وقد صنف الحافظ عبد الغني هذا كتاباً فيه أوهام الحاكم، فلما وقف الحاكم عليه جعل يقرؤه على الناس ويعترف لعبد الغني بالفضل، ويشكره ويرجع فيه إلى ما أصاب فيه من الرد عليه، رحمهما الله، ولد عبد الغني لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ثنتين وثلاثمائة وتوفي في صفر من هذه السنة رحمه الله.

محمد ابن أمير المؤمنين

ويكنى بأبي الفضل، كان قد جعله ولي عهده من بعده، وضربت السكة باسمه وخطب له الخطباء على المنابر، ولقب بالغالب بالله، فلم يقدر ذلك. وتوفي فيها عن سبع وعشرين سنة.

محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد

أبو الفتح البزار الطرسوسي، ويعرف بابن البصري، سمع الكثير من المشايخ، وسمع منه الصوري ببيت المقدس، حين أقام بها، وكان ثقة مأموناً.

ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة

فيها ورد كتاب يمين الدولة محمود بن سبكتكين، يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند في السنة الخالية، وفيه أنه دخل مدينة فيها ألف قصر مشيد، وألف بيت للأصنام. وفيها من الأصنام شيء كثير، ومبلغ ما على الصنم من الذهب ما يقارب مائة ألف دينار، ومبلغ الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم، وعندهم صنم معظم، يؤرخون له وبه بجهالتهم ثلاثمائة ألف عام، وقد سلبنا ذلك كله وغيره مما لا يحصى ولا يعد، وقد غنم المجاهدون في هذه الغزوة شيئاً كثيراً، وقد عمموا المدينة بالإحراق، فلم يتركوا منها إلا الرسوم، وبلغ عدد القتلى من الهنود خمسين ألفاً، وأسلم منهم نحو من عشرين ألفاً، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثاً وخمسين ألفاً، واعترض من الأفيال ثلاثمائة وست وخمسين فيلاً، وحصل من الأموال عشرون ألف ألف درهم، ومن الذهب شيء كثير. وفي ربيع الآخر منها قرىء عهد أبي الفوارس ولقب قوام الدولة، وخلع عليه خلعاً حملت إليه بولاية كرمان، ولم يحج في هذه السنة أحد من العراق.

وممن توفي فيها من الأعيان الأصيفر الذي كان يخفر الحجاج.

أحمد بن موسى بن مردويه

ابن فورك، أبو بكر الحافظ الأصبهاني، توفي في رمضان منها.

هبة الله بن سلامة

أبو القاسم الضرير المقرىء المفسر، كان من أعلم الناس وأحفظهم للتفسير، وكانت له حلقة في جامع المنصور، روى ابن الجوزي بسنده إليه قال: كان لنا شيخ نقرأ عليه فمات بعض أصحابه فرآه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قال: فما كان حالك مع منكر ونكير؟ فقال: لما أجلساني وسألاني ألهمني الله أن قلت: بحق أبي بكر وعمر دعاني، فقال أحدهما للآخر: قد أقسم بعظيمين فدعه، فتركاني وذهبا.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمائة

فيها عدم الحاكم بمصر، وذلك أنه لما كان ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوال فقد الحاكم بن المعز الفاطمي صاحب مصر، فاستبشر المؤمنون والمسلمون بذلك، وذلك لأنه كان جباراً عنيداً، وشيطاناً مريداً. ولنذكر شيئاً من صفاته القبيحة، وسيرته الملعونة، أخزاه الله.

كان كثير التلون في أفعاله وأحكامه وأقواله، جائراً، وقد كان يروم أن يدعي الألوهية كما ادعاها فرعون، فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدامهم صفوفاً، إعظاماً لذكره واحتراماً لاسمه، فعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين، وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجداً له، حتى أنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم، ممن كان لا يصلي الجمعة، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة وغيره ويسجدون للحاكم، وأمر في وقت لأهل الكتابين بالدخول في دين الإسلام كرهاً، ثم أذن لهم في العود إلى دينهم، وخرب كنائسهم ثم عمرها، وخرب القمامة ثم أعادها، وابتنى المدارس. وجعل فيها الفقهاء والمشايخ، ثم قتلهم وأخربها، وألزم الناس بغلق الأسواق نهاراً، وفتحها ليلاً، فامتثلوا ذلك دهراً طويلاً، حتى اجتاز مرة برجل يعمل النجارة في أثناء النهار فوقف عليه فقال: ألم أنهكم؟ فقال: يا سيدي لما كان الناس يتعيشون بالنهار كانوا يسهرون بالليل، ولما كانوا يتعيشون بالليل سهروا بالنهار فهذا من جملة السهر، فتبسم وتركه. وأعاد الناس إلى أمرهم الأول، وكل هذا تغيير للرسوم، واختبار لطاعة العامة له، ليرقى في ذلك إلى ما هو أشر وأعظم منه. وقد كان يعمل الحسبة بنفسه فكان يدور بنفسه في الأسواق على حمار له ـ وكان لا يركب إلا حماراً ـ فمن وجده قد غش في معيشة أمر عبداً أسود معه يقال له مسعود، أن يفعل به الفاحشة العظمى، وهذا أمر منكر ملعون، لم يسبق إليه، وكان قد منع

النساء من الخروج من منازلهن وقطع شجر الأعناب حتى لا يتخذ الناس منها خمراً، ومنعهم من طبخ الملوخية، وأشياء من الرعونات التي من أحسنها منع النساء من الخروج، وكراهة الخمر، وكانت العامة تبغضه كثيراً، ويكتبون له الأوراق بالشتيمة البالغة له ولأسلافه في صورة قصص، فإذا قرأها ازداد غيظاً وحنقاً عليهم، حتى أن أهل مصر عملوا صورة امرأة من ورق بخفيها وإزارها. وفي يدها قصة من الشتم واللعن والمخالفة شيء كثير، فلما رآها ظنها امرأة، فذهب من ناحيتها وأخذ القصة من يدها فقرأها فرأى ما فيها، فأغضبه ذلك جداً، فأمر بقتل المرأة، فلما تحققها من ورق ازداد غيظاً إلى غيظه، ثم لما وصل إلى القاهرة أمر السودان أن يذهبوا إلى مصر فيحرقوها وينهبوا ما فيها من الأموال والمتاع والحريم، فذهبوا فامتثلوا ما أمرهم به، فقاتلهم أهل مصر قتالاً شديداً، ثلاثة أيام، والنار تعمل في الدور والحريم، وهو في كل يوم قبحه الله، يخرج فيقف من بعيد وينظر ويبكي ويقول: من أمر هؤلاء العبيد بهذا؟ ثم اجتمع الناس في الجوامع ورفعوا المصاحف وصاروا إلى الله عز وجل، واستغاثوا به، فرق لهم الترك والمشارقة وانحازوا إليهم، وقاتلوا معهم عن حريمهم ودورهم، وتفاقم الحال جداً، ثم ركب الحاكم لعنه الله ففصل بين الفريقين، وكف العبيد عنهم، وكان يظهر التنصل مما فعله العبيد وأنهم ارتكبوا ذلك من غير علمه وإذنه، وكان ينفذ إليهم السلاح ويحثهم على ذلك في الباطن، وما انجلى الأمر حتى احترق من مصر نحو ثلثها، ونُهِبَ قريب من نصفها، وسبيت نساء وبنات كثيرة وفعل معهن الفواحش والمنكرات، حتى أن منهن من قتلت نفسها خوفاً من العار والفضيحة، واشترى الرجال منهم من سبى لهم من النساء والحريم.

قال ابن الجوزي: ثم ازداد ظلم الحاكم حتى عنّ له أن يدعي الربوبية، فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون: يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت قبحهم الله جميعاً.

صفة مقتله لعنه الله

كان قد تعدى شره إلى الناس كلهم حتى إلى أخته، وكان يتهمها بالفاحشة، ويسمعها أغلظ الكلام، فتبرمت منه، وعملت على قتله، فراسلت أكبر الأمراء، أميراً يقال له ابن دواس، فتوافقت هي وهو على قتله ودماره، وتواطآ على ذلك، فجهز من عنده عبدين، أسودين شهمين، وقال لهما: إذا كانت الليلة الفلانية فكونا في جبل المقطم، ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل لينظر في النجوم، وليس معه أحد إلا ركابي وصبي، فاقتلاه واقتلاهما معه، واتفق الحال على ذلك. فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لأمه: علي في هذه الليلة قطع عظيم، فإن نجوت منه عمرت نحواً من ثمانين سنة، ومع هذا فانقلي حواصلي إليك، فإن أخوف ما أخاف عليك من أختي، وأخوف ما أخاف على نفسي منها، فنقل حواصله إلى أمه، وكان له في صناديق قريب من ثلاثمائة ألف دينار، وجواهر أخر، فقالت له أمه: يا مولانا إذا كان الأمر كما تقول فارحمني ولا تركب في ليلتك هذه إلى موضع وكان يحبها. فقال: أفعل،

وكان من عادته أن يدور حول القصر كل ليلة، فدار ثم عاد إلى القصر، فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير، فاستيقظ وقال: إن لم أركب الليلة فاضت نفسي، فثار فركب فرساً وصحبه صبي وركابي، وصعد الجبل المقطم فاستقبله ذانك العبدان فأنزلاه عن مركوبه، وقطعا يديه ورجليه، وبقرا بطنه، فأتيا به مولاهما ابن دواس، فحمله إلى أخته فدفنته في مجلس دارها، واستدعت الأمراء والأكابر والوزير وقد أطلعته على الجلية، فبايعوا لولد الحاكم أبي الحسن علي، ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله، وكان بدمشق، فاستدعت به وجعلت تقول للناس: إن الحاكم قال لي: إنه يغيب عنكم سبعة أيام ثم يعود، فاطمأن الناس، وجعلت ترسل ركابيين إلى الجبل فيصعدونه، ثم يرجعون فيقولون تركناه في الموضع الفلاني، ويقول الذين بعدهم لأمه: تركناه في موضع كذا وكذا. حتى اطمأن الناس وقدم ابن أخيها واستصحب معه من دمشق ألف ألف دينار، وألفي ألف درهم، فحين وصل ألبسته تاج جد أبيه المعز، وحلة عظيمة، وأجلسته على السرير، وبايعه الأمراء والرؤساء وأطلق لهم الأموال، وخلعت على ابن دواس خلعة سنية هائلة، وعملت عزاء أخيها الحاكم ثلاثة أيام، ثم أرسلت إلى ابن دواس طائفة من الجند ليكونوا بين يديه بسيوفهم وقوفاً في خدمته، ثم يقولوا له في بعض الأيام: أنت قاتل مولانا، ثم يهبرونه بسيوفهم، ففعلوا ذلك، وقتلت كل من اطلع على سرها في قتل أخيها، فعظمت هيبتها وقويت حرمتها وثبتت دولتها. وقد كان عمر الحاكم يوم قتل سبعاً وثلاثين سنة، ومدة ملكه من ذلك خمساً وعشرين سنة لعنه الله.

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وأربعمائة

فيها تولى القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد السمناني الحسبة والمواريث ببغداد، وخلع عليه السواد وفيها قالت جماعة من العلماء والمسلمين للملك الكبير يمين الدولة، محمود بن سبكتكين: أنت أكبر ملوك الأرض، وفي كل سنة تفتح طائفة من بلاد الكفر، وهذه طريق الحج، قد تعطلت من مدة سنتين وفتحك لها أوجب من غيرها. فتقدم إلى قاضي القضاة أبي محمد الناصحي أن يكون أمير الحج في هذه السنة، وبعث معه بثلاثين ألف دينار للأعراب، غير ما جهز من الصدقات، فسار الناس بصحبته، فلما كانوا بفَيْد اعترضهم الأعراب فصالحهم القاضي أبو محمد الناصحي بخمسة آلاف دينار، فامتنعوا وصمم كبيرهم - وهو جماز بن عُدَي - على أخذ الحجيج، وركب فرسه وجال جولة واستنهض شياطين العرب، فتقدم إليه غلام من سمرقند [يقال له ابن عفان] فرماه بسهم فوصل إلى قلبه فسقط ميتاً، وانهزمت الأعراب، وسلك الناس الطريق فحجوا ورجعوا سالمين والحمد لله والمنة.

وفيها توفي من الأعيان:

أبو سعد الماليني

أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن حفص، أبو سعد الماليني، ومالين قرية من

قرى هراة، كان من الحفاظ المكثرين الراحلين في طلب الحديث إلى الآفاق، وكتب كثيراً، وكان ثقة صدوقاً صالحاً، مات بمصر في شوال منها.

الحسن بن الحسين

ابن محمد بن الحسين بن رامين القاضي، أبو محمد الاستراباذي، نزل بغداد وحدث بها عن الإسماعيلي وغيره، كان شافعياً كبيراً، فاضلاً صالحاً.

الحسن بن منصور بن غالب

الوزير الملقب ذا السعادتين، ولد بسيراف سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة [وتنقلت به الأحوال][1] ثم صار وزيراً ببغداد ثم قتل وصودر أبوه على ثمانين ألف دينار.

الحسين بن عمرو

أبو عبد الله الغزال، سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم. قال الخطيب: كتبت عنه وكان ثقة صالحاً كثير البكاء عند الذكر.

محمد بن عمر

أبو بكر العنبري الشاعر، كان أديباً ظريفاً، حسن الشعر، فمن ذلك قوله:

إنِّـي نَـظَـرْتُ إلـى الـزَّمَـا ... نِ وَأَهْـلِـهِ نَـظَـراً كَـفَـانِـي
فَـعَـرَفْـتُـهُ وَعَـرَفْـتُـهُـمْ ... وَعَـرَفْـتُ عِـزِّي مِـنْ هَـوَانِـي
فَـلِـذَاكَ أَطَّـرِحُ الـصَّـدِ ... يـقَ فَـلا أَرَاهُ وَلا يَـرَانِـي[2]
وَزَهِـدْتُ فِـيـمَـا فـي يَـدَيْـ ... ـهِ وَدُونَـهُ نَـيْـلُ الأَمَـانِـي
فَـتَـعَـجَّـبُـوا لِـمُـغَـالِـبٍ ... وَهَـبَ الأَقَـاصِـي لِـلأَدَانِـي
وَانْـسَـلَّ مِـنْ بَـيْـنِ الـزِّحَـا ... مِ فَـمَـا لَـهُ فِـي الـغَـلْـبِ ثَـانِـي[3]

قال ابن الجوزي: وقد كان متصوفاً ثم خرج عنهم وذمهم بقصائد ذكرتها في تلبيس إبليس توفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى منها.

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

ابن روق بن عبد الله بن زيد بن خالد، أبو الحسن البزار، المعروف بابن رزقويه.

قال الخطيب: هو أول شيخ كتبت عنه في سنة ثلاث وأربعمائة، وكان يذكر أنه درس القرآن ودرس الفقه على مذهب الشافعي، وكان ثقة صدوقاً كثير السماع والكتابة، حسن

---

(١) سقط في ط.

(٢) اطَّرح: أترك، أجفو.

(٣) انسل: انسحب خلسة ومضى.

الاعتقاد، جميل المذهب، مديماً لتلاوة القرآن، شديداً على أهل البدع، وأكب دهراً على الحديث، وكان يقول: لا أحب الدنيا إلا لذكر الله وتلاوة القرآن، وقراءتي عليكم الحديث، وقد بعث بعض الأمراء إلى العلماء بذهب فقبلوا كلهم غيره، فإنه لم يقبل منه شيئاً، وكانت وفاته يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى منها، عن سبع وثمانين سنة، ودفن بالقرب من مقبرة معروف الكرخي.

أبو عبد الرحمن السّلمي

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري، روى عن الأصم وغيره، وعنه مشايخ البغداديين، كالأزهري والعشاري وغيرهما، وروى عنه البيهقي وغيره.

قال ابن الجوزي

كانت له عناية بأخبار الصوفية، فصنّف لهم تفسيراً على طريقتهم وسنناً وتاريخاً، وجمع شيوخاً وتراجم وأبواباً، وله بنيسابور دار معروفة، وفيها صوفية وبها قبره، ثم ذكر كلام الناس في تصعيفه في الرواية، فحكى عن الخطيب عن محمد بن يوسف القطان، أنه قال: لم يكن بثقة، ولم يكن سمع من الأصم شيئاً كثيراً، فلما مات الحاكم روى عنه أشياء كثيرة جداً، وكان يضع للصوفية الأحاديث.

قال ابن الجوزي: وكانت وفاته في ثالث شعبان منها.

أبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري

كان يعظ الناس ويتكلم على الأحوال والمعرفة، فمن كلامه: من تواضع لأحد لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه، لأنه خضع له بلسانه وأركانه، فإن اعتقد تعظيمه بقلبه أو خضع له به ذهب دينه كله. وقال في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢] اذكروني وأنتم أحياء أذكركم وأنتم أموات تحت التراب، وقد تخلى عنكم الأقارب والأصحاب والأحباب. وقال: البلاء الأكبر أن تريد ولا تراد، وتدنو فترد إلى الطرد والإبعاد، وأنشد عند قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤].

جُنِنَّا بِلَيْلَى وَهْيَ جُنَّتْ بِغَيْرِنَا ... وَأُخْرَى بِنَا مَجْنُونَةٌ لا نُرِيدُهَا

وقال في قوله ﷺ: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ»: إذا كان هذا المخلوق لا وصول إليه إلا بتحمل المشاق فما الظن بمن لم يزل؟ وقال في قوله عليه السلام: «جُبِلَتِ القُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا». يا عجباً لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته إليه؟ قلت: كلامه على هذا الحديث جيد والحديث لا يصح بالكلية.

صريع الدلال الشاعر

أبو الحسن علي بن عبيد الواحد، الفقيه البغدادي، الشاعر الماجن، المعروف بصريع

الدلال، قتيل الغواني ذي الرقاعتين، له قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد يقول فيها:

وَأَلْــفُ جِــمْــلٍ مِــنْ مَــتَــاعٍ تُــشْــتَــرِ أَنْــفَــعُ لِــلْــمِــسْــكِــيــنِ مِــنْ لَــقْــطِ الــنَّــوَى
مَــنْ طَــبَــخَ الــدِّيــكَ وَلا يَــذْبَــحُــهُ طَــارَ مِــنَ الــقِــدْرِ إِلــى حَــيْــثُ انْــتَــهَــى
مَــنْ دَخَــلَــتْ فــي عَــيْــنِــهِ مِــسَــلَّــةٌ فَــسَــلْــهُ مِــنْ سَــاعَــتِــهِ كَــيْــفَ الــعَــمَــى
وَالــذَّقْــنُ شَــعْــرٌ فــي الــوُجُــوهِ طَــالِــعٌ كــذلــك الــعُــقْــصَــةُ[1] مــن خَــلْــفِ الــقَــفَــا

إلى أن ختمها بالبيت الذي حسد عليه وهو قوله:

مَــنْ فَــاتَــهُ الــعِــلْــمُ وَأَخْــطَــاهُ الــغِــنَــى فَــذَاكَ وَالــكَــلْــبُ عَــلَــى حَــدٍّ سَــوَى

قدم مصر في سنة ثنتي عشرة وأربعمائة وامتدح فيها خليفتها الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم واتفقت وفاته بها في رجبها سامحه الله.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

فيها جرت كائنة غريبة عظيمة، ومصيبة عامة، وهي أن رجلاً من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء، وذلك أنه لما كان يوم النفر الأول طاف هذا الرجل بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات، وقال: إلى متى نعبد هذا الحجر؟ ولا محمد ولا علي يمنعني مما أفعله، فإني أهدم اليوم هذا البيت، وجعل يرتعد، فاتقاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه، وذلك لأنه كان رجلاً طوالاً جسيماً أحمر اللون أشقر الشعر، وعلى باب الجامع جماعة من الفرسان، وقوف ليمنعوه ممن يريد منعه من هذا الفعل، وأراده بسوء، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه خنجر فوجأه[2] بها، وتكاثر الناس عليه فقتلوه وقطعوه قطعاً، وحرقوه بالنار، وتتبعوا أصحابه فقتلوا منهم جماعة، ونهبت أهل مكة الركب المصري، وتعدى النهب إلى غيرهم، وجرت خبطة عظيمة، وفتنة كبيرة جداً، ثم سكن الحال بعد أن تتبع أولئك النفر الذين تمالؤوا على الإلحاد في أشرف البلاد غير أنه قد سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار، وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة، محبباً مثل الخشخاش، فأخذ بنو شيبة تلك الفلق[3] فعجنوها بالمسك واللّك[4] وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت، فاستمسك الحجر واستمر على ما هو عليه الآن، وهو ظاهر لمن تأمله. وفيها فتح المارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك، أبو علي الحسن، وزير شرف الملك

(١) عقصة: الشعر: عقدته.
(٢) وجأه: شقه.
(٣) الفلق: جمع فلقة، وهي القطعة.
(٤) اللك: نبات يصبغ به.

بواسط، ورتب له الخزان والأشربة والأدوية والعقاقير، وغير ذلك مما يحتاج إليه.

وفيها توفي من الأعيان:

ابن البواب الكاتب

صاحب الخط المنسوب، علي بن هلال أبو الحسن بن البواب، صاحب أبي الحسين بن سمعون الواعظ، وقد أثنى على ابن البواب غير واحد في دينه وأمانته، وأما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها، وخطه أوضح تعريباً من خط أبي علي بن مقلة، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل.

قال ابن الجوزي: توفي يوم السبت ثاني جمادى الآخرة منها، ودفن بمقبرة باب حرب، وقد رثاه بعضهم بأبيات منها قوله:

فَلِلْقُلُوبِ الَّتِي أَبْهَجْتَهَا حُرَقٌ وَلِلْعُيُونِ الَّتِي أَقْرَرْتَهَا سَهَرُ

فَمَا لِعَيْشٍ وَقَدْ وَدَّعْتَهُ أَرَجٌ وَمَا لِلَيْلٍ وَقَدْ فَارَقْتَهُ سَحَرُ

قال ابن خلكان: ويقال له الستري، لأن أباه كان ملازماً لستر الباب، ويقال له ابن البواب وكان قد أخذ الخط عن عبد الله بن محمد بن أسد بن علي بن سعيد البزار، وقد سمع أسد هذا علي النجاد وغيره، وتوفي سنة عشر وأربعمائة، وأما ابن البواب فإنه توفي في جمادى الأولى من هذه السنة، وقيل في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، وقد رثاه بعضهم فقال:

اسْتَشْعَرَ الكُتَّابُ فَقْدَكَ سَالِفاً وَقَضَتْ بِصِحَّةِ ذٰلِكَ الأَيَّامُ

فَلِذَاكَ سُوِّدَتِ الدُّوِيُّ كَآبَةً أَسَفاً عَلَيْكَ وَشُقَّتِ الأَقْلامُ

ثم ذكر ابن خلكان أول من كتب بالعربية، فقيل إسماعيل عليه السلام، وقيل أول من كتب بالعربية من قريش حرب بن أمية بن عبد شمس، أخذها من بلاد الحيرة عن رجل يقال له أسلم بن سدرة، وسأله ممن اقتبستها؟ فقال: من واضعها رجل يقال له مرار[1] بن مروة، وهو رجل من أهل الأنبار.

فأصل الكتابة في العرب من الأنبار. وقال الهيثم بن عدي: وقد كان لحمير كتابة يسمونها المسند، وهي حروف متصلة غير منفصلة، وكانوا يمنعون العامة من تعلمها، وجميع كتابات الناس تنتهي إلى اثني عشر صنفاً وهي العربية والحميرية، واليونانية، والفارسية، والرومانية، والعبرانية، والرومية، والقبطية، والبربرية، والهندية، والأندلسية، والصينية. وقد اندرس كثير منها فقلّ من يعرف شيئاً منها.

وفيها توفي من الأعيان:

---

(١) في ط: مرامر.

علي بن عيسى

ابن سليمان بن محمد بن أبان، أبو الحسن الفارسي المعروف بالسكري الشاعر، وكان يحفظ القرآن ويعرف القراءات، وصحب أبا بكر الباقلاني، وأكثر شعره في مديح الصحابة وذم الرافضة. وكانت وفاته في شوال من هذه السنة ودفن بالقرب من قبر معروف. وقد كان أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات التي عملها وهي قوله:

نَفْسُ، يا نَفْسُ كَمْ تَمَادَيْنَ في تَلَـ ... ـفِي وَتَمْشِينَ فِي الفَعَالِ المَعِيبِ[1]
رَاقِبِـي الله وَاحْذَرِي مَوْقِفَ العَرْ ... ضِ وَخَافِي يَوْمَ الحِسَابِ العَصِيبِ
لا تَغُرَّنْكِ السَّلامَةُ فـي العَيْـ ... ـشِ فَإنَّ السَّلِيمَ رَهْنُ الخُطُوبِ
كُلُّ حَيٍّ فَلِلْمَنُونِ وَلا يَدْ ... فَعُ كَأْسَ المَنُونِ كَيْدُ الأَدِيبِ
وَاعْلَمِي أَنَّ لِلْمَنِيَّةِ وَقْتاً ... سَوْفَ يَأْتي عَجْلاَنَ غَيْرَ هَيُوبِ
إنَّ حُبَّ الصِّدِيقِ فـي مَوْقِفِ الـ ... ـحَشْرِ أَمَانٌ لِلْخَائِفِ المَطْلُوبِ

محمد بن أحمد بن محمد بن منصور

أبو جعفر البيع، ويعرف بالعتيقي، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وأقام بطرسوس مدة، وسمع بها وبغيرها، وحدث بشيء يسير.

ابن المعلم[2]

شيخ الإمامية الروافض، والمصنف لهم، والمحامي عن حوزتهم، كانت له وجاهة عند ملوك الأطراف، لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع، وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف، وكان من جملة تلاميذه الشريف الرضي والمرتضى، وقد رثاه بقصيدة بعد وفاته في هذه السنة، منها قوله:

مَنْ لِعَقْلٍ أَخْرَجْتُ مِنْهُ حُسَاماً ... وَمَعَانٍ فَضَضْتُ عَنْهَا خِتَاما؟
مَنْ يُثِيرُ العُقُولَ مِنْ بَعْدِ مَا ... كُنَّ هُمُداً ويفتحُ الأَفْهَامَا؟
مَنْ يُعِيرُ الصَّدِيقَ رَأْياً إذَا مـا ... سَلَّ في غمرةِ الخُطُوبِ حُسَامَا

ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة

فيها قدم الملك شرف الدولة إلى بغداد فخرج الخليفة في الطيارة لتلقيه، وصحبته الأمراء والقضاة والفقهاء والوزراء والرؤساء، فلما واجهه شرف الدولة قبل الأرض بين يديه

---

(١) تمادين: تتمادين، والتلف: الهلاك.

(٢) في ط: ابن النعمان، وابن النعمان هو نفسه ابن المعلم الشيخ المفيد، واسمه محمد بن محمد بن النعمان أبو عبد الله.

مرات والجيش واقف برمته، والعامة في الجانبين. وفيها ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضاً، وأنه فتح بلاداً، وقتل خلقاً منهم، وأنه صالحه بعض ملوكهم وحمل إليه هدايا سنية، منها فيول كثيرة، ومنها طائر على هيئة القمري، إذا وضع عند الخوان وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء، ومنهما حجر يحك ويؤخذ منه ما تحصل منه فيطلي بها الجراحات ذات الأفواه الواسعة فيلحمها، وغير ذلك. وحج الناس من أهل العراق ولكن رجعوا على طريق الشام لاحتياجهم إلى ذلك.

وفيها توفي من الأعيان:

الحسن بن الفضل بن سهلان

أبو محمد الرامهرمزي، وزير سلطان الدولة، وهو الذي بنى سور الحائر عند مشهد الحسين، قتل في شعبان منها.

الحسن بن محمد بن عبد الله

أبو عبد الله الكشغلي الطبري، الفقيه الشافعي، تفقه على أبي القاسم الداركي، وكان فهماً فاضلاً صالحاً زاهداً، وهو الذي درس بعد الشيخ أبي حامد الأسفراييني في مسجده، مسجد عبد الله بن المبارك في قطيعة الربيع، وكان الطلبة عنده مكرمين، اشتكى بعضهم إليه حاجة وأنه قد تأخرت عنه نفقته التي ترد إليه من أبيه، فأخذه بيده وذهب إلى بعض التجار فاستقرض له منه خمسين ديناراً. فقال التاجر: حتى تأكل شيئاً، فمد السماط فأكلوا وقال: يا جارية هاتي المال، فأحضرت شيئاً من المال فوزن منها خمسين ديناراً ودفعها إلى الشيخ، فلما قاما إذا بوجه ذلك الطالب قد تغير، فقال له الكشغلي: ما لك؟ فقال: يا سيدي قد سكن قلبي حب هذه الجارية، فرجع به إلى التاجر، فقال له: قد وقعنا في فتنة أخرى، فقال: وما هي؟ فقال: إن هذا الفقيه قد هوى الجارية فأمر التاجر الجارية أن تخرج فتسلمها الفقيه، وقال ربما أن يكون قد وقع في قلبها منه مثل الذي قد وقع في قلبه منها، فلما كان عن قريب قدم على ذلك الطالب نفقته من أبيه ستمائة دينار، فوفى ذلك التاجر ما كان له عليه من ثمن الجارية والقرض، وذلك بسفارة الشيخ. توفي في ربيع الآخر منها ودفن بباب حرب.

علي بن عبد الله بن جهضم

أبو الحسن الجهضمي الصوفي المكي، صاحب بهجة الأسرار، كان شيخ الصوفية بمكة، وبها توفي قال ابن الجوزي: وقد ذكر أنه كان كذاباً، ويقال إنه الذي وضع حديث صلاة الرغائب.

القاسم بن جعفر بن عبد الواحد

أبو عمر الهاشمي البصري، قاضيها، سمع الكثير، وكان ثقة أميناً، وهو راوي سنن أبي داود عن أبي علي اللؤلؤي، توفي فيها وقد جاوز التسعين.

محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبار

أبو الفرج القاضي الشافعي، ويعرف بابن سميكة، روى عن النجاد وغيره، وكان ثقة، توفي في ربيع الأول منها ودفن بباب حرب.

محمد بن أحمد

أبو جعفر النسفي، عالم الحنفية في زمانه، وله طريقة في الخلاف. وكان فقيراً متزهداً، بات ليلة قلقاً لما عنده من الفقر والحاجة، فعرض له فكر في فرع من الفروع كان أشكل عليه، فانفتح له فقام يرقص ويقول: أين الملوك؟ فسألته امرأته عن خبره فأعلمها بما حصل له، فتعجبت من شأنه رحمه الله، وكانت وفاته في شعبان منها.

هلال بن محمد

ابن جعفر بن سعدان، أبو الفتح الحفار، سمع إسماعيل الصفار والنجاد وابن الصواف، وكان ثقة، توفي في صفر منها عن اثنتين وتسعين سنة.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة

فيها ألزم الوزير جماع الأتراك والمولدين والشريف المرتضى ونظام الحضرة أبا الحسن الزينبي وقاضي القضاة أبا الحسن بن أبي الشوارب، والشهود، بالحضور لتجديد البيعة لشرف الدولة، فلما بلغ ذلك الخليفة توهم أن تكون هذه البيعة لنية فاسدة من أجله، فبعث إلى القاضي والرؤساء ينهاهم عن الحضور، فاختلفت الكلمة بين الخليفة وشرف الدولة، واصطلحا وتصافيا، وجددت البيعة لكل منهما من الآخر. ولم يحج فيها من ركب العراق ولا خراسان أحد، واتفق أن بعض الأمراء من جهة محمود بن سبكتكين شهد الموسم في هذه السنة، فبعث إليه صاحب مصر بخلع عظيمة ليحملها للملك محمود، فلما رجع بها إلى الملك أرسل بها إلى بغداد إلى الخليفة القادر فحرقت بالنار على باب النوبة للخليفة القادر بالله العباس رحمه الله وجزاه خيراً عن قصده الصالح وحسن سيرته [والله تعالى أعلم](١).

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن [بن عبيد بن عمرو بن خالد](٢)

أبو الفرج المعدل المعروف بابن المسلمة، ولد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وسمع أباه وأحمد بن كامل والنجاد والجهضمي ودعلج وغيرهم، وكان ثقة. سكن الجانب الشرقي من بغداد، وكان يملي في أول كل سنة مجلساً في المحرم، وكان عاقلاً فاضلاً، كثير المعروف، داره مألف لأهل العلم، وتفقه بأبي بكر الرازي، وكان يصوم الدهر، ويقرأ في كل يوم سبعاً، ويعيده بعينه في التهجد، توفي في ذي القعدة منها.

---

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

أحمد بن محمد بن أحمد

ابن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي، أبو الحسن المحاملي، نسبة إلى [بيع][1] المحامل التي يحمل عليها الناس في السفر، تفقه على الشيخ أبي حامد الأسفراييني، وبرع فيه، حتى أن الشيخ كان يقول: هو أحفظ للفقه مني، وله المصنفات المشهورة، منها اللباب، والأوسط والمقنع وله في الخلاف، وعلق على أبي حامد تعليقة كبيرة.

قال ابن خلكان: ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وتوفي يوم الأربعاء لتسع بقين من ربيع الآخر منها، وهو شاب.

عبيد الله بن عبد الله

ابن الحسين أبو القاسم الخفاف، المعروف بابن النقيب، كان من أئمة السنة، وحين بلغه موت ابن المعلم فقيه الشيعة سجد لله شكراً. وجلس للتهنئة وقال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم، ومكث دهراً طويلاً يصلي الفجر بوضوء العشاء.

قال الخطيب: وسألته عن مولده فقال في سنة خمس وثلاثمائة، وأذكر من الخلفاء المقتدر والقاهر والرضي والمتقي لله والمستكفي والمطيع والطائع والقادر والغالب بالله، الذي خطب له بولاية العهد، توفي في سلخ شعبان منها عن مائة وعشر سنين.

عمر بن عبد الله بن عمر

أبو حفص الدلال، قال سمعت الشبلي ينشد قوله:

وَقَــدْ كَــانَ شَــيْءٌ ســمِّــي الــسُّــرُو ... رَ قَــدِيــمــاً سَــمِــعْــنَــا بِــهِ مَــا فَــعَــلْ
خَــلِــيــلِــي، إنْ دَامَ هَــمُّ الــنُّــفُــو ... سِ قَــلِــيــلاً عَــلَــى مــا نَــرَاهُ قَــتَــلْ
يُــؤَمِّــلُ دُنْــيــا لِــتَــبْــقَــى لَــهُ ... فَــمَــاتَ الــمُــؤَمِّــلُ قَــبْــلَ الأَمَــلْ

محمد بن الحسن أبو الحسن

الأقساسي العلوي، نائب الشريف المرتضى في إمرة الحجيج، حج بالناس سنين متعددة، وله فصاحة وشعر، وهو من سلالة زيد بن علي بن الحسين.

ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة

فيها قوي أمر العيارين ببغداد ونهبوا الدور جهرة واستهانوا بأمر السلطان، وفي ربيع الأول منها توفي شرف الدولة بن بويه الدَّيلمي صاحب بغداد والعراق وغير ذلك، فكثرت الشرور ببغداد ونهبت الخزائن، ثم سكن الأمر على تولية جلال الدولة أبي الطاهر، وخطب

---

(١) سقط في ط.

له على المنابر، وهو إذ ذاك على البصرة، وخلع على شرف الملك أبي سعيد بن ماكولا وزيره، ولقب علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك، وهو أول من لقب بالألقاب الكثيرة، ثم طلب من الخليفة أن يبايع كاليجار ولي عهد أبيه سلطان الدولة، الذي استخلفه بهاء الدولة عليهم، فتوقف في الجواب ثم وافقهم على ما أرادوا، وأقيمت الخطبة للملك أبي كاليجار يوم الجمعة سادس عشر شوال منها، ثم تفاقم الأمر ببغداد من جهة العيارين، وكبسوا الدور ليلاً ونهاراً، وضربوا أهلها كما يضرب المصادرون ويستغيث أحدهم فلا يغاث، واشتد الحال وهربت الشرطة من بغداد ولم تغن الأتراك شيئاً، وعملت السرايج على أفواه السكك فلم يفد ذلك شيئاً، وأحرقت دار الشريف المرتضى فانتقل منها، وغلت الأسعار جداً.

ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان.

وممن توفي فيها من الأعيان:

سابور بن أزدشير

وزر لبهاء الدولة ثلاث مرات، ووزر لشرف الدولة، وكان كاتباً سديداً عفيفاً عن الأموال، كثير الخير، سليم الخاطر، وكان إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة، وقد وقف داراً للعلم في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وجعل فيها كتباً كثيرة جداً، ووقف عليها غلة كبيرة، فبقيت سبعين سنة ثم أحرقت عند مجيء الملك طغرل بك في سنة خمسين وأربعمائة، وكانت محلتها بين السورين، وقد كان حسن المعاشرة إلا أنه كان يعزل عماله سريعاً خوفاً عليهم من الأشر والبطر، توفي فيها وقد قارب التسعين.

عثمان النيسابوري

الجداوي الواعظ. قال ابن الجوزي: صنف كتباً في الوعظ من أبرد الأشياء، وفيه أحاديث كثيرة موضوعة، وكلمات مرذولة، إلا أنه كان خيراً صالحاً، وكانت له وجاهة عند الخلفاء والملوك، وكان الملك محمود بن سبكتكين إذا رآه قام له، وكانت محلته حمى يحتمي بها من الظلمة، وقد وقع في بلده نيسابور موت، وكان يغسل الموتى محتسباً[١]، فغسل نحواً من عشرة آلاف ميت، رحمه الله.

محمد بن الحسن بن صالحان

أبو منصور الوزير لشرف الدولة ولبهاء الدولة، كان وزير صدق جيد المباشرة حسن الصلاة، محافظاً على أوقاتها، وكان محسناً إلى الشعراء والعلماء، توفي ببغداد في هذه السنة[٢] عن ست وسبعين سنة.

---

(١) محتسباً: أي طالب الأجر والثواب من الله.

(٢) في ط: فيها.

الملك شرف الدولة

أبو علي بن بهاء الدولة، أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه أصابه مرض حار فتوفي لثمان بقين من ربيع الآخر عن ثلاث وعشرين سنة، وثلاثة أشهر وعشرين يوماً.

التهامي الشاعر

علي بن محمد التهامي أبو الحسن، له ديوان مشهور، وله مرثاة في ولده وكان قد مات صغيراً أولها:

حُكْمُ الـمَنِيَّةِ فِي البَرِيَّةِ جَارِي ... مَا هٰذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
إنِّي لأَرْحَمُ حَاسِدِيَّ لِحَرِّ مَا ... ضَمَّتْ صُدُورُهُمْ مِنَ الأَوْغَارِ[1]
نَظَرُوا صَنِيعَ الله بِي فَعُيُونُهُمْ ... فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي نَارِ

ومنها في ذمّ الدنيا:

جبلتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرومهَا ... صَفْواً مِنَ الأَقْذَارِ وَالأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا ... مُتَطَلِّبٌ فِي المَاءِ جَذْوَةَ نَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ المُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا ... تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرٍ هَارِ[2]

ومنها قوله في ولده بعد موته:

جَاوَرْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبَّهُ ... شَتَّانَ بَيْنَ جِوَارِهِ وَجِوَارِي

وقد ذكر ابن خلكان أنه رآه بعضهم في المنام في هيئة حسنة فقال له بعض أصحابه: بم نلت هذا؟ فقال: بهذا البيت: شتان بين جواره وجواري.

ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة

في العشرين من محرمها وقعت فتنة عظيمة بين الإسفهلارية وبين العيارين، وركبت لهم الأتراك بالدبابات، كما يفعل في الحرب، وأحرقت دور كثيرة من الدور التي احتمى فيها العيارون، وأحرق من الكرخ جانب كبير، ونهب أهله، وتعدى النهب إلى غيرهم، وقامت فتنة عظيمة ثم خمدت الفتنة في اليوم الثاني، وقرر على أهل الكرخ مائة ألف دينار، مصادرة، لإثارتهم الفتن والشرور. وفي شهر ربيع الآخر منها شهد أبو عبد الله الحسين بن علي، الصيمري عند قاضي القضاة ابن أبي الشوارب بعدما كان استتابه عما ذكر عنه من الاعتزال. وفي رمضان منها انقض كوكب سمع له دوي كدويّ الرعد، ووقع في سلخ شوال برد لم يعهد مثله، واستمر ذلك إلى العشرين من ذي الحجة، وجمد الماء طول هذه المدة، وقاسى الناس شدة عظيمة، وتأخر المطر وزيادة دجلة، وقلّت الزراعة، وامتنع كثير من الناس عن التصرف.

---

(١) الأوغار: الأحقاد.

(٢) شفير هارٍ: أي جانب متصدع يكاد يتهدم.

ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة لفساد البلاد وضعف الدولة والله اعلم.

وفيها توفي من الأعيان قاضي القضاة ابن أبي الشوارب.

أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، أبو الحسن القرشي الأموي، قاضي قضاة بغداد بعد ابن الأكفاني بثنتي عشرة سنة، وكان عفيفاً نزهاً، وقد سمع الحديث من أبي عمر الزاهد وعبد الباقي بن قانع، إلا أنه لم يحدث. قاله ابن الجوزي.

وحكى الخطيب البغدادي عن شيخه أبي العلاء الواسطي: أن أبا الحسن هذا آخر من ولي الحكم ببغداد، من سلالة محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وقد ولي الحكم من سلالته أربعة وعشرون، منهم ولوا قضاء قضاة ببغداد. قال أبو العلاء: ما رأينا مثل أبي الحسن هذا، جلالة ونزاهة وصيانة وشرفاً. وقد ذكر القاضي الماوردي أنه كان له صديقاً وصاحباً، وأن رجلاً من خيار الناس أوصى له بمائتي دينار، فحملها إليه الماوردي فأبى القاضي أن يقبلها، وجهد عليه كل الجهد فلم يفعل، وقال له: سألتك بالله لا تذكرن هذا لأحد ما دمت حياً، ففعل الماوردي، فلم يخبر عنه إلا بعد موته، وكان ابن أبي الشوارب فقيراً إليها، وإلى ما هو دونها فلم يقبلها رحمه الله. توفي في شوال منها.

جعفر بن أبان

أبو مسلم الختلي سمع ابن بطة ودرس فقه الشافعي على الشيخ أبي حامد الأسفراييني، وكان ثقة ديناً، توفي في رمضان منها.

عمرو بن أحمد بن عبدويه

أبو حازم الهذلي النيسابوري، سمع ابن بجيد والإسماعيلي، وخلقاً، وسمع منه الخطيب وغيره، وكان الناس ينتفعون بإفادته وانتخابه، توفي يوم عيد الفطر منها.

علي بن أحمد بن عمر بن حفص

أبو الحسن المقري المعروف بالحمامي، سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم، وكان صدوقاً فاضلاً، حسن الاعتقاد، وتفرد بأسانيد القراءات وعلوها، توفي في شعبان منها عن تسع وثمانين سنة.

صاعد بن الحسن

ابن عيسى الربعي البغدادي، صاحب كتاب الفصوص في اللغة على طريقة القالي في الأمالي، صنفه للمنصور بن أبي عامر، فأجازه عليه خمسة آلاف دينار، ثم قيل له إنه كذاب متهم فقال في ذلك بعض الشعراء:

قَدْ غَاصَ فِي الماء كِتَابُ الفُصُوص وَهٰكَذا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوص

فلما بلغ صاعداً هذا البيت أنشد:

عَادَ إلى عُنْصُرِهِ إنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ البُحُورِ الفُصُوص

قلت: كأنه سمي هذا الكتاب بهذا الاسم ليشاكل به الصحاح للجوهري، لكنه كان مع فصاحته وبلاغته وعلمه متهماً بالكذب، فلهذا رفض الناس كتابه، ولم يشتهر، وكان ظريفاً ماجناً سريع الجواب، سأله رجل أعمى على سبيل التهكم فقال له: ما الحُرتَقَلُ؟ فأطرق ساعة وعرف أنه افتعل هذا من عند نفسه ثم رفع رأسه إليه فقال: هو الذي يأتي نساء العميان، ولا يتعداهن إلى غيرهن، فاستحى ذلك الأعمى وضحك الحاضرون. توفي في هذه السنة سامحه الله.

القفال المروزي [هو أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله القفال](١)

أحد أئمة الشافعية الكبار، علماً وزهداً وحفظاً وتصنيفاً، وإليه تنسب الطريقة الخراسانية، ومن أصحابه الشيخ أبو محمد الجويني، والقاضي حسين(٢)، وأبو علي السبخي، قال ابن خلكان: وأخذ عنه إمام الحرمين، وفيما قاله نظر. لأن سن إمام الحرمين لا يحتمل ذلك، فإن القفال هذا مات في هذه السنة وله تسعون سنة، ودفن بسجستان، وإمام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة كما سيأتي، وإنما قيل له القفال لأنه كان أولاً يعمل الأقفال، ولم يشتغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة

في ربيع الأول منها وقع برد أهلك شيئاً كثيراً من الزروع والثمار، وقتل خلقاً كثيراً من الدواب.

قال ابن الجوزي: وقد قيل إنه كان في برده كل بردة رطلان وأكثر، وفي واسط بلغت البردة أرطالاً، وفي بغداد بلغت قدر البيض. وفي ربيع الآخر سألت الإسفهلارية الغلمان الخليفة أن يعزل عنهم أبا كاليجار، لتهاونه بأمرهم، وفساده وفساد الأمور في أيامه، ويولي عليهم جلال الدولة، الذي كانوا قد عزلوه عنهم، فماطلهم الخليفة في ذلك وكتب إلى أبي كاليجار أن يتدارك أمره، وأن يسرع الأوبة إلى بغداد، قبل أن يفوت الأمر. وألح أولئك على الخليفة في تولية جلال الدولة، وأقاموا له الخطبة ببغداد، وتفاقم الحال، وفسد النظام.
وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضاً، وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بسومنات، وقد كانوا يفدون إليه من كل فج عميق، كما يفد الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم، وينفقون عنده النفقات والأموال الكثيرة، التي لا توصف ولا تعد، وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية، ومدينة مشهورة، وقد امتلأت

(١) سقط في ط.

(٢) في ط: حسنين.

خزائنه أموالاً، وعنده ألف رجل يخدمون! وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس حجيجه وثلاثمائة [وخمسين][١] رجل يغنون ويرقصون على بابه، لما يضرب على بابه الطبول والبوقات، وكان عنده من المجاورين ألوف يأكلون من أوقافه، وقد كان البعيد من الهنود يتمنى لو بلغ هذا الصنم، وكان يعوقه طول المفاوز[٢] وكثرة الموانع والآفات، ثم استخار الله السلطان محمود لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده، وكثرة الهنود في طريقه، والمفاوز المهلكة، والأرض الخطرة، في تجشم ذلك في جيشه، وأن يقطع تلك الأهوال إليه، فندب جيشه لذلك فانتدب معه ثلاثون ألفاً من المقاتلة، ممن اختارهم لذلك، سوى المتطوعة، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن، ونزلوا بساحة عباده، فإذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة، قال: فما كان بأسرع من أن ملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفاً وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار. وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالاً جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم، فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم، فقال: حتى أستخير الله عز وجل، فلما أصبح قال: إني فكرت في الأمر الذي ذكر فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم؟ أحب إلي من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا، ثم عزم فكسره رحمه الله، فوجد عليه وفيه من الجواهر واللآلىء والذهب والجواهر النفيسة ما ينيف على ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة، ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل الذي مثقال دانق[٣] منه خير من الدنيا وما فيها، مع ما حصل له من الثناء الجميل الدنيوي، فرحمه الله وأكرم مثواه، وفي يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة إلى بغداد فتلقاه الخليفة في دجلة في طيارة، ومعه الأكابر والأمراء، فلما واجه جلال الدولة الخليفة قبل الأرض دفعات، ثم سار إلى دار الملك، وعاد الخليفة إلى داره، وأمر جلال الدولة أن يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الثلاث، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة، وصمصامها وشرفها وبهائها، وكان الخليفة يضرب له الطبل في الصلوات الخمس، فأراد جلال الدولة ذلك فقيل له يحمل هذه المساواة الخليفة في ذلك، ثم صمم على ذلك في أوقات الخمس.

قال ابن الجوزي: وفيها وقع برد شديد حتى جمد الماء والنبيذ وأبوال الدواب والمياه الكبار، وحافات دجلة.

ولم يحج أحد من أهل العراق.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو عبد الله الشاهد، خطب له في جامع المنصور

(١) سقط في ط.

(٢) المفاوز: جمع مفازة وهي الأرض المهلكة.

(٣) الدانق: عملة كانت متداولة أيام العباسيين.

في سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ولم يخطب إلا بخطبة واحدة جماعات كثيرة متعددة، فكان إذا سمعها الناس منه ضجوا بالبكاء وخشعوا لصوته.

الحسين بن علي بن الحسين

أبو القاسم المغربي الوزير، ولد بمصر في ذي الحجة سنة تسعين وثلاثمائة، وهرب منها حين قتل صاحبها الحاكم أباه وعمه محمداً، وقصد مكة ثم الشام ووزر في عدة أماكن، وكان يقول الشعر الحسن، وقد تذاكر هو وبعض الصالحين فأنشده ذلك الصالح شعراً:

إذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا غنياً فَلاَ تَكُنْ ... عَلَى حَالَةٍ إلاَّ رَضِيتَ بِدُونِهَا

فاعتزل المناصب والسلطان، فقال له بعض أصحابه: تركت المنازل والسلطان في عنفوان شبابك؟ فأنشأ يقول:

كُنْتُ فِي سَفَرَ الجَهْلِ والبَطَالَةِ ... حِيناً فَحَانَ مِنِّي القُدُومُ
تُبْتُ مِنْ كُلِّ مَأْثَم فَعَسَى يَمَّحِي ... بِهٰذَا الحَدِيثِ ذَاكَ القَدِيمُ
بَعْدَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ تعدَّت ... أَلاَ إنَّ الإلٰه القَدِيمَ كَرِيمُ

توفي بميافارقين في رمضان منها عن خمس وأربعين سنة، ودفن بمشهد علي.

محمد بن الحسن بن إبراهيم

أبو بكر الوراق، المعروف بابن الخفاف، روى عن القطيعي وغيره، وقد اتهموه بوضع الحديث والأسانيد، قاله الخطيب وغيره.

أبو القاسم اللالكائي

هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي: وهو طبري الأصل، أحد تلامذة الشيخ أبي حامد الأسفراييني، كان يفهم ويحفظ، وعني بالحديث فصنف فيه أشياء كثيرة، ولكن عاجلته المنية قبل أن تشتهر كتبه، وله كتاب في السنة وشرفها، وذكر طريقة السلف الصالح في ذلك، وقع لنا سماعه على الحجاز[(١)] عالياً عنه، توفي بالدينور في رمضان منها، ورآه بعضهم في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قال بم؟ قال: بشيء قليل من السنة أحييته.

أبو القاسم ابن أمير المؤمنين القادر [بالله][(٢)]

توفي ليلة الأحد من جمادى الآخرة، وصلي عليه غير مرة، ومشى الناس في جنازته وحزن عليه أبوه حزناً شديداً، وقطع الطبل أياماً.

كان شاعراً، وله شعر حسن.

(١) في ط: الحجار.
(٢) سقط في ط.

ابن طباطبا الشريف أبو إسحاق

وهو الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني إبراهيم بن محمد بن مهران ـ الشيخ أبو إسحاق الإمام العلامة، ركن الدين الفقيه الشافعي، المتكلم الأصولي، صاحب التصانيف في الأصلين، جامع الحلي في مجلدات، والتعليقة النافعة في أصول الفقه، وغير ذلك، وقد سمع الكثير من الحديث من أبي بكر الإسماعيلي ودعلج وغيرهما، وأخذ عنه البيهقي والشيخ أبو الطيب الطبري، والحاكم النيسابوري، وأثنى عليه، توفي يوم عاشوراء منها بنيسابور، ثم نقل إلى بلده ودفن بمشهده.

القدوري

صاحب الكتاب المشهور في مذهب أبي حنيفة أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان، أبو الحسن القدوري الحنفي، صاحب المصنف المختصر، الذي يحفظ، كان إماماً بارعاً عالماً، وثبتاً مناظراً، وهو الذي تولى مناظرة الشيخ أبي حامد الأسفراييني من الحنفية، وكان القدوري يطريه ويقول: هو أعلم من الشافعي، وأنظر منه، توفي يوم الأحد الخامس من رجب منها السنة، عن ست وخمسين سنة، ودفن إلى جانب الفقيه أبي بكر الخوارزمي الحنفي.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة

فيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة ونهبوا دار وزيره، وجرت له أمور طويلة، آل الحال فيها إلى أنهم اتفقوا على إخراجه من البلد، فهيىء له بزذون رث، فخرج وفي يده طير نهاراً، فجعلوا لا يلتفتون إليه ولا يفكرون فيه، فلما عزم على الركوب في ذلك البرذون الرث رثوا له ورقوا له ولهيئته وقبلوا الأرض بين يديه، وانصلحت قضيته بعد فسادها. وفيها قلَّ الرطب جداً بسبب هلاك النخل في السنة الماضية بالبرد، فبيع الرطب كل ثلاثة أرطال بدينار جلالي، ووقع برد شديد أيضاً فأهلك شيئاً كثيراً من النخيل أيضاً. ولم يحج أحد من أهل المشرق ولا من أهل الديار المصرية فيها، إلا أن قوماً من خراسان ركبوا في البحر من مدينة مكران فانتهوا إلى جدة فحجوا.

وممن توفي فيها من الأعيان:

حمزة بن إبراهيم بن عبد الله

أبو الخطاب المنجم، حظي عند بهاء الدولة وعلماء النجوم، وكان له بذلك وجاهة عنده، حتى أن الوزراء كانوا يخاوفونه ويتوسلون به إليه، ثم صار أمره طريداً بعيداً حتى مات يوم مات بالكرخ من سامرا غريباً، فقيراً مفلوجاً قد ذهب ماله وجاهه وعقله.

محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد

أبو الحسن التاجر، سمع الكثير على المشايخ المتقدمين، وتفرد بعلو الإسناد، وكان ذا

مال جزيل فخاف من المصادرة ببغداد فانتقل إلى مصر فأقام بها سنة، ثم عاد إلى بغداد فاتفق مصادرة أهل محلته فقسط عليه ما أفقره، ومات حين مات ولم يوجد له كفن ولم يترك شيئاً فأرسل له القادر بالله ما كفن فيه.

مبارك الأنماطي

كان ذا مال جزيل نحو ثلاثمائة ألف دينار، مات ولم يترك وارثاً سوى ابنة واحدة ببغداد. وتوفي هو بمصر.

أبو الفوارس بن بهاء الدولة

كان ظالماً وكان إذا سكر يضرب الرجل من أصحابه أو وزيره مائتي مقرعة، بعد أن يحلفه بالطلاق أنه لا يتأوه، ولا يخبر بذلك أحداً. فيقال إن حاشيته سموه، فلما مات نادوا بشعار أخيه كاليجار.

أبو محمد بن الساد

وزير كاليجار، ولقبه معز الدولة، فلك الدولة، رشيد الأمة، وزير الوزراء، عماد الملك، ثم سلم بعد ذلك إلى جلال الدولة فاعتقله ومات فيها.

أبو عبد الله المتكلم

توفي فيها، هكذا رأيت ابن الجوزي ترجمه مختصراً.

ابن غلبون الشاعر

عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب أبو محمد الشامي ثم الصوري، الشاعر المطبق، له ديوان مليح، كان قد نظم قصيدة بليغة في بعض الرؤساء، ثم أنشدها لرئيس آخر يقال له ذو النعمتين، وزاد فيها بيتاً واحداً يقول فيه:

ولكَ المناقبُ كلُّها ... فَلِمَ اقتصرتَ على اثنتين

فأجازه جائزة سنية، فقيل له: إنه لم يقلها فيك، فقال: إن هذا البيت وحده بقصيدة وله أيضاً في بخيل نزل عنده:

وَأَخٍ مَسَّهُ نُزُولِي بِقَرْحٍ ... مِثْلُ مَا مَسَّنِي مِنْهُ جُرْحُ
بِتُّ ضَيْفاً لَهُ كَمَا حَكَمَ الدَّهْـ ... ـرُ وَفِي حُكْمِهِ عَلَى الحُرِّ قُبْحُ
فَابْتَدَانِي يَقُولُ وَهْوَ مِنَ الـ ... سُّكْرِ بِالهَمِّ طَافِحٌ لَيْسَ يَصْحُو
لِمْ تَغَرَّبْتَ؟ قُلْتُ قَالَ رَسُولُ اللَّـ ... ـهِ وَالقَوْلُ مِنْهُ نُصْحٌ وَنُجْحُ
«سَافِرُوا تَغْنَمُوا» فَقَالَ وَقَدْ قَا ... لَ تَمَامُ الحَدِيثِ «صُومُوا تَصِحُّوا»

ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة

فيها سقط بناحية المشرق مطر شديد، معه برد كبار.

قال ابن الجوزي: حزرت البردة الواحدة منه مائة وخمسون رطلاً، وغاصت في الأرض نحواً من ذراع. وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين أنه أحل بطائفة من أهل الري من الباطنية والروافض قتلاً ذريعاً، وصلباً شنيعاً، وأنه انتهب أموال رئيسهم رستم بن علي الديلمي، فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار، وقد كان في حيازته نحو من خمسين امرأة حرة، وقد ولدن له ثلاثاً وثلاثين ولداً بين ذكر وأنثى، وكانوا يرون إباحة ذلك. وفي رجب منها انقض كواكب كثيرة شديدة الضوء شديدة الصوت. وفي شعبان منها كثرت العملات وضعفت رجال المعونة عن مقاومة العيارين. وفي يوم الاثنين منها ثامن عشر رجب غار ماء دجلة حتى لم يبق منه إلا القليل، ووقفت الأرحاء[1] عن الطحن، وتعذر ذلك. وفي هذا اليوم جمع القضاة والعلماء في دار الخلافة وقرىء عليهم كتاب جمعه القادر بالله، فيه مواعظ وتفاصيل مذاهب أهل السنة[2]، وفيه الرد على أهل البدع، وتفسيق من قال بخلق القرآن، وصفة ما وقع بين بشر المريسي وعبد العزيز بن يحيى الكتاني من المناظرة، ثم ختم القول بالمواعظ، والقول بالمعروف، والنهي عن المنكر. وأخذ خطوط الحاضرين بالموافقة على ما سمعوه. وفي يوم الاثنين غرة ذي القعدة جمعوا أيضاً كلهم وقرىء عليهم كتاب آخر طويل يتضمن بيان السنة والرد على أهل البدع ومناظرة بشر المريسي والكتاني أيضاً، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفضل الصحابة، وذكر فضائل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولم يفرغوا منه إلا بعد العتمة، وأخذت خطوطهم بموافقة ما سمعوه. وعزل خطباء الشيعة، وولى خطباء السنة ولله الحمد والمنة على ذلك وغيره. وجرت فتنة بمسجد براثا، وضربوا الخطيب السني بالآجر، حتى كسروا أنفه وخلعوا كتفه، فانتصر له الخليفة وأهان الشيعة وأذلهم، حتى جاؤوا يعتذرون مما صنعوا، وأن ذلك إنما تعاطاه السفهاء منهم. ولم يتمكن أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة من الحج.

وفيها توفي من الأعيان:

الحسن بن أبي القين

أبو علي الزاهد، أحد العباد والزهاد وأصحاب الأحوال، دخل عليه بعض الوزراء فقبل يده، فعوتب الوزير بذلك فقال: كيف لا أقبل يداً ما امتدت إلا إلى الله عزّ وجل.

علي بن عيسى بن الفرج بن صالح

أبو الحسن الربعي النحوي، أخذ العربية أولاً عن أبي سعيد السيرافي، ثم عن أبي

(١) الأرحاء: جمع رحى، وهي الطاحون.

(٢) في ط: البصرة.

علي الفارسي ولازمه عشرين سنة حتى كان يقول: قولوا له لو سار من المشرق إلى المغرب لم يجد أحداً أنحى منه[١]، كان يوماً يمشي على شاطىء دجلة إذ نظر إلى الشريفين الرضي والمرتضى في سفينة، ومعهما عثمان بن جني، فقال لهما: من أعجب الأشياء عثمان معكما، وعليّ بعيد منكما، يمشي على شاطىء الفرات. فضحكا وقالا: باسم الله. توفي في المحرم منها عن ثنتين وتسعين سنة، ودفن بباب الدير، ويقال إنه لم يتبع جنازته إلا ثلاثة أنفس.

أسد الدولة

أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس الكلابي، أول ملوك بني مرداس بحلب، انتزعها من يدي نائبها عن الظاهر بن الحاكم العبيدي، في ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة، ثم جاءه جيش كثيف من مصر فاقتتلوا فقتل أسد الدولة هذا في سنة تسع عشرة، وقام حفيده نصر.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة

فيها توفي الملك الكبير المجاهد الغازي، فاتح بلاد الهند محمود بن سبكتكين رحمه الله، لما كان في ربيع الأول من هذه السنة توفي الملك العادل الكبير الثاغر المرابط، المؤيد المنصور، يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين، صاحب بلاد غزنة ومالك تلك الممالك الكبار، وفاتح أكثر بلاد الهند قهراً، وكاسر أصنامهم وندودهم وأوثانهم وهنودهم، وسلطانهم الأعظم قهراً، وقد مرض رحمه الله نحواً من سنتين لم يضطجع فيهما على فراش، ولا توسد وساداً، بل كان يتكىء جالساً حتى مات وهو كذلك، وذلك لشهامته وصرامته، وقوة عزمه، وله من العمر ستون سنة رحمه الله. وقد عهد بالأمر من بعده لولده محمد، فلم يتم أمره حتى عافصه[٢] أخوه مسعود بن محمود المذكور، فاستحوذ على ممالك أبيه، مع ما كان يليه مما فتحه هو بنفسه من بلاد الكفار، من الرساتيق[٣] الكبار والصغار، فاستقرت له الممالك شرقاً وغرباً في تلك النواحي، في أواخر هذا العام، وجاءته الرسل بالسلام من كل ناحية ومن كل ملك همام، وبالتحية والإكرام، ، وبالخضوع التام، وسيأتي ذكر أبيه في الوفيات وفيها استحوذت السرية التي كان بعثها الملك المذكور محمود إلى بلاد الهند على أكثر مدائن الهنود وأكبرها مدينة، وهي المدينة المسماة نرسي، دخلوها في نحو من مائة ألف مقاتل، ما بين فارس وراجل، فنهبوا سوق العطر والجوهر بها نهاراً كاملاً، ولم يستطيعوا أن يحولوا ما فيه من أنواع الطيب والمسك والجواهر واللآلىء

(١) أنحى منه: أعلم بالنحو منه.

(٢) عافصه: ثار عليه وطلب الأمر لنفسه.

(٣) الرستاق: البلد أو القرية.

واليواقيت، ومع هذا لم يدر أكثر أهل البلد بشيء من ذلك لاتساعها، وذلك أنها كانت في غاية الكبر: طولها مسيرة منزلة من منازل الهند، وعرضها كذلك، وأخذوا منها من الأموال والتحف والأثاث ما لا يحد ولا يوصف، حتى قيل إنهم اقتسموا الذهب والفضة بالكيل، ولم يصل جيش من جيوش المسلمين إلى هذه المدينة قط، لا قبل هذه السنة ولا بعدها، وهذه المدينة من أكثر بلاد الهند خيراً ومالاً. بل قيل إنه لا يوجد مدينة أكثر منها مالاً ورزقاً، مع كفر أهلها وعبادتهم الأصنام، فليسلم المؤمن على الدنيا سلام. وقد كانت محل الملك، وأخذوا منها من الرقيق من الصبيان والبنات ما لا يحصى كثرة. وفيها عملت الرافضة بدعتهم الشنعاء، وحادثتهم الصلعاء[1]، في يوم عاشوراء، من تعليق المسوح، وتغليق الأسواق، والنوح والبكاء في الأزقة، فأقبل أهل السنة إليهم في الحديد فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل من الفريقين طوائف كثيرة، وجرت بينهم فتن وشرور مستطيرة. وفيها مرض أمير المؤمنين القادر بالله وعهد بولاية العهد من بعده إلى ولده أبي جعفر القائم بأمر الله، بمحضر من القضاة والوزراء والأمراء، وخطب له بذلك، وضرب اسمه على السكة المتعامل بها. وفيها أقبل ملك الروم من قسطنطينية في مائة ألف مقاتل، فسار حتى بلغ بلاد حلب، وعليها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس، فنزلوا على مسيرة يوم منها، ومن عزم ملك الروم أن يستحوذ على بلاد الشام كلها، وأن يستردها إلى دين النصرانية، وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا هَلَكَ كِسْرَىٰ فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وإذَا هَلَكَ قَيْصَر فَلاَ قَيْصَر بَعْدَهُ» وقيصر وهو من ملك الشام من الروم مع بلاد الروم فلا سبيل لملك الروم إلى هذا. فلما نزل من حلب كما ذكرنا أرسل الله عليهم عطشاً شديداً، وخالف بين كلمتهم، وذلك أنه كان معه الدمستق، فعامل طائفة من الجيش على قتله ليستقل هو بالأمر من بعده، ففهم الملك ذلك فكرّ من فوره راجعاً، [﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ ولما كروا راجعين إلى بلادهم][2] فاتبعهم الأعراب ينهبونهم ليلاً ونهاراً، وكان من جملة ما أخذوا منهم أربعمائة فحل محجل محملة أموالاً وثياباً للملك، وهلك أكثرهم جوعاً وعطشاً، ونهبوا من كل جانب ولله الحمد والمنة. وفيها ملك جلال الدولة واسطاً واستناب عليها ولده، وبعث وزيره أبا علي بن ماكولا إلى البطائح ففتحها، وسار في الماء إلى البصرة وعليها نائب لأبي كاليجار، فهزمهم البصريون فسار إليهم جلال الدولة بنفسه فدخلها في شعبان منها. وفيها جاء سيل عظيم بغزنة فأهلك شيئاً كثيراً من الزروع والأشجار. وفي رمضان منها تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين بألف ألف درهم، وأدرّ أرزاقاً كثيرة للفقهاء والعلماء ببلاده، على عادة أبيه من قبله، وفتح بلاداً كثيرة، واتسعت ممالكه جداً، وعظم شأنه، وقويت أركانه، وكثرت جنوده وأعوانه. وفيها دخل خلق كثير من الأكراد إلى بغداد يسرقون خيل الأتراك ليلاً، فتحصن الناس منهم فأخذوا

(١) الصلعاء: المنكرة التي ليس لها شبيه.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

الخيول كلها حتى خيل السلطان. وفيها سقط جسر بغداد على نهر عيسى. وفيها وقعت فتنة بين الأتراك النازلين بباب البصرة، وبين الهاشميين، فرفعوا المصاحف ورمتهم الأتراك بالنشاب، وجرت خبطة عظيمة ثم أصلح بين الفريقين. وفيها كثرت العملات، وأخذت الدور جهرة، وكثر العيارون ولصوص الأكراد.

وفيها تعطل الحج أيضاً سوى شرذمة من أهل العراق ركبوا من جمال البادية مع الأعراب، ففازوا بالحج.

ذكر من توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن عبد الله بن أحمد

أبو الحسن الواعظ المعروف بابن أكرات، صاحب كرامات ومعاملات، كان من أهل الجزيرة فسكن دمشق، وكان يعظ الناس بالرفادة القليلة، حيث كان يجلس القصاص. قاله ابن عساكر. قال: وصنف كتباً في الوعظ، وحكى حكايات كثيرة، ثم قال: سمعت أبا الحسن أحمد بن عبد الله أكرات الواعظ ينشد أبياتاً:

أَنَـا مَـا أَصْـنَـعُ بِـالـلَّـذَّا ... تِ شُـغْـلِـي بِـالـذنـوب
إِنَّـمَـا الـعِـيـدُ لِـمَـنْ فَـا ... زَ بِـوَصْـلِ مِـنْ حَـبِـيـبِ
أَصْـبَـحَ الـنَّـاسُ عَـلَـى رَوْ ... حٍ وَرَيْـحَـانٍ وَطِـيـبِ
ثُـمَّ أَصْـبَـحْـتُ عَـلَـى نَـوْحٍ ... وَحُـزْنٍ وَنَـحِـيـبِ
فَـرِحُـوا حِـيـنَ أَهَـلُّـوا ... شَـهْـرَهُـمْ بَـعْـدَ الـمَـغِـيـبِ
وَهِـلَالِـي مُـتَـوَارٍ ... مِـنْ وَرَا حُـجْـبِ الـغُـيُـوبِ
فَـلِـهٰـذا قُـلْـتُ لِـلَـذَّا ... تِ غِـيـبِـي ثُـمَّ غِـيـبِـي
وَجَـعَـلْـتُ الـهَـمَّ وَالـحُـزْ ... نَ مِـنَ الـدُّنْـيَـا نَـصِـيـبِـي
يَـا حَـيَـاتِـي وَمَـمَـاتِـي ... وَسِـقَـامِـي وَطَـبِـيـبِـي
جُـدْ لِـنَـفْـسٍ تَـتَـلَـظَّـى[1] ... مِـنْـكَ بِـالـرُّحْـبِ الـرَّحِـيـبِ

[ثم أرخ وفاته لعشر بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ودفن بمسجد القدم][2]

الحسين بن بحر الخليع

الشاعر، له ديوان شعر حسن، عمّر طويلاً، وتوفي في هذه السنة.

الملك الكبير الشهير العادل

محمود بن سبكتكين، أبو القاسم الملقب يمين الدولة، وأمين الملة، صاحب بلاد

(١) تتلظى: تتحرق. (٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

غزنة، وما والاها، وجيشه يقال لهم السامانية، لأن أباه كان قد تملك عليهم، وتوفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فتملك عليهم بعده ولده محمود هذا، فسار فيهم وفي سائر رعاياه سيرة عادلة، وقام في نصر الإسلام قياماً تاماً، وفتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند وغيرها، وعظم شأنه، واتسعت مملكته، وامتدت رعاياه، وطالت أيامه لعدله وجهاده، وما أعطاه الله إياه، وكان يخطب في سائر ممالكه للخليفة القادر بالله، وكانت رسل الفاطميين من مصر تفد إليه بالكتب والهدايا لأجل أن يكون من جهتهم، فيحرق بهم ويحرق كتبهم وهداياهم، وفتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة، لم يتفق لغيره من الملوك، لا قبله ولا بعده، وغنم مغانم منهم كثيرة لا تنحصر ولا تنضبط من الذهب واللآلىء، والسبي، وكسر من أصنامهم شيئاً كثيراً، وأخذ من حليتها. وقد تقدم ذلك مفصلاً متفرقاً في السنين المتقدمة من أيامه، ومن جملة ما كسر من أصنامهم صنم يقال له سومنان، بلغ ما تحصل من حليته من الذهب عشرين ألف ألف دينار، وكسر ملك الهند الأكبر الذي يقال له صينال، وقهر ملك الترك الأعظم الذي يقال له إيلك خان، وأباد ملك السامانية، وقد ملكوا العالم في بلاد سمرقند وما حولها، ثم هلكوا. وبنى على جيحون جسراً تعجز الملوك والخلفاء عنه، غرم عليه ألفي ألف دينار، وهذا شيء لم يتفق لغيره، وكان في جيشه أربعمائة فيل تقاتل، وهذا شيء عظيم هائل، وجرت له فصول يطول تفصيلها، وكان مع هذا في غاية الديانة والصيانة وكراهة المعاصي وأهلها، لا يحب منها شيئاً، ولا يألفه، ولا أن يسمع بها، ولا يجسر أحد أن يظهر معصية ولا خمراً في مملكته، ولا غير ذلك، ولا يحب الملاهي ولا أهلها، وكان يحب العلماء والمحدثين، ويكرمهم ويجالسهم، ويحب أهل الخير والدين والصلاح، ويحسن إليهم وكان حنفياً ثم صار شافعياً على يدي أبي بكر القفال الصغير على ما ذكره إمام الحرمين وغيره، وكان على مذهب الكرامية في الاعتقاد، وكان من جملة من يجالسه منهم محمد بن الهيضم، وقد جرى بينه وبين أبي بكر بن فورك مناظرات بين يدي السلطان محمود في مسألة العرش، ذكرها ابن الهيضم في مصنف له، فمال السلطان محمود إلى قول ابن الهيضم، ونقم على ابن فورك كلامه، وأمر بطرده وإخراجه، لموافقته لرأي الجهمية، وكان عادلاً جيداً، اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه في داره وعلى أهله في كل وقت، فيخرجه من البيت ويختلي بامرأته، وقد حار في أمره، وكلما اشتكاه لأحد من أولي الأمر لا يجسر أحد عليه خوفاً وهيبة للملك. فلما سمع الملك ذلك غضب غضباً شديداً وقال للرجل، ويحك متى جاءك فائتني فاعلمني، ولا تسمعن من أحد منعك من الوصول إلي، ولو جاءك في الليل فائتني فأعلمني، ثم إن الملك تقدم إلى الحجبة وقال لهم: إن هذا الرجل متى جاءني لا يمنعه أحد من الوصول إلي من ليل أو نهار، فذهب الرجل مسروراً داعياً، فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب فأخرجه من البيت واختلى بأهله، فذهب باكياً إلى دار الملك فقيل له إن الملك نائم، فقال: قد تقدم إليكم أن لا أمنع منه ليلاً ولا نهاراً، فنبهوا الملك فخرج معه بنفسه وليس معه أحد، حتى

جاء إلى منزل الرجل فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة في فراش واحد، وعندهما شمعة تقد، فتقدم الملك فأطفأ الضوء ثم جاء فاحتز رأس الغلام وقال للرجل: ويحك الحقني بشربة ماء، فأتاه بها فشرب ثم انطلق الملك ليذهب، فقال له الرجل: بالله لم أطفأت الشمعة؟ قال: ويحك إنه ابن أختي، وإني كرهت أن أشاهده حالة الذبح، فقال: ولم طلبت الماء سريعاً؟ فقال الملك: إني آليت على نفسي منذ أخبرتني أن لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أنصرك، وأقوم بحقك، فكنت عطشاناً هذه الأيام كلها، حتى كان ما كان مما رأيت. فدعا له الرجل وانصرف الملك راجعاً إلى منزله، ولم يشعر بذلك أحد. وكان مرض الملك محمود هذا بسوء المزاج، اعتراه معه انطلاق البطن سنتين، فكان فيهما لا يضطجع على فراش، ولا يتكىء على شيء، لقوة بأسه وسوء مزاجه، وكان يستند على مخاد توضع له ويحضر مجلس الملك، ويفصل على عادته بين الناس، حتى مات كذلك في يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة عن ثلاث وستين سنة، ملكه منها ثلاث وثلاثون سنة، وخلف من الأموال شيئاً كثيراً، من ذلك سبعون رطلاً من جوهر، جوهرة منه لها قيمة عظيمة سامحه الله. وقام بالأمر من بعده ولده محمود. ثم صار الملك إلى ولده الآخر مسعود بن محمود فأشبه أباه، وقد صنف بعض العلماء مصنفاً في سيرته وأيامه وفتوحاته وممالكه.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

فيها كانت وفاة القادر بالله الخليفة، وخلافة ابنه القائم بأمر الله على ما سيأتي تفصيله وبيانه. وفيها وقعت فتنة عظيمة بين السنة والروافض، فقويت عليهم السنة وقتلوا خلقاً منهم، ونهبوا الكرخ ودار الشريف المرتضى، ونهبت العامة دور اليهود لأنهم نسبوا إلى معاونة الروافض، وتعدى النهب إلى دور كثيرة، وانتشرت الفتنة جداً، ثم سكنت بعد ذلك. وفيها كثرت العملات وانتشرت المحنة بأمر العيارين في أرجاء البلد، وتجاسروا على أمور كثيرة ونهبوا دوراً وأماكن سراً وجهراً، ليلاً ونهاراً والله سبحانه أعلم.

خلافة القائم بالله(١)

أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله، بويع له بالخلافة لما توفي أبوه أبو العباس أحمد بن المقتدر بن المعتضد ابن الأمين أبو أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، في ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة من هذه السنة، عن ست وثمانين سنة، وعشرة أشهر وأحد عشر يوماً، ولم يعمر أحد من الخلفاء قبله هذا العمر ولا بعده، مكث من ذلك خليفة إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر وهذا أيضاً شيء لم يسبقه أحد إليه، وأمه أم ولد اسمها يمنى، مولاة عبد الواحد بن المقتدر، وقد كان حليماً كريماً، محبّاً

(١) في ط: القائم بالله.

لأهل العلم والدين والصلاح، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان على طريقة السلف في الاعتقاد، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس، وكان أبيض حسن الجسم طويل اللحية عريضها يخضبها، وكان يقوم الليل كثير الصدقة محباً للسنة وأهلها، مبغضاً للبدعة وأهلها، وكان يكثر الصوم ويبر الفقراء من أقطاعه، يبعث منه إلى المجاورين بالحرمين وجامع المنصور، وجامع الرصافة، وكان يخرج من داره في زي العامة فيزور قبور الصالحين، وقد ذكرنا طرفاً صالحاً من سيرته عند ذكر ولايته في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وجلسوا في عزائه سبعة أيام لعظم المصيبة به، ولتوطيد البيعة لولده المذكور، وأمه يقال لها قطر الندى، أرمنية أدركت خلافته في هذه السنة، وكان مولده في يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، ثم بويع له بحضرة القضاة والأمراء والكبراء في هذه السنة، وكان أول من بايعه المرتضى وأنشده أبياتاً:

فَإِمَّا مَضَى جَبَلٌ وَانْقَضَى ... فَمِنْكَ لَنَا جَبَلٌ قَدْ رَسَا
وَإِمَّا فُجِعْنَا بِبَدْرِ التَّمَامِ ... فَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُ شَمْسُ الضُّحَى
لَنَا حُزْنٌ فِي مَحَلِّ السُّرُورِ ... فَكَمْ ضَحِكٍ فِي مَحَلِّ البُكَا
فَيَا صَارِماً أَغْمَدَتْهُ يَدٌ ... لَنَا بَعْدَكَ الصَّارِمُ المُنْتَضَى[1]
وَلَمَّا حَضَرْنَا لِعَقْدِ البِيَاعِ ... عَرَفْنَا بِهَدْيِكَ طُرْقَ الهُدَى
فَقَابَلْتَنَا بِوَقَارِ المَشِيبِ ... كَمَالاً وَسِنُّكَ سِنُّ الفَتَى

فطالبته الأتراك برسم البيعة فلم يكن مع الخليفة شيء يعطيهم، لأن أباه لم يترك شيئاً، وكادت الفتنة تقع بين الناس بسبب ذلك، حتى دفع عنه الملك جلال الدولة مالاً جزيلاً لهم، نحواً من ثلاثة آلاف دينار، واستوزر الخليفة أبا طالب محمد بن أيوب، واستقضى ابن ماكولا. ولم يحج أحد من أهل المشرق سوى شرذمة خرجوا من الكوفة مع العرب فحجوا.

وفيها توفي فيها من الأعيان غير الخليفة.

الحسن بن جعفر

أبو علي بن ماكولا الوزير لجلال الدولة قتله غلام له وجارية تعاملا عليه فقتلاه عن ست وخمسين سنة.

عبد الوهاب بن علي

ابن نصر بن أحمد بن الحسن بن هارون بن مالك بن طوق، صاحب الرحبة، التغلبي البغدادي أحد أئمة المالكية، ومصنفيهم، له كتاب التلقين يحفظه الطلبة، وله غيره في الفروع والأصول، وقد أقام ببغداد دهراً، وولي قضاء داريا وماكسايا، ثم خرج من بغداد لضيق

(١) الصارم: السيف، وأغمد: وضع السيف في غمده، والمنتضى: المستلّ من غمده.

حاله، فلما دخل مصر فأكرمه المغاربة وأعطوه ذهباً كثيراً، فتمول جداً، فأنشأ يقول متشوقاً إلى بغداد:

سَلامٌ عَلَى بَغْدَادَ في كُلِّ مَوْقِفٍ ... وَحَقٌّ لها مِنِّي السَّلامُ مُضَاعَفُ
فَوَاللهِ مَا فَارَقْتُهَا عَنْ مَلالَةٍ ... وَإِنِّي بِشَطَّيْ جَانِبَيْهَا لَعَارِفُ
وَلٰكِنَّهَا ضَاقَتْ عَلَيَّ بِأَسْرِهَا ... وَلَمْ تَكُنِ الأَرْزَاقُ فِيهَا تُسَاعِفُ[1]
فَكَانَتْ كَخِلٍّ كُنْتُ أَهْوَى دُنُوَّهُ ... وَأَخْلاقُهُ تَنْأَى بِهِ وَتُخَالِفُ

قال الخطيب: سمع القاضي عبد الوهاب من ابن السماك، وكتبت عنه، وكان ثقة ولم تر المالكية أحداً أفقه منه.

وقال ابن خلكان: وعند وصوله إلى مصر حصل له شيء من المال، وحسن حاله، مرض من أكلة اشتهاها فذكر عنه أنه كان يتقلب ويقول: لا إله إلا الله، عندما عشنا متنا قال: وله أشعار رائقة فمنها قوله:

وَنَائِمَةٍ قَبَّلْتُهَا فَتَنَبَّهَتْ ... فقَالَتْ تعالوا واطْلُبُوا اللِّصَّ بِالحَدِّ
فَقُلْتُ لَهَا إِنِّي فديتُكِ غَاصِبٌ ... وَمَا حَكَمُوا في غاصِبٍ بِسِوَى الرَّدِّ
خُذِيهَا وَكُفِّي عَنْ أَثِيمٍ ظِلابَةً ... وَإِنْ أَنْتِ لَمْ تَرْضَيْ فَأَلْفاً على العَدِّ
فَقَالَتْ قِصَاصٌ يَشْهَدُ العَقْلُ أَنَّهُ ... عَلَى كَبِدِ الجَانِي أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ
فَبَاتَتْ يَمِينِي وَهْيَ هَمْيَانُ[2] خَصْرِهَا ... وَبَاتَتْ يَسَارِي وَهْيَ وَاسِطَةُ العِقْدِ
فقَالَتْ أَلَمْ تُخْبَرْ بِأَنَّكَ زَاهِدٌ ... فَقُلْتُ بَلَى ما زِلْتُ أَزْهَدُ في الزُّهْدِ

ومما أنشده ابن خلكان للقاضي عبد الوهاب:

بَغْدَادُ دَارٌ لأَهْلِ المَالِ طَيِّبَةٌ ... وَلِلْمَفَالِيسِ دَارُ الضَّنْكِ[3] وَالضِّيقِ
ظَلِلْتُ حَيْرَانَ أَمْشِي فِي أَزِقَّتِهَا ... كَأَنَّنِي مُصْحَفٌ فِي بيتِ زِنْدِيقِ

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

في سادس المحرم منها استسقى أهل بغداد لتأخر المطر عن أوانه، فلم يسقوا، وكثر الموت في الناس، ولما كان عاشوراء عملت الروافض بدعتهم، وكثر النوح والبكاء، وامتلأت بذلك الطرقات والأسواق وفي صفر منها أمر الناس بالخروج إلى الاستسقاء فلم يخرج من أهل بغداد مع اتساعها وكثرة أهلها مائة واحد [في الجوامع كلها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم][4]. وفيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة فاتفق على خروجه إلى

(١) تساعف: تسعف وتعين.
(٢) الهميان: زنار من جلد يوضع في وسط الإنسان وتخزن فيه الدراهم.
(٣) الضنك: الضيق.
(٤) سقط في ط.

البصرة منفياً، ورد كثيراً من جواريه، واستبقى بعضهن معه، وخرج من بغداد ليلة الاثنين سادس ربيع الأول منها. وكتب الغلمان الاسفهلارية إلى الملك أبي كاليجار ليقدم عليهم، فلما قدم تمهدت البلاد ولم يبق أحد من أهل العناد والإلحاد، ونهبوا دار جلال الدولة وغيرها، وتأخر مجيء أبي كاليجار، وذلك أن وزيره أشار عليه بعدم القدوم إلى بغداد. فأطاعه في ذلك، فكثر العيارون وتفاقم الحال، وفسد البلد، وافتقر جلال الدولة بحيث إن احتاج إلى أن باع بعض ثيابه في الأسواق، وجعل أبو كاليجار يتوهم من الأتراك ويطلب منهم رهائن، فلم يتفق ذلك، وطال الفصل فرجعوا إلى مكاتبة جلال الدولة، وأن يرجع إلى بلده، وشرعوا يعتذرون إليه، وخطبوا له في البلد على عادته، وأرسل الخليفة الرسل إلى الملك أبي كاليجار، وكان فيمن بعث إليه القاضي أبو الحسن الماوردي، فسلم عليه مستوحشاً منه، وقد تحمل أمراً عظيماً، فسأل من القضاة أن يلقب بالسلطان الأعظم مالك الأمم، فقال الماوردي: هذا ما لا سبيل إليه، لأن السلطان المعظم هو الخليفة، وكذلك مالك الأمم، ثم اتفقوا على تلقيبه بملك الدولة، فأرسل مع الماوردي تحفاً عظيمة منها ألف ألف دينار سابورية، وغير ذلك من الدراهم آلاف مؤلفة، والتحف والألطاف، واجتمع الجند على طلب أرزاقهم من الخليفة فتعذر ذلك فراموا أن يقطعوا خطبته، فلم تصل الجمعة في هذا الوقت، ثم خطب له من الجمعة القابلة، وتخبط البلد جداً، وكثر العيارون. ثم في ربيع الآخر منها حلف الخليفة لجلال الدولة بخلوص النية وصفائها، وأنه على ما يحب من الصدق وصلاح السريرة. ثم وقع بينهما بسبب جلال الدولة وشربه النبيذ وسكره. ثم اعتذر إلى الخليفة واصطلحا على فساد. وفي رجب غلت الأسعار جداً ببغداد وغيرها، من أرض العراق. ولم يحج أحد منهم.

وفيها وقع موتان عظيم ببلاد الهند وغزنة وخراسان وجرجان والري وأصبهان، خرج منها في أدنى مدة أربعون ألف جنازة، وفي نواحي الموصل والجبل وبغداد طرف قوي من ذلك بالجدري، بحيث لم تخل دار من مصاب به، استمر ذلك في حزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين الأول والثاني، وكان في الصيف أكثر منه في الخريف. قاله ابن الجوزي في المنتظم. وقد رأى رجل في منامه من أهل أصبهان في هذه السنة منادياً ينادي بصوت جهوري: يا أهل أصبهان سكت، نطق، سكت، نطق، فانتبه الرجل مذعوراً فلم يدرِ أحد تأويلها ما هو، حتى قال رجل بيت أبي العتاهية فقال: احذروا يا أهل أصبهان فإني قرأت في شعر أبي العتاهية قوله:

سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَاناً عَنْهُمُ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَماً حِينَ نَطَقْ

فما كان إلا قليل حتى جاء الملك مسعود بن محمود فقتل منهم خلقاً كثيراً، حتى قتل الناس في الجوامع. وفي هذه السنة ظفر الملك أبو كاليجار بالخادم جندل فقتله، وكان قد استحوذ على مملكته ولم يبق معه سوى الاسم، فاستراح منه. وفيها مات ملك الترك الكبير صاحب بلاد ما وراء النهر، واسمه قدرخان.

وفيها توفي من الأعيان:

روح بن محمد بن أحمد

أبو زرعة الرازي. قال الخطيب: سمع جماعة، وفد علينا حاجاً فكتبت عنه، وكان صدوقاً فهماً أديباً، يتفقه على مذهب الشافعي، وولي قضاء أصبهان. قال: ويلغني أنه مات بالكرخ سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

علي بن محمد بن الحسن

ابن محمد بن نعيم بن الحسن البصري، المعروف بالنعيمي، الحافظ الشاعر، المتكلم الفقيه الشافعي.

قال البرقاني: هو كامل في كل شيء لولا بادرة فيه، وقد سمع على جماعة، ومن شعره قوله:

إذا أَظْـمَـأَتْـكَ أَكُـفُّ اللِّـئَـامِ ... كَـفَـتْـكَ الـقَـنَـاعَـةُ شِـبَـعاً وَرِيَّـا

فَـكُـنْ رَجُـلاً رِجْـلُـهُ فـي الـثَّـرَى ... وَهَـامَـتُـهُ هِـمَّـتُـهُ فـي الـثُّـرَيَّـا

أَبِـيّـاً لِـنَـائِـلِ ذِي نِـعْـمَـةٍ ... تَـرَاهُ بِـمَـا فـي يَـدَيْـهِ أَبِـيَّـا

فَـإِنَّ إِرَاقَـةَ مَـاءِ الـحَـيَـا ... ةِ دُونَ إِرَاقَـةِ مَـاءِ الـمُـحَـيَّـا

محمد بن الطيب

ابن سعد بن موسى أبو بكر الصباغ، حدث عن النجاد وأبي بكر الشافعي، وكان صدوقاً، حكى الخطيب البغدادي أنه تزوج تسعمائة امرأة، وتوفي عن خمس وتسعين سنة.

علي بن هلال

الكاتب المشهور، ذكر ابن خلكان أنه توفي في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاث عشرة كما تقدم.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة

فيها تفاقم الحال بأمر العيارين، وتزايد أمرهم، وأخذوا العملات الكثيرة، وقوي أمر مقدمهم البرجمي، وقتل صاحب الشرطة غيلة، وتواترت العملات في الليل والنهار، وحرس الناس دورهم، حتى دار الخليفة منه، وكذلك سور البلد، وعظم الخطب بهم جداً، وكان من شأن هذا البرجمي أنه لا يؤذي امرأة ولا يأخذ مما عليها شيئاً، وهذه مروءة في الظلم، وهذا كما قيل:

حَـنَـانَـيْـكَ بَـعْـضُ الـشَّـرِّ ... أَهْـوَنُ مِـنْ بَـعْـضِ

وفيها أخذ جلال الدولة البصرة وأرسل إليها ولده العزيز، فأقام بها الخطبة لأبيه،

وقطع منها خطبة أبي كاليجار في هذه السنة والتي بعدها، ثم استرجعت، وأخرج منها ولده. وفيها ثارت الأتراك بالملك جلال الدولة ليأخذوا أرزاقهم، وأخرجوه من داره، ورسموا عليه في المسجد، وأخرجت حريمه، فذهب في الليل إلى دار الشريف المرتضى، فنزلها، ثم اصطلحت الأتراك عليه وحلفوا له بالسمع والطاعة، وردوه إلى داره، وكثر العيارون واستطالوا على الناس جداً. ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان لفساد البلاد.

أحمد بن الحسين بن أحمد

أبو الحسين الواعظ المعروف بابن السماك، ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة، وسمع جعفر الخلدي وغيره وكان يعظ بجامع المنصور وجامع المهدي، ويتكلم على طريق الصوفية، وقد تكلم بعض الأئمة فيه، ونسب إليه الكذب. توفي فيها عن أربع وتسعين سنة ودفن بباب حرب.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة

فيها غزا السلطان مسعود بن محمود [ابن سبكتكين][1] بلاد الهند، وفتح حصوناً كثيرة، وكان من جملتها أنه حاصر قلعة حصينة فخرجت من السور عجوز كبيرة ساحرة، فأخذت مكنسة فبلتها ورشتها من ناحية جيش المسلمين، فمرض السلطان تلك الليلة مرضاً شديداً، فارتحل عن تلك القلعة، فلما استقل ذاهباً عنها عوفي عافية كاملة، ورجع إلى غزنة سالماً. وفيها ولي البساسيري حماية الجانب الشرقي من بغداد، لما تفاقم أمر العيارين. وفيها ولي سنان بن سيف الدولة بعد وفاة أبيه، فقصد عمه قرواشا فأقره وساعده على أموره. وفيها هلك ملك الروم أرمانوس، فملكهم من رجل ليس من بيت ملكهم، قد كان صيرفياً في بعض الأحيان، إلا أنه كان من سلالة الملك قسطنطين. وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام فهدمت شيئاً كثيراً، ومات تحت الردم خلق كثير، وانهدم من الرملة ثلثها، وتقطع جامعها تقطيعاً، وخرج أهلها منها هاربين، فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام، ثم سكن الحال فعادوا إليها، وسقط بعض حائط بيت المقدس، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة، ومن مسجد إبراهيم قطعة، وسلمت الحجرة، وسقطت منارة عسقلان، ورأس منارة غزة، وسقط نصف بنيان نابلس، وخسف بقرية البارزاد وبأهلها وبقرها وغنمها، وساخت في الأرض. وكذلك قرى كثيرة هنالك، وذكر ذلك ابن الجوزي: ووقع غلاء شديد ببلاد إفريقية. وعصفت ريح سوداء بنصيبين فألقت شيئاً كثيراً من الأشجار كالتوت والجوز والعناب، واقتلعت قصراً مشيداً بحجارة وآجر وكلس فألقته وأهله فهلكوا، ثم سقط مع ذلك مطر أمثال الأكف، والزنود والأصابع، وجزر البحر[2] من تلك الناحية ثلاث فراسخ، فذهب

---

(١) سقط في ط.

(٢) جزر البحر: تراجع ماؤه. والجزر: ضد المدّ.

الناس خلف السمك فرجع البحر عليهم فهلكوا. وفيها كثر الموت بالخوانيق حتى كان يغلق الباب على من في الدار كلهم موتى وكان أكثر ذلك وببغداد، فمات من أهلها في شهر ذي الحجة سبعون ألفاً. وفيها وقعت الفتنة بين السنة والروافض حتى بين العيارين من الفريقين مع ابني الأصفهاني وهما مقدمي عياري أهل السنة، منعا أهل الكرخ من ورود ماء دجلة فضاق عليهم الحال، وقتل ابن البرجمي وأخوه في هذه السنة. ولم يحج أحد من أهل العراق.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب

الحافظ أبو بكر المعروف بالبرقاني، ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وسمع الكثير، ورحل إلى البلاد، وجمع كتباً كثيرة جداً، وكان عالماً بالقرآن والحديث والفقه والنحو، وله مصنفات في الحديث حسنة نافعة.

قال الأزهري: إذا مات البرقاني ذهب هذا الشأن، وما رأيت أتقن منه. وقال غيره: ما رأيت أعبد منه في أهل الحديث. توفي يوم الخميس مستهل رجب، وصلى عليه أبو علي بن أبي موسى الهاشمي، ودفن في مقبرة الجامع ببغداد، وقد أورد له ابن عساكر من شعره:

أُعَلِّلُ نَفْسِي بِكُتْبِ الحَدِيثِ ... وَأُجْمِلُ فِيهِ لَهَا المَوْعِدَا

وَأَشْغَلُ نَفْسِي بِتَصْنِيفِهِ ... وَتَخْرِيجِهِ دَائِماً سَرْمَدَا[1]

فَطَوْراً أُصَنِّفُهُ فِي الشُّيُو ... خِ وَطَوْراً أُصَنِّفُهُ مُسْنَدَا

وَأَقْفُو البُخَارِيَّ فِيمَا حَوَا ... هُ وَصَنَّفَهُ جَاهِداً مُجْهَدَا

وَمُسْلِمُ إِذْ كَانَ زَيْنَ الأَنَامِ ... بِتَصْنِيفِهِ مُسْلِماً مُرْشِدَا

وَمَا لِيَ فِيهِ سِوَى أَنَّنِي ... أَرَاهُ هَوًى صَادَفَ المَقْصِدَا

وَأَرْجُو الثَّوَابَ بِكُتْبِ الصَّلا ... ةِ عَلَى السَّيِّدِ المُصْطَفَى أَحْمَدَا

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد

أبو العباس الأبيوردي، أحد أئمة الشافعية، من تلاميذ الشيخ أبي حامد الأسفراييني، كانت له حلقة في جامع المنصور للفتيا: وكان يدرس في قطيعة الربيع، وولي الحكم ببغداد نيابة عن ابن الأكفاني، وقد سمع الحديث، وكان حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، فصيح اللسان، صبوراً على الفقر، كاتماً له، وكان يقول الشعر الجيد، وكان كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣] توفي في جمادى الآخرة، ودفن بمقبرة باب حرب.

---

(١) سرمداً: دائماً أبداً.

أبو علي البندنيجي

الحسن بن عبد الله بن يحيى، الشيخ أبو علي البندنيجي، أحد أئمة الشافعية، من تلاميذ أبي حامد أيضاً، ولم يكن في أصحابه مثله، تفقه ودرس وأفتى وحكم ببغداد، وكان ديناً ورعاً. توفي في جمادى الآخرة منها أيضاً.

عبد الوهاب بن عبد العزيز

ابن الحارث بن أسد، أبو الصباح التميمي، الفقيه الحنبلي الواعظ، سمع من أبيه أثراً مسلسلاً عن الحنان: الذي يقبل على من أعرض عنه، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، توفي في ربيع الأول ودفن في مقبرة أحمد بن حنبل.

غريب بن محمد

ابن مفتي سيف الدولة أبو سنان، كان قد ضرب السكة باسمه، وكان ملكاً متمكناً في الدولة، وخلف خمسمائة ألف دينار، وقام ابنه سنان بعده، وتقوى بعمه قرواش، واستقامت أموره، توفي بكرخ سابور عن سبعين سنة.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة

في محرمها كثر تردد الأعراب في قطع الطرقات إلى حواشي بغداد وما حولها، بحيث كانوا يسلبون النساء ما عليهن، ومن أسروه أخذوا ما معه وطالبوه بفداء نفسه، واستفحل أمر العيارين ببغداد وكثرت شرورهم، وفي مستهل صفر زادت دجلة بحيث ارتفع الماء على الضياع ذراعين، وسقط من البصرة في مدة ثلاثة أيام نحو من ألفي دار. وفي شعبان منها ورد كتاب من مسعود الدولة بن محمود بأنه قد فتح فتحاً عظيماً في الهند، وقتل منهم خمسين ألفاً وأسر تسعين ألفاً، وغنم شيئاً كثيراً، ووقعت فتنة بين أهل بغداد والعيارين، ووقع حريق في أماكن من بغداد، واتسع الخرق على الراقع.

ولم يحج أحد من هؤلاء من أهل خراسان.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن كليب الشاعر

وهو أحد من هلك بالعشق، روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين المغتر عشق غلاماً يقال له أسلم بن أبي الجعد، من بني خلد وكان فيهم وزارة، أي كانوا وزراء للملوك وحجاباً، فأنشد فيه أشعاراً تحدث الناس بها، وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم في مجالس المشايخ فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استحى من الناس وانقطع في دارهم، وكان لا يجتمع بأحد من الناس، فازداد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضاً شديداً، بحيث عاده منه الناس، ولا يدرون ما به، وكان في جملة من

عاده بعض المشايخ من العلماء، فسأله عن مرضه فقال: أنتم تعلمون ذلك ومن أي شيء مرضي وفي أي شيء دوائي، لو زارني أسلم ونظر إلي نظرة ونظرته نظرة واحدة لبرأت، فرأى ذلك العالم من المصلحة أن لو دخل على أسلم وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة مختفياً، ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته، فانطلقا إليه فلما دخلا دربه ومحلته تجبن الغلام واستحى من الدخول عليه، وقال للرجل العالم: لا أدخل عليه، وقد ذكرني ونوه باسمي، وهذا مكان ريبة وتهمة، وأنا لا أحب أن أدخل مداخل التهم، فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه فأبى عليه، فقال له: إنه ميت لا محالة، فإذا دخلت عليه أحييته. فقال: يموت وأنا لا أدخل مدخلاً يسخط الله علي ويغضبه، وأبى أن يدخل، وانصرف راجعاً إلى دارهم، فدخل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه، وقد كان غلام ابن كليب دخل عليه قبل ذلك وبشره بقدوم معشوقه عليه، ففرح بذلك جداً، فلما تحقق رجوعه عنه اختلط كلامه واضطرب في نفسه، وقال لذلك الرجل الساعي بينهما: اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عني ما أقول، ثم أنشده:

أَسْلَمُ يَا رَاحَةَ الْعَلِيلِ ... رِفْقاً عَلَى الْهَائِمِ النَّحِيلِ
وَصْلُكَ أَشْهَى إِلَى فُؤَادِي ... مِنْ رَحْمَةِ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ

فقال له الرجل: ويحك اتق الله تعالى، ما هذه العظيمة؟ فقال: قد كان ما سمعت، أو قال القول ما سمعت. قال فخرج الرجل من عنده فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه، وسمع صيحة الموت وقد فارق الدنيا على ذلك. وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء وداهية دهياء، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب وتنبيه لذوي البصائر والعقول، أن يسألوا الله رحمته وعافيته بهم، وأن يستعيذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد.

قال الحميدي: وأنشدني أبو علي بن أحمد قال: أنشدني محمد بن عبد الرحمن لأحمد بن كليب وقد أهدى إلى أسلم كتاب الفصيح لثعلب:

هٰذا كِتَابُ الْفَصِيحِ ... بِكُلِّ لَفْظٍ مَلِيحِ
وَهَبْتُهُ لَكَ طَوْعاً ... كَمَا وَهَبْتُكَ رُوحِي

الحسن بن أحمد

ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران البزاز، أحد مشايخ الحديث، سمع الكثير، وكان ثقة صدوقاً، جاء يوماً شاب غريب فقال له: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: اذهب إلى أبي علي بن شاذان فسلم عليه وأقره مني السلام. ثم انصرف الشاب فبكى الشيخ وقال: ما أعلم لي عملاً استحق به هذا غير صبري على إسماع الحديث، وصلاتي على رسول الله ﷺ كلما ذكر. ثم توفي بعد شهرين أو ثلاثة من هذه الرؤيا في محرمها، عن سبع وثمانين سنة ودفن بباب الدير.

الحسن بن عثمان

ابن أحمد بن الحسين بن سورة، أبو عمر الواعظ المعروف بابن الغلو، سمع الحديث عن جماعة.

قال ابن الجوزي: وكان يعظ، وله بلاغة، وفيه كرم، وأمر بمعروف ونهي عن المنكر، ومن شعره قوله:

دَخَلْتُ عَلَى السُّلْطَانِ في دَارِ عِزِّهِ ... بِفَقْرٍ وَلَمْ أُجْلِبْ بِخَيْلٍ وَلا رَجْلِ

وَقُلْتُ: انْظُرُوا ما بَيْنَ فَقْرِي وَمُلْكِكُمْ ... بِمِقْدَارِ ما بَيْنَ الوِلايَةِ وَالعَزْلِ

توفي في صفر منها وقد قارب الثمانين، ودفن بمقبرة [بباب][1] حرب إلى جانب ابن السماك رحمهما الله.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة

في المحرم منها تكاملت قنطرة عيسى التي كانت سقطت، وكان الذي ولي مشارفة الإنفاق عليها الشيخ أبو الحسين القدوري الحنفي، وفي المحرم وما بعده تفاقم أمر العيارين، وكبسوا الدور وتزايد شرهم جداً.

وفيها توفي صاحب مصر الظاهر [لإعزاز دين الله][2] أبو الحسن علي بن الحاكم [بن العزيز بن المعز][3] الفاطمي، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة. وقام بالأمر من بعده ولده المستنصر وعمره سبع سنين، واسمه معد، وكنيته أبو تميم، وتكفل بأعباء المملكة بين يديه الأفضل أمير الجيوش، واسمه بدر بن عبد الله الجمالي، وكان الظاهر هذا قد استوزر الصاحب أبا القاسم علي بن أحمد الجرجرائي، وكان مقطوع اليدين من المرفقين، في سنة ثماني عشرة، فاستمر في الوزارة مدة ولاية الظاهر، ثم لولده المستنصر، حتى توفي الوزير الجرجرائي المذكور في سنة ست وثلاثين، وكان قد سلك في وزارته العفة العظيمة، وكان الذي يعلم عنه القاضي أبو عبد الله القضاعي صاحب كتاب الشهاب، وكانت علامته الحمد لله شكراً لنعمه، وكان الذي قطع يديه من المرفقين الحاكم، لجناية ظهرت منه في سنة أربع وأربعمائة، ثم استعمله في بعض الأعمال سنة تسع، فلما فقد الحاكم لعنه الله في التاسع والعشرين من شوال، سنة إحدى عشرة، تنقلت بالجرجرائي المذكور الأحوال حتى استوزر سنة ثماني عشرة كما ذكرنا، وقد هجاه بعض الشعراء فقال:

يا أَجْمَعُ إِسْمَعْ وَقُلْ ... وَدَعِ الرَّقَاعَةَ وَالتَّحَامُقْ

أَأَقَمْتَ نَفْسَكَ فِي الثِّقَاتِ وَهَبْكَ فِيمَا قُلْتَ صَادِقْ

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

(٣) سقط في ط.

أَمِــنَ الأَمَــانَــةِ وَالــتُّــقَــى قُــطِــعَــتْ يَــدَاكَ مِــنَ الــمَــرَافِــقْ؟

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي

ويقال الثعلبي أيضاً ـ وهو لقب أيضاً وليس بنسبة ـ النيسابوري المفسر المشهور، له التفسير الكبير، وله كتاب العرايس في قصص الأنبياء عليهم السلام، وغير ذلك، وكان كثير الحديث واسع السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير، ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في تاريخ نيسابور، وأثنى عليه، وقال: هو صحيح النقل موثوق به، توفي في سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وقال غيره: توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم منها، ورئيت له منامات صالحة رحمه الله.

وقال السمعاني: ونيسابور كانت مغصبة[1] فأمر سابور الثاني ببنائها مدينة.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

فيها خلع الخليفة على أبي تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي، وقلده ما كان إلى أبيه من نقابة العباسيين والصلاة. وفيها وقعت الفرقة بين الجند وبين جلال الدولة وقطعوا خطبته وخطبة الملك أبي كاليجار، ثم أعادوا الخطبة [لهما وصلحت حال جلال الدولة وحلف الخليفة له وقد عزل وزيره ابن ماكولا][2]، واستوزر أبا المعالي بن عبد الرحيم، وكان جلال الدولة قد جمع خلقاً كثيراً معه، منهم البساسيري، ودبيس بن علي بن مرثد، وقرواش بن مقلد العقيلي، ونازل بغداد من جانبها الغربي حتى أخذها قهراً، واصطلح هو وأبو كاليجار نائب جلال الدولة على يدي قاضي القضاة الماوردي، وتزوج أبو منصور بن أبي كاليجار بابنة جلال الدولة على صداق خمسين ألف دينار واتفقت كلمتهما وحسن حال الرعية ولله الحمد. وفيها نزل مطر ببلاد قم الصلح ومعه سمك وزن السمكة رطل ورطلان، وفيها بعث ملك مصر بمال لإصلاح نهر بالكوفة إن أذن الخليفة العباسي في ذلك، فجمع الخليفة الفقهاء وسألهم عن هذا المال فأفتوا بأن هذا المال فيء للمسلمين، يصرف في مصالحهم. فأذن في صرفه في مصالح المسلمين. وفيها ثار العيارون ببغداد وفتحوا السجن بالجانب الشرقي، وأخذوا منه رجالاً وقتلوا من رجال الشرطة سبعة عشر رجلاً، وانتشرت والشرور في البلد جداً [وفيها ولي عبد الله بن الحسين عمارة تهامة بعد أبيه، وفيها ولي عمان ابن القاسم بن علي بن الحسين بن حبر بعد وفاة أبيه أيضاً][3]، ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان لاختلاف الكلمة والله تعالى أعلم.

---

(١) المغصبة: قرية صغيرة.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٣) ما بين معقوفين سقط في ط.

وممن توفي فيها من الأعيان:

القدوري أحمد بن محمد

ابن أحمد بن جعفر، أبو الحسن القدوري الحنفي البغدادي سمع الحديث ولم يحدث إلا بشيء يسير.

قال الخطيب: كتبت عنه [وكان صدوقاً وكان ممن أثبت في الفقه لذكائه وانتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة وكان برز في القراءات. وتوفي يوم الأحد الخامس عشر من رجب من هذه السنة عن ست وستين سنة][1]، وقد تقدمت وفاته ودفن بداره في درب خلف.

الحسن بن شهاب

ابن الحسن بن علي، أبو علي العكبري، الفقيه الحنبلي الشاعر، ولد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة سمع من أبي بكر بن مالك وغيره، وكان كما قال البرقاني ثقة أميناً، وكان يسترزق من الوراقة ـ وهو النسخ ـ يقال إنه كان يكتب ديوان المتنبي في ثلاث ليال فيبيعه بمائتي درهم، ولما توفي أخذ السلطان من تركته ألف دينار سوى الأملاك، وكان قد أوصى بثلث ماله في متفقهة الحنابلة، فلم تصرف.

لطف الله أحمد بن عيسى

أبو الفضل الهاشمي، ولي القضاء والخطابة بدرب ريحان، وكان ذا لسان، وقد أضر في آخر عمره، وكان يروي حكايات وأناشيد من حفظه، توفي في صفر منها.

محمد بن أحمد

ابن علي بن أبي موسى بن عبد المطلب، أبو علي الهاشمي القاضي، أحد أئمة الحنابلة وفضلائهم.

محمد بن الحسن

ابن أحمد بن علي أبو الحسن الأهوازي، ويعرف بابن أبي علي الأصبهاني، ولد سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وقدم بغداد وخرج له أبو الحسن النعيمي أجزاء من حديثه، فسمعها منه البرقاني، إلا أنه بان كذبه، حتى كان بعضهم يسميه جراب الكذب، أقام ببغداد سبع سنين، ثم عاد إلى الأهواز فمات بها.

مهيار الديلمي الشاعر

مهيار بن مرزويه أبو الحسين الكاتب الفارسي، ويقال له الديلمي، كان مجوسياً فأسلم. إلا أنه سلك سبيل الرافضة، فكان ينظم الشعر القوي الفحل في شيء من مذاهبهم،

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

من سب الصحابة وغيرهم، حتى قال له أبو القاسم بن برهان: يا مهيار انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار، كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة، وقد كان منزله بدرب رباح من الكرخ، وله ديوان شعر مشهور، فمن مستجاد قوله:

أَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ فِيكُمْ وَهْوَ مَغْلُوبُ ... وَأَسْأَلُ النَّوْمَ عَنْكُمْ وَهْوَ مَسْلُوبُ
وَأَبْتَغِي عِنْدَكُمْ قَلْباً سَمَحْتُ بِهِ ... وَكَيْفَ يَرْجِعُ شَيْءٌ وَهْوَ مَوْهُوبُ
ما كُنْتُ أَعْرِفُ مِقْدَاراً لِحُبِّكُمْ ... حَتَّى هَجَرْتِ وَبَعْضُ الهَجْرِ تَأْدِيبُ

ولمهيار أيضاً:

أَجَارَتَنَا بِالغَوْرِ وَالرَّكْبُ مِنْهُمُ ... أَيَعْلَمُ خَالٍ كَيْفَ بَاتَ المُتَيَّمُ
رَحَلْتُمْ وَجَمْرُ القَلْبِ فِينا وَفِيكُمُ ... سَوَاءٌ وَلٰكِنْ سَاهِرُونَ وَنُوَّمُ
فَبَاتُوا جَمِيعاً ظَاعِنِينَ[1] وَخُلِّفُوا ... قُلُوباً أَبَتْ أَنْ تَعْرِفَ الصَّبْرَ عَنْهُمُ
وَلَمَّا خَلاَ التَّوْدِيعُ عَمَّا حَذِرْتُهُ ... وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ نَظْرَةٌ لِيَ تُغْنَمُ
بَكَيْتُ عَلَى الوَادِي وحَرّمتُ ماءهُ ... وَكَيْفَ بِهِ مَاءٌ وَأَكْثَرُهُ دَمُ

قال ابن الجوزي: ولما كان شعره أكثره جيداً اقتصرت على هذا القدر. توفي في جمادى الآخرة.

هبة الله بن الحسن

أبو الحسين المعروف بالحاجب، كان من أهل الفضل والأدب والدين، وله شعر حسن، فمنه قوله:

يَا لَيْلَةً سَلَكَ الزَّمَا ... نُ فِي طِيبِهَا كُلَّ مَسْلَكْ
إذْ تَرْتَقِي رَوْحِي المَسَرَّ ... ةِ مُدْرِكاً مَا لَيْسَ يُدْرَكْ
وَالبَدْرُ قَدْ فَضَحَ الزمانَ ... وسرُه فِيهِ مُهَتَّكْ[2]
وَكَأَنَّمَا زُهْرُ النُّجُو ... مِ بِلَمْعِهَا شُعَلٌ تُحَرَّكْ
والغَيْبُ أَحْيَاناً يَلُو ... حُ كَأَنَّهُ ثَوْبٌ مُمَسَّكْ[3]
وَكَأَنَّ تَجْعِيدَ الرِّيَا ... حِ لِدِجْلَةٍ ثَوْبٌ مُفَرَّكْ[4]
وَكَأَنَّ نَشْرَ المِسْكِ ... يَنْفَحُ فِي النَّسِيمِ إذا تَحَرَّكْ
وَكَأَنَّمَا المَنْثُورُ مُصْفَرٌّ ... الذُّرَى ذَهَبٌ مُسَبَّكْ
وَالنُّورُ يَبْسِمُ فِي الرِّيَا ... ضِ فَإِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهِ سَرَّكْ

(١) الظعن: الرحيل.
(٢) مهتك: مفضوح.
(٣) ممسك: معطر بالمسك.
(٤) مفرك: مطوي تبدو عليه آثار الطوي.

شَارَطْتُ نَفْسِي أَنْ أَقُو ... مَ بِحَقِّهَا وَالشَّرْطُ أَمْلَكْ
حَتَّى تَوَلَّى اللَّيْلُ مُنْهَزِماً وَجَاءَ الصُّبْحُ يَضْحَكْ
وَدَّ الْفَتَى لَوْ أَنَّهُ ... فِي طِيبِ عَيْشٍ سَوْفَ يُتْرَكْ
وَالدَّهْرَ يَحْسَبُ عُمْرَهُ ... فَإِذا أَتَاهُ الشَّيْبُ فَذْلَكْ(1)

أبو علي بن سينا

الطبيب الفيلسوف، الحسين بن عبد الله بن سينا الرئيس، كان بارعاً في الطب في زمانه، كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل إلى بخارى، واشتغل بها فقرأ القرآن وأتقنه، وهو ابن عشر سنين، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة وإقليدس والمجسطي، ثم اشتغل على أبي عبد الله الناتلي الحكيم، فبرع فيه وفاق أهل زمانه في ذلك، وتردد الناس إليه واشتغلوا عليه، وهو ابن ست عشرة سنة، وعالج بعض الملوك السامانية، وهو الأمير نوح بن نصر، فأعطاه جائزة سنية، وحكمه في خزانة كتبه، فرأى فيها من العجائب والمحاسن ما لا يوجد في غيرها، فيقال إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه، وله في الإلٰهيات والطبيعات كتب كثيرة.

قال ابن خلكان: له نحو من مائة مصنف، صغار وكبار، منها القانون، والشفا، والنجاة، والإشارات، وسلامان، وإنسان، وحي بن يقظان، وغير ذلك. قال وكان من فلاسفة الإسلام، أورد له من الأشعار قصيدته في نفسه التي يقول فيها:

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَقَامِ الأَرْفَعِ ... وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ
مَحْجُوبَةٌ عَنْ كُلِّ مُقْلَةِ عَارِفٍ ... وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرْقَعِ(2)
وَصَلَتْ عَلَى كُرْهٍ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا ... كَرِهَتْ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفَجُّعِ

وهي قصيدة طويلة وله:

اجْعَلْ غِذَاءَكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً ... وَاحْذَرْ طَعَاماً قَبْلَ هَضْمِ طَعَامِ
وَاحْفَظْ مَنِيَّكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... مَاءُ الْحَيَاةِ يُرَاقُ فِي الأَرْحَامِ

وذكر أنه مات بالقولنج في همذان، وقيل بأصبهان، والأول أصح، يوم الجمعة في شهر رمضان عن ثمان وخمسين سنة. قلت: وقد حصر الغزالي كلامه في مقاصد الفلاسفة، ثم رد عليه في تهافت الفلاسفة في عشرين مجلساً له، كفره في ثلاث منها، وهي قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجثماني، وأن الله لا يعلم الجزئيات، وبدعه في البواقي، ويقال إنه تاب عند الموت فالله أعلم.

---

(1) فذلك: أنهى الحساب.

(2) سفرت: كشفت عن وجهها. ولم تتبرقع: لم تحجب وجهها بالبرقع.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة

فيها كان بدوُّ ملك السلاجقة، وفيها استولى ركن الدولة أبو طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق، على نيسابور، وجلس على سرير ملكها، وبعث أخاه داود إلى بلاد خراسان فملكها، وانتزعها من نواب الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين. وفيها قتل جيش المصريين لصاحب حلب وهو شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس، واستولوا على حلب وأعمالها. وفيها سأل جلال الدولة الخليفة أن يلقب ملك الدولة، فأجابه إلى ذلك بعد تمنع. وفيها استدعى الخليفة بالقضاة والفقهاء وأحضر جاثليق النصارى ورأس جالوت اليهود، وألزموا بالغيار[(١)]. وفي رمضان منها لقب جلال الدولة شاهنشاه الأعظم ملك الملوك، بأمر الخليفة، وخطب له بذلك على المنابر، فنفرت العامة من ذلك ورموا الخطباء بالآجر، ووقعت فتنة شديدة بسبب ذلك، واستفتوا القضاة والفقهاء في ذلك فأفتى أبو عبد الله الصيمري أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة:٢٤٧] وقال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف:٧٩] وإذا كان في الأرض ملوك جاز أن يكون بعضهم فوق بعض، وأعظم من بعض، وليس في ذلك ما يوجب النكير والمماثلة بين الخالق والمخلوق. وكتب القاضي أبو الطيب الطبري أن إطلاق ملك الملوك جائز، ويكون معناه ملك ملوك الأرض وإذا جاز أن يقال كافي الكفاة وقاضي القضاة، جاز أن يقال ملك الملوك، وإذا كان في اللفظ ما يدل على أن المراد به ملوك الأرض زالت الشبهة، ومنه قولهم: اللهم أصلح الملك، فيصرف الكلام إلى المخلوقين وكتب التميمي الحنبلي نحو ذلك، وأما الماوردي صاحب الحاوي الكبير فقد نقل عنه أنه أجاز ذلك أيضاً، والمشهور عنه ما نقله ابن الجوزي والشيخ أبو منصور وابن الصلاح في أدب المفتي أنه منع من ذلك وأصر على المنع من ذلك، مع صحبته للملك جلال الدولة، وكثرة تردداه إليه، ووجاهته عنده، وأنه امتنع من الحضور عن مجلسه حتى استدعاه جلال الدولة في يوم عيد، فلما دخل عليه، دخل وهو وجلٌ خائف أن يوقع به مكروهاً، فلما واجهه قال له جلال الدولة: قد علمت أنه إنما منعك من موافقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك إياي ووجاهتك عندي، دينك واتباعك الحق، [وإن الحق آثر عندك من كل أحد]، ولو حابيت[(٢)] أحداً من الناس لحابيتني، وقد زادك ذلك عندي صحبة ومحبة، وعلو مكانة.

قلت: والذي حمل القاضي الماوردي على المنع هو السنة التي وردت بها الأحاديث الصحيحة من غير وجه.

قال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاكِ»

---

(١) الغيار: مخالفة المسلمين باللباس.

(٢) حابى: مالأ.

قال الزهري: سألت أبا عمرو الشيباني عن أخنع اسم قال: أوضع. وقد رواه البخاري عن علي بن المديني عن ابن عيينة، وأخرجه مسلم من طريق همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «أغيظ رَجُلٍ عَلَى الله يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَخبَثُهُ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ لا مَلِكَ إلا الله عَزَّ وَجَلَّ». وقال الإمام أحمد: حدثني محمد بن جعفر حدثنا عوف عن جلاس عن أبي هريرة، قال قال رسول الله ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى مَنْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى رَجُلٍ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاكِ، لا مَلِكَ إلاَّ الله عَزَّ وَجَلَّ».

وممن توفي فيها من الأعيان:

الثعالبي صاحب يتيمة الدهر

أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، كان إماماً في اللغة والأخبار وأيام الناس، بارعاً مفيداً، له التصانيف الكبار في النظم والنثر والبلاغة والفصاحة، وأكبر كتبه يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. وفيها يقول بعضهم:

أَبْيَاتُ أَشْعَارِ اليَتِيمَهِ ... أَبْكَارُ أَفْكَارٍ قَدِيمَهْ
مَاتُوا وَعَاشَتْ بَعْدَهُمْ ... فَلِذَاكَ سُمِّيَتِ اليَتِيمَهْ

وإنما سمي الثعالبي لأنه كان رفاء يخيط جلود الثعالب، وله أشعار كثيرة مليحة، ولد سنة خمسين وثلاثمائة ومات في هذه السنة رحمه الله.

الأستاذ أبو منصور

عبد القاهر بن طاهر بن محمد، البغدادي الفقيه الشافعي، أحد الأئمة في الأصول والفروع، وكان ماهراً في فنون كثيرة من العلوم، منها علم الحساب والفرائض، وكان ذا مال وثروة أنفقه كله على أهل العلم، وصنف ودرس في سبعة عشر علماً، وكان اشتغاله على أبي إسحاق الاسفراييني، وأخذ عنه ناصر المروزي وغيره.

ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة [من الهجرة النبوية](١)

فيها التقى الملك مسعود بن محمود، والملك طغرل بك السلجوقي، ومعه أخوه داود في شعبان، فهزمهما مسعود، وقتل من أصحابهما خلقاً كثيراً. وفيها خطب شبيب بن ريان للقائم العباسي بحران والرحبة وقطع خطبة الفاطمي العبيدي. وفيها خوطب أبو منصور بن جلال الدولة بالملك العزيز، وهو مقيم بواسط، وهذا العزيز آخر من ملك بغداد من بني بويه، لما طغوا وتمردوا وبغوا وتسموا بملك الأملاك، فسلبهم الله ما كان أنعم به عليهم، وجعل الملك في غيرهم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] الآية. وفيها خلع الخليفة على القاضي أبي عبد الله بن ماكولا خلعة تشريف. وفيها وقع ثلج عظيم ببغداد مقدار شبر.

---

(١) سقط في ط.

قال ابن الجوزي: وفي جمادى الآخرة تملك بنو سلجوق بلاد خراسان والجبل، وتقسموا الأطراف، وهو أول ملك السلجوقية ولم يحج أحد فيها من [أهل][1] العراق وخراسان، ولا من أهل الشام ولا مصر إلا القليل.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحافظ أبو نعيم الأصبهاني

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، أبو نعيم الأصبهاني، الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة، منها حلية الأولياء في مجلدات كثيرة، دلت على اتساع روايته، وكثرة مشايخه، وقوة اطّلاعه على مخارج الحديث، وشعب طرقه، وله معجم الصحابة، وهو عندي بخطه، وله صفة الجنة ودلائل النبوة، وكتاب في الطبّ النبويّ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة.

وقد قال الخطيب البغدادي: كان أبو نعيم يخلط المسموع له بالمجاز، ولا يوضح أحدهما من الآخر. وقال عبد العزيز النخشبي: لم يسمع أبو نعيم مسند الحارث بن أبي أسامة من أبي بكر بن خلاد بتمامه، فحدث به كله، وقال ابن الجوزي: سمع الكثير وصنف الكثير، وكان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد ميلاً كثيراً، توفي أبو نعيم في الثامن والعشرين من المحرم منها عن أربع وتسعين سنة رحمه الله، لأنه ولد فيما ذكره ابن خلكان في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. قال وله تاريخ أصبهان. وذكر أبو نعيم في ترجمة والده إن مهران أسلم، وأن ولاءهم لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وذكر أن معنى أصبهان وأصله بالفارسية شاهان، أي مجمع العساكر، وأن الإسكندر بناها.

الحسن بن حفص

أبو الفتوح العلوي أمير مكة الحسن بن الحسين، أبو علي البرجمي، وزر لشرف الدولة سنتين ثم عزل، وكان عظيم الجاه في زمانه، وهو الذي بنى مارستان بواسط، ورتب فيه الأشربة والأطباء والأدوية ووقف عليه كفايته. توفي في هذه السنة وقد قارب الثمانين رحمه الله.

الحسين بن محمد بن الحسن

ابن علي بن عبد الله المؤدب، وهو أبو محمد الخلال، سمع صحيح البخاري من إسماعيل بن محمد الكشميهني، وسمع غيره، توفي في جمادى الأولى ودفن بباب حرب.

عبد الملك بن محمد

ابن عبد الله بن محمد بن بشر بن مهران، أبو القاسم الواعظ، سمع النجاد ودعلج بن

(١) سقط في ط.

أحمد والآجري وغيرهم، وكان ثقة صدوقاً، وكان يشهد عند الحكام فترك ذلك رغبة عنه ورهبة من الله، ومات في ربيع الآخر منها وقد جاوز التسعين، وصلي عليه في جامع الرصافة، وكان الجمع كثيراً حافلاً، ودفن إلى جانب أبي طالب المكي، وكان قد أوصى بذلك.

محمد بن الحسين بن خلف

ابن الفراء، أبو حازم أخو القاضي أبو يعلى الحنبلي، سمع الدارقطني وابن شاهين.

قال الخطيب: كان لا بأس به، ورأيت له أصولاً سماعه فيها، ثم إنه بلغنا أنه خلط في الحديث بمصر واشترى من الوراقين صحفاً فروى منها، وكان يذهب إلى الاعتزال. توفي بتنيس من بلاد مصر.

محمد بن عبد الله

أبو بكر الدينوري الزاهد، كان خشن العيش، وكان ابن القزويني يثني عليه، وكان جلال الدولة صاحب بغداد يزوره، وقد سأله مرة أن يطلق للناس مكث الملح، وكان مبلغه ألفي دينار فتركه من أجله، ولما توفي اجتمع أهل بغداد لجنازته وصلي عليه مرات، ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى.

الفضل بن منصور

أبو الرضى، ويعرف بابن الظريف، وكان شاعراً ظريفاً ومن شعره قوله:

يا قَالَةَ الشِّعرِ قَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ ... وَلَسْتُ أُدْهَى إلاَّ مِنَ النُّصْحِ
قَدْ ذَهَبَ الدَّهْرُ بِالكِرَامِ وَفِي ... ذَاكَ أُمُورٌ طَوِيلَةُ الشَّرْحِ
أَتَطْلُبُونَ النَّوَالَ مِنْ رَجُلٍ ... قَدْ طُبِعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الشُّحِّ
وَأَنْتُمْ تَمْدَحُونَ بِالحُسْنِ وَالظَّرْفِ ... وُجُوهاً فِي غَايَةِ القُبْحِ
مِنْ أَجْلِ ذا تُحْرَمُونَ رِزْقَكُمُ ... لأَنَّكُمْ تَكْذِبُونَ فِي المَدْحِ
صُونُوا القَوَافِي فَمَا أَرَى ... أَحَداً يَغْتَرُّ فِيهِ بِالنُّجْحِ
فَإنْ شَكَكْتُمْ فِيمَا أَقُولُ لَكُمْ ... فَكَذِّبُونِي بِوَاحِدٍ سَمْحِ

هبة الله بن علي بن جعفر

أبو القاسم بن ماكولا، وزّر لجلال الدولة مراراً، وكان حافظاً للقرآن، عارفاً بالشعر والأخبار، خنق بهيت في جمادى الآخرة منها.

أبو زيد الدبوسي

عبد الله بن عمر بن عيسى الفقيه الحنفي، أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود.

قاله ابن خلكان، وكان يضرب به المثل، والدبوس نسبة إلى قرية من أعمال بخارى، قال: وله كتاب الأسرار والتقويم للأدلة، وغير ذلك من التصانيف والتعاليق، قال وروي أنه ناظر فقيهاً فبقي كلما ألزمه أبو زيد إلزاماً تبسم أو ضحك فأنشد أبو زيد في ذلك:

مَـا لـي إذَا أَلْـزَمْـتُـهُ حُـجَّـةً قَـابَـلَـنـي بِـالضِّـحْـكِ وَالـقَـهْـقَـهَـهْ
إن ضِـحْـكُ الـمَـرْءِ مِـنْ فِـقْـهِـهِ فَـالـدُّبُ فِـي الـصَّـحْـرَاءِ مـا أَفْـقَـهَـهْ

الحوفي صاحب إعراب القرآن

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي، له كتاب في النحو كبير، وإعراب القرآن في عشر مجلدات، وله تفسير القرآن أيضاً، وكان إماماً في العربيّة والنحو والأدب وله تصانيف كثيرة، انتفع بها الناس.

قال ابن خلكان: والحوفي نسبة لناحية بمصر يقال لها الشرقية، وقصبتها مدينة بلبيس، فجميع ريفها يسمون حوف، واحدهم حوفي وهو من قرية يقال لها شبر النخلة من أعمال الشرقية المذكورة رحمه الله.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

فيها زادت دجلة زيادة عظيمة بحيث حملت الجسر ومن عليه فألقتهم بأسفل البلد وسلموا، وفيها وقع بين الجند وبين جلال الدولة شغب، وقتل من الفريقين خلق، وجرت شرور يطول ذكرها. ووقع فساد عريض واتسع الخرق على الراقع، ونهبت الأتراك دور كثيرة جداً، ولم يبق للملك عندهم حرمة وغلت الأسعار.

وفيها زار الملك أبو طاهر مشهد الحسين ومشى حافياً في بعض تلك الأزوار.

ولم يحج أحد من أهل العراق.

وفيها بعث الملك أبو كاليجار وزيره العادل إلى البصرة فملكها له.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إسماعيل بن أحمد

ابن عبد الله أبو عبد الرحمن الضرير الخيري، من أهل نيسابور، كان من أعيان الفضلاء الأذكياء، والثقات الأمناء، قدم بغداد حاجاً في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، فقرأ عليه الخطيب جميع صحيح البخاري في ثلاث مجالس بروايته له عن أبي الهيثم الكشميهني، عن الفربري عن البخاري، توفي فيها وقد جاوز التسعين.

بشري الفاتني

وهو بشري بن مسيس من سبي الروم، أهداه أمراء بني حمدان الفاتن غلام المطيع، فأدبه وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ، وروى عنه الخطيب. وقال: كان صدوقاً صالحاً ديناً. توفي يوم عيد الفطر منها رحمه الله.

محمد بن علي

ابن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطي، وأصله من فم الصلح، سمع الحديث وقرأ القراءات ورواها، وقد تكلموا في روايته في القراءات والحديث فالله أعلم. توفي في جمادى الآخرة منها وقد جاوز الثمانين.

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

فيها عظم شأن السلجوقية، وارتفع شأن ملكهم طغرل بك، وأخيه داود، وهما ابنا ميكائيل بن سلجوق بن بغاق، وقد كان جدهم بغاق هذا من مشايخ الترك القدماء، الذين لهم رأي ومكيدة ومكانة عند ملكهم الأعظم، ونشأ ولده سلجوق نجيباً شهماً، فقدمه الملك ولقبه شباسي، فأطاعته الجيوش وانقاد له الناس بحيث تخوف منه الملك وأراد قتله، فهرب منه إلى بلاد المسلمين، فأسلم فازداد عزاً وعلواً، ثم توفي عن مائة وسبع سنين وخلف أرسلان وميكائيل وموسى، فأما ميكائيل فإنه اعتنى بقتال الكفار من الأتراك، حتى قتل شهيداً، وخلف ولديه طغرل بن محمد، وجعفر بن داود، فعظم شأنهما في بني عمهما، واجتمع عليهما الترك من المؤمنين، وهم ترك الإيمان الذين يقول لهم الناس تركمان، وهم السلاجقة بنو سلجوق جدهم هذا، فأخذوا بلاد خراسان بكمالها بعد موت محمود بن سبكتكين، وقد كان يتخوف منهم محمود بعض التخوف، فلما مات وقام ولده مسعود بعده قاتلهم وقاتلوه مراراً، فكانوا يهزمونه في أكثر المواقف، واستكمل لهم ملك خراسان بأسرها، ثم قصدهم مسعود في جنود يضيق بهم الفضاء فكسروه، وكبسه مرة داود فانهزم مسعود فاستحوذ على حواصله وخيامه، وجلس على سريره، وفرق الغنائم على جيشه، ومكث جيشه على خيولهم لا ينزلون عنها ثلاثة أيام، خوفاً من دهمة العدو، وبمثل هذا تم لهم ما راموه، وكمل لهم جميع ما أملوه، ثم كان من سعادتهم أن الملك مسعود توجه نحو بلاد الهند لسبي بها وترك مع ولده مودود جيشاً كثيفاً بسبب قتال السلاجقة، فلما عبر الجسر الذي على سيحون نهبت جنوده حواصله، واجتمعوا على أخيه محمد بن محمود، وخلعوا مسعوداً فرجع إليهم مسعود فقاتلهم فهزموه وأسروه، فقال له أخوه: والله لست بقاتلك على شرّ صنيعك إلي، ولكن اختر لنفسك أي بلد تكون فيه أنت وعيالك، فاختار قلعة كبرى، وكان بها، ثم إن الملك محمداً أخا مسعود جعل لولده الأمر من بعده، وبايع الجيش له. وكان ولده اسمه أحمد، وكان فيه هرج، فاتفق هو ويوسف بن سبكتكين على قتل مسعود ليصفو لهم الأمر، ويتم لهم الملك، فسار إليه أحمد من غير علم أبيه فقتله، فلما علم أبوه بذلك غاظه، وعتب على ابنه عتباً شديداً، وبعث إلى ابن أخيه يعتذر إليه ويقسم له أنه لم يعلم بذلك، حتى كان ما كان. فكتب إليه مودود بن مسعود: رزق الله ولدك المعتوه عقلاً يعيش به، فقد ارتكب أمراً عظيماً، وأقدم على إراقة دم مثل والدي الذي لقبه أمير المؤمنين بسيّد الملوك والسلاطين، وستعلمون أي حيف تورطتم، وأي شرّ تأبطتم

(١) تأبطتم: أي تمسكتم به وحملتموه.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾ [الشعراء:٢٢٧]. ثم سار إليهم في جنود فقاتلهم فقهرهم وأسرهم، فقتل عمه محمداً وابنه أحمد وبني عمه كلهم، إلا عبد الرحمن وخلقاً من رؤوس أمرائهم، وابتنى قرية هنالك وسماها فتحا أباذا، ثم سار إلى غزنة فدخلها في شعبان، فأظهر العدل وسلك سيرة جده محمود، فأطاعه الناس، وكتب إليه أصحاب الأطراف بالانقياد والاتباع والطاعة، غير أنه أهلك قومه بيده، وكان هذا من جملة سعادة السلاجقة.

وفيها اختلف أولاد حماد على العز بن باديس صاحب إفريقية، فسار إليهم فحاصرهم قريباً من سنتين، ووقع بإفريقية في هذه السنة غلاء شديد بسبب تأخر المطر، ووقع ببغداد فتنة عظيمة بين الروافض والسنة من أهل الكرخ، وأهل باب البصرة، فقتل بينهم خلق كثير من الفريقين. ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان.

محمد بن الحسين

ابن الفضل بن العباس، أبو يعلى البصري الصوفي، أذهب عمره في الأسفار والتغريب، وقدم بغداد في سنة ثنتين وثلاثين، فحدث بها عن أبي بكر بن أبي الحديد الدمشقي، وأبي الحسين بن جميع الغساني، وكان ثقة صدوقاً ديناً حسن الشعر.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

فيها ملك طغرل بك جرجان وطبرستان، ثم عاد إلى نيسابور مؤيداً منصوراً. وفيها ولي ظهير الدولة بن جلال الدولة أبي جعفر بن كالويه بعد وفاة أبيه، فوقع الخلف بينه وبين أخويه أبي كاليجار وكرسانيف. وفيها دخل أبو كاليجار همدان ودفع الغزو عنها. وفيها شعثت الأتراك ببغداد لسبب تأخر العطاء عنهم. وفيها سقطت قنطرة بني رزيق على نهر عيسى، وكذا القنطرة الكثيفة التي تقابلها. وفيها دخل بغداد رجل من البلغار يريد الحج، وذكر أنه من كبارهم، فأنزل بدار الخلافة وأجري عليه الأرزاق، وذكر أنهم مولدون من الترك والصقالبة، وأنهم في أقصى بلاد الترك، وأن النهار يقصر عندهم حتى يكون ست ساعات، وكذلك الليل، وعندهم عيون وزروع وثمار، على غير مطر ولا سقي. وفيها قرىء الاعتقاد القادري الذي جمعه الخليفة القادر، وأخذت خطوط العلماء والزهاد عليه بأنه اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فسق وكفر، وكان أول من كتب عليه الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني، ثم كتب بعده العلماء، وقد سرده الشيخ أبو الفرج بن الجوزي بتمامه في منتظمه، وفيه جملة جيدة من اعتقاد السلف والله أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

بهرام بن منافيه

أبو منصور الوزير لأبي كاليجار، كان عفيفاً نزهاً صيناً، عادلاً في سيرته، وقد وقف خزانة كتب في مدينة فيروزاباد، تشتمل على سبعة آلاف مجلد، من ذلك أربعة آلاف ورقة

بخط أبي علي وأبي عبد الله بن مقلة[١].

محمد بن جعفر بن الحسين

المعروف بالجهرمي قال الخطيب: هو أحد الشعراء الذين لقيناهم وسمعنا منهم، وكان يجيد القول، ومن شعره:

يا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ تَقَلُّبِهِ أَبَداً يَحِنُّ إِلَى مُعَذِّبِهِ
قَالُوا: كَتَمْتَ هَوَاهُ عَنْ جَلَدٍ[٢] لَوْ أَنَّ لِي جَلَداً لَبُحْتُ بِهِ
ما بي جننت غير مكترثٍ عَنِّي ولكن مِنْ تعيبه
حَسْبِي رِضَاهُ مِنَ الحَيَاةِ وما يلقى وَمَوْتِي مِنْ تَغَضُّبِهِ

مسعود الملك بن الملك محمود

ابن الملك سبكتكين، صاحب غزنة وابن صاحبها، قتله ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود، فانتقم له ابنه مودود بن مسعود، فقتل (قاتل أبيه) وعمه وابن عمه وأهل بيته، من أجل أبيه، واستتب له الأمر وحده من غير منازع من قومه كما تقدم. بنت أمير المؤمنين المتقي بالله تأخرت مدتها حتى توفيت في هذه السنة في رجب منها عن إحدى وتسعين سنة، بالحريم الظاهر، ودفنت بالرصافة.

[تم الجزء الحادي عشر ويليه الجزء الثاني عشر وأوله سنة أربع وثلاثين وأربعمائة][٣]

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

فيها أمر الملك جلال الدولة أبا طاهر بجباية أموال الجوالي، ومنع أصحاب الخليفة من قبضها، فانزعج لذلك الخليفة القائم بالله، وعزم على الخروج من بغداد وفيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز، فهدمت قلعتها وسورها ودورها، ومن دار الإمارة عامة قصورها، ومات تحت الهدم خمسون ألفاً، ولبس أهلها المسوح لشدة مصابهم. وفيها استولى السلطان طغرل بك على أكثر البلاد الشرقية من ذلك مدينة خوارزم ودهستان وطيس والريّ وبلاد الجبل وكرمان وأعمالها، وقزوين. وخطب له في تلك النواحي كلها، وعظم شأنه جداً، واتسع صيته. وفيها ملك سماك بن صالح بن مرداس حلب، أخذها من الفاطميين، فبعث إليه المصريون من حاربه. ولم يحج أحد من أهل العراق وغيرها، ولا في اللواتي قبلها.

وممن توفي فيها من الأعيان:

---

(١) كذا في الأصول. وابن مقلة هو أبو علي محمد بن علي.
(٢) الجلد: التصبر.
(٣) ما بين معقوفين سقط في ط.

أبو زرّ الهروي [الفقيه][(١)]

عبد الله بن أحمد بن محمد الحافظ المالكي، سمع الكثير ورحل إلى الأقاليم، وسكن مكة، ثم تزوج في العرب، وكان يحج كل سنة ويقيم بمكة أيام الموسم ويسمع الناس ومنه أخذ المغاربة مذهب الأشعري عنه، وكان يقول إنه أخذ مذهب مالك عن البقلاني، [وكان ثقة][(٢)] حافظاً، توفي في ذي القعدة [من هذه السنة][(٣)].

محمد بن الحسين

ابن محمد بن جعفر، أبو الفتح الشيباني العطار، ويعرف بقطيط، سافر الكثير إلى البلاد، وسمع الكثير، وكان شيخاً ظريفاً، يسلك طريق التصوف، وكان يقول: لما ولدت سميت قطيطاً على أسماء البادية، ثم سماني بعض أهلي محمداً والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

فيها ردت الجوالي إلى نواب الخليفة. وفيها ورد كتاب من الملك طغرل بك إلى جلال الدولة يأمره بالإحسان إلى الرعايا والوصاة بهم، قبل أن يحل به ما يسوءه.

أبو كاليجار يملك بغداد بعد أخيه جلال الدولة

وفيها توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة، فملك بغداد بعده أخوه سلطان الدولة أبو كاليجار بن بهاء الدولة، وخطب له بها عن ممالأة أمرائها، وأخرجوا منها الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة، فتنقل في البلاد وتسرب من مملكته إلى غيره حتى توفي سنة إحدى وأربعين، وحمل فدفن عند أبيه بمقابر قريش. وفيها أرسل الملك مودود بن مسعود عسكراً كثيفاً إلى خراسان فبرز إليهم ألب أرسلان بن داود السلجوقي فاقتتلا قتالاً عظيماً، وفي صفر منها أسلم من الترك الذين كانوا يطرقون بلاد المسلمين نحو من عشرة آلاف خركاة، وضحوا في يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس من الغنم، وتفرقوا في البلاد، ولم يسلم من خطر التتر أحد وهم بنواحي الصين. وفيها نفى ملك الروم من القسطنطينية كل غريب له فيها دون العشرين سنة. وفيها خطب المعز أبو تميم صاحب إفريقية ببلاده للخليفة العباسي، وقطع خطبة الفاطميين وأحرق أعلامهم، وأرسل إليه الخليفة الخلع واللواء المنشور، وفيه تعظيم له وثناء عليه. وفيها أرسل القائم بأمر الله أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي قبل موت جلال الدولة إلى الملك طغرلبك ليصلح بينه وبين جلال الدولة وأبي كاليجار، فسار إليه فالتقاه بجرجان فتلقاه الملك على أربعة فراسخ إكراماً للخليفة، وأقام عنده إلى السنة الآتية. فلما قدم على الخليفة أخبره بطاعته وإكرامه لأجل الخليفة.

---

(١) و(٢) و(٣) سقط في ط.

وفيها توفي من الأعيان:

الحسين بن عثمان

ابن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي، أبو سعد أحد الرحالين في طلب الحديث إلى البلاد المتباعدة، ثم أقام ببغداد مدة وحدث بها، وروى عنه الخطيب، وقال: كان صدوقاً، ثم انتقل في آخر عمره إلى مكة فأقام بها حتى مات بها في شوال منها.

عبد الله بن أبي الفتح

أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر، أبو القاسم الأزهري، الحافظ المحدث المشهور ويعرف بابن السواري، سمع من أبي بكر بن مالك وخلقٍ يطول ذكرهم، وكان ثقة صدوقاً، ديناً، حسن الاعتقاد والسيرة، توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر منها عن ثمانين سنة وعشرة أيام.

الملك جلال الدولة

أبو طاهر بن بهاء الدولة بن بويه الديلمي، صاحب العراق، كان يحب العباد ويزورهم، ويلتمس الدعاء منهم، وقد نكب مرات عديدة، وأخرج من داره، وتارة أخرج من بغداد بالكلية، ثم يعود إليها حتى اعتراه وجع كبده فمات من ذلك في ليلة الجمعة خامس شعبان منها، وله من العمر إحدى وخمسين سنة وأشهر، تولى العراق من ذلك ستة عشرة سنة وإحدى عشر شهراً والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة

فيها دخل الملك أبو كاليجار بغداد وأمر بضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس، ولم تكن الملوك تفعل ذلك، إنما كان يضرب لعضد الدولة ثلاث أوقات، وما كان يضرب في الأوقات الخمس إلا للخليفة، وكان دخوله إليها في رمضان، وقد فرق على الجند أموالاً جزيلة، وبعث إلى الخليفة بعشرة آلاف دينار، وخلع على مقدمي الجيوش وهم البساسيري، والنشاوري، والهمام أبو اللقاء، ولقبه الخليفة محيي الدولة، وخطب له في بلاد كثيرة بأمر ملوكها، وخطب له بهمذان، ولم يبق لنواب طغرلبك فيها أمر. وفيها استوزر طغرلبك أبا القاسم عبد الله الجويني، وهو أول وزير وزّر له. وفيها ورد أبو نصر أحمد بن يوسف الصاحب مصر، وكان يهودياً فأسلم بعد موت الجرجراي. وفيها تولى نقابة الطالبيين أبو أحمد بن عدنان بن الرضي، وذلك بعد وفاة عمه المرتضي وفيها ولي القضاء أبو الطيب الطبري، قضاء الكرخ، مضافاً إلى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق، وذلك بعد موت القاضي الصيمري.

وفيها نظر رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلم في كتاب ديوان الخليفة، وكان عنده بمنزلة عالية.

ولم يحج فيها أحد من أهل العراق.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسين بن علي

ابن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الصيمري نسبة إلى نهر بالبصرة يقال له الصيمر، عليه عدة قرى، أحد أئمة الحنفية، ولي قضاء المدائن ثم قضاء ربع الكرخ، وحدث عن أبي بكر المفيد، وابن شاهين وغيرهما، وكان صدوقاً وافر العقل، جميل المعاشرة، حسن العبادة، عارفاً بحقوق العلماء. توفي في شوال عن خمس وثمانين سنة.

عبد الوهاب بن منصور

ابن أحمد، أبو الحسن المعروف بابن المشتري الأهوازي، كان قاضياً بالأهواز[١] ونواحيها، شافعي المذهب، كان له منزلة كبيرة عند السلطان، وكان صدوقاً كثير المال، حسن السيرة والله تعالى أعلم.

الشريف المرتضى

علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الشريف الموسوي، الملقب بالمرتضى، ذي المجدين، كان أكبر من أخيه ذي الحسبين وكان جيد الشعر على مذهب الإمامية والاعتزال، يناظر على ذلك، وكان يناظر عنده في كل المذاهب، وله تصانيف في التشيع، أصولاً وفروعاً، وقد نقل ابن الجوزي أشياء من تفرداته في التشيع، فمن ذلك أنه لا يصح السجود إلا على الأرض أو ما كان من جنسها، وأن الاستجمار[٢] إنما يجزىء في الغائط لا في البول، وأن الكتابيات حرام، وكذا ذبائح أهل الكتاب، وما ولدوه هم وسائر الكفار من الأطعمة حرام، وأن الطلاق لا يقع إلا بحضرة شاهدين، والمعلق منه لا يقع وإن وجد شرطه، ومن نام عن صلاة العشاء حتى انتصف الليل وجب قضاؤها، ويجب عليه أن يصبح صائماً كفارة لما وقع منه. ومن ذلك أن المرأة إذا جزت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ، ومن شق ثوبه في مصيبة وجب عليه كفارة اليمين، ومن تزوج امرأة لها زوج لا يعلمه وجب عليه أن يتصدق بخمسة دراهم، وأن قطع السارق من رؤوس الأصابع.

قال ابن الجوزي: نقلته من خط أبي الوفاء بن عقيل. قال: وهذه مذاهب عجيبة، تخرق الإجماع، وأعجب منها ذم الصحابة رضي الله عنهم. ثم سرد من كلامه شيئاً قبيحاً في تكفير عمر بن الخطاب وعثمان وعائشة وحفصة رضي الله عنهم وأخزاه الله وأمثاله من الأرجاس الأنجاس، أهل الرفض والارتكاس، إن لم يكن تاب، فقد روى ابن الجوزي قال:

---

(١) في ابن الأثير: قاضي خوزستان وفارس.

(٢) الاستجمار: الاستنجاء بالجمار.

أنبأنا ابن ناصر عن أبي الحسن بن الطيوري قال سمعت أبا القاسم بن برهان يقول: دخلت على الشريف المرتضى وإذا هو قد حول وجهه إلى الجدار وهو يقول: أبو بكر وعمر وليا فعدلا واسترحما فرحما، فأنا أقول ارتدا بعد ما أسلما؟ قال: فقمت عنه فما بلغت عتبة داره حتى سمعت الزعقة عليه. [توفي في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة. وقد ذكره ابن خلكان فملس عليه[١] على عادته مع الشعراء في الثناء عليهم، وأورد له أشعاراً رائقة. قال: ويقال: إنه هو الذي وضع كتاب نهج البلاغة.

محمد بن أحمد

ابن شعيب بن عبد الله بن الفضل، أبو منصور الروياني، صاحب الشيخ أبي حامد الأسفراييني.

قال الخطيب: سكن بغداد وحدث بها، وكتبنا عنه، وكان صدوقاً يسكن قطيعة الربيع. توفي في ربيع الأول منها، ودفن بباب حرب.

أبو الحسين البصري المعتزلي

محمد بن علي بن الخطيب: أبو الحسين البصري المتكلم، شيخ المعتزلة والمنتصر لهم، والمحامي عن ذمهم بالتصانيف الكثيرة، توفي في ربيع الآخر منها، وصلى عليه القاضي أبو عبد الله الصيمري، ودفن في الشونيزي، ولم يرو من الحديث سوى حديث واحد، رواه الخطيب البغدادي في تاريخه: حدثنا محمد بن علي بن الطيب قرىء على هلال بن محمد ابن أخي هلال الرأي، بالبصرة وأنا أسمع، قيل له حدثكم أبو مسلم الكجي وأبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي والغلابي والمازني والزريقي قالوا: حدثنا القعنبي عن شعبة عن منصور عن ربعي عن أبي مسعود البدري. قال قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ إذا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». والغلابي اسمه محمد، والمازني اسمه محمد بن حامد، والزريقي أبو علي محمد بن أحمد بن خالد البصري.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة

فيها بعث السلطان طغرلبك السلجوقي أخاه إبراهيم إلى بلاد الجبل فملكها، وأخرج عنها صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة، فالتحق بالأكراد، ثم سار إبراهيم إلى الدينور فملكها أيضاً، وأخرج صاحبها وهو أبو الشوك، فسار إلى حلوان فتبعه إبراهيم فملك حلوان قهراً، وأحرق داره وغنم أمواله، فعند ذلك تجهز الملك أبو كاليجار لقتال السلاجقة الذين تعدوا على أتباعه، فلم يمكنه ذلك لقلة الظهر، وذلك أن الآفة اعترت في هذه السنة الخيل فمات له فيها نحو من اثني عشر ألف فرس، بحيث جافت[٢] بغداد من جيف الخيل. وفيها

(١) ملس عليه: أثنى وتغاضى عن سيئاته.
(٢) جافت: أنتنت.

وقع بين الروافض والسنة ثم اتفق الفريقان على نهب دور اليهود، وإحراق الكنيسة العتيقة، التي لهم، واتفق موت رجل من أكابر النصارى بواسط فجلس أهله لعزائه على باب مسجد هناك وأخرجوا جنازته جهراً، ومعها طائفة من الأتراك يحرسونها، فحملت عليهم العامة فهزموهم وأخذوا الميت منهم واستخرجوه من أكفانه فأحرقوه، ورموا رماده في دجلة، ومضوا إلى الدير فنهبوه، وعجز الأتراك عن دفعهم.

ولم يحج فيها أحد من أهل العراق والله أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

فارس بن محمد بن عتاز

صاحب الدينور وغيرهم، توفي في هذا الأوان.

خديجة بنت موسى: بن عبد الله الواعظة، وتعرف ببنت البقال، وتكنى أم سلمة.

قال الخطيب: كتبت عنها وكانت فقيرة صالحة فاضلة.

أحمد بن يوسف السليكي المنازي

الشاعر الكاتب، وزير أحمد بن مروان الكردي، صاحب ميافارقين وديار بكر، كان فاضلاً بارعاً لطيفاً، تردد في الترسل إلى القسطنطينية غير مرة، وحصل كتباً عزيزة أوقفها على جامعي آمد وميافارقين، ودخل يوماً على أبي العلاء المعري فقال له: إني معتزل الناس وهم يؤذونني، وتركت لهم الدنيا، فقال له الوزير: والآخرة أيضاً. فقال والآخرة يا قاضي؟ قال: نعم. وله ديوان شعر قليل النظير عزيز الوجود، حرص عليه القاضي الفاضل فلم يقدر عليه، توفي فيها. ومن شعره في وادي براغة.

وَقَانَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ ... وَقَاهُ مُضَاعَفُ الغَيْثِ العَمِيمِ
نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَا عَلَيْنَا ... حُنُوَّ المرضعاتِ عَلَى الفَطِيمِ
وَأَرْشَفَنَا عَلَى ظَمَإٍ زُلالاً ... أَلَذُّ مِنَ المُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ
يُرَاعِي الشَّمْسَ أَنَّى قَابَلَتْهُ ... فَيَحْجُبُهَا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ
تَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ العَذَارَى ... فَتَلْمَسُ جَانِبَ العِقْدِ النَّظِيمِ

قال ابن خلكان: وهذه الأبيات بديعة في بابها.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

استهلت هذه السنة والموتان كثير من الدواب جداً، حتى جافت بغداد.

قال ابن الجوزي: وربما أحضر بعض الناس الأطباء لأجل دوابهم فيسقونها ماء الشعير ويطببونها. وفيها حاصر السلطان ابن طغرلبك أصبهان فصالحه أهلها على مال

يحملونه إليه، وأن يخطب له بها، فأجابوه إلى ذلك. وفيها ملك مهلهل قرميسين والدينور. وفيها تأمر على بني خفاجة رجل يقال له رجب بن أبي منيع بن ثمال، بعد وفاة بدران بن سلطان بن ثمال، وهؤلاء الأعراب أكثر من يصد الناس عن بيت الله الحرام، فلا جزاهم الله خيراً [وقبحهم الله يوم تقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء النار](١).

وممن توفي فيها من الأعيان:

الشيخ أبو محمد الجويني

إمام الشافعية: عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيسويه الشيخ أبو محمد الجويني، وهو والد إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد، وأصله من قبيلة يقال لها سنبس، وجوين من نواحي نيسابور، سمع الحديث من بلاد شتى على جماعة، وقرأ الأدب على أبيه، وتفقه بأبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي، ثم خرج إلى مرو إلى أبي بكر عبد الله بن أحمد القفال، ثم عاد إلى نيسابور وعقد مجلس المناظرة، وكان مهيباً لا يجري بين يديه إلا الجد، وصنف التصانيف الكثيرة في أنواع في العلوم وكان زاهداً شديد الاحتياط لدينه حتى ربما أخرج الزكاة مرتين. وقد ذكرته في طبقات الشافعية وذكرت ما قاله الأئمة في مدحه، توفي في ذي القعدة منها.

قال ابن خلكان: صنف التفسير الكبير المشتمل على أنواع العلوم، وله في الفقه التبصرة والتذكرة، وصنف مختصر المختصر، والفرق والجمع، والسلسلة وغير ذلك، وكان إماماً في الفقه والأصول والأدب والعربية. توفي في هذه السنة، وقيل سنة أربع وثلاثين. قاله السمعاني في الأنساب، وهو في سن الكهولة.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

فيها اصطلح الملك طغرلبك وأبو كاليجار، وتزوج طغرلبك بابنته، وتزوج أبو منصور بن كاليجار، بابنة الملك داود أخي طغرلبك. وفيها أسرت الأكراد سرخان أخا أبي الشوك وأحضروه بين يدي أميرهم ينال، فأمر بقلع إحدى عينيه. وفيها استولى أبو كاليجار على بلاد البطيحة ونجا صاحبها أبو نصر بنفسه. وفيها ظهر رجل يقال له الأصفر التغلبي، وادعى أنه من المذكورين في الكتب، فاستغوى خلقاً، وقصد بلاداً فغنم منها أموالاً تقوى بها، وعظم أمره. ثم اتفق له أسر وحمل إلى نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر، فاعتقله وسد عليه باب السجن. وفيها كان وباء شديد بالعراق والجزيرة، بسبب جيف الدواب التي ماتت، فمات فيها خلق كثير، حتى خلت الأسواق وغلت الأسعار التي يحتاج إليها المرضى، وورد كتاب من الموصل بأنه لا يصلي الجمعة من أهلها إلا نحو أربعمائة،

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

وأن أهل الذمة لم يبق منهم إلا نحو من مائة وعشرين نفساً. وفيها وقع غلاء شديد أيضاً ووقعت فتنة بين الروافض والسنة ببغداد، قتل فيها خلق كثير.

ولم يحج فيها أحد من أهل العراق.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد ابو عبد الله بن أحمد

أبو الفضل القاضي الهاشمي، الرشيدي، من ولد الرشيد، ولي القضاء بسجستان، وسمع الحديث من الغطريفي. قال الخطيب: أنشدني لنفسه [قوله]:

قَالُوا اقْتَصِدْ في الجُودِ إنَّكَ مُنْصِفٌ ... فردٌ وَذُو الإنْصَافِ لَيْسَ يَجُورُ
فَأَجَبْتُهُمْ إنِّي سُلالَةُ مَعْشَرٍ ... لَهُمْ لِوَاءٌ في النَّدَى مَنْشُورُ[1]
تَاللهِ إنِّي شَائِدٌ مَا قَدْ بَنَى ... جَدِّي الرَّشِيدُ وَقَبْلَهُ المَنْصُورُ

عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب أبو القاسم

الشاعر المعروف بالمطرز، ومن شعره قوله:

يا عَبْدُ كَمْ لَكَ مِنْ ذَنْبٍ وَمَعْصِيَةٍ ... إنْ كُنْتَ نَاسِيهَا فَاللهُ أَحْصَاهَا
لا بُدَّ يا عَبْدُ مِنْ يَوْمٍ تَقُومُ لَهُ ... وَوَقْفَةٍ لَكَ يُدْمِي القَلْبَ ذِكْرَاهَا
إذَا عُرِضَتْ عَلَى قَلْبِي تَذَكُّرَهَا ... وَسَاءَ ظَنِّي فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُ اللهَ

محمد بن الحسين بن علي

ابن عبد الرحيم أبو سعد الوزير، وزر للملك جلال الدولة ست مرات، ثم كان موته بجزيرة ابن عمر فيها عن ست وخمسين سنة.

محمد بن أحمد بن موسى

أبو عبد الله الواعظ الشيرازي.

قال الخطيب: قدم بغداد وأظهر الزهد والتقشف والورع، وعزوف النفس عن الدنيا، فافتتن الناس به، وكان يحضر مجلسه خلق كثير، ثم إنه بعد حين كان يعرض عليه الشيء فيقبله، فكثرت أمواله، ولبس الثياب الناعمة، وجرت له أمور، وكثرت أتباعه وأظهر أنه يريد الغزو فاتبعه نفر كثير، فعسكر بظاهر البلد، وكان يضرب له الطبل في أوقات الصلوات وسار إلى ناحية أذربيجان، فالتف عليه خلق كثير، وضاهى أمير تلك الناحية، وكانت وفاته هناك في هذه السنة.

قال الخطيب: وقد حدث ببغداد وكتبت عنه أحاديث يسيرة، وحدثني بعض أصحابنا عنه بشيء يدل على ضعفه، وأنشد هو لبعضهم:

(١) اللواء: الراية، والندى: الكرم.

إذَا مَا أَطَعْتَ النَّفْسَ فِي كُلِّ لَذَّةٍ نُسِبْتَ إلى غَيْرِ الحِجَى وَالتَّكَرُّمِ[١]
إذا مَا أَجَبْتَ النَّفْسَ في كُلِّ دَعْوَةٍ دَعَتْكَ إلى الأَمْرِ القَبِيحِ المُحَرَّمِ

محمد بن الحسين

ابن عمر بن برهان، أبو الحسن الغزال، سمع محمد بن المظفر وغيره، وكان صدوقاً.

محمد بن علي بن إبراهيم

أبو الخطاب الحنبلي الشاعر، من شعره قوله:

ما حَكَّمَ الحُبُّ فَهْوَ مُمْتَثَلُ وَمَا جَنَاهُ الحَبِيبُ مُحْتَمَلُ[٢]
يَهْوَى وَيَشْكُو الضَّنَى وَكُلُّ هَوَى لا يُنْحِلُ الجِسْمَ فَهْوَ مُنْتَحَلُ[٣]

وقد سافر إلى الشام فاجتاز بمعرة النعمان فامتدحه أبو العلاء بن سليمان المعري بأبيات، فأجابه مرتجلاً عنها. وقد كان حسن العينين حين سافر، فما رجع إلى بغداد إلا وهو أعمى. توفي في ذي القعدة منها ويقال إنه كان شديد الرفض فالله أعلم.

الشيخ أبو علي السِّنْجِي

الحسين بن شعيب بن محمد شيخ الشافعيّة في زمانه، أخذ عن أبي بكر القفال، وشرح الفروع لابن الحداد، وقد شرحها قبله شيخه، وقبله القاضي أبو الطيب الطبري، وشرح أبو علي السنجي كتاب التلخيص لابن القاص، شرحاً كبيراً، وله كتاب المجموع، ومنه أخذ الغزالي في الوسيط.

قال ابن خلكان: وهو أول من جمع بين طريقة العراقيين والخراسانيين. توفي سنة بضع وثلاثين وأربعمائة.

ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة

في هذه السنة توفي الملك أبو كاليجار في جمادى الأولى منها، صاحب بغداد، مرض وهو في برية، ففصد في يوم ثلاث مرات، وحمل في محفة[٤] فمات ليلة الخميس، ونهبت الغلمان الخزائن، وأحرق الجواري الخيام، سوى الخيمة التي هو فيها، وولي بعده ابنه أبو نصر، وسموه الملك الرحيم، ودخل دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع، وسوره وطوقه وجعل على رأسه التاج والعمامة السوداء، ووصاه الخليفة، ورجع إلى داره وجاء الناس ليهنئوه. وفيها دار السور على شيراز، وكان دوره اثني عشر ألف ذراع، وارتفاعه

(١) الحجى: العقل. (٢) ممتثل: مذعن له.
(٣) الضنى: السقم والمرض. ينحل: يضعف ويهزل، ومنتحل: متكلف وغير صحيح.
(٤) المحفة: شبه سرير يحمل عليه المريض في السفر.

ثمانية أذرع، وعرضه ستة أذرع، وفيه أحد عشر باباً. وفيها غزا إبراهيم بن ينال بلاد الروم فغنم مائة ألف رأس، وأربعة آلاف درع، وقيل تسعة عشر ألف درع. ولم يبق بينه وبين القسطنطينية إلا خمسة عشر يوماً، وجمل ما غنم على عشرة آلاف عجلة. وفيها خطب لذخيرة الدين أبي العباس أحمد ابن الخليفة القائم بأمر الله، على المنابر بولاية العهد بعد أبيه، وحيّي بذلك. وفيها اقتتل الروافض والسنة، وجرت ببغداد فتن يطول ذكرها.

ولم يحج أحد من أهل العراق.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن عيسى بن المقتدر

أبو محمد العباسي، ولد في المحرم من سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، وسمع من مؤدبه أحمد بن منصور السكري، وأبي الأزهر عبد الوهاب الكاتب، وكان فاضلاً ديناً، حافظاً لأخبار الخلفاء، عالماً بأيام الناس صالحاً، أعرض عن الخلافة مع قدرته عليها، وآثر بها القادر بالله توفي فيها عن سبع وتسعين سنة. وأوصى أن يدفن بباب حرب، فدفن قريباً من قبر الإمام أحمد بن حنبل [رحمه الله وكان يوم جنازته مشهوداً مشى الأمراء والوزراء والبساسيري إلى المقبرة وجلس رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة للغداء من الغد][1].

هبة الله بن عمر بن أحمد بن عثمان

أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين، سمع من أبي بكر بن مالك، وابن ماسي والبرقاني.

قال الخطيب: كتبت عنه وكان صدوقاً، ولد في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، وتوفي في ربيع الآخر منها، ودفن بباب حرب.

علي بن الحسن

ابن محمد بن المنتاب أبو محمد القاسم، المعروف بابن أبي عثمان الدقاق.

قال الخطيب: سمع القطيعي وغيره، وكان شيخاً صالحاً، صدوقاً ديناً، حسن المذهب.

محمد بن جعفر بن أبي الفرج

الوزير الملقب بذي السعادات، وزر لأبي كاليجار بفارس وبغداد، وكان ذا مروءة غزيرة، مليح الشعر والترسل، ومن محاسنه أنه كتب إليه في رجل مات عن ولد له ثمانية أشهر وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار، فكتب إليه الموصي، وقيل غيره: إن فلاناً قد مات وخلف ولداً عمره ثمانية أشهر، وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار، فإن رأى

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

الوزير أن يقترض هذا المال إلى حين بلوغ الطفل. فكتب الوزير على ظهر الورقة: المتوفى رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمره الله، والساعي لعنه الله، ولا حاجة بنا إلى مال الأيتام. اعتقل ثم قتل في رمضان منها، عن إحدى وخمسين سنة.

محمد بن محمد بن إبراهيم

ابن غيلان بن عبد الله بن غيلان بن حليم بن غيلان، أخو طالب البزار، يروي عن جماعة، وهو آخر من حدث عن أبي بكر الشافعي، كان صدوقاً ديناً صالحاً، قوي النفس على كبر السن، كان يملك ألف دينار، وكان يصبها كل يوم في حجره[١] فيقبلها ثم يردها إلى موضعها، وقد خرج له الدارقطني الأجزاء الغيلانيات، وهي سماعنا. توفي يوم الاثنين سادس شوال [من هذه السنة][٢] عن أربع وتسعين سنة، ويقال إنه بلغ المائة سنة فالله أعلم.

الملك أبو كاليجار

واسمه المرزبان ابن سلطان الدولة بن بهاء الدولة، توفي عن أربعين سنة وأشهر، ولي العراق نحواً من أربع سنين، ونهبت له قلعة كان له فيها من المال ما يزيد على ألف ألف دينار، وقام بالأمر من بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر [كما تقدم ذكره في الحوادث][٣].

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

في عاشر المحرم تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا بدع النوح، فجرى بينهم وبين أهل باب البصرة ما يزيد على الحد، من الجراح والقتل، وبنى أهل الكرخ سوراً على الكرخ، وبنى أهل السنة سوراً على سوق القلائين، ثم نقض كل من الفريقين أبنيته، وحملوا الآجر إلى مواضع بالطبول والمزامير، وجرت بينهم مفاخرات في ذلك، وسخف لا تنحصر ولا تنضبط، وإنشاد أشعار في فضل الصحابة. وثلبهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم وقعت بينهم فتن يطول ذكرها، وأحرقوا دوراً كثيرة جداً. وفيها وقعت وحشة بين الملك طغرلبك وبين أخيه فجمع أخوه جموعاً كثيرة فاقتتل هو وأخوه طغرلبك، ثم أسره من قلعة قد تحصن بها، بعد محاصرة أربعة أيام، فاستنزله منها مقهوراً، فأحسن إليه وأكرمه وأقام عنده مكرماً، وكتب ملك الروم إلى طغرلبك في فداء بعض ملوكهم ممن كان أسره إبراهيم بن ينال، وبذل له مالاً كثيراً، فبعثه إليه مكرماً من غير عوض، اشترط عليه فأرسل إليه ملك الروم هدايا كثيرة، وأمر بعمارة المسجد الذي بالقسطنطينية، وأقيمت فيه الصلاة والجمعة، وخطب فيه للملك طغرلبك، فبلغ هذا الأمر العجيب سائر الملوك فعظموا الملك طغرلبك تعظيماً زائداً، وخطب له نصر الدولة بالجزيرة. وفيها ولي مسعود بن مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين الملك بعد وفاة أبيه، وكان صغيراً، فمكث أياماً ثم عدل عنه إلى عمه

(١) الحجر: الحضن. (٢) سقط في ط. (٣) سقط في ط.

علي بن مسعود، وهذا أمر غريب جداً [فللّه الأمر من قبل ومن بعد][١]. وفيها ملك المصريون مدينة حلب وأجلوا عنها صاحبها ثمال بن صالح أبو مرداس، وفيها كان بين البساسيري وبين بني عقيل حرب. وفيها ملك البساسيري الأنبار من يد قرواش فأصلح أمورها. وفي شعبان منها سار البساسيري إلى طريق خراسان وقصد ناحية الدوران وملكها، وغنم مالاً كثيراً كان فيها، وقد كان سعدي بن أبي الشوك قد حصنها.

قال ابن الجوزي: في ذي الحجة منها ارتفعت سحابة سوداء ليلاً فزادت على ظلمة الليل، وظهر في جوانب السماء كالنار المضيئة، فانزعج الناس وخافوا وأخذوا في الدعاء والتضرع، فانكشف في أثناء الليل بعد ساعة، وكانت قد هبت ريح شديدة جداً قبل ذلك، فأتلفت شيئاً كثيراً من الأشجار، وهدمت رواشن كثيرة في دار الخلافة ودار المملكة. ولم يحج أحد من أهل العراق.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن محمد بن منصور

أبو الحسن المعروف بالعتيقي، نسبة إلى جد له كان يسمى عتيقاً، سمع من ابن شاهين وغيره، وكان صدوقاً. توفي في صفر منها وقد جاوز التسعين.

علي بن الحسن

أبو القاسم العلوي ويعرف بابن محيي السنة.

قال الخطيب: سمع من ابن مظفر وكتب عنه، وكان صدوقاً ديناً حسن الاعتقاد، يورق بالأجرة ويأكل منه، ويتصدق. توفي في رجب منها وقد جاوز الثمانين.

عبد الوهاب ابن القاضي الماوردي [أقضى القضاة][٢]

يكنى أبا الفائز شهد عند ابن ماكولا في سنة إحدى وثلاثين فأجاز شهادته احتراماً لأبيه، توفي في المحرم منها [والله تعالى أعلم].

الحافظ أبو عبد الله الصوري

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الصوري الحافظ، طلب الحديث بنفسه بعد ما كبر وأسن، ورحل طلبه إلى الآفاق، وكتب الكثير وصنف واستفاد على الحافظ عبد الغني المصري، وكتب عن عبد الغني شيئاً من تصانيفه، وكان من أعظم أهل الحديث، همة في الطلب وهو شاب ثم كان من أقوى الناس على العمل الصالح عزيمة في حال كبره، كان يسرد الصوم [كل يوم] إلا يومي العيدين وأيام التشريق، وكان مع ذلك حسن الخلق جميل المعاشرة، وقد ذهبت إحدى عينيه، وكان يكتب بالأخرى المجلد في جزء.

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

قال أبو الحسن الطيوري: يقال إن عامة كتب الخطيب سوى التاريخ مستفادة من كتب أبي عبد الله الصوري، كان قد مات الصوري وترك كتبه اثني عشر عدلاً عند أبيه، فلما صار الخطيب أعطى أخاه شيئاً وأخذ بعض تلك الكتب فحولها في كتبه، ومن شعر أبيه:

تَوَلَّى الشَّبَابُ بِرَيْعَانِهِ ... وَأَتَى المَشِيبُ بِأَحْزَانِهِ
فَقَلْبِي لِفِقْدَانِ ذَا مُؤْلَمٌ ... كَئِيبٌ لِهَذَا وَوُجْدَانِهِ
وَإِنْ كَانَ مَا جَارَ فِي سيره ... وَلا جَاءَ فِي غَيْرِ إِبَّانِهِ[1]
وَلَكِنْ أَتَى مُؤْذِناً بِالرَّحِيـ ... ـلِ فَوَيْلِيَ مِنْ قُرْبِ إِيذَانِهِ
وَلَوْلا ذُنُوبٌ تَحَمَّلْتُهَا ... لَمَا رَاعَنِي حال بِإِتْيَانِهِ
وَلَكِنَّ ظَهْرِي ثَقِيلٌ بِمَا ... جَنَاهُ شَبَابِي بِطُغْيَانِهِ
فَمَنْ كَانَ يَبْكِي شَبَاباً مَضَى ... وَيَنْدُبُ طِيباً لأَزْمَانِهِ
فَلَيْسَ بُكَائِي وَمَا قَدْ تَرَوْ ... نَ مِنِّي لِوَحْشَةِ فِقْدَانِهِ
وَلَكِنْ لِمَا كَانَ قَدْ جَرَّهُ ... عَلَيَّ بِوَثْبَاتِ شَيْطَانِهِ
فَوَيْلِي وَوَيْحِي إِنْ لَمْ يَجُدْ[2] ... عَلَيَّ مَلِيكِي بِرِضْوَانِهِ
وَلَمْ يَتَغَمَّدْ ذُنُوبِي وَمَا قَدْ ... جَنَيْتُه بِوَاسِع وغُفْرَانِهِ
وَيَجْعَلْ مَصِيرِي إِلَى جَنَّةٍ ... يَحُلُّ بِهَا أَهْلُ قربانِهِ
فَإِنْ كُنْتُ مَالِيَ مِنْ قربةٍ ... سِوَى حُسْنِ ظَنِّي بِإِحْسَانِهِ
وَإِنِّي مُقِرٌّ بِتَوْحِيدِهِ ... عَلِيمٌ بِعِزَّةِ سُلْطَانِهِ
أُخَالِفُ فِي ذَاكَ أَهْلَ الجحود ... وَأَهْلَ الفُسُوقِ وَعُدْوَانِهِ
وَأَرْجُو بِهِ الفَوْزَ فِي مَنْزِلٍ ... مُقِرٌّ لأَعْيُنِ سُكَّانِهِ
وَلَنْ يَجْمَعَ اللهُ أَهْلَ الجُحُو ... دِ وَمَنْ قد أَقَرَّ بِإِيمانه
فَهَذا يُنَجِّيهِ إِيمَانُهُ ... وَهَذا يَبُوءُ بِخُسْرَانِهِ[3]
وَهَذَا يُنَعَّمُ فِي جَنَّةٍ ... وَذَاكَ قرينٌ لشيطانه

ومن شعره أيضاً:

قُلْ لِمَنْ عَانَدَ الحَدِيثَ وَأَضْحَى ... عَائِباً أَهْلَهُ وَمَنْ يَدَّعِيهِ
أَبِعِلْمٍ تَقُولُ هَذا أَبِنْ لِي ... أَمْ بِجَهْلٍ فَالجَهْلُ خُلْقُ السَّفِيهِ
أَيُعَابُ الَّذِينَ هُمْ حَفِظُوا الدِّ ... ينَ مِنَ التُّرَّهَاتِ وَالتَّمْوِيهِ[4]

(١) إبانه: أوانه، حينه.
(٢) لم يجُدْ: لم يتكرم.
(٣) يبوء: يرجع، يؤوب.
(٤) الترهات: الأباطيل. والتمويه: الخداع.

وَإِلَى قَوْلِهِمْ وَمَا قَدْرَوْهُ رَاجِعٌ كُلُّ عَالِمٍ وَفَقِيهِ

وكان سبب موته أنه افتصد فورمت يده، وعلى ما ذكر أن ريشة الفاصد كانت مسمومة لغير فغلظ ففصده بها، فكانت فيها منيته، فحمل إلى المارستان فمات به [في يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة من هذه السنة](١)، ودفن بمقبرة جامع المدينة، وقد نيف على الستين رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

فيها فتح السلطان طغرلبك أصبهان بعد حصار سنة، فنقل إليها حواصله من الري وجعلها دار إقامته، وخرب قطعة من سورها، وقال: إنما يحتاج إلى السور من تضعف قوته، وإنما حصنني عساكري وسيفي، وقد كان فيها أبو منصور قرامز بن علاء الدولة أبي جعفر بن كالويه، فأخرجه منها وأقطعه بعض بلادها. وفيها سار الملك الرحيم إلى الأهواز وأطاعه عسكر فارس. وفيها استولت الخوارج على عمان وأخربوا دار الإمارة، وأسروا أبا المظفر بن أبي كاليجار. وفيها دخلت العرب بإذن المستنصر الفاطمي بلاد إفريقية، وجرت بينهم وبين المعز بن باديس حروب طويلة، وعاثوا في الأرض فساداً عدة سنين. وفيها اصطلح الروافض والسنة ببغداد، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد علي ومشهد الحسين، وترضوا في الكرخ عن الصحابة كلهم، وترحموا عليهم، وهذا عجيب جداً، إلا أن يكون من باب التقية، ورخصت الأسعار ببغداد جداً.

ولم يحج أحد من أهل العراق [في هذه السنة أيضاً](٢).

وممن توفي فيها من الأعيان:

علي بن عمر بن الحسن

أبو الحسن الحربي المعروف بالقزويني، ولد في مستهل المحرم في سنة ستين وثلاثمائة، وهي الليلة التي توفي فيها أبو بكر الآجري، وسمع أبا بكر بن شاذان وأبا حفص ابن حيويه، وكان وافر العقل، من كبار عباد الله الصالحين، له كرامات كثيرة، وكان يقرأ القرآن ويروي الحديث، ولا يخرج إلا إلى الصلاة. توفي في شوال منها فغلقت بغداد لموته يومئذٍ، وحضر الناس جنازته، وكان يوماً مشهوداً رحمه الله.

عمر بن ثابت

الثمانيني النحوي الضرير. شارح اللمع، كان في غاية العلم بالنحو، وكان يأخذ عليه. وذكر ابن خلكان أنه اشتغل على ابن جني، وشرح كلامه، وكان ماهراً في صناعة النحو،

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

قال ونسبته إلى قرية من نواحي جزيرة ابن عمر عند الجبل الجودي، يقال لها ثمانين، باسم الثمانين الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة والله أعلم.

قرواش بن مقلد

أبو المنيع، صاحب الموصل والكوفة وغيرها، كان من الجبارين، وقد كاتبه الحاكم صاحب مصر في بعض الأحيان فاستماله إليه، فخطب له ببلاده ثم تركه، واعتذر إلى الخليفة فعذره، فقد جمع هذا الجبار بين أختين في النكاح، ولامته العرب، فقال: وأي شيء عملته؟ إنما عملت ما هو مباح في الشريعة[1] وقد نكب في أيام المعز الفاطمي ونهبت حواصله، وحين توفي قام بالأمر من بعده ابن أخيه قريش بن بدران بن مقلد.

مودود بن مسعود

ابن محمود بن سبكتكين، صاحب غزنة: توفي فيها وقام بالأمر من بعده عمه عبد الرشيد بن محمود.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

في صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنة، فقتل من الفريقين خلق كثير، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجاً وكتبوا عليها بالذهب: محمد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر. فأنكرت السنة إقران عليّ مع محمد ﷺ في هذا، فنشبت الحرب بينهم، واستمر القتال بينهم إلى ربيع الأول، فقتل رجل هاشمي فدفن عند الإمام أحمد، ورجع السنة من دفنه فنهبوا مشهد موسى بن جعفر وأحرقوا ضريح موسى ومحمد الجواد، وقبور بني بويه، وقبور من هناك من الوزراء وأحرق قبر جعفر بن المنصور، ومحمد الأمين، وأمه زبيدة، وقبور كثيرة جداً، وانتشرت الفتنة وتجاوزوا الحدود، وقد قابلهم أولئك الرافضة أيضاً بمفاسد كثيرة، وبعثروا قبوراً قديمة وأحرقوا من فيها من الصالحين، حتى هموا بقبر الإمام أحمد، فمنعهم النقيب، وخاف من غائلة ذلك[2]، وتسلط على الرافضة عيار يقال له القطيعي، وكان يتبع رؤوسهم وكبارهم فيقتلهم جهاراً وغيلة، وعظمت المحنة بسببه جداً، ولم يقدر عليه أحد، وكان في غاية الشجاعة والبأس والمكر، ولما بلغ ذلك دبيس بن علي بن مزيد ـ وكان رافضياً ـ قطع خطبة الخليفة، ثم روسل فأعادها. وفي رمضان منها جاءت من الملك طغرلبك رسل شكر للخليفة على إحسانه إليه بما كان بعثه له من الخلع والتقليد، وأرسل إلى الخليفة بعشرين ألف دينار، وإلى الحاشية بخمسة آلاف، وإلى رئيس الرؤساء بألفي دينار، وقد كان طغرلبك حين عمر الريّ وخرب فيها أماكن وجد فيها دفائن كثيرة من الذهب والجوهر، فعظم شأنه بذلك، وقوي ملكه بسببه.

---

(١) في النجوم الزاهرة: خبروني ما الذي نستعمله مما تبيحه الشريعة؟ فهذا من ذاك.

(٢) الغائلة: العاقبة.

ومِمن توفي فيها من الأعيان:

محمد بن محمد بن أحمد

أبو الحسن الشاعر البصروي، نسبة إلى قرية دون عكبرا يقال لها بصرى باسم المدينة التي هي أم حوران، وقد سكن بغداد، وكان متكلماً مطبوعاً، له نوادر، ومن شعره قوله:

نَرَى الدُّنْيَا وَشَهْوَتَهَا فَنَصْبُو[1] ... وَمَا يَخْلُو مِنَ الشُّبهَاتِ قَلْبُ

فَلا يَغْرُرْكَ زُخْرُفُ مَا تَرَاهُ ... وَعَيْشٌ لَيِّنُ الأَعْطَافِ رَطْبُ

فُضُولُ العَيْشِ أَكْثَرُهَا هُمُومٌ ... وَأَكْثَرُ مَا يَضُرُّكَ مَا تُحِبُّ

إذا مَا بُلْغَةٌ[2] جَاءَتْكَ عَفْواً ... فَخُذْهَا فَالغِنَى مَرْعًى وَشُرْبُ

إذا اتَّفَقَ القَلِيلُ وَفِيهِ سِلْمٌ ... فَلا تُرِدِ الكَثِيرَ وَفِيهِ حَرْبُ

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة

فيها كتبت تذكرة الخلفاء المصريين وأنهم أدعياء كذبة لا نسب لهم صحيحة إلى رسول الله ﷺ نسخاً كثيرة، وكتب فيها الفقهاء والقضاة والأشراف. وفيها كانت زلازل عظيمة في نواحي أرجان والأهواز وتلك البلاد، تهدم بسببها شيء كثير من العمران وشرفات القصور، وحكى بعض من يعتد قوله إنه انفرج إيوانه وهو يشاهد ذلك، حتى رأى السماء منه ثم عاد إلى حاله لم يتغير. وفي ذي القعدة منها تجددت الحرب بين أهل السنة والروافض، وأحرقوا أماكن كثيرة، وقتل من الفريقين خلائق، وكتبوا على مساجدهم: محمد وعلي خير البشر، وأذنوا بحي على خير العمل، واستمرت الحرب بينهم، وتسلط القطيعي العيار على الروافض، بحيث كان لا يقر لهم معه قرار، وهذا من جملة الأقدار.

وفيها توفي من الأعيان:

الحسن بن علي

ابن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شنبل بن قرة بن واقد، أبو علي التميمي الواعظ، المعروف بابن المذهب، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وسمع مسند الإمام أحمد من أبي بكر بن مالك القطيعي عن عبد الله ابن الإمام أحمد، عن أبيه، وقد سمع الحديث من أبي بكر بن ماسي وابن شاهين والدارقطني وخلق، وكان ديناً خيراً، وذكر الخطيب أنه كان صحيح السماع لمسند أحمد من القطيعي غير أنه ألحق اسمه في أجزاء. قال ابن الجوزي: وليس هذا بقدح في سماعه، لأنه إذا تحقق سماعه جاز أن يلحق اسمه فيما تحقق سماعه له، وقد عاب عليه الخطيب أشياء لا حاجة إليها.

---

(١) نصبو: نميل وننشط.

(٢) البلغة: الكفاف من العيش.

علي بن الحسين

ابن محمد، أبو الحسن المعروف بالشاشي البغدادي، وقد أقام بالبصرة واستحوذ هو وعمه على أهلها، وعمل أشياء من الحيل يوهم بها أنه من ذوي الأحوال والمكاشفات، وهو في ذلك كاذب قبحه الله وقبح عمه، وقد كان مع هذا رافضياً خبيثاً قرمطياً، [لا أكثر الله أمثاله في العالمين](١) توفي في هذا العام فلله الحمد والشكر والإنعام.

القاضي أبو جعفر

محمد بن أحمد بن أحمد، أبو جعفر السمناني القاضي، أحد المتكلمين على طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري، وقد سمع من الدارقطني وغيره، وكان عالماً فاضلاً سخياً، تولى القضاء بالموصل، وكان له في داره مجلس للمناظرة، وتوفي لما كف بصره بالموصل وهو قاضيها، في ربيع الأول منها وقد بلغ خمساً وثمانين سنة، والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة

فيها تجدد الشر والقتال والحريق بين السنة والروافض، وسرى الأمر وتفاقم الحال. وفيها وردت الأخبار بأن المعز الفاطمي عازم على قصد العراق. وفيها نقل إلى الملك طغرلبك أن الشيخ أبا الحسن الأشعري يقول بكذا وكذا، وذكر بشيء من الأمور التي لا تليق بالدين والسنة، فأمر بلعنه، وصرح أهل نيسابور بتكفير من يقول ذلك، فضج أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن من ذلك، وصنف رسالة في شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة، واستدعى السلطان جماعة من رؤوس الأشاعرة منهم القشيري فسألهم عما أنهي إليه من ذلك. فأنكروا ذلك، وأن يكون الأشعري قال ذلك. فقال السلطان: نحن إنما لعنا من يقول هذا. وجرت فتنة عظيمة طويلة. وفيها استولى فولابسور الملك أبي كاليجار على شيراز، وأخرج منها أخاه أبا سعد، وفي شوال سار البساسيري إلى أكراد وأعراب أفسدوا في الأرض فقهرهم وأخذ أموالهم.

ولم يحج فيها أحد من أهل العراق والله أعلم.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن عمر بن روح

أبو الحسن النهرواني، كان ينظر في العيار بدار الضرب، وله شعر حسن، قال: كنت يوماً على شاطىء النهروان، فسمعت رجلاً يتغنى في سفينة منحدرة يقول:

وَمَا طَلَبُوا سِوَى قَتْلِي … فَهَانَ عَلَيَّ مَا طَلَبُوا

قال: فاستوقفته وقلت: أضف إليه غيره فقال:

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

عَـلَـى قَـتْـلِـي الأَحِـبَّـةُ فـي الـتَّـ ـمَـادِي بـالـجَـفَـا غَـلَـبُـوا
وَبِـالـهِـجْـرَانِ فِـي عـيـنـي طـيـب الـنـوم قَـدْ سَـلَـبُـوا
وَمَـا طَـلَـبُـوا سِـوَى قَـتْـلِـي فَـهَـانَ عَـلَـيَّ مَـا طَـلَـبُـوا

إسماعيل بن علي

ابن الحسين بن محمد بن زنجويه، أبو سعيد الرازي، المعروف بالسمان شيخ المعتزلة، سمع الحديث الكثير وكتب عن أربعة آلاف شيخ، وكان عالماً عارفاً فاضلاً مع اعتزاله، ومن كلامه: من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الإسلام، وكان حنفي المذهب، عالماً الخلاف والفرائض والحساب وأسماء الرجال.

وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه فأطنب في شكره والثناء عليه.

عمر ابن الشيخ أبي طالب المكي

محمد بن علي بن عطية، سمع أباه وابن شاهين، وكان صدوقاً يكنى بأبي جعفر.

محمد بن أحمد

ابن عثمان بن الفرج بن الأزهر، أبو طالب المعروف بابن السوادي، وهو أخو أبي القاسم الأزهري توفي عن نيف وثمانين سنة.

محمد بن [أحمد بن][1] أبي تمام

الزينبي نقيب النقباء، قام ببغداد بعد أبيه مقامه بالنيابة والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة

فيها غزا السلطان طغرلبك بلاد الروم بعد أخذه بلاد أذربيجان ، فغنم من بلاد الروم وسبى وعمل أشياء حسنة، ثم عاد سالماً فاقام بأذربيجان سنة. وفيها أخذ قريش بن بدران الأنبار، وخطب بها وبالموصل لطغرلبك، وأخرج منها نواب البساسيري. وفيها دخل البساسيري بغداد مع بني خفاجة منصرفه من الوقعة، وظهرت منه آثار النفرة للخلافة، فراسله الخليفة لتطيب نفسه، وخرج في ذي الحجة إلى الأنبار فأخذها، وكان معه دبيس بن علي بن يزيد، وخرب أماكن وحرق غيرها ثم أذن له الخليفة في الدخول إلى بيت النوبة ليخلع عليه، فجاء إلى أن حاذى بيت النوبة فقبل الأرض وانصرف إلى منزله، ولم يعبر، فقويت الوحشة.

ولم يحج أحد من أهل العراق فيها.

وممن توفي فيها من الأعيان:

---

(١) سقط في ط.

الحسين بن جعفر بن محمد

ابن داود، أبو عبد الله السلماسي، سمع ابن شاهين وابن حيويه والدارقطني، وكان ثقة مأموناً مشهوراً باصطناع المعروف، وفعل الخير، وافتقاد الفقراء، وكثرة الصدقة، وكان قد أريد على الشهادة فأبى ذلك، وكان له في كل شهر عشرة دنانير نفقة لأهله.

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

أبو عبد الله الأصبهاني، المعروف بابن اللبان، أحد تلامذة أبي حامد الأسفراييني، ولي قضاء الكرخ، وكان يصلي بالناس التراويح[1]، ثم يقوم بعد انصرافهم فيصلي إلى أن يطلع الفجر، وربما انقضى الشهر عنه ولم يضطجع إلى الأرض رحمه الله.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة

فيها ملك طغرلبك بغداد، وهو أول ملوك السلجوقية، ملكها وبلاد العراق. وفيها تأكدت الوحشة بين الخليفة والبساسيري، واشتكت الأتراك منه، وأطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه، وذكر قبيح أفعاله، وأنه كاتب المصريين بالطاعة، وخلع ما كان عليه من طاعة العباسيين، وقال الخليفة ليس إلا إهلاكه. وفيها غلت الأسعار بنواحي الأهواز حتى بيع الكر بشيراز بألف دينار. وفيها وقعت الفتنة بين السنة والرافضة على العادة، فاقتتلوا قتالاً مستمراً، ولا تمكن الدولة أن يحجزوا بين الفريقين. وفيها وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة، فقوي جانب الحنابلة قوة عظيمة، بحيث إنه كان ليس لأحد من الأشاعرة أن يشهد الجمعة ولا الجماعات.

قال الخطيب: كان أرسلان التركي المعروف بالبساسيري قد عظم أمره واستفحل، لعدم أقرانه من مقدمي الأتراك، واستولى على البلاد وطار اسمه، وخافته أمراء العرب والعجم، ودعي له على كثير من المنابر العراقية والأهواز ونواحيها ، ولم يكن للخليفة قطع ولا وصل دونه، ثم صح عند الخليفة سوء عقيدته، وشهد عنده جماعة من الأتراك أنه عازم على نهب دار الخلافة، وأنه يريد القبض على الخليفة، فعند ذلك كاتب الخليفة محمد بن ميكائيل بن سلجوق الملقب طغرلبك يستنهضه على المسير إلى العراق، فانفض أكثر من كان مع البساسيري وعادوا إلى بغداد سريعاً، ثم أجمع رأيهم على قصد دار البساسيري وهي في الجانب الشرقي الغربي فأحرقوها، وهدموا أبنيتها، ووصل السلطان طغرلبك إلى بغداد في رمضان سنة سبع وأربعين، وقد تلقاه إلى أثناء الطريق الأمراء والوزراء والحجاب، ودخل بغداد في أبهة عظيمة جداً، وخطب له بها ثم بعده للملك الرحيم، ثم قطعت خطبة الملك الرحيم، ورفع إلى القلعة معتقلاً عليه، وكان آخر ملوك بني بويه، وكانت مدة ولايتهم قريب المائة والعشر سنين، وكان ملك الملك الرحيم لبغداد ست سنين وعشرة أيام، ونزل طغرلبك دار المملكة بعد الفراغ من عمارتها، ونزل أصحابه دور الأتراك وكان معه ثمانية أفيلة، ووقعت الفتنة بين الأتراك والعامة،

---

(١) أي صلاة التراويح.

ونهب الجانب الشرقي بكماله، وجرت خبطة عظيمة. وأما البساسيري فإنه فرّ من الخليفة إلى بلاد الرحبة وكتب إلى صاحب مصر بأنه على إقامة الدعوى له بالعراق، فأرسل إليه بولاية الرحبة ونيابته بها، ليكون على أهبة الأمر الذي يريده قبحهما الله تعالى.

وفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة قلد أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني قضاء القضاة، وخلع عليه به، وذلك بعد موت ابن ماكولا، ثم خلع الخليفة على الملك طغرلبك بعد دخوله بغداد بيوم، ورجع إلى داره وبين يديه الدبادب والبوقات.

وفي هذا الشهر توفي ذخيرة الدين أبو العباس محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله، وهو ولي عهد أبيه فعظمت الرزية به، وفيها استولى أبو كامل علي بن محمد الصليحي الهمداني على أكثر أعمال اليمن، وخطب للفاطميين، وقطع خطبة العباسيين. وفيها كثر فساد الغزو ونهبوا دواب الناس حتى بيع الثور بخمسة قراريط. وفيها اشتد الغلاء بمكة وعدمت الأقوات، وأرسل الله عليهم جراداً فتعوضوا به عن الطعام.

ولم يحج أحد من أهل العراق في هذه السنة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسين بن علي

ابن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي قاضي القضاة، المعروف بابن ماكولا الشافعي، وقد ولي القضاء بالبصرة، ثم ولي قضاء القضاة ببغداد سنة عشرين وأربعمائة في خلافة المقتدر، وأقره ابنه القائم إلى أن مات في هذه السنة، عن تسع وسبعين سنة، ومنها في القضاء سبع وعشرون سنة، وكان صيّناً ديّناً لا يقبل من أحد هدية ولا من الخليفة، وكان يذكر أنه سمع من أبي عبد الله بن منده، وله شعر حسن فمنه:

تَصَابَى بُرْهَةً مِنْ بَعْدِ شَيْبِ ... فَمَا أَغْنَى الْمَشِيبُ مَعَ التَّصَابِي
وَسَوَّدَ عَارِضَيْهِ بِلَوْنِ خَضْبٍ ... فَلَمْ يَنْفَعْهُ تَسْوِيدُ الخِضَابِ
وَأَبْدَى لِلأَحِبَّةِ كُلَّ لُطْفٍ ... فَمَا زَادُوا سِوَى فَرْطِ اجْتِنَابِ
سَلامُ الله عَوْداً بَعْدَ بَدْءٍ ... عَلَى أَيَّامِ رَيْعَانِ الشَّبَابِ
تَوَلَّى عزمه يوماً وأبقى ... بِقَلْبِي حَسْرَةً ثُمَّ اكْتِئَابِي

علي بن المحسن بن علي

ابن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخي.

قال ابن الجوزي: وتنوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا بالبحرين، وتحالفوا على التناصر والتآزر، فسموا تنوخاً. ولد بالبصرة سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وسمع الحديث سنة سبعين، وقبلت شهادته عند الحكام في حداثته، وولي القضاء بالمدائن وغيرها، وكان صدوقاً محتاطاً، إلا أنه كان يميل إلى الاعتزال والرفض والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

في يوم الخميس لثمان بقين من المحرم عقد الخليفة على خديجة بنت أخي السلطان طغرلبك على صداق مائة ألف دينار، وحضر هذا العقد عميد الملك الكندري، وزير طغرلبك، وبقية العلويين وقاضي القضاة الدامغاني والماوردي، ورئيس الرؤساء ابن المسلمة. فلما كان شعبان ذهب رئيس الرؤساء إلى الملك طغرلبك وقال له: أمير المؤمنين يقول لك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨] وقد أمرني أن أنقل الوديعة إلى داره العزيزة، فقال: السمع والطاعة، فذهبت أم الخليفة لدار الملك لاستدعاء العروس، فجاءت معها وفي خدمتها الوزير عميد الملك والحشم، فدخلوا داره وشافه الوزير الخليفة عن عمها وسأله اللطف بها والإحسان إليها، فلما دخلت إليه قبلت الأرض مراراً بين يديه، فأدناها إليه وأجلسها إلى جانبه، وأفاض عليها خلعاً سنية وتاجاً من جوهر ثمين، وأعطاها من الغد مائة ثوب ديباجاً، وقصبات من ذهب، وطاسة من ذهب قد ثبت فيها الجوهر والياقوت والفيروز، وأقطعها في كل سنة من ضياعه ما يغل اثني عشر ألف دينار، وغير ذلك. وفيها أمر السلطان طغرلبك ببناء دار الملك العضدية فخربت محال كثيرة في عمارتها، ونهبت العامة أخشاباً كثيرة من دور الأتراك، والجانب الغربي، وباعوه على الخبازين والطباخين، وغيرهم.

وفيها رجع غلاء شديد على الناس وخوف ونهب كثير ببغداد، ثم أعقب ذلك فناء كثير بحيث دفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين، وغلت الأشربة وما تحتاج إليه المرضى كثيراً، واعترى الناس موت كثير، واغبرَّ الجو وفسد الهواء.

قال ابن الجوزي: وعم هذا الوباء والغلاء مكة والحجاز وديار بكر والموصل وبلاد بكر وبلاد الروم وخراسان والجبال والدنيا كلها. هذا لفظه في المنتظم. قال: وورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى أحدهم على باب النقب، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على الثياب التي كورها ليأخذها فلم يمهل.

وفيها أمر رئيس الرؤساء بنصب أعلام سود في الكرخ، فانزعج أهلها لذلك، وكان كثير الأذية للرافضة، وإنما كان يدافع عنهم عميد الملك الكندري، وزير طغرلبك، وفيها هبت ريح شديدة وارتفعت سحابة ترابية وذلك ضحى، فأظلمت الدنيا، واحتاج الناس في الأسواق وغيرها إلى السرج.

قال ابن الجوزي: وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر كوكب له ذؤابة طولها في رأي العين نحو من عشرة أذرع، وفي عرض نحو الذراع، ولبث كذلك إلى النصف من رجب، ثم اضمحل. وذكروا أنه طلع مثله بمصر فملكت وخطب بها للمصريين. وكذلك بغداد لما طلع فيها ملكت وخطب بها للمصريين. وفيها ألزم الروافض بترك الأذان بحي على خير العمل، وأمروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح، بعد حيَّ على

الفلاح: الصلاة خير من النوم، مرتين، وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة: محمد وعلي خير البشر، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ، ينشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة، وذلك أن نوء الرافضة اضمحل، لأن بني بويه كانوا حكاماً، وكانوا يقوونهم وينصرونهم، فزالوا وبادوا، وذهبت دولتهم، وجاء بعدهم قوم آخرون من الأتراك السلجوقية الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم ويرفعون قدرهم، والله المحمود، أبداً على طول المدى. وأمر رئيس الرؤساء الوالي بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ الروافض، لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه، فقتل على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره ولله الحمد والمنة.

وفيها جاء البساسيري قبحه الله إلى الموصل ومعه نور الدولة دبيس، في جيش كثيف، فاقتتل مع صاحبها قريش ونصره قتلمش ابن عم طغرلبك، وهو جد ملوك الروم، فهزمهما البساسيري، وأخذ البلد قهراً، فخطب بها للمصريين، وأخرج كاتبه من السجن، وقد كان أظهر الإسلام ظناً منه أنه ينفعه، فلم ينفعه فقتل، وكذلك خطب للمصريين فيها بالكوفة وواسط وغيرها من البلاد. وعزم طغرلبك على المسير إلى الموصل لمناجزة البساسيري فنهاه الخليفة عن ذلك لضيق الحال وغلاء الأسعار، فلم يقبل فخرج بجيشه قاصداً الموصل بجحافل عظيمة، ومعه الفيلة والمنجنيقات، وكان جيشه لكثرتهم ينهبون القرى، وربما سطوا على بعض الحريم، فكتب الخليفة إلى السلطان ينهاه عن ذلك، فبعث إليه يعتذر لكثرة من معه، واتفق أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام فسلم عليه فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله لأي شيء تعرض عني؟ فقال: يحكمك الله في البلاد ثم لا ترفق بخلقه ولا تخاف من جلال الله عزّ وجلّ. فاستيقظ مذعوراً وأمر وزيره أن ينادي في الجيش بالعدل، وأن لا يظلم أحد أحداً. ولما اقترب من الموصل فتح دونها بلاداً، ثم فتحها وسلمها إلى أخيه داود، ثم سار منها إلى بلاد بكر ففتح أماكن كثيرة هناك.

وفيها ظهرت دولة الملثمين ببلاد المغرب، وأظهروا إعزاز الدين وكلمة الحق واستولوا على بلاد كثيرة منها سجلماسة وأعمالها والسوس، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها، وأول ملوك الملثمين رجل يقال له أبو بكر بن عمر، وقد أقام بسجلماسة إلى أن توفي سنة ثنتين وستين كما سيأتي بيانه، ثم ولي بعده أبو نصر يوسف بن تاشفين، وتلقب بأمير المؤمنين، وقوي أمره وعلا قدره ببلاد المغرب.

وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار ببغداد، عن أمر السلطان . وفيها ولد لذخيرة الدين بعد موته من جارية له ولد ذكر، وهو أبو القاسم عبد الله المقتدي بأمر الله. وفيها كان الغلاء والفناء أيضاً مستمرين على الناس ببغداد وغيرها من البلاد، على ما كان عليه الأمر في السنة الماضية، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولم يحج أحد من أهل العراق فيها.

وفيها توفي من الأعيان:

علي بن أحمد بن علي

أبو الحسن المؤدب، المعروف بالقالي[1]، صاحب الأمالي وقالة قرية قريبة من إيذج أقام بالبصرة مدة، وسمع بها من عمر بن عبد الواحد الهاشمي وغيره، وقدم بغداد فاستوطنها، وكان ثقة في نفسه، كثير الفضائل. ومن شعره الحسن:

لَـمَّـا تَـبَـدَّلَـتِ الـمَـجَـالِـسُ أَوْجُـهـاً ... غَـيْـرَ الَّـذِيـنَ عَـهِـدْتُ مِـنْ عُـلَـمَـائِـهَـا
وَرَأَيْـتُـهَـا مَـحْـفُـوفَـةً بِـسِـوَى الأُولَـى ... كَـانُـوا وُلاةَ صُـدُورِهَـا وَفِـنَـائِـهَـا[2]
أَنْـشَـدْتُ بَـيْـتـاً سَـائِـراً مُـتَـقَـدِّمـاً ... وَالـعَـيْـنُ قَـدْ شَـرِقَـتْ بِـجَـارِي مَـائِـهَـا
أَمَّـا الـخِـيَـامُ فَـإِنَّـهَـا كَـخِـيَـامِـهِـمْ ... وَأَرَى نِـسَـاءَ الـحَـيِّ غَـيْـرَ نِـسَـائِـهَـا

ومن شعره أيضاً:

تَـصَـدَّرَ لِـلـتَّـدْرِيـسِ كُـلُّ مُـهَـوَّسٍ ... بَـلِـيـدٍ تَـسَـمَّـى بِـالـفَـقِـيـهِ الـمُـدَرِّسِ
فَـحَـقٌّ لِأَهْـلِ الـعِـلْـمِ أَنْ يَـتَـمَـثَّـلُـوا ... بِـبَـيْـتٍ قَـدِيـمٍ شَـاعَ فِـي كُـلِّ مَـجْـلِـسِ
لَـقَـدْ هَـزُلَـتْ حَـتَّـى بَـدَا مِـنْ هُـزَالِـهَـا ... كُـلاهَـا[3] وَحَـتَّـى سَـامَـهَـا كُـلُّ مُـفْـلِـسِ

محمد بن عبد الواحد بن محمد الصباغ

الفقيه الشافعي، وليس بصاحب الشامل، ذاك متأخر وهذا من تلاميذ أبي حامد الأسفراييني، كانت له حلقة للفتوى بجامع المدينة، وشهد عند قاضي القضاة الدامغاني الحنفي قبله، وقد سمع الحديث من ابن شاهين وغيره، وكان ثقة جليل القدر.

هلال بن المحسن

ابن إبراهيم بن هلال، أبو الخير الكاتب الصابىء، صاحب التاريخ، وجده أبو إسحاق الصابىء صاحب الرسائل، وكان أبوه صابئياً أيضاً، أسلم هلال هذا متأخراً، وحسن إسلامه، وقد سمع في حال كفره من جماعة من المشايخ، وذلك أنه كان يتردد إليهم يطلب الأدب، فلما أسلم نفعه ذلك، وكان ذلك سبب إسلامه على ما ذكره ابن الجوزي بسنده مطولاً، أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام مراراً يدعوه إلى الله عز وجل، ويأمره بالدخول في الإسلام، ويقول له: أنت رجل عاقل، فلم تدع دين الإسلام الذي قامت عليه الدلائل؟ وأراه آيات في المنام شاهدها في اليقظة، فمنها أنه قال له: إن امرأتك حامل بولد ذكر، فسمه محمداً، فولدت ذكراً، فسماه محمداً، وكناه أبا الحسن، في أشياء كثيرة سردها ابن الجوزي، فأسلم

---

(١) صاحب الأمالي اسمه أبو علي إسماعيل بن القاسم ووفاته سنة ٣٥٦هـ فجملة الأمالي خطأ بلا شك، وإنما هو الفالي بالفاء كما في النجوم الزاهرة.

(٢) محفوفة: محاطة، وفناء الدار: ساحته وما يحيط به.

(٣) كُلاها: جمع كلية.

وحسن إسلامه، وكان صدوقاً. توفي عن تسعين سنة، منها في الإسلام نيف وأربعون سنة [تغمده الله برحمته ويمنه وكرمه أمين][(١)].

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة

فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد، بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها، وأهلها موتى فيها، وصار المار في الطريق لا يلق الواحد بعد الواحد وأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام، ووجد مع امرأة فخذ كلب قد اخضر وشوى رجل صبية في الأتون وأكلها، فقيل وسقط طائر ميت من حائط فاحتوشته خمسة أنفس فاقتسموه وأكلوه، وورد كتاب من بخارى أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان، وأحصي من مات في هذا الوباء من تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب بألف ألف، وستمائة ألف وخمسين ألف إنسان، والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقاً فارغة وطرقات خالية، وأبواباً مغلقة، ووحشة وعدم أنس. حكاه ابن الجوزي. قال: وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم، وأنه لم يسلم من تلك البلاد إلا العدد اليسير جداً. قال: ووقع وباء بالأهواز وبواسط وغيرها، حتى طبق البلاد، وكان أكثر سبب ذلك الجوع، حتى كان الفقراء يشوون الكلاب وينبشون القبور ويشوون الموتى ويأكلونهم، وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات وتجهيزهم ودفنهم، فكان يحفر الحفيرة فيدفن فيها العشرون والثلاثون، وكان الإنسان بينما هو جالس إذ انشق قلبه عن دم المهجة، فيخرج منه إلى الفم قطرة فيموت الإنسان من وقته، وناب الناس وتصدقوا بأكثر أموالهم فلم يجدوا أحداً يقبل منهم، وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة والدراهم والثياب فيقول: أنا أريد كسرة أريد ما يسد جوعي، فلا يجد ذلك وأراق الناس الخمور وكسروا آلات اللهو، ولزموا المساجد للعبادة وقراءة القرآن، وقل دار يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم، ودخل على مريض له سبعة أيام في النزع فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر فأراقوها فمات من وقته بسهولة، ومات رجل في مسجد فوجدوا معه خمسين ألف درهم، فعرضت على الناس فلم يقبلها أحد فتركت في المسجد تسعة أيام لا يريدها أحد، فلما كان بعد ذلك دخل أربعة ليأخذوها فماتوا عليها، فلم يخرج من المسجد منهم أحد حي، بل ماتوا جميعاً، وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد يشتغل عليه سبعمائة متفقه، فمات وماتوا كلهم إلا اثني عشر نفراً منهم رحمهم الله تعالى، ولما اصطلح السلطان دبيس بن علي رجع إلى بلاده فوجدها خراباً لقلة أهلها من الطاعون، فأرسل رسولاً منهم إلى بعض النواحي فتلقاه طائفة فقتلوه وشووه وأكلوه.

قال ابن الجوزي: وفي يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة احترقت قطيعة عيسى وسوق الطعام والكنيس، وأصحاب السقط وباب الشعير، وسوق العطارين وسوق

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

العروس والأنماطيين والخشابين والجزارين والتمارين، والقطيعة وسوق مخول ونهر الزجاج وسويقة غالب والصفارين والصباغين وغير ذلك من المواضع، وهذه مصيبة أخرى إلى ما بالناس من الجوع والغلاء والفناء، ضعف الناس حتى طغت النار فعملت أعمالها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وفيها كثر العيارون ببغداد، وأخذوا الأموال جهاراً، وكبسوا الدور ليلاً ونهاراً، وكبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة، وأحرقت كتبه ومآثره، ودفاتره التي كان يستعملها في ضلالته وبدعته، ويدعو إليها أهل ملته ونحلته، ولله الحمد. وفيها دخل الملك طغرلبك بغداد عائداً إليها من الموصل فتلقاه الناس والكبراء إلى أثناء الطريق، وأحضر له رئيس الرؤساء خلعة من الخليفة مرصعة بالجوهر فلبسها، وقبل الأرض ثم بعد ذلك دخل دار الخلافة، وقد ركب إليها فرساً من مراكب الخليفة، فلما دخل على الخليفة إذا هو على سرير طوله سبعة أذرع، وعلى كتفه البردة النبوية، وبيده القضيب، فقبل الأرض وجلس على سرير دون سرير الخليفة، ثم قال الخليفة لرئيس الرؤساء: قل له أمير المؤمنين حامد لسعيك شاكر لفعلك، آنس بقربك، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده، فاتق الله فيما ولاك، واجتهد في عمارة البلاد وإصلاح العباد ونشر العدل، وكف الظلم، ففسر له عميد الدولة ما قال الخليفة فقام وقبل الأرض وقال: أنا خادم أمير المؤمنين وعبد الله، ومتصرف عن أمره ونهيه، ومتشرف بما أهلني له واستخدمني فيه، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق. ثم أمره الخليفة أن ينهض للبس الخلعة فقام إلى بيت في ذلك البهو، فأفيض عليه سبع خلع وتاج، ثم عاد فجلس على السرير بعدما قبل يد الخليفة، ورام تقبيل الأرض فلم يتمكن من التاج، فأخرج الخليفة سيفاً فقلده إياه وخوطب بملك الشرق والغرب، وأحضرت ثلاثة ألوية فعقد منها الخليفة لواء بيده، وأحضر العهد إلى الملك، وقرىء بين يديه بحضرة الملك وأوصاه الخليفة بتقوى الله والعدل في الرعية، ثم نهض فقبل يد الخليفة ثم وضعها على عينيه، ثم خرج في أبهة عظيمة إلى داره وبين يديه الحجاب والجيش بكماله، وجاء الناس للسلام عليه، وأرسل إلى الخليفة بتحف عظيمة، منها خمسون ألف دينار، وخمسون غلاماً أتراكاً، بمراكبهم وسلاحهم ومناطقهم، وخمسمائة ثوب أنواعاً، وأعطى رئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار، وخمسين قطعة قماش وغير ذلك.

وفيها قبض صاحب مصر على وزيره أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن البازري، وأخذ خطه بثلاثة آلاف دينار، وأحيط على ثمانين من أصحابه، وقد كان هذا الوزير فقيهاً حنفياً، يحسن إلى أهل العلم وأهل الحرمين، وقد كان الشيخ أبو يوسف القزويني يثني عليه ويمدحه والله تعالى أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن عبد الله بن سليمان

ابن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن

بريح بن خزيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أبو العلاء المعري التنوخي الشاعر، المشهور بالزندقة، اللغوي، صاحب الدواوين والمصنفات في الشعر واللغة، ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وأصابه جدري وله أربع سنين أو سبع، فذهب بصره، وقال الشعر وله إحدى عشرة أو ثنتا عشرة سنة، ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، فأقام بها سنة وسبعة أشهر، ثم خرج منها طريداً منهزماً، لأنه سأل سؤالاً بشعر يدل على قلة دينه وعلمه وعقله فقال:

تَنَاقُضٌ مَا لَنَا إلاَّ السُّكُوتُ لَهُ وَأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلاَنَا مِنَ النَّارِ
يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينٍ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ[1] مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ

وهذا من إفكه يقول: اليد ديتها خمسمائة دينار، فما لكم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار، وهذا من قلة عقله وعلمه، وعمى بصيرته. وذلك أنه إذا جني عليها يناسب أن يكون ديتها كثيرة لتنزجر الناس عن العدوان، وأما إذا جنت هي بالسرقة فيناسب أن تقل قيمتها وديتها لتنزجر الناس عن أموال الناس وتصان أموالهم، ولهذا قال بعضهم: كانت ثمينة لما كانت أمينة، فلما خانت هانت. ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب ورجع إلى بلده، ولزم منزله فكان لا يخرج منه. وكان يوماً عند الخليفة وكان الخليفة يكره المتنبي ويضع منه، وكان أبو العلاء يحب المتنبي ويرفع من قدره ويمدحه، فجرى ذكر المتنبي في ذلك المجلس فذمه الخليفة، فقال أبو العلاء: لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته التي أولها:

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه ذلك. فغضب الخليفة وأمر به فسحب برجله على وجهه وقال: أخرجوا عني هذا الكلب. وقال الخليفة: أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة؟ وذكره لها؟ أراد قول المتنبي فيها:

وإذا أتتكَ مذمّتي من ناقصٍ فهي الدليلُ على أنّي كاملُ

وإلا فالمتنبي له قصائد أحسن من هذه، وإنما أراد هذا. وهذا من فرط ذكاء الخليفة، حيث تنبه لهذا. وقد كان المعري أيضاً من الأذكياء، ومكث المعري خمساً وأربعين سنة من عمره لا يأكل اللحم ولا اللبن ولا البيض، ولا شيئاً من حيوان، على طريقة البراهمة الفلاسفة، ويقال إنه اجتمع براهب في بعض الصوامع في مجيئه من بعض السواحل آواه الليل عنده، فشكّكه في دين الإسلام، وكان يتقوت بالنبات وغيره، وأكثر ما كان يأكل العدس ويتحلى بالدبس والتين، وكان لا يأكل بحضرة أحد، ويقول: أكل الأعمى عورة، وكان في غاية الذكاء المفرط، على ما ذكروه، وأما ما ينقلونه عنه من الأشياء المكذوبة المختلفة من أنه وضع تحت سريره درهماً فقال: إما أن تكون السماء قد انخفضت مقدار

---

(١) وُدِيَتْ: دُفِعَتْ عنها الدية.

درهم أو الأرض قد ارتفعت مقدار درهم، أي أنه شعر بارتفاع سريره عن الأرض مقدار ذلك الدرهم الذي وضع تحته، فهذا ما لا أصل له. وكذلك يذكرون عنه أنه مر في بعض أسفاره بمكان فطأطأ رأسه فقيل له في ذلك فقال: أما هنا شجرة؟ قالوا: لا، فنظروا فإذا أصل شجرة كانت هناك في الموضع الذي طأطأ رأسه فيه، وقد قطعت، وكان قد اجتاز بها قديماً مرة فأمره من كان معه بمطأطأة رأسه لما جازوا تحتها، فلما مر بها المرة الثانية طأطأ رأسه خوفاً من أن يصيبه شيء منها، فهذا لا يصح. وقد كان ذكياً، ولم يكن زكياً، وله مصنفات كثيرة أكثرها في الشعر، وفي بعض أشعاره ما يدل على زندقته، وانحلاله من الدين، ومن الناس من يعتذر عنه ويقول: إنه إنما كان يقول ذلك مجوناً ولعباً، ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، وقد كان باطنه مسلماً.

قال ابن عقيل لما بلغه: وما الذي ألجأه أن يقول في دار الإسلام ما يكفره به الناس؟ والمنافقون مع قلة عقلهم وعلمهم أجود سياسة منه، لأنهم حافظوا على قبائحهم في الدنيا وستروها، وهذا أظهر الكفر الذي تسلط عليه به الناس وزندقوه، والله يعلم أن كظاهره كباطنه.

قال ابن الجوزي: وقد رأيت لأبي العلاء المعري كتاباً سماه الفصول والغايات، في معارضة السور والآيات، على حروف المعجم في آخر كلماته وهو في غاية الركاكة والبرودة، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته. قال: وقد نظرت في كتابه المسمى لزوم ما لا يلزم، ثم أورد ابن الجوزي من أشعاره الدالة على استهتاره بدين الإسلام أشياء كثيرة.

فمن ذلك قوله:

إذَا كَـانَ لا يَـحْـظَـى بِـرِزْقِـكَ عَـاقِـلٌ ... وَتَـرْزُقُ مَـجْـنُـونـاً وَتَـرْزُقُ أَحْـمَـقَـا
فَـلا ذَنْـبَ يَـا رَبَّ الـسَّـمَـاءِ عَـلَـى امْـرِئٍ ... رَأَى مِـنْـكَ مَـا لا يَـشْـتَـهِـي فَـتَـزَنْـدَقَـا

وقوله:

وَهَـيْـهَـاتَ الـبَـرِيَّـةَ فِـي ضَـلالٍ ... وَقَـدْ نَـظَـرَ الـلَّـبِـيـبُ لِـمَـا اعْـتَـرَاهَـا
تَـقَـدَّمَ صَـاحِـبُ الـتَّـوْرَاةِ مُـوسَـى ... وَأَوْقَـعَ فِـي الـخَـسَـارِ مَـنِ اقْـتَـرَاهَـا
فَـقَـالَ رِجَـالُـهُ وَحْـيٌ أَتَـاهُ ... وَقَـالَ الـنَّـاظِـرُونَ بَـلِ افْـتَـرَاهَـا
وَمَـا حَـجِّـي إِلَـى أَحْـجَـارِ بَـيْـتٍ ... كُـؤُوسِ الـخَـمْـرِ تَـشْـرَبُ فِـي ذُرَاهَـا
إِذَا رَجَـعَ الـحَـلِـيـمُ إِلَـى حِـجَـاهُ ... تَـهَـاوَنَ بِـالـمَـذَاهِـبِ وَازْدَرَاهَـا

وقوله:

هَـوَتِ الـحَـنِـيـفَـةُ وَالـنَّـصَـارَى مَـا اهْـتَـدَتْ ... وَيَـهُـودُ جَـارَتْ وَالـمَـجُـوسُ مُـضَـلَّـلَـهْ
اثْـنَـانِ أَهْـلُ الأَرْضِ ذُو عَـقْـلٍ بِـلا ... دِيـنٍ وَآخَـرُ دُو دِ ـنٍ لاَ عَـقْـلَ لَـهْ

وقوله:

فَلاَ تَحْسَبْ مَقَالَ الرُّسْلِ حَقّاً ... وَلٰكِنْ قَوْلُ زُورٍ سَطَّرُوهُ
فَكَانَ النَّاسُ فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ ... فَجَاؤوا بِالمِحَالِ فَكَدَّرُوهُ

وقلت أنا معارضة عليه:

فَلاَ تَحْسَبْ مَقَالَ الرُّسْلِ زوراً ... وَلٰكِنْ قَوْلَ حَقٍّ بَلَّغُوهُ
وَكَانَ النَّاسُ فِي جَهْلٍ عَظِيمٍ ... فَجَاؤوا بِالبَيَانِ فَأَوْضَحُوهُ

وقوله:

إنَّ الشَّرَائِعَ أَلْقَتْ بَيْنَنَا إحَناً[1] ... وَأَوْرَثَتْنَا أَفَانِينَ[2] العَدَاوَاتِ
وَهَلْ أُبِيحَ نِسَاءُ الرُّومِ عَنْ عَرَضٍ ... لِلْعُرْبِ إلاّ بِأَحْكَامِ النُّبُوَّاتِ

وقوله:

وَمَا حَمْدِي لآدَمَ أَوْ بَنِيهِ ... وَأَشْهَدُ أَنَّ كُلَّهُمُ خَسِيسُ

وقوله:

أَفِيقُوا أَفِيقُوا يا غُوَاةُ فَإِنَّمَا ... دِيَانَاتُكُمْ مَكْراً مِنَ القُدَمَا

وقوله:

صَرْفُ الزَّمَانِ مُفَرِّقُ الإلْفَيْنِ ... فَاحْكُمْ إلٰهِي بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنِي
أَنَهَيْتَ عَنْ قتلِ النفوسِ تعمّداً ... وبعثتَ تقبضها مع الملكينِ
وَزَعَمْتَ أَنَّ لَهَا مَعَاداً ثَانِياً ... مَا كَانَ أَغْنَاهَا عَنِ الحَالَيْنِ

وقوله:

ضَحِكْنَا وَكَانَ الضِّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً ... وَحَقٌّ لِسُكَّانِ البَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا
تُحَطِّمُنَا الأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّنَا ... زُجَاجٌ وَلٰكِنْ لا يُعَودُ لَهُ سَبْكُ

وقوله:

أُمُورٌ تَسْتَخِفُّ بِهَا حُلُومٌ ... وَمَا يَدْرِي الفَتَى لِمَنِ الثُّبُورُ[3]
كِتَابُ مُحَمَّدٍ وَكِتَابُ مُوسَى ... وَإِنْجِيلُ ابْنِ مَرْيَمَ وَالزَّبُورُ

وقوله:

قَالَتْ مَعَاشِرُ لَمْ يَبْعَثْ إلٰهُكُمُ ... إلَى البَرِيَّةِ عِيسَاهَا وَلا مُوسَى
وَإِنَّمَا جَعَلُوا الرَّحْمٰنَ مَأْكَلَةً ... وَصَيَّرُوا دِينَهُمْ فِي النَّاسِ نَامُوسَا

وذكر ابن الجوزي وغيره أشياء كثيرة تدل على كفره، بل كل واحدة من هذه الأشياء

(١) الإحن: العداوات والأحقاد.

(٢) الأفانين: الضروب والألوان.

(٣) الحلوم: العقول. والثبور: الهلاك.

تدل على كفره وزندقته وانحلاله ويقال إنه أوصى أن يكتب على قبره:

هٰـــذا جَـــنَـــاهُ أَبِـــي عَـــلَـــيَّ ... وَمَـــا جَـــنَـــيْـــتُ عَـــلَـــى أَحَـــدْ

معناه أن أباه بتزوجه لأمه أوقعه في هذه الدار، حتى صار بسبب ذلك إلى ما إليه صار، وهو لم يجن على أحد بهذه الجناية، وهذا كله كفر وإلحاد قبحه الله وقد زعم بعضهم أنه أقلع عن هذا كله وتاب منه، وأنه قال قصيدة يعتذر فيها من ذلك كله، ويتنصل منه، وهي القصيدة التي يقول فيها:

يـا مَـنْ يَـرَى مَـدَّ الـبَـعُـوضِ جَـنَـاحَـهَـا ... فـي ظُـلْـمَـةِ الـلَّـيْـلِ الـبَـهِـيـمِ الأَلْـيَـلِ[1]

وَيَـرَى مَـنَـاطَ عُـرُوقِـهَـا فـي نَـحْـرِهَـا ... وَالـمُـخَّ فـي تِـلْـكَ الـعِـظَـامِ الـنُّـحَّـلِ

امْـنُـنْ عَـلَـيَّ بِـتَـوْبَـةٍ تَـمْـحُـو بِـهَـا ... مَـا كَـانَ مِـنِّـي فـي الـزَّمَـانِ الأَوَّلِ

توفي في ربيع الأول من هذه السنة بمعرة النعمان، عن ست وثمانين سنة إلا أربعة عشر يوماً، وقد رثاه جماعة من أصحابه وتلامذته، وأنشدت عند قبره ثمانون مرثاة، حتى قال بعضهم في مرثاة له:

إِنْ كُـنْـتَ لَـمْ تُـرِقِ الـدِّمَـاءَ زَهَـادَةً ... فَـلَـقَـدْ أَرَقْـتَ الـيَـوْمَ مِـنْ جَـفْـنِـي دَمَـا

قال ابن الجوزي: وهؤلاء الذين رثوه والذين اعتقدوه: إما جهال بأمره، أو ضلال على مذهبه وطريقه. وقد رأى بعضهم في النوم رجلاً ضريراً على عاتقه حيتان مدليتان على صدره، رافعتان رؤوسهما إليه، وهما ينهشان من لحمه، وهو يستغيث، وقائل يقول: هذا المعري الملحد وقد ذكره ابن خلكان فرفع في نسبه على عادته في الشعراء، كما ذكرنا. وقد ذكر له من المصنفات كتباً كثيرة، وذكر أن بعضهم وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتابه المسمى بالأيك والغصون، وهو المعروف بالهمز والردف، وأنه أخذ العربية عن أبيه واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سعد النحوي، وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، والخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، وذكر أنه مكث خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم على طريقة الحكماء، وأنه أوصى أن يكتب على قبره:

هٰـــذا جَـــنَـــاهُ أَبِـــي عَـــلَـــيَّ ... وَمَـــا جَـــنَـــيْـــتُ عَـــلَـــى أَحَـــدْ

قال ابن خلكان: وهذا أيضاً باعتقاد الحكماء، فإنهم يقولون اتخاذ الولد وإخراجه إلى هذا الوجود جناية عليه، لأنه يتعرض للحوادث والآفات. قلت: وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده، وهو ما يعتقده الحكماء إلى آخر وقت، وأنه لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها، وذكر ابن خلكان أن عينه اليمنى كانت ناتئة وعليها بياض، وعينه اليسرى غائرة، وكان نحيفاً ثم أورد من أشعاره الجيدة أبياتاً فمنها قوله:

---

(١) الليل الأليل: الكثير الظلمة، الشديدها.

لا تَــطْـــلُــبَــنَّ بــآلَــةٍ لَــكَ رُتْــبَــةً ... قَــلَــمُ الــبَــلِــيــغِ بِــغَــيْــرِ جَــدٍّ مِــغْــزَلُ
سَكَنَ السِّمَاكَان السَّمَاءَ كِلاهُمَا ... هٰــذا لَــهُ رُمْــحٌ وَهٰــذا أَعْــزَلُ[1]

الأستاذ أبو عثمان الصابوني

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عامر بن عابد النيسابوري، الحافظ الواعظ المفسر، قدم دمشق وهو ذاهب إلى الحج فسمع بها وذكّر الناس، وقد ترجمه ابن عساكر ترجمة عظيمة، وأورد له أشياء حسنة من أقواله وشعره، فمن ذلك قوله:

إذا لَــمْ أُصِــبْ أَمْــوَالَــكُــمْ وَنَــوَالَــكُــمْ ... وَلَــمْ آمُــلِ الــمَــعْــرُوفَ مِــنْــكُــمْ وَلا الــبِــرَّا
وَكُــنْــتُــمْ عَــبِــيــداً لِــلَّــذِي أَنَــا عَــبْــدُهُ ... فَــمِــنْ أَجْــلِ مَــاذَا أُتْــعِــبُ الــبَــدَنَ الــحُــرَّا؟

وروى ابن عساكر عن إمام الحرمين أنه قال: كنت أتردد وأنا بمكة في المذاهب فرأيت النبي ﷺ وهو يقول: عليك باعتقاد أبي عثمان الصابوني. رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة [من الهجرة النبوية][2]

فيها كانت فتنة الخبيث البساسيري، وهو أرسلان التركي قبحه الله، وذلك أن إبراهيم ينال أخا الملك طغرلبك ترك الموصل الذي كان قد استعمله أخوه عليها، وعدل إلى ناحية بلاد الجبل، فاستدعاه أخوه وخلع عليه وأصلح أمره، ولكن في غضون ذلك ركب البساسيري ومعه قريش بن بدران أمير العرب إلى الموصل فأخذها، وأخرب قلعتها، فسار إليه ملك طغرلبك سريعاً فاستردها وهرب منه البساسيري وقريش خوفاً منه، فتبعهما إلى نصيبين، وفارقه أخوه إبراهيم، وعصى عليه، وهرب إلى همذان، وذلك بإشارة البساسيري عليه، فسار الملك طغرلبك وراء أخيه وترك عساكره وراءه فتفرقوا وقل من لحقه منهم، ورجعت زوجته الخاتون ووزيره الكندي إلى بغداد، ثم جاء الخبر بأن أخاه قد استظهر عليه، وأن طغرلبك محصور بهمذان، فانزعج الناس لذلك، واضطربت بغداد، وجاء الخبر بأن البساسيري [عازم على][3] قصد بغداد، وأنه قد اقترب من الأنبار، فقوي عزم الكندي على الهروب، فأرادت الخاتون أن تقبض عليه فتحول عنها إلى الجانب الغربي، ونهبت داره وقطع الجسر الذي بين الجانبين، وركبت الخاتون في جمهور الجيش، وذهبت إلى همذان لأجل زوجها، وسار الكندي ومعه أنوشروان بن تومان وأم الخاتون المذكورة، ومعها بقية الجيش إلى بلاد الأهواز وبقيت بغداد ليس بها أحد من المقاتلة، فعزم الخليفة على الخروج منها، وليته فعل، ثم أحب داره والمقام مع أهله، فمكث فيها اغتراراً ودعة، ولما خلي البلد من المقاتلة قيل للناس: من أراد الرحيل من بغداد فليذهب حيث شاء، فانزعج الناس وبكى

---

(١) السماكان: نجمان في السماء. والأعزل: الذي ليس معه سلاح.

(٢) سقط في ط.

(٣) سقط في ط.

الرجال والنساء والأطفال، وعبر كثير من الناس إلى الجانب الغربي، وبلغت المعبرة ديناراً ودينارين لعدم الجسر.

قال ابن الجوزي: وطار في تلك الليلة على دار الخليفة نحو عشر بومات مجتمعات يصحن صياحاً مزعجاً، وقيل لرئيس الرؤساء المصلحة أن الخليفة يرتحل لعدم المقاتلة فلم يقبل، وشرعوا في استخدام طائفة من العوام، ودفع إليهم سلاح كثير من دار المملكة، فلما كان يوم الأحد الثامن من ذي القعدة من هذه السنة جاء البساسيري إلى بغداد ومعه الرايات البيض المصرية، وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها اسم المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين، فتلقاه أهل الكرخ الرافضة وسألوه أن يجتاز من عندهم، فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزاويا، فخيم به والناس إذ ذاك في مجاعة وضر شديد، ونزل قريش بن بدران في نحو من مائتي فارس على مشرعة باب البصرة، وكان البساسيري قد جمع العيارين وأطمعهم في نهب دار الخلافة، ونهب أهل الكرخ دور أهل السنة بباب البصرة، ونهبت دار قاضي القضاة الدامغاني، وتملك أكثر السجلات والكتب الحكمية، وبيعت للعطارين، ونهبت دور المتعلقين بخدمة الخليفة، وأعادت الروافض الأذان بحي على خير العمل، وأذن به في سائر نواحي بغداد في الجمعات والجماعات وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدي، على منابرها وغيرها، وضربت له السكة على الذهب والفضة، وحوصرت دار الخلافة، فحاجف[1] الوزير أبو القاسم بن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء، بمن معه من المستخدمين دونها فلم يفد ذلك شيئاً، فركب الخليفة بالسواد والبردة، وعلى رأسه اللواء وبيده السيف مصلت[2]، وحوله زمرة من العباسيين والجواري حاسرات عن وجوههن، ناشرات شعورهن، معهن المصاحف على رؤوس الرماح، وبين يديه الخدم بالسيوف. ثم إن الخليفة أخذ ذماماً من أمير العرب قريش ليمنعه وأهله ووزيره ابن المسلمة، فأمنه على ذلك كله، وأنزله في خيمة، فلامه البساسيري على ذلك، وقال: قد علمت ما كان وقع الاتفاق عليه بيني وبينك، من أنك لا تبتُّ[3] برأي دوني، ولا أنا دونك، ومهما ملكنا بيني وبينك. ثم إن البساسيري أخذ القاسم بن مسلمة فوبخه توبيخاً مفضحاً، ولامه لوماً شديداً، ثم ضربه ضرباً مبرحاً، واعتقله مهاناً عنده، ونهبت العامة دار الخلافة، فلا يحصى ما أخذوا منها من الجواهر والنفائس، والديباج والذهب والفضة، والثياب والأثاث، والدواب وغير ذلك، مما لا يحد ولا يوصف. ثم اتفق رأي البساسيري وقريش على أن يسيروا الخليفة إلى أمير حديثة عانة، وهو مهارش بن مجلي الندوي، وهو من بني عم قريش بن بدران، وكان رجلاً فيه دين وله مروءة. فلما بلغ ذلك الخليفة دخل على قريش أن لا يخرج من بغداد فلم يفد ذلك شيئاً، وسيّره مع أصحابهما في هودج إلى حديثة عانة، فكان عند مهارش حولاً كاملاً، وليس معه أحد من أهله، فحكى عن الخليفة أنه قال لما كنت بحديثة عانة قمت ليلة إلى

(١) حاجف: دافع. (٢) مصلت: مشهور ومستل.
(٣) في ط: تستبد، وبتّ بالأمر: قطع به.

الصلاة فوجدت في قلبي حلاوة المناجاة، ثم دعوت الله عز وجل بما سنح لي، ثم قلت؛ اللهم أعدني إلى وطني، واجمع بيني وبين أهلي وولدي، ويسر اجتماعنا، وأعدْ روض الأنس زاهراً، وربع القرب عامراً، وفلفل العزا[١] وبرّج الجفا[٢]، قال: فسمعت قائلاً على شاطىء الفرات يقول: نعم نعم، فقلت: هذا رجل يخاطب آخر، ثم أخذت في السؤال والابتهال، فسمعت ذلك الصائح يقول: إلى الحول إلى الحول، فقلت أنه هاتف أنطقه الله بما جرى الأمر عليه، وكان كذلك، خرج من داره في ذي القعدة من هذه السنة، ورجع إليها في ذي القعدة من السنة المقبلة، وقد قال الخليفة القائم بأمر الله في مدة مقامه بالحديثة شعراً يذكر فيه حاله فمنه:

سَاءَتْ ظُنُونِيَ فِيمَنْ كُنْتُ آمُلُهُ ... وَلَمْ يَجُلْ[٣] ذِكْرُ مَنْ وَالَيْتُ فِي خَلَدِي
تَعَلَّمُوا مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ كُلُّهُمُ ... فَمَا رَأَى أَحَداً يَحْنُو عَلَى أَحَدِ
فَمَا أرى مِنَ الأَيَّامِ إلاّ مَوْعِداً ... فَمَتَى أَرَى ظَفَرِي بِذَاكَ المَوْعِدِ[٤]
يَوْمِي يَمُرُّ وَكُلَّمَا قَضَّيْتُهُ ... عَلَّلْتُ نَفْسِي بِالحَدِيثِ إلى غَدِ
أَحيا بِنَفْسٍ تَسْتَرِيحُ إلى المُنَى ... وَعَلَى مَطَامِعِهَا تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

وأما البساسيري وما اعتمده في بغداد، فإنه ركب يوم عيد الأضحى وألبس الخطباء والمؤذنين البياض، وكذلك أصحابه، وعلى رأسه الألوية المصرية، وخطب للخليفة المصري، والروافض في غاية السرور، والأذان بسائر العراق بحي على خير العمل، وانتقم البساسيري من أعيان أهل بغداد انتقاماً عظيماً، وغرق خلقاً ممن كان يعاديه، وبسط على آخرين الأرزاق مما كان يحبه ويواليه، وأظهر العدل. ولما كان يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة أحضر إلى بين يديه الوزير ابن المسلمة الملقب رئيس الرؤساء، وعليه جبة صوف، وطرطور من لبد أحمر، وفي رقبته مخنقة من جلود كالتعاويذ، فأركب جملاً أحمر وطيف به في البلد، وخلفه من يصفعه بقطعة من جلد، وحين اجتاز بالكرخ نثروا عليه خلقان المداسات، وبصقوا في وجهه ولعنوه وسبوه، وأوقف بإزاء دار الخلافة وهو في ذلك كله يتلو قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦] ثم لما فرغوا من التطواف به جيء به إلى المعسكر فألبس جلد ثور بقرنيه، وعلق بكلوب في شدقيه، ورفع إلى الخشبة، فجعل يضطرب إلى آخر النهار فمات رحمه الله. وكان آخر كلامه أن قال: الحمد لله الذي أحياني سعيداً، وأماتني شهيداً. وفيها وقع برد بأرض العراق أهلك كثيراً من الغلات، وقتل

---

(١) فلفل العزا: اطرده.

(٢) برّج الجفا: حوطه وضيق عليه.

(٣) لم يجل: لم يخطر.

(٤) هذا البيت غير مستقيم الوزن.

بعض الفلاحين، وزادت دجلة زيادة كثيرة، وزلزلت بغداد في شوال من هذه السنة قبل الفتنة بشهر زلزالاً شديداً، فتهدمت دور كثيرة، ووردت الأخبار أن هذه الزلزلة اتصلت بهمذان وواسط وتكريت وعانة، وذكر أن الطواحين وقفت من شدتها. وفيها كثر النهب ببغداد حتى كانت العمائم تخطف عن الرؤوس، وخطفت عمامة الشيخ أبي نصر بن الصباغ، وطيلسانه وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة.

وفي أواخر السنة خرج السلطان طغرلبك من همذان فقاتل أخاه وانتصر عليه، ولله الحمد والمنة ففرح الناس وتباشروا بذلك، ولم يظهروا ذلك خوفاً من البساسيري، واستنجد طغرلبك بأولاد أخيه داود ـ وكان قد مات ـ على أخيه إبراهيم ينال فغلبوه وأسروه في أوائل سنة إحدى وخمسين، اجتمعوا على عمهم طغرلبك، فسار بهم نحو العراق، فكان من أمرهم ما سيأتي ذكره في السنة الآتية (إن شاء الله).

وفيها توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن محمد أبو عبد الله الوني

الفرضي، وهو شيخ الحربي، وكان شافعي المذهب، قتل في بغداد في فتنة البساسيري، ودفن في يوم الجمعة يوم عرفة منها.

داود أخو طغرلبك

[وكان الأكبر منهم، كان مقيماً ببلخ بإزاء أولاد محمود بن سبكتكين][١]، توفي فيها وقام أولاده مقامه [في الملك][٢].

أبو الطيب الطبري: الفقيه شيخ الشافعية طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر. ولد بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، سمع الحديث بجرجان من أبي أحمد الغطريفي، وبنيسابور من أبي الحسن الماسرجسي، وعليه درس الفقه أيضاً وعلى أبي علي الزجاجي، وأبي القاسم بن كج، ثم اشتغل ببغداد على أبي حامد الأسفراييني، وشرح المختصر وفروع ابن الحداد، وصنف في الأصول والجدل، وغير ذلك من العلوم الكثيرة النافعة، وسمع ببغداد من الدارقطني وغيره، وولي القضاء بربع الكرخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري، وكان ثقة ديناً ورعاً، عالماً بأصول الفقه وفروعه، وله حسن الخلق سليم الصدر مواظباً على تعليم العلم ليلاً ونهاراً. وقد ترجمته في طبقات الشافعية، وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي عنه ـ وكان شيخه، وقد أجلسه بعده في الحلقة ـ أن أبا الطيب أسلم خفاً له ـ [وكان متقللاً من الدنيا فقيراً ـ عند خفاف ليصلحه له فأبطأ عليه فكان كلما مر عليه أخذه فغمسه في الماء وقال: أيها الشيخ الساعة أصلحه، فقال الشيخ: أسلمته لتصلحه ولم أسلمه لتعلمه السباحة. وحكى ابن خلكان أنه كان له ولأخيه عمامة واحدة، وقميص واحد، إذا

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٢) سقط في ط.

لبسهما هذا جلس الآخر في البيت لا يخرج منه، وإذا لبسهما هذا احتاج الآخر أن يقعد في البيت ولا يخرج منه، وإذا غسلاهما جلسا في البيت إلى أن ييبسا] وقد قال في ذلك أبو الطيب:

قَوْمٌ إذا غَسَلُوا ثيَابَ جمالهمْ ... لَبِسُوا البُيُوتَ إلى فَرَاغِ الغَاسِلِ

وقد توفي في هذه السنة عن مائة سنة وسنتين، وهو صحيح العقل، والفهم، والأعضاء، يفتي ويشتغل إلى أن مات، وقد ركب مرة سفينة فلما خرج منها قفز قفزة لا يستطيعها الشباب فقيل له: ما هذا يا أبا الطيب؟ فقال: هذه أعضاء حفظناها في الشبيبة تنفعنا في الكبر رحمه الله.

القاضي الماوردي

صاحب الحاوي الكبير علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي البصري، شيخ الشافعية، صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والتفسير والأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والدين. قال: بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة، يعني [الحاوي الكبير واختصرته في أربعين يعني][1] الإقناع. وقد ولي الحكم في بلاد كثيرة، وكان حليماً وقوراً أديباً، لم ير أصحابه ذراعه يوماً من الدهر من شدة تحرزه وأدبه، وقد استقصيت ترجمته في الطبقات، توفي عن ست وثمانين سنة، ودفن بباب حرب رحمه الله. [وقد انشد له القاضي ابن خلكان أشعاراً منها قوله:

جَرَى قَلَمُ القَضَاءِ بِمَا يَكُونُ ... فَحَتَّام التَّحَرُّك وَالسُّكُونُ

جُنُونٌ مِنْكَ أنْ تَسْعَى لرِزْقٍ ... وَيُرْزَقُ فِي غِشَاوَتِهِ الجَنِينِ][2]

رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة

علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عمر، أبو القاسم وزير القائم بأمر الله، كان أولاً قد سمع الحديث من أبي أحمد الفرضي وغيره، ثم صار أحد المعدلين، ثم استكتبه القائم بأمر الله واستوزره، ولقبه رئيس الرؤساء، شرف الوزراء، جمال الوزراء، كان متضلعاً بعلوم كثيرة مع سداد رأي، ووفور عقل، وقد مكث في الوزارة ثنتي عشرة سنة وشهراً، ثم قتله البساسيري بعدما شهره [ثم صلبه بشدقيه كما قدمنا بسط ذلك في الثامن والعشرين من هذه السنة][3] كما تقدم، وله من العمر ثنتان وخمسون سنة وخمسة أشهر.

منصور بن الحسين

أبو الفوارس الأسدي، صاحب الجزيرة، توفي فيها [فاجتمعت العشيرة على إقامة ولده صدقة من بعده والله تعالى أعلم][4].

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) ما بين معقوفين سقط في ط.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة

استهلت هذه السنة وبغداد في حكم البساسيري، يخطب فيها لصاحب مصر الفاطمي، والخليفة العباسي بحديثة عانة، ثم لما كان يوم الاثنين ثاني عشر صفر أحضر القضاة أبا عبد الله الدامغاني وجماعة من الوجوه والأعيان والأشراف [من العلويين والعباسيين][1]، وأخذ عليهم البيعة لصاحب مصر المستنصر الفاطمي، ثم دخل دار الخلافة وهؤلاء المذكورون معه وأمر بنقض تاج دار الخلافة، فنقض بعض الشراريف، ثم قيل له إن القبح في هذا أكثر من المصلحة. فتركه، ثم ركب إلى زيارة المشهد بالكوفة، وعزم على عبور نهر جعفر ليسوق إلى الحائر لوفاء نذر كان عليه، وأمر بأن تنقل جثة ابن مسلمة إلى ما يقارب الحريم الظاهري، وأن تنصب على دجلة. وكتبت إليه أم الخليفة ـ وكانت عجوزاً كبيرة قد بلغت التسعين وهي مختفية في مكان ـ تشكو إليه الحاجة والفقر وضيق الحال، فأرسل إليها من نقلها إلى الحريم، وأخدمها جاريتين، ورتب لها كل يوم اثني عشر رطلاً من خبز، وأربعة أرطال من لحم [ولا يعني هذا قيراطاً مما فعله بولدها وبالسنة].

فصل:

ولما خلص السلطان طغرلبك من حصره بهمذان وأسر أخاه إبراهيم وقتله، وتمكن في أمره، وطابت نفسه، ولم يبق له في تلك البلاد منازع، كتب إلى قريش بن بدران يأمره بأن يعيد الخليفة إلى وطنه، وداره وتوعده على أنه إن لم يفعل ذلك وإلا أحل به بأساً شديداً، فكتب إليه قريش يتلطف به ويدخل عليه، ويقول: أنا معك على البساسيري بكل ما أقدر عليه، حتى يمكنك الله منه، ولكن أخشى أن أتسرع في أمر يكون فيه على الخليفة مفسدة، أو تبدر إليه بادرة سوء يكون عليّ عارها، ولكن سأعمل على ما أمرتني به بكل ما يمكنني، وأمر برد امرأة الخليفة خاتون المعظمة أرسلان خاتون إلى دارها وقرارها، ثم إنه راسل البساسيري وأشار عليه بعود إلى دارها، وقرارها ثم إنه راسل البساسيري بعود الخليفة إلى داره وخوفه من جهة الملك طغرلبك، وقال له فيما قال: إنك دعوتنا إلى طاعة المستنصر الفاطمي، وبيننا وبينه ستمائة فرسخ، ولم يأتنا رسول ولا أحد من عنده، ولم يفكر في شيء مما أرسلنا إليه، وهذا الملك من وارئنا بالمرصاد، قريب منا، وقد جاءني منه كتاب عنوانه: إلى الأمير الجليل علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران، مولى أمير المؤمنين، من شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب طغرلبك، أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق، وعلى رأس الكتاب العلامة السلطانية بخط السلطان. حسبي الله ونعم الوكيل. وكان في الكتاب: والآن قد سرت بنا المقادير إلى هلاك كل عدو في الدين، ولم يبق علينا من المهمات إلا خدمة سيدنا ومولانا القائم بأمر الله أمير المؤمنين، وإطلاع أبهة إمامته على

(١) سقط في ط.

سرير عزه، فإن الذي يلزمنا ذلك، ولا فسحة في التقصير فيه ساعة من الزمان، وقد أقبلنا بجنود المشرق وخيولها إلى هذا المهم العظيم، ونريد من الأمير الجليل علم الدين إبانة النجح الذي وفق له وتفرد به، وهو أن يتم وفاءه من إقامته وخدمته، في باب سيدنا ومولانا أمير المؤمنين، إما أن يأتي به مكرماً في عزوه وإمامته إلى موقف خلافته من مدينة السلام، ويتمثل بين يديه متولياً أمره ومنفذاً حكمه، وشاهراً سيفه وقلمه، وذلك المراد، وهو خليفتنا وتلك الخدمة بعض ما يجيب به، ونحن نوليك العراق بأسرها ونصفي لك مشارع برها، وبحرها، ولا يطؤها حافر خيل من خيول العجم شبراً من أراضي تلك المملكة، إلا ملتمساً لمعاونتك ومظاهرتك، وإما أن تحافظ على شخصه الغالي بتحويله من القلعة إلى حين نحظى بخدمته، فليمتثل ذلك ويكون الأمير الجليل مخيراً بين أن يلقانا أو يقيم حيث شاء فنوليه العراق كلها، ونستخلفه في الخدمة الإمامية، ونصرف أعيننا إلى الممالك الشرقية، فهمتنا لا تقتضي إلا هذا الغرض ولا يسف إلا مملكة من تلك الممالك، بل الهمة دينية، وهو أدام تمكينه يتقن ما ذكرنا، ويعلم أن توجهنا إثر هذا الكتاب لهذا الغرض المعلوم ولا غرض سواه، فلا يسعرن قلوب عشائره وهيبته فإنهم كلهم إخواننا وفي ذمتنا وعهدنا، وعلينا به عهد الله وميثاقه، ما داموا موافقين للأمير الأجلّ من موالينا ومن اتصل به من سائر العرب والعجم والأكراد، فإنهم مقرون في جملتهم، وداخلون في عهدنا وذمتنا وعهده وذمته، ولكل محترم في العراق عفونا وأمننا مما بدر منه إلا البساسيري فإنه لا عهد له ولا أمان منا، وهو موكول إلى الشيطان وأقاويله، وقد ارتكب من دين الله عظيماً، وهو إن شاء الله مأخوذ حيث وجد ومعذب على ما عمل، فقد سعى في دمار خلق كثير بسوء دخيلته ودار أفعاله على فساد عقيدته، وكتب في رمضان من سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، وبعث بهذا الكتاب مع رسولين من أهل العلم، وبعث معهما بتحف عظيمة للخليفة، وأمرهما أن يخدما الخليفة نيابة عنه جزاه الله عن الإسلام خيراً.

ولما وصل الكتاب إلى قريش بن بدران استعلم عن أخبار الملك طغرلبك من الرسل وغيرهم، فإذا معه جنود عظيمة، فخاف من ذلك خوفاً شديداً، وبعث إلى البرية فأمر بحفر أماكن للماء، وتجهيز علوفات كثيرة إلى هناك، ونفذ الكتاب والأخبار إلى البساسيري قبحه الله، وخارت قوته وضعف أمره، وبعث إلى أهله فنقلهم إلى بغداد، وأرصد له إقامات عظيمة بواسط، وجعلها دار مقره، ووافق على عود الخليفة إلى بغداد، ولكن اشترط شروطاً كثيرةً ليذهب عجلة. ولما انتقل أهل البساسيري من بغداد وصحبهم أهل الكرخ والروافض قبحهم الله تعالى، وانحدروا في دجلة كان خروجهم من بغداد في سادس ذي القعدة من هذه السنة. وفي مثله من العام الماضي دخلوا بغداد، وعند ذلك ثار الهاشميون وأهل السنة من باب البصرة إلى الكرخ فنهبوه وأحرقوا منه محال كثيرة جداً، واحترق من جملة ذلك دار العلم التي كان وقفها الوزير أردشير من مدة سبعين سنة، وفيها من الكتب شيء كثير، وكان في جملة ما أحرق درب الزعفران وفيه ألف ومائتا دار لكل منها قيمة وترحل قريش بن بدران إلى أرض الموصل][1].

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

فعند ذلك كتب قريش إلى مهارش بن مجلى الذي عنده الخليفة يقول له: إن المصلحة تقتضي تسليم الخليفة إليّ، حتى آخذ لي ولك به أماناً، فامتنع عليه مهارش وقال قد غرني البساسيري ووعدني بأشياء لم أرها، ولست بمرسله إليك أبداً، وله في عنقي أيمان كثيرة لا أغدرها، وكان مهارش هذا رجلاً صالحاً. فقال للخليفة: إن المصلحة تقتضي أن نسير إلى بلد بدر بن مهلهل، وننظر ما يكون من أمر السلطان طغرلبك، فإن ظهر دخلنا بغداد، وإن كانت الأخرى نظرنا لأنفسنا، فإني أخشى من البساسيري أن يأتينا فيحضرنا. فقال له الخليفة: افعل ما فيه المصلحة. فسارا في الحادي عشر من ذي القعدة إلى أن حصلا بقلعة تل عكبرا، فتلقته رسل السلطان طغرلبك بالهدايا التي كان أنفذها، وجاءت الأخبار بأن السلطان طغرلبك قد دخل بغداد، وكان يوماً مشهوداً، غير أن الجيش نهبوا البلد غير دار الخليفة، وصودر خلق كثير من التجار، وأخذت منهم أموال كثيرة وشرعوا في عمارة دار الملك، وأرسل السلطان إلى الخليفة مراكب كثيرة من أنواع الخيول وغيرها، وسرادق وملابس، وما يليق بالخليفة في السفر، أرسل ذلك مع الوزير عميد الملك الكندري، ولما انتهوا إلى الخليفة أرسلوا بتلك الآلات إليه قبل أن يصلوا إليه، وقالوا: اضربوا السرادق وليلبس الخليفة ما يليق به، ثم نجيء نحن ونستأذن عليه فلا يأذن لنا إلا بعد ساعة طويلة، فلما فعلوا ذلك دخل الوزير ومن معه فقبلوا الأرض بين يديه، وأخبروه بسرور السلطان بسلامته، وبما حصل من العود إلى بغداد، وكتب عميد الملك كتاباً إلى السلطان يعلمه بصفة ما جرى، وأحب أن يضع الخليفة علامته في أعلى الكتاب ليكون أقر لعين السلطان، وأحضر الوزير دواته ومعها سيف وقال: هذه خدمة السيف والقلم، فأعجب الخليفة ذلك، وترحلوا من منزلهم ذلك بعد يومين، فلما وصلوا النهروان خرج السلطان لتلقي الخليفة، فلما وصل السلطان إلى سرادق الخليفة قبل الأرض سبع مرات بين يدي الخليفة، فأخذ الخليفة مخدة فوضعها بين يديه فأخذها الملك فقبلها، ثم جلس عليها كما أشار الخليفة، وقدم إلى الخليفة الحبل الياقوت الأحمر الذي كان لبني بويه، فوضعه بين يديه، وأخرج اثنتي عشرة حبة من لؤلؤ كبار، وقال أرسلان خاتون ـ يعني زوجة الملك ـ تخدم الخليفة، وسأله أن يسبح بهذه المسبحة، وجعل يعتذر من تأخره عن الحضرة بسبب عصيان أخيه فقتله، واتفق موت أخي الأكبر أيضاً، فاشتغلت بترتيب أولاده من بعده، وأنا شاكر لمهارش بما كان منه من خدمة أمير المؤمنين، وأنا ذاهب إن شاء الله خلف الكلب البساسيري، فأقتله إن شاء الله، ثم أدخل الشام وأفعل بصاحب مصر ما ينبغي أن يجازى به من سوء المقابلة، فدعا له الخليفة، وأعطى الخليفة للملك سيفاً كان معه، لم يبق معه من أمور الخلافة سواه، واستأذن الملك لبقية الجيش أن يخدموا الخليفة، فرفعت الأستار عن جوانب الحركات، فلما شاهد الأتراك الخليفة قبلوا الأرض، ثم دخلوا بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة، وكان يوماً مشهوداً: الجيش كله معه والقضاة والأعيان والسلطان آخذ بلجام بغلته، إلى أن وصل باب الحجرة، ثم إنه لما وصل الخليفة إلى دار مملكته استأذنه السلطان في

الذهاب وراء البساسيري، فأرسل جيشاً من ناحية الكوفة ليمنعوه من الدخول إلى الشام، وخرج هو والناس في التاسع والعشرين من الشهر. وأما البساسيري فإنه مقيم بواسط في جمع غلات وأمور يهيئها لقتال السلطان، وعنده أن الملك طغرلبك ومن عنده ليسوا بشيء يخاف منه، وذلك لما يريده الله تعالى من إهلاكه إن شاء الله.

مقتل البساسيري [قبحه الله] على يدي السلطان [طغرلبك][١]

لما سار السلطان نحوه وصلت السرية الأولى فلقوه بأرض واسط ومعه ابن مزيد، فاقتتلوا هنالك وانهزم أصحابه عنه، ونجا البساسيري بنفسه على فرس، فتبعه بعض الغلمان فرمى فرسه بنشابة فألقته إلى الأرض، فجاء الغلام فضربه على وجهه ولم يعرفه، وأسره واحد منهم يقال له كمسكين، فحز رأسه وحمله إلى السلطان، وأخذت الأتراك من جيش البساسيري من الأموال ما عجزوا عن حمله، ولما وصل الرأس إلى السلطان أمر أن يذهب به إلى بغداد، وأن يرفع على رمح، وأن يطاف به في المحال وأن يطوف معه الدبادب والبوقات والنفاطون، وأن يخرج الناس والنساء للفرجة عليه، ففعل ذلك، ثم نصب على الطيارة تجاه دار الخليفة، وقد كان مع البساسيري خلق من البغاددة خرجوا معه، ظانين أنه سيعود إلى بغداد، فهلكوا ونهبت أموالهم، ولم ينج من أصحابه إلا القليل، وفر ابن مزيد في ناس قليل إلى البطيحة، ومعه أولاد البساسيري، وأمهم، وقد سلبتهم الأعراب فلم يتركوا لهم شيئاً. ثم استؤمن لابن مزيد من السلطان ودخل معه بغداد، وقد نهبت العساكر ما بين واسط والبصرة والأهواز، وذلك لكثرة الجيش وانتشاره وكثافته. وأما الخليفة فإنه حين عاد إلى دار الخلافة جعل لله عليه أن لا ينام على وطاء ولا يأتيه أحد بطعام إذا كان صائماً، ولا يخدمه في وضوئه وغسله أحد، بل يتولى ذلك كله بنفسه لنفسه، وعاهد الله أن لا يؤذي أحد ممن آذاه، وأن يصفح عن من ظلمه، وقال: ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

وفيها تولى الملك ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بلاد حران بعد وفاة أبيه، بتقرير عمه طغرلبك، وكان له من الإخوة سليمان وقاروت بك، وياقوتي، فتزوج طغرلبك بأم سليمان. وفيها كان بمكة رخص لم يسمع بمثله، بيع التمر والبر كل مائتي رطل بدينار.

ولم يحج أحد من أهل العراق فيها.

ترجمة أرسلان أبو الحارس البساسيري التركي

وكان من مماليك بهاء الدولة، وكان أولاً مملوكاً لرجل من أهل مدينة بساس، فنسب إليه فقيل له البساسيري، وتلقب بالملك المظفر، ثم كان مقدماً كبيراً عند الخليفة القائم بأمر

---

(١) في ط: صفة أخذ البساسيري قبحه الله تعالى

الله، لا يقطع أمراً دونه، وخطب له على منابر العراق كلها، ثم طغى وبغى وتمرد، وعتا[١] وخرج على الخليفة والمسلمين ودعا إلى خلافة الفاطميين، ثم انقضى أجله في هذه السنة، وكان دخوله إلى بغداد بأهله في سادس ذي القعدة من سنة خمسين وأربعمائة، ثم اتفق خروجهم منها في سادس ذي القعدة أيضاً من سنة إحدى وخمسين، بعد سنة كاملة، ثم كان خروج الخليفة من بغداد في يوم الثلاثاء الثامن عشر من كانون الأول، واتفق قتل البساسيري في يوم الثلاثاء الثامن عشر من كانون الأول، بعد سنة شمسية، وذلك في ذي الحجة منها.

الحسن بن الفضل

أبو علي الشرمقاني المؤدب المقرىء الحافظ للقرآن والقراءات، واختلافها، كان ضيق الحال فرآه شيخه ابن العلاف ذات يوم وهو يأخذ أوراق الخس من دجلة ويأكلها، فأعلم ابن المسلمة بحاله، فأرسل ابن المسلمة غلاماً له وأمره أن يذهب إلى الخزانة التي له بمسجده فيتخذ لها مفتاحاً غير مفتاحه، ثم كان كل يوم يضع فيها ثلاثة أرطال من خبز السميد، ودجاجة، وحلاوة السكر، فظن أبو علي الشرمقاني أن ذلك كرامة أكرمه الله بها، وأن هذا الطعام الذي يجده في خزانته من الجنة، فكتمه زماناً وجعل ينشد:

مَنْ أَطْلَعُوهُ عَلَى سِرٍّ فَبَاحَ بِهِ ... لَمْ يَأْمَنُوهُ عَلَى الأَسْرَارِ مَا عَاشَا
وَأَبْعَدُوهُ فَلَمْ يَظْفَرْ بِقُرْبِهِمُ ... وَأَبْدَلُوهُ فَكَانَ الأُنْسُ إِيحَاشَا

فلما كان في بعض الأيام ذاكره ابن العلاف في أمره، وقال له فيما قال: أراك قد سمنت فما هذا الأمر، وأنت رجل فقير؟ فجعل يلوّح ولا يصرّح، ويكنّي ولا يفصح، ثم ألح عليه فأخبره أنه يجد كل يوم في خزانته من طعام الجنة ما يكفيه، وأن هذا كرامة أكرمه الله بها فقال له: ادع لابن المسلمة فإنه الذي يفعل ذلك، وشرح له صورة الحال، فكسره ذلك ولم يعجبه.

علي بن محمود بن إبراهيم بن ماجره

أبو الحسن الروزني، شيخ الصوفية، وإليه ينسب الرباط الروزني، وقد كان بني لأبي الحسن شيخه، وقد صحب أبا عبد الرحمن السلمي، وقال: صحبت ألف شيخ، وأحفظ عن كل شيخ حكاية توفي في رمضان عن خمس وثمانين سنة.

محمد بن علي

ابن الفتح بن محمد بن علي بن أبي طالب الحربي، المعروف بالعشاري، لطول جسده، وقد سمع الدارقطني وغيره، وكان ثقة ديناً صالحاً، توفي في جمادى الأولى منها، وقد نيف على الثمانين.

---

(١) عتا: طغى وظلم.

الوني الفرضي

الحسين بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله الوني، نسبة إلى ون قرية من أعمال جهستان، الفرضي شيخ الحربي، وهو أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم، كان الوني إماماً في الحساب والفرائض، وانتفع الناس به، توفي فيها ببغداد شهيداً في فتنة البساسيري والله أعلم.

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة

في يوم الخميس السابع عشر من صفر، دخل السلطان بغداد مرجعه من واسط، بعد قتل البساسيري، وفي يوم الحادي والعشرين جلس الخليفة في داره وأحضر طغرلبك، ومد سماطاً عظيماً فأكل الأمراء منه والعامة، ثم في يوم الخميس ثاني ربيع الأول عمل السلطان سماطاً للناس، وفي يوم الثلاثاء تاسع جمادى الآخرة قدم الأمير عدة الدين أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين ابن أمير المؤمنين القائم بأمر الله. وعمته، وله من العمر يومئذٍ أربع سنين، صحبة أبي الغنائم، فتلقاه الناس إجلالاً لجده، وقد ولي الخلافة بعد ذلك، وسمي المقتدي بأمر الله. وفي رجب وقف أبو الحسن محمد بن هلال العتابي دار كتب، وهي دار بشارع ابن أبي عوف من غربي بغداد، ونقل إليها ألف كتاب، عوضاً عن دار ازدشير التي أحرقت بالكرخ. وفي شعبان ملك محمود بن نصر حلب وقلعتها فامتدحه الشعراء. وفيها ملك عطية بن مرداس الرحبة، وذلك كله منتزع من أيدي الفاطميين. ولم يحج أحد من أهل العراق فيها، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة وذهبوا مع الخفراء.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أبو منصور الجيلي

من تلاميذ أبي حامد، ولي القضاء بباب الطاق. وبحريم دار الخلافة، وسمع الحديث من جماعة.

قال الخطيب: وكتبنا عنه وكان ثقة.

الحسن بن محمد

ابن أبي الفضل أبو محمد الفسوي، الوالي، سمع الحديث، وكان ذكياً في صناعة الولاية، ومعرفة التهم والمتهومين من الغرماء، بلطيف من الصنيع، كما نقل عنه أنه أوقف بين يديه جماعة اتهموا بسرقة فأتي بكوز ليشرب منه، فرمى به فانزعج الواقفون إلا واحداً، فأمر به أن يقرر، وقال السارق يكون جريئاً قوياً، فوجد الأمر كذلك، وقد قتل مرة رجلاً في ضرب بين يديه فادعى عليه عند القاضي أبي الطيب، فحكم عليه بالقصاص، ثم فادى عن نفسه بمال جزيل حتى خلص.

محمد بن عبيد الله

ابن أحمد بن محمد بن عرنوس، أبو الفضل البزار، انتهت إليه رياسة الفقهاء المالكيين ببغداد، وكان من القراء المجيدين، وأهل الحديث المسندين، سمع ابن حبانة والمخلص وابن شاهين، وقد قبل شهادته أبو عبد الله بن الدامغاني، وكان أحد المعدلين.

قطر الندى

ويقال الدجى، ويقال علم، أم الخليفة القائم بأمر الله، كانت عجوزاً كبيرة، بلغت التسعين وهي التي احتاجت في زمان البساسيري فأجرى عليها رزقاً، وأخدمها جاريتين، ثم لم تمت حتى أقر الله عينها بولدها ورجوعه إليها، واستمر أمرهم على ما كانوا عليه، ثم توفيت في هذه السنة، فحضر ولدها الخليفة جنازتها، وكانت حافلة جداً.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

فيها خطب الملك طغرلبك ابنة الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك، وقال: هذا شيء لم تجر العادة بمثله، ثم طلب شيئاً كثيراً كهيئة الفرار. من ذلك ما كان لزوجته التي توفيت من الإقطاعات بأرض واسط، ثلاثمائة ألف دينار، وأن يقيم الملك ببغداد لا يرحل عنها ولا يوماً واحداً، فوقع الاتفاق على بعض ذلك، وأرسل إليها بمائة ألف دينار مع ابنة أخيه داود زوجة الخليفة، وأشياء كثيرة من آنية الذهب والفضة، والنثار والجواري، ومن الجواهر ألفين ومائتي قطعة، من ذلك سبعمائة قطعة من جوهر، وزن القطعة ما بين الثلاثة مثاقيل إلى المثقال، وأشياء أخرى. فتمنع الخليفة لفوات بعض الشروط، فغضب عميد الملك الوزير لمخدومه السلطان، وجرت شرور طويلة اقتضت أن أرسل السلطان كتاباً يأمر الخليفة بانتزاع ابنة أخيه السيدة أرسلان خاتون، ونقلها من دار الخلافة إلى دار الملك، حتى تنفصل هذه القضية، فعزم الخليفة على الرحيل من بغداد، فانزعج الناس لذلك، وجاء كتاب السلطان إلى رئيس شحنة بغداد برشتق يأمره بعدم المراقبة وكثرة العسف في مقابلة رد أصحابه بالحرمان، ويعزم على نقل الخاتون إلى دار المملكة، وأرسل من يحملها إلى البلد التي هو فيها، كل ذلك غضباً على الخليفة.

قال ابن الجوزي: وفي رمضان منها رأى إنسان من الزمنى رسول الله ﷺ في المنام وهو قائم ومعه ثلاثة أنفس، فجاءه أحدهم فقال له: ألا تقوم؟ فقال: لا استطيع، أنا رجل مقعد، فأخذ بيده فقال قم فقام وانتبه. فإذا هو قد برأ وأصبح يمشي في حوائجه. وفي ربيع الآخر استوزر الخليفة أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست الأهوازي، وخلع عليه وجلس في مجلس الوزارة. وفي جمادى الآخرة لليلتين بقيتا منه كسفت الشمس كسوفاً عظيماً، جميع القرص غاب، فمكث الناس أربع ساعات حتى بدت النجوم وآوت الطيور إلى أوكارها، وتركت الطيران لشدة الظلمة. وفيها ولي أبو تميم بن معز الدولة بلاد إفريقية.

وفيها ولي ابن نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي ديار بكر. وفيها ولي قريش بن بدران بلاد الموصل ونصيبين. وفيها خلع على طراد بن محمد الزينبي الملقب بالكامل نقابة الطالبيين، ولقب المرتضي. وفيها ضمن أبو إسحاق بن علاء اليهودي، ضياع الخليفة من صرصر إلى أواثى، كل سنة ستة وثمانين ألف دينار، وسبعة عشر ألف كر من غلة. ولم يحج أحد من أهل العراق هذه السنة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن مروان

أبو نصر الكردي، صاحب بلاد بكر وميافارقين، لقبه القادر نصر الدولة، ملك هذه البلاد ثنتين وخمسين سنة، وتنعم تنعماً لم يقع لأحد من أهل زمانه، ولا أدركه فيه أحد من أقرانه، وكان عنده خمسمائة سرية سوى من يخدمهن، وعنده خمسمائة خادم، وكان عنده من المغنيات شيء كثير كل واحدة مشتراها خمسة آلاف دينار. وأكثر، وكان يحضر في مجلسه من آلات اللهو والأواني ما يساوي مائتي ألف دينار، وتزوج بعدة من بنات الملوك، وكان كثير المهادنة للملوك، إذا قصده عدو أرسل إليه بمقدار ما يصالحه به، فيرجع عنه.

وقد أرسل إلى الملك طغرلبك بهدية عظيمة حين ملك العراق، من ذلك حبل من ياقوت كان لبني بويه اشتراه منهم بشيء كثير، ومائة ألف دينار، وغير ذلك، وقد وزر له أبو القاسم المغربي مرتين، ووزر له أيضاً أبو نصر محمد بن محمد بن جهير، وكانت بلاده آمن البلاد، وأطيبها وأكثرها عدلاً، وقد بلغه أن الطيور تجوع فتجمع في الشتاء من الحبوب التي في القرى فيصطادها الناس، فأمر بفتح الأهراء وإلقاء ما يكفيها من الغلات في مدة الشتاء، فكانت تكون في ضيافته طول الشتاء مدة عمره، توفي في هذه السنة وقد قارب الثمانين.

قال ابن خلكان: قال ابن الأزرق في تاريخه: إنه لم يصادر أحداً من رعيته سوى رجل واحد، ولم تفته صلاة مع كثرة مباشرته للذات، وكانت له ثلاثمائة وستون حظية، يبيت عند كل واحدة ليلة في السنة، وخلف أولاداً كثيرة، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في التاسع والعشرين من شوال منها.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة

فيها وردت الكتب الكثيرة من الملك طغرلبك يشكو من قلة إنصاف الخليفة، وعدم موافقته له، ويذكر ما أسداه[1] إليه من الخير والنعم إلى ملوك الأطراف، وقاضي القضاة الدامغاني، فلما رأى الخليفة ذلك، وأن الملك أرسل إلى نوابه بالاحتياط على أموال الخليفة، كتب إلى الملك يجيبه إلى ما سأل، فلما وصل ذلك إلى الملك فرح فرحاً شديداً.

(١) أسداه إليه: قدّمه إليه.

وأرسل إلى نوابه أن يطلقوا أملاك الخليفة، واتفقت الكلمة بعد أن كادت تتفرق، فوكل الخليفة في العقد. فوقع العقد بمدينة تبريز بحضرة الملك طغرلبك، وعمل سماطاً عظيماً، فلما جيء بالوكلة قام لها الملك وقبل الأرض عند رؤيتها، ودعا للخليفة دعاء كثيراً، ثم أوجب العقد على صداق أربعمائة ألف دينار، وذلك في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان من هذه السنة، ثم بعث ابنة أخيه الخاتون زوجة الخليفة في شوال بتحف كثيرة، وجوهر وذهب كثير، وجواهر عديدة ثمينة، وهدايا عظيمة لأم العروس وأهلها، وقال الملك جهرة للناس: أنا عبد الخليفة ما بقيت، لا أملك شيئاً سوى ما عليّ من الثياب. وفيها عزل الخليفة وزيره واستوزر أبا نصر محمد بن محمد بن جبير، استقدمه من ميافارقين. وفيها عم الرخص جميع الأرض حتى بيع بالبصرة كل ألف رطل تمر بثمان قراريط، ولم يحج فيها أحد.

وممن توفي فيها من الأعيان:

ثمال بن صالح

معز الدولة، صاحب حلب، كان حليماً كريماً وقوراً. ذكر ابن الجوزي أن الفراش تقدم إليه ليغسل يده فصدمت بلبلة الإبريق(١) ثنيته(٢) فسقطت في الطست، فعفا عنه.

الحسن بن علي بن محمد

أبو محمد الجوهري، ولد في شعبان سنة ثلاث وستين، وسمع الحديث على جماعة، وتفرد بمشايخ كثيرين، منهم أبو بكر بن مالك القطيعي، وهو آخر من حدث عنه، توفي في ذي القعدة منها.

الحسين بن أبي زيد

أبو علي الدباغ. قال رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يميتني على الإسلام. فقال: وعلى السنّة.

سعد بن محمد بن منصور

أبو [المحاسن](٣) الجرجاني، كان رئيساً قديماً، وجه رسولاً إلى الملك محمود بن سبكتكين في حدود سنة عشر، وكان من الفقهاء العلماء، تخرج به جماعة، وروى الحديث عن جماعة، وعقد له مجلس المناظرة ببلدان كثيرة، وقتل ظلماً بأستراباذ في رجب منها رحمه الله تعالى.

---

(١) بلبلة الإبريق: مخرج الماء منه.

(٢) الثنية: أسنان مقدمة الفم.

(٣) في ط: المحاسين.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة

فيها دخل السلطان طغرلبك بغداد، وعزم الخليفة على تلقيه، ثم ترك ذلك وأرسل وزيره أبا نصر عوضاً عنه، وكان من الجيش أذية كثيرة للناس في الطريق، وتعرضوا للحريم حتى هجموا على النساء في الحمامات، فخلصهن منهم العامة بعد جهد. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

دخول الملك طغرلبك على بنت الخليفة

لما استقر السلطان ببغداد أرسل وزيره عميد الملك إلى الخليفة يطالبه بنقل ابنته إلى دار المملكة فتمنع الخليفة من ذلك وقال: إنكم إنما سألتم أن يعقد العقد فقط بحصول التشريف والتزمتم لها بعود المطالبة، فتردد الناس في ذلك بين الخليفة والملك، وأرسل الملك زيادة على النقد مائة ألف دينار ومائة وخمسين ألف درهم، وتحفاً أخر. وأشياء لطيفة، فلما كان ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر زفت السيدة ابنة الخليفة إلى دار المملكة، فضربت السرادقات من دجلة إلى دار المملكة، وضربت الدبادب والبوقات عند دخولها إلى الدار، فلما دخلت أجلست على سرير مكلل بالذهب، وعلى وجهها برقع، ودخل الملك طغرلبك فوقف بين يديها فقبل الأرض، ولم تقم له ولم تره، ولم يجلس حتى انصرف إلى صحن الدار، والحجاب والأتراك يرقصون هناك فرحاً وسروراً، وبعث لها مع الخاتون زوجة الخليفة عقدين فاخرين، وقطعة ياقوت حمراء، كبيرة هائلة، ودخل من الغد فقبَّل الأرض وجلس على سرير مكلل بالفضة بإزائها ساعة، ثم خرج وأرسل لها جواهر كثيرة ثمينة وفرجية نسج بالذهب مكلل بالحب، وما زال كذلك كل يوم يدخل ويقبل الأرض ويجلس على سرير بإزائها، ثم يخرج عنها ويبعث بالتحف والهدايا، ولم يكن منه إليها شيء، مقدار سبعة أيام، ويمد كل يوم من هذه الأيام السبعة سماطاً هائلاً، وخلع في اليوم السابع على جميع الأمراء، ثم عرض له سفر واعتراه مرض فاستأذن الخليفة في الانصراف بالسيدة معه إلى تلك البلاد، ثم يعود بها، فأذن له بعد تمنع شديد، وحزن عظيم، فخرج بها وليس معها من دار الخلافة سوى ثلاث نسوة، برسم خدمتها، وقد تألمت والدتها لفقدها ألماً شديداً، وخرج السلطان وهو مريض مدنف[1] مأيوس منه.

فلما كانت ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان جاء الخبر بأنه توفي في ثامن الشهر فثار العيارون فقتلوا العميدي وسبعمائة من أصحابه، ونهبوا الأموال، وجعلوا يأكلون ويشربون على القتلى نهاراً، حتى انسلخ الشهر وأخذت البيعة بعده لولد أخيه سليمان بن داود، وكان طغرلبك قد نص عليه وأوصى إليه، لأنه كان قد تزوج بأمه، واتفقت الكلمة عليه، ولم يبق عليه خوف إلا من جهة أخي سليمان، وهو الملك عضد الدولة ألب

(١) مدنف: مشرف على الهلاك.

أرسلان، محمد بن داود، فإن الجيش كانوا يميلون إليه، وقد خطب له أهل الجبل ومعه نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق وزيره، ولما رأى الكندري قوة أمره خطب له بالري، ثم من بعده لأخيه سليمان بن داود.

وقد كان الملك طغرلبك عاقلاً حليماً كثير الاحتمال، شديد الكتمان للسر، محافظاً على الصلوات، وعلى صوم الاثنين والخميس، مواظباً على لبس البياض، وكان عمره يوم مات سبعين سنة، ولم يترك ولداً، وملك بحضرة القائم بأمر الله سبع سنين وإحدى عشر شهراً، واثني عشر يوماً، ولما مات اضطربت الأحوال وانتقضت بعده جداً، وعاثت الأعراب في سواد بغداد وأرض العراق، ينهبون، وتعذرت الزراعة إلا على المخاطرة، فانزعج الناس لذلك.

وفيها كانت زلزلة عظيمة بواسط وأرض الشام، فهدمت قطعة من سور طرابلس. وفيها وقع بالناس موتان بالجدري والفجأة، ووقع بمصر وباء شديد، كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة. وفيها ملك الصليحي صاحب اليمن مكة، وجلب الأقوات إليها، وأحسن إلى أهلها. وفي أوائلها طلبت الست أرسلان زوجة الخليفة النقلة من عنده إلى عمها، فلما وصلت إليه كان مريضاً مدنفاً، فأرسل إلى الخليفة يعتب عليه في تهاونه بها، فكتب الخليفة إليه ارتجالاً:

ذَهَبَتْ شِرَّتِي[1] وَوَلَّى الغَرَامُ ... وَارْتِجَاعُ الشَّبَابِ مَا لا يُرَامُ
أَذْهَبَتْ مِنِّي اللَّيَالِي جَدِيداً[2] ... وَاللَّيَالِي يُضْعِفْنَ وَالأَيَّامُ
فَعَلَى ما عَهِدْتُهُ مِنْ شَبَابِي ... وَعَلَى الغَانِيَاتِ مِنِّي السَّلامُ

وممن توفي فيها من الأعيان:

زهير بن علي بن الحسن بن حزام

أبو نصر الحزامي، ورد بغداد وتفقه على الشيخ أبي حامد الأسفراييني، وسمع بالبصرة سنن أبي داود على القاضي أبي عمر، وحدث بالكثير، وكان يرجع إليه في الفتاوى، وحل المشكلات، وكانت وفاته بسرخس فيها.

سعيد بن مروان

صاحب آمد، ويقال إنه سم، فانتقم صاحب ميافارقين ممن سمّه، فقطعه قطعاً.

الملك أبو طالب

محمد بن ميكائيل بن سلجوق طغرلبك، كان أول ملوك السلاجقة، وكان خيِّراً مصلياً، محافظاً على الصلاة في أول وقتها، يديم صيام الاثنين والخميس، حليماً عمن أساء

(١) الشرة: حدة الشباب ونشاطه.
(٢) الجديد: المقصود به هنا الشباب.

إليه كتوماً للأسرار سعيداً في حركاته، ملك في أيام مسعود بن محمود عامة بلاد خراسان، واستناب أخاه داود وأخاه لأمه إبراهيم ينال، وأولاد إخوته، على كثير من البلاد، ثم استدعاه الخليفة إلى ملك بغداد كما تقدم ذلك كله مبسوطاً. توفي في ثامن شهر رمضان من هذه السنة، وله من العمر سبعون سنة، وكان له في الملك ثلاثون سنة، منها في ملك العراق ثمان سنين إلا ثمانية عشر يوماً.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة

فيها قبض السلطان ألب أرسلان على وزير عمه عميد الملك الكندري، وسجنه ببيته ثم أرسل إليه من قتله، واعتمد في الوزارة على نظام الملك، وكان وزير صدق، يكرم العلماء والفقراء، ولما عصى الملك شهاب الدولة قتلمش، وخرج عن الطاعة، وأراد أخذ ألب أرسلان خاف منه ألب أرسلان فقال له الوزير: أيها الملك لا تخف، فإني قد استقدمت لك جند ما بارزوا عسكراً إلا كسروه، كائناً ما كان. قال له الملك: من هم؟ قال: جند يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم، وهم العلماء والفقراء الصلحاء. فطابت نفس الملك بذلك، فحين التقى مع قتلمش لم ينظره أن كسره، وقتل خلقاً من جنوده، وقتل قتلمش في المعركة، واجتمعت الكلمة على ألب أرسلان. وفيها أرسل ولده ملكشاه ووزيره نظام الملك هذا في جنود عظيمة إلى بلاد الكرخ، ففتحوا حصوناً كثيرة، وغنموا أموالاً جزيلة، وفرح المسلمون بنصرهم، وكتب كتاب ولده على ابنة الخان الأعظم صاحب ما وراء النهر، وزفت إليه، وزوج ابنه الآخر بابنة صاحب غزنة، واجتمع شمل الملكين السلجوقي والمحمودي.

وفيها أذن ألب أرسلان للابنة الخليفة في الرجوع إلى أبيها، وأرسل معها بعض القضاة والأمراء فدخلت بغداد في تجمل عظيم، وخرج الناس لينظروا إليها، فدخلت ليلاً ففرح الخليفة وأهلها بذلك، وأمر الخليفة بالدعاء لألب أرسلان على المنابر في الخطب، فقيل في الدعاء: اللهم وأصلح السلطان المعظم، عضد الدولة، وتاج الملة، ألب أرسلان أبا شجاع محمد بن داود، ثم أرسل الخليفة إلى الملك بالخلع والتقليد مع الشريف نقيب النقباء، طراد بن محمد، وأبي محمد التميمي، وموفق الخادم واستقر أمر السلطان ألب أرسلان على العراق.

قال ابن الجوزي: وفي ربيع الأول شاع في بغداد أن قوماً من الأكراد خرجوا يتصيدون فرأوا في البرية خياماً سوداً، سمعوا بها لطماً شديداً، وعويلاً كثيراً، وقائلاً يقول: قد مات سيدوك ملك الجن، وأي بلد لم يلطم به عليه، ولم يقم له مأتم فيه. قال: فخرج النساء العواهر من حريم بغداد إلى المقابر يلطمن ثلاثة أيام، ويمزقن ثيابهن وينشرن شعورهن، وخرج رجال من السفهاء يفعلون ذلك، وفعل هذا بواسط وخوزستان وغيرها من البلاد، قال: وهذا من الحمق لم ينقل مثله.

قال ابن الجوزي: وفي يوم الجمعة ثاني عشر شعبان هجم قوم من أصحاب عبد الصمد على أبي علي بن الوليد، المدرس للمعتزلة فسبوه وشتموه لامتناعه من الصلاة في الجامع، وتدريسه للناس بهذا المذهب، وأهانوه وجروه، ولعنت المعتزلة، في جامع المنصور، وجلس أبو سعيد بن أبي عمامة وجعل يلغي المعتزلة. وفي شوال ورد الخبر أن السلطان غزا بلداً عظيماً فيه سبعمائة دنليز[1]، وألف بيعة [ودير][2]، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر خمسمائة ألف إنسان.

وفي ذي القعدة حدث بالناس وباء شديد ببغداد وغيرها من بلاد العراق، وغلت أسعار الأدوية، وقل التمر هندي، وزاد الحر في تشارين، وفسد الهواء، وفي هذا الشهر خلع على أبي الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي بنقابة الطالبيين، وولاية الحج والمظالم، ولقب بالظاهر ذي المناقب، وقرىء تقليده في الموكب. وحج أهل العراق في هذه السنة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

ابن حزم الظاهري

هو الإمام الحافظ العلامة، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي، أصل جده من فارس، أسلم وخلف المذكور، وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم، وكانت بلدتهم قرطبة، فولد ابن حزم هذا بها في سلخ رمضان، منهم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، فقرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية، وبرز فيها وفاق أهل زمانه، وصنف الكتب المشهورة، يقال إنه صنف أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة، وكان أديباً طبيباً شاعراً فصيحاً، له في الطب والمنطق كتب، وكان من بيت وزارة ورياسة، ووجاهة ومال وثروة، وكان مصاحباً للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري. وكان مناوئاً للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، وقد جرت بينهما مناظرات يطول ذكرها. وكان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه، فأورثه ذلك حقداً في قلوب أهل زمانه، وما زالوا به حتى بغضوه إلى ملوكهم، فطردوه عن بلاده، حتى كانت وفاته في قرية له في شعبان من هذه السنة وقد جاوز التسعين. والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهرياً حائراً في الفروع، لا يقول: بشيء من القياس لا الجلي ولا غيره، وهذا الذي وضعه عند العلماء، وأدخل عليه خطأ كبيراً في نظره وتصرفه وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول، وآيات الصفات وأحاديث الصفات، لأنه كان أولاً قد تضلع من علم المنطق، أخذه عن محمد بن الحسن المذحجي الكناني القرطبي، ذكره ابن ماكولا وابن خلكان، ففسد بذلك حاله في باب الصفات.

---

(١) في ط: دار، ولم نجد معنى لكلمة دنليز في معاجم اللغة، ولعلها دهليز.

(٢) سقط في ط.

عبد الواحد بن علي بن برهان

أبو القاسم النحوي، كان شرس الأخلاق جداً، لم يلبس سراويل قط ولا غطى رأسه ولم يقبل عطاء لأحد، وذكر عنه أنه كان يقبّل المردان من غير ريبة.

قال ابن عقيل: وكان على مذهب مرجئة المعتزلة وينفي خلود الكفار في النار، ويقول: دوام العقاب في حق من لا يجوز عليه التشفي لا وجه له، مع ما وصف الله به نفسه من الرحمة، ويتأول قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾. أي أبداً من الآباد، قال ابن الجوزي: وقد كان ابن برهان يقدح في أصحاب أحمد ويخالف اعتقاد المسلمين لأنه قد خالف الإجماع، ثم ذكر كلامه في هذا وغيره والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة

فيها سار جماعة من العراق إلى الحج بخفارة، فلم يمكنهم المسير فعدلوا إلى الكوفة ورجعوا. وفي ذي الحجة منها شرع في بناء المدرسة النظامية، ونقض لأجلها دور كثيرة من مشرعة الزوايا، وباب البصرة وفيها كانت حروب كثيرة بين تميم بن العزيز بن باديس، وأولاد حماد، والعرب والمغاربة بصنهاجة وزناتة. وحج بالناس من بغداد النقيب أبو الغنائم.

وفيها كان مقتل عميد الملك الكندري، وهو منصور بن محمد أبو نصر الكندري، وزير طغرلبك، وكان مسجوناً سنة تامة، ولما قتل حمل فدفن عند أبيه بقرية كندرة، من عمل طريثيث، وليست بكندرة التي هي بالقرب من قزوين. واستحوذ السلطان على أمواله وحواصله، وقد كان ذكياً فصيحاً شاعراً، لديه فضائل جمة، حاضر الجواب سريعه. ولما أرسله طغرلبك إلى الخليفة يخطب ابنته، وامتنع الخليفة من ذلك وأنشد متمثلاً بقول الشاعر ـ

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

ـ فأجابه الوزير تمام قوله ـ

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ـ فسكت الخليفة وأطرق. قتل عن نيف وأربعين سنة. ومن شعره قوله:

إنْ كَانَ فِي النَّاسِ ضِيقٌ عَنْ مُنَافَسَتِي ... فَالمَوْتُ قَدْ وَسَّعَ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ
مَضَيْتُ وَالشَّامِتُ المَغْبُونُ يَتْبَعُنِي ... كُلٌّ لِكَأْسِ المَنَايَا شَارِبٌ حَاسِي[1]

وقد بعثه الملك طغرلبك يخطب له امرأة خارزم شاه فتزوجها هو، فخصاه الملك وأمره على عمله فدفن ذكره بخوارزم، وسفح دمه حين قتل بمرو الروذ، ودفن جسده بقريته، وحمل رأسه فدفن بنيسابور، ونقل قحف رأسه إلى كرمان، وأنا أشهد أن الله جامع

---

(١) المغبون: الخاسر الذي أصابه الغبن. والحاسي: الشارب.

الخلائق إلى ميقات يوم معلوم أين كانوا، وحيث كانوا، وعلى أي صفة كانوا سبحانه وتعالى.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

في يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ دكاكينهم وأحضروا نساء ينحن على الحسين، كما جرت به عادتهم السالفة في بدعتهم المتقدمة الخالفة، فحين وقع ذلك أنكرته العامة، وطلب الخليفة أبا الغنائم وأنكر عليه ذلك. فاعتذر إليه بأنه لم يعلم به، وأنه حين علم أزاله، وتردد أهل الكرخ إلى الديوان يعتذرون من ذلك، وخرج التوقيع بكفر من سب الصحابة وأظهر البدع.

قال ابن الجوزي: في ربيع الأول ولد باب الأزج صبيّة لها رأسان ووجهان ورقبتان وأربع أيد، على بدن كامل ثم ماتت. قال: وفي جمادى الآخرة كانت بخراسان زلزلة مكثت أياماً، تصدعت منها الجبال، وهلك جماعة، وخسف بعدة قرى، وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هنالك، ووقع حريق بنهر يعلى فاحترق مائة دكان وثلاثة دور، وذهب للناس شيء كثير، ونهب بعضهم بعضاً.

قال ابن الجوزي: وفي شعبان وقع قتال بدمشق فأحرقوا داراً كانت قريبة من الجامع، فاحترق جامع دمشق. كذا قال ابن الجوزي: والصحيح المشهور أن حريق جامع دمشق إنما هو في ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد ثلاث سنين مما قال، وأن غلمان الفاطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فألقيت نار بدار الإمارة، وهي الخضراء، فاحترقت وتعدى حريقها حتى وصل إلى الجامع فسقطت سقوفه، وبادت زخرفته، وتلف رخامه، وبقي كأنه خربة، وبادت الخضراء فصارت كوماً من تراب بعدما كانت في غاية الإحكام والإتقان، وطيب الفناء، ونزهة المجالس، وحسن المنظر، فهي إلى يومنا هذا لا يسكنها لرداءة مكانها إلا سفلة الناس وإسقاطهم، بعد ما كانت دار الخلافة والملك والإمارة، منذ أسسها معاوية بن أبي سفيان، وأما الجامع الأموي فإنه لم يكن على وجه الأرض شيء أحسن منه ولا أبهى منظراً، إلى أن احترق فبقي خراباً مدة طويلة ثم شرع الملوك في تجديده وترميمه، حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب، ولم يزالوا في تحسين معالمه إلى زماننا هذا، فتماثل وهو بالنسبة إلى حاله الأول كلا شيء، ولا زال التحسين فيه إلى أيام الأمير يوسف الدين بتكنزين عبد الله الناصري، في حدود سنة ثلاث وسبعمائة، وما قبلها وما بعدها بيسير.

وفيها رخصت الأسعار ببغداد رخصاً كثيراً ونقصت دجلة نقصاً بيناً. وفيها أخذ الملك ألب أرسلان العهد بالملك من بعده لولده ملكشاه، ومشى بين يديه بالغاشية[1] والأمراء

(١) الغاشية: الراية.

يمشون بين يديه، وكان يوماً مشهوداً. وحج بالناس فيها نور الهدى أبو طالب الحسين بن نظام الحضرتين الزينبي وجاور بمكة.

وفيها توفي من الأعيان:

الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي

أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى أبو بكر البيهقي له التصانيف التي سارت بها الركبان إلى سائر الأمصار، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وكان أوحد أهل زمانه في الإتقان والحفظ والفقه والتصنيف، كان فقيهاً محدثاً أصولياً، أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، وسمع على غيره شيئاً كثيراً، وجمع أشياء كثيرة نافعة، لم يسبق إلا مثلها، ولا يدرك فيها، منها كتاب السنن الكبير، ونصوص الشافعي كل في عشر مجلدات، والسنن الصغير، والآثار، والمدخل، والآداب وشعب الإيمان، والخلافيات، ودلائل النبوة، والبعث والنشور، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار المفيدة، التي لا تسامى ولا تداني، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا، كثير العبادة والورع توفي بنيسابور، ونقل تابوته إلى بيهق في جمادى الأولى منها.

الحسن بن علي بن غالب

ابن علي بن غالب بن منصور بن صعلوك، أبو علي التميمي، ويعرف بابن المبارك المقري، صحب أبو سمعون، وقرأ القرآن على حروف أنكرت عليه، وجرب عليه الكذب، إما عمداً وإما خطأ، واتهم في رواية كثيرة، وكان أبو بكر القزويني ممن ينكر عليه، وكتب عليه محضر بعدم الإقراء بالحروف المنكرة.

قال ابن محمد السمرقندي: كان كذاباً، توفي فيها عن ثنتين وثمانين سنة، ودفن عند إبراهيم الحربي.

قال ابن خلكان: أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي، ثم غلب عليه الحديث واشتهر به، ورحل في طلبه.

القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي

محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفرا القاضي، أبو يعلى شيخ الحنابلة، وممهد مذهبهم في الفروع، ولد في محرم سنة ثمانين وثلاثمائة، وسمع الحديث الكثير، وحدث عن ابن حبابة.

قال ابن الجوزي: وكان من سادات العلماء الثقات، وشهد عند ابن ماكولا وابن الدامغاني فقبلاه، وتولى النظر في الحكم بحريم الخلافة، وكان إماماً في الفقه، له التصانيف الحسان الكثيرة في مذهب أحمد، ودرس وأفتى سنين، وانتهت إليه رياسة المذهب، وانتشرت تصانيفه وأصحابه، وجمع الإمامة والفقه والصدق، وحسن الخلق، والتعبد

والتقشف والخشوع، وحسن السمت، والصمت عما لا يعني: توفي في العشرين من رمضان منها عن ثمان وسبعين سنة، واجتمع في جنازته القضاة والأعيان، وكان يوماً حاراً، فأفطر بعض من اتبع جنازته، وترك من البنين عبيد الله أبا القاسم، وأبا الحسين وأبا حازم، ورآه بعضهم في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: رحمني وغفر لي وأكرمني، ورفع منزلتي، وجعل يعد ذلك بأصبعه، فقال: بالعلم؟ فقال: بل بالصدق.

ابن سيده

صاحب المحكم في اللغة، أبو الحسين علي بن إسماعيل المرسي، كان إماماً حافظاً في اللغة، وكان ضرير البصر، أخذ علم العربية واللغة عن أبيه، وكان أبوه ضريراً أيضاً، واشتغل على أبي العلاء صاعد البغدادي، وله المحكم في مجلدات عديدة، وله شرح الحماسة في ست مجلدات، وغير ذلك، وقرأ على الشيخ أبي عمر [الطملنكي] كتاب الغريب لأبي عبيد سرداً من حفظه، فتعجب الناس لذلك، وكان الشيخ يقابل بما يقرأ في الكتاب، فسمع الناس بقراءته من حفظه، توفي في ربيع الأول منها وله ستون سنة، وقيل إنه توفي في سنة ثمان وأربعين، والأول أصح، والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة

فيها بنى أبو سعيد المستوفي الملقب بشرف الملك، مشهد الإمام أبي حنيفة ببغداد، وعقد عليه قبة، وعمل بإزائه مدرسة، فدخل أبو جعفر بن البياضي زائراً لأبي حنيفة فأنشد:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـعِـلْـمَ كَـانَ مُـضَـيَّـعـاً ... فَـجَـمَّـعَـهُ هٰـذا الـمُـغَـيَّـبُ فـي الـلَّـحْـدِ
كَـذٰلِـكَ كَـانَـتْ هٰـذِهِ الأَرْضُ مَـيْـتَـةً ... فَأَنْـشَـرَهَـا[1] جُـودُ الـعَـمِـيـدِ أبي سَـعْـدِ

وفيها هبت ريح حارة فمات بسببها خلق كثير، وورد أن ببغداد تلف شجر كثير من الليمون والأترج. وفيها احترق قبر معروف الكرخي، وكان سببه أن القيم طبخ له ماء الشعير لمرضه فتعدت النار إلى الأخشاب فاحترق المشهد. وفيها وقع غلاء وفناء بدمشق وحلب وحران، وأعمال خراسان بكمالها، ووقع الفناء في الدواب: كان تنتفخ رؤوسها وأعينها حتى كان الناس يأخذون حمر الوحش بالأيدي، وكانوا يأنفون من أكلها.

قال ابن الجوزي في المنتظم: وفي يوم السبت عاشر ذي القعدة جمع العميد أبو سعد والناس ليحضروا الدرس بالنظامية ببغداد، وعين لتدريسها ومشيختها الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، فلما تكامل اجتماع الناس وجاء أبو إسحاق ليدرس لقيه فقيه شاب فقال: يا سيدي تذهب تدرس في مكان مغصوب؟ فامتنع أبو إسحاق من الحضور ورجع إلى بيته، فأقيم الشيخ أبو نصر الصباغ فدرس، فلما بلغ نظام الملك ذلك تغيظ على العميد وأرسل إلى الشيخ أبي إسحاق فرده إلى التدريس بالنظامية، في ذي الحجة من هذه السنة، وكان لا

(١) أنشرها: بعثها وأحياها.

يصلي فيها مكتوبة، بل كان يخرج إلى بعض المساجد فيصلي، لما بلغه من أنها مغصوبة، وقد كان مدة تدريس ابن الصباغ فيها عشرين يوماً، ثم عاد أبو إسحاق إليها. وفي ذي القعدة من هذه السنة قتل الصليحي أمير اليمن وصاحب مكة قتله بعض أمراء اليمن، وخطب للقادر بأمر الله العباسي. وفيها حج بالناس أبو الغنائم النقيب.

وممن توفي فيها من الأعيان:

محمد بن إسماعيل بن محمد

أبو علي الطرسوسي، ويقال له العراقي، لظرفه وطول مقامه بها، سمع الحديث من أبي طاهر المخلص، وتفقه على أبي محمد الباقي، ثم على الشيخ أبي حامد الأسفراييني، وولي قضاء بلدة طرسوس وكان من الفقهاء الفضلاء المبرزين.

ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي: في جمادى الأولى كانت زلزلة بأرض فلسطين، أهلكت بلد الرملة، ورمت شراريف[1] من مسجد رسول الله ﷺ، ولحقت وادي الصفر وخيبر، وانشقت الأرض عن كنوز كثيرة من المال، وبلغ حسُّها إلى الرحبة والكوفة، وجاء كتاب بعض التجار فيه ذكر هذه الزلزلة وذكر فيه: إنها خسفت الرملة جميعاً حتى لم يسلم منها إلا داران فقط، وهلك منها خمسة عشر ألف نسمة، وانشقت صخرة بيت المقدس، ثم عادت فالتأمت، بقدرة وغار البحر مسيرة يوم، وساخ في الأرض وظهر في مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها، ودخل الناس في أرضه يلتقطون، فرجع عليهم فأهلك كثيراً منهم، أو أكثرهم. وفي يوم النصف من جمادى الآخرة قرىء الاعتقاد القادري الذي فيه مذهب أهل السنة، والإنكار على أهل البدع، وقرأ أبو مسلم الكجي البخاري المحدث كتاب التوحيد لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين، وذكر بمحضر من الوزير ابن جهير وجماعة الفقهاء وأهل الكلام، واعترفوا بالموافقة، ثم قرىء الاعتقاد القادري على الشريف أبي جعفر بن المقتدي بالله بباب البصرة، وذلك لسماعه له من الخليفة القادر بالله مصنفه.

وفيها عزل الخليفة وزيره أبا نصر محمد بن محمد بن جهير، الملقب فخر الدولة، وبعث إليه يعاتبه في أشياء كثيرة، فاعتذر منها وأخذ في الترفق والتذلل، فأجيب بأن يرحل إلى أي الجهة شاء، فاختار حلة ابن مزيد فباع أصحابه أملاكهم وطلقوا نساءهم وأخذ أولاده وأهله وجاء ليركب في سفينة لينحدر منها إلى الحلة، والناس يتباكون لبكائه، فلما اجتاز بدار الخلافة قبل الأرض دفعات والخليفة في الشباك، والوزير يقول يا أمير المؤمنين ارحم شيبتي وغربتي وأولادي، فأعيد إلى الوزارة بشفاعة دبيس بن مزيد، في السنة الآتية، وامتدحه

---

(١) في ط: ومت شرافتين، والشراريف: جمع شرافة، وهي زوائد من الخيوط المفتولة أو نحوها تكون في أطراف السجاد أو نحوها.

الشعراء، وفرح الناس برجوعه إلى الوزارة وكان يوماً مشهوداً.

وفيها توفي من الأعيان:

عبد الملك بن محمد بن يوسف بن منصور

الملقب بالشيخ الأجلّ، كان أوحد زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمبادرة إلى فعل الخيرات، واصطناع الأيادي عند أهلها، من أهل السنة، مع شدة القيام على أهل البدع ولعنهم، وافتقاد المستورين بالبر والصدقة، وإخفاء ذلك جهده وطاقته، ومن غريب ما وقع له أنه كان يصل إنساناً في كل يوم بعشرة دنانير، كان يكتب بها معه إلى ابن رضوان، فلما توفي الشيخ جاء الرجل إلى ابن رضوان فقال: ادفع إلي ما كان يصرف لي الشيخ، فقال له ابن رضوان: إنه قد مات ولا أصرف لك شيئاً، فجاء الرجل إلى قبر الشيخ الأجل فقرأ شيئاً من القرآن ودعا له وترحم عليه، ثم التفت فإذا هو بكاغد[1] فيه عشرة دنانير، فأخذها وجاء بها إلى ابن رضوان فذكر له ما جرى له، فقال: هذه سقطت مني اليوم عند قبره فخذها ولك عندي في كل يوم مثلها. توفي في نصف المحرم منها عن خمس وستين سنة، وكان يوم موته يوماً مشهوداً، حضره خلق لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل، فرحمه الله تعالى.

أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي

فقيه الشيعة، ودفن في مشهد علي، وكان مجاوراً به حين أحرقت داره بالكرخ، وكتبه، سنة ثمان وأربعين محرم هذه السنة فتوفي ودفن هناك.

[خديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله الواعظ المعروفة بالشاهجانية ولدت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وكانت صالحة صادقة وكانت قد صحبت ابن سمعون وروت عنه وعن ابن شاهين ودفنت إلى جانب ابن سمعون رحمها الله.

أبو القاسم بن عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة البرزي الجريري شيخ الشافعية بها وكان يلقب زين الدين جمال الإسلام، دخل بغداد فأخذ عن الكيا الهراسي، والغزالي، والشاسي صاحب المستظهري وجمع كتاباً على المهذب وذكر فيه إشكالات وأسئلة وأسماء رجاله ولغته وهو في مجلد على ما ذكره القاضي ابن خلكان ورحلت إليه الطلبة من كل ناحية وكان أحفظ الناس في وقته لمذهب الشافعي توفي في هذه السنة][2].

ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة

في ليلة النصف من شعبان منها كان حريق جامع دمشق، وكان سببه أن غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فألقيت نار بدار الملك، وهي الخضراء المتاخمة للجامع من

---

(١) الكاغد: القرطاس.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

جهة القبلة، فاحترقت، وسرى الحريق إلى الجامع فسقطت سقوفه وتناثرت فصوصه المذهبة، وتغيرت معالمه، وتقلعت الفسيفساء التي كانت في أرضه، وعلى جدرانه، وتبدلت بضدها، وقد كانت سقوفه مذهبة كلها، والجملونات من فوقها، وجدرانه مذهبة ملونة مصور فيها جميع بلاد الدنيا، بحيث إن الإنسان إذا أراد أن يتفرج في إقليم أو بلد وجده في الجامع مصوراً كهيئته، فلا يسافر إليه ولا يعنّى في طلبه، فقد وجده من قرب الكعبة ومكة فوق المحراب والبلاد كلها شرقاً وغرباً، كل إقليم في مكان لائق به، ومصور فيه كل شجرة مثمرة وغير مثمرة، مصور مشكل في بلدانه وأوطانه، والستور مرخاة على أبوابه النافذة إلى الصحن، وعلى أصول الحيطان إلى مقدار الثلث منها ستور، وباقي الجدران بالفصوص الملونة، وأرضه كلها بالفصوص، ليس فيها بلاط، بحيث إنه لم يكن في الدنيا بناء أحسن منه، ولا قصور الملوك ولا غيرها، ثم لما وقع هذا الحريق فيه تبدل الحال الكامل بضده، وصارت أرضه طيناً في زمن الشتاء، وغباراً في زمن الصيف، محفورة مهجورة، ولم يزل كذلك حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب، بعد الستمائة سنة من الهجرة، وكان جميع ما سقط منه من الرخام والفصوص والأخشاب وغيرها، مودعاً في المشاهد الأربعة شرقية وغربية، حتى فرغها من ذلك كمال الدين الشهرزوري، في زمن العادل نور الدين محمود بن زنكي، حين ولاه نظره مع القضاء ونظر الأوقاف كلها، ونظر دار الضرب وغير ذلك، ولم تزل الملوك تجدد في محاسنه إلى زماننا هذا، فتقارب حاله في زمن تنكيز نائب الشام، وقد تقدم أن ابن الجوزي أرخ ما ذكرنا في سنة ثمان وخمسين، وتبعه ابن الساعي أيضاً في هذه السنة، وكذلك شيخنا الذهبي مؤرخ الإسلام، وغير واحد. والله أعلم.

وفيها نقمت الحنابلة على الشيخ أبي الوفاء بن عقيل، وهو من كبرائهم، بتردده إلى أبي علي بن الوليد المتكلم المعتزلي، واتهموه بالاعتزال، وإنما كان يتردد إليه ليحيط علماً بمذهبه، ولكنه شرقه الهوى فشرق شرقة كادت روحه تخرج معها، وصارت فيه نزعة منه، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة وتأذى بسببها جماعة منهم، وما سكنت الفتنة بينهم إلى سنة خمس وستين، ثم اصطلحوا فيما بينهم، بعد اختصام كبير.

وفيها زادت دجلة على إحدى وعشرين ذراعاً حتى دخل الماء مشهد أبي حنيفة. وفيها ورد الخبر بأن الأفشين دخل بلاد الروم حتى انتهى إلى غورية، فقتل خلقاً وغنم أموالاً كثيرة. وفيها كان رخص عظيم في الكوفة حتى بيع السمك كل أربعين رطلاً بحبة. وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوي.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الفوراني صاحب الإبانة

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني، المروزي، أحد أئمة الشافعية، ومصنف الإبانة التي فيها من النقول الغريبة، والأقوال والأوجه التي لا توجد إلا فيها، كان بصيراً بالأصول والفروع، أخذ الفقه عن القفال، وحضر إمام الحرمين عنده وهو

صغير، فلم يلتفت إليه، فصار في نفسه منه، فهو يخطئه كثيراً في النهاية.

قال ابن خلكان: فمتى قال في النهاية: وقال بعض المصنفين كذا وغلط في ذلك وشرع في الوقوع فيه فمراده أبو القاسم الفوراني. توفي الفوراني في رمضان منها بمرو، عن ثلاث وسبعين سنة، وقد كتب تلميذه أبو سعد عبد الرحمن بن محمد المأمون المعري المدرس بالنظامية بعد أبي إسحاق وقبل ابن الصباغ، وبعده أيضاً، كتاباً على الإبانة، فسماه تتمة الإبانة، انتهى فيه إلى كتاب الحدود ومات قبل إتمامه، فتممه أسعد العجلي وغيره، لم يلحقوا شأوه(١) ولا حاموا حوله، وسموه تتمة التتمة.

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي: فمن الحوادث فيها أنه كان على ثلاث ساعات في يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الأولى، وهو ثامن عشرين آذار، كان زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها، فذهب أكثرها وانهدم سورها، وعم ذلك بيت المقدس ونابلس، وانخسفت إيليا، وجفل البحر حتى انكشفت أرضه، ومشى ناس فيه ثم عاد وتغير، وانهدم إحدى زوايا جامع مصر، وتبعت هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان أخريان. وفيها توجه ملك الروم من قسطنطينية إلى الشام في ثلاثمائة ألف مقاتل، فنزل على منبج وأحرق القرى ما بين منبج إلى أرض الروم، وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأولادهم، وفزع المسلمون بحلب وغيرها منه فزعاً عظيماً، فأقام ستة عشر يوماً ثم رده الله خاسئاً وهو حسير(٢)، وذلك لقلة ما معهم من الميرة وهلاك أكثر جيشه بالجوع، ولله الحمد والمنة.

وفيها ضاقت النفقة على أمير مكة فأخذ الذهب من أستار الكعبة والميزاب وباب الكعبة، فضرب ذلك دراهم ودنانير، وكذلك فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي. وفيها كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف والميتات والكلاب، فكان يباع الكلب بخمسة دنانير، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها، وأفنيت الدواب فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب، ونزل الوزير يوماً عن بغلته فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع فأخذها ثلاثة فذبحوها وأكلوها فأخذوا فصلبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية، وقد أخذ الناس لحومهم فأكلوها، وظُهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويدفن رؤوسهم وأطرافهم، ويبيع لحومهم فقتل وأكل لحمه، وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه في ظاهر البلد، لا يتجاسرون يدخلون لئلا يخطف وينهب منهم، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميته نهاراً، وإنما يدفنه ليلاً خفية، لئلا ينبش فيؤكل. واحتاج صاحب مصر حتى باع أشياء من نفائس ما عنده، من ذلك إحدى عشر ألف درع، وعشرون ألف سيف محلى، وثمانون ألف قطعة بلور كبار، وخمسة وسبعون ألف قطعة من

(١) الشأو: المدى والسبق.

(٢) الحسير: الخائب والضعيف.

الديباج القديم، وبيعت ثياب النساء والرجال وغير ذلك بأرخص ثمن، وكذلك الأملاك وغيرها، وقد كان بعض هذه النفائس للخليفة، مما نهب من بغداد في وقعة البساسيري.

وفيها وردت التقادم(١) من الملك ألب أرسلان إلى الخليفة. وفيها اسم ولي العهد ابن الخليفة على الدنانير والدراهم، ومنع التعامل بغيرها، وسمي المضروب عليه الأميري. وفيها ورد كتاب صاحب مكة إلى الملك ألب أرسلان وهو بخراسان يخبره بإقامة الخطبة بمكة للقائم بأمر الله وللسلطان، وقطع خطبة المصريين، فأرسل إليه بثلاثين ألف دينار وخلعة سنية، وأجرى له في كل سنة عشرة آلاف دينار. وفيها تزوج عميد الدولة ابن جهير بابنة نظام الملك بالريّ.

وحج بالناس أبو الغنائم العلوي.

وفيها توفي من الأعيان والمشاهير.

الحسن بن علي

ابن محمد أبو الجوائز الواسطي، سكن بغداد دهراً طويلاً، وكان شاعراً أديباً ظريفاً، ولد سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة، ومات في هذه السنة عن مائة وعشر سنين. ومن مستجاد شعره قوله:

وَاحَسْرَتَي مِنْ قَوْلِهَا ... قَدْ خَانَ عَهْدِي وَلَهَا(٢)
وَحَقِّ مَنْ صَيَّرَنِي ... وَقْفاً عَلَيْهَا وَلَهَا(٣)
مَا خَطَرَتْ بِخَاطِرِي ... إِلاَّ كَسَتْنِي وَلَهَا(٤)

محمد بن أحمد بن سهل

المعروف بابن بشران النحوي الواسطي، ولد سنة ثمانين وثلاثمائة، وكان عالماً بالأدب، وانتهت إليه الرحلة في اللغة، وله شعر حسن، فمنه قوله:

يَا شَائِداً لِلْقُصُورِ مَهْلاً ... أَقْصِرْ فَقَصْرُ الفَتَى المَمَاتُ
لَمْ يَجْتَمِعْ شَمْلُ أَهْلِ قَصْرٍ ... إِلاَّ قُصَارَاهُمُ الشَّتَاتُ
وَإِنَّمَا العَيْشُ مِثْلُ ظِلٍّ ... مُنْتَقِلٍ مَا لَهُ ثَبَاتُ

وقوله:

وَدَّعْتُهُمْ وَلِيَ الدُّنْيَا مُوَدِّعَةٌ ... وَرُحْتُ مَا لِي سِوَى ذِكْرَاهُمُ وَطَرُ(٥)
وَقُلْتُ يَا لَذَّتِي بِينِي لِبَيْنِهِمُ ... كَأَنَّ صَفْوَ حَيَاتِي بَعْدَهُمْ كَدَرُ(٦)

---

(١) التقادم: أي الهدايا والتحف والخدم.
(٢) لها: من اللهو.
(٣) لها: ملكها.
(٤) الوله: العشق والحب.
(٥) الوطر: الحاجة.
(٦) بان: فارق.

لَولا تَعَلُّلُ قَلْبِي بِالرَّجَاءِ لَهُمْ أَلْفَيتُهُ إنْ حَدَوْا بِالعِيسِ يَنْفَطِرُ(١)
يا لَيتَ عِيسَهُمُ يَوْمَ النَّوَى نُحِرَتْ أَوْ لَيْتَهَا لِلضَّوَارِي بِالفَلاَ جَزَرُ
يا سَاعَةَ البَيْنِ أَنْتِ السَّاعَةُ اقْتَرَبَتْ يَا لَوْعَةَ البَيْنِ أَنْتِ النَّارُ تَسْتَعِرُ

وقوله:

طَلَبْتُ صَدِيقاً في البَرِيَّةِ كُلِّهَا فَأَعْيَا طِلابِي أَنْ أُصِيبَ صَدِيقَا
بَلَى مَنْ سمي بِالصَّدِيقِ مَجَازُهُ وَلَمْ يَكُ في مَعْنَى الوِدَادِ صَدُوقَا
فَطَلَّقْتُ وُدَّ العَالَمِينَ ثَلاثَةً وَأَصْبَحْتُ مِنْ أَسْرِ الحِفَاظِ طَلِيقَا

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة

وفيها أقبل ملك الروم أرمانوس في جحافل أمثال الجبال من الروم والكرخ والفرنج، وعدد عظيم وعُدد، ومعه خمسة وثلاثون ألفاً من البطارقة، مع كل بطريق مائتا ألف فارس معه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفاً، ومن الغزاة الذين يسكنون القسطنطينية خمسة عشر ألفاً، ومعه ألف نقّاب وحفار(٢)، وألف روزجاري، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألفا عجلة تحمل السلاح والسروج والغرادات والمناجيق، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رجل، ومن عزمه قبحه الله أن يبيد الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد، واستوصى نائبها بالخليفة خيراً، فقال له: ارفق بذلك الشيخ فإنه صاحبنا، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين والقدر يقول ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر: ٧٢] فالتقاه السلطان ألب أرسلان في جيشه وهم قريب من عشرين ألفاً، بمكان يقال له الزهوة، في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين، فلما كان ذلك الوقت وتواقف الفريقان وتواجه الفتيان، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عز وجل، ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره، فأنزل نصره على المسلمين، ومنحهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأسر ملكهم أرمانوس، أسره غلام رومي، فلما أوقف بين يدي الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاثة مقارع وقال: لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل؟ قال: كل قبيح، قال: فما ظنك بي؟ فقال: إما أن تقتل وتشهرني في بلادك، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتعيدني. قال: ما عزمت على غير العفو والفداء. فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار. فقام بين يدي الملك وسقاه شربة من ماء وقبل الأرض بين يديه، وقبل الأرض إلى جهة الخليفة

(١) حدوا: ساروا، وينفطر: ينشقق.
(٢) النقّاب والحفّار: من ينقب ومن يحفر.

إجلالاً وإكراماً، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها، وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعه فرسخاً، وأرسل معه جيشاً يحفظونه إلى بلاده، ومعهم راية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملّكوا عليهم غيره، فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه، وبعث من الذهب والجواهر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار، وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الأرمن فأخذه وكحله[1] وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك.

وفيها خطب محمود بن مرداس للقائم وللسلطان ألب أرسلان، فبعث إليه الخليفة بالخلع والهدايا والتحف، والعهد مع طراد.

وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوي، وخطب بمكة للقائم، وقطعت خطبة المصريين منها، وكان يخطب لهم فيها من نحو مائة سنة، فانقطع ذلك.

وفيها توفي من الأعيان:

[الحافظ أبو بكر الخطيب][2] أحمد بن علي

ابن ثابت بن أحمد بن مهدي أبو بكر الخطيب البغدادي أحد مشاهير الحفاظ، وصاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات العديدة المفيدة، نحو من ستين مصنفاً، ويقال بل مائة مصنف. فالله أعلم. ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وقيل سنة ثنتين وتسعين؛ وأول سماعه سنة ثلاث وأربعمائة، ونشأ ببغداد، وتفقه على أبي الطيب الطبري وغيره من أصحاب الشيخ أبي حامد الأسفراييني، وسمع الحديث الكثير، ورحل إلى البصرة ونيسابور وأصبهان وهمذان والشام والحجاز، وسمي الخطيب لأنه كان يخطب بدرب ريحان، وسمع بمكة على القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد في خمسة أيام، ورجع إلى بغداد وحظي عند الوزير أبي القاسم بن المسلمة، ولما ادعى اليهود الخيابرة أن معهم كتاباً نبوياً فيه إسقاط الجزية عنهم أوقف ابن مسلمة الخطيب على هذا الكتاب. فقال: هذا كذب، فقال له: وما الدليل على كذبه؟ فقال: لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس. وأعجب الناس ذلك. وقد سبق الخطيب إلى هذا النقل، سبقه محمد بن جرير كما ذكرت ذلك في مصنف مفرد، ولما وقعت فتنة البساسيري ببغداد سنة خمسين خرج الخطيب إلى الشام فأقام بدمشق بالمأذنة الشرقية من جامعها، وكان يقرأ على الناس الحديث، وكان جهوري الصوت، يسمع صوته من أرجاء الجامع كلها، فاتفق أنه قرأ على الناس يوماً فضائل العباس فثار عليه الروافض من أتباع الفاطميين، فأرادوا قتله فتشفع بالشريف الزينبي فأجاره، وكان مسكنه بدار العقبقي، ثم خرج من دمشق فأقام بمدينة صور،

---

(١) كحله: سمل عينيه.

(٢) سقط في ط.

فكتب شيئاً كثيراً من مصنفات أبي عبد الله الصوري بخطه كان يستعيرها من زوجته، فلم يزل مقيماً بالشام إلى سنة ثنتين وستين، ثم عاد إلى بغداد فحدث بأشياء من مسموعاته، وقد كان سأل الله أن يملك ألف دينار، وأن يحدث بالتاريخ بجامع المنصور، فملك ألف دينار أو ما يقاربها ذهباً، وحين احتضر كان عنده قريب من مائتي دينار، فأوصى بها لأهل الحديث، وسأل السلطان أن يمضي ذلك، فإنه لا يترك وارثاً، فأجيب إلى ذلك، وله مصنفات كثيرة مفيدة، منها كتاب التاريخ، وكتاب الكفاية، والجامع، وشرف أصحاب الحديث، والمتفق والمفترق، والسابق واللاحق، وتلخيص المتشابه في الرسم، وفضل الوصل، ورواية الآباء عن الأبناء، ورواية الصحابة عن التابعين، واقتضاء العلم للعمل، والفقيه والمتفقه، وغير ذلك. وقد سردها ابن الجوزي في المنتظم: قال ويقال: إن هذه المصنفات أكثرها لأبي عبد الله الصوري، أو ابتدأها فتممها الخطيب، وجعلها لنفسه، وقد كان الخطيب حسن القراءة فصيح اللفظ عارفاً بالأدب يقول الشعر، وكان أولاً يتكلم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فانتقل عنه إلى مذهب الشافعي، ثم صار يتكلم في أصحاب أحمد ويقدح فيهم ما أمكنه، وله دسائس عجيبة في ذمهم، ثم شرع ابن الجوزي ينتصر لأصحاب أحمد ويذكر مثالب الخطيب ودسائسه، وما كان عليه من محبة الدنيا والميل إلى أهلها بما يطول ذكره، وقد أورد ابن الجوزي من شعره قصيدة جيدة المطلع حسنة المنزع أولها قوله:

لَعَمْرُكَ مَا شَجَانِي رَسْمُ دَارِ ... وَقَفْتُ بِهِ وَلا رسمُ المَغَانِي[1]
وَلا أَثَرُ الخِيَامِ أَرَاقَ دَمْعِي ... لأَجْلِ تَذَكُّرِي عَهْدَ الغَوَانِي
وَلا مَلَكَ الهَوَى يَوْماً قِيَادِي ... وَلاَ عَاصَيْتُهُ فَثَنَى عِنَانِي
وَلَمْ أُطْمِعْهُ فِيَّ وَكَمْ قَتِيلٍ ... لَهُ في النَّاسِ مَا تُحْصِي دَعَانِي
عَرَفْتُ فِعَالَهُ بِذَوِي التَّصَابِي ... وَمَا يَلْقَوْنَ مِنْ ذُلِّ الهَوَانِ
طَلَبْتُ أَخاً صَحِيحَ الوُدِّ محظي ... سَلِيمَ الغَيْبِ مَحْفُوظَ اللِّسَانِ
فَلَمْ أَعْرِفْ مِنَ الإِخْوَانِ إلاَّ ... نِفَاقاً في التَّبَاعُدِ وَالتَّدَانِي
وَعَالَمُ دَهْرِنَا لا خَيْرَ فِيهِمْ ... تَرَى صُوَراً تَرُوقُ بِلاَ مَعَانِي
وَوَصْفُ جَمِيعِهِمْ هٰذا فَمَا إنْ ... أَقُولُ سِوَى فُلانٍ أَوْ فُلانِ
وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ حُرّاً يُوَاتِي ... عَلَى ما نَابَ مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ[2]
صَبَرْتُ تَكَرُّماً لِقَرَاعِ دَهْرِي ... وَلَمْ أَجْزَعْ لِمَا مِنْهُ دَهَانِي
وَلَمْ أَكُ في الشَّدَائِدِ مُسْتَكِيناً ... أَقُولُ لَهَا أَلاَ كُفِّي كَفَانِي
وَلٰكِنِّي صَلِيبُ العُودِ عُودِي ... رَبِيطُ الجَأْشِ مُجْتَمِعُ الجَنَانِ

(١) شجاني: أحزنني. ورسم الدار: آثاره.
(٢) ناب: حل وأصاب.

أَبِــيُّ الــنَّــفْــسِ لا أَخْــتَــارُ رِزْقــاً يَــجِــيءُ بِــغَــيْــرِ سَــيْــفِــي أَوْ سِــنَــانِــي
فَــعِــزٌّ فــي لَــظَــى بَــاغِــيــهِ يــهــوي أَلَــذُّ مِــنَ الــمَــذَلَّــةِ فــي الــجِــنَــانِ

وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه ترجمة حسنة كعادته وأورد له من شعر قوله:

لا يَـغْـبِـطَـنَّ أَخَـا الـدُّنْـيَـا لِـزُخْـرُفِـهَـا وَلا لِـلَـذَّةِ عَـيْـشٍ عَـجَّـلَـتْ فَـرَحَـا
فَـالـدَّهْـرُ أَسْـرَعُ شَـيْءٍ فـي تَـقَـلُّـبِـهِ وَفِـعْـلُـهُ بَـيِّـنٌ لِـلْـخَـلْـقِ قَـدْ وَضَـحَـا
كَـمْ شَـارِبٍ عَـسَـلاً فِـيـهِ مَـنِـيَّـتُـهُ وَكَـمْ مُـقَـلَّـدِ سَـيْـفٍ فِـيـهِ قَـدْ ذُبِـحَـا

توفي يوم الاثنين ضحى من ذي الحجة منها، وله ثنتان وسبعون سنة، في حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة، جوار المدرسة النظامية، واحتفل الناس بجنازته، وحمل نعشه فيمن حمل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، ودفن إلى جانب قبر بشر الحافي، في قبر رجل كان قد أعده لنفسه، فسئل أن يتركه للخطيب فشح به ولم تسمح نفسه، حتى قال له بعض الحاضرين: بالله عليك لو جلست أنت والخطيب إلى بشر أيكما كان يجلسه إلى جانبه؟ فقال: الخطيب، فقيل له: فاسمح له به، فوهبه منه فدفن فيه رحمه الله وسامحه، وهو ممن قيل فيه وفي أمثاله قول الشاعر:

ما زِلْتَ تَدْأَبُ[1] في التَّارِيخِ مُجْتَهِداً حَتَّى رَأَيْتُكَ في التَّارِيخِ مَكْتُوبَا

حسان بن سعيد

ابن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي المنيعي، كان في شبابه يجمع بين الزهد والتجارة حتى ساد أهل زمانه، ثم ترك ذلك، وأقبل على العبادة والزهد والبر والصلة والصدقة وغير ذلك، وبناء المساجد والرباطات، وكان السلطان يأتي إليه ويتبرك به، ولما وقع الغلاء كان يعمل كل يوم شيئاً كثيراً من الخبز والأطعمة، ويتصدق به وكان يكسو في كل سنة قريباً من ألف فقير ثياباً وجباباً، وكذلك كان يكسو الأرامل وغيرهن من النساء، وكان يجهز البنات الأيتام وبنات الفقراء، وأسقط شيئاً كثيراً من المكوس والوظائف السلطانية عن بلاد نيسابور، وقرأها وهو مع ذلك في غاية التبذل والثياب والأطمار، وترك الشهوات ولم يزل كذلك إلى أن توفي في هذه السنة، في بلدة مرو الروذ، تغمده الله برحمته، ورفع درجته، ولا خيّب الله له سعياً.

أمين بن محمد بن الحسن بن حمزة

أبو علي الجعفري فقيه الشيعة في زمانه محمد بن وشاح بن عبد الله أبو علي مولى أبي تمام محمد بن علي بن الحسن الزينبي، سمع الحديث، وكان أديباً شاعراً، وكان ينسب إلى الاعتزال والرفض، ومن شعره قوله:

(١) تدأب: تجد وتجهد.

حَمَلْتُ العَصَا لا الضَّعْفُ أَوْجَبَ حَمْلَهَا عَلَيَّ وَلا أَنِّي تَحَلَّتُ مِنَ الكِبَرْ
وَلٰكِنَّنِي أَلْزَمْتُ نَفْسِيَ حَمْلَهَا لِأُعْلِمَهَا أَنَّ المُقِيمَ عَلَى سَفَرِ

الشيخ الأجل أبو عمر عبد البر النمري

صاحب التصانيف المليحة الهائلة، منها التمهيد، والاستذكار، والاستيعاب، وغير ذلك.

ابن زيدون

الشاعر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أبو الوليد، الشاعر الماهر الأندلسي القرطبي، اتصل بالأمير المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية، فحظي عنده وصار مشاوراً في منزلة الوزير، ثم وزر له ولولده أبي بكر بن أبي الوليد، وهو صاحب القصيدة الفراقية التي يقول فيها:

بِنْتُمْ وَبِنَّا فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا(١) شَوْقاً إِلَيْكُمْ وَلا جَفَّتْ مَآقِينَا
تَكَادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا يَقْضِي عَلَيْهَا الأَسَى لَوْلاَ تَأَسِّينَا
حَالَتْ(٢) لِبُعْدِكُمُ أَيَّامُنَا فَغَدَتْ سُوداً وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضاً لَيَالِينَا
بِالأَمْسِ كُنَّا وَلا نَخْشَى تَفَرُّقَنَا وَاليَوْمَ نَحْنُ وَلا يُرْجَى تَلاقِينَا

وهي طويلة وفيها صنعة قوية مهيجة على البكاء لكل من قرأها أو سمعها، لأنه ما من أحد إلا فارق خِلاً أو حبيباً أو نسيباً، وله أيضاً:

بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضِعِ سِرٌّ إذا ذَاعَتِ الأَسْرَارُ لَمْ يُذَعِ
يا بَائِعاً حَظَّهُ مِنِّي وَلَوْ بُذِلَتْ لِيَ الحَيَاةُ بِحَظِّي مِنْهُ لَمْ أَبِعِ
يَكْفِيكَ أَنَّكَ لَوْ حَمَّلْتَ قَلْبِيَ مَا لا تَسْتَطِيعُ قُلُوبُ النَّاسِ يَسْتَطِعِ
تِهْ أَحْتَمِلْ، وَاسْتَطِلْ أَصْبِرْ، وَعِزَّ أَهُنْ وَوَلِّ أُقْبِلْ، وَقُلْ اسْمَعْ، وَمُرْ أُطِعِ

توفي في رجب منها واستمر ولده أبو بكر وزيراً للمعتمد بن عباد، حتى أخذ ابن ياسين قرطبة من يده في سنة أربع وثمانين، فقتل يومئذٍ. قاله ابن خلكان.

كريمة بنت أحمد

ابن محمد بن أبي حاتم المروزية، كانت عالمة صالحة، سمعت صحيح البخاري على الكشميهني، وقرأ عليها الأئمة كالخطيب وأبي المظفر السمعاني وغيرهما.

---

(١) ابتلت جوانحنا: أي ارتوت صدورنا.
(٢) حالت: تغيرت وتحولت.

ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة

فيها قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مع الحنابلة في الإنكار على المفسدين، والذين يبيعون الخمور، وفي إبطال المواجرات وهنّ البغايا، وكتبوا إلى السلطان في ذلك فجاءت كتبه بالإنكار. وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد ارتجت لها الأرض ست مرات. وفيها كان غلاء شديد وموتان ذريع في الحيوانات، بحيث إن بعض الرعاة بخراسان قام وقت الصباح ليسرح بغنمه فإذا هن قد متن كلهن، وجاء سيل عظيم وبرد كبار أتلف شيئاً كثيراً من الزروع والثمار بخراسان. وفيها تزوج الأمير عدة الدين ولد الخليفة بابنة السلطان ألب أرسلان «سفرى خاتون» وذلك بنيسابور، وكان وكيل السلطان نظام الملك، ووكيل الزوج عميد الدولة ابن جهير، وحين عقد العقد نثر على الناس جواهر نفيسة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

بكر بن محمد بن حيدر

أبو منصور النيسابوري، كان يزعم أنه من سلالة عثمان بن عفان، وروى الحديث عن أبي بكر بن المذهب، وكان ثقة. توفي في المحرم منها وقد قارب الثمانين.

محمد بن أحمد

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو الحسن الهاشمي، خطيب جامع المنصور، وكان ممن يلبس القلانس الطوال، حدث عن ابن رزقويه وغيره، روى عنه الخطيب، وكان ثقة عدلاً شهد عند ابن الدامغاني وابن ماكولا فقبلاه توفي عن ثمانين سنة ودفن بقرب قبر بشر الحافي.

محمد بن أحمد بن شارة

ابن جعفر أبو عبد الله الأصفهاني، ولي القضاء بدجيل، وكان شافعياً، روى الحديث عن أبي عمرو بن مهدي، توفي ببغداد ونقل إلى دجيل من عمل واسط، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة

في يوم الخميس حادي عشر المحرم حضر إلى الديوان أبو الوفا علي بن محمد بن عقيل العقيلي الحنبلي، وقد كتب على نفسه كتاباً يتضمن توبته من الاعتزال وأنه رجع عن اعتقاد كون الحلاج من أهل الحق والخير، وأنه قد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك، وأن الحلاج قد قتل بإجماع علماء أهل عصره على زندقته، وأنهم كانوا مصيبين في قتله وما رموه به، وهو مخطىء، وأشهد عليه جماعة من الكتاب، ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبي جعفر فسلم عليه وصالحه واعتذر إليه، فعظمه.

وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملك شاه

كان السلطان قد سار في أول هذه السنة يريد أن يغزو بلاد ما وراء النهر، فاتفق في بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له يوسف الخوارزمي، فأوقف بين يديه فشرع يعاتبه في أشياء صدرت منه، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويصلب بينها، فقال للسلطان: يا مخنث ومثلي يقتل هكذا؟ فاحتد السلطان من ذلك وأمر بإرساله وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطأه، وأقبل يوسف نحو السلطان فنهض السلطان عن السرير خوفاً منه، فنزل عنه فعثر فوقع فأدركه يوسف فضربه بخنجر كان معه في خاصرته فقتله، وأدرك الجيش يوسف فقتلوه، وقد جرح السلطان جرحاً منكراً، فتوفي في يوم السبت عاشر ربيع الأول من هذه السنة، ويقال إن أهل بخارى لما اجتاز بهم نهب عسكره أشياء كثيرة لهم، فدعوا عليه فهلك.

ولما توفي جلس ولده ملكشاه على سرير الملك وقام الأمراء بين يديه، فقال له الوزير نظام الملك: تكلم أيها السلطان، فقال: الأكبر منكم أبي والأوسط أخي والأصغر ابني، وسأفعل معكم ما لم أسبق إليه. فأمسكوا فأعاد القول فأجابوه بالسمع والطاعة. وقام بأعباء أمره الوزير نظام الملك فزاد في أرزاق الجند سبعمائة ألف دينار، وسار إلى مرو فدفنوا بها السلطان، ولما بلغ موته أهل بغداد أقام الناس له العزاء، وغلقت الأسواق وأظهر الخليفة الجزع، وخلعت ابنة السلطان زوجة الخليفة ثيابها، وجلست على التراب، وجاءت كتب ملكشاه إلى الخليفة يتأسف فيها على والده، ويسأل أن تقام له الخطبة بالعراق وغيرها. ففعل الخليفة ذلك، وخلع ملكشاه على الوزير نظام الملك خلعاً سنية، وأعطاه تحفاً كثيرة، من جملتها عشرون ألف دينار، ولقبه أتابك الجيوش، ومعناه الأمير الكبير الوالد، فسار سيرة حسنة، ولما بلغ قاروت موت أخيه ألب أرسلان ركب في جيوش كثيرة قاصداً قتال ابن أخيه ملكشاه، فالتقيا فاقتتلا فانهزم أصحاب قاروت وأسر هو، فأنبه ابن أخيه ثم اعتقله ثم أرسل إليه من قتله.

وفيها جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ وباب البصرة والقلايين فاقتتلوا فقتل منهم خلق كثير، واحترق جانب كبير من الكرخ، فانتقم المتولي لأهل الكرخ من أهل باب البصرة، فأخذ منهم أموالاً كثيرة جناية لهم على ما صنعوا. وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس. وفيها ملك صاحب سمرقند وهو محمد التكين مدينة ترمذ. وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوي. وفيها توفي من الأعيان.

السلطان ألب أرسلان

الملقب بسلطان العالم، ابن داود جغري بك، بن ميكائيل بن سلجوق التركي، صاحب الممالك المتسعة، ملك بعد عمه طغرلبك سبع سنين وستة أشهر وأياماً، وكان عادلاً يسير في الناس سيرة حسنة، كريماً رحيماً، شفوقاً على الرعية، رفيقاً على الفقراء، باراً بأهله

وأصحابه ومماليكه، كثير الدعاء بدوام النعم به عليه، كثير الصدقات، يتفقد الفقراء في كل رمضان بخمسة عشر ألف دينار، ولا يعرف في زمانه جناية ولا مصادرة، بل كان يقنع من الرعية بالخراج في قسطين، رفقاً بهم. كتب إليه بعض السعاة في نظام الملك وزيره وذكر ماله في ممالكه فاستدعاه فقال له: خذ إن كان هذا صحيحاً فهذب أخلاقك وأصلح أحوالك، وإن كذبوا فاغفر له زلته، وكان شديد الحرص على حفظ مال الرعايا، بلغ أن غلاماً من غلمانه أخذ إزاراً لبعض أصحابه فصلبه فارتدع سائر المماليك به خوفاً من سطوته، وترك من الأولاد ملكشاه وإياز وتكشر وبوري برس وأرسلان وأرغو وسارة وعائشة وبنتاً أخرى، توفي في هذه السنة عن إحدى وأربعين سنة، ودفن عند والده بالري رحمه الله.

أبو القاسم القشيري

صاحب الرسالة، عبد الكريم بن هوازن بن عبد المطلب بن طلحة، أبو القاسم القشيري، وأمه من بني سليم، توفي أبوه وهو طفل فقرأ الأدب والعربية، وصحب الشيخ أبا علي الدقاق، وأخذ الفقه عن أبي بكر بن محمد الطوسي، وأخذ الكلام عن أبي بكر بن فورك وصنف الكثير، وله التفسير والرسالة التي ترجم فيها جماعة من المشايخ الصالحين، وحج صحبة إمام الحرمين وأبي بكر البيهقي، وكان يعظ الناس، توفي بنيسابور في هذه السنة عن سبعين سنة، ودفن إلى جانب شيخه أبي علي الدقاق، ولم يدخل أحد من أهله بيت كتبه إلا بعد سنين، احتراماً له، وكان له فرس يركبها قد أهديت له، فلما توفي لم تأكل علفاً حتى نفقت[١] بعده بيسير فماتت، ذكره ابن الجوزي، وقد أثنى عليه ابن خلكان في ثناء كثيراً وذكر شيئاً من شعره من ذلك قوله:

سَقَى الله وَقْتاً كُنْتُ أَخْلُو بِوَجْهِكُمْ ... وَثَغْرُ الهَوَى في رَوْضَةِ الأُنْس ضَاحِكُ
أَقَمْنَا زَمَاناً وَالعُيُونُ قَرِيرَةٌ ... وَأَصْبَحْتُ يَوماً وَالجُفُونُ سَوَافِكُ

وقوله:

لَوْ كُنْتَ سَاعَةَ بَيْنِنَا مَا بَيْنَنَا ... وَشَهِدْتَ حِينَ فِرَاقِنَا التَّوْدِيعَا
أَيْقَنْتَ أَنَّ مِنَ الدُّمُوعِ مُحَدِّثاً ... وَعَلِمْتَ أَنَّ مِنَ الحَدِيثِ دُمُوعَا

وقوله:

وَمَنْ كَانَ فِي طُولِ الهَوَى ذَاقَ سَلْوَةً ... فَإِنِّيَ مِنْ لَيْلَى لَهَا غَيْرُ ذَائِقِ
وَأَكْثَرُ شَيْءٍ نِلْتُهُ مِنْ وِصَالِهَا ... أَمَانِيُّ لَمْ تَصْدُقْ كَخَطْفَةِ بَارِقِ[٢]

ابن صربعر

الشاعر اسمه علي بن الحسن بن علي بن الفضل، أبو منصور الكاتب المعروف بابن

---

(١) نفقت: هلكت.

(٢) الوصال: اللقاء والقرب. وخطفة بارق: أي ضوؤه وبريقه.

صرّبعر وكان نظام الملك يقول له أنت صرّدر لا صرّبعر، وقد هجاه بعضهم فقال:

لَئِنْ لقب النَّاسُ قِدْماً أَبَاكَ ... وسموه مِنْ شُحّهِ صَرَّ بَعْرَا
فَإِنَّكَ تنشر مَا صَرَّهُ ... عُقُوقاً لَهُ وَتُسَمِّيهِ شِعْرَا

قال ابن الجوزي: وهذا ظلم فاحش فإن شعره في غاية الحسن، ثم أورد له أبياتاً فمن ذلك:

إِيهِ أَحَادِيثَ نُعْمَانٍ وَسَاكِنِهِ ... إِنَّ الحَدِيثَ عَنِ الأَحْبَابِ أَسمارُ
أُفَتِّشُ الرِّيحَ عَنْكُمْ كُلَّمَا نَفَحَتْ ... مِسْكاً فَأَرْضُكُمُ مِسْكٌ وَأَعْطَارُ

قال: وقد حفظ القرآن وسمع الحديث من ابن شيران وغيره، وحدث كثيراً، وركب يوماً دابة هو ووالدته فسقط بالشونيزية عنها في بئر فماتا فدفنا ببرر، وذلك في صفر من هذه السنة، قال ابن الجوزي: قرأت بخط ابن عقيل صربعر جارنا بالرصافة، وكان ينبز بالإلحاد، وقد أورد له ابن خلكان شيئاً من أشعاره، وأثنى عليه في فنه والله أعلم بحاله.

محمد بن علي

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو الحسين، ويعرف بابن العريف، ولد سنة سبعين وثلاثمائة وسمع الدارقطني، وهو آخر من حدث عنه في الدنيا، وابن شاهين وتفرد عنه، وسمع خلقاً آخرين، وكان ثقة ديناً كثير الصلاة والصيام، وكان يقال له راهب بني هاشم، وكان غزير العلم والعقل، كثير التلاوة، رقيق القلب غزير الدمعة، وقد رحل إليه الطلبة من الآفاق، ثم ثقل سمعه، وكان يقرأ على الناس، وذهبت إحدى عينيه، وخطب وله ست عشرة سنة، وشهد عند الحكام سنة ست وأربعمائة، وولي الحكم سنة تسع وأربعمائة، وأقام خطيباً بجامع المنصور وجامع الرصافة ستاً وسبعين سنة، وحكم ستاً وخمسين سنة، وتوفي في سلخ ذي القعدة من هذه السنة وقد جاوز تسعين سنة، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً، ورئيت له منامات صالحة حسنة، رحمه الله وسامحه ورحمنا وسامحنا، إنه قريب مجيب، رحيم ودود.

ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة

في صفر منها جلس الخليفة جلوساً عاماً وعلى رأسه حفيده الأمير عدة الدين، أبو القاسم عبد الله بن المهتدي بالله، وعمره يومئذٍ ثماني عشرة سنة، وهو في غاية الحسن، وحضر الأمراء والكبراء فعقد الخليفة بيده لواء السلطان ملكشاه، كثر الزحام يومها، وهنأ الناس بعضهم بعضاً بالسلامة.

غرق بغداد

في جمادى الآخرة نزل مطر عظيم وسيل قويّ كثير، وسالت دجلة وزادت حتى غرّقت

جانباً كبيراً من بغداد، حتى خلص ذلك إلى دار الخلافة، فخرجت الجواري حاسرات عن وجوهن، حتى صرن إلى الجانب الغربي، وهرب الخليفة من مجلسه فلم يجد طريقاً يسلكه، فحمله بعض الخدم إلى التاج، وكان ذلك يوماً عظيماً، وأمراً هائلاً، وهلك للناس أموال كثيرة جدّاً. ومات تحت الردم خلق كثير من أهل بغداد والغرباء وجاء على وجه السيل من الأخشاب والأحطاب والوحوش والحيات شي كثير جدّاً، وسقطت دور كثيرة في الجانبين، وغرقت قبور كثيرة، من ذلك قبر الخيزران ومقبرة أحمد بن حنبل. ودخل الماء من شبابيك المارستان العضدي وأتلف السيل في الموصل شيئاً كثيراً، وصدم سور سنجار فهدمه وأخذ بابه من موضعه إلى مسيرة أربعة فراسخ. وفي ذي الحجة منها جاءت ريح شديدة في أرض البصرة فانجعف منها نحو من عشرة آلاف نخلة. وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن الحسن السمناني

الحنفي الأشعري.

قال ابن الجوزي: وهذا من الغريب، تزوج قاضي القضاة ابن الدامغاني ابنته وولاه نيابة القضاة، وكان ثقة نبيلاً من ذوي الهيئات، جاوز الثمانين.

عبد العزيز بن أحمد بن علي

ابن سليمان، أبو محمد الكناني الحافظ الدمشقي، [كتب كثيراً وصنف فأجاد وأفاد وله في الفضائل أشياء غريبة، وبعض ما يرويه موضوع ولا سنة عليه مع أنه كان ثقة ضابطاً حافظاً صدوقاً مستقيم الطريق والاعتقاد سلفيّ المذهب رحمه الله، وقد كتب عنه الحافظ أبو بكر الخطيب ومحمد بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن جعفر أبو بكر الأصبهاني الحافظ مستملي أبي نعيم وسمع الكثير][1]، وكان يملي من حفظه، وكتب عنه الخطيب حديثاً واحداً، وكان معظماً ببلده، ثقة نبيلاً جليلاً.

الماوردية

ذكر ابن الجوزي أنها كانت عجوزاً صالحة من أهل البصرة تعظ النساء بها، وكانت تكتب وتقرأ، ومكثت خمسين سنة من عمرها لا تفطر نهاراً ولا تنام ليلاً وتقتات بخبز الباقلا، وتأكل من التين اليابس لا الرطب، وشيئاً يسيراً من العنب والزيت، وربما أكلت من اللحم اليسير، وحين توفيت تبع أهل البلد جنازتها ودفنت في مقابر الصالحين.

ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة

في صفر منها مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضاً شديداً، انتفخ منه حلقه، وامتنع من

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

الفصد، فلم يزل الوزير فخر الدولة عليه حتى افتصد وانصلح الحال، وكان الناس قد انزعجوا ففرحوا بعافيته وجاء في هذا الشهر سيل عظيم قاسى الناس منه شدة عظيمة، ولم تكن أكثر أبنية بغداد تكاملت من الغرق الأول، فخرج الناس إلى الصحراء فجلسوا على رؤوس التلول تحت المطر ووقع وباء عظيم بالرحبة، فمات من أهلها قريب من عشرة آلاف، وكذلك وقع بواسط والبصرة وخوزستان وأرض خراسان وغيرها والله أعلم.

موت الخليفة القائم بأمر الله

لما افتصد في يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب من بواسير كانت تعتاده من عام العرق، ثم نام بعد ذلك فانفجر فصاده، فاستيقظ وقد سقطت قوته، وحصل الإياس منه، فاستدعى حفيده وولي عهده من عدة الدين أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم، وأحضر إليه القضاة والفقهاء وأشهدهم عليه ثانياً بولاية العهد له من بعده، فشهدوا، ثم كانت وفاته ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان عن أربع وسبعين سنة، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً، ولم يبلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة، وقد جاوزت خلافة أبيه قبله أربعين سنة، فكان مجموع أيامهما خمساً وثمانين سنة وأشهراً، وذلك مقاوم لدولة بني أمية جميعها، وقد كان القائم بأمر الله جميلاً مليحاً حسن الوجه، أبيض مشرباً بحمرة. فصيحاً ورعاً زاهداً، أديباً كاتباً بليغاً، شاعراً، كما تقدم ذكر شيء من شعره، وهو بحديثه عانة سنة خمسين، وكان عادلاً كثير الإحسان إلى الناس رحمه الله. وغسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي عن وصية الخليفة بذلك، فلما غسله عرض عليه ما هنالك من الأثاث والأموال، فلم يقبل منه شيئاً، وصلي على الخليفة في صبيحة يوم الخميس المذكور، ودفن عند أجداده، ثم نقل إلى الرصافة، فقبره يزار إلى الآن، وغلقت الأسواق لموته، وعلقت المسوح وناحت عليه نساء الهاشميين وغيرهم، وجلس الوزير ابن جهير وابنه للعزاء على الأرض، وخرق الناس ثيابهم، وكان يوماً عصيباً، واستمر الحال كذلك ثلاثة أيام، وقد كان من خيار بني العباس ديناً واعتقاداً ودولة، وقد امتحن من بينهم بفتنة البساسيري التي اقتضت إخراجه من داره ومفارقته أهله وأولاده ووطنه، فأقام بحديثة عانة سنة كاملة ثم أعاد الله تعالى عليه نعمته وخلافته، قال الشاعر:

فَـأَصْـبَـحُـوا قَـدْ أَعَـادَ اللهُ نِـعْـمَـتَـهُـمْ إِذْ هُـمْ قُـرَيْـشٌ وإذ مـا مِـثْـلَـهُـمْ بَـشَـرُ

وقد تقدم له في ذلك سلف صالح كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص:٣٤]. وقد ذكرنا ملخص ما ذكره المفسرون في سورة ص، وبسطنا الكلام عليه في هذه القصة العباسية والفتنة البساسيرية في سنة خمسين، وإحدى وخمسين، وأربعمائة.

خلافة المقتدي بأمر الله: وهو أبو القاسم عدة الدين عبد الله ابن الأمير ذخيرة الدين

أبي القاسم محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله بن القادر العباسي، وأمه أرمنية تسمى أرجوان، وتدعى قرة العين، وقد أدركت خلافة ولدها هذا، وخلافة ولديه من بعده، المستظهر والمسترشد. وقد كان أبوه توفي وهو حمل، فحين ولد ذكراً فرح به جده والمسلمون فرحاً شديداً، إذ حفظ الله على المسلمين بقاء الخلافة في البيت القادري، لأن من عداهم كانوا يتبذلون في الأسواق، ويختلطون مع العوام، وكانت القلوب تنفر من تولية مثل أولئك الخلافة على الناس، ونشأ هذا في حجر جده القائم بأمر الله يربيه بما يليق بأمثاله، ويدربه على أحسن السجايا ولله الحمد، وقد كان المقتدي حين ولي الخلافة عمره عشرين سنة، وهو في غاية الجمال خلقاً وخلقاً، وكانت بيعته يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان من هذه السنة، وجلس في دار الشجرة، بقميص أبيض، وعمامة بيضاء لطيفة، وطرحة قصب ادريه، وجاء الوزراء والأمراء والأشراف ووجوه الناس فبايعوه، فكان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي، وأنشده قول الشاعر:

إذا سَـيِّـدٌ مِـنَّـا مَـضَـى قَـامَ سَـيِّـدٌ

ثم أرتج عليه[1] فلم يدر ما بعده، فقال الخليفة.

قَـؤُولٌ بِـمَـا قَـالَ الـكِـرَامُ فَـعُـولُ

وبايعه من شيوخ العلم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، والشيخ أبو نصر بن الصباغ، الشافعيان، والشيخ أبو محمد التميمي الحنبلي، وبرز فصلى بالناس العصر ثم بعد ساعة أخرج تابوت جده بسكون ووقار من غير صراخ ولا نوح، فصلي عليه وحمل إلى المقبرة، وقد كان المقتدي شهماً شجاعاً أيامه كلها مباركة، والرزق دار والخلافة معظمة جداً، وتصاغرت الملوك له، وتضاءلوا بين يديه، وخطب له بالحرمين وبيت المقدس والشام كلها، واسترجع المسلمون الرها وأنطاكية من أيدي العدو، وعمرت بغداد وغيرها من البلاد، واستوزر ابن جهير ثم أبا شجاع، ثم أعاد ابن جهير وقاضيه الدامغاني، ثم أبو بكر الشاشي، وهؤلاء من خيار القضاة والوزراء ولله الحمد.

وفي شعبان منها أخرج المفسدات من الخواطىء من بغداد، وأمرهن أن ينادين على أنفسهن بالعار والفضيحة وخرب الخمارات ودور الزواني والمغاني وأسكنهن الجانب الغربي مع الذلّ والصَّغار، وخرب أبرجة الحمام، ومنع اللعب بها، وأمر الناس باحتراز عوراتهم في الحمامات ومنع أصحاب الحمامات أن يصرفوا فضلاتها إلى دجلة، وألزمهم بحفر آبار لتلك المياه القذرة صيانة لماء الشرب. وفي شوال منها وقعت نار في أماكن متعددة في بغداد، حتى في دار الخلافة، فأحرقت شيئاً كثيراً من الدور والدكاكين، ووقع بواسط حريق في تسعة أماكن، واحترق فيها أربعة وثمانون داراً وستة خانات، وأشياء كثيرة غير ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) أرتج عليه: عي ولم يعرف ما يقول.

وفيها عمل الرصد للسلطان ملكشاه اجتمع عليه جماعة من أعيان المنجمين وأنفق عليه أموالاً كثيرة، وبقي دائراً حتى مات السلطان فبطل.

وفي ذي الحجة منها أعيدت الخطبة للمصريين وقطعت خطبة العباسيين، وذلك لما قوي أمر صاحب مصر بعد ما كان ضعيفاً بسبب غلاء بلده، فلما رخصت تراجع الناس إليها، وطاب العيش بها، وقد كانت الخطبة للعباسيين بمكة منذ أربعين سنة وخمسة أشهر، وستعود كما كانت على ما سيأتي بيانه في موضعه، وفي هذا الشهر انجفل[1] أهل السواد من شدة الوباء وقلة ماء دجلة ونقصها. وحج بالناس الشريف أبو طالب الحسيني بن محمد الزينبي، وأخذ البيعة للخليفة المقتدي بالحرمين.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الخليفة القائم بأمر الله

عبد الله، وقد ذكرنا شيئاً من ترجمته عند وفاته. رحمه الله.

راوي صحيح البخاري، عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود، أبو الحسن، بن أبي طلحة

الداودي

ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، سمع الكثير وتفقه على الشيخ أبي حامد الأسفراييني، وأبي بكر القفال، وصحب أبا علي الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمي، وكتب الكثير ودرس وأفتى وصنف، ووعظ الناس. وكانت له يد طولى في النظم والنثر، وكان مع ذلك كثير الذكر، لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى، دخل يوماً عليه الوزير نظام الملك فجلس بين يديه فقال له الشيخ: إن الله قد سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم. وكانت وفاته ببوشنج في هذه السنة وقد جاوز التسعين. ومن شعره الجيد القوي قوله:

كَانَ فِي الاجْتِمَاعِ بِالنَّاسِ نُورٌ ... ذهب النُّورُ وَادْلَهَمَّ الظَّلامُ

فَسَدَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ جَمِيعاً ... فَعَلَى النَّاسِ وَالزَّمَانِ السَّلامُ

أبو الحسن علي بن الحسن

ابن علي بن أبي الطيب الباخَرْزيّ الشاعر المشهور، اشتغل أولاً على الشيخ أبي محمد الجويني ثم ترك ذلك وعمد إلى الكتابة والشعر، ففاق أقرانه، وله ديوان مشهور فمنه:

وَإِنِّي لأَشْكُو لَسْعَ أَصْدَاغِكِ[2] الَّتِي ... عَقَارِبُهَا فِي وَجْنَتَيْكِ نَجُومُ

وَأَبْكِي لِدُرِّ الثَّغْرِ مِنْكِ وَلِي أَبٌ ... فَكَيْفَ نُدِيمُ الضِّحْكَ وَهُوَ يَتِيمُ

(١) انجفل: انصرع، وأسرع في الهرب.

(٢) اللسع: الوخز كلسع العقرب وغيرها من الحشرات، والأصداغ: ما يحاذي الأذن من الشعر.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي: جاء جراد في شعبان بعدد الرمل والحصا، فأكل الغلات وآذى الناس، وجاعوا فطحن الخروب بدقيق الدخن فأكلوه، ووقع الوباء، ثم منع الله الجراد من الفساد، وكان يمر ولا يضر، فرخصت الأسعار.

قال: ووقع غلاء شديد بدمشق واستمر ثلاث سنين. وفيها ملك نصر بن محمود بن صالح بن مرداس مدينة منبج، وأجلى عنها الروم ولله الحمد والمنّة في ذي القعدة منها. وفيها ملك الإقسيس مدينة دمشق، وانهزم عنها المعلى بن حيدر نائب المستنصر العبيدي إلى مدينة بانياس، وخطب فيها للمقتدي، وقطعت خطبة المصريين عنها إلى الآن ولله الحمد والمنة. فاستدعى المستنصر نائبه فحبسه عنده إلى أن مات في السجن.

قلت: الإقسيس هذا هو اتسز بن أوف الخوارزمي، ويلقب بالملك المعظم، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين، وأزال الأذان منها بحيّ على خير العمل، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام، مائة وست سنين. كان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضي الله عنهم، فأمر هذا السلطان المؤذنين والخطباء أن يترضوا عن الصحابة أجمعين، ونشر العدل وأظهر السنة، وهو أول من أسس القلعة بدمشق، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلتجىء إليه المسلمون من العدو، فبناها في محلتها هذه التي هي فيها اليوم، وكان موضعها بباب البلد يقال له باب الحديد، وهو تجاه دار رضوان منها، وكان ابتداء ذلك في السنة الآتية، وإنما أكملها بعده الملك المظفر تتش بن ألب أرسلان السلجوقي كما سيأتي بيانه وحج بالناس فيها مقطع الكوفة. وهو الأمير السكيني جنفل التركي، ويعرف بالطويل، وكان قد شرد خفاجة في البلاد وقهرهم، ولم يصحب معه سوى ستة عشر تركياً، فوصل إلى مكة سالماً، ولما نزل ببعض دورها كبسه بعض العبيد. فقتل منهم مقتلة عظيمة، وهزمهم هزيمة شنيعة، ثم إنه بعد ذلك إنما كان ينزل بالزاهر. قاله ابن الساعي في تاريخه، ثم أعيدت الخطبة في هذه السنة للعباسيين في ذي الحجة منها، وقطعت خطبة المصريين ولله الحمد والمنة. وممن توفي فيها من الأعيان:

محمد بن علي

ابن أحمد بن عيسى بن موسى، أبو تمام بن أبي القاسم ابن القاضي أبي علي الهاشمي، نقيب الهاشميين، وهو ابن عم الشريف أبي جعفر بن أبي موسى الفقيه الحنبلي، روى الحديث وسمع منه أبو بكر بن عبد الباقي، ودفن بباب حرب.

محمد بن القاسم

ابن حبيب بن عبدوس، أبو بكر الصفار من أهل نيسابور، سمع الحاكم وأبا عبد الرحمن السلمي وخلقاً، وتفقه على الشيخ أبي محمد الجويني، وكان يخلفه في حلقته.

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو الحسين البيضاوي الشافعي، ختن أبي الطيب الطبري على ابنته، سمع الحديث وكان ثقة خيراً، توفي في شعبان منها، وتقدم للصلاة عليه الشيخ أبو نصر بن الصباغ، وحضر جنازته أبو عبد الله الدامغاني مأموماً، ودفن بداره في قطيعة الكرخ.

محمد بن نصر بن صالح

ابن أمير حلب، وكان قد ملكها في سنة تسع وخمسين، وكان من أحسن الناس شكلاً وفعلاً.

مسعود بن المحسن

ابن الحسن بن عبد الرزاق بن جعفر البياضي الشاعر ومن شعره:

لَيسَ لي صَاحِبٌ مُعِينٌ سِوَى اللَّـ ... ـيْلِ إذا طَالَ بِالصُّدُودِ عَلَيَّا
أَنَا أَشْكُو بَعْدَ الحَبِيبِ إلَيْهِ ... وَهُوَ يَشْكُو بَعْدَ الصَّبَاحِ إلَيَّا

وله أيضاً:

يا مَنْ لَبِسْتُ لِهَجْرِهِ طولَ الضَّنَا ... حَتَّى خَفِيتُ إذا عَنِ العُوَّادِ[1]
وأنستُ بالسهرِ الطويلِ فأنسيتْ ... أجفانُ عيني كيفَ كانَ رقادي
إنْ كَانَ يُوسُفُ[2] بِالجَمَالِ مُقَطِّعَ الـ ... أَيْدِي فَأَنْتَ مُفَتِّتُ الأَكْبَادِ

الواحدي المفسر

علي بن حسن بن أحمد بن علي بن بويه الواحدي.

قال ابن خلكان: لا أدري هذه النسبة إلى ماذا، وهو صاحب التفاسير الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز. قال: ومنه أخذ الغزالي أسماء كتبه. قال: وله أسباب النزول، والتحبير في شرح أسماء الحسنى، وقد شرح ديوان المتنبي، وليس في شروحه مع كثرتها مثله. قال: وقد رزق السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم، وقد أخذ التفسير عن الثعالبي، وقد مرض مدة، ثم كانت وفاته بنيسابور في جمادى الآخرة منها.

ناصر بن محمد

ابن علي أبو منصور التركي الصافري، وهو والد الحافظ محمد بن ناصر، قرأ القرآن، وسمع الكثير، وهو الذي تولى قراءة التاريخ على الخطيب بجامع المنصور، وكان ظريفاً

(١) الضنا: المرض والسقم. والعوّاد: الزوار.
(٢) يوسف: هو النبي عليه السلام.

صبيحاً، مات شاباً دون الثلاثين سنة في ذي القعدة منها، وقد رثاه بعضهم بقصيدة طويلة أوردها كلها في المنتظم ابن الجوزي.

يوسف بن محمد بن الحسن

أبو القاسم الهمداني، سمع وجمع وصنف وانتشرت عنه الرواية، توفي في هذه السنة وقد قارب التسعين.

ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة

فيها كان ابتداء عمارة قلعة دمشق، وذلك أن الملك المعظم اتسز بن أوف الخوارزمي لما انتزع دمشق من أيدي العبيديين في السنة الماضية، شرع في بناء هذا الحصن المنيع بدمشق في هذه السنة وكان في مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلد، باب يعرف بباب الحديد، وهو الباب المقابل لدار رضوان منها اليوم، داخل البركة البرانية منها، وقد ارتفع بعض أبرجتها فلم يتكامل حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تاج الملوك تتش بن ألب أرسلان السلجوقي، فأكملها وأحسن عمارتها، وابتنى بها دار رضوان للملك، واستمرت على ذلك البناء في أيام نور الدين محمود بن زنكي، فلما كان الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب جدد فيها شيئاً، وابتنى له نائبه ابن مقدم فيها داراً هائلة للمملكة، ثم إن الملك العادل أخا صلاح الدين، اقتسم هو وأولاده أبرجتها، فبنى كل ملك منهم برجاً منها جدده وعلاه وأطّده[1] وأكده. ثم جدد الملك الظاهر بيبرس منها البرج الغربي القبلي، ثم ابتنى بعده في دولة الملك الأشرف خليل بن المنصور، نائبه الشجاعي، الطارمة[2] الشمالية والقبة الزرقاء وما حولها وفي المحرم منها مرض الخليفة مرضاً شديداً فأرجف الناس به، فركب حتى رآه الناس جهرة فسكنوا، وفي جمادى الآخرة منها زادت دجلة زيادة كثيرة، إحدى عشرين ذراعاً ونصفاً، فنقل الناس أموالهم وخيف على دار الخلافة، فنقل تابوت القائم بأمر الله ليلاً إلى الترب بالرصافة. وفي شوال منها وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية. وذلك أن ابن القشيري قدم بغداد فجلس يتكلم في النظامية وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم، وساعده أبو سعد الصوفي، ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة ويسأله المعونة عليهم، وذهب جماعة إلى الشريف أبي جعفر بن أبي موسى شيخ الحنابلة، وهو في مسجده، فدافع عنه آخرون، واقتتل الناس بسبب ذلك وقتل رجل خياط من سوق التبن، وجرح آخرون، وثارت الفتنة، وكتب الشيخ أبو إسحاق وأبو بكر الشاشي إلى نظام الملك في كتابه إلى فخر الدولة ينكر ما وقع، ويكره أن ينسب إلى المدرسة التي بناها شيء من ذلك. وعزم الشيخ أبو إسحاق على الرحلة من بغداد غضباً مما وقع من الشر، فأرسل إليه الخليفة يسكنه، ثم جمع بينه وبين الشريف أبي

---

(١) أطّده: وطده ودعمه.

(٢) الطارمة: الناحية.

جعفر وأبي سعد الصوفي، وأبي نصر بن القشيري، عند الوزير فأقبل الوزير على أبي جعفر يعظمه في الفعال والمقال، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق فقال: أنا ذلك الذي كنت تعرفه وأنا شاب، وهذه كتبي في الأصول، ما أقول فيها خلافاً للأشعرية، ثم قبَّل رأس أبي جعفر، فقال له أبو جعفر: صدقت، إلا أنك لما كنت فقيراً لم تظهر لنا ما في نفسك، فلما جاء الأعوان والسلطان وخواجه بزك ـ يعني نظام الملك ـ وشبعت، أبديت ما كان مختفياً في نفسك. وقام الشيخ أبو سعد الصوفي وقبل رأس الشريف أبي جعفر أيضاً وتلطف به، فالتفت إليه مغضباً وقال: أيها الشيخ أما الفقهاء إذا تكلموا في مسائل الأصول فلهم فيها مدخل، وأما أنت فصاحب لهو وسماع وتغبير[1]، فمن زاحمك منا على باطلك؟ ثم قال: أيها الوزير أنى تصلح بيننا؟ وكيف يقع بيننا صلح ونحن نوجب ما نعتقده وهم يحرمون ويكفرون؟ وهذا جد الخليفة القائم والقادر قد أظهرا اعتقادهما للناس على رؤوس الأشهاد على مذهب أهل السنة والجماعة والسلف، ونحن على ذلك كما وافق عليه العراقيون والخراسانيون، وقرىء على الناس في الدواوين كلها، فأرسل الوزير إلى الخليفة يعلمه بما جرى، فجاء الجواب بشكر الجماعة وخصوصاً الشريف أبا جعفر، ثم استدعى الخليفة أبا جعفر إلى دار الخلافة للسلام عليه، والتبرك بدعائه.

قال ابن الجوزي: وفي ذي القعدة منها كثرت الأمراض في الناس ببغداد وواسط والسواد، وورد الخبر بأن الشام كذلك. وفي هذا الشهر أزيلت المنكرات والبغايا ببغداد، وهرب الفساق منها. وفيها ملك حلب نصر بن محمود بن مرداس بعد وفاة أبيه. وفيها تزوج الأمير علي بن أبي منصور بن قرامز بن علاء الدولة بن كالويه الست أرسلان خاتون بنت داود عم السلطان ألب أرسلان، وكانت زوجة القائم بأمر الله. وفيها حاصر الإقسيس صاحب دمشق مصر وضيق على صاحبها المستنصر بالله، ثم كر راجعاً إلى دمشق.

وحج بالناس فيها الأمير جنفل التركي[2] مقطع الكوفة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أسفهدوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمي

الشاعر، لقي أبا عبد الله بن الحجاج وعبد العزيز بن نباتة وغيرهما من الشعراء، وكان شيعياً فتاب، وقال في قصيدة له في ذلك قوله في اعتقاده:

وَإِذَا سُئِلْتُ عَنِ اعْتِقَادِي قُلْتُ مَا ... كَانَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُ الأَبْرَارِ
وَأَقُولُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... صِدِّيقُهُ وَأَنِيسُهُ فِي الغَارِ
ثُمَّ الثَّلاثَةُ بَعْدَهُ خَيْرُ الوَرَى ... أَكْرِمْ بِهِمْ مِنْ سَادَةٍ أَطْهَارِ

(١) التغبير: إثارة الغبار، وهنا يعني الشبهات.
(٢) أي هوتكل، كذا بهامش نسخة الأستانة.

هٰـذا اعْـتِـقَـادِي وَالَّـذِي أَرْجُـو بِـهِ فَـوْزِي وَعِـتْـقِـي مِـنْ عَـذَابِ الـنَّـارِ

طاهر بن أحمد بن بابشاذ

أبو الحسن البصري النحوي، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات من ساعته وذلك في رجب من هذه السنة. قال ابن خلكان: كان بمصر إمام عصره في النحو، وله المصنفات المفيدة من ذلك مقدمته وشرحها وشرح الجمل للزجاجي. قال: وكانت وظيفته بمصر أنه لا تكتب الرسائل في ديوان الإنشاء إلا عرضت عليه فيصلح منها ما فيه خلل ثم تنفذ إلى الجهة التي عينت لها، وكان له على ذلك معلوم وراتب جيد. قال فاتفق أنه كان يأكل يوماً مع بعض أصحابه طعاماً فجاءه قط فرموا له شيئاً فأخذه وذهب سريعاً، ثم أقبل فرموا له شيئاً أيضاً فانطلق به سريعاً ثم جاء فرموا له شيئاً أيضاً فعلموا أنه لا يأكل هذا كله فتتبعوه فإذا هو يذهب به إلى قط آخر أعمى في سطح هناك، فتعجبوا من ذلك، فقال الشيخ: يا سبحان الله هذا حيوان بهيم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره أفلا يرزقني وأنا عبده وأعبده. ثم ترك ما كان له من الراتب وجمع حواشيه وأقبل على العبادة والاشتغال والملازمة في غرفة في جامع عمرو بن العاص، إلى أن مات كما ذكرنا وقد جمع تعليقة في النحو وكان قريباً من خمسة عشر مجلداً، فأصحابه كابن بري وغيره ينقلون منها وينتفعون بها، ويسمونها تعليق الغرفة.

عبد الله بن محمد بن عبد الله

ابن عمر بن أحمد بن المجمع بن محمد بن يحيى بن معبد بن هزار مرد، أبو محمد الصريفيني، ويعرف بابن المعلم، أحد مشايخ الحديث المسندين المشهورين، تفرد فيه عن جماعة من المشايخ لطول عمره، وهو آخر من حدث بالجعديات عن ابن حبانة عن أبي القاسم البغوي عن علي بن الجعد، وهو سماعنا، ورحل إليه الناس بسببه، وسمع عليه جماعة من الحفاظ منهم الخطيب، وكان ثقة محمود الطريقة، صافي الطوية، توفي بصريفين في جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة.

حيان بن خلف

ابن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان أبو مروان القرطبي، ولي بني أمية، صاحب تاريخ المغرب في ستين مجلداً، أثنى عليه الحافظ أبو علي الغساني في فصاحته وصدقه وبلاغته. وقال: سمعته يقول: التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة، والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة.

قال ابن خلكان: توفي في ربيع الأول منها، ورآه بعضهم في المنام فسأله عن حاله فقال: غفر لي. وأما التاريخ فندمت عليه، ولكن الله بلطفه أقالني[١] وعفا عني.

---

(١) أقالني: كفاني وأعفاني.

أبو نصر السجزي الوابلي [عبد الله بن سعيد بن حاتم][(١)]

نسبة إلى قرية من قرى سجستان يقال لها وابل، سمع الكثير وصنف وخرج وأقام بالحرم، وله كتاب الإبانة في الأصول، وله في الفروع أيضاً. ومن الناس من كان يفضله في الحفظ على الصوري.

محمد بن علي بن الحسين

أبو عبد الله الأنماطي، المعروف بابن سكينة، ولد سنة تسعين وثلاثمائة، وكان كثير السماع، ومات عن تسع وسبعين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة

قال ابن الجوزي: في ربيع الأول منها وقعت صاعقة بمحلة النوبة من الجانب الغربي، على نخلتين في مسجد فأحرقت أعاليهما، وصعد الناس فأطفؤوا النار، ونزلوا بالسعف وهو يشتعل ناراً. قال: وورد كتاب من نظام الملك إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في جواب كتابه إليه في شأن الحنابلة، ثم سرده ابن الجوزي ومضمونه: أنه لا يمكن تغيير المذاهب ولا نقل أهلها عنها، والغالب على تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد، ومحله معروف عند الأئمة والناس، وقدره معلوم في السنة. في كلام طويل. قال: وفي شوال منها وقعت فتنة بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية، وحمي لكل من الفريقين طائفة من العوام، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلاً، وجرح آخرون، ثم سكنت الفتنة. قال: وفي تاسع عشر شوال ولد للخليفة المقتدي ولده المستظهر أبو العباس أحمد، وزينت البلاد وجلس الوزير للهناء، ثم في يوم الأحد السادس والعشرين من شوال ولد له ولد آخر وهو أبو محمد هارون. قال: وفيها ولي تاج الدولة أرسلان الشام وحاصر حلب.

وحج بالناس جنفل مقطع الكوفة، وذكر ابن الجوزي أن الوزير ابن جهير كان قد عمل منبراً هائلاً لتقام عليه الخطبة بمكة، فحين وصل إليها إذا الخطبة قد أعيدت للمصريين، فكسر ذلك المنبر وأحرق.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب

ابن أحمد أبو بكر اليربوعي المقري آخر من حدث عن أبي الحسين بن سمعون، وقد كان ثقة متعبداً حسن الطريقة، كتب عنه الخطيب وقال: كان صدوقاً. توفي في هذه السنة عن سبع وثمانين سنة.

---

(١) سقط في ط.

أحمد بن محمد

ابن أحمد بن عبد الله أبو الحسن بن النقور البزاز، أحد المسندين المعمرين تفرد بنسخ كثيرة عن ابن حيان عن البغوي عن أشياخه، كنسخه هدبة وكامل بن طلحة وعمرو بن زرارة وأبي السكن البكري، وكان مكثراً متجّراً وكان يأخذ على إسماع حديث طالوت بن عبادة ديناراً، وقد أفتاه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بجواز أخذ الأجرة على إسماع الحديث، لاشتغاله به عن الكسب. توفي عن تسع وثمانين سنة رحمه الله.

أحمد بن عبد الملك

ابن علي بن أحمد، أبو صالح المؤذن النيسابوري الحافظ، كتب الكثير وجمع وصنف، كتب عن ألف شيخ، وكان يعظ ويؤذن، مات وقد جاوز الثمانين.

عبد الله بن الحسن بن علي

أبو القاسم بن أبي محمد الحلالي، آخر من حدث عن أبي حفص الكناني، وقد سمع الكثير، روى عنه الخطيب ووثقه، توفي عن خمس وثمانين سنة ودفن بباب حرب.

عبد الرحمن بن منده

ابن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم أبو القاسم بن أبي عبد الله الإمام، سمع أباه وابن مردويه وخلقاً في أقاليم شتى، سافر إليها وجمع شيئاً كثيراً، وكان ذا وقار وسمت حسن، واتباع للسنة وفهم جيد، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان مسعد بن محمد الريحاني يقول: حفظ الله الإسلام به، ويعبد الله الأنصاري الهروي. توفي ابن منده هذا بأصبهان عن سبع وثمانين سنة، وحضر جنازته خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل.

عبد الملك بن محمد

ابن عبد العزيز بن محمد بن المظفر بن علي أبو القاسم الهمداني أحد الحفاظ الفقهاء والأولياء، كان يلقب ببجير وقد سمع الكثير، وكان يكثر للطلبة ويقرأ لهم، توفي بالري في المحرم من هذه السنة، ودفن إلى جانب إبراهيم الخواص.

الشريف أبو جعفر الحنبلي

عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، كان أحد الفقهاء العلماء العباد الزهاد المشهورين بالديانة والفضل والعبادة والقيام في الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة، واشتغل على القاضي أبي يعلى بن الفراء، وزكاه شيخه عند ابن الدامغاني فقبله، ثم ترك الشهادة بعد ذلك، وكان مشهوراً بالصلاح والديانة،

وحين احتضر[١] الخليفة القائم بأمر الله أوصى أن يغسله الشريف أبو جعفر هذا وأوصى له بشيء كثير، ومال جزيل، فلم يقبل من ذلك شيئاً، وحين وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية بسبب ابن القشيري اعتقل هو في دار الخلافة مكرماً معظماً، يدخل عليه الفقهاء وغيرهم، ويقبلون يده ورأسه، ولم يزل هناك حتى اشتكى فأذن له في المسير إلى أهله فتوفي عندهم ليلة الخميس النصف في صفر منها، ودفن إلى جانب الإمام أحمد، فاتخذت العامة قبره سوقاً كل ليلة أربعاء يترددون إليه ويقرؤون الختمات عنده حتى جاء الشتاء، وكان جملة ما قرىء عليه وأهدي له عشرة آلاف ختمة والله أعلم.

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو الحسن البيضاوي، أحد الفقهاء الشافعيين بربع الكرخ ودفن عند والده.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

فيها ملك السلطان الملك المظفر تاج الملوك تتش بن ألب أرسلان السلجوقي دمشق وقتل ملكها أقسيس، وذلك أن أقسيس بعث إليه يستنجده على المصريين، فلما وصل إليه لم يركب لتلقيه فأمر بقتله فقتل لساعته، ووجد في خزائنه حجر ياقوت أحمد وزنه سبعة عشر مثقالاً[٢]، وستين حبة لؤلؤ كل حبة منها أزيد من مثقال، وعشرة آلاف دينار ومائتي سرج ذهب وغير ذلك. وقد كان أقسيس هذا هو أتسز بن أوف الخوارزمي، كان يلقب بالمعظم، وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة، وأصحهم سريرة، أزال الرفض عن أهل الشام، وأبطل الأذان بحيَّ على خير العمل، وأمر بالترضي عن الصحابة أجمعين. وعمر بدمشق القلعة التي هي معقل الإسلام بالشام المحروس، فرحمه الله وبل بالرحمة ثراه، وجعل جنة الفردوس مأواه. وفيها عزل الوزير ابن جهير بإشارة نظام الملك، بسبب ممالأته على الشافعية، ثم كاتب المقتدي نظام الملك في إعادته فأعيد ولده وأطلق هو. وفيهما قدم سعد الدولة جوهراً أميراً إلى بغداد وضرب الطبول على بابه في أوقات الصلوات؛ وأساء الأدب على الخليفة، وضرب طوالات[٣] الخيل على باب الفردوس، فكوتب السلطان بأمره فجاء الكتاب من السلطان بالإنكار عليه.

وحج بالناس مقطع الكوفة جنفل التركي أثابه الله.

وممن توفي فيها من الأعيان:

سعد بن علي

ابن محمد بن علي بن الحسين أبو القاسم الزنجاني، رحل إلى الآفاق، وسمع

(١) احتضر: حضره الموت.

(٢) المثقال: من الموازين.

(٣) طوالات الخيل: أي الحبال التي تشدّ بها إلى أماكن ثابتة.

الكثير، وكان إماماً حافظاً متعبداً، ثم انقطع في آخر عمره بمكة، وكان الناس يتبركون به.

قال ابن خلكان الجوزي: ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود.

سليم بن الجوزي

نسبة إلى قرية من قرى دجيل، كان عابداً زاهداً يقال إنه مكث مدة يتقوت كل يوم بزبيبة، وقد سمع الحديث وقرىء عليه رحمه الله.

عبد الله بن شمعون

أبو أحمد الفقيه المالكي القيرواني، توفي ببغداد ودفن بباب حرب والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة

فيها ملك محمود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة قلاعاً كثيرة حصينة من بلاد الهند، ثم عاد إلى بلاده سالماً غانماً. وفيها ولد الأمير أبو جعفر بن المقتدي بالله، وزينت له بغداد وفيها ملك صاحب الموصل الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي بعد وفاة أبيه. وفيها ملك منصور بن مروان بلاد بكر بعد أبيه. وفيها أمر السلطان بتغريق ابن علان اليهودي ضامن البصرة، وأخذ من ذخائره أربعمائة ألف دينار، فضمن خمارتكين البصرة بمائة ألف دينار ومائة فرس في كل سنة. وفيها فتح عبيد الله بن نظام الملك تكريت.

وحج بالناس جنفل التركي وقطعت خطبة المصريين بمكة وخطب للمقتدي والسلطان ملكشاه السلجوقي.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عبد الملك بن الحسن بن أحمد بن حيرون

أبو نصر سمع الكثير وكان زاهداً عابداً، يسرد الصوم، ويختم في كل ليلة ختمة رحمه الله.

محمد بن محمد بن أحمد

ابن الحسين بن عبد العزيز بن مهران العكبري، سمع هلال الحفار، وابن رزقويه والحمامي وغيرهم، وكان فاضلاً جيد الشعر، فمن شعره قوله:

أُطِيلُ الفِكْرَ فِي أيِّ نَاسٍ مَضَوْا قُدُماً وَفِيمَنْ خَلَّفُونا
هُمُ الأحْيَاءُ بَعْدَ المَوْتِ ذِكْراً وَنَحْنُ مِنَ الخُمُولِ المَيِّتُونَا

توفي في رمضان منها وله سبعون سنة.

هياج بن عبد الله

الخطيب الشامي، سمع الحديث وكان أوحد زمانه زهداً وفقهاً واجتهاداً في العبادة، أقام بمكة مدة يفتي أهلها ويعتمر في كل يوم ثلاث مرات على قدميه، ولم يلبس نعلاً منذ أقام بمكة، وكان يزور قبر النبي ﷺ مع أهل مكة ماشياً، وكذلك كان يزور قبر ابن عباس بالطائف، وكان لا يدخر شيئاً، ولا يلبس إلا قميصاً واحداً، ضربه بعض أمراء مكة في بعض فتن الروافض فاشتكى أياماً ومات، وقد نيف على الثمانين رحمه الله، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

فيها استولى تكش أخو السلطان ملك شاه على بعض بلاد خراسان. وفيها أذن للوعاظ في الجلوس للوعظ، وكانوا قد منعوا في فتنة ابن القشيري. وفيها قبض على جماعة من الفتيان كانوا قد جعلوا عليهم رئيساً يقال له عبد القادر الهاشمي، وقد كاتبوه من الأقطار، وكان الساعي له رجلاً يقال له ابن رسول، وكانوا يجتمعون عند جامع براثا، فخيف من أمرهم أن يكونوا ممالئين للمصريين، فأمر بالقبض عليهم.

وحج بالناس جنفل.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن عمر

ابن محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله بن الأخضر المحدث، سمع على ابن شاذان، وكان على مذهب الظاهرية، وكان كثير التلاوة حسن السيرة، متقللاً من الدنيا قنوعاً، رحمه الله.

الصليحي: المتغلب على اليمن، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الملقب بالصليحي، كان أبوه قاضياً باليمن، وكان سنياً، ونشأ هذا فتعلم العلم وبرع في أشياء كثيرة من العلوم، وكان شيعياً على مذهب القرامطة، ثم كان يدل بالحجيج مدة خمس عشرة سنة، وكان اشتهر أمره بين الناس أنه سيملك اليمن، فنجم ببلاد اليمن بعد قتله نجاح صاحب تهامة، واستحوذ على بلاد اليمن بكمالها في أقصر مدة، واستوثق له الملك بها في سنة خمس وخمسين، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر، فلما كان في هذا العام خرج إلى الحج في ألفي فارس، فاعترضه سعيد بن نجاح بالموسم، في نفر يسير، فقاتلهم فقتل هو وأخوه واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله، ومن شعر الصليحي هذا قوله:

أَنْكَحْتُ بِيضَ الهِنْدِ سُمْرَ رِمَاحِهِمْ ... فَرُؤُوسُهُمْ عَرَضُ النِّثَارِ نُثَارُ[1]

---

(١) النثار: القطع.

وَكَذَا العُلاَ لا يُسْتَبَاحُ نِكَاحُهَا ... إلاَّ بِحَيْثُ تُطَلَّقُ الأَعْمَارُ

محمد بن الحسين

ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشِّبْليّ، أبو علي الشاعر البغدادي، أسند الحديث، وله الشعر الرائق فمن قوله:

لا تُظْهِرَنَّ لِعَاذِلٍ أو عاذِرِ ... حَالَيْكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

فَلِرَحْمَةِ المُتَوَجِّعِينَ مَرَارَةٌ ... فِي القَلْبِ مِثْلُ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ

وله أيضاً:

يُفْنِي البَخِيلُ بِجَمْعِ المالِ مُدَّتَهُ ... وَلِلْحَوَادِثِ وَالأيام ما يَدَعُ

كَدُودَةِ القَزِّ ما تَبْنِيهِ يَهدمها ... وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

يوسف بن الحسن

ابن محمد بن الحسن، أبو القاسم العسكري، من أهل خراسان من مدينة زنجان، ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، [وتفقه على مذهب الشافعي ودرس الفقه على الشيخ][1] أبي إسحاق الشيرازي، وكان من أكبر تلامذته، وكان عابداً ورعاً خاشعاً، كثير البكاء عند الذكر، مقبلاً على العبادة، مات وقد قارب الثمانين.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة

فيها ولي أبو كامل منصور بن نور الدولة دبيس ما كان يليه أبوه من الأعمال، وخلع عليه السلطان والخليفة. وفيها ملك شرف الدولة مسلم بن قريش حران، وصالح صاحب الرها. وفيها فتح تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق مدينة أنطرطوس. وفيها أرسل الخليفة ابن جهير إلى السلطان ملك شاه يتزوج ابنته فأجابت أمها بذلك، بشرط أن لا يكون له زوجة ولا سرية سواها، وأن يكون سبعة أيام عندها، فوقع الشرط على ذلك.

وفيها توفي من الأعيان:

داود بن السلطان بن ملك شاه

فوجد عليه أبوه وجداً كثيراً، بحيث إنه كاد أو همّ أن يقتل نفسه، فمنعه الأمراء من ذلك، وانتقل عن ذلك البلد وأمر النساء بالنوح عليه. ولما وصل الخبر لبغداد جلس وزير الخليفة للعزاء.

القاضي أبو الوليد الباجي

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسي الباجي الفقيه المالكي، أحد

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

الحفاظ المكثرين في الفقه والحديث، سمع الحديث ورحل فيه إلى بلاد المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة، فسمع هناك الكثير، واجتمع بأئمة ذلك الوقت، كالقاضي أبي الطيب الطبري، وأبي إسحاق الشيرازي، وجاور بمكة ثلاث سنين مع الشيخ أبي ذر الهروي، وأقام ببغداد ثلاث سنين، وبالموصل سنة عند أبي جعفر السمناني قاضيها، فأخذ عنه الفقه والأصول، وسمع الخطيب البغدادي وسمع منه الخطيب أيضاً، وروى عنه هذين البيتين الحسنين:

إذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْماً يَقِيناً بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَهْ
فَلِمْ لا أكُونُ ضَنِيناً بِهَا وَأَجْعَلُهَا في صَلاحٍ وَطَاعَهْ

ثم عاد إلى بلده بعد ثلاث عشرة سنة، وتولى القضاء هناك، ويقال إنه تولى قضاء حلب أيضاً، قاله ابن خلكان. قال: وله مصنفات عديدة منها المنتقى في شرح الموطأ، وإحكام الفصول في أحكام الأصول، والجرح والتعديل، وغير ذلك، وكان مولده سنة ثلاث وأربعمائة، وتوفي ليلة الخميس بين العشاءين التاسع والعشرين من رجب من هذه السنة، رحمه الله.

أبو الأعز دبيس بن علي بن مَزيَد

الملقب نور الدولة، توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة: مكث منها أميراً نيفاً وستين سنة[1]، وقام بالأمر من بعده ولده أبو كامل، ولقب بهاء الدولة.

عبد الله بن أحمد بن رضوان

أبو القاسم البغدادي، كان من الرؤساء، ومرض بالشقيقة ثلاث سنين، فمكث في بيت مظلم لا يرى ضوءاً ولا يسمع صوتاً.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة

فيها قدم مؤيد الملك فنزل في مدرسة أبيه، وضربت الطبول على بابه في أوقات الصلوات الثلاث. وفيها نفَّذ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رسولاً إلى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك، وكان أبو إسحاق كلما مر على بلدة خرج أهلها يتلقونه بأولادهم ونسائهم، يتبركون به ويتمسحون بركابه، وربما أخذوا من تراب حافر بغلته. ولما وصل إلى ساوة خرج إليه أهلها، وما مر بسوق منها إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم، حتى اجتاز بسوق الأساكفة، فلم يكن عندهم إلا مداسات[2] الصغار فنثروها عليه، فجعل يتعجب من ذلك. وفيها جددت الخطبة لبنت السلطان ملكشاه من جهة الخليفة، فطلبت أمها أربعمائة ألف

(١) كذا في الأصل، وفي النجوم الزاهرة أيضاً، وفي الكامل لابن الأثير أن إمارته كانت سبعاً وخمسين سنة.

(٢) المداسات: جمع مداس، وهو الحذاء.

دينار، ثم اتفق الحال على خمسين ألف دينار. [وأن يكون الصداق مائة ألف دينار][(١)] وفيها حارب السلطان أخاه تتش فأسره ثم أطلقه، واستقرت يده على دمشق وأعمالها وحج بالناس جنفل.

وتوفي فيها من الأعيان:

عبد الوهاب بن محمد

ابن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، أبو عمر الحافظ من بيت الحديث، رحل إلى الآفاق وسمع الكثير، وتوفي بأصبهان في هذه السنة.

ابن ماكولا: الأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف التميمي، الأمير سعد الملك، أبو نصر بن ماكولا، أحد أئمة الحديث وسادات الأمراء، رحل وطاف وسمع الكثير، وصنف الإكمال في المشتبه من أسماء الرجال، وهو كتاب جليل لم يسبق إليه، ولم يلحق فيه، إلا ما استدرك عليه ابن نقطة في كتاب سماه الاستدراك. قتله مماليكه في كرمان في هذه السنة، وكان مولده في سنة عشرين وأربعمائة، وعاش خمساً وخمسين سنة. قال ابن خلكان: وقيل إنه قتل في سنة تسع وسبعين، وقيل في سنة سبع وثمانين [وقيل سنة ست وثمانين][(٢)]. قال: وقد كان أبوه وزير القائم بأمر الله، وعمه عبد الله بن الحسين ولي قضاء بغداد. قال: ولم أدري لم سمي الأمير إلا أن يكون منسوباً إلى جده الأمير أبي دلف، وأصله من جرباذقان، وولد في عكبرا في شعبان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة. قال: وقد كان الخطيب البغدادي صنف كتاب المؤتنف جمع فيه بين كتابي الدارقطني وعبد الغني بن سعيد في المؤتلف والمختلف، فجاء ابن ماكولا وزاد على الخطيب وسماه كتاب الإكمال، وهو في غاية الإفادة ورفع الالتباس والضبط. ولم يوضع مثله، ولا يحتاج هذا الأمير بعده إلى فضيلة أخرى، ففيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه وتحريره وإتقانه. ومن الشعر المنسوب إليه قوله:

قَـوِّضْ خِـيـامَـكَ عَـنْ أَرْضٍ تُـهَـانُ بِـهَـا ... وَجَـانِـبِ الـذُّلَّ إنَّ الـذُّلَّ يُـجْـتَـنَـبُ[(٣)]

وَارْحَـلْ إذَا كَـانَ فـي الأَوْطَـانِ مَـنْـقَـصَـةٌ ... فَـالـمَـنْـدَلُ الـرَّطْـبُ في أوْطَـانِـهِ حَـطَـبُ[(٤)]

ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة

فيها عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخلافة فسار بأهله وأولاده إلى السلطان، وقصدوا نظام الملك وزير السلطان، فعقد لولده فخر الدولة على بلاد ديار بكر، فسار إليها بالخلع والكوسات[(٥)] والعساكر، وأمر أن ينتزعها من ابن مروان، وأن يخطب لنفسه وأن يذكر اسمه على السكة، فما زال حتى انتزعها من أيديهم، وباد ملكهم على يديه كما سيأتي

---

(١) (٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٣) قوّض خيامك: اهدمها.

(٤) المندل: العود الطيب الرائحة.

(٥) الكوسات: الطبول.

بيانه، وسد وزارة الخلافة أبو الفتح مظفر ابن رئيس الرؤساء، ثم عزل في شعبان واستوزر أبو شجاع محمد بن الحسين، ولقب ظهير الدين، وفي جمادى الآخرة ولي مؤيد الملك أبو سعيد عبد الرحمن بن المأمون، المتولي تدريس النظامية بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله. وفيها عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش، فجاء فحاصرها ففتحها وهدم سورها وصلب قاضيها ابن حلبة وابنيه على السور. وفي شوال منها قتل أبو المحاسن بن أبي الرضا، وذلك لأنه وشى إلى السلطان في نظام الملك، وقال له سلمهم إليّ حتى استخلص لك منهم ألف ألف دينار، فعمل نظام الملك سماطاً هائلاً، واستحضر غلمانه وكانوا ألوفاً من الأتراك، وشرع يقول للسلطان: هذا كله من أموالك، وما وقفته من المدارس والربط، وكله شكره لك في الدنيا وأجره لك في الآخرة، وأموالي وجميع ما أملكه بين يديك، وأنا أقنع بمرقعة وزاوية فعند ذلك أمر السلطان بقتل أبي المحاسن، وقد كان خطياً عنده، وخصيصاً به وجيهاً لديه، وعزل أباه عن كتابة الطغراء وولاها مؤيد الملك.

وحج بالناس الأمير جنفل التركي مقطع الكوفة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الشيخ أبو إسحاق الشيرازي

إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآباذي، وهي قرية من قرى فارس، وقيل هي مدينة خوارزم، شيخ الشافعية، ومدرس النظامية ببغداد، ولد سنة ثلاث وقيل ستّ وتسعين وثلاثمائة، وتفقه بفارس على أبي عبد الله البيضاوي، ثم قدم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة، فتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وسمع الحديث من ابن شاذان والبرقاني، وكان زاهداً عابداً ورعاً، كبير القدر معظماً محترماً إماماً في الفقه والأصول والحديث، وفنون كثيرة، وله المصنفات الكثيرة النافعة، كالمهذب في المذهب، والتنبيه، والنكت في الخلاف، واللمع في أصول الفقه، والتبصرة، وطبقات الشافعية وغير ذلك. قلت: وقد ذكرت ترجمته مستقصاة مطولة في أول شرح التنبيه، توفي ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة في دار أبي المظفر ابن رئيس الرؤساء، وغسله أبو الوفا بن عقيل الحنبلي وصلى عليه بباب الفردوس من دار الخلافة، وشهد الصلاة عليه المقتدي بأمر الله، وتقدم للصلاة عليه أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء، وكان يومئذٍ لابساً ثياب الوزارة، ثم صلى عليه مرة ثانية بجامع القصر، ودفن بباب إبرز في تربة مجاورة للناحية رحمه الله تعالى، وقد امتدحه الشعراء في حياته، وبعد وفاته، وله شعر رائق، فمما أنشده ابن خلكان من شعره قوله:

سَألْتُ النَّاسَ عَنْ خِلٍّ وَفِيٍّ ... فَقَالُوا مَا إلَى هٰذا سَبِيلُ
تَمَسَّكْ إنْ ظَفِرْتَ بِذَيْلِ حُرٍّ ... فَإنَّ الحُرَّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلُ

قال ابن خلكان: ولما توفي عمل الفقهاء عزاءه بالنظامية، وعين مؤيّد الملك أبا سعد المتولي مكانه، فلما بلغ الخبر إلى نظام الملك كتب يقول: كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر بن الصباغ في مكانه.

طاهر بن الحسين

ابن أحمد بن عبد الله القواس، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري وأفتى ودرس، وكانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة والفتوى، وكان ثقة ورعاً زاهداً ملازماً لمسجده خمسين سنة، توفي عن ست وثمانين سنة، ودفن قريباً من الإمام أحمد، رحمه الله وإيانا.

محمد بن أحمد بن إسماعيل

أبو طاهر الأنباري الخطيب، ويعرف بابن أبي الصفر، طاف البلاد وسمع الكثير، وكان ثقة صالحاً فاضلاً عابداً، وقد سمع منه الخطيب البغدادي، وروى عنه مصنفاته، توفي بالأنبار في جمادى الآخرة عن نحو من مائة سنة، رحمه الله.

محمد بن أحمد بن الحسين بن جرادة

أحد الرؤساء ببغداد، وهو من ذوي الثروة والمروءة، كان يحرز ماله بثلاثمائة ألف دينار، وكان أصله من عكبرا فسكن بغداد، وكانت له بها دار عظيمة تشتمل على ثلاثين مسكناً مستقلاً، وفيها حمام وبستان، ولها بابان، على كل باب مسجد، إذا أذن المؤذن في إحداهما لا يسمع من الآخر من اتساعها، وقد كانت زوجة الخليفة القائم حين وقعت فتنة البساسيري في سنة خمسين وأربعمائة، نزلت عنده في جواره، فبعث إلى الأمير قريش بن بدران أمير العرب بعشرة آلاف دينار، ليحمي له داره، وهو الذي بنى المسجد المعروف به ببغداد، وقد ختم فيه القرآن ألوف من الناس، وكان لا يفارق زي التجار. وكانت وفاته في عاشر ذي القعدة من هذه السنة، ودفن في التربة المجاورة لتربة القزويني، رحمه الله سبحانه وتعالى وإيانا آمين.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة

فيها كانت الحرب بين فخر الدولة بن جهير وزير الخليفة وبين ابن مروان صاحب ديار بكر، فاستولى ابن جهير على ملك العرب وسبى حريمهم وأخذ البلاد ومعه سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، فافتدى خلقاً من العرب فشكره الناس على ذلك، وامتدحه الشعراء. وفيها بعث السلطان عميد الدولة ابن جهير في عسكر كثيف ومعه قسيم الدولة اقسنقر جد بني أتابك ملوك الشام والموصل، فسارا إلى الموصل فملكوها. وفي شعبان منها ملك سليمان بن قتلمش أنطاكية، فأراد شرف الدولة مسلم بن قريش أن يستنقذها منه، فهزمه سليمان وقتله، وكان مسلم هذا من خيار الملوك سيرة، له

في كل قرية وال وقاض وصاحب خبر، وكان يملك من السندية إلى منبج. وولي بعده أخوه إبراهيم بن قريش، وكان مسجوناً من سنين فأطلق وملك وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه في العشرين من رجب بسنجار. وفيها عصى تكش أخو السلطان فأخذه السلطان فسمله وسجنه.

وحج بالناس في هذه السنة الأمير خمارتكين الحسناني، وذلك لشكوى الناس من شدة سير جنفل بهم، وأخذ المكوسات منهم، سافر مرة من الكوفة إلى مكة في سبعة عشر يوماً.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن دوبست: أبو سعيد النيسابوري، شيخ الصوفية، له رباط بمدينة نيسابور يدخل من بابه الجمل براكبه، وحج مرات على التجريد على البحرين، حين انقطعت طريق مكة، وكان يأخذ جماعة من الفقراء ويتوصل من قبائل العرب حتى يأتي مكة، توفي في هذه السنة وقد جاوز التسعين، رحمه الله وإيانا، وأوصى أن يخلفه ولده إسماعيل فأجلس في مشيخة الرباط [وله اثنتا عشرة سنة وهو الذي وقف الأوقاف على الرباط والله أعلم](1).

ابن الصباغ

صاحب الشامل، عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر، الإمام أبو نصر بن الصباغ ولد سنة أربعمائة، وتفقه ببغداد على أبي الطيب الطبري حتى فاق الشافعية بالعراق، وصنف المصنفات المفيدة، منها الشامل في المذهب، وهو أول من درس بالنظامية، توفي في هذه السنة ودفن بداره في الكرخ، ثم نقل إلى باب حرب رحمه الله.

قال ابن خلكان: كان فقيه العراقيين، وكان يضاهي أبا إسحاق، وكان ابن الصباغ أعلم منه بالمذهب، وإليه الرحلة فيه، وقد صنف الشامل في الفقه والعمدة في أصول الفقه، وتولى تدريس النظامية أولاً، ثم عزل بعد عشرين يوماً بالشيخ أبي إسحاق، فلما مات الشيخ أبو إسحاق تولاها أبو سعد المتولي، ثم عزل ابن الصباغ بابن المتولي، وكان ثقة حجة صالحاً، ولد سنة أربعمائة، أضر في آخر عمره، رحمه الله وإيانا.

مسعود بن ناصر

ابن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل، أبو سعيد الشحري الحافظ، رحل في الحديث وسمع الكثير، وجمع الكتب النفيسة، وكان صحيح الخط، صحيح النقل، حافظاً ضابطاً، رحمه الله وإيانا.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

في المحرم منها زلزلت ارجان فهلك خلق كثير من الروم ومواشيهم. وفيها كثرت

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

الأمراض بالحمى والطاعون بالعراق والحجاز والشام، وأعقب ذلك موت الفجأة، ثم ماتت الوحوش في البراري ثم تلاها موت البهائم، حتى عزت الألبان واللحمان، ومع هذا كله وقعت فتنة عظيمة بين الرافضة والسنة فقتل خلق كثير فيها. وفي ربيع الأول هاجت ريح سوداء وسفت رملاً، وتساقطت أشجار كثيرة من النخل وغيرها، ووقعت صواعق في البلاد حتى ظن بعض الناس أن القيامة قد قامت، ثم انجلى ذلك ولله الحمد. وفيها ولد للخليفة ولده أبو عبد الله الحسين، وزينت بغداد وضربت الطبول والبوقات، وكثرت الصدقات. وفيها استولى فخر الدولة بن جهير على بلاد كثيرة، منها آمد وميافارقين، وجزيرة ابن عمر، وانقضت بنو مروان على يده في هذه السنة. وفي ثاني عشر رمضان منها ولي أبو بكر محمد بن المظفر الشامي قضاء القضاة ببغداد، بعد وفاة أبي عبد الله الدامغاني، وخلع عليه في الديوان. وحج بالناس جنفل، وزار النبي ﷺ ذاهباً وآيباً. قال: أظن أنها آخر حجتي. وكان كذلك. وفيها خرج توقيع الخليفة المقتدي بأمر الله بتجديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل محلة، وإلزام أهل الذمة بلبس الغيار، وكسر آلات الملاهي، وإراقة الخمور، وإخراج أهل الفساد من البلاد، أثابه الله ورحمه.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن الحسن

ابن محمد بن إبراهيم بن أبي أيوب، أبو بكر الفوركي، سبط الأستاذ أبي بكر بن فورك، استوطن بغداد وكان متكلماً يعظ الناس في النظامية، فوقعت بسببه فتنة بين أهل المذاهب.

قال ابن الجوزي: وكان مؤثراً للدنيا لا يتحاشى من لبس الحرير، وكان يأخذ مكس الفحم ويوقع العداوة بين الحنابلة والأشاعرة، مات وقد ناف على الستين سنة، ودفن إلى جانب قبر الأشعري بمشرعة الزوايا.

الحسن بن علي

أبو عبد الله المردوسي، كان رئيس أهل زمانه، وأكملهم مروءة، كان خدم في أيام بني بويه وتأخر لهذا الحين، وكانت الملوك تعظمه وتكاتبه بعبده وخادمه، وكان كثير الصدقة والصّلات والبر، وبلغ من العمر خمساً وتسعين سنة، وأعد لنفسه قبراً وكفناً قبل موته بخمس سنين.

أبو سعد المتولي

عبد الرحمن بن المأمون بن علي أبو سعد المتولي: مصنف التتمة، ومدرس النظامية بعد أبي إسحاق الشيرازي، وكان فصيحاً بليغاً، ماهراً بعلوم كثيرة، كانت وفاته في شوال من هذه السنة وله ستة وخمسون سنة، رحمه الله وإيانا، وصلى عليه القاضي أبو بكر الشاشي

ودفن بباب إبرز.

إمام الحرمين: عبد الملك ابن [الشيخ أبي محمد] عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، أبو المعالي الجويني، وجوين من قرى نيسابور، الملقب بإمام الحرمين، لمجاورته بمكة أربع سنين، كان مولده في تسع عشرة وأربعمائة، سمع الحديث وتفقه على والده الشيخ أبي محمد الجويني، ودرس بعده في حلقته، وتفقه على القاضي حسين، ودخل بغداد وتفقه بها، وروى الحديث وخرج إلى مكة فجاور فيها أربع سنين، ثم عاد إلى نيسابور فسلم إليه التدريس والخطابة والوعظ، وصنف نهاية المطلب في دراية المذهب، والبرهان في أصول الفقه، وغير ذلك في علوم شتى، واشتغل عليه الطلبة ورحلوا إليه من الأقطار، وكان يحضر مجلسه ثلاثمائة متفقه، وقد استقصيت ترجمته في الطبقات؛ وكانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، ودفن بداره ثم نقل إلى جانب والده.

قال ابن خلكان: كانت أمه جارية اشتراها والده من كسب يده من النسخ، وأمرها أن لا تدع أحداً يرضعه غيرها، فاتفق أن امرأة دخلت عليها فأرضعته مرة فأخذه الشيخ أبو محمد فنكسه ووضع يده على بطنه ووضع أصبعه في حلقه ولم يزل به حتى قاء ما في بطنه من لبن تلك المرأة. قال: وكان إمام الحرمين ربما حصل له في مجلسه في المناظرة فتور[١] ووقفة فيقول: هذا من آثار تلك الرضعة. قال: ولما عاد من الحجاز إلى بلده نيسابور سلم إليه المحراب والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة، وبقي ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، وصنف في كل فن، وله النهاية التي ما صنف في الإسلام مثلها.

قال الحافظ أبو جعفر: سمعت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي يقول لإمام الحرمين: يا مفيد أهل المشرق والمغرب، أنت اليوم إمام الأئمة. ومن تصانيف الشامل في أصول الدين، والبرهان في أصول الفقه، وتلخيص التقريب، والإرشاد، والعقيدة النظامية، وغياث الأمم[٢] وغير ذلك مما سماه ولم يتمه. وصلى عليه ولده أبو القاسم وغلقت الأسواق وكسر تلاميذه أقلامهم. وكانوا أربعمائة ـ ومحابرهم ومكثوا كذلك سنة، وقد رثي بمراثي كثيرة فمن ذلك قول بعضهم:

قُلُوبُ العَالَمِينَ عَلَى المَقَالِي[٣] ... وَأَيَّامُ الوَرَى شِبْهُ اللَّيَالِي

أَيُثْمِرُ غُصْنُ أَهْلِ العِلْمِ يَوْماً ... وَقَدْ مَاتَ الإِمَامُ أَبُو المَعَالِي

---

(١) الفتور: الضعف والإعياء.

(٢) عدّ ابن خلكان من تصانيف إمام الحرمين: «لا مغيث الخلق في اختيار الحق» ولكن لو كان هذا الكتاب من مؤلفاته لذكره ابن كثير، وهو متأخر عن ابن خلكان. فهذا الكتاب مدسوس على إمام الحرمين.

(٣) على المقالي: أي على النار.

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد

أبو علي بن الوليد، شيخ المعتزلة، كان مدرساً لهم فأنكر ذلك أهل السنة عليه، فلزم بيته خمسين سنة إلى أن توفي في ذي الحجة منها، ودفن في مقبرة الشونيزي، وهذا هو الذي تناظر هو والشيخ أبو يوسف القزويني المعتزلي المفسر في إباحة الولدان في الجنة، وأنه يباح لأهل الجنة وطء الولدان في أدبارهم، كما حكى ذلك ابن عقيل عنهما، وكان حاضرهما، فمال هذا إلى إباحة ذلك، لأنه مأمون المفسدة هنالك، وقال أبو يوسف: إن هذا لا يكون لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومن أين لك أن يكون لهم أدبار؟ وهذا العضو. وهو الدبر ـ إنما خلق في الدنيا لحاجة العباد إليه، لأنه مخرج للأذى عنهم، وليس في الجنة شيء من ذلك، وإنما فضلات أكلهم عرق يفيض من جلودهم، فإذا هم ضمر[1] فلا يحتاجون إلى أن يكون لهم أدبار، ولا يكون لهذه المسألة صورة بالكلية. وقد روى هذا الرجل حديثاً واحداً عن شيخه أبي الحسين البصري بسنده المتقدم، من طريق شعبة عن منصور عن ربعي عن أبي مسعود البدري أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» وقد رواه القعنبي عن شعبة، ولم يرو عنه سواه، فقيل: إنه لما رحل إليه دخل عليه وهو يبول في البالوعة فسأله أن يحدثه فامتنع، فروى له هذا الحديث كالواعظ له به، والتزم أن لا يحدثه بغيره، وقيل: لأن شعبة مرّ على القعنبي قبل أن يشتغل بعلم الحديث ـ وكان إذ ذاك يعاني الشراب ـ فسأله أن يحدثه فامتنع، فسلّ سكيناً وقال: إن لم تحدثني وإلا قتلتك، فروى له هذا الحديث، فتاب وأناب، ولزم مالكاً، ثم فاته السماع من شعبة فلم يتفق له عنه غير هذا الحديث فالله أعلم.

أبو عبد الله الدامغاني القاضي

محمد بن علي بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه الدامغاني، قاضي القضاة ببغداد، مولده في سنة ثمان عشرة وأربعمائة، فتفقه بها على أبي عبد الله الصيمري، وأبي الحسن القدوري، وسمع الحديث منهما ومن ابن النقور والخطيب وغيرهم، وبرع في الفقه، وكان له عقل وافر، وتواضع زائد، وانتهت إليه رياسة الفقهاء، وكان فصيحاً كثير العبادة، وقد كان فقيراً في ابتداء طلبه، عليه أطمار رثة، ثم صارت إليه الرياسة والقضاء بعد ابن ماكولا، في سنة تسع وأربعين وكان القائم بأمر الله يكرمه، والسلطان طغرلبك يعظمه، وباشر الحكم ثلاثين سنة في أحسن سيرة، وغاية الأمانة والديانة، مرض أياماً يسيرة ثم توفي في الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة، وقد ناهز الثمانين، ودفن بداره بدرب العلابين، ثم نقل إلى مشهد أبي حنيفة رحمه الله.

محمد بن علي بن المطلب

أبو سعد الأديب، كان قد قرأ النحو والأدب واللغة والسير وأخبار الناس، ثم أقلع عن

(١) ضُمَّرٌ: جمع ضامر، وهو الهزيل.

ذلك كله، وأقبل على كثرة الصلاة والصدقة والصوم، إلى أن توفي في هذه السنة عن ست وثمانين سنة رحمه الله.

محمد بن طاهر العباسي

ويعرف بابن الرجيحي، تفقه على ابن الصباغ، وناب في الحكم، وكان محمود الطريقة، وشهد عند ابن الدامغاني فقبله.

منصور بن دبيس

ابن علي بن مزيد، أبو كامل الأمير بعد سيف الدولة، كان كثير الصلاة والصدقة، توفي في رجب في هذه السنة، وكان له شعر وأدب، وفيه فضل فمن شعره قوله:

إذا أنَا لَمْ أَحْمِلْ عَظِيماً وَلَمْ أَقُدْ لُهَاماً[1] وَلَمْ أَصْبِرْ عَلَى كُلِّ مُعْظَمِ
وَلَمْ أَحْجُزِ الجَانِي وَأَمْنَعْ جَوْزَهُ غَدَاةَ أُنَادِي لِلْفَخَارِ فَأَنْتَمِي
فَلاَ نَهَضَتْ بِي هِمَّةٌ عَرَبِيَّةٌ إلى المَجْدِ تَرْقَى بِي ذُرَى كُلِّ محرمِ

هبة الله بن أحمد أبو الحسم بن المسيبي: [قاضي الحريم بنهر معلى، و] مؤدي الخليفة المقتدي بأمر الله، سمع الحديث، وتوفي في محرم هذه السنة، وقد جاوز الثمانين، وله شعر جيد، فمنه قوله:

رَجَوْتُ الثَّمَانِينَ مِنْ خَالِقِي لِمَا جَاءَ فِيهَا عَنِ المُصْطَفَى
فَبَلَّغَنِيهَا فَشُكْراً لَهُ وَزَادَ ثَلاثاً بِهَا إذ وَفَى
وَإِنِّي لَمُنْتَظِرٌ وَعْدَهُ لِيُنْجِزَهُ لِي، فَهو أَهْلُ الوَفَا

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

وفيها كانت الوقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية، فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه بخنجر كانت معه، فسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب فملكها، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها، مثل حران والرها وقلعة جعبر، وكان جعبر شيخاً كبيراً قد عمي، وله ولدان، وكان قطاع الطريق يلجؤون إليها فيتحصنون بها، فراسل السلطان سابق بن جعبر في تسليمها فامتنع عليه، فنصب عليها المناجيق والعرادات ففتحها وأمر بقتل سابق، فقالت زوجته: لا تقتله حتى تقتلني معه، فألقاه من رأسها فتكسر، ثم أمر بتوسيطهم بعد ذلك فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت، فلامها بعض الناس فقالت: كرهت أن يصل إلي التركي فيبقى ذلك عاراً علي، فاستحسن منها ذلك، واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة أقسنقر التركي وهو

(١) اللهام: الجيش العظيم.

جد نور الدين الشهيد، واستناب على الرحبة وحران والرقة وسروج والخابور: محمد بن شرف الدولة مسلم وزوجه بأخته زليخا خاتون، وعزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر، وسلمها إلى العميد أبي علي البلخي، وخلع على سيف الدولة صدقة بن دبيس الأسدي، وأقره على عمل أبيه، ودخل بغداد في ذي القعدة من هذه السنة، وهي أول دخلة دخلها، فزار المشاهد والقبور ودخل على الخليفة فقبل يده ووضعها على عينيه، وخلع عليه الخليفة خلعاً سنية، وفوض إليه أمور الناس، واستعرض الخليفة أمراءه ونظام الملك واقف بين يديه، يعرفه بالأمراء واحداً بعد واحد، باسمه وكم جيشه وأقطاعه، ثم أفاض عليه الخليفة خلعاً سنية، خرج من بين يديه فنزل بمدرسة النظامية، ولم يكن رآها قبل ذلك، فاستحسنها إلا أنه استصغرها، واستحسن أهلها ومن بها وحمد الله وسأل الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، ونزل بخزانة كتبها وأملى جزءاً من مسموعاته، فسمعه المحدثون منه، وورد الشيخ أبو القاسم علي بن الحسين الحسني الدبوسي إلى بغداد في تجمل عظيم، فرتب مدرساً بالنظامية بعد أبي سعد المتولي.

وفي ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر وأذن فيها وفي هذه السنة كانت زلازل هائلة بالعراق والجزيرة والشام، فهدمت شيئاً كثيراً من العمران، وخرج أكثر الناس إلى الصحراء ثم عادوا ـ وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسناني، وقطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة، وقلعت الصفائح التي على باب الكعبة التي عليها ذكر الخليفة المصري، وجدد غيرها عليها، وكتب عليها اسم المقتدي.

قال ابن الجوزي: وظهر رجل بين السندية وواسط يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى، يفتح القفل في أسرع مدة، ويغوص دجلة في غوصتين، ويقفز القفزة خمسة وعشرين ذراعاً، ويتسلق الحيطان الملس، ولا يقدر عليه أحد، وخرج من العراق سالماً. قال: وفيها توفي فقير المنصور فوجد في مرقعته ستمائة دينار مغربية، أي صحاحاً كباراً، من أحسن الذهب. قال وفيها عمل سيف الدولة صدقة سماطاً للسلطان جلال الدولة أبي الفتح ملكشاه، اشتمل على ألف رأس من الغنم، ومائة جمل وغيرها، ودخله عشرون ألف منّ من السكر، وجعل عليه من أصناف الطيور والوحوش، ثم أردفه من السكر شيء كثير، فتناول السلطان بيده منه شيئاً يسيراً، ثم أشار فانتهب عن آخره، ثم انتقل من ذلك المكان إلى سرادق عظيم لم ير مثله من الحرير، وفيه خمسمائة قطعة من الفضة، وألوان من تماثيل الندّ[1] والمسك والعنبر وغير ذلك، فمد فيه سماطاً خاصاً فأكل السلطان حينئذٍ، وحمل إليه عشرين ألف دينار، وقدم إليه ذلك السرادق بما فيه بكماله، وانصرف والله أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

---

(١) الندّ: عود يتبخر به.

الأمير جعبر بن سابق القشيري

الملقب بسابق الدين، كان قد تملك قلعة جعبر مدة طويلة فنسبت إليه وإنما كان يقال لها قبل ذلك الدوسرية، نسبة إلى غلام النعمان بن المنذر، ثم إن هذا الأمير كبر وعمي، وكان له ولدان يقطعان الطريق، فاجتاز به السلطان ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقي وهو ذاهب إلى حلب فأخذ القلعة وقتله كما تقدم.

الأمير جنفل قتلغ

أمير الحاج، كان مقطَعاً للكوفة وله وقعات مع العرب أعربت عن شجاعته، وأرعبت قلوبهم وشتتهم في البلاد شذر مذر، وقد كان حسن السيرة محافظاً على الصلوات، كثير التلاوة، وله آثار حسنة بطريق مكة، في إصلاح المصانع والأماكن التي يحتاج إليها الحجاج وغيرهم، وله مدرسة على الحنفية بمشهد يونس بالكوفة، وبنى مسجداً بالجانب الغربي من بغداد على دجلة، بمشرعة الكرخ. توفي في جمادى الأولى منها رحمه الله، ولما بلغ نظام الملك وفاته قال: مات ألف رجل، والله أعلم.

علي بن فضال المشاجعي

أبو علي النحوي المغربي، له المصنفات الدالة على علمه وغزارة فهمه وأسند الحديث توفي في ربيع الأول منها ودفن بباب إبرز.

علي بن أحمد التستري

كان مقدم أهل البصرة في المال والجاه، وله مراكب تعمل في البحر، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفرد برواية سنن أبي داود. توفي في رجب منها.

يحيى بن إسماعيل الحسيني: كان فقيهاً على مذهب زيد بن علي بن الحسين، وعنده معرفة بالأصول والحديث والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة [من الهجرة النبوية](١)

في المحرم منها نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة المكرمة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي، عليها أواني الذهب والفضة، وعلى أربع وسبعين بغلاً مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقاً من الفضة، فيها أنواع الجواهر والحلي، وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرساً عليها مراكب الذهب، مرصعة بالجواهر، ومهد عظيم مجلل بالديباج الملكي عليه صفائح الذهب مرصع بالجوهر، وبعث الخليفة لتلقيهم الوزير أبا شجاع، وبين يديه نحو من

(١) سقط في ط.

ثلاثمائة موكبية غير المشاعل لخدمة الست خاتون امرأة السلطان تركان خاتون، حماة الخليفة، وسألها أن تحمل الوديعة الشريفة إلى دار الخلافة، فأجابت إلى ذلك، فحضر الوزير نظام الملك وأعيان الأمراء وبين أيديهم من الشموع والمشاعل ما لا يحصى، وجاءت نساء الأميرات كل واحدة منهن في جماعتها وجواريها وبين أيديهن الشموع والمشاعل، ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان زوجة الخليفة بعد الجميع، في محفة مجللة، وعليها من الذهب والجواهر ما لا تحصى قيمته، وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية تركية، بالمراكب المزينة العجيبة مما يبهرن الأبصار، فدخلت دار الخلافة على هذه الصفة، وقد زين الحريم الطاهر وأشعلت فيه الشموع، وكانت ليلة مشهودة للخليفة، هائلة جداً، فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان ومد سماطاً لم ير مثله، عم الحاضرين والغائبين، وخلع على الخاتون زوجة السلطان أم العروس، وكان أيضاً يوماً مشهوداً، وكان السلطان متغيباً في الصيد، ثم قدم بعد أيام، وكان الدخول بها في أول السنة، ولدت من الخليفة في ذي القعدة ولداً ذكراً زينت له بغداد. وفيها ولد للسلطان ملكشاه ولد سماه محموداً، وهو الذي ملك بعده. وفيها جعل السلطان ولده أبا شجاع أحمد ولي العهد من بعده، ولقبه ملك الملوك، عضد الدولة، وتاج الملة، عدة أمير المؤمنين، وخطب له بذلك على المنابر، ونثر الذهب على الخطباء عند ذكر اسمه. وقيل شرع في بناء التاجية في باب إبرز وعملت بستان وغرست النخيل والفواكه هنالك وعمل سور بأمر السلطان والله أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إسماعيل بن إبراهيم

ابن موسى بن سعيد، أبو القاسم النيسابوري، رحل في الحديث إلى الآفاق حتى جاوز ما وراء النهر، وكان له حظ وافر في الأدب، ومعرفة العربية، توفي بنيسابور في جمادى الأولى من هذه السنة.

طاهر بن الحسين البندنيجي: أبو الوفا الشاعر، له قصيدتان في مدح نظام الملك إحداهما معجمة والأخرى غير منقوطة، أولها:

لامُوا وَلَوْ عَلِمُوا ما اللَّوْمُ مَا لامُوا ... وَرَدَّ لَوْمَهُمُ هَمٌّ وَآلامُ

توفي ببلده في رمضان عن نيف وسبعين سنة.

محمد ابن أمير المؤمنين المقتدي

عرض له جدري فمات فيها وله تسع سنين، فحزن عليه والده والناس، وجلسوا للعزاء، فأرسل إليهم يقول: إن لنا في رسول الله أسوة حسنة، حين توفي ابنه إبراهيم، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة:١٥٦] ثم عزم على الناس فانصرفوا.

محمد بن محمد بن زيد

ابن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن الحسيني، الملقب بالمرتضى ذي الشرفين، ولد سنة خمس وأربعمائة، وسمع الحديث الكثير، وقرأ بنفسه على الشيوخ، وصحب الحافظ أبا بكر الخطيب، فصارت له معرفة جيدة بالحديث، وسمع عليه الخطيب شيئاً من مروياته، ثم انتقل إلى سمرقند وأملى الحديث بأصبهان وغيرها، وكان يرجع إلى عقل كامل، وفضل ومروءة، وكانت له أموال جزيلة، وأملاك متسعة، ونعمة وافرة، يقال إنه ملك أربعين قرية، وكان كثير الصدقة والبر والصلة للعلماء والفقراء، وبلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار غير العشور، وكان له بستان ليس لملك مثله، فطلبه منه ملك ما وراء النهر، واسمه الخضر بن إبراهيم، عارية ليتنزه فيه، فأبى عليه وقال: أعيره إياه ليشرب فيه الخمر بعد ما كان مأوى أهل العلم والحديث والدين؟ فأعرض عنه السلطان وحقد عليه، ثم استدعاه إليه ليستشيره في بعض الأمور على العادة، فلما حصل عنده قبض عليه وسجنه في قلعته، واستحوذ على جميع أملاكه وحواصله وأمواله، وكان يقول: ما تحققت صحة نسبي إلا في هذه المصادرة: فإني ربيت في النعيم فكنت أقول: إن مثلي لا بد أن يبتلى، ثم منعوه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله [في القلعة فأخرجوه فدفنوه هناك وقبره يزار أكرم الله مثواه وبلّ بالرحمة ثراه وجعل جنة الفردوس منقلبه ومثواه][1].

محمد بن هلال بن الحسن

أبو الحسن الصابي، الملقب بغرس النعمة، سمع أباه وابن شاذان، وكانت له صدقة كثيرة، ومعروف، وقد ذيل على تاريخ أبيه الذي ذيله على تاريخ ثابت بن سنان، الذي ذيله على تاريخ ابن جرير الطبري، وقد أنشأ داراً ببغداد، ووقف فيها أربعة آلاف مجلد، في فنون من العلوم، وترك حين مات سبعين ألف دينار، ودفن بمشهد علي.

هبة الله بن علي

ابن محمد بن أحمد بن المجلي أبو نصر، جمع خطباً ووعظاً، وسمع الحديث على مشايخ عديدة، وتوفي شاباً قبل أوان الرواية.

أبو بكر بن عمر أمير الملثمين

كان في أرض فرغانة، اتفق له من الناموس ما لم يتفق لغيره من الملوك، كان يركب معه إذا سار لقتال عدو خمسمائة ألف مقاتل، كان يعتقد طاعته، وكان هذا يقيم الحدود ويحفظ محارم الإسلام، ويحوط الدين ويسير في الناس سيرة شرعية، مع صحة اعتقاده ودينه وموالاة الدولة العباسية، أصابته نشابة في بعض غزواته في حلقه فقتلته في هذه السنة.

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

فاطمة بنت علي

المؤدبة الكاتبة، وتعرف ببنت الأقرع، سمعت الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره، وكانت تكتب الخط المنسوب على طريقة ابن البواب، ويكتب الناس عليها، وبخطها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم، وكتبت مرة إلى عميد الملك الكندري رقعة فأعطاها ألف دينار، توفيت في المحرم من هذه السنة ببغداد، ودفنت بباب إبرز.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

فيها كانت فتن عظيمة ببغداد بين الروافض والسنة ببغداد، وجرت خطوب كثيرة. وفي ربيع الأول أخرجت الأتراك من حريم الخلافة، فكان في ذلك قوة للخلافة. وفيها ملك مسعود بن الملك المؤيد بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد غزنة بعد أبيه. وفيها فتح ملكشاه مدينة سمرقند. وحج بالناس الأمير خمارتكين [والله اعلم بالصواب](١).

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد ابن السلطان ملكشاه

وكان ولي عهد أبيه. توفي وعمره إحدى عشرة سنة، فمكث الناس في العزاء سبعة أيام لم يركب أحد فرساً، والنساء ينحْنَ عليه في الأسواق، وسودَّ أهل البلاد التي لأبيه أبوابهم.

عبد الله بن محمد

ابن علي بن محمد أبو إسماعيل الأنصاري الهروي، روى الحديث وصنف، وكان كثير السهر بالليل، وكانت وفاته بهراة في ذي الحجة عن ست وثمانين سنة. وحج بالناس فيها الوزير أبو أحمد، واستناب ولده أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي.

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة

في المحرم درس أبو بكر الشاشي في المدرسة التاجية بباب إبرز، التي أنشأها الصاحب تاج الدين أبو الغنائم على الشافعية. وفيها كانت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة، ورفعوا المصاحف، وجرت حروب طويلة، وقتل فيها خلق كثير؛ نقل ابن الجوزي في المنتظم من خط ابن عقيل أنه قتل في هذه السنة قريب مَن مائتي رجل، قال: وسب أهل الكرخ الصحابة وأزواج النبي ﷺ، فلعنة الله على من فعل ذلك من أهل الكرخ، وإنما حكيت هذا ليعلم ما في طوايا الروافض من الخبث والبغض لدين الإسلام وأهله، ومن العداوة الباطنة الكامنة في قلوبهم، لله ولرسوله وشريعته. وفيها ملك السلطان ملكشاه ما

(١) سقط في ط.

وراء النهر وطائفة كبيرة من تلك الناحية، بعد حروب عظيمة، ووقعات هائلة. وفيها استولى جيش المصريين على عدة بلاد من الشام. وفيها عمرت منارة جامع حلب. وفيها أرسلت الخاتون بنت السلطان امرأة الخليفة تشكو إلى أبيها إعراض الخليفة عنها، فبعث إليها أبوها الطواشي صواب والأمير مران ليرجعاها إليه، فأجاب الخليفة إلى ذلك، وبعث معها بالنقيب وجماعة من أعيان الأمراء، وخرج ابن الخليفة أبو الفضل والوزير فشيعاها إلى النهروان وذلك في ربيع الأول، فلما وصلت إلى عند أبيها توفيت في شوال من هذه السنة، بأصبهان، فعمل عزاها ببغداد سبعة أيام، وأرسل الخليفة إلى السلطان أميرين لتعزيته فيها.

وحج بالناس خمارتكين.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عبد الصمد بن أحمد بن علي

المعروف بطاهر، النيسابوري الحافظ، رحل وسمع الكثير، وخرج، وعاجله الموت في هذه السنة بهمذان وهو شاب.

علي بن أبي يَعْلَى

أبو القاسم الدبوسي، مدرس النظامية بعد المتولي، سمع شيئاً من الحديث، وكان فقيهاً ماهراً، وجدلياً باهراً.

عاصم بن الحسن

ابن محمد بن علي بن عاصم بن مهران، أبو الحسن العاصمي، من أَهل الكرخ، سكن باب الشعير ولد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة، وكان من أهل الفضل والأدب، وسمع الحديث من الخطيب وغيره، وكان ثقة حافظاً، ومن شعره قوله:

لَهْفِي عَلَى قَوْمٍ بِكَاظِمَةٍ وَدَّعْتُهُمْ وَالرَّكْبُ مُعْتَرِضُ
لَمْ تَنزِلِ العَبَرَاتُ مُذْ بَعُدُوا لِي مُقْلَةٌ تَرْنُو وَتَغْتَمِضُ
رَحَلُوا فَدَمْعِي وَاكِفٌ هَطِلٌ جَارٍ وَقَلْبِي حَشْوُهُ مَرَضُ
وَتَعَوَّضُوا لا ذُقْتُ فَقْدَهُمُ عَنِّي وَمَا لِي عَنْهُمُ عِوَضُ
أَقْرَضْتُهُمْ قَلْبِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْهُمْ فَمَا رَدُّوا الَّذِي اقْتَرَضُوا

محمد بن أحمد بن حامد

ابن عبيد، أبو جعفر البخاري المتكلم المعتزلي، أقام ببغداد ويعرف بقاضي حلب، وكان حنفي المذهب في الفروع، معتزلياً في الأصول، مات ببغداد في هذه السنة، ودفن بباب حرب.

محمد بن أحمد بن عبد الله

ابن محمد بن إسماعيل الأصفهاني، المعروف بمسلرفة، أحد الحفاظ الجوالين الرحالين، سمع الكثير وجمع الكتب، وأقام بهراة، وكان صالحاً كثير العبادة، توفي بنيسابور في ذي الحجة من هذه السنة والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

في المحرم منها ورد إلى الفقيه أبي عبد الله الطبري منشور نظام الملك بتدريس النظامية، فدرس بها، ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي في ربيع الآخر منها بمنشور بتدريسها فاتفق الحال على أن يدرس هذا يوماً وهذا يوماً، وفي جمادى الأولى دهم أهل البصرة رجل يقال له بليا، كان ينظر في النجوم، فاستغوى خلقاً من أهلها وزعم أنه المهدي، وأحرق من البصرة شيئاً كثيراً، من ذلك دار كتب وقفت على المسلمين لم يرَ في الإسلام مثلها، وأتلف شيئاً كثيراً من الدواليب والمصانع وغير ذلك. وفيها خلع على أبي القاسم طراد الزينبي بنقابة العباسيين بعد أبيه. وفيها استفتى على معلمي الصبيان أن يمنعوا من المساجد صيانة لها، فأفتوا بمنعهم، ولم يُسْتَثْنَ منهم سوى رجل كان فقيهاً شافعياً يدري كيف تصان المساجد، واستدل المفتي بقوله عليه الصلاة والسلام: «سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ[1] إلاّ خَوْخَةَ أَبي بَكْرٍ[2]» وحج بالناس خمارتكين على العادة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الوزير أبو نصر بن جهير

ابن محمد بن محمد بن جهير عميد الدولة أحد مشاهير الوزراء، وزر للقائم، ثم لولده المقتدي، ثم عزله ملكشاه السلطان وولى ولده فخر الدولة ديار بكر وغيرها، مات بالموصل وهي بلده التي ولد بها وفيها كان مقتل صاحب اليمن الصليحي وقد تقدم ذكره.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

في المحرم منها كتب المنجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته، ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويهدي الخلق إلى الحق، فإن أطعتم أمنتم من العذاب، وإن عدلتم خسف بكم، فآمنوا بالله وبالإمام المهدي. وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار وبشد الزنار، وكذلك نساؤهم في الحمامات وغيرها. وفي جمادى الأولى قدم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظامية، ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة.

---

(١) الخوخة: الفتحة والمنفذ.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٨٠، وأحمد في المسند ١/ ٢٧٠.

قال ابن الجوزي: وكان كلامه مقبولاً، وذكاؤه شديداً. وفي رمضان منها عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة فأنشد عند عزله:

تَـوَلَّاهَـا وَلَـيْـسَ لَـهُ عَـدُوٌّ وَفَـارَقَـهَـا وَلَـيْـسَ لَـهُ صَـدِيـقُ

ثم جاء كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد، فخرج منها إلى عدة أماكن، فلم تطب له، فعزم على الحج، ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه يسأله أن يكون عديله في ذلك، وناب ابن الموصلايا في الوزارة، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أول هذه السنة. وفي رمضان منها دخل السلطان ملكشاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك، وقد خرج لتلقيه قاضي القضاة أبو بكر الشاشي، وابن الموصلايا المسلماني، وجاءت ملوك الأطراف إليه للسلام عليه، منهم أخوه تاج الدولة تتش صاحب دمشق، وأتابكه قسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب. وفي ذي القعدة خرج السلطان ملكشاه وابنه وابن ابنته من الخليفة في خلق كثير من الكوفة. وفيها استوزر أبو منصور بن جهير وهي النوبة الثانية لوزارته للمقتدي، وخلع عليه، وركب إليه نظام الملك فهنأه في داره بباب العامة، وفي ذي الحجة عمل السلطان الميلاد في دجلة، وأشعلت نيران عظيمة، وأوقدت شموع كثيرة، وجمعت المطربات في السمريات، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جداً، وقد نظم فيها الشعراء الشعر، فلما أصبح النهار من هذه الليلة جيء بالخبيث المنجم الذي حرق البصرة وادّعى أنه المهدي، محمولاً على جمل ببغداد وجعل يسب الناس والناس يلعنونه، وعلى رأسه طرطورة بودع، والدرّة تأخذه من كل جانب، فطافوا به ببغداد ثم صلب بعد ذلك. وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بعمارة جامعه المنسوب إليه بظاهر السور. وفي هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد صاحب بلاد المغرب كثيراً من بلاد الأندلس، وأسر صاحبها المعتمد بن عباد وسجنه وأهله، وقد كان المعتمد هذا موصوفاً بالكرم، والأدب، والحلم، وحسن السيرة، والعشرة، والإحسان إلى الرعية، والرفق بهم، فحزن الناس عليه، وقال في مصابه الشعراء فأكثروا. وفيها ملكت الفرنج مدينة صقلِّيَةَ من بلاد المغرب، ومات ملكهم فقام ولده مقامه فسار في الناس سيرة ملوك المسلمين، حتى كأنه منهم، لما ظهر منه من الإحسان إلى المسلمين. ـ وفيها كانت زلازل كثيرة بالشام وغيرها، فهدمت بنياناً كثيراً، وكان من جملة ذلك تسعون برجاً من سور أنطاكية، وهلك تحت الهدم خلق كثير.

وحج بالناس خمارتكين.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عبد الرحمن بن أحمد

أبو طاهر ولد بأصبهان، وتفقه بسمرقند، وهو الذي كان سبب فتحها على يد السلطان ملك شاه، وكان من رؤساء الشافعية، وقد سمع الحديث الكثير.

قال عبد الوهاب بن منده: لم نر فقيهاً في وقتنا أنصف منه، ولا أعلم. وكان فصيح

اللهجة كثير المروءة غزير النعمة، توفي ببغداد، ومشى الوزراء والكبراء في جنازته، غير أن النظام ركب واعتذر بكبر سنه، ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وجاء السلطان إلى التربة. قال ابن عقيل: جلست بكرة العزاء إلى جانب نظام الملك والملوك قيام بين يديه، اجترأت على ذلك بالعلم ـ حكاه ابن الجوزي.

محمد بن أحمد بن علي

أبو نصر المروزي، كان إماماً في القراءات، وله فيها المصنفات، وسافر في ذلك كثيراً، واتفق له أنه غرق في البحر في بعض أسفاره، فبينما الموج يرفعه ويضعه إذ نظر إلى الشمس قد زالت، فنوى الوضوء وانغمس في الماء ثم صعد فإذا خشبة فركبها وصلى عليها، ورزقه الله السلامة ببركة امتثاله للأمر، واجتهاده على العمل، وعاش بعد ذلك دهراً، وتوفي في هذه السنة، وله نيف وتسعون سنة.

محمد بن عبد الله بن الحسن

أبو بكر الناصح الفقيه الحنفي المناظر المتكلم المعتزلي، ولي القضاء بنيسابور، ثم عزل لجنونه وكلامه وأخذه الرشا، وولي قضاء الريّ، وقد سمع الحديث، وكان من أكابر العلماء. توفي في رجب منها.

أرتق بن ألب التركماني

جد الملوك الأرتقية الذين هم ملوك ماردين، كان شهماً شجاعاً عالي الهمة، تغلب على بلاد كثيرة، وقد ترجمه ابن خلكان وأرخ وفاته بهذه السنة والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة

فيها أمر السلطان ملكشاه ببناء سور سوق المدينة المعروفة بطغرلبك، إلى جانب دار الملك، وجدد خاناتها وأسواقها ودروها، وأمر بتجديد الجامع الذي تم على يدي هارون الخادم، في سنة أربع وعشرين وخمسمائة، ووقف على نصب قبلته بنفسه، ومنجمه إبراهيم حاضر، ونقلت أخشاب جامع سامرا، وشرع نظام الملك في بناء دار له هائلة، وكذلك تاج الملوك أبو الغنائم، شرع في بناء دار هائلة أيضاً واستوطنوا بغداد. وفي جمادى الأولى وقع حريق عظيم ببغداد في أماكن شتى، فما طفىء حتى هلك للناس شيء كثير، فما عمروا بقدر ما حرق وما غرموا. وفي ربيع الأول خرج السلطان إلى أصبهان، وفي صحبته ولد الخليفة أبو الفضل جعفر، ثم عاد إلى بغداد في رمضان، فبينما هو في الطريق يوم عاشوراء عدا صبي من الديلم على الوزير نظام الملك، بعد أن أفطر، فضربه بسكين فقضى عليه بعد ساعة، وأخذ الصبي الديلمي فقتل، وقد كان من كبار الوزراء وخيار الأمراء وسنذكر شيئاً من سيرته عند ذكر ترجمته، وقدم السلطان بغداد في رمضان بنية غير صالحة، فلقاه الله في نفسه ما تمناه لأعدائه، وذلك أنه لما استقر ركابه ببغداد، وجاء الناس للسلام عليه، والتهنئة

بقدومه، وأرسل إليه الخليفة يهنئه، فأرسل إلى الخليفة يقول له: لا بد أن تترك لي عن بغداد، وتتحول إلى أي البلاد شئت. فأرسل إليه الخليفة يستنظره شهراً، فرد عليه: ولا ساعة واحدة، فأرسل إليه يتوسل في إنظاره عشرة أيام، فأجاب إلى ذلك بعد تمنع شديد، فما استتم الأجل حتى خرج السلطان يوم عيد الفطر إلى الصيد فأصابته حمى شديدة، فافتصد فما قام منها حتى مات قبل العشرة أيام ولله الحمد والمنة. فاستحوذت زوجته زبيدة خاتون على الجيش، وضبطت الأموال والأحوال جيداً، وأرسلت إلى الخليفة تسأل منه أن يكون ولدها محمود ملكاً بعد أبيه، وأن يخطب له على المنابر، فأجابها إلى ذلك، وأرسل إليه بالخلع، وبعث يعزيها ويهنئها مع وزيره عميد الدولة بن جهير، وكان عمر الملك محمود هذا يومئذٍ خمس سنين، ثم أخذته والدته في الجيوش وسارت به نحو أصبهان ليتوطد له الملك، فدخلوها وتم لهم مرادهم، وخطب لهذا الغلام في البلدان حتى في الحرمين، واستوزر له تاج الملك أبا الغنائم المرزبان بن خسرو، وأرسلت أمه إلى الخليفة تسأله أن تكون ولايات العمال إليه، فامتنع الخليفة ووافقه الغزالي على ذلك، وأفتى العلماء بجواز ذلك، منهم المتطبب ابن محمد الحنفي، فلم يعمل إلا بقول الغزالي، وانحاز أكثر جيش السلطان إلى ابنه الآخر بركيارق فبايعوه وخطبوا له بالريّ، وانفردت الخاتون وولدها ومعهم شرذمة قليلة من الجيش والخاصكية، فأنفقت فيهم ثلاثين ألف ألف دينار لقتال بركيارق بن ملكشاه، فالتقوا في ذي الحجة فكانت الخاتون هي المنهزمة ومعها ولدها: وفي صحيح البخاري «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً». وفي ذي القعدة اعترضت بنو خفاجة للحجيج فقاتلهم من في الحجيج من الجند مع الأمير خمارتكين، فهزموهم، ونهبت أموال الأعراب ولله الحمد والمنة وفيها جاء بَرَدٌ شديد عظيم بالبصرة، وزن الواحدة منها خمسة أرطال، إلى ثلاثة عشر رطلاً، فأتلفت شيئاً كثيراً من النخيل والأشجار، وجاء ريح عاصف قاصف فألقى عشرات الألوف من النخيل، فإنا لله وإنا إليه راجعون ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠] وفيها ملك تاج الدولة تتش صاحب دمشق مدينة حمص، وقلعة عرقة، وقلعة فامية، ومع قسيم الدولة أقسنقر، وكان السلطان قد جهز سرية إلى اليمن صحبة سعد كوهرائين الدولة وأمير آخر من التركمان، فدخلاها وأساءا فيها السيرة فتوفي سعد كوهرائين يوم دخوله إليها في مدينة عدن ولله الحمد والمنّة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

جعفر بن يحيى بن عبد الله: أبو الفضل المتممي، المعروف بالحكاك المكي، رحل في طلب الحديث إلى الشام والعراق وأصبهان. وغير ذلك من البلاد، وسمع الكثير وخرّج الأجزاء، وكان حافظاً متقناً، ضابطاً أديباً، ثقة صدوقاً، وكان يراسل صاحب مكة، وكان من ذوي الهيئات والمروءات، قارب الثمانين، رحمه الله!.

نظام الملك الوزير: الحسن بن علي بن إسحاق، أبو علي، وزر للملك ألب أرسلان

وولده ملكشاه تسعاً وعشرين سنة، كان من خيار الوزراء. ولد بطوس سنة ثمان وأربعمائة، وكان أبوه من أصحاب محمود بن سبكتكين، وكان من الدهاقين، فأشغل ولده هذا، فقرأ القرآن وله إحدى عشرة سنة، وأشغله بالعلم والقراءات والتفقه على مذهب الشافعي، وسماع الحديث واللغة والنحو، وكان عالي الهمة، فحصل من ذلك طرفاً صالحاً، ثم ترقى في المراتب حتى وزر للسلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ثم من بعده لملكشاه تسعاً وعشرين سنة، لم ينكب في شيء منها، وبنى المدارس النظامية ببغداد ونيسابور وغيرهما، وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والعلماء، بحيث يقضي معهم غالب نهاره، فقيل له: إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح، فقال: هؤلاء جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلستهم على رأسي لما استكثرت ذلك، وكان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري وأبو المعالي الجويني قام لهما وأجلسهما معه في المقعد، فإذا دخل أبو علي الفارمذي قام وأجلسه مكانه، وجلس بين يديه، فعوتب في ذلك فقال: إنهما إذا دخلا علي قالا: أنت وأنت، يطروني ويعظموني، ويقولوا فيّ ما ليس فيّ فأزداد بهما ما هو مركوز في نفس البشر، وإذا دخل عليَّ أبو علي الفارمذي ذكرني عيوبي وظلمي، فأنكسر فأرجع عن كثير من الذي أنا فيه. وكان محافظاً على الصلوات في أوقاتها، لا يشغله بعد الأذان شغل عنها وكان يواظب على صيام الاثنين والخميس، وله الأوقاف الدارّة، والصدقات البارّة وكان يعظم الصوفية تعظيماً زائداً، فعوتب في ذلك، فقال: بينما أنا اخدم بعض الملوك جاءني يوماً إنسان فقال لي: إلى متى أنت تخدم من تأكله الكلاب غداً؟ اخدم من تنفعك خدمته، ولا تخدم من تأكله الكلاب غداً. فلم أفهم ما يقول، فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة فخرج في أثناء الليل وهو ثمل، وكانت له كلاب تفترس الغرباء بالليل، فلم تعرفه فمزقته، فأصبح وقد أكلته الكلاب، قال: فأنا أطلب مثل ذلك الشيخ. وقد سمع الحديث في أماكن شتى ببغداد وغيرها، وكان يقول: إني لأعلم بأني لست أهلاً للرواية ولكني أحب أن أربط في قطار[1] نقلة حديث رسول الله ﷺ، وقال أيضاً: رأيت ليلة في المنام إبليس فقلت له: ويحك خلقك الله وأمرك بالسجود له مشافهة فأبيت، وأنا لم يأمرني بالسجود له مشافهة وأنا أسجد له في كل يوم مرات، وأنشأ يقول:

مَـنْ لَـمْ يَـكُـنْ لِـلْـوِصَـالِ أَهْـلاً ... فَـكُـلُّ إِحْـسَـانِـهِ ذُنُـوبُ

وقد أجلسه المقتدي مرة بين يديه وقال له: يا حسن، رضي الله عنك برضا أمير المؤمنين عنك، وقد ملك ألوفاً من الترك، وكان له بنون كثيرة، وزر منهم خمسة، وزر ابنه أحمد للسلطان محمد بن ملك شاه، ولأمير المؤمنين المسترشد بالله.

وخرج نظام الملك مع السلطان من أصبهان قاصداً بغداد في مستهل رمضان من هذه السنة، فلما كان يوم العاشر اجتاز في بعض طريقه بقرية بالقرب من نهاوند، وهو يسايره في

(١) قطار: قافلة.

محفة[1]، فقال: قد قتل ههنا خلق من الصحابة زمن عمر، فطوبى لمن يكون عندهم، فاتفق أنه لما أفطر جاءه صبي في هيئة مستغيث به ومعه قصة، فلما انتهى إليه ضربه بسكين في فؤاده وهرب، وعثر بطنب[2] الخيمة فأخذ فقتل، ومكث الوزير ساعة، وجاءه السلطان يعوده فمات وهو عنده، وقد اتهم السلطان في أمره أنه هو الذي مالأ عليه، فلم تطل مدته بعده سوى خمسة وثلاثين يوماً، وكان في ذلك عبرة لأولي الألباب. وكان قد عزم على إخراج الخليفة أيضاً من بغداد، فما تم له ما عزم عليه، ولما بلغ أهل بغداد موت النظام حزنوا عليه، وجلس الوزير والرؤساء للعزاء ثلاثة أيام، ورثاه الشعراء بقصائد، منهم مقاتل بن عطية فقال:

كَانَ الوَزِيرُ نِظَامُ المُلْكِ لُؤْلُؤَةً يَتِيمَةً صَاغَهَا الرَّحْمٰنُ مِنْ شَرَفِ
عَزَّتْ فَلَمْ تَعْرِفِ الأَيَّامُ قِيمَتَهَا فَزادها غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى الصَّدَفِ

وأثنى عليه غير واحد حتى ابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما رحمه الله.

عبد الباقي بن محمد بن الحسين

ابن داود بن باقيا، أبو القاسم الشاعر، من أهل الحريم الظاهري، ولد سنة عشر وأربعمائة، وكان ماهراً، وقد رماه بعضهم باعتقاده الأوائل، وأنكر أن يكون في السماء نهر من ماء أو نهر من لبن، أو نهر من خمر، أو نهر من عسل، يعني في الجنة، وما سقط من ذلك قطرة إلى الأرض إلا هذا الذي هو يخرب البيوت ويهدم الحيطان والسقوف، وهذا الكلام كفر من قائله، نقله عنه ابن الجوزي في المنتظم، وحكى بعضهم أنه وجد في كفنه مكتوباً حين مات هذين البيتين:

نَزَلْتُ بِجَارٍ لا يُخَيِّبُ ضَيْفَهُ أُرَجِّي نَجَاتِي مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمِ
وَإِنِّي عَلَى خَوْفِي مِنَ الله وَاثِقٌ بِإِنْعَامِهِ وَالله أَكْرَمُ مُنْعِمِ

مالك بن أحمد بن علي

ابن إبراهيم، أبو عبد الله البانياسي الشامي، وقد كان له اسم آخر سمته به أمه علي أبو الحسن فغلب عليه ما سماه به أبوه، وما كناه به، سمع الحديث على مشايخ كثيرة وكان هو آخر من حدث عن أبي الحسن بن الصلت، هلك في حريق سوق الريحانيين، وله ثمانون سنة، كان ثقة عند المحدثين.

السلطان ملكشاه [السلطان الكبير][3]

جلال الدين والدولة، أبو الفتح ملكشاه، ابن أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق التركي، ملك بعد أبيه وامتدت مملكته من أقصى بلاد الترك

---

(١) محفة: محمل. (٢) طنب الخيمة: حبل الخيمة. (٣) سقط في ط.

إلى أقصى بلاد اليمن، وراسله الملوك من سائر الأقاليم، حتى ملك الروم والخزر واللان، وكانت دولته صارمة، والطرقات في أيامه آمنة، وكان مع عظمته يقف للمسكين والضعيف، والمرأة، فيقضي حوائجهم، وقد عمر العمارات الهائلة، وبنى القناطر، وأسقط المكوس والضرائب، وحفر الأنهار الكبار، وبنى مدرسة أبي حنيفة والسوق، وبنى الجامع الذي يقال له جامع السلطان ببغداد، وبنى منارة القرون من صيوده بالكوفة، ومثلها فيما وراء النهر، وضبط ما صاده بنفسه في صيوده فكان ذلك نحواً من عشرة آلاف صيد، فتصدق بعشرة آلاف درهم، وقال: إني خائف من الله تعالى أن أكون أزهقت نفس حيوان لغير مأكلة، وقد كانت له أفعال حسنة، وسيرة صالحة، من ذلك أن فلاحاً أنهى إليه أن غلماناً له أخذوا له حمل بطيخ [هو رأس ماله فقال اليوم أرد عليك حملك ثم قال لقيمه أريد أن تأتوا اليوم ببطيخ][1]. ففتشوا فإذا في خيمة الحاجب بطيخ فحملوه إليه، ثم استدعى الحاجب فقال: من أين لك هذا البطيخ؟ قال: جاء به الغلمان، فقال: أحضرهم، فذهب وأمرهم بالهرب فأحضره وسلمه للفلاح، وقال: خذ بيده فإنه مملوكي ومملوك أبي، وإياك أن تفارقه، ثم رد على الفلاح الحمل البطيخ، فخرج الفلاح يحمله وبيده الحاجب، فاستنقذ الحاجب نفسه من الفلاح بثلاثمائة دينار. ولما توجه لقتال أخيه تتش اجتاز بطوس فدخلها لزيارة قبر علي بن موسى الرضا، ومعه نظام الملك، فلما خرجا قال للنظام: بم دعوت الله؟ قال: دعوت الله أن يظفرك على أخيك. فقال: لكني قلت اللهم إن كان أخي أصلح للمسلمين فظفره بي، وإن كنت أنا أصلح لهم فظفرني به، وقد سار بعسكره من أصبهان إلى أنطاكية فما عرف أن أحداً من جيشه ظلم أحداً من الرعية، وكانوا مئين ألوف، واستعدى إليه مرة تركماني أن رجلاً افتض بكارة ابنته وهو يريد أن يمكنه من قتله، فقال له: يا هذا إن ابنتك لو شاءت ما مكّنته من نفسها، فإن كنت لا بد فاعلاً فاقتلها معه، فسكت الرجل، فقال له الملك: أو تفعل خيراً من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: فإن بكارتها قد ذهبت، فزوجها من ذلك الرجل وأنا أمهرها من بيت المال كفايتهما، ففعل. وحكى له بعض الوعاظ أن كسرى اجتاز يوماً في بعض أسفاره بقرية وكان منفرداً من جيشه، فوقف على باب دار فاستسقى فأخرجت إليه جارية إناء فيه ماء قصب السكر بالثلج، فشرب منه فأعجبه فقال: كيف تصنعون هذا؟ فقالت: إنه سهل علينا اعتصاره على أيدينا، فطلب منها شربة أخرى فذهبت لتأتيه بها فوقع في نفسه أن يأخذ هذا المكان منهم ويعوضهم عنه غيره، فأبطأت عليه ثم خرجت وليس معها شيء، فقال: ما لك؟ فقالت: كأن نية سلطاننا تغيرت علينا، فتعسر عليّ اعتصاره. وهي لا تعرف أنه السلطان - فقال: اذهبي فإنك الآن تقدرين عليه، وغير نيته إلى غيرها، فذهبت وجاءته بشربة أخرى سريعاً فشربها وانصرف. فقال له السلطان: هذه تصلح لي ولكن قص على الرعية أيضاً حكاية كسرى الأخرى حين اجتاز ببستان وقد أصابته صفراء[2] في رأسه وعطش، فطلب من ناطوره عنقوداً من حصرم، فقال له الناطور: إن السلطان لم

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) الصفراء: خلط من أخلاط البدن.

يأخذ حقه منه! فلا أقدر أن أعطيك منه شيئاً. قال: فعجب الناس من ذكاء الملك وحسن استحضاره هذه في مقابلة تلك. واستعداه رجلان من الفلاحين على الأمير خمارتكين أنه أخذ منهما مالاً جزيلاً وكسر ثنيتهما، وقالا: سمعنا بعدلك في العالم، فإن أقدتنا[1] منه كما أمرك الله وإلا استعدينا عليك الله يوم القيامة، وأخذا بركابه، فنزل عن فرسه وقال لهما: خذا بكمي واسحباني إلى دار نظام الملك، فهابا ذلك، فعزم عليهما أن يفعلا، ففعلا ما أمرهما به، فلما بلغ النظام مجيء السلطان إليه خرج مسرعاً فقال له الملك: إني إنما قلدتك الأمر لتنصف المظلوم ممن ظلمه، فكتب من فوره فعزل خمارتكين وحل أقطاعه، وأن يرد إليهما أموالهما، وأن يقلعا ثنيتيه إن قامت عليه البينة وأمر لهما الملك من عنده بمائة دينار، وأسقط مرة بعض المكوس، فقال له رجل من المستوفين: يا سلطان العالم، إن هذا الذي أسقطته يعدل ستمائة ألف دينار وأكثر، فقال: ويحك إن المال مال الله، والعباد عباد الله، والبلاد بلاده، وإنما أردت أن يبقى هذا لي عند الله، ومن نازعني في هذا ضربت عنقه. وغنته امرأة حسناء فطرب وتاقت نفسه إليها، فهم بها فقالت: أيها الملك إني أغار على هذا الوجه الجميل من النار، وبين الحلال والحرام كلمة واحدة، فاستدعى القاضي فزوّجه بها.

وقد ذكر ابن الجوزي عن ابن عقيل أن السلطان ملك شاه كان قد فسدت عقيدته بسبب معاشرته لبعض الباطنية ثم تنصل من ذلك وراجع الحق. وذكر أن ابن عقيل كتب له شيئاً في الدليل على إثبات الصانع، وقد ذكرنا أنه لما رجع آخر مرة إلى بغداد فعزم على الخليفة أن يخرج منها، فاستنظره عشرة أيام فمرض السلطان ومات قبل انقضاء العشرة أيام، وكانت وفاته في ليلة الجمعة النصف من شوال عن سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر، وكانت مدة ملكه من ذلك تسع عشرة سنة وأشهراً، ودفن بالشونيزي، ولم يصلِّ عليه أحد لكتمان الأمر، وكان مرضه بالحمى، وقيل إنه سُمَّ، والله أعلم.

باني التاجية ببغداد

المرزبان بن خسرو، تاج الملك، الوزير أبو الغنائم باني التاجية، وكان مدرسها أبو بكر الشاشي وبنى تربة الشيخ أبي إسحاق، وقد كان السلطان ملكشاه أراد أن يستوزره بعد نظام الملك فمات سريعاً، فاستوزر لولده محمود، فلما قهره أخوه بركيارق قتله غلمان النظام وقطعوه إرباً إرباً في ذي الحجة من هذه السنة.

هبة الله بن عبد الوارث

ابن علي بن أحمد نوري، أبو القاسم الشيرازي، أحد الرحالين الجوالين في الآفاق، كان حافظاً ثقة ديناً ورعاً، حسن الاعتقاد والسيرة، له تاريخ حسن، ورحل إليه الطلبة من بغداد وغيرها والله أعلم.

---

(١) أقدتنا: أنصفتنا.

ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة

فيها قدم إلى بغداد رجل يقال له أردشير بن منصور أبو الحسين العبادي، مرجعه من الحج، فنزل النظامية فوعظ الناس وحضر مجلسه الغزالي مدرس المكان، فازدحم الناس في مجلسه، وكثروا في المجالس بعد ذلك، وترك كثير من الناس معايشهم، وكان يحضر مجلسة في بعض الأحيان أكثر من ثلاثين ألفاً من الرجال والنساء، وتاب كثير من الناس ولزموا المساجد، وأريقت الخمور وكسرت الملاهي، وكان الرجل في نفسه صالحاً، له عبادات، وفيه زهد وافر، وله أحوال صالحة، وكان الناس يزدحمون على فضل وضوئه، وربما أخذوا من البركة التي يتوضأ منها للبركة، ونقل ابن الجوزي أنه اشتهى مرة على بعض أصحابه توتاً شامياً وثلجاً فطاف البلد بكامله فلم يجده، فرجع فوجد الشيخ في خلوته فسأله هل جاء اليوم إلى الشيخ أحد؟ فقيل له: جاءت امرأة فقالت إني غزلت بيدي غزلاً وبعته وأنا أحب أن أشتري للشيخ طرفة[1] فامتنع من ذلك فبكت فرحمها، وقال: اذهبي فاشتري، فقالت ماذا تشتهي؟ فقال: ما شئت، فذهبت فأتته بتوت شامي وثلج فأكله. وقال بعضهم: دخلت عليه وهو يشرب مرقاً فقلت في نفسي: ليته أعطاني فضله لأشربه لحفظ القرآن فناولني فضله فقال: اشربها على تلك النية، قال: فرزقني الله حفظ القرآن وكانت له عبادات ومجاهدات، ثم اتفق أنه تكلم في بيع القراضة[2] بالصحيح فمنع من الجلوس وأخرج من البلد.

وفيها خطب تتش بن ألب أرسلان صاحب لنفسه بالسلطنة، وطلب من الخليفة أن يخطب له بالعراق فحصل التوقف عن ذلك بسبب ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه، فسار إلى الرحبة وفي صحبته وطاعته أقسنقر صاحب حلب، وبوران صاحب الرها، ففتح الرحبة، ثم سار إلى الموصل فأخذها من يد صاحبها إبراهيم بن قريش بن بدران، وهزم جيوشه من بني عقيل، وقتل خلقاً من الأمراء صبراً، وكذلك أخذ ديار بكر، واستوزر الكافي بن فخر الدولة بن جهير، وكذلك أخذ همدان وخلاط وفتح أذربيجان واستفحل أمره، ثم فارقه الأميران آقسنقر وبوران فسارا إلى الملك بركيارق وبقي تتش وحده، فطمع فيه أخوه بركيارق فرجع تتش فلحقه قسيم الدولة أقسنقر وبوران بباب حلب فكسرهما وأسر بوران وأقسنقر فصلبهما وبعث برأس بوران فطيف به حران والرها وملكها من بعده. وفيها وقعت الفتنة بين الروافض والسنة، وانتشرت بينهم شرور كثيرة، وفي ثاني شعبان ولد للخليفة ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس، أحمد المستظهر، ففرح الخليفة به. وفي ذي القعدة دخل السلطان بركيارق بغداد، وخرج إليه الوزير أبو منصور بن جهير وهنأه عن الخليفة بالقدوم. وفيها أخذ المستنصر العبيدي مدينة صور من أرض الشام. ولم يحج فيها أحد من أهل العراق.

وممن توفي فيها من الأعيان:

---

(١) الطرفة: الشيء المستحسن.

(٢) القراضة: ما سقط بالقرض، أي القطع، كقراضة الذهب أو الثوب ونحوه.

جعفر بن المقتدي بالله

من الخاتون بنت السلطان ملكشاه، في جمادى الأولى، وجلس الوزير للعزاء والدولة ثلاثة أيام.

سليمان بن إبراهيم

ابن محمد بن سليمان، أبو مسعود الأصبهاني، سمع الكثير وصنف وخرّج على الصحيحين، وكانت له معرفة جيدة بالحديث سمع ابن مردويه وأبا نعيم والبرقاني، وكتب عن الخطيب وغيره، توفي في ذي القعدة عن تسع وثمانين سنة.

عبد الواحد بن أحمد بن المحسن

الدشكري، أبو سعد الفقيه الشافعي، صحب أبا إسحاق الشيرازي، وروى الحديث، وكان مؤلفاً لأهل العلم، وكان يقول: ما مشى قدماي هاتان في لذة قط، توفي في رجب منها ودفن بباب حرب.

علي بن أحمد بن يوسف

أبو الحسن الهكاري، قدم بغداد ونزل برباط الدوري، وكانت له أربطة قد أنشأها، سمع الحديث وروى عنه غير واحد من الحفاظ، وكان يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام في الروضة فقلت: يا رسول الله أوصني، فقال: عليك باعتقاد أحمد بن حنبل، ومذهب الشافعي، وإياك ومجالسة أهل البدع. توفي في المحرم منها.

علي بن محمد بن محمد

أبو الحسن الخطيب الأنباري، المعروف بابن الأخضر، سمع أبا محمد الفرضي، وهو آخر من حدّث عنه، توفي في شوال منها عن خمس وتسعين سنة.

أبو نصر علي بن هبة الله بن ماكولا

[ولد سنة ثنتين وأربعمائة، وسمع الكثير وكان من الحفاظ، وله كتاب الإكمال في المؤتلف والمختلف، جمع بين كتاب عبد الغني بن سعيد وكتاب الدارقطني وغيرهما، وزاد عليهما أشياء كثيرة بهمة حسنة مفيدة نافعة، وكان نحوياً مبرزاً، فصيح العبارة حسن الشعر.

قال ابن الجوزي: وسمعت شيخنا عبد الوهاب يطعن في دينه ويقول: العلم يحتاج إلى دين. وقتل في خوزستان في هذه السنة أو التي بعدها، وقد جاوز الثمانين. كذا ذكره ابن الجوزي][(١)].

(١) ما بين معقوفين زيادة من النسخة المصرية.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة

فيها كانت وفاة الخليفة المقتدي وخلافة ولده المستظهر بالله.

صفة موته

لما قدم السلطان بركيارق بغداد، سأل من الخليفة أن يكتب له بالسلطنة كتاباً فيه العهد إليه فكتب ذلك، وهيئت الخلع وعرضت على الخليفة، وكان الكتاب يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم ثم قدم إليه الطعام فتناول منه على العادة وهو في غاية الصحة، ثم غسل يده وجلس ينظر في العهد بعد ما وقع عليه، وعنده قهرمانة[١] تسمى شمس النهار، قالت: فنظر إليّ وقال: من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن؟ قالت: فالتفت فلم أر أحداً، ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه، وانحلت قواه، وسقط إلى الأرض. قالت: فظننت أنه غشي عليه، فحللت أزرار ثيابه فإذا هو لا يجيب داعياً، فأغلقت عليه الباب وخرجت فأعلمت ولي العهد بذلك، وجاء الأمراء ورؤوس الدولة يعزونه بأبيه، ويهنئونه بالخلافة، فبايعوه.

شيء من ترجمة المقتدي بأمر الله

هو أمير المؤمنين المقتدي بالله، أبو عبد الله بن الذخيرة، الأمير ولي العهد أبي العباس أحمد، ابن أمير المؤمنين القائم بأمر الله، بن القادر بالله العباسي، أمه أم ولد اسمها أرجوان أرمنية، أدركت خلافة ولدها وخلافة ولده المستظهر وولد ولده المسترشد أيضاً وكان المقتدي أبيض حلو الشمائل، عمرت في أيامه محال كثيرة من بغداد، ونفي عن بغداد المغنيات وأرباب الملاهي والمعاصي، وكان غيوراً على حريم الناس، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، حسن السيرة والسريرة، رحمه الله، توفي يوم الجمعة رابع عشر المحرم من هذه السنة، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وثمانية شهور وتسعة أيام، خلافته من ذلك تسع عشرة سنة وثمان شهور إلا يومين، وأخفي موته ثلاثة أيام حتى توطدت البيعة لابنه المستظهر، ثم صلي عليه ودفن في تربتهم والله أعلم.

خلافة المستظهر بأمر الله أبي العباس

لما توفي أبوه يوم الجمعة أحضروه وله من العمر ست عشرة سنة وشهران، فبويع بالخلافة، وأول من بايعه الوزير أبو منصور بن جهير، ثم أخذت البيعة له من الملك ركن الدولة بركيارق بن ملكشاه ثم من بقية الأمراء والرؤساء، وتمّت البيعة تؤخذ له إلى ثلاثة أيام، ثم أظهر التابوت يوم الثلاثاء الثامن عشر من المحرم، وصلى عليه ولده الخليفة،

(١) القهرمانة: مدّبرة البيت والمشرفة على شؤون الجواري والنساء فيه.

وحضر الناس، ولم يحضر السلطان، وحضر أكثر أمرائه، وحضر الغزالي والشاشي وابن عقيل، وبايعوه يوم ذلك، وقد كان المستظهر كريم الأخلاق حافظاً للقرآن فصيحاً بليغاً شاعراً منطقياً، ومن لطيف شعره قوله:

أَذَابَ حَرُّ الجَوَى في القَلْبِ ما جَمَدَا ... يَوْماً مَدَدْتُ عَلَى رَسْمِ الوَدَاعِ يَدَا

فَكَيْفَ أَسْلُكُ نَهجَ الاصْطِبَارِ وَقَدْ ... أَرَى طَرَائِقَ في يهوى الهَوَى قِدَدا[1]

قَدْ أَخْلَفَ الوَعْدَ بَدْرٌ قَدْ شُغِفْتُ بِهِ ... مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ وَفَى دَهراً بِمَا وَعَدَا

إنْ كُنْتُ أَنْقُضُ عَهْدَ الحُبِّ في خَلَدِي ... مِنْ بَعْدِ هذا فَلا عَايَنْتُهُ أَبَدَا[2]

وفوض المستظهر أمور الخلافة إلى وزيره أبي منصور عميد الدولة بن جهير، فدبرها أحسن تدبير، ومهد الأمور أتم تمهيد، وساس الرعايا، وكان من خيار الوزراء. وفي ثالث عشر شعبان عزل الخليفة أبا بكر الشاشي عن القضاء، وفوضه إلى أبي الحسن بن الدامغاني. وفيها وقعت فتنة بين السنة والروافض فأحرقت محال كثيرة، وقتل ناس كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولم يحج أحد لاختلاف السلاطين. وكانت الخطبة للسلطان بركيارق ركن الدولة يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم وهو اليوم الذي توفي فيه الخليفة المقتدي بعدما علّم على توقيعه.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أقسنقر الأتابك

الملقب قسيم الدولة السلجوقي، ويعرف بالحاجب، صاحب حلب وديار بكر والجزيرة. وهو جد الملك نور الدين الشهيد ابن زنكي بن أقسنقر، كان أولاً من أخص أصحاب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، ثم ترقت منزلته عنده حتى أعطاه حلب وأعمالها بإشارة الوزير نظام الملك وكان من أحسن الملوك سيرة وأجودهم سريرة، وكانت الرعية معه في أمن ورخص وعدل، ثم كان موته على يد السلطان تاج الدولة تتش صاحب دمشق، وذلك أنه استعان به وبصاحب حران والرها على قتال ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه، ففرا عنه وتركاه، فهرب إلى دمشق، فلما تمكن ورجعا قاتلهما بباب حلب فقتلهما وأخذ بلادهما إلا حلب فإنها استقرت لولد أقسنقر زنكي فيما بعد، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة كما سيأتي بيانه. وذكر ابن خلكان أنه كان مملوكاً للسلطان ملكشاه، هو وبوزان صاحب الرها، فلما ملك تتش حلب استنابه بها فعصى عليه فقصده وكان قد ملك دمشق أيضاً فقاتله فقتله في هذه السنة في جمادى الأولى منها، فلما قتل دفنه ولده عماد الدين زنكي، وهو أبو نور الدين، فقبره بحلب أدخله ولده إليها من فوق السور، فدفنه بها.

---

(١) قدداً: مختلفة.

(٢) أنقض: أحل ما أبرمت، وخَلَدي: نفسي، وعاينته: أبصرته.

أمير الجيوش بدر الجمالي

صاحب جيوش مصر ومدبر الممالك الفاطمية، كان عاقلاً كريماً محباً للعلماء، ولهم عليه رسوم دارة تمكن في أيام المستنصر تمكناً عظيماً، ودارت أزمة الأمور على آرائه، وفتح بلاداً كثيرة، وامتدت أيامه وبعد صيته وامتدحته الشعراء. ثم كانت وفاته في ذي القعدة منها، وقام بالأمر من بعده ولده الأفضل.

الخليفة المقتدي

وقد تقدم شيء من ترجمته.

الخليفة المستنصر الفاطمي

أبو تميم معد بن أبي الحسن علي بن الحاكم، استمرت أيامه ستين سنة، ولم يتفق هذا لخليفة قبله ولا بعده، وكان قد عهد بالأمر إلى ولده نزار، فخلعه الأفضل بن بدر الجمالي بعد موت أبيه. أمر الناس فبايعوا أحمد بن المستنصر أخاه؛ ولقبه بالمستعلي، فهرب نزار إلى الإسكندرية فجمع الناس عليه فبايعوه، وتولى أمره قاضي الإسكندرية: جلال الدين بن عمار، فقصده الأفضل فحاصره وقاتلهم نزار وهزمهم الأفضل وأسر القاضي ونزار، فقتل القاضي، وحبس نزار بين حيطين حتى مات، واستقرّ المستعلي في الخلافة، وعمره إحدى وعشرون سنة.

محمد بن أبي هاشم

أمير مكة، كانت وفاته فيها عن نيف وتسعين سنة.

محمد ابن السلطان ملكشاه

كانت أمه قد عقدت له الملك، وأنفقت بسببه الأموال، فقاتله بركيارق فكسره، ولزم بلده أصبهان، فمات بها في هذه السنة، وحمل إلى بغداد فدفن بها بالتربة النظامية، كان من أحسن الناس وجهاً، وأظرفهم شكلاً، توفي في شوال منها، وماتت أمه الخاتون تركيان شاه في رمضان فانحل نظامه، وكانت قد جمعت عليه العساكر، وأسندت أزمة أمور المملكة إليه، وملكت عشرة آلاف مملوك تركي، وأنفقت في ذلك قريباً من ثلاثة آلاف ألف دينار، فانحل النظام ولم تحصل على طائل، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

فيها قدم يوسف بن أبق التركماني من جهة تتش صاحب دمشق إلى بغداد لأجل إقامة الدعوة له ببغداد، وكان تتش قد توجه لقتال ابن أخيه بناحية الري، فلما دخل رسوله بغداد هابوه وخافوه واستدعاه الخليفة فقربه وقبل الأرض بين يدي الخليفة، وتأهب أهل بغداد له، وخافوا أن ينهبهم، فبينما هو كذلك إذ قدم عليه رسول ابن أخيه فأخبره أن تتش قتل في أول

من قتل في الوقعة، وكانت وفاته في سابع عشر صفر من هذه السنة، فاستفحل أمر بركيارق، واستقل بالأمور. وكان دقاق بن تتش مع أبيه حين قتل، فسار إلى دمشق فملكها، وكان نائب أبيه عليها الأمير ساوتكين، واستوزر أبا القاسم الخوارزمي، وملك عبد الله بن تتش مدينة حلب، ودبر أمر مملكته جناح الدولة الحسين بن اتكين، ورضوان بن تتش صاحب مدينة حماه، وإليه تنسب بنو رضوان بها. وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول منها خطب لولي العهد أبي منصور الفضل بن المستظهر، ولقب بذخيرة الدين، وفي ربيع الآخر خرج الوزير ابن جهير فاختط سوراً على الحريم، وأذن للعوام في العمل والتفرج فأظهروا منكرات كثيرة، وسخافات عقول ضعيفة، وعملوا أشياء منكرة، وبعث إليه ابن عقيل رقعة فيها كلام غليظ، وإنكار بغيض. وفي رمضان خرج السلطان بركيارق فعدا عليه فداوي، فلم يتمكن منه، فمسك فعوقب فأقر على آخرين فلم يقرا فقتل الثلاثة. وجاء الطواشي من جهة الخليفة مهنئاً له بالسلامة وفي ذي القعدة منها خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجهاً إلى بيت المقدس تاركاً للتدريس في النظامية، زاهداً في الدنيا، لابساً خشن الثياب بعد ناعمها، وناب عنه أخوه في التدريس ثم حج في السنة التالية ثم رجع إلى بلده، وقد صنف كتاب الإِحياء في هذه المدة، وكان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه. وفي يوم عرفة خلع على القاضي أبي الفرج عبد الرحمن بن هبة الله بن البستي، ولقب بشرف القضاة، ورد إلى ولاية القضاء بالحريم وغيره. وفيها اصطلح أهل الكرخ من الرافضة والسنة مع بقية المحال وتزاوروا وتواصلوا وتواكلوا، وكان هذا من العجائب، وفيها قتل أحمد بن خاقان صاحب سمرقند، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة فخنق وولي مكانه ابن عمه مسعود. وفيها دخل الأتراك إفريقية وغدروا بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس، وقبضوا عليه، وملكوا بلاده وقتلوا خلقاً، بعدما جرت بينه وبينهم حروب شديدة، وكان مقدمهم رجل يقال له شاه ملك، وكان من أولاد بعض أمراء المشرق، فقدم مصر وخدم بها ثم هرب إلى المغرب، ومعه جماعة ففعل ما ذكر. ولم يحج أحد من أهل العراق فيها.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن أحمد بن خيرون

أبو الفضل المعروف بابن الباقلاني، سمع الكثير، وكتب عنه الخطيب، وكانت له معرفة جيدة، وهو من الثقات، وقبله الدامغاني، ثم صار أميناً له، ثم ولي إشراف خزانة الغلات. توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة.

تتش أبو المظفر

تاج الدولة بن ألب أرسلان صاحب دمشق وغيرها من البلاد، وقد تزوج امرأة علي ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه، ولكن قدر الله وماتت، وقد قال المتنبي:

وَلله سِـــرٌّ فـــي عُـــلاكَ وَإنَّـــمـــا كَـلامُ الـعِـدَى ضَـرْبٌ مِـنَ الـهَـذَيـانِ[١]

قال ابن خلكان: كان صاحب البلاد الشرقية فاستنجده أتسز في محاربة أمير الجيوش من جهة صاحب مصر، فلما قدم دمشق لنجدته وخرج إليه أتسز، أمر بمسكه وقتله، واستحوذ هو على دمشق وأعمالها في سنة إحدى وسبعين، ثم حارب أتسز فقتله، ثم تحارب هو وأخوه بركيارق ببلاد الري، فكسره أخوه وقتل هو في المعركة، وتملك ابنه رضوان حلب، وإليه تنسب بنو رضوان بها، وكان ملكه عليها إلى سنة سبع وخمسين وخمسمائة، سمته أمه في عنقود عنب، فقام من بعده ولده تاج الملك بوري أربع سنين، ثم ابنه الآخر شمس الملك إسماعيل ثلاث سنين، ثم قتلته أمه أيضاً، وهي زمرد خاتون بنت جاولي، وأجلست أخاه شهاب الدين محمود بن بوري، فمكث أربع سنين، ثم ملك أخوه محمد بن بوري طغركين سنة، ثم تملك مجير الدين بن أبق من سنة أربع وثلاثين إلى أن أنتزع الملك منه نور الدين محمود زنكي كما سيأتي. وكان أتابك العساكر بدمشق أيام أتق معين الدين، الذي تنسب إليه المعينية بالغور، والمدرسة المعينية بدمشق رحمه الله.

رزق الله عبد الوهاب

ابن عبد العزيز أبو محمد التميمي أحد أئمة القراء والفقهاء على مذهب أحمد، وأئمة الحديث، وكان له مجلس للوعظ، وحلقة للفتوى بجامع المنصور، ثم بجامع القصر، وكان حسن الشكل محبّباً إلى العامة له شعر حسن، وكان كثير العبادة، فصيح العبارة، حسن المناظرة. وقد روى عن آبائه حديثاً مسلسلاً إلى علي بن أبي طالب أنه قال: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل. وقد كان ذا وجاهة عند الخليفة، يفد في مهام الرسائل إلى السلطان. توفي يوم الثلاثاء النصف من جمادى الأولى من هذه السنة، عن ثمان وثمانين سنة، ودفن بداره بباب المراتب بإذن الخليفة، وصلى عليه ابنه أبو الفضل.

أبو يوسف القزويني

عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار الشيخ، شيخ المعتزلة، قرأ على عبد الجبار بن أحمد الهمداني، ورحل إلى مصر، فأقام بها أربعين سنة، وحصل كتباً كثيرة، وصنف تفسيراً في سبعمائة مجلد.

قال ابن الجوزي: جمع فيه العجب، وتكلم على قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢] في مجلد كامل.

وقال ابن عقيل: كان طويل اللسان بالعلم تارة، وبالشعر أخرى، وقد سمع الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره، ومات ببغداد عن ست وتسعين سنة. وما يتزوج إلا في آخر عمره.

(١) الهذيان: الكلام من دون وعي، ولا طائل وراءه.

أبو شجاع الوزير

محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم، أبو شجاع، الملقب ظهير الدين، الروذراوري الأصل الأهوازي المولد، كان من خيار الوزراء كثير الصدقة والإحسان إلى العلماء والفقهاء، وسمع الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره، وصنف كتباً، منها كتابه الذي ذيله على تجارب الأمم. وزر للخليفة المقتدي وكان يملك ستمائة ألف دينار، فأنفقها في سبيل الخيرات والصدقات، ووقف الوقوف الحسنة، وبنى المشاهد، وأكثر الإنعام على الأرامل والأيتام. قال له رجل: إلى جانبنا أرملة لها أربعة أيتام وهم عراة وجياع، فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة وطعاماً، ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد، وقال: والله لا ألبسها حتى ترجع إليّ بخبرهم، فذهب الرجل مسرعاً بما أرسله على يديه إليهم، ثم رجع إليه فأخبره أنهم فرحوا بذلك ودعوا للوزير، فسرّ بذلك ولبس ثيابه. وجيء إليه مرة بقطائف سكرية فلما وضعت بين يديه تنغّص عليه بمن لا يقدر عليها، فأرسلها كلها إلى المساجد، وكانت كثيرة جداً، فأطعمها الفقراء والعميان وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء، فإذا وقع له أمر مشكل سألهم عنه فحكم بما يفتونه، وكان كثير التواضع مع الناس، خاصتهم وعامتهم، ثم عزل عن الوزارة فسار إلى الحج وجاور بالمدينة ثم مرض، فلما ثقل في المرض جاء إلى الحجرة النبوية فقال: يا رسول الله قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء:٦٤] وها أنا قد جئتك أستغفر الله من ذنوبي وأرجو شفاعتك يوم القيامة، ثم مات من يومه ذلك رحمه الله ودفن في البقيع.

القاضي أبو بكر الشاشي

محمد بن المظفر بن بكران الحموي أبو بكر الشاشي، ولد سنة أربعمائة، وتفقه ببلده، ثم حج في سنة سبع عشرة وأربعمائة، وقدم بغداد فتفقه على الشيخ أبي الطيب الطبري وسمع بها الحديث، وشهد عند ابن الدامغاني فقبله، ولازم مسجده خمساً وخمسين سنة، يقرىء الناس ويفقههم، ولما مات الدامغاني أشار به أبو شجاع الوزير فولاه الخليفة المقتدي القضاء، وكان من أنزه الناس وأَعَفِّهم، لم يقبل من سلطان عطية، ولا من صاحب هدية، ولم يغير ملبسه ولا مأكله، ولا يأخذ على القضاء أجراً ولم يستنب أحداً، بل كان يباشر القضاء بنفسه، ولم يحاب مخلوقاً، وقد كان يضرب بعض المنكرين حيث لا بينة، إذا قامت عنده قرائن التهمة، حتى يقرُّوا، ويذكر أن الشافعي ما يدل على هذا. وقد صنف كتاباً في ذلك، ونصره ابن عقيل فيما كان يتعاطاه من الحكم بالقرائن، واستشهد له بقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ [يوسف:٢٦]. وشهد عنده رجل من كبار الفقهاء والمناظرين يقال له المشطب بن أحمد بن أسامة الفرغاني، فلم يقبله، لما رأى عليه من الحرير وخاتم الذهب، فقال له المدعي: إن السلطان ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير والذهب، فقال

القاضي الشاشي: والله لو شهدا عندي على باقة بقل ما قبلتهما، ولرددت شهادتهما. وشهد عنده مرة فقيه فاضل من أهل مذهبه فلم يقبله، فقال: لأي شيء ترد شهادتي وهي جائزة عند كل حاكم إلا أنت؟ فقال له: لا أقبل لك شهادة، فإني رأيتك تغتسل في الحمام عرياناً غير مستور العورة، فلا أقبلك توفي يوم الثلاثاء عاشر شعبان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة، ودفن بالقرب من ابن شريح.

أبو عبد الله الحميدي

محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد، الأندلسي، من جزيرة يقال لها برقة قريبة من الأندلس، قدم بغداد فسمع بها الحديث، وكان حافظاً مكثراً أديباً ماهراً، عفيفاً نزهاً، وهو صاحب الجمع بين الصحيحين، وله غير ذلك من المصنفات، وقد كتب مصنفات ابن حزم والخطيب، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة، وقد جاوز السبعين، وقبره قريب من قبر بشر الحافي ببغداد.

عبد الله[1] ابن الشيخ أبي الوفا بن عقيل

كان قد حفظ القرآن وتفقه وظهر منه نجابة، ثم مرض فأنفق عليه أبوه أموالاً جزيلة فلم يفد شيئاً فقال له ابنه ذات يوم: يا أبت إنك قد أكثرت الأدوية والأدعية، ولله فيّ اختيار فدعني واختيار الله، قال أبوه: فعلمت أنه لم يوفق لهذا الكلام إلا وقد اختير للحظوة والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة

قال ابن الجوزي في المنتظم: في هذه السنة حكم جهلة المنجمين أنه سيكون في هذه السنة طوفان قريب من طوفان نوح، وشاع الكلام بذلك بين العوام وخافوا، فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عشبون المنجم فسأله عن هذا الكلام فقال: إن طوفان نوح كان في زمن اجتمع في بحر الحوت الطوالع السبعة، والآن فقد اجتمع فيه ستة ولم يجتمع معها زحل، فلا بد من وقوع طوفان في بعض البلاد، والأقرب أنها بغداد، فتقدم الخليفة إلى وزيره بإصلاح المسيلات والمواضع التي يخشى انفجار الماء منها، وجعل الناس ينتظرون، فجاء الخبر بأن الحجاج حصلوا بوادي المناقب بعد نخلة فأتاهم سيل عظيم، فما نجا منهم إلا من تعلق برؤوس الجبال، وأخذ الماء الجمال والرجال والرحال، فخلع الخليفة على ذلك المنجم وأجرى له جارية[2].
وفيها ملك الأمير قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل، وقتل شرف الدولة محمد بن مسلم بن قريش، وغرقه بعد حصار تسعة أشهر. وفيها ملك تميم بن المعز بن المغربي مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمر، فقال خطيب سوسة في ذلك أبياتاً:

---

(١) في ط: هبة الله. (٢) في ط: جراية، وهي المعونة الشهرية.

ضَحِكَ الزَّمَانُ وَكَانَ يُلْفَى عَابِساً ... لَمَّا فَتَحْتَ بِحَدِّ سَيْفِكَ قَابِسا
وافيتها بِكْراً وَمَا أَمْهَرْتَهَا ... إلا قَنَاً وَصَوَارِماً وَفَوَارِسا[١]
الله يَعْلَمَ ما جَنَيْتَ ثِمَارَهَا ... إلاّ وَكَانَ أَبُوكَ قَبل الغارسا
مَنْ كَان في رزقِ الأَسِنَّةِ خَاطِباً ... كَانَتْ لَهُ قُلَلُ البِلادِ عَرَائِسَا[٢]

وفي صفر منها درس الشيخ أبو عبد الله الطبري بالنظامية، ولاه إياها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق. وفيها أغارت خفاجة على بلاد سيف الدولة صدقة بن مزيد بن منصور بن دبيس وقصدوا مشهد الحسين بالحائر، وتظاهروا فيه بالمنكرات والفساد، فكبسهم فيه الأمير صدقة المذكور، فقتل منهم خلقاً كثيراً عند الضريح. ومن العجائب أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور فسلم وسلمت فرسه. وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسناني والله تعالى أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله

أخو أبي حكيم الخيري، وخير: إحدى بلاد فارس، سمع الحديث وتفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكانت له معرفة بالفرائض والأدب واللغة، وله مصنفات، وكان مرضيّ الطريقة، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع القلم من يده واستند وقال: والله لئن كان هذا موتاً إنه لطيب، ثم مات.

عبد المحسن بن أحمد الشنجي

التاجر، ويعرف بابن شهداء مكة، بغدادي، سمع الحديث الكثير، ورحل وأكثر عن الخطيب وهو بصور، وهو الذي حمله إلى العراق، فلهذا أهدى إليه الخطيب تاريخ بغداد بخطه، وقد روى عنه في مصنفاته، وكان يسميه عبد الله، وكان ثقة.

عبد الملك بن إبراهيم

ابن أحمد أبو الفضل المعروف بالهمداني، تفقه على الماوردي، وكانت له يد طولى في العلوم الشرعية والحساب وغير ذلك، وكان يحفظ غريب الحديث لأبي عبيد والمجمل لابن فارس، وكان عفيفاً زاهداً، طلبه المقتدي ليوليه قضاء القضاة فأبى أشد الإباء، واعتذر له بالعجز وعلو السن، وكان ظريفاً لطيفاً، كان يقول: كان أبي إذا أراد أن يؤدبني أخذ العصا بيده ثم يقول: نويت أن أضرب ولدي تأديباً كما أمر الله، ثم يضربني. قال: وإلى أن ينوي ويتمّم النية كنت أهرب. توفي في رجب منها ودفن عند قبر ابن شريح.

---

(١) أمهرتها: من المهر، وهو حداق المرأة، والقنا والصوارم: الرماح والسيوف.

(٢) قلل البلاد: مكان السيادة والرياسة فيها.

محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور

أبو بكر الدقاق، ويعرف بابن الحاضنة، كان معروفاً بالإفادة وجودة القراءة وحسن الخط وصحة النقل، جمع بين علم القراءات والحديث، وأكثر عن الخطيب وأصحاب المخلص. قال: لما غرقت بغداد غرقت داري وكتبي فلم يبق لي شيء، فاحتجت إلى النسخ فكتبت صحيح مسلم في تلك السنة سبع مرات، فنمت فرأيت ذات ليلة كأن القيامة قد قامت وقائل يقول أين ابن الحاضنة؟ فجئت فأدخلت الجنة فلما دخلتها استلقيت على قفاي ووضعت إحدى رجليّ على الأخرى وقلت: استرحت من النسخ، ثم استيقظت والقلم في يدي والنسخ بين يديّ.

أبو المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد أبو المظفر السمعاني، الحافظ، من أهل مرو، تفقه أولاً على أبيه في مذهب أبي حنيفة، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي فأخذ عن أبي إسحاق وابن الصباغ، وكانت له يد طولى في فنون كثيرة، وصنف التفسير وكتاب الانتصار في الحديث، والبرهان والقواطع في أصول الفقه، والاصطلام[1] وغير ذلك، ووعظ في مدينة نيسابور وكان يقول: ما حفظت شيئاً فنسيته، وسئل عن أخبار الصفات فقال: عليكم بدين العجائز وصبيان الكتاتيب، وسئل عن الاستواء فقال:

جِئْتُمَانِي لِتَعْلَمَا سِرَّ سُعْدَى ... تَجِدَانِي بِسِرِّ سُعْدَى شَحِيحَا

إنَّ سُعْدَى لَمُنْيَةُ الْمُتَمَنِّي ... جَمَعَتْ عِفَّةً وَوَجْهاً صَبِيحَا

توفي في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن في مقبرة مرو رحمه الله تعالى وإيانا آمين.

ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة من الهجرة

فيها كان ابتداء ملك الخوارزمية، وذلك أن السلطان بركيارق ملك فيها بلاد خراسان بعد مقتل عمه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان وسلمها إلى أخيه المعروف بالملك سنجر، وجعل أتابكه الأمير قماج، ووزيره أبو الفتح علي بن الحسين الطغرائي. واستعمل على خراسان الأمير حبشي بن البرشاق، فولى مدينة خوارزم شاباً يقال له محمد بن أنوشتكين، وكان أبوه من أمراء السلاجقة، ونشأ هو في أدب وفضيلة وحسن سيرة، ولما ولي مدينة خوارزم لقب خوارزم شاه، وكان أول ملوكهم، فأحسن السيرة وعامل الناس بالجميل، وكذلك ولده من بعده اتسز جرى على سيرة أبيه، وأظهر العدل، فحظي عند السلطان سنجر وأحبه الناس، وارتفعت منزلته. وفيها خطب الملك رضوان بن تاج الملك تتش للخليفة الفاطمي المستعلي، وفي شوال قتل رجل باطني عند باب النوبى كان قد شهد عليه عدلان

(١) الاصطلام: القطع.

أحدهما ابن عقيل أنه دعاهما إلى مذهبه فجعل يقول أتقتلوني وأنا أقول لا إله إلا الله؟ فقال ابن عقيل قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر:٨٤] وما بعدها وفي رمضان منها قتل برسق أحد أكابر الأمراء وكان أول من تولى شحنة بغداد. وحج بالناس فيها خمارتكين الحسناني، وفي يوم عاشوراء كبست دار بهاء الدولة أبو نصر بن جلال الدولة أبي طاهر بن بويه لأمور ثبتت عليه عند القاضي فأريق دمه ونقضت داره[1] وعمل مكانها مسجدان للحنفية والشافعية، وقد كان السلطان ملكشاه قد أقطعه المدائن ودير عاقول وغيرهما.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن الحسن

ابن علي بن زكريا بن دينار، أبو يعلى العبدي البصري، ويعرف بابن الصواف، ولد سنة أربعمائة، وسمع الحديث، وكان زاهداً متصوفاً، وفقيهاً مدرساً، ذا سمت ووقار، وسكينة ودين، وكان علامة في عشرة علوم، توفي في رمضان منها عن تسعين سنة رحمه الله.

المعمر بن محمد

ابن المعمر بن أحمد بن محمد، أبو الغنائم الحسيني، سمع الحديث، وكان حسن الصورة كريم الأخلاق كثير التعبد، لا يعرف أنه آذى مسلماً ولا شتم صاحباً. توفي عن نيف وستين سنة، وكان نقيباً ثنتين وثلاثين سنة، وكان من سادات قريش، وتولى بعده ولده أبو الفتوح حيدرة، ولقب بالرضي ذي الفخرين، ورثاه الشعراء بأبيات ذكرها ابن الجوزي.

يحيى بن أَحمد بن محمد البستي

سمع الحديث ورحل فيه، وكان ثقة صالحاً صدوقاً أديباً، عمر مائة سنة وثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر، وهو مع ذلك صحيح الحواس، يقرأ عليه القرآن والحديث، رحمه الله وإيانا آمين.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

في جمادى الأولى منها ملك الإفرنج مدينة أنطاكية بعد حصار شديد، بمواطأة بعض المستحفظين على بعض الأبراج، وهرب صاحبها باغيسيان في نفر يسير، وترك بها أهله وماله، ثم إنه ندم في أثناء الطريق ندماً شديداً على ما فعل، بحيث إنه غشي عليه وسقط عن فرسه، فذهب أصحابه وتركوه، فجاء راعي غنم فقطع رأسه وذهب به إلى ملك الفرنج، ولما بلغ الخبر إلى الأمير كربوقا صاحب الموصل جمع عساكر كثيرة، واجتمع عليه دقاق

(١) نقضت داره: هدمت داره.

صاحب دمشق، وجناح الدولة صاحب حمص، وغيرهما، وسار إلى الفرنج فالتقوا معهم بأرض أنطاكية فهزمهم الفرنج وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأخذوا منهم أموالاً جزيلة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم صارت الفرنج إلى معرة النعمان فأخذوها بعد حصار فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولما بلغ هذا الأمر الفظيع إلى الملك بركيارق شق عليه ذلك وكتب إلى الأمراء ببغداد أن يتجهزوا هم والوزير ابن جهير، لقتال الفرنج، فبرز بعض الجيش إلى ظاهر البلد بالجانب الغربي ثم انفسخت هذه العزيمة لأنهم بلغهم أن الفرنج في ألف ألف مقاتل فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وحج بالناس فيها خمارتكين.

وممن توفي فيها من الأعيان:

طراد بن محمد بن علي

ابن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي بن عباس، أبو الفوارس بن أبي الحسن بن أبي القاسم بن أبي تمام، من ولد زيد ابن بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وهي أم ولده عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ابن محمد بن عبد الله بن عباس، سمع الحديث الكثير، والكتب الكبار، وتفرّد بالرواية عن جماع، ورحل إليه من الآفاق وأملى الحديث في بلدان شتى، وكان يحضر مجلسه العلماء والسادات وحضر أبو عبد الله الدامغاني مجلسه، وباشر نقابة العباسيين مدة طويلة، وتوفي عن نيفٍ وتسعين سنة، ودفن في مقابر الشهداء رحمه الله.

المظفر أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم

ابن المسلمة كانت داره مجمعاً لأهل العلم والدين والأدب، وبها توفي الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، ودُفن عند الشيخ أبي إسحاق في تربته.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة
وفيها أخذت الفرنج بيت المقدس

لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة، أخذت الفرنج لعنهم الله بيت المقدس شرفه الله، وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ وتبروا ﴿مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ۝٧﴾ قال ابن الجوزي: وأخذوا من حول الصخرة اثنين وأربعين قنديلاً من فضة، زنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنوراً من فضة زنته أربعون رطلاً بالشامي، وثلاثة وعشرين قنديلاً من ذهب، وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق، مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان، منهم القاضي أبو سعد الهروي، فلما سمع

الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا، وقد نظم أبو سعد الهروي كلاماً قرىء في الديوان وعلى المنابر، فارتفع بكاء الناس، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس فلم يفد ذلك شيئاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فقال في ذلك أبو المظفر الأبيوردي شعراً:

مَزَجْنَا دِمَانَا بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ ... فَلَمْ يَبْقَ منا عرضةٌ لِلْمَرَاجِمِ[1]
وَشَرُّ سِلاحِ المَرْءِ دَمْعٌ يُرِيقُهُ ... إذا الحَرْبُ شَبَّتْ نَارها بِالصَّوَارِمِ
فَإِيهاً بَنِي الإِسْلامِ إنَّ وَرَاءَكُمْ ... وَقَائِعُ يُلْحِقْنَ الذُّرَى بِالمَنَاسِمِ[2]
وَكَيْفَ تَنَامُ العَيْنُ مِلءَ جُفُونِهَا ... عَلَى هَفَوَاتٍ أَيْقَظَتْ كُلَّ نَائِمِ
وَإِخْوَانُكُمْ بِالشَّامِ يُضْحِي مَقِيلُهُمْ ... ظُهُورَ المَذَاكِي أَوْ بُطُونَ القَشَاعِمِ[3]
تَسُومُهُمُ الرُّومُ الهَوَانَ وَأَنْتُمُ ... تَجُرُّونَ ذَيْلَ الخَفْضِ[4] فِعْلَ المُسَالِمِ

ومنها قوله:

وَبَيْنَ اخْتِلاسِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَقْفَةٌ ... تَظَلُّ لَهَا الوِلْدَانُ شِيبَ القَوَادِمِ
وَتِلْكَ حُرُوبٌ مَنْ يَغِبْ عَنْ غُمَارِهَا ... لِيَسْلَمَ يَقْرَعْ بَعْدَهَا سِنَّ نَادِمِ
سَلَلْنَ بِأَيْدِي المُشْرِكِينَ قَوَاضِباً[5] ... سَتُغْمَدُ مِنْهُمْ في الكُلَى وَالجَمَاجِمِ
يَكَادُ لَهُنَّ المُسْتَجِيرُ بِطَيْبَةٍ ... يُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ يا آلَ هَاشِمِ
أَرَى أُمَّتِي لا يُشْرِعُونَ إلى العِدَا ... رِمَاحَهُمُ وَالدِّينُ وَاهِي الدَّعَائِمِ[6]
وَيَجْتَنِبُونَ النَّارَ خَوْفاً مِنَ الرَّدَى ... وَلا يَحْسَبُونَ العَارَ ضَرْبَةَ لازِمِ
أَيَرْضَى صَنَادِيدُ الأَعَارِيبِ بالأَذَى ... وَيُغْضِي عَلَى ذُلٍّ كُمَاةُ الأَعَاجِمِ[7]
فَلَيْتَهُمُو إذْ لَمْ يَذُودُوا[8] حَمِيَّةً ... عَنِ الدِّينِ ضَنُّوا غَيْرَةً بِالمَحَارِمِ
وَإِنْ زَهِدُوا في الأَجْرِ إذ حَمِسَ الوَغَى ... فَهَلاَّ أَتَوْهُ رَغْبَةً في المَغَانِمِ

وفيها كان ابتداء أمر السلطان محمد بن ملكشاه، وهو أخو السلطان سنجر لأبيه وأمه،

---

(١) السواجم: المذروفه والمنهمرة، والمراجم: وهو الرجم بالأحجار.
(٢) المناسم: جمع منسم، وهو خف البعير.
(٣) المذاكي: الخيول. والقشاعم: النسور.
(٤) ذيل الخفض: ذيل الذل.
(٥) القواضب: القواطع من السيوف.
(٦) يشرعون: يشهرون ويعدون، وواهي: ضعيف.
(٧) الصناديد: الأبطال، والكماة: الأبطال، وأغض: أطرق.
(٨) يذودوا: يدافعوا ويمنعوا.

واستفحل إلى أن خطب له ببغداد في ذي الحجة من هذه السنة. وفيها سار إلى الري فوجد زبيدة خاتون أم أخيه بركيارق فأمر بخنقها، وكان عمرها إذ ذاك ثنتين وأربعين سنة، في ذي الحجة منها كانت له مع بركيارق خمس وقعات هائلة. وفيها غلت الأسعار جداً ببغداد، حتى مات كثير من الناس جوعاً، وأصابهم وباء شديد حتى عجزوا عن دفن الموتى من كثرتهم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

السلطان إبراهيم ابن السلطان محمود

ابن مسعود ابن السلطان محمود بن سبكتكين، صاحب غزنة وأطراف الهند، وعدا ذلك، كانت له حرمة وأبهة عظيمة، وهيبة وافرة جدّاً، حكى الكيا الهراسي حين بعثه السلطان بركيارق في رسالته إليه عما شاهده عنده من أمور السلطنة في ملبسه ومجلسه، وما رأى عنده من الأموال والسعادة الدنيوية، قال: رأيت شيئاً عجيباً، وقد وعظه بحديث «لمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ في الجَنَّة خَيرٌ مِنْ هٰذا» فبكى. قال: وكان لا يبني لنفسه منزلاً إلا بني قبله مسجداً أو مدرسة أو رباطاً. توفي في رجب منها وقد جاوز التسعين، وكانت مدة ملكه منها ثنتين وأربعين سنة.

عبد الباقي بن يوسف

ابن علي بن صالح، أبو تراب الداعي، ولد سنة إحدى وأربعمائة وتفقه على أبي الطيب الطبري وسمع الحديث عليه وعلى غيره [من المشايخ][1]، ثم أقام بنيسابور، وكان يحفظ شيئاً كثيراً [من مسائل الخلاف نحو من أربعة آلاف مسألة بأدلتها والمناظرة وغير ذلك من][2] الحكايات والملح، وكان صبوراً متقللاً من الدنيا، على طريقة السلف، جاءه منشور بقضاء همدان فقال: أنا منتظر منشوراً من الله عز وجل، على يدي ملك الموت بالقدوم عليه، والله لجلوس ساعة في هذا المسلة على راحة القلب أحب إليّ من ملك العراقين، وتعليم مسألة لطالب أحب إليّ مما على الأرض من شيء، والله لا أفلح قلب يعلق بالدنيا وأهلها، وإنما العلم دليل، فمن لم يدله علمه على الزهد في الدنيا وأهلها لم يحصل على طائل من العلم، ولو علم ما علم، فإنما ذلك ظاهر من العلم، والعلم النافع وراء ذلك، والله لو قطعت يدي ورجليّ وقلعت عيني أحب إليّ من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة، وما هو سبب فوز المتقين، وسعادة المؤمنين. توفي رحمه الله في ذي القعدة من هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة رحمه الله آمين.

أبو القاسم ابن إمام الحرمين

قتله بعض الباطنية بنيسابور رحمه الله ورحم أباه.

---

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

في صفر منها دخل السلطان بركيارق إلى بغداد، ونزل بدار الملك، وأعيدت له الخطبة، وقطعت خطبة أخيه محمد وبعث إليه الخليفة هدية هائلة، وفرح به العوام والنساء، ولكنه في ضيق من أمر أخيه محمد، لإقبال الدولة عليه، واجتماعهم إليه، وقلة ما معه من الأموال، ومطالبة الجند له بأرزاقهم، فعزم على مصادرة الوزير ابن جهير، فالتجأ إلى الخليفة فمنعه من ذلك، ثم اتفق الحال على المصالحة عنه بمائة ألف دينار وستين ألف دينار، ثم سار فالتقى هو وأخوه محمد بمكان قريب من همدان فهزمه أخوه محمد ونجا هو بنفسه في خمسين فارساً، وقتل في هذه الوقعة سعد الدولة جوهر آيين الخادم، وكان قديم الهجرة في الدولة، وقد ولي شحنة بغداد، وكان حليماً حسن السيرة، لم يتعمد ظلم أحد ولم يرَ خادم ما رأى، من الحشمة والحرمة وكثرة الخدم، وقد كان يكثر الصلاة بالليل، ولا يجلس إلا على وضوء، ولم يمرض مدة حياته ولم يصدع[1] قط، ولما جرى ما جرى في هذه الوقعة ضعف أمر السلطان بركيارق، ثم تراجع إليه جيشه وانضاف إليه الأمير داود في عشرين ألفاً، فالتقى هو وأخوه مع أخيه سنجر فهزمهم سنجر أيضاً وهرب في شرذمة قليلة، وأسر الأمير داود فقتله الأمير برغش أحد أمراء سنجر، فضعف بركيارق وتفرقت عنه رجاله، وقطعت خطبته من بغداد في رابع عشر رجب وأعيدت خطبة السلطان محمد. وفي رمضان منها قبض على الوزير عميد الدولة بن جهير، وعلى أخويه زعيم الرؤساء أبي القاسم، وأبي البركات الملقب بالكافي، وأخذت منهم أموال كثيرة، وحبس بدار الخلافة حتى مات في شوال منها. وفي ليلة السابع والعشرين منه قتل الأمير بلكابك سرمز رئيس شحنة أصبهان، ضربه باطني بسكين في خاصرته وقد كان يتحرز منهم كثيراً، وكان يدرع تحت ثيابه سوى هذه الليلة، ومات من أولاده في هذه الليلة جماعة، خرج من داره خمس جنائز من صبيحتها. وفيها أقبل ملك الفرنج في ثلاثمائة ألف مقاتل فالتقى معه ستكين بن أنشمند طايلو، أتابك دمشق الذي يقال له أمين الدولة، واقف الأمينية بدمشق وببصرى، لا التي ببعلبك، فهزم الإفرنج وقتل منهم خلقاً كثيراً، بحيث لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف، وأكثرهم جرحى. يعني الثلاثة آلاف ـ وذلك في ذي القعدة منها، ولحقهم إلى ملطية فملكها وأسر ملكها ولله الحمد. وحج بالناس الأمير التونتاش التركي وكان شافعي المذهب.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عبد الرزاق الغزنوي والصوفي

شيخ رباط عتاب، حج مرات على التجريد، ومات وله نحو مائة سنة، ولم يترك كفناً، وقد قالت له امرأته لما احتضر سنفتضح اليوم. قال: لم؟ قالت له: لأنه لا يوجد لك

(١) لم يصدع: لم يصب بالصداع. وهو وجع الرأس.

كفن، فقال لها: لو تركت كفناً لافتضحت، وعكسه أبو الحسن البسطامي شيخ رباط ابن المحلبان، كان لا يلبس إلا الصوف شتاء وصيفاً، ويظهر الزهد، وحين توفي وجد له أربعة آلاف دينار مدفونة، فتعجب الناس من حاليهما فرحم الله الأول وسامح الثاني.

الوزير عميد الدولة بن جهير

محمد بن أبي نصر بن محمد بن جهير الوزير، أبو منصور، كان أحد رؤساء الوزراء. خدم ثلاثة من الخلفاء وزر منهم لاثنين، وكان حليماً قليل العجلة، غير أنه كان يتكلم فيه بسبب الكبر، وقد وليَ الوزارة مرات، يعزل ثم يعاد، ثم كان آخرها هذه المرة حبس بدار الخلافة فلم يخرج من السجن إلا ميتاً، في شوال منها.

ابن جزلة الطبيب

يحيى بن عيسى بن جزلة صاحب المنهاج في الطب، كان نصرانياً وكان يتردد إلى الشيخ أبي علي بن الوليد المعتزلي يشتغل عليه في المنطق، وكان أبو علي يدعوه إلى الإسلام ويوضح له الدلالات حتى أسلم وحسن إسلامه، واستخلفه الدامغاني في كتب السجلات، ثم كان يطبب الناس بعد ذلك بلا أجر، وربما ركب لهم الأدوية من ماله تبرعاً، وقد أوصى بكتبه أن تكون وقفاً بمشهد أبي حنيفة رحمه الله وإيانا آمين.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة

فيها عظم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنية فقتل السلطان منهم خلقاً كثيراً، وأبيحت ديارهم وأموالهم للعامة، ونودي فيهم أن كل من قدرتم عليه منهم فاقتلوه وخذوا ماله، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة، وأول قلعة ملكوها في سنة ثلاث وثمانين، وكان الذي ملكها الحسن بن صباح، أحد دعاتهم، وكان قد دخل مصر وتعلم من الزنادقة الذين بها، ثم صار إلى تلك النواحي ببلاد أصبهان، وكان لا يدعو إليه من الناس إلا غبياً جاهلاً، لا يعرف يمينه من شماله، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز[1]، حتى يحرق مزاجه ويفسد دماغه، ثم يذكر له أشياء من أخبار أهل البيت، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال، أنهم ظلموا ومنعوا حقهم الذي أوجبه الله لهم ورسوله، ثم يقول له فإذا كانت الخوارج تقاتل بني أمية لعلي، فأنت أحق أن تقاتل في نصرة إمامك علي بن أبي طالب، ولا يزال يسقيه العسل وأمثاله ويرقيه حتى يستجيب له ويصير أطوع له من أمّه وأبيه، ويظهر له أشياء كثيرة من المخرقة والنيرنجيات والحيل التي لا تروج إلا على الجهال، حتى التف عليه بشر كثير، وجم غفير، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه يتوعده وينهاه عن ذلك، وبعث إليه بفتاوى العلماء، فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول قال لمن حوله من الشباب: إني أريد أن أرسل

---

(١) الشونيز: نوع من الخبز.

منكم رسولاً إلى مولاه، فاشرأبّت وجوه الحاضرين، ثم قال لشاب منهم: أقتل نفسك، فأخرج سكيناً فضرب بها غلصمته فسقط ميتاً، وقال لآخر منهم: ألق نفسك من هذا الموضع، فرمى نفسه من رأس القلعة إلى أسفل خندقها فتقطع. ثم قال لرسول السلطان. هذا الجواب. فمنها امتنع السلطان من مراسلته. هكذا ذكره ابن الجوزي، وسيأتي ما جرى للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس وما جرى له مع سنان صاحب الإيوان مثل هذا إن شاء الله تعالى.

[وفي شهر رمضان أمر الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وأن لا يُبيض وأن يصلي فيه التراويح وأن يجهر بالبسملة، وأن يمنع النساء من الخروج ليلاً للفرجة. وفي أول هذه السنة دخل السلطان بركيارق إلى بغداد فخطب له بها ثم لحقه أخواه محمد وسنجر فدخلاها وهو مريض فعبرا في الجانب الغربي فقطعت خطبته وخطب لهما بها، وهرب بركيارق إلى واسط، ونهب جيشه ما اجتازوا به من البلاد والأراضي، فنهاه بعض العلماء عن ذلك ووعظه فلم يفد شيئاً. وفي هذه السنة ملكت الفرنج قلاعاً كثيرة منها: قيسارية وسروج، وسار ملك الفرنج كندر ـ وهو الذي أخذ بيت المقدس ـ إلى عكا فحاصرها فجاءه سهم في عنقه فمات من فوره لعنة الله.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد

ابن عبد الواحد بن الصباغ أبو منصور، سمع الحديث وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري ثم على ابن عمه أبي نصر بن الصباغ[1]، وكان فقيهاً فاضلاً كثير الصلاة يصوم الدهر، وقد ولي القضاء بربع الكرخ والحسبة بالجانب الغربي.

عبد الله بن الحسن

ابن أبي منصور أبو محمد الطبسي رحل إلى الآفاق وجمع وصنّف، وكان أحد الحفاظ المكثرين ثقة صدوقاً عارفاً بالحديث، ورعاً، حسن الخلق.

عبد الرحمن بن أحمد

ابن محمد أبو محمد الرزاز السرخسي نزل مرو وسمع الحديث وأملى ورحل إليه العلماء، وكان حافظاً لمذهب الشافعي متديناً ورعاً، رحمه الله.

عزيز بن عبد الملك

منصور أبو المعالي الجيلي القاضي الملقب سيد له، كان شافعياً في الفروع أشعرياً في الأصول، وكان حاكماً بباب الأزج، وكان بينه وبين أهل باب الأزج من الحنابلة شنآن كبير،

---

(١) في ط: الصباح.

سمع رجلاً ينادي على حمار له ضائع فقال: يدخل باب الأزج ويأخذ بيد من شاء. وقال يوماً للنقيب طراد الزينبي: لو حلف إنسان أنه لا يرى إنساناً فرأى أهل باب الأزج لم يحنث[1]. فقال له الشريف: من عاشر قوماً أربعين يوماً فهو منهم. ولهذا لما مات فرحوا بموته كثيراً.

محمد بن أحمد

ابن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق أبو الفضائل الربعي الموصلي، تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وسمع من القاضي أبي الطيب الطبري، وكان ثقة صالحاً كتب الكثير.

محمد بن الحسن

أبو عبد الله المرادي نزل أوان وكان مقرئاً فقيهاً صالحاً، له أحوال كرامات ومكاشفات، أخذ عن القاضي أبي يعلى بن الفراء، الحديث وغيره.

قال ابن الجوزي: بلغني أن ابناً له صغيراً طلب منه غزالاً وألحّ عليه، فقال له: يا بني غداً يأتيك غزال. فلما كان الغد أتت غزال فصارت تنطح الباب بقرنيها حتى فتحته، فقال له أبوه: يا بني أتتك الغزال.

محمد بن علي بن عبيد الله

ابن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان أبو نصر الموصلي القاضي، قدم بغداد سنة ثلاث وتسعين، وحدث عن عمه بالأربعين الودعانية، وقد سرقها عمه أبو الفتح بن ودعان من زيد بن رفاعة الهاشمي، فركب لها أسانيد إلى من بعد زيد بن رفاعة، وهي موضوعة كلها، وإن كان في بعضها معاني صحيحة والله أعلم.

محمد بن منصور

أبو سعد المستوفي شرف الملك الخوارزمي، جليل القدر، وكان متعصباً لأصحاب أبي حنيفة، ووقف لهم مدرسة بمرو، ووقف فيها كتباً كثيرة، وبنى مدرسة ببغداد عند باب الطاق، وبنى القبة على قبر أبي حنيفة، وبنى أربطة في المفاوز، وعمل خيراً كثيراً، وكان من أكل الناس مأكلاً ومشرباً، وأحسنهم ملبساً، وأكثرهم مالاً، ثم نزل العمالة[2] بعد هذا كله، وأقبل على العبادة والاشتغال بنفسه إلى أن مات.

محمد بن منصور القسري

المعروف بعميد خراسان، قدم بغداد أيام طغرلبك وحدث عن أبي حفص عمر بن

---

(١) الحنث: عدم الوفاء بالقسم.

(٢) العمالة: حرفة العمل.

أحمد بن مسرور، وكان كثير الرغبة في الخير، ووقف بمرو مدرسة على أبي بكر بن أبي المظفر السمعاني وورثته.

قال ابن الجوزي: فهم يتولونها إلى الآن، وبنى بنيسابور مدرسة، وفيها تربته. وكانت وفاته في شوال من هذه السنة.

نصر بن أحمد

ابن عبد الله بن البطران البزار القارىء. ولد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وسمع الكثير وتفرد عن ابن رزقويه وغيره، وطال عمره، ورحل إليه من الآفاق، وكان صحيح السماع.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

في ثالث المحرم منها قبض على أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالكيا الهراسي، وعزل عن تدريس النظامية، وذلك أنه رماه بعضهم عند السلطان بأنه باطني، فشهد له جماعة من العلماء - منهم ابن عقيل - ببراءته من ذلك، وجاءت الرسالة من دار الخلافة يوم الثلاثاء بخلاصه. وفيها في يوم الثلاثاء الحادي عشر من المحرم جلس الخليفة المستظهر بالله بدار الخلافة وعلى كتفيه البردة والقضيب بيده، وجاء الملكان الأخوان محمد وسنجر أبناء ملكشاه، فقبلا الأرض وخلع عليهما السلطانية، على محمد سيفاً وطوقاً وسوار لؤلؤ وأفراساً من مراكبه، وعلى سنجر دون ذلك، وولي السلطان محمد الملك، واستنابه في جميع ما يتعلق بأمر الخلافة، دون ما أغلق عليه الخليفة بابه، ثم خرج السلطان محمد في تاسع عشر الشهر فأرجف الناس، وخرج بركيارق فأقبل السلطان محمد فالتفوا وجرت حروب كثيرة وانهزم محمد وجرى عليه مكروه شديد، كما سيأتي بيانه. وفي رجب منها قبل القاضي أبو الحسن بن الدامغاني شهادة أبي الحسين وأبي حازم ابني القاضي أبي يعلى بن الفراء. وفيها قدم عيسى بن عبد الله القونوي فوعظ الناس وكان شافعياً أشعرياً، فوقعت فتنة بين الحنابلة والأشعرية ببغداد. وفيها وقع حريق عظيم ببغداد.

وحج بالناس حميد العمري صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس، صاحب الحلة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أبو القاسم صاحب مصر

الخليفة الملقب بالمستعلي، في ذي الحجة منها، وقام بالأمر من بعده ابنه علي وله تسع سنين، ولقب بالآمر بأحكام الله.

محمد بن هبة الله

أبو نصر القاضي البندنيجي الضرير الفقيه الشافعي، أخذ عن الشيخ أبي إسحاق ثم

جاور بمكة أربعين سنة، يفتي ويدرس ويروي الحديث ويحج ومن شعره قوله:

عَدِمْتُكِ نَفْسِي ما تَمَلِّي بَطَالَتِي ... وَقَدْ مرَّ أصحابي وَأَهلُ مَوَدَّتِي
أُعَاهِدُ رَبِّي ثُمَّ أَنْقُضُ عَهْدَهُ ... وَأَتْرُكُ عَزْمِي حِينَ تَعْرِضُ شَهْوَتِي
وَزَادِي قَلِيلٌ مَا أَرَاهُ مُبَلِّغِي ... أَلِلزَّادِ أَبْكِي أَمْ لِبُعْدِ مَسَافَتِي؟

ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة

فيها حاصر السلطان بركيارق أخاه محمداً بأصبهان، فضاقت على أهلها الأرزاق، واشتد الغلاء عندهم جداً، وأخذ السلطان محمد أهلها بالمصادة والحصار حولهم من خارج البلد، فاجتمع عليهم الخوف والجوع، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، ثم خرج السلطان محمد من أصبهان هارباً فأرسل أخوه في أثره مملوكه إياز، فلم يتمكن من القبض عليه، ونجا بنفسه سالماً. قال ابن الجوزي: وفي صفر منها زيد في ألقاب قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني تاج الإسلام. وفي ربيع الأول قطعت الخطبة للسلاطين ببغداد، واقتصر على ذكر الخليفة فيها، والدعاء له، ثم التقى الأخوان بركيارق ومحمد، فانهزم محمد أيضاً ثم اصطلحا. وفيها ملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة. وفيها قتل أبو المظفر الخجندي الواعظ بالري، وكان فقيهاً شافعياً مدرساً، قتله رافضي علوي في الفتنة، وكان عالماً فاضلاً، كان نظام الملك يزوره ويعظمه. وحج بالناس خمارتكين.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن علي

ابن عبد الله بن سوار، أبو طاهر المقري، صاحب المصنفات في علوم القرآن، كان ثقة ثبتاً مأموناً عالماً بهذا الشأن، قد جاوز الثمانين.

أبو المعالي

أحد الصلحاء الزهاد، ذوي الكرامات والمكاشفات، وكان كثير العبادة متقلّلاً من الدنيا، لا يلبس صيفاً ولا شتاء إلا قميصاً واحداً، فإذا اشتد البرد وضع على كتفه مئزراً، وذكر أنه أصابته فاقة شديدة في شهر رمضان، فعزم على الذهاب إلى بعض الأصحاب ليستقرض منه شيئاً، قال: فبينما أنا أريده إذا بطائر قد سقط على كتفي، وقال يا أبا المعالي أنا الملك الفلاني، لا تمض إليه نحن نأتيك به، قال فبكر إليّ الرجل. رواه ابن الجوزي في منتظمه من طرق عدة، كانت وفاته في هذه السنة، ودفن قريباً من قبر أحمد.

السيدة بنت القائم بأمر الله

أمير المؤمنين التي تزوجها طغرلبك، ودفنت بالرصافة، وكانت كثيرة الصدقة، وجلس لعزائها في بيت النوبة الوزير، والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة

فيها قصد الفرنج لعنهم الله الشام فقاتلهم المسلمون فقتلوا من الفرنج اثني عشر ألفاً، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ [الأحزاب:٢٥] وقد أسر في هذه الوقعة بردويل صاحب الرها. وفيها سقطت منارة واسط، وقد كانت من أحسن المنائر، كان أهل البلد يفتخرون بها وبقبة الحجاج، فلما سقطت سمع لأهل البلد بكاء وعويل شديد، ومع هذا لم يهلك بسببها أحد وكان بناؤها في سنة أربع وثلاثمائة في زمن المقتدر. وفيها تأكد الصلح بين الأخوين السلطانين بركيارق ومحمد، وبعث إليه بالخلع وإلى الأمير إياز. أخذت مدينة عكا وغيرها من السواحل. وفيها استولى الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة على مدينة واسط. وفيها توفي الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق، فأقام مملوكه طغتكين ولداً له صغيراً مكانه، وأخذ البيعة له، وصار هو أتابكه يدير المملكة مدة بدمشق. وفيها عزل السلطان سنجر وزيره أبا الفتح الطغرائي ونفاه إلى غزنة. وفيها ولّي أبو نصر نظام الحضريين ديوان الإنشاء، وفيها قتل الطبيب الماهر أبو نعيم، وكانت له إصابات عجيبة.

وحج بالناس فيها الأمير خمارتكين.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أزدشير بن منصور

أبو الحسن العبادي الواعظ، تقدم أنه قدم بغداد فوعظ بها فأحبته العامة في سنة ست وثمانين وقد كانت له أحوال جيدة فيما يظهر والله أعلم.

إسماعيل بن محمد

ابن أحمد بن عثمان أبو الفرج القومساني، من أهل همدان، سمع من أبيه وجده. وكان حافظاً حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون، مأموناً.

العلا بن الحسن بن وهب: ابن الموصلايا، سعد الدولة، كاتب الإنشاء ببغداد، وكان نصرانياً فأسلم في سنة أربع وثمانين فمكث في الرياسة مدة طويلة، نحواً من خمس وستين سنة، وكان فصيح العبارة، كثير الصدقة، توفي في هذه السنة عن عمر طويل رحمه الله تعالى.

محمد بن أحمد بن عمر

أبو عمر النهاوندي، قاضي البصرة مدة طويلة، وكان فقيهاً، سمع من أبي الحسن الماوردي وغيره ومولده في سنة سبع، وقيل تسع، وأربعمائة والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

فيها توفي السلطان بركيارق وعهد إلى ولده الصغير ملكشاه، وعمره أربع سنين وشهور وخطب له ببغداد، ونثر عند ذكره الدنانير والدراهم، وعلى أتابكه الأمير إياز ولقب جلال

الدولة، ثم جاء السلطان محمد إلى بغداد فخرج إليه أهل الدولة ليتلقوه وصالحوه، وكان الذي أخذ البيعة بالصلح الكيا الهراسي، وخطب له بالجانب الغربي، ولابن أخيه بالجانب الشرقي، ثم قتل الأمير إياز وحملت إليه الخلع والدولة والدست، وحضر الوزير سعد الدولة عند الكيا الهراسي، في درس النظامية، ليرغب الناس في العلم، وفي ثامن رجب منها أزيل الغيار عن أهل الذمة الذين كانوا ألزموه في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، ولا يعرف ما سبب ذلك وفيها كانت حروب كثيرة ما بين المصريين والفرنج، فقتلوا من الفرنج خلقاً كثيراً، ثم أديل عليهم[(١)] الفرنج فقتلوا منهم خلقاً.

وممن توفي فيها من الأعيان.

السلطان بركيارق بن ملك شاه

ركن الدولة السلجوقي، جرت له خطوب طويلة وحروب هائلة، خطب له ببغداد ست مرات، ثم تنقطع الخطبة له ثم تعاد، مات وله من العمر أربع وعشرون سنة وشهور، ثم قام من بعده ولده ملشكاه، فلم يتم له الأمر بسبب عمه محمد.

عيسى بن عبد الله

ابن القاسم أبو الوليد الغزنوي الأشعري كان متعصباً للأشعري، خرج من بغداد قاصداً لبلده فتوفي بأسفرايين.

محمد بن أحمد بن إبراهيم

ابن سلفة الأصبهاني، أبو أحمد، كان شيخاً عفيفاً ثقة، سمع الكثير، وهو والد الحافظ أبي طاهر السلفي الحافظ.

[الحافظ][(٢)] أبو علي الخيالي الحسين بن محمد

ابن أحمد الغساني الأندلسي، مصنف تقييد المهمل على الألفاظ، وهو كتاب مفيد كثير النفع وكان حسن الخط عالماً باللغة والشعر والأدب، وكان يسمع في جامع قرطبة، توفي ليلة الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان، عن إحدى وسبعين سنة.

محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر

أبو الحسن الواسطي، سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وقرأ الأدب وقال الشعر. من ذلك قوله:

مَنْ قَالَ لِي جَاهٌ وَلِي حِشْمَةٌ وَلِي قَبُولٌ عِنْدَ مَوْلانَا
وَلَمْ يَعُدْ ذَاكَ بِنَفْعٍ عَلَى صَدِيقِهِ لا كَانَ مَا كَانَا

---

(١) أديل عليهم: أي كانت لهم الغلبة. (٢) سقط في ط.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة

في المحرم منها ادعى رجل النبوة بنواحي نهاوند، وسمى أربعة من أصحابه بأسماء الخلفاء الأربعة فاتبعه على ضلالته خلق من الجهلة الرعاع، وباعوا أملاكهم ودفعوا أثمانها إليه، وكان كريماً يعطي من قصده ما عنده، ثم إنه قتل بتلك الناحية. ورام رجل آخر من ولد ألب أرسلان بتلك الناحية الملك فلم يتم له أمره، بل قبض عليه في أقل من شهرين، وكانوا يقولون ادعى رجل النبوة وآخر الملك، فما كان بأسرع من زوال دولتهما وفي رجب منها زادت دجلة زيادة عظيمة، فأتلفت شيئاً كثيراً من الغلات، وغرقت دور كثيرة ببغداد. وفيها كسر طغتكين أتابك عساكر دمشق الفرنج، وعاد مؤيداً منصوراً إلى دمشق، وزيّنت البلد زينة عجيبة مليحة، سروراً بكسره الفرنج. وفيها في رمضان منها حاصر الملك رضوان ابن تتش صاحب حلب مدينة نصيبين، وفيها ورد إلى بغداد ملك من ملوك الملثمين وصحبته رجل يقال له الفقيه، فوعظ في جامع القصر.

وحج بالناس رجل من أقرباء الأمير سيف الدولة صدقة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أبو الفتح الحاكم

سمع الحديث من البيهقي وغيره، وعلق عن القاضي حسن طريقه وشكره في ذلك، وكان قد تفقه أولاً على الشيخ أبي علي السنجي، ثم تفقه وعلق عن إمام الحرمين في الأصول بحضرته، واستجاده وولي بلده مدة طويلة، وناظر، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وتلاوة القرآن.

وقال ابن خلكان: وبنى للصوفية رباطاً من ماله، ولزم التعبد إلى أن مات في مستهل المحرم من هذه السنة.

محمد بن أحمد

ابن محمد بن علي بن عبد الرزاق أبو منصور الحناط، أحد القراء والصلحاء، ختم ألوفاً من الناس، وسمع الحديث الكثير، وحين توفي اجتمع العالم في جنازته اجتماعاً لم يجتمع لغيره مثله، ولم يعهد له نظير في تلك الأزمان. وكان عمره يوم توفي سبعاً وتسعين سنة رحمه الله، وقد رثاه الشعراء، ورآه بعضهم في المنام فقال له: ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لي بتعليمي الصبيان الفاتحة.

محمد بن عبيد الله بن الحسن

ابن الحسين: أبو الفرج البصري قاضيها، سمع أبا الطيب الطبري والماوردي وغيرهما، ورحل في طلب الحديث، وكان عابداً خاشعاً عند الذكر.

مهارش بن مجلي

أمير العرب بحديثة عانة، وهو الذي أودع عنده الخليفة القائم بأمر الله، حين كانت فتنة البساسيري، فأكرم الخليفة حين ورد عليه، ثم جازاه الخليفة الجزاء الأوفى، وكان الأمير مهارش هذا كثير الصدقة والصلاة، توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة خمسمائة [من الهجرة النبوية](١)

قال أبو داود في سننه: حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُعْجِزَ الله هٰذِهِ الأُمَّةَ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ». حدثنا عمر بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: «إنِّي لأَرْجُو أَنْ لا يَعْجِزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا أَنْ يُؤَخِّرَهَا نِصْفَ يَوْمٍ». قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: «خَمْسُمَائَةِ سَنَةٍ».

وهذا من دلائل النبوة. وذكر هذه المدة لا ينفي زيادة عليها، كما هو الواقع، لأنه عليه السلام ذكر شيئاً من أشراط الساعة لا بد من وقوعها كما أخبر سواء بسواء. وسيأتي ذكرها فيما بعد زماننا، وبالله المستعان.

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث أن السلطان محمد بن ملكشاه حاصر قلاعاً كثيرة من حصون الباطنية، فافتتح منها أماكن كثيرة، وقتل خلقاً منهم، قلعة حصينة كان أبوه قد بناها بالقرب من أصبهان، في رأس جبل منيع هناك، وكان سبب بنائه لها أنه كان مرة في بعض صيوده فهرب منه كلب فاتبعه إلى رأس الجبل فوجده، وكان معه رجل من رسل الروم، فقال الرومي: لو كان هذا الجبل ببلادنا لاتخذنا عليه قلعة، فحدا(٢) هذا الكلام السلطان إلى أن ابتنى في رأسه قلعة أنفق عليها ألف ألف دينار، ومائتي ألف دينار، ثم استحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبد الله بن عطاء، فتعب المسلمون بسببها، فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها، وسلخ هذا الرجل وحشي جلده تبناً وقطع رأسه، فطيف به في الأقاليم، ثم نقض(٣) هذه القلعة حجراً حجراً، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلفت، وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة، وكان الناس يتشاءمون بهذه القلعة، يقولون: كان دليلها كلباً، والمشير بها كافراً، والمتحصن بها زنديقاً.

وفيها وقعت حروب كثيرة بين بني خفاجة وبين بني عبادة، فقهرت عبادة خفاجة وأخذت بثأرها المتقدم منها. وفيها استحوذ سيف الدولة صدقة على مدينة تكريت بعد قتال كثير. وفيها أرسل السلطان محمد الأمير جاولي سقاوو إلى الموصل وأقطعه إياها، فذهب فانتزعها من الأمير جكرمش بعد ما قاتله وهزم أصحابه وأسره، ثم قتله بعد ذلك وقد كان

---

(١) سقط في ط. (٢) حدا: حمل. (٣) نقض: هدم.

جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلاً وإحساناً، ثم أقبل قلج أرسلان بن قتلمش فحاصر الموصل فانتزعها من جاولي، فصار جاولي إلى الرحبة، فأخذها ثم أقبل إلى قتال قلج فكسره وألقى قلج نفسه في النهر الذي للخابور فهلك، وفيها نشأت حروب كثيرة بين الروم والفرنج فاقتتلوا قتالاً عظيماً ولله الحمد، وقتل من الفريقين طائفة كبيرة، ثم كانت الهزيمة على الفرنج ولله الحمد رب العالمين.

قتل فخر الملك أبو المظفر

وفي يوم عاشوراء منها قتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك، وكان أكبر أولاد أبيه، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور، وكان صائماً، قتله باطني، وكان قد رأى في تلك الليلة الحسين بن علي وهو يقول له: عجل إلينا وأفطر عندنا الليلة، فأصبح متعجباً، فنوى الصوم ذلك اليوم، وأشار إليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل، فما خرج إلا في آخر النهار فرأى شاباً يتظلم وفي يده رقعة فقال: ما شأنك؟ فناوله الرقعة فبينما هو يقرؤها إذ ضربه بخنجر بيده فقتله، فأخذ الباطني فرفع إلى السلطان فقرره فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروا بذلك، وكان كاذباً، فقتل وقتلوا أيضاً. وفي رابع عشر صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم علي بن جهير وخرب داره التي كان قد بناها أبوه، من خراب بيوت الناس، فكان في ذلك عبرة وموعظة لذوي البصائر والنهى، واستنيب في الوزارة القاضي أبو الحسن الدامغاني، ومعه آخر. وحج بالناس فيها الأمير تركماني واسمه اليرن، من جهة الأمير محمد بن ملكشاه.

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن محمد بن المظفر

أبو المظفر الخوافي الفقيه الشافعي.

قال ابن خلكان: كان أنظر أهل زمانه، تفقه على إمام الحرمين، وكان أوجه تلامذته، وقد ولي القضاء بطوس ونواحيها، وكان مشهوراً بحسن المناظرة وإفحام الخصوم. قال والخوافي بفتح الخاء والواو نسبة إلى خواف. وهي ناحية من نواحي نيسابور.

جعفر بن أحمد

ابن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج، أبو محمد القاري البغدادي، ولد سنة ست عشر وأربعمائة، وقرأ القرآن بالروايات، وسمع الكثير من الأحاديث النبويات، من المشايخ والشيخات في بلدان متباينات، وقد خرج له الحافظ أبو بكر الخطيب أجزاء مسموعاته، وكان صحيح الثبت، جيد الذهن، أديباً شاعراً، حسن النظم، نظم كتاباً في القراءات، وكتاب التنبيه والخرقى وغير ذلك، وله كتاب مصارع العشاق وغير ذلك، ومن شعره قوله:

قُتِلَ الذينَ بِجَهْلِهِمْ أَضْحَوْا يَعِيبُونَ المَحَابِرْ

وَالـحَـامِـلِـيـنَ لَـهَـا مِـنَ الـ ... أَيْـدِي بِـمُـجْـتَـمَـعِ الأَسَـاوِرْ
لَـوْلا الـمَـحَـابِـرُ وَالـمَـقَـا ... لِـمُ وَالـصَّـحَـائِـفُ وَالـدَّفَـاتِـرْ
وَالـحَـافِـظُـونَ شَـرِيـعَـةَ الـ ... مَـبْـعُـوثِ مِـنْ خَـيْـرِ الـعَـشَـائِـرْ
وَالـنَّـاقِـلُـونَ حَـدِيـثَـهُ عَـنْ ... كَـابِـرٍ ثَـبْـتٍ وَكَـابِـرْ
لَـرَأَيْـتَ مِـنْ بِـشْـعِ الـضَّـلا ... لِ عَـسَـاكِـراً تَـتْـلُـو عَـسَـاكِـرْ
كُـلٌّ يَـقُـولُ بِـجَـهْـلِـهِ ... وَاللهِ لِـلْـمَـظْـلُـومِ نَـاصِـرْ
سَـمَّـيْـتُـهُـم أَهْـلَ الـحَـدِيـثِ ... أُولِـي الـنُّـهَـى وَأُولِـي الـبَـصَـائِـرْ
هُـمْ حَـشْـرُ جَـنَّـاتِ الـنَّـعِـيـمِ ... عَـلَـى الأَسِـرَّةِ وَالـمَـنَـابِـرْ
وفَـقَـاءُ أَحْـمَـدَ كُـلُّـهُـمْ ... عَـنْ حَـوْضِـهِ رَيَّـانُ صَـادِرْ[1]

وذكر ابن خلكان أشعاراً رائقة منها قوله:

وَمُـدَّعٍ شَـرْخَ الـشَّـبَـابِ وَقَـدْ ... عَـمَّـمَـهُ الـشَّـيْـبُ عَـلَـى وَفْـرَتِـهْ
يُـخَـضِّـبُ بِـالـوَشْـمَـةِ عُـثْـنُـونَـهُ ... يَـكْـفِـيـهِ أَنْ يَـكْـذِبَ فـي لِـحْـيَـتِـهْ[2]

عبد الوهاب بن محمد

ابن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي الفارسي، سمع الحديث الكثير، وتفقه وولاه نظام الملك تدريس النظامية ببغداد، في سنة ثلاث وثمانين فدرس بها مدة، وكان يملي الأحاديث، وكان كثير التصحيف، روى مرة حديث «صَلاة فِي إِثْرِ صلاةٍ كِتَابٌ في عِلِّيِّينَ». فقال: كتاب في غلس[3]. ثم أخذ يفسر ذلك بأنه أكثر لإضاءتها.

محمد بن إبراهيم

ابن عبيد الأسدي الشاعر، لقي الخنيسي التهامي، وكان مغرماً بما يعارض شعره، وقد أقام باليمن وبالعراق ثم بالحجاز ثم بخراسان، ومن شعره:

قُـلْـتُ ثَـقَّـلْـتُ إِذْ أَتَـيْـتُ مِـراراً ... قَـالَ ثَـقَّـلْـتَ كَـاهِـلـي بِـالأَيَـادِي
قُـلْـتُ طَـوَّلْـتُ قَـالَ بَـلْ تَـطَـوَّلْـتَ ... قُـلْـتُ مَـزَّقْـتُ قَـالَ حَـبْـلَ وِدَادِي

يوسف بن علي

أبو القاسم الزنجاني الفقيه، كان من أهل الديانة، حكى عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن القاضي أبي الطيب، قال: كنا يوماً بجامع المنصور في حلقة فجاء شاب

---

(١) الريان: المرتوي من العطش، والصادر: العائد بعد الارتواء.

(٢) يخضب: يصبغ، والعثنون: اللحية.

(٣) الغلس: الظلمة.

خراساني فذكر حديث أبي هريرة في المطر فقال الشاب: هذا الحديث غير منقول، فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حية فنهض الناس هاربين وتبعت الحية ذلك الشاب من بينهم، فقيل له تب تب. فقال: تبت، فذهبت فلا ندري أين ذهبت. رواها ابن الجوزي عن شيخه أبي المعمر الأنصاري عن أبي القاسم هذا والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة من الهجرة

فيها جدد الخليفة الخلع على وزيره الجديد أبي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب، وأكرمه وعظمه. وفي ربيع الآخر منها دخل السلطان محمد إلى بغداد فتلقاه الوزير والأعيان، وأحسن إلى أهلها، ولم يتعرض أحد من جيشه إلى شيء. وغضب السلطان على صدقة بن منصور الأسدي صاحب الحلة وتكريت بسبب أنه آوى رجلاً من أعدائه يقال له أبو دلف سرحان الديلمي، صاحب ساوة، وبعث إليه ليرسله إليه فلم يفعل، فأرسل إليه جيشاً فهزموا جيش صدقة. وقد كان جيشه عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل، وقتل صدقة في المعركة، وأسر جماعة من رؤوس أصحابه وأخذوا من زوجته خمسمائة ألف دينار، وجواهر نفيسة.

قال ابن الجوزي: وظهر في هذه السنة صبية عمياء تتكلم على أسرار الناس، وما في نفوسهم من الضمائر والنيات، وبالغ الناس في أنواع الحيل عليها ليعلموا حالها فلم يعلموا.

قال ابن عقيل: وأشكل أمرها على العلماء والخواص والعوام، حتى سألوها عن نقوش الخواتم المقلوبة الصعبة، وعن أنواع الفصوص وصفات الأشخاص وما في داخل البنادق من المشمع والطين المختلف، والخرق وغير ذلك فتخبر به سواء بسواء، حتى بالغ أحدهم ووضع يده على ذكره وسألها عن ذلك فقالت: يحمله إلى أهله وعياله. وفيها قدم القاضي فخر الملك أبو عبيد على صاحب طرابلس إلى بغداد يستنفر المسلمين على الفرنج، فأكرمه السلطان غياث الدين محمد إكراماً زائداً، وخلع عليه وبعث معه الجيوش الكثيرة لقتال الفرنج.

وممن توفي فيها من الأعيان:

تميم بن المعز بن باديس

صاحب إفريقية، كان من خيار الملوك حلماً وكرماً، وإحساناً، ملك ستاً وأربعين سنة، وعمر تسعاً وتسعين سنة، وترك من البنين أنهد من مائة[1]، ومن البنات ستين بنتاً، وملك من بعده ولده يحيى، ومن أحسن ما مدح به الأمير تميم قول الشاعر:

أَصَحُّ وَأَعْلَى ما سَمِعْنَاهُ في النَّدَا ... مِنَ الخَبَرِ المَرْوِيِّ مُنْذُ قَدِيمِ
أَحَادِيثُ تَرْوِيها السُّيُولُ عَنِ الحَيَا[2] ... عَنِ البَحْرِ عَنْ كَفِّ الأَمِيرِ تَمِيمِ

(١) أنهد من مائة: أي أكثر من مائة.
(٢) الحيا: المطر.

صدقة بن منصور

ابن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، الأمير سيف الدولة، صاحب الحلة وتكريت وواسط وغيرها، كان كريماً عفيفاً ذا ذمام، ملجأ لكل خائف يأمن في بلاده، وتحت جناحه، وكان يقرأ الكتب المشكلة ولا يحسن الكتابة، وقد اقتنى كتباً نفيسة جداً، وكان لا يتزوج على امرأة قط، ولا يتسرى على سرية حفظاً للذمام، ولئلا يكسر قلب أحد، وقد مدح بأوصاف جميلة كثيرة جداً. قتل في بعض الحروب، قتله غلام اسمه برغش، وكان له من العمر تسع وخمسون سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة

في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالخاتون بنت ملكشاه أخت السلطان محمد، على صداق مائة ألف دينار، ونثر الذهب، وكتب العقد بأصبهان. وفيها كانت حروب كثيرة بين الأتابك طغتكين صاحب دمشق وبين الفرنج وفيها ملك سعيد بن حميد العمري الحلة السيفية. وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة فغرقت الغلات فغلت الأسعار بسبب ذلك غلاء شديداً. وحج بالناس الأمير قيماز.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسن العلوي

أبو هاشم ابن رئيس همدان، وكان ذا مالٍ جزيل، صادره السلطان في بعض الأوقات بتسعمائة ألف دينار، فوزنها ولم يبع فيها عقاراً ولا غيره.

الحسن بن علي

أبو الفوارس بن الخازن، الكاتب المشهور بالخط المنسوب. توفي في ذي الحجة منها.

قال ابن خلكان: كتب بيده خمسمائة ختمة، ومات فجأة.

الروياني صاحب البحر

عبد الواحد بن إسماعيل، أبو المحاسن الروياني، من أهل طبرستان، أحد أئمة الشافعية، ولد سنة خمس عشرة وأربعمائة، ورحل إلى الآفاق حتى بلغ ما وراء النهر، وحصّل علوماً جمة، وسمع الحديث الكثير، وصنف كتباً في المذهب، من ذلك البحر في الفروع، وهو كتاب كامل شامل للغرائب وغيرها، وفي المثل «حدث عن البحر ولا حرج» وكان يقول: لو احترقت كتب الشافعي أمليتها من حفظي، قتل ظلماً يوم جمعة، وهو يوم عاشوراء في الجامع بطبرستان، قتله رجل من أهلها رحمه الله.

قال ابن خلكان: أخذ الفقه عن ناصر المروزي وعلق عنه، وكان للروياني الجاه

العظيم، والحرمة الوافرة، وقد صنف كتباً في الأصول والفروع، منها بحر المذهب، وكتاب مناصيص الإمام الشافعي، وكتاب الكافي، وحلية المؤمن، وله كتب في الخلاف أيضاً.

يحيى بن علي

ابن محمد بن الحسن بن بسطام، الشيباني التبريزي، أبو زكريا، أحد أئمة اللغة والنحو، قرأ على أبي العلاء وغيره، وتخرج به جماعة منهم أبو منصور بن الجواليقي.

قال ابن ناصر: وكان ثقة في النقل، وله المصنفات الكثيرة.

وقال ابن خيرون: لم يكن مرضيّ الطريقة توفي في جمادى الآخرة ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي بباب إبرز والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

فيها أخذت الفرنج مدينة طرابلس وقتلوا من فيها من الرجال، وسبوا الحريم والأطفال، وغنموا الأمتعة والأموال، ثم أخذوا مدينة جبلة بعدها بعشر ليال، فلا حول ولا قوة إلا بالله الكبير المتعال. وقد هرب منهم فخر الملك بن عمار، فقصد صاحب دمشق طغتكين فأكرمه وأقطعه بلاداً كثيرة. وفيها وثب بعض الباطنية على الوزير أبي نصر بن نظام الملك فجرحه ثم أخذ الباطني فسقي الخمر فأقر على جماعة من الباطنية فأخذوا فقتلوا. وحج بالناس الأمير قيماز.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن علي

ابن أحمد، أبو بكر العلوي كان يعمل في تجصيص الحيطان، ولا ينقش صورة، ولا يأخذ من أحد شيئاً، وكانت له أملاك ينتفع منها ويتقوت، وقد سمع الحديث من القاضي أبي يعلى، وتفقه عليه بشيء من الفقه، وكان إذا حج يزور القبور بمكة، فإذا وصل إلى قبر الفضيل بن عياض يخط إلى جانبه خطاً بعصاه ويقول يا رب ههنا. فقيل إنه حج في هذه السنة فوقف بعرفات مُحْرِماً فتوفي بها في آخر ذلك اليوم، فغسل وكفّن وطيف به حول البيت ثم دفن إلى جانب الفضيل بن عياض في ذلك المكان الذي كان يخطه بعصاه، وبلغ الناس وفاته ببغداد فاجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغائب، حتى لو مات بين أظهرهم لم يكن عندهم مزيد على ذلك الجمع رحمه الله.

عمر بن عبد الكريم

ابن سعدويه الفتيان الدهقاني، رحل في طلب الحديث، ودار الدنيا، وخرّج وانتخب[1]، وكان له فقه في هذا الشأن، وكان ثقة، وقد صحح عليه أبو حامد الغزالي كتاب الصحيحين. وكانت وفاته بسرخس في هذه السنة.

---

(١) خرّج وانتخب: أي صحح واختار.

محمد ويعرف بأخي حماد

وكان أحد الصلحاء الكبار، كان به مرض مزمن، فرأى النبي ﷺ في المنام فعوفي، فلزم مسجداً له أربعين سنة، لا يخرج إلا إلى الجمعة، وانقطع عن مخالطة الناس، كانت وفاته في هذه السنة، ودفن في زاوية بالقرب من قبر أبي حنيفة رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة

في أوائلها جماعة من البغاددة من الفقهاء وغيرهم، وفيهم ابن الذاغوني، للخروج إلى الشام لأجل الجهاد، وقتال الفرنج، وذلك حين بلغهم أنهم فتحوا مدائن عديدة، من ذلك مدينة صيدا في ربيع الأول، وكذا غيرها من المدائن ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج. وفيها قدمت خاتون بنت ملكشاه زوجة الخليفة إلى بغداد فنزلت في دار أخيها السلطان محمد، ثم حمل جهازها على مائة واثنين وستين جملاً، وسبعة وعشرين بغلاً وزينت بغداد لقدومها، وكان دخولها على الخليفة في الليلة العاشرة من رمضان، وكانت ليلة مشهودة. وفيها درس أبو بكر الشاشي بالنظامية مع التاجية، وحضر عنده الوزير والأعيان وحج بالناس قيماز، ولم يتمكن الخراسانيون من الحج من العطش وقلة الماء.

وممن توفي فيها من الأعيان.

إدريس بن حمزة

أبو الحسن الشاشي الرملي العثماني، أحد فحول المناظرين عن مذهب الشافعي، تفقه أولاً على نصر بن إبراهيم، ثم ببغداد على أبي إسحاق الشيرازي، ودخل خراسان حتى وصل إلى ما وراء النهر، وأقام بسمرقند ودرس بمدرستها إلى أن توفي في هذه السنة.

علي بن محمد

ابن علي بن عماد الدين، أبو الحسن الطبري، ويعرف بالكيا الهراسي، أحد الفقهاء الكبار، من رؤوس الشافعية، ولد سنة خمسين وأربعمائة، واشتغل على إمام الحرمين، وكان هو والغزالي أكبر التلامذة، وقد ولي كل منهما تدريس النظامية ببغداد، وقد كان أبو الحسن هذا فصيحاً جهوري الصوت جميلاً، وكان يكرر لعن إبليس على كل مرقاة من مراقي النظامية بنيسابور سبع مرات، وكانت المراقي سبعين مرقاة[١]، وقد سمع الحديث الكثير، وناظر وأفتى ودرس، وكان من أكابر الفضلاء وسادات الفقهاء، وله كتاب يرد فيه على ما انفرد به الإمام أحمد بن حنبل في مجلد، وله غيره من المصنفات وقد اتهم في وقت بأنه يمالىء الباطنية[٢]، فنزع منه التدريس ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك منهم ابن عقيل، فأعيد إليه توفي في يوم الخميس مستهل محرم من هذه السنة عن أربع وخمسين سنة

(١) المرقاة: الدرجة.
(٢) يمالىء الباطنية: أي يسايرهم.

ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي. وذكر ابن خلكان أنه كان يحفظ الحديث ويناظر به، وهو القائل: إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح، طارت رؤوس المقاييس في مهابِّ الرياح، وحكى السلفي عنه أنه استفتي في كتبه الحديث هل يدخلون في الوصية للفقهاء؟ فأجاب: نعم لقوله ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثاً بَعَثَهُ الله عَالِماً»، واستفتي في يزيد بن معاوية فذكر عنه تلاعباً وفسقاً، وجوز شتمه، وأما الغزالي فإنه خالف في ذلك، ومنع من شتمه ولعنه، لأنه مسلم، ولم يثبت بأنه رضي بقتل الحسين، ولو ثبت لم يكن ذلك مسوغاً للعنه، لأن القاتل لا يلعن، لا سيما وباب التوبة مفتوح، والذي يقبل التوبة عن عباده غفور رحيم. قال الغزالي: وأما الترحم عليه فجائز، بل مستحب، بل نحن نترحم عليه في جملة المسلمين والمؤمنين، عموماً في الصلوات. ذكره ابن خلكان مبسوطاً بلفظه في ترجمة الكيا الهراسي هذا، قال: والكيا كبير القدر مقدم معظم والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

فيها بعث السلطان غياث الدين جيشاً كثيفاً، صحبه الأمير مودود بن زنكي صاحب الموصل، في جملة أمراء ونواب، منهم سكمان القطبي، صاحب تبريز، وأحمد يل صاحب مراغة، والأمير إيلغازي صاحب ماردين، وعلى الجميع الأمير مودود صاحب الموصل، لقتال الفرنج بالشام، فانتزعوا من أيدي الفرنج حصوناً كثيرة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ولله الحمد، ولما دخلوا دمشق دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلي فيها فجاءه باطني في زي سائل فطلب منه شيئاً فأعطاه، فلما اقترب منه ضربه في فؤاده فمات من ساعته، [فلعن الله هذ الباطني][1] ووجد رجل أعمى في سطح الجامع ببغداد معه سكين مسموم فقيل إنه كان يريد قتل الخليفة. وفيها ولد للخليفة من بنت السلطان ولد فضربت الدبادب والبوقات، ومات له ولد وهكذا الدنيا فرضي بوفاته وجلس الوزير للهناء والعزاء. وفي رمضان عزل الوزير أحمد بن النظام، وكانت مدة وزارته أربع سنين وأحد عشر شهراً. وفيها حاصرت الفرنج مدينة صور، وكانت بأيدي المصريين، عليها عز الملك الأعز من جهتهم، فقاتلهم قتالاً شديداً، ومنعها منعاً جيداً، حتى فني ما عنده من النشاب والعدد، فأمده طغتكين صاحب دمشق، وأرسل إليه العدد والآلات فقوي جأشه وترحلت عنه الفرنج في شوال منها. وحج بالناس أمير الجيوش قطز الخادم، وكانت سنة مخصبة مرخصة.

وممن توفي فيها من الأعيان أبو حامد الغزالي.

محمد بن محمد بن محمد

أبو حامد الغزالي ولد سنة خمسين وأربعمائة، وتفقه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، فكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

فيه، وساد في شبيبته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد، في سنة أربع وثمانين، وله أربع وثلاثون سنة، فحضر عنده رؤوس العلماء، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل، وهما من رؤوس الحنابلة، فتعجبوا من فصاحته واطلاعه.

قال ابن الجوزي: كتبوا كلامه في مصنفاتهم، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة، وكان يرتزق من النسخ، ورحل إلى الشام فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدة، وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين، وهو كتاب عجيب، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل بها على الحلال والحرام فالكتاب الموضوع للرقائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره، وقد شنع عليه أبو الفرج بن الجوزي، ثم ابن الصلاح، في ذلك تشنيعاً كثيراً، وأراد المازري أن يحرق كتابه إحياء علوم الدين، وكذلك غيره من المغاربة، وقالوا: هذا كتاب إحياء علوم دينه، وأمّا ديننا فإحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله كما قد حكيت ذلك في ترجمته في الطبقات، وقد زيف ابن شكر مواضع إحياء علوم الدين، وبين زيفها في مصنف مفيد وقد كان الغزالي يقول: أنا مزجي البضاعة في الحديث، ويقال: إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين.

وقد صنف ابن الجوزي كتاباً على الإحياء وسماه علوم الأحيا بأغاليط الإحيا.

قال ابن الجوزي: ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرس بنظاميتها، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها، وابتنى رباطاً واتخذ داراً حسنة، وغرس فيها بستاناً أنيقاً، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح، وكانت وفاته في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة، ودفن بطوس رحمه الله تعالى، وقد سأله بعض أصحابه وهو في السياق[1] فقال: أوصني: فقال: عليك بالإخلاص، ولم يزل يكررها حتى مات رحمه الله.

ثم دخلت سنة ست وخمسمائة

في جمادى الآخرة منها جلس ابن الطبري مدرساً بالنظامية وعزل عنها الشاشي. وفيها دخل الشيخ الصالح أحد العباد يوسف بن داود إلى بغداد، فوعظ الناس، وكان له القبول التام، وكان شافعياً تفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة، وكانت له أحوال صالحة، جاراه رجل مرة يقال له ابن السقا في مسألة فقال له: اسكت فإني أجد من كلامك رائحة الكفر، ولعلك أن تموت على غير دين الإسلام، فاتفق بعد حين أنه خرج ابن السقا إلى بلاد الروم في حاجة فتنصر هناك، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقام إليه مرة وهو

(١) السياق: الاحتضار.

يعظ الناس ابنا أبي بكر الشاشي فقالا له: إن كنت تتكلم على مذهب الأشعري وإلا فاسكت، فقال: لا متعتما بشبابكما، فماتا شابين، ولم يبلغا سن الكهولة.

وحج بالناس فيها أمير الجيوش بطز الخادم، ونالهم عطش.

وممن توفي فيها من الأعيان:

صاعد بن منصور

ابن إسماعيل بن صاعد أبو العلاء الخطيب النيسابوري، سمع الحديث الكثير، وولي الخطابة بعد أبيه والتدريس والتذكير، وكان أبو المعالي الجويني يثني عليه، وقد ولي قضاء خوارزم.

محمد بن موسى بن عبد الله

أبو عبد الله البلاساعوني التركي الحنفي ويعرف باللامشي، أورد عنه الحافظ ابن عساكر حديثاً وذكر أنه ولي قضاء بيت المقدس، فشكوا منه فعزل عنها، ثم ولي قضاء دمشق، وكان غالياً في مذهب أبي حنيفة، وهو الذي رتب الإقامة مثنى، قال إلى أن أزال الله ذلك بدولة الملك صلاح الدين. قال: وكان قد عزم على نصب إمام حنفي بالجامع، فامتنع أهل دمشق من ذلك، وامتنعوا من الصلاة خلفه، وصلوا بأجمعهم في دار الخيل، وهي التي قبل الجامع مكان المدرسة الأمينية، وما يجاورها وحدها الطرقات الأربعة، وكان يقول: لو كانت لي الولاية لأخذت من أصحاب الشافعي الجزية، وكان مبغضاً لأصحاب مالك أيضاً. قال: ولم تكن سيرته في القضاء محمودة، وكانت وفاته يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة منها. قال: وقد شهدت جنازته وأنا صغير في الجامع.

المعمر بن المعمر

أبو سعد بن أبي عمار الواعظ كان فصيحاً بليغاً ماجناً ظريفاً ذكياً، له كلمات في الوعظ حسنة ورسائل مسموعة مستحسنة، توفي في ربيع الأول منها، ودفن بباب حرب.

أبو علي المعري

كان عابداً زاهداً، يتقوت بأدنى شيء، ثم عنَّ له أن يشتغل بعلم الكيمياء. فأخذ إلى دار الخلافة فلم يظهر له خبر بعد ذلك.

نزهة

أم ولد الخليفة المستظهر بالله كانت سوداء محتشمة كريمة النفس، توفيت يوم الجمعة ثاني عشر شوال منها.

أبو سعد السمعاني

مصنف الأنساب وغيره، وهو تاج الإسلام عبد الكريم بن محمد بن أبي المظفر

المنصور عبد الجبار السمعاني، المروزي، الفقيه الشافعي، الحافظ المحدث، قوام الدين أحد الأئمة المصنفين رحل وسمع الكثير حتى كتب عن أربعة آلاف شيخ، وصنّف التفسير والتاريخ والأنساب والذيل على تاريخ الخطيب البغدادي وذكر له ابن خلكان مصنفات عديدة جداً، منها كتابه الذي جمع فيه ألف حديث عن [مائة شيخ][(١)]، وتكلم عليها إسناداً ومتناً، وهو مفيد جداً رحمه الله.

ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

فيها كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج في أرض طبرية، كان فيها ملك دمشق الأتابك طغتكين، ومعه صاحب سنجار وصاحب ماردين، وصاحب الموصل، فهزموا الفرنج هزيمة فاضحة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وغنموا منهم أموالاً جزيلة، وملكوا تلك النواحي كلها، ولله الحمد والمنة، ثم رجعوا إلى دمشق فذكر ابن الساعي في تاريخه مقتل الملك مودود صاحب الموصل في هذه السنة، قال: صلى هو والملك طغتكين يوم الجمعة بالجامع، ثم خرجا إلى الصحن ويد كل واحد منهما في يد الآخر فطفر باطني على مودود فقتله رحمه الله، فيقال إن طغتكين هو الذي مالأ عليه فالله أعلم، وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين وفيه: إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها. وفيها ملك حلب ألب أرسلان بن رضوان بن تتش بعد أبيه، وقام بأمر سلطنته لؤلؤ الخادم، فلم يبق معه سوى الرسم. وفيها فتح المارستان الذي أنشأه كمشتكين الخادم ببغداد.

وحج بالناس زنكي بن برشق.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إسماعيل ابن الحافظ أبي بكر بن الحسين البيهقي

سمع الكثير وتنقل في البلاد، ودرس بمدينة خوارزم، وكان فاضلاً من أهل الحديث، مرضيّ الطريقة، وكانت وفاته ببلده بيهق في هذه السنة.

شجاع بن أبي شجاع

فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهلي الحافظ سمع الحديث الكثير، وكان فاضلاً في هذا الشأن وشرع في تتميم تاريخ الخطيب ثم غسله، وكان يكثر من الاستغفار والتوبة لأنه كتب شعر ابن الحجاج سبع مرات، توفي في هذا العام عن سبع وسبعين سنة.

محمد بن أحمد

ابن محمد بن أحمد بن إسحاق بن الحسين بن منصور بن معاوية بن محمد بن

(١) سقط في ط.

عثمان بن عتبة بن عبسة بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب، الأموي أبو المظفر بن أبي العباس الأبيوردي الشاعر كان عالماً باللغة والأنساب، سمع الكثير وصنف تاريخ أبيورد، وأنساب العرب، وله كتاب في المؤتلف والمختلف، وغير ذلك، وكان ينسب إلى الكبر والتيه الزائد، حتى كان يدعو في صلاته: اللَّهمّ ملكني مشارق الأرض ومغاربها، وكتب مرة إلى الخليفة الخادم المعاوي، فكشط[١] الخليفة الميم فبقيت العاوي، ومن شعره قوله:

تَـنَـكَّـر لِـي دَهْـرِي وَلَـمْ يَـدْرِ أَنَّـنِـي ... أعِـزُّ وَأَحْـدَاثُ الـزَّمَـانِ تَـهُـونُ
وَظَـلَّ يُـرِيـنـي الـدَّهْـرُ كَـيْـفَ اغـتـراره ... وبِـتُّ أُرِيـهِ الـصَّـبْـرَ كَـيْـفَ يَـكُـونُ

محمد بن طاهر

ابن علي بن أحمد أبو الفضل المقدسي الحافظ، ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وأول سماعه سنة ستين، وسافر في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة، وسمع كثيراً، وكانت له معرفة جيدة بهذه الصناعة، وصنف كتباً مفيدة، غير أنه صنف كتاباً في إباحة السماع، وفي التصوف، وساق فيه أحاديث منكرة جداً، وأورد أحاديث صحيحة في غيره وقد أثنى على حفظه غير واحد من الأئمة. وذكر ابن الجوزي في كتابه هذا الذي سماه. «صفة التصوف» وقال عنه يضحك منه من رآه، قال وكان داودي المذهب، فمن أثنى عليه أثنى لأجل حفظه للحديث، وإلا فما يجرّح[٢] به أولى. قال: وذكره أبو سعد السمعاني وانتصر له بغير حجة، بعد أن قال سألت عنه شيخنا إسماعيل بن أحمد الطلحي فأكثر الثناء عليه، وكان سيىء الرأي فيه. قال وسمعنا أبا الفضل بن ناصر يقول: محمد بن طاهر لا يحتج به، صنف في جواز النظر إلى المرد، وكان يذهب مذهب الإباحية، ثم أورد له من شعره قوله في هذه الأبيات:

دَعِ الـتَّـصَـوُّفَ والـزهـدَ الَّـذِي اشْـتَـغَـلَـتْ ... بِـهِ خَـوَارِجُ أَقْـوَامٍ مِـنَ الـنَّـاسِ
وَعُـجْ عَـلَـى دَيْـرِ دَارَيَّـا فَـإِنَّ بِـهِ الـرُّهْــ ... ـبَـانُ مَـا بَـيْـنَ قِـسِّـيـسٍ وَشَـمَّـاسِ
وَاشْـرَبْ مُـعَـتَّـقَـةً مِـنْ كَـفِّ كَـافِـرَةٍ ... تَسْقِيكَ خَمْرَيْنِ مِنْ لَحْظٍ وَمِنْ كَاسِ
ثُـمَّ اسْـتَـمِـعْ رَنَّـةَ الأَوْتَـارِ مِـنْ رَشَـإٍ ... مُـهَـفْـهَـفٍ طَـرْفُـهُ أَمْـضَـى مِـنَ الـمَـاسِ[٣]
غَنَّى بِشِعرِ امْرِىءٍ فِي النَّاسِ مُشْتَهِرٍ ... مُـدَوَّنٍ عِـنْـدَهُـمْ فِـي صَـدْرِ قِـرْطَـاس
لَـوْلا نَـسِـيـمٌ بَـدَا مِـنْـكُـمْ يُـرَوِّحُـنِـي[٤] ... لَـكُـنْـتُ مُـحْـتَـرِقـاً مِـنْ حَـرِّ أَنْـفَـاسِـي

ثم قال السمعاني: لعله قد تاب من هذا كله.

---

(١) كشط: أزال.
(٢) يجرّح به: يتهمه.
(٣) الرشأ: الغزال، والطرف: العين.
(٤) يروّحني: يخفف عني الحرقة.

قال ابن الجوزي: وهذا غير مرضي أن يذكر جرح الأئمة له ثم يعتذر عن ذلك باحتمال توبته، وقد ذكر ابن الجوزي أنه لما احتضر جعل يردد هذا البيت:

وَمَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ الجَفَا فَمِمَّنْ تُرَى قَدْ تَعَلَّمْتُمُ

ثم كانت وفاته بالجانب الغربي من بغداد في ربيع الأول منها.

أبو بكر الشاشي

صاحب المستظهري محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي، أحد أئمة الشافعيّة في زمانه ولد في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وسمع الحديث على أبي يعلى بن الفراء، وأبي بكر الخطيب، وأبي إسحاق الشيرازي، وتفقه عليه وعلى غيره، وقرأ الشامل على مصنفه ابن الصباغ، واختصره في كتابه الذي جمعه للمستظهر بالله، وسماه حلية العلماء بمعرفة مذاهب الفقهاء، ويعرف بالمستظهري، وقد درس بالنظامية ببغداد ثم عزل عنها وكان ينشد:

تَعَلَّمْ يَا فَتَى وَالعُودُ غَضٌّ[1] وَطِينُكَ لَيِّنٌ وَالطَّبْعُ قَابِلْ

فَحَسْبُكَ يَا فَتَى شَرَفاً وَفَخْراً سُكُوتُ الحَاضِرِينَ وَأَنْتَ قَائِلْ

توفي سحر يوم السبت الحادي عشر من شوال منها، ودفن إلى جانب أبي إسحاق الشيرازي بباب إبرز.

المؤتمن بن أحمد

ابن علي بن الحسين بن عبيد الله، أبو نصر الساجي المقدسي، سمع الحديث الكثير، وخرج وكان صحيح النقل، حسن الحظ، مشكور السيرة لطيفاً، اشتغل في الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي مدة، ورحل إلى أصبهان وغيرها، وهو معدود من جملة الحفاظ، لا سيما للمتون[2]، وقد تكلم فيه ابن طاهر.

قال ابن الجوزي: وهو أحق منه بذلك، وأين الثريا من الثرى؟ توفي المؤتمن يوم السبت ثاني عشر صفر منها، ودفن بباب حرب والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة

فيها وقع حريق عظيم ببغداد. وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة، هدمت منها ثلاثة عشر برجاً، ومن الرها بيوتاً كثيرة، وبعض دور خراسان، ودوراً كثيرة في بلاد شتى، فهلك من أهلها نحو من مائة ألف، وخسف بنصف قلعة حران وسلم نصفها، وخسف بمدينة سميساط وهلك تحت الردم خلق كثير وفيها قتل صاحب حلب تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان بن تتش، قتله غلمانه، وقام من بعده أخوه سلطان شاه بن رضوان. وفيها ملك السلطان سنجر بن ملكشاه بلاد غزنة، وخطب له بها بعد مقاتلة عظيمة، وأخذ

---

(١) غضٌّ: طريٌّ.
(٢) المتون: النصوص.

منها أموالاً كثيرة لم ير مثلها، من ذلك خمس تيجان قيمة كل تاج منها ألف ألف دينار، وسبعة عشر سريراً من ذهب وفضة، وألف وثلاثمائة قطعة مصاغ مرصعة، فأقام بها أربعين يوماً، وقرر في ملكها بهرام شاه، رجل من بيت سبكتكين، ولم يخطب بها لأحد من السلجوقية غير سنجر هذا، وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وسنة، لا يجسر أحد من الملوك عليهم، ولا يطيق أحد مقاومتهم، وهم بنو سبكتكين وفيها ولي السلطان محمد للأمير أقسنقر البرسقي الموصل وأعمالها. وأمره بمقاتلة الفرنج، فقاتلهم في أواخر هذه السنة فأخذ منهم الرها وحريمها وبروج وسميساط، ونهب ماردين وأسر ابن ملكها إياز إيلغازي، فأرسل السلطان محمد إليه من يتهدده ففر منه إلى طغتكين صاحب دمشق، فاتفقا على عصيان السلطان محمد فجرت بينهما وبين نائب حمص قرجان بن قراجة حرب كثيرة، ثم اصطلحوا. وفيها ملكت زوجة مرعش الإفرنجية بعد وفاة زوجها لعنهما الله. وحج بالناس فيها أمير الجيوش أبو الخير يمن الخادم، وشكر الناس حجهم معه.

ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة

فيها جهز السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه صاحب العراق جيشاً كثيفاً مع الأمير برشق بن إيلغازي صاحب ماردين إلى صاحب دمشق طغتكين، وإلى آقسنقر البرشقي ليقاتلهما لأجل عصيانهما عليه، وقطع خطبته، وإذا فرغ منهما عمد لقتال الفرنج. فلما اقترب الجيش من بلاد الشام هربا منه وتحيّزا إلى الفرنج، وجاء الأمير برشق إلى كفرطاب ففتحها عنوة، وأخذ ما كان فيها من النساء والذرية، وجاء صاحب أنطاكية روجيل في خمسمائة فارس وألفي راجل، فكبس المسلمين فقتل منهم خلقاً كثيراً، وأخذ أموالاً جزيلة وهرب برشق في طائفة قليلة، وتمزق الجيش الذي كان معه شذرمذر[1]، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفي ذي القعدة منها قدم السلطان محمد إلى بغداد، وجاء إليه طغتكين صاحب دمشق معتذراً إليه، فخلع عليه، ورضي عنه ورده إلى عمله.

وفيها توفي من الأعيان.

إسماعيل بن محمد

ابن أحمد بن علي أبو عثمان الأصبهاني أحد الرحالين في طلب الحديث، وقد وعظ في جامع المنصور ثلاثين مجلساً، واستملى عليه محمد بن ناصر، وتوفي بأصبهان.

منجب بن عبد الله المستظهري

أبو الحسن الخادم، وكان كثير العبادة، وقد أثنى عليه محمد بن ناصر، وقال: وقف على أصحاب الحديث وقفاً.

(١) شذر مذر: في كل جهة وناحية.

عبد الله بن المبارك

ابن موسى، أبو البركات السقطي، سمع الكثير ورحل فيه، وكان فاضلاً عارفاً باللغة، ودفن بباب حرب.

يحيى بن تميم بن المعز بن باديس

صاحب إفريقية، كان من خيار الملوك، عارفاً حسن السيرة محباً للفقراء والعلماء وله عليهم أرزاق، مات وله اثنتان وخمسون سنة، وترك ثلاثين ولداً، وقام بالأمر من بعده ولده علي.

ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة

فيها وقع حريق ببغداد احترقت فيه دور كثيرة، منها دار نور الهدى الزينبي، ورباط نهر زور ودار الكتب النظامية، وسلمت الكتب لأن الفقهاء نقلوها. وفيها قتل صاحب مراغة في مجلس السلطان محمد، قتله الباطنية، وفي يوم عاشوراء وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة بمشهد علي بن موسى الرضا بمدينة طوس، فقتل فيها خلق كثير. وفيها سار السلطان إلى فارس بعد موت نائبها خوفاً عليها من صاحب كرمان.

وحج بالناس بطز الخادم، وكانت سنة مخصبة آمنة ولله الحمد.

وممن توفي فيها من الأعيان: [البغوي المفسر المحدث الفقيه وقيل في سنة ست عشرة كما سيأتي والله أعلم][1]

عقيل ابن الإمام أبي الوفا

علي بن عقيل الحنبلي، كان شاباً قد برع وحفظ القرآن وكتب وفهم المعاني جيداً، ولما توفي صبر أبوه وشكر وأظهر التجلد، فقرأ قارىء في العزاء: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف:٧٨]، فبكى ابن عقيل بكاءً شديداً.

علي بن أحمد بن محمد

ابن الرزّاز، آخر من حدث عن ابن مخلد بجزء الحسن بن عرفة، وتفرد بأشياء غيره. توفي فيها عن سبع وتسعين سنة.

محمد بن منصور

ابن محمد بن عبد الجبار، أبو بكر السمعاني، سمع الكثير وحدث ووعظ بالنظامية ببغداد، وأملى بمرو مائة وأربعين مجلساً، وكانت له معرفة تامة بالحديث، وكان أديباً شاعراً فاضلاً، له قبول عظيم في القلوب، توفي بمرو عن ثلاث وأربعين سنة.

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

محمد بن أحمد بن طاهر

ابن أحمد بن منصور الخازن، فقيه الإمامية ومفتيهم بالكرخ، وقد سمع الحديث من التنوخي وابن غيلان، توفي في رمضان منها.

محمد بن علي بن محمد

أبو بكر النسوي الفقيه الشافعي، سمع الحديث، وكانت إليه تزكية الشهود ببغداد، وكان فاضلاً أديباً ورعاً.

محفوظ بن أحمد

ابن الحسن، أبو الخطاب الكلوذاني، أحد أئمة الحنابلة ومصنفيهم، سمع الكثير وتفقه بالقاضي أبي يعلى، وقرأ الفرائض على الوني، ودرس وأفتى وناظر وصنف في الأصول والفروع، وله شعر حسن، وجمع قصيدة يذكر فيها اعتقاده ومذهبه يقول فيها:

دَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ الخَلِيطِ المُتْجِدِ ... وَالشَّوْقَ نَحْوَ الآنِسَاتِ الخُرَّدِ[1]

وَالنَّوْحَ فِي تَذْكَارِ سُعْدَى إِنَّمَا ... تَذْكَارُ سُعْدَى شُغْلُ مَنْ لَمْ يَسْعَدِ

وَاسْمَعْ معانِي إنْ أَرَدْتَ تَخَلُّصاً ... يَوْمَ الحِسَابِ وَخُذْ بِقَولِي تَهْتَدِ

وذكر تمامها وهي طويلة، كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة، وصلي عليه بجامع القصر، وجامع المنصور، ودفن بالقرب من الإمام أحمد.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة

في رابع صفر منها انكسف القمر كسوفاً كلياً، وفي تلك الليلة هجم الفرنج على ربض[2] حماه فقتلوا خلقاً كثيراً، ورجعوا إلى بلادهم. وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد سقط منها دور كثيرة بالجانب الغربي وغلت الغلات بها جداً، وفيها قتل لؤلؤ الخادم الذي كان استحوذ على مملكة حلب بعد موت أستاذه رضوان بن تتش، قتله جماعة من الأتراك، وكان قد خرج من حلب متوجهاً إلى جعبر، فنادى جماعة من مماليكه وغيرهم أرنب أرنب، فرموه بالنشاب موهمين أنهم يصيدون أرنباً فقتلوه. وفيها كانت وفاة غياث الدين السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، سلطان بلاد العراق وخراسان وغير ذلك من البلاد الشاسعة. والأقاليم الواسعة. كان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة، عادلاً رحيماً، سهل الأخلاق، محمود العشرة، ولما حضرته الوفاة استدعى ولده محموداً وضمه إليه وبكى كل منهما، ثم أمره بالجلوس على سرير المملكة، وعمره إذ ذاك أربع

(١) الخليط: العشير، والمتحد: من الاتحاد، وهو القرب، والتزاوج والخرّد: العذارى.

(٢) الربض: ما حول المدينة من مساكن، الضواحي.

عشرة سنة، فجلس وعليه التاج والسواران وحكم، ولما توفي أبوه صرف الخزائن إلى العساكر وكان فيها أحد عشر ألف ألف دينار، واستقر الملك له، وخطب له ببغداد وغيرها من البلاد ومات السلطان محمد عن تسع وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياماً. وفيها ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر، صاحب حلب ودمشق.

وممن توفي فيها من الأعيان:

القاضي المرتضى

أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري، والد القاضي جمال الدين عبد الله الشهرزوري، قاضي دمشق في أيام نور الدين، اشتغل ببغداد وتفقه بها، وكان شافعي المذهب، بارعاً ديناً، حسن النظم وله قصيدة في علم التصوف، وكان يتكلم على القلوب، أورد قصيدته بتمامها ابن خلكان لحسنها وفصاحتها، وأولها:

لَمَعَتْ نَارُهُمْ وَقَدْ عَسْعَسَ اللَّيْـ ... ـلُ وَمَلَّ الحَادِي وَحَارَ الدَّلِيلُ
فَتَأَمَّلْتُهَا وَفِكْرِي مِنَ البَيْـ ... ـنِ عَلِيلٌ وَلَحْظُ عَيْنِي كَلِيلُ[1]
وَفُؤَادِي ذَاكَ الفُؤَادُ المُعَنَّى ... وَغَرَامِي ذَاكَ الغَرَامُ الدَّخِيلُ

وله:

يَا لَيْلَ مَا إنْ جِئْتُكُمْ زَائِراً ... إلاّ وَجَدْتُ الأَرْضَ تُطْوَى لِيَهْ
وَلا ثَنَيْتُ العَزْمَ عَنْ بَابِكُمْ ... إلاّ تَعَثَّرْتُ بِأَذْيَالِيَهْ

وله:

يَا قَلْبُ إلَى مَتَى لا يُفِيدُ النُّصْحُ ... دَعْ مَزْحَكَ كَمْ جَنَى عَلَيْكَ المَزْحُ
مَا جَارِحَةٌ مِنْكَ غَذَاهَا جُرْحُ ... مَا تَشْعُرُ بِالخُمَارِ حَتَّى تَصْحُو

توفي في هذه السنة.

قال ابن خلكان: زعم عماد الدين في الخريدة أنه توفي بعد العشرين وخمسمائة، فالله أعلم.

محمد بن سعد

ابن نبهان، أبو علي الكاتب، سمع الحديث وروى وعمر مائة سنة وتغير قبل موته، وله شعر حسن، فمنه قوله في قصيدة له:

لِي رِزْقٌ قَدَّرَهُ الله ... نَعَمْ ورِزْقٌ أَتَوَقَّاهُ
حَتَّى إذَا اسْتَوْفَيْتُ[2] مِنْهُ ... الَّذِي قُدِّرَ لِي لا أَتَعَدَّاهُ

(١) الكليل: الضعيف.

(٢) استوفيت: حصلت.

قَالَ كِرَامٌ كُنْتُ أَغْشَاهُمْ فِي مَجْلِسٍ كُنْتُ أَغْشَاهُ
صَارَ ابْنُ نَبْهَانَ إِلَى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا اللهُ وَإِيَّاهُ

أمير الحاج

يمن بن عبد الله أبو الخير المستظهري، كان جواداً كريماً ممدَّحاً ذا رأي وفطنة ثاقبة، وقد سمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن طلحة النعالي بإفادة أبي نصر الأصبهاني، وكان يؤم[1] به في الصلوات، ولما قدم رسولاً إلى أصبهان حدث بها. توفي في ربيع الآخر من هذه السنة ودفن بأصبهان.

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

فيها خطب للسلطان محمد بن ملكشاه بأمر الخليفة المستظهر بالله، وفيها سأل دبيس بن صدقة الأسدي من السلطان محمود أن يرده إلى الحلة وغيرها، مما كان أبوه يتولاه من الأعمال، فأجابه إلى ذلك فعظم وارتفع شأنه.

وفاة الخليفة المستظهر بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدي: كان خيراً فاضلاً ذكياً بارعاً، كتب الخط المنسوب، وكانت أيامه ببغداد كأنها الأعياد، وكان راغباً في البر والخير، مسارعاً إلى ذلك، لا يرد سائلاً، وكان جميل العشرة لا يصغي إلى أقوال الوشاة في الناس، ولا يثق بالمباشرين، وقد ضبط أمور الخلافة جيداً، وأحكمها وعلمها، وكان لديه علم كثير، وله شعر حسن. قد ذكرناه أولاً عند ذكر خلافته، وقد ولي غسله ابن عقيل وابن السني، وصلى عليه ولده أبو منصور الفضل وكبّر أربعاً، ودفن في حجرة كان يسكنها، ومن العجب أنه لما مات السلطان ألب أرسلان مات بعده الخليفة القائم، ثم لما مات السلطان ملكشاه مات بعده المقتدي ثم لما مات السلطان محمد مات بعده المستظهر هذا، في سادس عشر ربيع الآخر، وله من العمر إحدى وأربعين سنة، وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً.

خلافة المسترشد أمير المؤمنين

أبو منصور الفضل بن المستظهر: لما توفي أبوه كما ذكرنا بويع له بالخلافة، وخطب له على المنابر وقد كان ولي العهد من بعده مدة ثلاثة وعشرين سنة، وكان الذي أخذ البيعة له قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني، ولما استقرت البيعة هرب أخوه أبو الحسن في سفينة ومعه ثلاثة نفر، وقصد دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي بالحلة، فأكرمه وأحسن إليه، فقلق أخوه الخليفة المسترشد من ذلك، فراسل دبيساً في ذلك

---

(١) يؤم: يصلي إماماً.

مع نقيب النقباء الزينبي، فهرب أخو الخليفة من دبيس فأرسل إليه جيشاً فألجؤوه إلى البرية، فلحقه عطش شديد، فلقيه بدويّان فسقياه ماء وحملاه إلى بغداد، فأحضره أخوه إليه فاعتنقا وتباكيا، وأنزله الخليفة داراً كان يسكنها قبل الخلافة، وأحسن إليه، وطيب نفسه، وكانت مدة غيبته عن بغداد أحد عشر شهراً، واستقرّت الخلافة بلا منازعة للمسترشد. وفيها كان غلاء شديد ببغداد، وانقطع الغيث وعدمت الأقوات، وتفاقم أمر العيارين ببغداد، ونهبوا الدور نهاراً جهاراً، ولم يستطع الشرط دفع ذلك. وحج بالناس في هذه السنة الخادم والله أعلم.

الخليفة المستظهر

كما تقدم ثم توفيت بعده جدته أم أبيه المقتدي.

أرجوان الأرمنية

وتدعى قرة العين وكان لها بر كثير ومعروف، وقد حجت ثلاث حجات، وأدركت خلافة ابنها المقتدي، وخلافة ابنه المستظهر، وخلافة ابنه المسترشد، ورأت للمسترشد ولداً [وكانت وفاتها في هذه السنة رحمها الله تعالى][١].

بكر بن محمد بن علي

ابن الفضل أبو الفضل الأنصاري روى الحديث، وكان يضرب به المثل في مذهب أبي حنيفة، وكان قد تفقه على عبد العزيز بن محمد الحلواني، وكان يذكر الدروس من أي موضع سئل من غير مطالعة ولا مراجعة، وربما كان في ابتداء طلبه يكرر المسألة أربعمائة مرة. توفي في شعبان منها.

الحسين بن محمد [ابن علي بن الحسين بن محمد][٢] بن عبد الوهاب

الزينبي قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفقه على أبي عبد الله الدامغاني، فبرع وأفتى ودرس بمشهد أبي حنيفة، ونظر في أوقافها، وانتهت إليه رياسة مذهب أبي حنيفة، ولقب نور الهدى، وسار في الرسلية إلى الملوك، وولي نقابة الطالبيين والعباسيين، ثم استعفي بعد شهور فتولاها أخوه طراد. توفي يوم الاثنين الحادي عشر من صفر، وله من العمر ثنتان وتسعون سنة، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي، وحضرت جنازته الأعيان والعلماء، ودفن عند قبر أبي حنيفة داخل القبة رحمه الله.

يوسف بن أحمد أبو طاهر

ويعرف بابن الجزري، صاحب المخزن في أيام المستظهر، وكان لا يوفي المسترشد حقه من التعظيم وهو ولي العهد، فلما صارت إليه الخلافة صادره بمائة ألف دينار، ثم

---

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط.

استقر غلاماً له فأومأ إلى بيت فوجد فيه أربعمائة ألف دينار، فأخذها الخليفة ثم كانت وفاته بعد هذا بقليل بهذا العام.

أبو الفضل بن الخازن

كان أديباً لطيفاً شاعراً فاضلاً فمن شعره قوله:

وَافَيْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أرَ صاحباً ... إلاَّ تَلَقَّانِي بِوَجْهٍ ضَاحِكِ
وَالبِشْرُ فِي وَجْهِ الغُلامِ نَتِيجَةٌ ... لِمُقَدِّمَاتِ ضِيَاءِ وَجْهِ المَالِكِ
وَدَخَلْتُ جَنَّتَهُ وَزُرْتُ جَحِيمَهُ ... فَشَكَرْتُ رِضْواناً وَرَأْفَةَ مَالِكِ(١)

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

فيها كانت الحروب الشديدة بين السلطان محمود بن محمد وبين عمه السلطان سنجر بن ملكشاه وكان النصر فيها لسنجر، فخطب له ببغداد في سادس عشر جمادى الأولى من هذه السنة، [وقطعت خطبة السلطان محمود ثم وقع الصلح بينهما ورسم السلطان سنجر أن يخطب لابنه](٢) وقطعت خطبة ابن أخيه في سائر أعماله. وفيها سارت الفرنج إلى مدينة حلب ففتحوها عنوة وملكوها، وقتلوا من أهلها خلقاً، فسار إليهم صاحب ماردين إيلغازي بن أرتق في جيش كثيف، فهزمهم عنهم ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا فيه، فقتل منهم هنالك مقتلة عظيمة، ولله الحمد، ولم يفلت منهم إلا اليسير، وأسر من مقدميهم نيفاً(٣) وتسعين رجلاً، وقتل فيمن قتل سيرجال صاحب أنطاكية، وحمل رأسه إلى بغداد، فقال بعض الشعراء في ذلك وقد بالغ مبالغة فاحشة:

قُلْ مَا تَشَاءُ فَقَوْلُكَ المَقْبُولُ ... وَعَلَيْكَ بَعْدَ الخَالِقِ التَّعْوِيلُ(٤)
وَاسْتَبْشَرَ القُرْآنُ حِينَ نَصَرْتَهُ ... وَبَكَى لِفَقْدِ رِجَالِهِ الإنْجِيلُ

وفيها قتل الأمير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد، وكان ظالماً غاشماً سيىء السيرة، قتله السلطان محمود بن محمد صبراً بين يديه لأمور: منها أنه تزوج سرية أبيه قبل انقضاء عدتها، ونعم ما فعل وقد أراح الله المسلمين منه كان أظلمه وأغشمه. وفيها تولى قضاء قضاة بغداد الأكمل أبو القاسم بن علي بن أبي طالب بن محمد الزينبي، وخلع عليه بعد موت أبي الحسن الدامغاني وفيها ظهر قبر إبراهيم عليه السلام وقبر ولديه إسحاق ويعقوب، وشاهد ذلك الناس، ولم تبل أجسادهم، وعندهم قناديل من ذهب وفضة، ذكر ذلك ابن الخازن في تاريخه، وأظنه نقله من المنتظم لابن الجوزي والله أعلم.

---

(١) رضوان ومالك: خازنا الجنة والنار.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٣) النيف: ما يزيد على العدد المحدد بقليل.

(٤) التعويل: الاتكال.

ومن توفي فيها من الأعيان:

ابن عقيل

علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، أبو الوفا شيخ الحنابلة ببغداد، وصاحب الفنون وغيرها من التصانيف المفيدة، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وقرأ القرآن على ابن سبطا، وسمع الحديث الكثير، وتفقه بالقاضي أبي يعلى بن الفراء، وقرأ الأدب على ابن برهان، والفرائض على عبد الملك الهمداني، والوعظ على أبي طاهر بن العلاف، صاحب ابن سمعون، والأصول على أبي الوليد المعتزلي، وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب، فربما لامه بعض أصحابه فلا يلوي عليهم، فلهذا برز على أقرانه وساد أهل زمانه في فنون كثيرة، مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال، وقد وعظ في بعض الأحيان فوقعت فتنة فترك ذلك، وقد متعه الله بجميع حواسه إلى حين موته، وكانت بكرة الجمعة ثاني جمادى الأولى من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين، وكانت جنازته حافلة جداً، ودفن قريباً من قبر الإمام أحمد، إلى جانب الخادم مخلص رحمه الله.

أبو الحسن علي بن محمد [ابن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه أبو الحسن][(١)] الدامغاني

قاضي القضاة ابن قاضي القضاة، ولد في رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة، وولي [قضاء القضاة بعد أبيه ثم عزل بأبي بكر الشاشي ثم أعيد إلى الحكم قال ابن الجعدي ولا يعرف حاكم ولي الحكم أصغر سناً منه][(٢)] القضاء بباب الطاق من بغداد وله من العمر ست وعشرون سنة، ولا يعرف حاكم قضى لأربعة من الخلفاء غيره إلاّ شريح، ثم ذكر إقامته وديانته وصيانته ما يدل على نخوته وتفوقه وقوته تولى الحكم أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر، وقبره عند مشهد أبي حنيفة.

المبارك بن علي

ابن الحسين أبو سعد المخرمي، سمع الحديث وتفقه على مذهب أحمد، وناظر وأفتى ودرس، وجمع كتباً كثيرة لم يسبق إلى مثلها، وناب في القضاء، وكان حسن السيرة جميل الطريقة، سديد الأقضية، وقد بنى مدرسة باب الأزج وهي المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي، ثم عزل عن القضاء وصودر بأموال جزيلة، وذلك في سنة إحدى عشرة وخمسمائة، توفي في المحرم من هذه السنة ودفن إلى جانب أبي بكر الخلال عند قبر أحمد.

ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة

في النصف من ربيع الأول منها كانت وقعة عظيمة بين الأخوين السلطان محمود

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

ومسعود ابني محمد بن ملكشاه عند عقبة اسداباذ، فانهزم عسكر مسعود وأسر وزيره الأستاذ أبو إسماعيل وجماعة من أمرائه، فأمر السلطان محمود بقتل الوزير أبي إسماعيل، فقتل وله نيف وستون سنة، وله تصانيف في صناعة الكيمياء. ثم أرسل إلى أخيه مسعود الأمان واستقدمه عليه، فلما التقيا وبكيا واصطلحا. وفيها نهب دبيس صاحب الحلة البلاد، وركب بنفسه إلى بغداد، ونصب خيمته بإزاء دار الخلافة، وأظهر ما في نفسه من الضغائن، وذكر كيف طيف برأس أبيه في البلاد، وتهدد المسترشد، فأرسل إليه الخليفة يسكن جأشه ويعده أنه سيصلح بينه وبين السلطان محمود، فلما قدم السلطان محمود بغداد أرسل دبيس يستأمن فأمنه وأجراه على عادته، ثم إنه نهب جسر السلطان فركب بنفسه السلطان لقتاله واستصحب معه ألف سفينة ليعبر بها، فهرب دبيس والتجأ إلى إيلغازي فأقام عنده سنة، ثم عاد إلى الحلة وأرسل إلى الخليفة والسلطان يعتذر إليهما مما كان منه، فلم يقبلا منه، وجهز إليه السلطان جيشاً فحاصروه وضيّقوا عليه قريباً من سنة، وهو ممتنع في بلاده لا يقدر الجيش على الوصول إليه وفيها كانت وقعة عظيمة بين الكرج والمسلمين بالقرب من تفليس، ومع الكرج كفار القفجاق فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً، وغنموا أموالاً جزيلة، وأسروا نحواً من أربعة آلاف أسير، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ونهب الكرج تلك النواحي وفعلوا أشياء منكرة، وحاصروا تفليس مدة ثم ملكوها عنوة، بعد ما أحرقوا القاضي والخطيب حين خرجوا إليهم يطلبون منهم الأمان، وقتلوا عامة أهلها، وسبوا الذرية واستحوذوا على الأموال، فلا حول ولا قوة إلا بالله. وفيها أغار جوسكين الفرنجي على خلق من العرب والتركمان فقتلهم وأخذ أموالهم وهذا هو صاحب الرها. وفيها تمردت العيارون ببغداد وأخذوا الدور جهاراً ليلاً ونهاراً، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفيها كان ابتداء ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب، كان ابتداء أمر هذا الرجل أنه قدم في حداثة سنه من بلاد المغرب فسكن النظامية ببغداد، واشتغل بالعلم فحصل منه جانباً جيداً من الفروع والأصول، على الغزالي وغيره، وكان يظهر التعبد والزهد والورع، وربما كان ينكر على الغزالي حسن ملابسه، ولا سيما لما لبس خلع التدريس بالنظامية، أظهر الإنكار عليه جداً، وكذلك على غيره، ثم إنه حج وعاد إلى بلاده، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقرىء الناس القرآن ويشغلهم في الفقه، فطار ذكره في الناس، واجتمع به يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد إفريقية، فعظّمه وأكرمه، وسأله الدعاء، فاشتهر أيضاً بذلك، وبعد صيته، وليس معه إلا ركوة وعصا، ولا يسكن إلا المساجد، ثم جعل ينتقل من بلد إلى بلد حتى دخل مراكش ومعه تلميذه عبد المؤمن بن علي، وقد كان توسم النجابة والشهامة فيه، فرأى في مراكش من المنكرات أضعاف ما رأى في غيرها، من ذلك أن الرجال يتلثمون والنساء يمشين حاسرات عن وجوههن، فأخذ في إنكار ذلك حتى أنه اجتازت به في بعض الأيام أخت أمير المسلمين يوسف ملك مراكش وما حولها، ومعها نساء مثلها راكبات حاسرات عن وجوههن، فشرع هو وأصحابه في الإنكار عليهن، وجعلوا

يضربون وجوه الدواب فسقطت أخت الملك عن دابتها، فأحضره الملك وأحضر الفقهاء فظهر عليهم بالحجة، وأخذ يعظ الملك في خاصة نفسه، حتى أبكاه، ومع هذا نفاه الملك عن بلده فشرع يشنع عليه ويدعو الناس إلى قتاله، فاتبعه على ذلك خلق كثير، فجهز إليه الملك جيشاً كثيفاً فهزمهم ابن تومرت، فعظم شأنه وارتفع أمره، وقويت شوكته، وتسمى بالمهدي، وسمى جيشه جيش الموحدين وألّف كتاباً في التوحيد وعقيدة تسمى المرشدة، ثم كانت له وقعات مع جيوش صاحب مراكش، فقتل منهم في بعض الأيام نحواً من سبعين ألفاً، وذلك بإشارة أبي عبد الله التومرتي، وكان ذكر أنه نزل إليه ملك وعلمه القرآن والموطأ[1]، وله بذلك ملائكة يشهدون به في بئر سماه، فلما اجتاز به وكان قد أرصد فيه رجالاً، فلما سألهم عن ذلك والناس حضور معه على ذلك البئر شهدوا له بذلك، فأمر حينئذٍ بطمّ البئر عليهم فماتوا عن آخرهم، ولهذا يقال من أعان ظالماً سلط عليه. ثم جهز ابن تومرت الذي لقّب نفسه بالمهدي جيشاً عليهم أبو عبد الله التومرتي، وعبد المؤمن، لمحاصرة مراكش، فخرج إليهم أهلها فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان في جملة من قتل أبو عبد الله التومرتي هذا الذي زعم أن الملائكة تخاطبه، ثم افتقدوه في القتلى فلم يجدوه، فقالوا: إن الملائكة رفعته، وقد كان عبد المؤمن دفنه والناس في المعركة، وقتل ممن معه من أصحاب المهدي خلق كثير، وقد كان حين جهّز الجيش مريضاً مدنفاً، فلما جاءه الخبر ازداد مرضاً إلى مرضه، وساءه قتل أبي عبد الله التومرتي، وجعل الأمر من بعده لعبد المؤمن بن علي، ولقبه أمير المؤمنين. وقد كان شاباً حسناً حازماً عاقلاً، ثم مات ابن تومرت وقد أتت عليه إحدى وخمسون سنة، ومدة ملكه عشر سنين، وحين صار إلى عبد المؤمن بن علي الملك أحسن إلى الرعايا، وظهرت له سيرة جيدة فأحبه الناس، واتسعت ممالكه، وكثرت جيوشه ورعيته، ونصب العداوة إلى ابن تاشفين صاحب مراكش، ولم يزل الحرب بينهما إلى سنة خمس وثلاثين، فمات تاشفين فقام ولده من بعده، فمات في سنة تسع وثلاثين ليلة سبع وعشرين من رمضان، فتولى أخوه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين، فسار إليه عبد المؤمن فملك تلك النواحي، وفتح مدينة مراكش، وقتل هنالك أمماً لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل، قتل ملكها إسحاق وكان صغير السن في سنة ثنتين وأربعين، وكان إسحاق هذا آخر ملوك المرابطين، وكان ملكهم سبعين سنة. والذين ملكوا منهم أربعة: علي وولده يوسف، وولداه أبو سفيان وإسحاق ابنا علي المذكور، فاستوطن عبد المؤمن مدينة مراكش، واستقر ملكه بتلك الناحية، وظفر في سنة ثلاث وأربعين بدكالة وهي قبيلة عظيمة نحو مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس مقاتل، وهم من الشجعان الأبطال، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً، وسبى ذراريهم وغنم أموالهم حتى أنه بيعت الجارية الحسناء بدراهم معدودة، وقد رأيت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجلداً في أحكامه وإمامته، وما كان في أيامه، وكيف تملك بلاد المغرب، وما كان يتعاطاه من الأشياء

(١) الموطأ: كتاب مالك بن أنس في الحديث.

التي توهم أنها أحوال برة، وهي محالات لا تصدر إلا عن فجرة، وما قتل من الناس وأزهق من الأنفس.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن عبد الوهاب بن السني

أبو البركات، أسند الحديث وكان يعلم أولاد الخليفة المستظهر، فلما صارت الخلافة إلى المسترشد ولاه المخزن، وكان كثير الأموال والصدقات، يتعاهد أهل العلم، وخلف مالاً كثيراً حزر بمائتي ألف دينار، أوصى منه بثلاثين ألف دينار لمكة والمدينة، توفي فيها عن ستّ وخمسين سنة وثلاثة أشهر، وصلى عليه الوزير أبو علي بن صدقة، ودفن بباب حرب.

عبد الرحيم بن عبد الكبير

أبو هوازن، أبو نصر القشيري، قرأ على أبيه وإمام الحرمين، وروى الحديث عن جماعة، وكان ذا ذكاء وفطنة، وله خاطر حاضر جريء، ولسان ماهر فصيح، وقد دخل بغداد فوعظ بها فوقع بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فحبس بسببها الشريف أبو جعفر بن أبي موسى، وأخرج ابن القشيري من بغداد لإطفاء الفتنة فعاد إلى بلده، توفي في هذه السنة.

عبد العزيز بن علي

ابن حامد أبو حامد الدِّينوري، كان كثير المال والصدقات، ذا حشمة وثروة ووجاهة عند الخليفة، وقد روى الحديث ووعظ، وكان مليح الإيراد حلو المنطق، توفي بالري والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة

فيها أقطع السلطان محمود الأمير إيلغازي مدينة ميافارقين، فبقيت في يد أولاده إلى أن أخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب، في سنة ثمانين وخمسمائة. وفيها أقطع آقسنقر البرشقي مدينة الموصل لقتال الفرنج، وفيها حاصر ملك بن بهرام وهو ابن أخي إيلغازي مدينة الرها فأسر ملكها جوسكين الإفرنجي وجماعة من رؤوس أصحابه وسجنهم بقلعة خرتبرت. وفيها هبت ريح سوداء فاستمرت ثلاثة أيام فأهلكت خلقاً كثيراً من الناس والدواب. وفيها كانت زلزلة عظيمة بالحجاز فتضعضع بسببها الركن اليماني[1]، وتهدم بعضه، وتهدم شيء من مسجد رسول الله ﷺ وفيها ظهر رجل علوي بمكة كان قد اشتغل بالنظامية في الفقه وغيره، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فاتبعه ناس كثير فنفاه صاحبها ابن أبي هاشم إلى البحرين. وفيها احترقت دار السلطان بأصبهان، فلم يبق فيها شيء من

(١) الركن اليماني: هو ركن من أركان الكعبة المشرفة، الذي تجاه بلاد اليمن.

الآثار والقماش والجواهر والذهب والفضة سوى الياقوت الأحمر، وقبل ذلك بأسبوع احترق جامع أصبهان، وكان جامعاً عظيماً، فيه من الأخشاب ما يساوي ألف دينار، وفي جملة ما احترق فيها خمسمائة مصحف، من جملتها مصحف بخط أبي بن كعب، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. وفي شعبان منها جلس الخليفة المسترشد في دار الخلافة في أبهة الخلافة، وجاء الأخوان السلطان محمود ومسعود فقبلا الأرض ووقفا بين يديه، فخلع على محمود سبع خلع وطوّقاً وسوارين وتاجاً، وأجلس على كرسي ووعظه الخليفة، وتلا عليه قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] وأمره بالإحسان إلى الرعايا، وعقد له لواءين بيده، وقلده الملك، وخرجا من بين يديه مطاعين معظمين، والجيش بين أيديهما في أبهة عظيمة جداً. وحج بالناس قطز الخادم.

وممن توفي فيها.

ابن القطاع اللغوي أبو القاسم علي بن جعفر بن محمد

ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدي الصقلي، ثم المصري اللغوي المصنف كتاب الأفعال، الذي برز فيه على ابن القوطية، وله مصنفات كثيرة قدم مصر في حدود سنة خمسمائة لما أشرفت الفرنج على أخذ صقلية، فأكرمه المصريون وبالغوا في إكرامه، وكان ينسب إلى التساهل في الدين، وله شعر جيد قوي، مات وقد جاوز الثمانين والله أعلم.

أبو القاسم شاهنشاه

الأفضل ابن أمير الجيوش بمصر، مدبر دولة الفاطميين، وإليه تنسب قيسرية أمير الجيوش بمصر، والعامة يقولون مرجوش، وأبوه باني الجامع الذي بثغر الإسكندرية بسوق العطارين، ومشهد الرأس بعسقلان أيضاً، وكان أبوه نائب المستنصر على مدينة صور، وقيل على عكا، ثم استدعاه إليه في فصل الشتاء فركب البحر فاستنابه على ديار مصر، فسدد الأمور[١] بعد فسادها، ومات في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وقام في الوزارة ولده الأفضل هذا، وكان كأبيه في الشهامة والصرامة[٢]، ولما مات المستنصر أقام المستعلي واستمرت الأمور على يديه، وكان عادلاً حسن السيرة، موصوفاً بجودة السريرة فالله أعلم، ضربه فداوي وهو راكب فقتله في رمضان من هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، وكانت إمارته من ذلك بعد أبيه ثمان وعشرين سنة، وكانت داره دار الوكالة اليوم بمصر، وقد وجد له أموال عديدة جداً، تفوق العد والإحصاء، من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، والجواهر النفائس، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمي،

(١) سدد الأمور: أصلحها وصوبها. (٢) الصرامة: الحزم والقوة.

فجعل في خزانته، وذهب جامعه إلى سواء الحساب، على الفتيل من ذلك والنفير والقطمير واعتاض عنه الخليفة بأبي عبد الله البطائحي، ولقبه المأمون. قال ابن خلكان: ترك الأفضل من الذهب العين ستمائة ألف ألف دينار مكررة، ومن الدراهم مائتين وخمسين أردباً[١]، وسبعين ثوب ديباج أطلس، وثلاثين راحلة أحقاق[٢] ذهب عراقي، ودواة ذهب فيها جوهرة باثني عشر ألف دينار، ومائة مسمار ذهب زنة كل مسمار مائة مثقال، في عشرة مجالس كان يجلس فيها، على كل مسمار منديل مشدود بذهب، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه، وخمسمائة صندوق كسوة للبس بدنه، قال: وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والمسك والطيب والحلي ما لا يعلم قدره إلا الله عز وجل، وخلف من البقر والجواميس والغنم ما يستحي الإنسان من ذكره، وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار، وترك صندوقين كبيرين مملوءين إبر ذهب برسم النساء.

عبد الرزاق بن عبد الله

ابن علي بن إسحاق الطوسي، ابن أخي نظام الملك، تفقه بإمام الحرمين، وأفتى ودرس وناظر، ووزر للملك سنجر.

خاتون السفرية

حظية السلطان ملكشاه، وهي أم السلطانين محمد وسنجر، كانت كثيرة الصدقة والإحسان إلى الناس، لها في كل سنة سبيل يخرج مع الحجاج. وفيها دين وخير، ولم تزل تبحث حتى عرفت مكان أمها وأهلها، فبعثت الأموال الجزيلة حتى استحضرتهم، ولما قدمت عليها أمها كان لها عنها أربعين سنة لم ترها، فأحبت أن تستعلم فهمها فجلست بين جواريها، فلما سمعت أمها كلامها عرفتها فقامت إليها فاعتنقا، وبكيا، ثم أسلمت أمها على يديها جزاها الله خيراً. وقد تفردت بولادة ملكين من ملوك المسلمين، في دولة الأتراك والعجم، ولا يعرف لها نظير في ذلك إلا اليسير من ذلك، وهي ولادة بنت العباس، ولدت لعبد الملك الوليد وسليمان، وشاهوند ولدت للوليد يزيد وإبراهيم، وقد وليا الخلافة أيضاً، والخيزران ولدت للمهدي الهادي والرشيد.

الطغرائي

صاحب لامية العجم، الحسين بن علي بن عبد الصمد، مؤيد الدين الأصبهاني، العميد فخر الكتاب الليثي الشاعر، المعروف بالطغرائي، ولي الوزارة بإربل مدة، أورد له ابن خلكان قصيدته اللامية التي ألفها في سنة خمس وخمسمائة، في بغداد، يشرح فيها أحواله وأموره، وتعرف بلامية العجم أولها:

(١) الإردب: مكيال ضخم يسع ٢٤ صاعاً.
(٢) أحقاق: جمع حق، وهو وعاء يوضع فيه الذهب والطيب.

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الخَطَلِ[١] وَحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى العَطَلِ
مَجْدِي أَخِيراً وَمَجْدِي أَوَّلاً شَرَعٌ وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضُّحَى كَالشَّمْسِ في الطَّفَلِ[٢]
فِيمَ الإِقَامَةُ بِالزَّوراءِ[٣]؟ لا سَكَنِي بِهَا وَلا نَاقَتِي فِيهَا وَلا جَمَلِي

وقد سردها ابن خلكان بكمالها، وأورد له غير ذلك من الشعر والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة

في المحرم منها رجع السلطان طغرلبك إلى طاعة أخيه محمود، بعد ما كان قد خرج عنها، وأخذ بلاد أذربيجان. وفيها أقطع السلطان محمود مدينة واسط [وأعمالها][٤] لأقسنقر مضافاً إلى الموصل، فسير إليها عماد الدين زنكي بن آقسنقر، فأحسن السيرة بها وأبان عن حزم وكفاية. وفي صفر منها قتل وزير السلطان محمود أبو طالب السميرمي، قتله باطني، وكان قد برز للمسير إلى همذان، وكانت قد خرجت زوجته في مائة جارية بمراكب الذهب، فلما بلغهن قتله رجعن حافيات حاسرات عن وجوههن، قد هِنَّ بعد العز، واستوزر السلطان مكانه شمس الدين الملك عثمان بن نظام الملك. وفيها التقى آقسنقر ودبيس بن صدقة، فهزمه دبيس وقتل خلقاً من جيشه، فأوثق السلطان منصور بن صدقة أخا دبيس وولده، ورفعهما إلى القلعة، فعند ذلك آذى دبيس تلك الناحية ونهب البلاد، وجز شعره ولبس السواد، ونهبت أموال الخليفة أيضاً، فنودي في بغداد للخروج لقتاله، وبرز الخليفة في الجيش وعليه قباء أسود وطرحة، وعلى كتفيه البردة وبيده القضيب، وفي وسطه منطقة حرير صيني، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك، ونقيب النقباء علي بن طراد الزينبي، وشيخ الشيوخ صدر الدين بن إسماعيل، وتلقاه آقسنقر البرشقي ومعه الجيش فقبلوا الأرض ورتب البرشقي الجيش، ووقف القراء بين يدي الخليفة، وأقبل دبيس وبين يديه الإماء يضربن بالدفوف والمخانيث[٥] بالملاهي، والتقى الفريقان، وقد شهر الخليفة سيفه وكبر واقترب من المعركة، فحمل عنتر بن أبي العسكر على ميمنة الخليفة فكسرها وقتل أميرها ثم حمل مرة ثانية فكشفهم كالأولى فحمل عليه عماد الدين زنكي بن آقسنقر فأسر عنتر وأسر معه بديل بن زائدة، ثم انهزم عسكر دبيس وألقوا أنفسهم في الماء، فغرق كثير منهم، فأمر الخليفة بضرب أعناق الأسارى صبراً بين يديه، وحصل نساء دبيس وسراريه تحت الأسر، وعاد الخليفة إلى بغداد فدخلها في يوم عاشوراء من السنة الآتية، وكانت غيبته عن بغداد ستة عشر يوماً، وأما دبيس فإنه نجا بنفسه وقصد غزية ثم إلى المنتفق فصحبهم إلى البصرة فدخلها ونهبها وقتل أميرها، ثم خاف من البرشقي فخرج منها وسار على البرية والتحق بالفرنج، وحضر معهم حصار حلب، ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل أخي السلطان

---

(١) الخطل: الفساد في الرأي.
(٢) رأد الضحى: شدته، والطفل: بعيد طلوع الشمس.
(٣) الزوراء: بغداد.
(٤) سقط في ط.
(٥) المخانيث: المخنثين.

محمود. وفيها ملك السلطان سهام الدين تمراش بن إيلغازي بن أرتق قلعة ماردين بعد وفاة أبيه، وملك أخوه سليمان ميافارقين. وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذي القرنين. وفيها دخل جماعة من الوعاظ إلى بغداد فوعظوا بها، وحصل لهم قبول تام من العوام. وحج بالناس قطز الخادم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عبد الله بن أحمد

ابن عمر بن أبي الأشعث، أبو محمد السمرقندي، أخو أبي القاسم، وكان من حفاظ الحديث، وقد زعم أن عنده منه ما ليس عند أبي زرعة الرازي، وقد صحب الخطيب مدة وجمع وألف وصنف ورحل إلى الآفاق، توفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول بها عن ثمانين سنة.

علي بن أحمد السميرمي

نسبة إلى قرية بأصبهان، كان وزير السلطان محمود، وكان مجاهراً بالظلم والفسق وأحدث على الناس مكوساً، وجددها بعد ما كانت قد أزيلت من مدة متطاولة، وكان يقول: قد استحييت من كثرة ظلم من لا ناصر له، وكثرة ما أحدثت من السنن السيئة، ولما عزم على الخروج إلى همذان أحضر المنجمين فضربوا له تخت رمل لساعة خروجه ليكون أسرع لعوده، فخرج في تلك الساعة وبين يديه السيوف المسلولة، والمماليك الكثيرة بالعدد الباهرة، فما أغنى عنه ذلك شيئاً، بل جاءه باطني فضربه فقتله، ثم مات الباطني بعده، ورجع نساؤه بعد أن ذهبن بين يديه على مراكب الذهب، حاسرات عن وجوههن، قد أبدلهن الله الذل بعد العز، والخوف بعد الأمن، والحزن بعد السرور والفرح، جزاء وفاقاً، وذلك يوم الثلاثاء سلخ صفر، وما أشبه حالهن بقول أبي العتاهية في الخيزران وجواريها حين مات المهدي:

رُحْنَ فـي الـوَشْـي عَـلَـيْـهِـنَّ الـمُـسُـوحْ ... كُـلُّ بطَّـاحٍ مِـنَ الـنَّـاسِ لَـهُ يَـوْمٌ يَـطُـوحْ[١]

لَـتَـمُـوتَـنَّ وَلَـوْ عُـمِّـرْتَ مـا عُـمِّـر نُـوحْ ... فَـعَـلَـى نَـفْـسِـكَ نـحْ إنْ كُـنْـتَ لا بُـدَّ تَـنُـوحْ

الحريري صاحب المقامات

القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، فخر الدولة أبو محمد الحريري. مؤلف المقامات التي سارت بفصاحتها الركبان، وكاد يربو[٢] فيها على سحبان، ولم يسبق إلى مثلها ولا يلحق، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث واشتغل باللغة والنحو،

(١) المسوح: جمع مسح، وهو الثوب من شعر. والبطاح: القوي. ويطوح: يهلك.

(٢) يربو: يزيد، يفوق.

وصنف في ذلك كله، وفاق أهل زمانه، وبرز على أقرانه، وأقام ببغداد وعمل صناعة الإنشاء مع الكتاب في باب الخليفة، ولم يكن ممن تنكر بديهته ولا تتعكر فكرته وقريحته.

قال ابن الجوزي: صنف وقرأ الأدب واللغة، وفاق أهل زمانه بالذكاء والفطنة والفصاحة، وحسن العبارة، وصنف المقامات المعروفة التي من تأملها عرف ذكاء منشئها، وقدره وفصاحته، وعلمه. توفي في هذه السنة بالبصرة. وقد قيل إن أبا زيد والحارث بن همام المطهر لا وجود لهما، وإنما جعل هذه المقامات من باب الأمثال، ومنهم من يقول أبو زيد بن سلام السروجي كان له وجود، وكان فاضلاً، وله علم ومعرفة باللغة فالله أعلم. وذكر ابن خلكان أن أبا زيد كان اسمه المطهر بن سلام، وكان بصرياً في النحو واللغة، وكان يشتغل عليه الحريري بالبصرة، وأما الحارث بن همام فإنه غني بنفسه، لما جاء في الحديث «كُلُّكُمْ حَارِثٌ وَكُلُّكُمْ هَمَامٌ».

كذا قال ابن خلكان. وإنما اللفظ المحفوظ «أَصْدَقُ الأَسْمَاءَ حَارِثُ وَهَمَّام» لأن كل أحد إما حارث وهو الفاعل، أو همام من الهمة وهو العزم والخاطر، وذكر أن أول مقامة عملها الثانية والأربعون وهي الحرامية، وكان سببها أنه دخل عليهم في مسجد البصرة رجل ذو طمرين فصيح اللسان، فاستسموه فقال أبو زيد السروجي، فعمل فيه هذه المقامة، فأشار عليه وزير الخليفة المسترشد جلال الدين عميد الدولة أبو علي الحسن بن أبي المعز بن صدقة، أن يكمل عليها تمام خمسين مقامة.

قال ابن خلكان: كذا رأيته في نسخة بخط المصنف، على حاشيتها، وهو أصح من قول من قال إنه الوزير شرف الدين أبو نصر أنوشروان بن محمد بن خالد بن محمد القاشاني، وهو وزير المسترشد أيضاً، ويقال إن الحريري كان قد عملها أربعين مقامة، فلما قدم بغداد ولم يصدق في ذلك لعجز الناس عن مثلها، فامتحنه بعض الوزراء أن يعمل مقامة فأخذ الدواة والقرطاس وجلس ناحية فلم يتيسر له شيء، فلما عاد إلى بلده عمل عشرة أخرى فأتمّها خمسين مقامة، وقد قال فيه أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر، وكان من جملة المكذبين له فيها:

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رَبِيعَةِ الفَرَسِ ... يَنْتِفُ عُثْنُونَهُ مِنَ الهَوَسِ[1]

أَنْطَقَهُ الله بِالمُشَانِ كَمَا ... رَمَاهُ وَسْطَ الدِّيوَانِ بِالخَرَسِ

ومعنى قوله بالمشان هو مكان بالبصرة، وكان الحريري صدر ديوان المشان، ويقال إنه كان دميم الخلق، فاتفق أن رجلاً رحل إليه فلما رآه ازدراه ففهم الحريري ذلك فأنشأ يقول:

مَا أَنْتَ أَوَّلُ سَارٍ غَرَّهُ قَمَرٌ ... ورَائِدٍ أَعْجَبَتْهُ خُضْرَةُ الدِّمَنِ[2]

---

(١) العثنون: أسفل اللحية. والهوس: التهور.

(٢) الدمن: آثار الديار والطلول البالية.

فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ غَيْرِي إِنَّنِي رَجُلٌ مِثْلُ الْمُعَيْدِيِّ فَاسْمَعْ بِي وَلاَ تَرَنِي[(١)]

ويقال إن المعيديّ اسم حصان جواد كان في العرب دميم الخلق والله أعلم.

البغوي المفسر

الحسن بن مسعود بن محمد البغوي، صاحب التفسير وشرح السنة والتهذيب، في الفقه، والجمع بين الصحيحين والمصابيح في الصحاح والحسان، وغير ذلك، اشتغل على القاضي حسين وبرع في هذه العلوم، وكان علامة زمانه فيها، وكان ديّناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً. توفي في شوال منها وقيل في سنة عشر فالله أعلم. ودفن مع شيخه القاضي حسين بالطالقان والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة

في يوم عاشوراء منها عاد الخليفة من الحلة إلى بغداد مؤيداً منصوراً من قتال دبيس. وفيها عزم الخليفة على طهور أولاد أخيه، وكانوا اثني عشر ذكراً، فزينت بغداد سبعة أيام بزينة لم ير مثلها وفي شعبان منها قدم أسعد المهيتي مدرساً بالنظامية ببغداد وناظراً عليها وصرف الباقرجي عنها، ووقع بينه وبين الفقهاء فتنة بسبب أنه قطع منهم[(٢)] جماعة، واكتفى بمائتي طالب منهم، فلم يهن ذلك على كثير منهم. وفيها سار السلطان محمود إلى بلاد الكرج وقد وقع بينهم وبين القفجاق خلف فقاتلهم فهزمهم، ثم عاد إلى همدان. وفيها ملك طغتكين صاحب دمشق مدينة حماه بعد وفاة صاحبها قراجا، وقد كان ظالماً غاشماً. وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت داره وهو علي بن أفلح، لأنه كان عيناً لدبيس، وأضيف إلى علي بن طراد الزينبي نقابة العلويين مع نقابة العباسيين.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد

ابن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي، المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي، الكاتب، له ديوان شعر مشهور.

قال ابن عساكر: ختم به شعر الشعراء بدمشق، شعره جيد حسن، وكان مكثراً لحفظ الأشعار المتقدمة وأخبارهم، وأورد ابن خلكان قطعة جيدة من شعره من قصيدته التي لو لم يكن لها سواها لكفته وهي التي يقول فيها:

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَاناً لِقَلْبِهِ فَقَدْ كَادَ رَيَّاهَا يَطِيرُ بِلُبِّهِ[(٣)]

---

(١) المعيدي: رجل كريم الفعال، قبيح المنظر، ومنه المثل: أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

(٢) قطع منهم: طرد.

(٣) الصبا: الريح الباردة، ويطير بلبه: يذهب بعقله.

وَإِيَّاكُمَا ذَاكَ النَّسِيمَ فَإِنَّهُ ... مَتَى هَبَّ كَانَ الوَجْدُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ
خَلِيلَيَّ، لَوْ أَحْبَبْتُمَا لَعَلِمْتُمَا ... مَحَلَّ الهَوَى مِنْ مُغْرَمِ القَلْبِ صَبِّهِ[١]
أَتَذْكُرُ وَالذِّكْرَى تَشُوقُ وَذُو الهَوَى ... يَتُوقُ وَمَنْ يَعْلَقْ بِهِ الحُبُّ يُصْبِهِ[٢]
غَرَامٌ عَلَى يَأْسِ الهَوَى وَرَجَائِهِ ... وَشَوْقٌ عَلَى بُعْدِ المَزَارِ وَقُرْبِهِ
وَفِي الرَّكْبِ مَطْوِيّ الضُّلُوعِ عَلَى جَوًى ... مَتَى يَدْعُهُ دَاعِي الغَرَامِ يُلَبِّهِ
إذا خَطَرَتْ[٣] مِنْ جَانِبِ الرَّمْلِ نَفْحَةٌ ... تَضَمَّنَ مِنْهَا دَاؤُهُ دُونَ صَحْبِهِ
وَمُحْتَجِبٍ بَيْنَ الأَسِنَّةِ مُعْرِضٍ ... وَفي القَلْبِ مِنْ إعْرَاضِهِ مِثْلُ حُجْبِهِ[٤]
أَغَارُ إذا آنَسْتُ فِي الحَيِّ أَنَّةً ... حِذاراً وَخَوْفاً أَنْ تَكُونَ لِحُبِّهِ

توفي في رمضان منها عن سبع وتسعين سنة بدمشق.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة

فيها ظهرت الباطنية بآمد فقاتلهم أهلها فقتلوا منهم سبعمائة. وفيها ردت شحنكية بغداد إلى سعد الدولة برنقش الزكوي وسلم إليه منصور بن صدقة أخو دبيس ليسلم إلى دار الخلافة، وورد الخبر بأن دبيساً قد التجأ إلى طغرلبك وقد اتفقا على أخذ بغداد، فأخذ الناس بالتأهب إلى قتالهما، وأمر آقسنقر بالعود إلى الموصل، فاستناب على البصرة عماد الدين زنكي بن آقسنقر. وفي ربيع الأول دخل الملك حسام تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق صاحب حلب، وقد ملكها بعد ملكها بلك بن بهرام، وكان قد حاصر قلعة منبج فجاءه سهم في حلقه فمات، فاستناب تمرتاش بحلب، ثم عاد إلى ماردين فأخذت منه بعد ذلك، أخذها آقسنقر مضافة إلى الموصل، وفيها أرسل الخليفة القاضي أبا سعد الهروي ليخطب له ابنة السلطان سنجر، وشرع الخليفة في بناء دار على حافة دجلة لأجل العروس. وحج بالناس جمال الدولة إقبال المسترشدي.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن علي بن برهان

أبو الفتح، ويعرف بابن الحمامي، تفقه على أبي الوفاء بن عقيل، وبرع في مذهب الإمام أحمد، ثم نقم عليه أصحابه أشياء، فحمله ذلك على الانتقال إلى مذهب الشافعي فاشتغل على الغزالي والشاشي، وبرع وساد وشهد عند الزينبي فقبله، ودرس في النظامية شهراً. توفي في جمادى ودفن بباب إبرز.

---

(١) الصب: العاشق.
(٢) يُصْبِه: يُصِبْهُ بالصبابة.
(٣) خطرت: مرّت وعنّت.
(٤) الإعراض: الصدود.

عبد الله بن محمد بن جعفر

أبو علي الدامغاني، سمع الحديث وشهد عند أبيه وناب في الكرخ عن أخيه، ثم ترك ذلك كله، وولي حجابة باب النوبي، ثم عزل ثم أعيد [توفي في جمادى الأولى من هذه السنة][١].

أحمد بن محمد

ابن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل الميداني، صاحب كتاب الأمثال، ليس له مثله في بابه، وله شعر جيد.

[قال ابن خلكان][٢]: توفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان [من هذه السنة][٣] والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة

فيها قصد دبيس والسلطان طغرل بغداد ليأخذاها من يد الخليفة، فلما اقتربا منها برز إليهما الخليفة في جحفل عظيم، والناس مشاة بين يديه [وعليه السواد والبرد وبيده القضيب][٤] إلى أول منزلة، ثم ركب الناس بعد ذلك، فلما أمست الليلة التي يقتتلون في صبيحتها، ومن عزمهم أن ينهبوا بغداد، أرسل الله مطراً عظيماً، مرض السلطان طغرل في تلك الليلة، فتفرقت تلك الجموع ورجعوا على أعقابهم خائبين خائفين، والتجأ دبيس وطغرل إلى سنجر وسألاه الأمان من الخليفة، والسلطان محمود، فحبس دبيساً في قلعة ووشى واشٍ أن الخليفة يريد أن يستأثر بالملك، وقد خرج من بغداد إلى اللان لمحاربة الأعداء، فوقع في نفس سنجر من ذلك وأضمر سوءاً، مع أنه قد زوج ابنته من الخليفة. وفيها قتل القاضي أبو سعد بن نصر بن منصور الهروي بهمذان، قتلته الباطنية، وهو الذي أرسله الخليفة إلى سنجر ليخطب ابنته. وحج بالناس قطز الخادم والله تعالى أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

آقسنقر البرشقي

صاحب حلب، قتلته الباطنية - وهم الفداوية - في مقصورة جامعها يوم الجمعة، وقد كان تركياً جيد السيرة، محافظاً على الصلوات في أوقاتها، كثير البر والصدقات إلى الفقراء، كثير الإحسان إلى الرعايا، وقام في الملك بعده ولده السلطان عز الدين مسعود، وأقره السلطان محمود على عمله.

بلال بن عبد الرحمن

ابن شريح بن عمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح،

(١) و (٢) و(٣) و(٤) سقط في ط.

مؤذن رسول الله ﷺ، رحل وجال في البلاد، وكان شيخاً جهوري الصوت، حسن القراءة، طيب النغمة توفي في هذه السنة بسمرقند رحمه الله.

القاضي أبو سعد الهروي

أحمد بن نصر(١)، أحد مشاهير الفقهاء، وسادة الكبراء، قتلته الباطنية بهمذان [حين ذهب في الرسلية عن الخليفة إلى السلطان سنجر](٢).

ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة [من الهجرة النبوية](٣)

فيها تراسل السلطان محمود والخليفة على السلطان سنجر، أن يكونا عليه، فلما علم بذلك سنجر كتب إلى ابن أخيه محمود ينهاه ويستميله إليه، ويحذره من الخليفة، وأنه لا تؤمن غائلته، وأنه متى فرغ مني دار إليك فأخذك، فأصغى إلى قول عمه ورجع عن عزمه، وأقبل ليدخل بغداد عامه ذلك، فكتب إليه الخليفة ينهاه عن ذلك لقلة الأقوات بها، فلم يقبل منه، وأقبل إليه، فلما أزف(٤) قدومه خرج الخليفة من داره وتجهز إلى الجانب الغربي فشق عليه ذلك وعلى الناس، ودخل عيد الأضحى فخطب الخليفة الناس بنفسه خطبة عظيمة بليغة فصيحة جداً، وكبر وراءه خطباء الجوامع، وكان يوماً مشهوداً. وقد سردها ابن الجوزي بطولها ورواها عن من حضرها، مع قاضي القضاة الزينبي، وجماعة من العدول، [ولما أراد الخليفة أن ينزل عن المنبر ابتدره أبو المظفر محمد بن أحمد بن عبد العزيز الهاشمي فأنشده: -

عليك سلام الله يا خير من علا ... على منبر قد حف أعلامه النصر
وأفضل من أمّ الأنام وعمهم ... بسيرته الحسنى وكان له الأمر
لقد شنفت أسماعنا منك خطبة ... وموعظة فصل يلين لها الصخر
ملأت بها كل القلوب مهابة ... فقد رجفت من خوف تخويفها مصر
سما لفظها فضلاً على كل قائل ... وجلت علاها أن يلم بها حصر
أشدت بها سامي المنابر رفعة ... تقاصر عن إدراكها الأنجم الزهر
وزدت بها عدنان مجداً مؤثلاً ... فأضحى بها من للأنام بك الفخر
فلله عصر أنت فيه إمامه ... ولله دين أنت فيه لنا الصدر
بقيت على الأيام والملك كلما ... تقادم عصر أنت فيه أتى عصر
وأصبحت بالعيد السعيد مهنأ ... يشرفنا فيه صلاتك والنحر](٥)

ولما نزل الخليفة عن المنبر ذبح البدنة(٦) بيده، ودخل السرادق وتباكى الناس ودعوا

(١) كذا في الأصل، وفي ابن الأثير: محمد بن نصر.
(٢) و(٣) سقط في ط.
(٤) أزف: اقترب.
(٥) سقط في ط.
(٦) البدنة: الناقة وغيرها مما يضحى به.

للخليفة بالتوفيق والنصر، ثم دخل السلطان محمود إلى بغداد يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي الحجة، فنزلوا في بيوت الناس وحصل للناس منهم أذى كثير في حريمهم، ثم إن السلطان راسل الخليفة في الصلح فأبى ذلك الخليفة، وركب في جيشه وقاتل الأتراك ومعه شرذمة قليلة من المقاتلة، ولكن العامة كلهم معه، وقتل من الأتراك خلقاً، ثم جاء عماد الدين زنكي في جيش كثيف من واسط في السفن إلى السلطان نجدة، فلما استشعر الخليفة ذلك دعا إلى الصلح، فوقع الصلح بين السلطان والخليفة، وأخذ الملك يستبشر بذلك جداً، ويعتذر إلى الخليفة مما وقع، ثم خرج في أول السنة الآتية إلى همذان لمرض حصل له، وفيها كان أول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر يعظ الناس، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، وحضره الشيخ أبو القاسم علي بن يعلى العلوي البلخي، وكان نسيباً، علمه كلمات ثم أصعده المنبر فقالها، وكان يوماً مشهوداً.

قال ابن الجوزي: وحزر[1] الجمع يومئذٍ بخمسين ألفاً، والله أعلم. وفيها اقتتل طغتكين صاحب دمشق وأعداؤه من الفرنج فقتل منهم خلقاً كثيراً، وغنم منهم أموالاً جزيلة ولله الحمد والمنة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن محمد

أبو الفتح الطوسي الغزالي، أخو أبي حامد الغزالي، كان واعظاً مفوّهاً، ذا حظ من الكلام والزهد وحسن التأني وله نكت جيدة، ووعظ مرة في دار الملك محمود فأطلق له ألف دينار، وخرج فإذا على الباب فرس الوزير بسرجها الذهب، وسلاسلها وما عليها من الحلي، فركبها، فبلغ ذلك الوزير فقال: دعوه ولا يرد عليَّ الفرس، فأخذها الغزالي، وسمع مرة ناعوة تئن فألقى عليها رداءه فتمزق قطعاً قطعاً.

قال ابن الجوزي: وقد كانت له نكت إلا أن الغالب على كلامه التخليط والأحاديث الموضوعة المصنوعة، والحكايات الفارغة، والمعاني الفاسدة، ثم أورد ابن الجوزي أشياء منكرة من كلامه فالله أعلم، من ذلك أنه كان كلما أشكل عليه[2] شيء رأى رسول الله ﷺ في اليقظة فسأله عن ذلك فدله على الصواب، وكان يتعصب إلى إبليس ويعتذر له، وتكلم فيه ابن الجوزي بكلام طويل كثير. قال ونسب إلى محبة المردان والقول بالمشاهدة فالله أعلم بصحة ذلك. قال ابن خلكان: كان واعظاً مليح الوعظ حسن المنظر صاحب كرامات وإشارات، وكان من الفقهاء، غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه ودرس بالنظامية نيابة عن أخيه لما تزهد، واختصر إحياء علوم الدين في مجلد سماه «لباب الإحيا» وله الذخيرة في علم البصيرة، وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه، وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة والله أعلم بحاله.

---

(١) حزر: خمّن.

(٢) أشكل عليه: حصل له فيه التباس وشك.

أحمد بن علي

ابن محمد بن الوكيل، المعروف بابن برهان، أبو الفتح الفقيه الشافعي، تفقه على الغزالي وعلى الكيا الهراسي، وأبي بكر الشاشي، وكان بارعاً في الأصول، وله كتاب الذخيرة في أصول الفقه، وكان يعرف فنوناً جيدة، بعينها وولي تدريس النظامية ببغداد دون شهر.

بهرام بن بهرام

أبو شجاع البيع، سمع الحديث وبنى مدرسة لأصحاب أحمد بكلواذي، ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء بها.

صاعد بن سيار

ابن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو العلاء[١] الإسحاقي الهروي الحافظ، أحد المتقنين، سمع الحديث وتوفي بعتورج قرية على باب هراة في هذه السنة.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والخليفة والسلطان محمود يتحاربان والخليفة في السرادق في الجانب الغربي، فلما كان يوم الأربعاء رابع المحرم توصل جماعة من جند السلطان إلى دار الخلافة فحصل فيها ألف مقاتل عليهم السلاح، فنهبوا الأموال، وخرج الجواري وهن حاسرات يستغثن حتى دخلن دار الخاتون.

قال ابن الجوزي: وأنا رأيتهن كذلك، فلما وقع ذلك ركب الخليفة في جيشه وجيء بالسفن وانقلبت بغداد بالصراخ حتى كأن الدنيا قد زلزلت، وثارت العامة مع جيش الخليفة فكسروا جيش السلطان وقتلوا خلقاً من الأمراء، وأسروا آخرين ونهبوا دار السلطان ودار وزيره ودار طبيبه أبي البركات، وأخذوا ما كان في داره من الودائع، ومرت خطوب[٢] عظيمة جدّاً، حتى أنهم نهبوا الصوفية، برباط نهر جور، وجرت أمور طويلة، ونالت العامة من السلطان، وجعلوا يقولون له: يا باطني تترك الفرنج والروم وتقاتل الخليفة، ثم إن الخليفة انتقل إلى داره في سابع المحرم، فلما كان في يوم عاشوراء تماثل الحال وطلب السلطان من الخليفة الأمان والصلح، فلان الخليفة إلى ذلك، وتباشر الناس بالصلح، فأرسل إليه الخليفة نقيب النقباء وقاضي القضاة، وشيخ الشيوخ وبضعاً وثلاثين شاهداً، فاحتبسهم السلطان عنده ستة أيام فساء ذلك الناس، وخافوا من فتنة أخرى أشد من الأولى، وكان برنقش الزكوي شحنة[٣] بغداد يغري السلطان بأهل بغداد لينهب أموالهم، فلم يقبل منه، ثم أدخل لأولئك الجماعة فأدخلوا عليه وقت المغرب فصلى بهم القاضي وقرؤوا عليه كتاب

---

(١) في ط: الأعلى. (٢) في ط: خبطة. (٣) الشحنة: رئيس الشرطة.

الخليفة، فقام قائماً، وأجاب الخليفة إلى جميع ما اقترح عليه، ووقع الصلح والتحليف، ودخل جيش السلطان وهم في غاية الجهد من قلة الطعام عندهم في العسكر، وقالوا: لو لم يصالح لمتنا جوعاً، وظهر من السلطان حلم كثير عن العوام، وأمر الخليفة برد ما نهب من دور الجند، وأن من كتم شيئاً أبيح دمه. وبعث الخليفة علي بن طراد الزينبي النقيب إلى السلطان سنجر ليبعد عن بابه دبيساً، وأرسل معه الخلع والإكرام، فأكرم سنجر رسول الخليفة، وأمر بضرب الطبول على بابه في ثلاثة أوقات، وظهر منه طاعة كبيرة، ثم مرض السلطان محمود ببغداد فأمره الطبيب بالانتقال عنها إلى همذان، فسار في ربيع الآخر فوضع شحنكية بغداد إلى عماد الدين زنكي، فلما وصل السلطان إلى همذان بعث على شحنكية بغداد مجاهد الدين بهروز، وجعل إليه الحلة وبعث عماد الدين زنكي إلى الموصل وأعمالها. وفيها درس الحسن بن سليمان بالنظامية ببغداد. وفيها ورد أبو الفتوح الأسفراييني فوعظ ببغداد، فأورد أحاديث كثيرة منكرة جداً، فاستتيب منها وأمر بالانتقال منها إلى غيرها فشدّ معه جماعة من الأكابر وردوه إلى ما كان عليه، فوقع بسببه فتن كثيرة بين الناس، حتى رجمه بعض العامة بالأسواق، وذلك لأنه كان يطلق عبارات لا يحتاج إلى إيرادها، فنفرت منه قلوب العامة وأبغضوه، وجلس الشيخ عبد القادر الجيلي فتكلم على الناس فأعجبهم، وأحبوه وتركوا ذاك وفيها قتل السلطان سنجر من الباطنية اثنا عشر ألفاً. وحج بالناس قطز الخادم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

محمد بن عبد الملك

ابن إبراهيم بن أحمد، أبو الحسن بن أبي الفضل الهمذاني الفرضي، صاحب التاريخ من بيت الحديث.

وذكر ابن الجوزي عن شيخه عبد الوهاب أنه طعن فيه. توفي فجأة في شوال ودفن إلى جانب ابن شريح.

فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلويه

سمعت الخطيب وابن المسلمة وغيرهما، وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات، وقد سمع عليها ابن الجوزي مسند الشافعي وغيره.

أبو محمد عبد الله بن محمد

ابن السيد البطليوسي، ثم التنيسي صاحب المصنفات في اللغة وغيرها، جمع المثلث في مجلدين، وزاد فيه على قطرب شيئاً كثيراً جداً، وله شرح سقط الزند لأبي العلاء، أحسن من شرح المصنف وله شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، ومن شعره الذي أورده له ابن خلكان.

أَخُو العِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ ... وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمُ(١)
وَذُو الجَهْلِ مَيْتٌ وَهْوَ مَاشٍ عَلَى الثَّرَى ... يُظَنُّ مِنَ الأَحْيَاءِ وَهْوَ عَدِيمُ

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

في أولها قدم رسول سنجر إلى الخليفة يسأل منه أن يخطب له على منابر بغداد، وكان يخطب له كل جمعة بجامع المنصور. وفيها مات ابن صدقة وزير الخليفة، وجعل مكانه نقيب النقباء. وفيها اجتمع السلطان محمود بعمه سنجر واصطلحا بعد خشونة، وسلم سنجر دبيساً إلى السلطان محمود على أن يسترضي عنه الخليفة ويعزل زنكي عن الموصل، ويسلم ذلك إلى دبيس، واشتهر في ربيع الأول ببغداد أن دبيساً أقبل إلى بغداد في جيش كثيف، فكتب الخليفة إلى السلطان محمود: لئن لم تكف دبيساً عن القدوم إلى بغداد وإلا خرجنا إليه ونقضنا ما بيننا وبينك من العهود والصلح. وفيها ملك الأتابك زنكي بن آقسنقر مدينة حلب وما حولها من البلاد. وفيها ملك تاج الملوك بوري بن طغتكين مدينة دمشق بعد وفاة أبيه، وقد كان أبوه من مماليك ألب أرسلان، وكان عاقلاً حازماً عادلاً خَيِّراً، كثير الجهاد في الفرنج رحمه الله. وفيها عمل ببغداد مصلى للعيد ظاهر باب الحلبة، وحوّط عليه(٢)، وجعل فيه قبلة. وحج بالناس قطز الخادم المتقدم ذكره.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن علي بن صدقة

أبو علي وزير الخليفة المسترشد، توفي في رجب منها. ومن شعره الذي أورده له ابن الجوزي وقد بالغ في مدح الخليفة فيه وأخطأ:

وَجَدْتُ الوَرَى كَالمَاءِ طَعْماً وَرِقَّةً ... وَأَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ زُلالُهُ(٣)
وَصَوَّرْتُ مَعْنَى العَقْلِ شَخْصاً مُصَوَّراً ... وَأَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مِثَالُهُ
فَلَوْلا مَكَانُ الشَّرْعِ وَالدِّينِ وَالتُّقَى ... لَقُلْتُ مِنَ الإِعْظَامِ جَلَّ جَلالُهُ

الحسن بن علي

ابن أبي القاسم اللامتني، من أهل سمرقند، روى الحديث وتفقه، وكان يضرب به المثل في المناظرة، وكان خيراً ديناً على طريقة السلف، مطرحاً للتكلف أماراً بالمعروف، قدم من عند الخاقان ملك ما وراء النهر في رسالة إلى دار الخلافة، فقيل له ألا تحج عامك هذا؟ فقال: لا أجعل الحج تبعاً لرسالتهم، فعاد إلى بلده فمات في رمضان من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله.

(١) الرميم: البالي.
(٢) حوط عليه: سيّج بسياج أو أحيط بسور.
(٣) الزلال: الصافي العذب.

طغتكين الأتابك

صاحب دمشق التركي، أحد غلمان تاج تتش، كان من خيار الملوك وأعدلهم وأكثرهم جهاداً للفرنج، وقام من بعده ولده تاج الملوك بوري.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

في المحرم منها دخل السلطان محمود إلى بغداد، واجتهد في إرضاء الخليفة عن دبيس، وأن يسلم إليه بلاد الموصل، فامتنع الخليفة من ذلك وأبى أشد الإباء، هذا وقد تأخر دبيس عن الدخول إلى بغداد، ثم دخلها وركب بين الناس فلعنوه وشتموه في وجهه، وقدم عماد الدين زنكي فبذل للسلطان في كل سنة مائة ألف دينار، وهدايا وتحفاً، والتزم للخليفة بمثلها على أن لا يولي دبيساً شيئاً وعلى أن يستمر زنكي على عمله بالموصل، فأقره على ذلك وخلع عليه، ورجع إلى عمله فملك حلب وحماه، وأسر صاحبها سونج بن تاج الملوك، فافتدى نفسه بخمسين ألف دينار. وفي يوم الاثنين سلخ ربيع الآخر خلع السلطان على نقيب النقباء استقلالاً، ولا يعرف أحد من العباسيين باشر الوزارة غيره. وفي رمضان منها جاء دبيس في جيش إلى الحلة فملكها ودخلها في أصحابه، وكانوا ثلاثمائة فارس، ثم إنه شرع في جمع الأموال وأخذ الغلات من القرى حتى حصل نحواً من خمسمائة ألف دينار، واستخدم قريباً من عشرة آلاف مقاتل، وتفاقم الحال بأمره، وبعث إلى الخليفة يسترضيه فلم يرض عليه، وعرض عليه أموالاً فلم يقبلها، وبعث إليه السلطان جيشاً فانهزم إلى البرية ثم أغار على البصرة، فأخذ منها حواصل السلطان والخليفة، ثم دخل البرية فانقطع خبره. وفي هذه السنة قتل صاحب دمشق من الباطنية ستة آلاف، وعلق رؤوس كبارهم على باب القلعة، وأراح الله الشام منهم. وفيها حاصرت الفرنج مدينة دمشق فخرج إليهم أهلها، فقاتلوهم قتالاً شديداً، وبعث أهل دمشق عبد الله الواعظ ومعه جماعة من التجار يستغيثون بالخليفة، وهموا بكسر منبر الجامع، حتى وعدهم بأنه سيكتب إلى السلطان ليبعث لهم جيشاً يقاتلون الفرنج، فسكنت الأمور، فلم يبعث لهم جيشاً حتى نصرهم الله من عنده، فإن المسلمين هزموهم وقتلوا منهم عشرة آلاف، ولم يفلت منهم سوى أربعين نفساً ولله الحمد والمنة. وقتل بيمند الفرنجي صاحب أنطاكية. وفيها تخبط الناس في الحج حتى ضاق الوقت بسبب فتنة دبيس، حتى حج بهم برنقش الزكوي، وكان اسمه بغاجق.

وممن توفي من الأعيان:

أسعد بن أبي نصر

الميهني أبو الفتح، أحد أئمة الشافعية في زمانه، تفقه على أبي المظفر السمعاني، وساد أهل زمانه وبرع وتفرد من بين أقرانه، وولي تدريس النظامية ببغداد، وحصل له وجاهة عند الخاص والعام وعلق عنه تعليقة في الخلاف. ثم عزل عن النظامية فسار إلى همذان فمات بها في هذه السنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة

فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق تهدم بسببها دور كثيرة ببغداد. ووقع بأرض الموصل مطر عظيم فسقط بعضه ناراً تأجج فأحرقت دوراً كثيرة وخلقاً من ذلك المطر وتهارب الناس. وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان، فخاف الناس منها خوفاً شديداً. وفيها ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وكان بها محمد بن خاقان. وفيها ملك عماد الدين زنكي بلاداً كثيرة من الجزيرة وهما مع الفرنج، وجرت معهم حروب طويلة، نصر عليهم في تلك المواقف كلها ولله الحمد. وقتل خلقاً من جيش الروم حين قدموا إلى الشام، ومدحه الشعراء على ذلك.

قتل خليفة مصر

وفي ثاني ذي القعدة قتل الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله بن المستعلي صاحب مصر، قتله الباطنية وله من العمر أربع وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً، وكان هو العاشر من ولد عبيد الله المهدي، ولما قتل تغلب على الديار المصرية غلام من غلمانه أرمني فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام حتى حضر أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدرِ الجمالي فأقام الخليفة الحافظ أبا الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم المستنصر، وله من العمر ثمان وخمسون سنة، ولما أقامه استحوذ على الأمور دونه وحصره في مجلسه، لا يدع أحداً يدخل إليه إلا من يريد هو، ونقل الأموال منِ القصر إلى داره، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد

أبو إسحاق الكلبي من أهل غزة، جاوز الثمانين، وله شعر جيد في الأتراك. فمنه:

فِي فِتْيَةٍ مِنْ جُيُوشِ التُّرْكِ ما تَرَكَتْ ... لِلرَّعْدِ كَرَّاتُهُمْ صَوْتاً وَلا صِيتا
قَوْمٌ إذا قُوبِلُوا كَانُوا مَلائِكَةً ... حُسْناً وَإنْ قُوتِلُوا كَانُوا عَفَارِيتَا

وله:

لَيْتَ الَّذِي بِالعِشْقِ دُونَكَ خَصَّنِي ... يا ظَالِمِي قَسَمَ المَحَبَّةَ بَيْنَنَا
أَلْقَى الهِزَبْرَ فَلا أَخَافُ وُثُوبَهُ ... وَيَرُوعُنِي نَظَرُ الغَزَالِ إذا دَنَا[1]

وله:

إنَّمَا هٰذِهِ الحَيَاةُ مَتَاعٌ ... وَالسَّفِيهُ الغَوِيُّ مَنْ يَصْطَفِيهَا[2]

(١) الهزبر: الأسد. ويروع: يخيف.

(٢) يصطفيها: يختارها.

مـا مَـضَـى فَـاتَ والـمـؤمَّـلُ غَـيْـبٌ وَلَـكَ الـسَّـاعَـةُ الَّـتِـي أَنْـتَ فِـيـهَـا

وله أيضاً:

قـالـوا هَـجَرْتَ الـشِّـعْـرَ قُـلْـتُ ضَـرُورَةٌ بَـابُ الـدَّوَاعِـي وَالـبَـوَاعِـثِ مُـغْـلَـقُ

خَـلَـتِ الـدِّيَـارُ فَـلا كَـرِيـمٌ يُـرْتَـجَـى مِـنْـهُ الـنَّـوَالُ وَلا مَـلِـيـحٌ يُـعْـشَـقُ

وَمِـنَ الـعَـجَـائِـبِ أَنَّـهُ لا يـشـتـري وَيُـخَـانُ فِـيـهِ مَـعَ الـكَـسَـادِ وَيُـسْـرَقُ

كانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ ودفن بها. ومما أنشده ابن خلكان له:

إِشَـارَةٌ مِـنْـكَ تَـكْـفِـيـنَـا وَأَحْـسَـنُ مَـا رَدُّ الـسَّـلامُ غَـدَاةَ الـبَـيْـنِ بِـالـعَـنَـمِ(١)

حَتَّى إذا طَاحَ عَنْهَا المِرْطُ مِنْ دَهَشٍ وَانْحَلَّ بِالضَّمِّ سِلْكُ العِقْدِ في الظُّلَمِ(٢)

تَـبَـسَّـمَـتْ فَـأَضَـاءَ الـلَّـيْـلُ فَـالْـتَـقَـطَـتْ حَـبَّـاتِ مُـنْـتَـثِـرٍ فـي ضَـوْءِ مُـنْـتَـظِـمِ

الحسين بن محمد

ابن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الدباس أبو عبد الله الشاعر المعروف بالبارع، قرأ القراءات وسمع الحديث، وكان عارفاً بالنحو واللغة والأدب، وله شعر رائق، توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين.

محمد بن سعدون بن مرجى

أبو عامر العبدري القرشي الحافظ، أصله من بيروقة من بلاد المغرب بغداد، وسمع بها على طراد الزينبي والحميدي وغير واحد، وكانت له معرفة جيدة بالحديث، وكان يذهب في الفروع مذهب الظاهرية. توفي في ربيع الآخر في بغداد.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة

فيها ضل دبيس عن الطريق في البرية فأسره بعض أمراء الأعراب بأرض الشام، وحمله إلى ملك دمشق بوري بن طغتكين، فباعه من زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل بخمسين ألف دينار فلما حصل في يده لم يشك أنه سيهلكه، لما بينهما من العداوة، فأكرمه زنكي وأعطاه أموالاً جزيلة وقدمه واحترمه، ثم جاءت رسل الخليفة في طلبه فبعثه معهم، فلما وصل إلى الموصل حبس في قلعتها. وفيها وقع بين الأخوين محمود ومسعود، فتواجها للقتال ثم اصطلحا وفيها كانت وفاة الملك محمود بن ملكشاه فأقيم في الملك مكانه ابنه داود، وجعل له أتابك وزير أبيه وخطب له بأكثر البلاد.

---

(١) العنم: شجر له زهر أحمر تشبه به الأصابع المخضوبة.

(٢) طاح: سقط وطار، المرط: الرداء، والدهش: العجيب والحيرة.

ومِمن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن عبد القاهر الصوفي

سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان شيخاً لطيفاً، عليه نور العبادة والعلم قال ابن الجوزي أنشدني:

عَلَى كُلِّ حَالٍ فَاجْعَلِ الحَزْمَ عُدَّةً ... تُقَدِّمُهَا بَيْنَ النَّوَائِبِ وَالدَّهْرِ
فَإِنْ نِلْتَ خَيْراً نِلْتَهُ بِعَزِيمَةٍ ... وَإِنْ قَصَّرَتْ عَنْكَ الأُمُورُ فَعَنْ عُذْرِ

قال وأنشدني أيضاً:

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا ... وَقُمْتُ أَشْكُو إلى مَوْلايَ ما أَجِدُ[(١)]
وَقُلْتُ يا عُدَّتِي في كُلِّ نَائِبَةٍ ... وَمَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضُّرِّ أَعْتَمِدُ
وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَالضُّرُّ مُشْتَمِلٌ ... إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيهِ يَدُ
فَلا تَرُدَّنَّهَا يَا رَبِّ خَائِبَةً ... فَبَحْرُ جُودِكَ يَرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ[(٢)]

الحسن بن سليمان

ابن عبد الله بن عبد الغني أبو علي الفقيه مدرس النظامية، وقد وعظ بجامع القصر، وكان يقول ما في الفقه منتهى، ولا في الوعظ مبتدى. توفي فيها وغسله القاضي أبو العباس ابن الرطبي، ودفن عند أبي إسحاق.

حماد بن مسلم

الرحبي الدباس، كان يذكر له أحوال ومكاشفات واطلاع على مغيبات، وغير ذلك من المقامات، ورأيت ابن الجوزي يتكلم فيه ويقول: كان عرياً[(٣)] من العلوم الشرعية، وإنما كان ينفق على الجهال وذكر عن ابن عقيل أنه كان ينفر منه، وكان حماد الدباس يقول: ابن عقيل عدوي.

قال ابن الجوزي: وكان الناس ينذرون له فيقبل ذلك، ثم ترك ذلك وصار يأخذ من المنامات وينفق على أصحابه توفي في رمضان ودفن بالشونيزية.

علي بن المستظهر بالله

أخو الخليفة المسترشد، توفي في رجب منها وله من العمر إحدى وعشرون سنة، فترك ضرب الطبول وجلس الناس للعزاء أياماً.

---

(١) ما أجد: ما أعاني من الشوق.

(٢) يرد: يذهب للاستقاء.

(٣) عرياً: أي لا يحسن شيئاً منها.

محمد بن أحمد

ابن أبي الفضل الماهاني، أحد أئمة الشافعية، تفقه بإمام الحرمين وغيره، ورحل في طلب الحديث، ودرس وأفتى وناظر. توفي فيها وقد جاوز التسعين، ودفن بقرية ماهان من بلاد مرو رحمه الله تعالى.

محمود السلطان ابن السلطان [محمود بن][1] ملكشاه [بن ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق][2]

كان من خيار الملوك، فيه حلم وأناة وصلابة، وجلسوا للعزاء به ثلاثة أيام سامحه الله.

هبة الله بن محمد

ابن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحصين، أبو القاسم الشيباني، راوي المسند عن أبي علي بن المهذب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه، وقد سمع قديماً لأنه ولد سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة، وباكر به أبوه فأسمعه، ومعه أخوه عبد الواحد، على جماعة من علية المشايخ، وقد روى عنه ابن الجوزي وغير واحد، وكان ثقة ثبتاً صحيح السماع، توفي بين الظهر والعصر يوم الأربعاء [رابع عشر شوال][3] منها وله ثلاث وتسعون سنة، رحمه الله، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة

فيها قدم مسعود بن محمد بن ملكشاه بغداد وقدمها قراجا الساقي، وسلجوق شاه بن محمد، وكل منهما يطلب الملك لنفسه، وقدم عماد الدين زنكي لينضم إليهما فتلقاه الساقي فهزمه فهرب منه إلى تكريت، فخدمه نائب قلعتها نجم الدين أيوب والد الملك صلاح الدين يوسف، فاتح بيت المقدس كما سيأتي إن شاء الله حتى عاد إلى بلاده، وكان هذا هو السبب في مصير نجم الدين أيوب إليه، وهو بحلب، فخدم عنده ثم كان من الأمور ما سيأتي إن شاء الله تعالى. ثم إن الملكين مسعود وسلجوق شاه اجتمعا فاصطلحا وركبا إلى الملك سنجر فاقتتلا معه، وكان جيشه مائة وستين ألفاً وكان جيشهما قريباً من ثلاثين ألفاً، وكان جملة من قتل بينهما أربعين ألفاً، وأسر جيش سنجر قراجاً الساقي فقتله صبراً بين يديه، ثم أجلس طغرل بن محمد على سرير الملك، وخطب له على المنابر، ورجع سنجر إلى بلاده، وكتب طغرل إلى دبيس وزنكي ليذهبا إلى بغداد ليأخذاها، فأقبلا في جيش كثيف فبرز إليهما الخليفة فهزمهما، وقتل خلقاً من أصحابهما، وأزاح الله شرهما عنه ولله الحمد. وفيها قتل

(١) و(٢) و(٣) سقط في ط.

أبو علي بن الأفضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ الفاطمي، فنقل الحافظ الأموال التي كان أخذها إلى داره واستوزر بعده أبا الفتح، يانس الحافظي، ولقبه أمير الجيوش، ثم احتال فقتله واستوزر ولده حسناً وخطب له بولاية العهد. وفيها عزل المسترشد وزيره علي بن طراد الزينبي واستوزر أنو شروان بن خالد بعد تمنع. وفيها ملك دمشق شمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طغتكين بعد وفاة أبيه، واستوزر يوسف بن فيروز، وكان خيراً، ملك بلاداً كثيرة، وأطاعه إخوته.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن عبيد الله

ابن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن غثنة بن زيد السلمي، ويعرف بابن كادش العكبري، أبو العز البغدادي، سمع الحديث الكثير، وكان يفهمه ويرويه وهو آخر من روى عن الماوردي، وقد أثنى عليه غير واحد، منهم أبو محمد بن الخشاب، وكان محمد بن ناصر يتهمه ويرميه بأنه اعترف بوضع حديث فالله أعلم. وقال عبد الوهاب الأنماطي: كان مخلطاً، توفي في جمادى الأولى منها.

محمد بن محمد بن الحسين

ابن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحنبلي، ولد في شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، سمع أباه وغيره، وتفقه وناظر وأفتى ودرس، وكان له بيت فيه مال فعدي عليه من الليل فقتل وأخذ ماله، ثم أظهر الله عز وجل قاتله فقتلوه.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة

في صفر منها دخل السلطان مسعود إلى بغداد فخطب له بها وخلع عليه الخليفة وولاه السلطنة ونثر الدنانير والدراهم على الناس، وخلع على السلطان داود بن محمود. وفيها جمع دبيس جمعاً كثيراً بواسط، فأرسل إليه السلطان جيشاً فكسروه وفرقوا شمله، ثم إن الخليفة عزم على الخروج إلى الموصل ليأخذها من زنكي، فعرض عليه زنكي من الأموال والتحف شيئاً كثيراً ليرجع عنه فلم يقبل، ثم بلغه أن السلطان مسعود قد اصطلح مع دبيس وخلع عليه، فكر راجعاً سريعاً إلى بغداد سالماً معظماً. وفيها مات ابن الزاغوني أحد أئمة الحنابلة، فطلب خلقته ابن الجوزي، وكان شاباً، فحصلت لغيره، ولكن أذن له الوزير أنو شروان في الوعظ، فتكلم في هذه السنة على الناس في أماكن متعددة من بغداد، وكثرت مجالسه وازدحم عليه الناس. وفيها ملك شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق مدينة حماه، وكانت بيد زنكي. وفي ذي الحجة نهب التركمان مدينة طرابلس وخرج إليهم القومص لعنه الله الفرنجي فهزموه وقتلوا خلقاً من أصحابه، وحاصروه فيها مدة طويلة، حتى طال الحصار، فانصرفوا. وفيها تولى قاسم بن أبي فليتة مكة بعد أبيه. وفيها قتل شمس

الملوك أخاه سونج، وفيها اشترى الباطنية قلعة حصن القدموس بالشام فسكنوها وحاربوا من جاورهم من المسلمين والفرنج. وفيها اقتتلت الفرنج فيما بينهم قتالاً شديداً فمحق[1] الله بسبب ذلك خلقاً كثيراً وغزاهم فيها عماد الدين زنكي فقتل منهم ألف قتيل، وغنم أموالاً جزيلة، ويقال لها غزوة أسوار. وحج بالناس فيها قطز الخادم وكذا في التي بعدها وقبلها.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن سلامة

ابن عبد الله بن مخلد بن إبراهيم، أبو العباس بن الرطبي، تفقه على أبي إسحاق وابن الصباغ ببغداد، وبأصبهان على محمد بن ثابت الخجندي، ثم تولى الحكم ببغداد بالحريم والحسبة ببغداد، وكان يؤدب أولاد الخليفة، توفي في رجب منها ودفن عند أبي إسحاق.

أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل

أبو الفضل الميهني مجد الدين أحد أئمة الشافعية، وصاحب الخلاف والمطروقة، وقد درس بالنظامية ببغداد في سنة سبع عشرة وخمسمائة إلى سنة ثلاث وعشرين فعزل عنها، واستمر أصحابه هنالك وقد تقدم في سنة سبع عشرة أنه وليها، وأنه توفي في سنة ثلاث وعشرين.

وقال ابن خلكان: توفي سنة سبع وعشرين.

ابن الزاغوني الحنبلي

علي بن عبد الله بن نصر بن السري الزاغوني، الإمام المشهور، قرأ القراءات وسمع الحديث واشتغل بالفقه والنحو واللغة، وله المصنفات الكثيرة في الأصول والفروع، وله يد في الوعظ، واجتمع الناس في جنازته، وكانت حافلة جداً.

الحسن بن محمد

ابن إبراهيم البورباري، من قراء أصبهان، سمع الحديث ورحل وخرج، وله تاريخ، وكان يكتب حسناً ويقرأ فصيحاً، توفي بأصبهان في هذه السنة.

علي بن يعلى

ابن عوض، أبو القاسم العلوي الهروي، سمع مسند أحمد من أبي الحصين، والترمذي من أبي عامر الأزدي، وكان يعظ الناس بنيسابور، ثم قدم بغداد فوعظ بها، فحصل له القبول التام، وجمع أموالاً وكتباً.

قال ابن الجوزي: وهو أول من سلكني في الوعظ، وتكلمت بين يديه وأنا صغير، وتكلمت عند انصرافه.

---

(١) محق: أهلك وأفنى.

محمد بن أحمد

ابن يحيى أبو عبد الله العثماني الديباجي، وكان ببغداد يعرف بالمقدسي، كان أشعري الاعتقاد ووعظ الناس ببغداد.

قال ابن الجوزي: سمعته ينشد في مجلسه قوله:

دَعْ دُمُوعِي يَحِقُّ لِي أَنْ أَنُوحَا لَمْ تَدَعْ لي الذُّنُوبُ قَلْباً صَحِيحا
أَخْلَقَتْ(١) مُهْجَتي أَكُفُّ المَعَاصِي وَنَعَانِي المَشِيبُ نَعْياً فَصِيحا
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ بَرَا(٢) جُرْحُ قَلْبِي عَادَ قَلْبِي مِنَ الذُّنُوبِ جَرِيحا
إِنَّمَا الفَوْزُ وَالنَّعِيمُ لِعَبْدٍ جَاءَ في الحَشْرِ آمِناً مُسْتَرِيحا

محمد بن محمد

ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن حازم بن أبي يعلى بن الفراء، الفقيه ابن الفقيه، ولد سنة سبع وخمسين وأربعمائة، وسمع الحديث وكان من الفقهاء الزاهدين الأخيار، توفي في صفر منها.

أبو محمد عبد الجبار

ابن أبي بكر بن حمديس الأزدي الصقلي الشاعر المشهور، أنشد له ابن خلكان أشعاراً رائقة فمنها قوله:

قُمْ هَاتِهَا مِنْ كَفِّ ذَاتِ الوِشَاحِ فَقَدْ نَعَى اللَّيْلَ بَشِيرُ الصَّبَاحِ
بَاكِرْ إِلَى اللَّذَّاتِ وَارْكَبْ لَهَا سَوَابِقَ اللَّهْوِ ذَوَاتِ المَرَاحِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرْشُفَ شَمْسُ الضُّحَى رِيقَ الغَوَادِي مِنْ ثُغُورِ الأَقَاحِ(٣)

ومن جملة معانيه النادرة:

زَادَتْ عَلَى كَحَلِ الجُفُونِ تَكَحُّلاً وَتَسُمُّ نَصْلَ السَّهْمِ وَهْوَ قَتُولُ

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

فيها اصطلح الخليفة وزنكي، وفيها فتح زنكي قلاعاً كثيرة، وقتل خلقاً من الفرنج. وفيها فتح شمس الملوك الشقيف تيروت، ونهب بلاد الفرنج، وفيها قدم سلجوق شاه بغداد فنزل بدار المملكة وأكرمه الخليفة وأرسل إليه عشرة آلاف دينار، ثم قدم السلطان مسعود وأكثر أصحابه ركاب على الجمال لقلة الخيل. وفيها تولى إمرة بني عقيل أولاد سليمان بن

---

(١) أخلقت: أبلت.

(٢) برا: برأ: خففت الهمزة: أي شفي.

(٣) الأقاح: نبات له زهرة صفراء في الوسط تحيط به أوراق من الزهر الأبيض يشبه الشعراء بها الأسنان.

مهارش العقيلي، إكراماً لجدهم. وفيها أعيد ابن طراد إلى الوزارة، وفيها خلع على إقبال المسترشدي خلع الملوك، ولقب ملك العرب سيف الدولة، ثم ركب في الخلع وحضر الديوان، وفيها قوي أمر الملك طغرل وضعف أمر الملك مسعود.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن علي بن إبراهيم

أبو الوفا الفيروزآبادي، أحد مشايخ الصوفية، يسكن رباط الزوزني، وكان كلامه يُستحلى، وكان يحفظ من أخبار الصوفية وسيرهم وأشعارهم شيئاً كثيراً.

أبو علي الفارقي

الحسن بن إبراهيم بن برهون أبو علي الفارقي، ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وتفقه بها على أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني صاحب المحاملي، ثم على الشيخ أبي إسحاق وابن الصباغ، وسمع الحديث وكان يكرر على المهذب والشامل، ثم ولي القضاء بواسط، وكان حسن السيرة جيد السريرة ممتعاً بعقله وحواسه، إلى أن توفي في محرم هذه السنة عن ست وسبعين سنة.

عبد الله بن محمد

ابن أحمد بن الحسن، أبو محمد بن أبي بكر الشاشي، سمع الحديث وتفقه على أبيه، وناظر وأفتى وكان فاضلاً واعظاً فصيحاً مفوهاً، شكره ابن الجوزي في وعظه وحسن نظمه ونثره، ولفظه، توفي في المحرم وقد قارب الخمسين، ودفن عند أبيه.

محمد بن أحمد

ابن علي بن أبي بكر القطان ويعرف بابن الحلاج البغدادي، سمع الحديث وقرأ القراءات، وكان خيراً زاهداً عابداً، يتبرك بدعائه ويزار.

محمد بن عبد الواحد الشافعي

أبو رشيد، من أهل آمل طبرستان، ولد سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، وحج وأقام بمكة، وسمع من الحديث شيئاً يسيراً، وكان زاهداً منقطعاً عن الناس مشتغلاً بنفسه، ركب مرة مع تجار في البحر فأوفوا على جزيرة. فقال: دعوني في هذه أعبد الله تعالى، فمانعوه فأبى إلا المقام بها. فتركوه وساروا فردتهم الريح إليه فقالوا: إنه لا يمكن المسير إلا بك، وإذا أردت المقام بها فارجع إليها، فسار معهم ثم رجع إليها فأقام بها مدة ثم ترحل عنها ثم رجع إلى بلده آمل فمات بها رحمه الله، ويقال إنه كان يقتات في تلك الجزيرة بأشياء موجودة فيها، وكان بها ثعبان يبتلع الإنسان، وبها عين ماء يشرب منها ويتوضأ منها، وقبره مشهور بآمل يزار.

أم الخليفة

المسترشد توفيت ليلة الاثنين بعد العتمة تاسع عشر شوال منها والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة

فيها كانت وفاة المسترشد، وولاية الراشد، وكان سبب ذلك أنه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة واقع كبير، اقتضى الحال أن الخليفة أراد قطع الخطبة له من بغداد فاتفق موت أخيه طغرل بن محمد بن ملكشاه، فسار إلى البلاد فملكها، وقوي جأشه، ثم شرع يجمع العساكر ليأخذ بغداد من الخليفة، فلما علم الخليفة بذلك انزعج واستعد لذلك، وقفز جماعة من رؤوس الأمراء إلى الخليفة خوفاً على أنفسهم من سطوة الملك محمود، وركب الخليفة من بغداد في جحافل كثيرة، فيهم القضاة ورؤوس الدولة من جميع الأصناف، فمشوا بين يديه أول منزلة حتى وصل إلى السرادق، وبعث بين يديه مقدمة وأرسل الملك مسعود مقدمة عليهم دبيس بن صدقة بن منصور، فجرت خطوب كثيرة، وحاصل الأمر أن الجيشين التقيا في عاشر رمضان يوم الاثنين فاقتتلوا قتالاً شديداً، ولم يقتل من الصفين سوى خمسة أنفس، ثم حمل الخليفة على جيش مسعود فهزمهم، ثم تراجعوا فحملوا على جيش الخليفة فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا الخليفة، ثم نهبت أموالهم وحواصلهم، من جملة ذلك أربعة آلاف ألف دينار، وغير ذلك من الأثاث والخلع والآنية والقماش، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وطار الخبر في الأقاليم بذلك، وحين بلغ الخبر إلى بغداد انزعج الناس لذلك، وزلزلوا زلزالاً شديداً، صورة ومعنى، وجاءت العامة إلى المنابر فكسروها وامتنعوا من حضور الجماعات، وخرج النساء في البلد حاسرات ينحن على الخليفة، وما جرى عليه من الأسر، وتأسى بأهل بغداد في ذلك خلق كثير من أهل البلاد، وتمت فتنة كبيرة وانتشرت في الأقاليم، واستمر الحال على ذلك شهر ذي القعدة والشناعة في الأقاليم منتشرة، فكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه، يحذره غبّ ذلك[1] عاقبة ما وقع فيه من الأمر العظيم، ويأمره أن يعيد الخليفة إلى مكانه ودار خلافته، فامتثل الملك مسعود ذلك وضرب للخليفة سرادق عظيم، ونصب له فيه قبة عظيمة وتحتها سرير هائل، وألبس السواد على عادته وأركبه بعض ما كان يركبه من مراكبه، وأمسك لجام الفرس ومشى في خدمته، والجيش كلهم مشاة حتى أجلس الخليفة على سريره، ووقف الملك مسعود فقبل الأرض بين يديه وخلع الخليفة عليه، وجيء بدبيس مكتوفاً وعن يمينه أميران، وعن يساره أميران، وسيف مسلول ونسعة[2] بيضاء، فطرح بين يدي الخليفة ماذا يرسم تطبيباً لقلبه، فأقبل السلطان فشفع في دبيس وهو ملقى يقول العفو يا أمير المؤمنين، أنا أخطأت والعفو عند المقدرة. فأمر الخليفة بإطلاقه

(١) غب ذلك: إثره.

(٢) النسعة: هو حبل أو سير من جلد عريض تشدّ به الرحال.

وهو يقول: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف:٩٢] فنهض قائماً والتمس أن يقبل يد الخليفة فأذن له فقبلها، وأمرها على وجهه وصدره. وسأل العفو عنه وعما كان منه، واستقر الأمر على ذلك، وطار هذا الخبر في الآفاق وفرح الناس بذلك، فلما كان مستهل ذي الحجة جاءت الرسل من جهة الملك سنجر إلى ابن أخيه يستحثه على الإحسان إلى الخليفة، وأن يبادر إلى سرعة رده إلى وطنه، وأرسل مع الرسل جيشاً ليكونوا في خدمة الخليفة إلى بغداد، فصحب الجيش عشرة من الباطنية، فلما وصل الجيش حملوا على الخليفة فقتلوه في خيمته وقطعوه قطعاً، ولم يلحق الناس منه إلا الرسوم، وقتلوا معه أصحابه منهم عبيد الله بن سكينة، ثم أخذ أولئك الباطنية فأحرقوا قبحهم الله، وقيل إنهم كانوا مجهزين لقتله فالله أعلم. وطار هذا الخبر في الآفاق فاشتد حزن الناس على الخليفة المسترشد، وخرجت النساء في بغداد حاسرات عن وجوههن ينحن في الطرقات، قتل على باب مراغة في يوم الخميس سابع عشر ذي الحجة وحملت أعضاؤه إلى بغداد، وعمل عزاؤه ثلاثة أيام بعد ما بويع لولده الراشد، وقد كان المسترشد شجاعاً مقداماً بعيد الهمة فصيحاً بليغاً، عذب الكلام حسن الإيراد، مليح الخط، كثير العبادة محبباً إلى العامة والخاصة، وهو آخر خليفة رئي خطيباً، قتل وعمره خمس وأربعون سنة وثلاثة أشهر، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً، وكانت أمه أم ولد من الأتراك رحمه الله.

خلافة الراشد بالله

أبي جعفر منصور بن المسترشد، كان أبوه قد أخذ له العهد ثم أراد أن يخلعه فلم يقدر على ذلك لأنه لم يغدر. فلما قتل أبوه بباب مراغة في يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة من سنة تسع وعشرين وخمسمائة، بايعه الناس والأعيان، وخطب له على المنابر ببغداد، وكان إذ ذاك كبيراً له أولاد، وكان أبيض جسيماً حسن اللون، فلما كان يوم عرفة من هذه السنة جيء بالمسترشد وصلي عليه ببيت التوبة، وكثر الزحام، وخرج الناس لصلاة العيد من الغد وهم في حزن شديد على المسترشد رحمه الله، وقد ظهر الرفض قليلاً في أول أيام الراشد.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد [بن أحمد][1] بن الحسين

ابن عمرو، أبو المظفر بن أبي بكر الشاشي، تفقه بأبيه واخترمته[2] المنية بعد أخيه ولم يبلغ سن الرواية.

إسماعيل بن عبد الله

ابن علي أبو القاسم الحاكم، تفقه بإمام الحرمين، وكان رفيق الغزالي يحترمه ويكرمه، وكان فقيهاً بارعاً، وعابداً ورعاً، توفي بطوس ودفن إلى جانب الغزالي.

---

(١) سقط في ط. (٢) اخترمته المنية: قضت عليه.

دبيس بن صدقة

ابن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد أبو الأعز الأسدي الأمير من بيت الإمرة وسادة الأعراب، كان شجاعاً بطلاً، فعل الأفاعيل وتمرّق[١] في البلاد من خوفه من الخليفة، فلما قتل الخليفة عاش بعده أربعة وثلاثين يوماً، ثم اتهم عند السلطان بأنه قد كاتب زنكي ينهاه عن القدوم إلى السلطان، ويحذره منه، ويأمره أن ينجو بنفسه، فبعث إليه السلطان غلاماً أرمنياً فوجده منكساً رأسه في خيمته، فما كلمه حتى شهر سيفه فضربه فأبان[٢] رأسه عن جثته، ويقال بل استدعاه السلطان فقتله صبراً بين يديه فالله أعلم.

طغرل السلطان ابن السلطان محمد بن ملك شاه

توفي بهمذان يوم الأربعاء ثالث المحرم منها.

علي بن محمد النروجاني

كان عابداً زاهداً، حكى ابن الجوزي عنه أنه كان يقول بأن القدرة تتعلق بالمستحيلات، ثم أنكر ذلك وعذره لعدم تعقله لما يقول، ولجهله.

الفضل أبو منصور

أمير المؤمنين المسترشد تقدم شيء من ترجمته والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة

فيها وقع بين الخليفة الراشد وبين السلطان مسعود بسبب أنه أرسل إلى الخليفة يطلب منه ما كان كتبه له والده المسترشد حين أسره، التزم له بأربعمائة ألف دينار، فامتنع من ذلك وقال: ليس بيننا وبينكم إلا السيف، فوقع بينهما الخلف، فاستجاش السلطان بالعساكر، واستنهض الخليفة الأمراء، وأرسل إلى عماد الدين زنكي فجاء والتف على الخليفة خلائق، وجاء في غضون ذلك السلطان داود بن مسعود بن محمد بن ملكشاه، فخطب له الخليفة ببغداد، وخلع عليه وبايعه على الملك، فتأكدت الوحشة بين السلطان والخليفة جدّاً، وبرز الخليفة إلى ظاهر بغداد ومشى الجيش بين يديه، كما كانوا يعاملون أباه، وذلك يوم الأربعاء سلخ شعبان، وخرج السلطان داود من جانب آخر، فلما بلغهم كثرة جيوش السلطان محمود حسَّن عماد الدين زنكي للخليفة أن يذهب معه إلى الموصل، واتفق دخول مسعود إلى بغداد في غيبتهم يوم الاثنين رابع شوال، فاستحوذ على دار الخلافة بما فيها جميعه، ثم استخلص من نساء الخليفة وحظاياه الحلي والمصاغ والثياب التي للزينة، وغير ذلك، وجمع القضاة والفقهاء، وأبرز لهم خط الراشد أنه متى خرج من بغداد لقتال

---

(١) تمرّق: خرج.

(٢) أبان: أزال، أبعد.

السلطان فقد خلع نفسه من الخلافة، فأفتى من أفتى من الفقهاء بخلعه، فخلع في يوم الاثنين سادس عشر شهر ذي القعدة بحكم الحاكم وفتيا الفقهاء، وكانت خلافته أحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً، واستدعى السلطان بعمه المقتفي بن المستظهر فبويع بالخلافة عوضاً عن ابن أخيه الراشد بالله.

خلافة المقتفي لأمر الله

أبي عبد الله بن المستظهر، وأمه صفراء تسمى نسيماً، ويقال لها ست السادة، وله من العمر يومئذٍ أربعون سنة، بويع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين، وخطب له على المنابر يوم الجمعة لعشرين من ذي القعدة، ولقّب بالمقتفي لأنه يقال إنه رأى رسول الله ﷺ وهو في المنام وهو يقول له سيصل هذا الأمر إليك فاقتفِ بي[1]، فصار إليه بعد ستة أيام فلقّب بذلك.

فائدة حسنة ينبغي التنبيه لها

ولي المقتفي والمسترشد الخلافة وكانا أخوين، وكذلك السفاح والمنصور، وكذلك الهادي والرشيد، ابنا الهادي، وكذلك الواثق والمتوكل ابنا المعتصم أخوان، وأما ثلاثة إخوة فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد، والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل، والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد، والراضي والمقتفي والمطيع بنو المقتدر، وأما أربعة إخوة فلم يكن إلا في بني أمية وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان، ولما استقر المقتفي بالخلافة استمر الراشد ذاهباً إلى الموصل صحبة صاحبها عماد الدين زنكي، فدخلها في ذي الحجة من هذه السنة.

ممن توفي فيها من الأعيان:

محمد بن حمويه

ابن محمد بن حمويه أبو عبد الله الجويني، روى الحديث وكان صدوقاً مشهوراً بالعلم والزهد، وله كرامات، ودخل إلى بغداد فلما ودعهم بالخروج منها أنشدهم:

لِئَنْ كَانَ لي مِنْ بَعْدُ عَوْدٌ إِلَيْكُمُ ... نَصِيبٌ لُبَانَاتِ[2] الفُؤَادِ إِلَيْكُمُ

وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى وَفي الغَيْبِ غَيْرُهُ ... قَضَاهُ وَإِلاَّ فَالسَّلامُ عَلَيْكُمُ

محمد بن عبد الله

ابن أحمد بن حبيب، أبو بكر العامري، المعروف بابن الخباز سمع الحديث وكان يعظ الناس على طريقة التصوف، وكان ابن الجوزي فيمن تأدب به، وقد أثنى عليه وأنشد عنه من شعره:

---

(١) اقتف بي: اتبعني.

(٢) اللبانة: الحاجة.

كَيْفَ احْتِيَالِي وَهٰذَا في الهَوَى حَالي وَالشَّوْقُ أَمْلَكُ لي مِنْ عَذْلِ عُذَّالي
وَكَيْفَ أَشْكُو وفي حُبِّي لَهُ شُغُلٌ يَحُولُ[1] بَيْنَ مُهِمَّاتِي وَأَشْغَالي

وكانت له معرفة بالفقه والحديث، وقد شرح كتاب الشهاب، وقد ابتنى رباطاً، وكان عنده فيه جماعة من المتعبدين والزهاد، ولما احتضر أوصاهم بتقوى الله عز وجل والإخلاص لله والدين، فلما فرغ شرع في النزع وعرق جبينه فمد يده وقال بيتاً لغيره:

هَا قَدْ بَسَطْتُ يَدِي إِلَيْكَ فَرُدَّهَا بِالفَضْلِ لا بِشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ

ثم قال: أرى المشايخ بين أيديهم الأطباق وهم ينتظرونني، ثم مات، وذلك ليلة الأربعاء نصف رمضان ودفن برباطه، ثم غرق رباطه وقبره في سنة أربعين وخمسمائة.

محمد بن الفضل

ابن أحمد بن محمد بن أبي العباس أبو عبد الله الصاعدي الفراوي، كان أبوه من ثغر فراوة، وسكن نيسابور، فولد به بها محمد هذا، وقد سمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ بالآفاق، وتفقه وأفتى وناظر ووعظ، وكان ظريفاً حسن الوجه جميل المعاشرة كثير التبسم، وأملى أكثر من ألف مجلس، ورحل إليه الطلبة من الآفاق حتى يقال للفراوي ألف راوي، وقيل إن ذلك كان مكتوباً في خاتمه، وقد أسمع صحيح مسلم قريباً من عشرين مرة، توفي في شوال منها عن تسعين سنة.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

فيها كثر موت الفجأة بأصبهان فمات ألوف من الناس، وأغلقت دور كثيرة. وفيها تزوج الخليفة بالخاتون فاطمة بنت محمد بن ملكشاه على صداق مائة ألف دينار، فحضر أخوها السلطان مسعود العقد وجماعة من أعيان الدولة والوزراء والأمراء، ونثر على الناس أنواع النثار[2]. وفيها صام أهل بغداد رمضان ثلاثين يوماً ولم يروا الهلال ليلة إحدى وثلاثين، مع كون السماء كانت مصحية.

قال ابن الجوزي: وهذا شيء لم يقع مثله. وفيها هرب وزير صاحب مصر وهو تاج الدولة بهرام النصراني، وقد كان تمكن في البلاد وأساء السيرة، فتطلبه الخليفة الحافظ حتى أخذه فسجنه ثم أطلقه فترهّب وترك العمل، فاستوزر بعده رضوان بن الريحيني ولقبه الملك الأفضل، ولم يلقب وزير قبله بهذا، ثم وقع بينه وبين الخليفة الحافظ، فلم يزل به الخليفة حتى قتله واستقل بتدبير أموره وحده. وفيها ملك عماد الدين زنكي عدة بلدان. وفيها طلع بالشام سحاب أسود أظلمت له الدنيا، ثم ظهر بعده سحاب أحمر كأنه نار أضاءت له الدنيا، ثم جاءت ريح عاصف ألقت أشجاراً كثيرة، ثم وقع مطر شديد، وسقط برد كبار. وفيها

(١) يحول: يمنع.

(٢) النثار: ما ينثر على الناس في الأفراح من أموال وغيرها.

قصد ملك الروم بلاد الشام فأخذ بلاداً كثيرة من أيدي الفرنج، وأطاعه ابن إليون ملك الأرمن.

وممن توفي فيها من الأعيان.

أحمد بن محمد بن ثابت

ابن الحسن أبو سعيد الخجندي، تفقه على والده الإمام أبي بكر الخجندي الأصبهاني، وولي تدريس النظامية ببغداد مراراً، ويعزل عنها، وقد سمع الحديث ووعظ، وتوفي في شعبان منها، وقد قارب التسعين.

هبة الله بن أحمد

ابن عمر الحريري، يعرف بابن الطير، سمع الكثير وهو آخر من روى عن أبي الحسن ابن زوج الحرة، وقد حدث عنه الخطيب، وكان ثبتاً كثير السماع، كثير الذكر والتلاوة، ممتعاً بحواسه وقواه، إلى أن توفي في جمادى الأولى عن ست وتسعين سنة.

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

فيها قتل الخليفة الراشد المخلوع، وذلك أنه اجتمع معه الملك داود وجماعة من كبار الأمراء، فقصدوا قتال مسعود بأرض مراغة فهزمهم وبدد شملهم، وقتل منهم خلقاً صبراً، منهم صدقة بن دبيس، وولى أخاه محمداً مكانه على الحلة، وهرب الخليفة الراشد المخلوع فدخل أصبهان فقتله رجل ممن كان يخدمه من الخراسانية، وكان قد برأ من وجع أصابه، فقتلوه في الخامس والعشرين من رمضان، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان. وقد كان حسن اللون مليح الوجه شديد القوة مهيباً، أمه أم ولد رحمه الله. وفيها كسى الكعبة رجل من التجار يقال له راست الفارسي، بثمانية عشر ألف دينار، وذلك لأنه لم تأتها كسوة في هذا العام لأجل اختلاف الملوك. وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة والعراق، فانهدم شيء كثير من البيوت، ومات تحت الهدم خلق كثير. وفيها أخذ الملك عماد الدين زنكي مدينة حمص في المحرم، وتزوج في رمضان بالست زمرد خاتون، أم صاحب دمشق، وهي التي تنسب إليها الخاتونية البرانية. وفيها ملك صاحب الروم مدينة بزاعة، وهي على ستة فراسخ من حلب، فجاء أهلها الذين نجوا من القتل والسبي يستغيثون بالمسلمين ببغداد، فمنعت الخطبة ببغداد، وجرت فتن طويلة. وفيها تزوج السلطان مسعود بسفرى بنت دبيس بن صدقة وزينت بغداد لذلك سبعة أيام.

قال ابن الجوزي: فحصل بسبب ذلك فساد عريض طويل منتشر، ثم تزوج ابنة عمه فزينت بغداد ثلاثة أيام أيضاً والله تعالى أعلم. وفيها ولد للسلطان الناصر صلاح يوسف بن أيوب بن شادي بقلعة تكريت.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد

أبو بكر بن أبي الفتح الدينوري الحنبلي، سمع الحديث وتفقه على أبي الخطاب الكلوذاني وأفتى ودرس وناظر، كان أسعد الميهني يقول عنه: ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلا ثلمه[١]، وقد تخرج به ابن الجوزي وأنشد:

تَمَنَّيْتَ أَنْ تُمْسِي فقيهاً مناظراً بغير عَيَاءٍ والجُنُونُ فُنُونُ
وَلَيْسَ اكْتِسَابُ المالِ دُونَ مَشَقَّةٍ تَلَقَّيْتَهَا، فَالعِلْمُ كَيْفَ يَكُونُ؟

عبد المنعم بن عبد الكريم

ابن هوازن، أبو المظفر القشيري، آخر من بقي منهم، سمع أباه وأبا بكر البيهقي وغيرهما، وسمع منه عبد الوهاب الأنماطي، وأجاز ابن الجوزي، وقارب التسعين.

محمد بن عبد الملك

ابن محمد بن عمر، أبو الحسن الكرخي، سمع الكثير في بلاد شتى، وكان فقيهاً مفتياً، تفقه بأبي إسحاق وغيره من الشافعية، وكان شاعراً فصيحاً، وله مصنفات كثيرة منها الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول، يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد، ويحكي فيه أشياء غريبة حسنة، وله تفسير وكتاب في الفقه، وكان لا يقنت في الفجر، ويقول: لم يصح ذلك في حديث، وقد كان إمامنا الشافعي يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي هذا الحائط. وقد كان حسن الصورة جميل المعاشرة، ومن شعره قوله:

تَنَاءَتْ دَارُهُ عَنِّي وَلٰكِنْ خَيَالُ جَمَالِهِ فِي القَلْبِ سَاكِنْ
إذا امتلأَ الفُؤادُ بِهِ فَمَاذا يَضُرُّ إذا خَلَتْ مِنْهُ الأَمَاكِنْ

الخليفة الراشد

منصور بن المسترشد [ولي الخلافة بعد أبيه ثم خلع فذهب مع العماد زنكي إلى أرض الموصل ثم جمع جموعاً فقتل مع الملك مسعود في هذه السنة][٢] قتل بأصبهان بعد مرض أصابه، فقيل إنه سم، وقيل قتلته الباطنية، وقيل قتله الفراشون الذين كانوا يلون أمره فالله أعلم. وقد حكى ابن الجوزي عن أبي بكر الصولي أنه قال: الناس يقولون كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الإسلام لا بد أن يخلع.

قال ابن الجوزي: فتأملت ذلك فرأيته عجباً قيام رسول الله ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن فخلعه معاوية ثم يزيد ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك، ثم عبد الله بن الزبير فخلع وقتل، ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام ثم الوليد بن يزيد فخلع وقتل، ولم ينتظم لبني أمية بعده أمر حتى قام السفاح العباسي ثم

---

(١) ثلمه: انتقصه.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

أخوه المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم الأمين فخلع وقتل، ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر ثم المستعين فخلع ثم قتل، ثم المعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي ثم المقتدر فخلع ثم أعيد فقتل، ثم القاهر والراضي والمتقي والمكتفي والمطيع ثم الطائع فخلع، ثم القادر والقائم والمقتدي والمستظهر والمسترشد ثم الراشد فخلع وقتل.

أنو شروان بن خالد

ابن محمد القاشاني القيني، من قرية قين من قاشان، الوزير أبو نصر، وزر للسلطان محمود وللخليفة المسترشد، وكان عاقلاً مهيباً عظيم الخلقة، وهو الذي ألزم أبا محمد الحريري بتكميل المقامات، وكان سبب ذلك أن أبا محمد كان جالساً في مسجد بني حرام في محلة من محال البصرة، فدخل عليه شيخ ذو طمرين فقالوا: من أنت؟ قال أنا رجل من سروج، يقال لي أبو زيد. فعمل الحريري المقامة الحرامية واشتهرت في الناس، فلما طالعها الوزير أنو شروان أعجب بها وكلف أبا محمد الحريري أن يزيد عليها غيرها فزاد عليها غيرها إلى تمام خمسين مقامة، فهي هذه المشهورة المتداولة بين الناس، وقد كان الوزير أنو شروان كريماً، وقد مدحه الحريري صاحب المقامات.

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي وَالتَّمَنِّي لَعَلَّهُ ... وَإِنْ كَانَ فِيهِ رَاحَةٌ لأَخِي الكَرْبِ[١]
أَتَدْرُونَ أَنِّي مُذْ تَنَاءَتْ دِيَارُكُمْ ... وَشَطَّ اقْتِرَابِي مِنْ جَنَابِكُمُ الرَّحْبِ
أُكَابِدُ شَوْقاً مَا أَزَالُ أُدَارِهِ ... يُقَلِّبُنِي في اللَّيْلِ جَنْباً عَلَى جَنْبِ
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ التَّلاقِي فَأَنْثَنِي ... لِتَذكارِها بَادِي الأَسَى طَائِرَ اللُّبِّ
وَلِي حَنَّةٌ في كُلِّ وَقْتٍ إِلَيْكُمُ ... وَلا حَنَّة[٢] الصَّادِي إلى البَارِدِ العَذْبِ[٣]
فَوَ اللهِ لَوْ أَنِّي كَتَمْتُ هَوَاكُمُ ... لَمَا كَانَ مَكْتُوماً بِشَرْقٍ وَلا غَرْبِ
وَمِمَّا شَجَا قَلْبِي المُعَنَّى وَشَفَّهُ ... رِضَاكُمْ بِإِهْمَالِ الإِجَابَةِ عَنْ كُتْبِي[٤]
وَقَدْ كُنْتُ لا أَخْشَى مَعَ الذَّنْبِ جَفْوَةً ... فَقَدْ صِرْتُ أَخْشَاهَا وَمَا لِيَ مِنْ ذَنْبِ
وَلَمَّا سَرَى الوَفْدُ العِرَاقِيُّ نَحْوَكُمْ ... وَأَعْوَزَنِي المَسْرَى إِلَيْكُم مَعَ الرَّكْبِ
جَعَلْتُ كِتَابِي نَائِباً عَنْ ضرورتي ... وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً تَيَمَّمَ بِالتُّرْبِ
ويعضدُ أَيْضاً بِضْعَةٌ مِنْ جَوَارِحِي ... تُنَبِّيكُمُ عَنْ سِرِّ حَالِي وَتَسْتَنْبِي[٥]
وَلَسْتُ أَرَى إذكاركم بَعْدَ خَيْرِكُمْ ... بِمَكْرُمَةٍ، حَسْبِي اعْتِذَارُكُمُ حَسْبِي

(١) الكرب: الهم. (٢) الحنة: الحنن والشوق.
(٣) الصادي: العطشان، الظمآن.
(٤) شجى: أحزن، والمعنى: المريض المتعب، شفه: أهزله.
(٥) يعضد: يساعد، والبضعة: القطعة من الشيء.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

فيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة جبرت فمات بسببها مائتا ألف وثلاثون ألفاً، وصار مكانها ماء أسود عشرة فراسخ في مثلها، وزلزل أهل حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة. وفيها وضع السلطان محمود مكوساً كثيرة عن الناس، وكثرت الأدعية له. وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه، فهزمه سنجر وقتل ولده في المعركة، فحزن عليه والده حزناً شديداً. وفيها قتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طغتكين، قتله ثلاثة من خواصه ليلاً وهربوا من القلعة، فأدرك اثنان فصلبا وأفلت واحد. وفيها عزل اليهود والنصارى عن المباشرات ثم أعيدوا قبل شهر وحج بالناس فيها قطز الخادم.

وممن توفي فيها من الأعيان: [عماد الدين زنكي واستناب عليها الأمير نجم الدين أيوب ولد الملك صلاح الدين والملك العادل ابن أنكر وذريتهم وفيها صرف اليهود والنصارى عن المباشرات ثم أعيدوا قبل شهر][١]

زاهر بن طاهر

ابن محمد، أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر السحامي المحدث المكثر الرحال الجوال، سمع الكثير وأملى بجامع نيسابور ألف مجلس، وتكلم فيه أبو سعد السمعاني وقال: إنه كان يخلّ بالصلوات وقد رد ابن الجوزي على السمعاني بعذر المرض ويقال: إنه كان به مرض يكثر بسببه جمع الصلوات فالله أعلم، بلغ خمساً وثمانين سنة. توفي بنيسابور في ربيع الآخر، ودفن بمقبرته.

يحيى بن يحيى بن علي

ابن أَفلح، أبو القاسم الكاتب، وقد خلع عليه المسترشد ولقبه جمال الملك، وأعطاه أربعة دور، وكانت له دار إلي جانبهن فهدمهن كلهن واتخذ مكانهن داراً هائلة، طولها ستون ذراعاً في عرض أربعين ذراعاً، وأطلق له الخليفة أخشابها وآجرها وطرازاتها، وكتب عليها أشعاراً حسنة من نظمه ونظم غيره، فمن ذلك ما هو على باب دارها:

إِنْ أُعْجِبَ الرَّاؤُونَ مِنْ ظَاهِرِي ... فَبَاطِنِي لَوْ عَلِمُوا أَعْجَبُ
شَدَّ الأَبَانِي مِنْ كَفِّهِ مُزْنَةٌ ... يَخْجَلُ مِنْهَا العَارِضُ الصَّيِّبُ[٢]
وَرَنَّحَتْ رَوْضَةُ أَخْلاقِهِ ... فِي دِيَارِ نُورُهَا مُذْهَبُ
صَدْرٌ كَسَا صَدْرِيَ مِنْ نُورِهِ ... شَمْساً عَلَى الأَيَّامِ لا تَغْرُبُ

وعلى الطرز مكتوب:

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) العارض الصيب: السحاب الممطر.

وَمِنَ الْمُرُوءَةِ لِلْفَتَى ... مَا عَاشَ دَارٌ فَاخِرَهْ
فَاقْنَعْ مِنَ الدُّنْيَا بِهَا ... وَاعْمَلْ لِلدَّارِ الآخِرَهْ
هَاتِيكَ وافيتَ بِمَا ... وَعَدَتْ وهاتي باترة[1]

وفي موضع آخر مكتوب:

وَنَادٍ كَأَنَّ جِنَانَ الخُلْدِ ... أَعَارَتْهُ مِنْ حُسْنِهَا رَوْنَقَا
وَأَعْطَتْهُ مِنْ حَادِثَاتِ الزَّمَانِ ... أَنْ لا يُلِمَّ بِهِ مُوبِقَا[2]
فَأَضْحَى يُتَبِّهُ عَلَى كُلِّ مَا ... بَنَى مُغْرِبًا كَانَ أَوْ مُشْرِقَا
تَظَلُّ الوُفُودُ بِهِ عُكَّفاً ... وَيُمْسِي الضُّيُوفُ بِهِ طُرَّقَا[3]
بَقِيتَ لَهُ يَا جَمَالَ المُلُوكِ ... وَذَا الفَضْلِ مَهْمَا أَرَدْتَ البَقَا
وَسَالَمَهُ فِيكَ رَيْبُ الزَّمَانِ ... وَوُقِّيتَ فِيهِ الَّذِي يُتَّقَى

فما والله صدقت هذه الأماني، بل عما قريب اتهمه الخليفة بأنه يكاتب دبيساً فأمر بخراب داره تلك فلم يبق فيها جدار، بل صارت خربة بعدما كانت قرة العيون من أحسن المقام والقرار، وهذه حكمة الله من تقلب الليل والنهار، وما تجري بمشيئة الأقدار، وهي حكمته في كل دار بنيت بالأشر والبطر، وفي كل لباس لبس على التيه والكبر والأشر. وقد أورد له ابن الجوزي أشعاراً حسنة من نظمه، وكلمات من نثره فمن ذلك قوله:

دَعِ الهَوَى لأُنَاسٍ يَعْرِفُونَ بِهِ ... قَدْ مَارَسُوا الحُبَّ حتى منه أَصْعَبُهُ
أَدْخَلْتَ نَفْسَكَ فِيمَا لَسْتَ تَخْبَرُه ... وَالشَّيْءُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ لا يُجَرِّبُهُ
أَمِنِ اصْطِبَاراً وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ خلداً ... فَرُبَّ مُدْرِكِ أَمْرٍ عَزَّ مَطْلَبُهُ
أَحْنِ الضُّلُوعَ عَلَى قَلْبٍ يُخَيِّرُني ... فِي كُلِّ يَوْمٍ يُعَيِّينِي تَقَلُّبُهُ
تَأَرُّجُ الرِّيحِ مِنْ نَجْدٍ يُهَيِّجُهُ ... وَلامِعُ البَرْقِ مِنْ نغمات يطربهُ

وقوله:

هٰذِهِ الخَيْفُ وَهَاتِيكَ منى ... فَتَرَفَّقْ أَيُّهَا الحَادِي بِنَا[4]
وَاحْبِسِ الرَّكْبَ عَلَيْنَا سَاعَةً ... نَنْدُبِ الدار وَنَبْكِي الدمنا
فَلِذَا المَوْقِفِ أَعْدَدْتُ البُكَا ... وَلِذَا اليَوْمِ الدُّمُوعُ تُقْتَنَى
يَا زمناً كان وكنا جيرةً ... فَأَعَادَ الله ذاكَ الزَّمَنَا
بَيْنَنَا يَوْمُ الْتِلافِ نَلْتَقِي ... كَانَ مِنْ غَيْرِ تَرَاضٍ بَيْنَنَا

(١) باتره: قاطعه.
(٢) الموبق: الشر والفساد.
(٣) طرّق: جمع طارق، وهو الذي يأتي ليلاً.
(٤) الخيف ومنى: أماكن من شعائر الحج.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

فيها حاصر زنكي دمشق فحصنها الأتابك معين الدين بن مملوك طغتكين، فاتفق موت ملكها جمال الدين محمود بن بوري بن طغتكين، فأرسل معين الدين إلى أخيه مجير الدين أرتق، وهو ببعلبك فملكه دمشق، فذهب زنكي إلى بعلبك فأخذها واستناب عليها نجم الدين أيوب صلاح الدين. وفيها دخل الخليفة على الخاتون فاطمة بنت السلطان مسعود، وأغلقت بغداد أياماً. وفيها نودي للصلاة على رجل صالح فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد القادر فاتفق أن الرجل عطس فأفاق، وحضرت جنازة رجل آخر غيره فصلى عليه ذلك الجمع الكثير. وفيها نقصت المياه من سائر الدنيا وفيها ولد صاحب حماه تقي الدين عمر شهنشاه بن أيوب بن شادي.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن جعفر

ابن الفرج أبو العباس الحربي، أحد العباد الزهاد، سمع الحديث وكانت له أحوال صالحة، حتى كان يقال: إنه كان يرى في بعض السنين بعرفات، ولم يحج في تلك السنة.

عبد السلام بن الفضل

أبو القاسم الجيلي، سمع الحديث وتفقه على الكيا الهراسي، وبرع في الأصول والفروع، وغير ذلك، وولي قضاء البصرة وكان من خيار القضاة رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

فيها وصلت البردة والقضيب إلى بغداد، وكانا مع المسترشد حين هرب سنة تسع وعشرين، وخمسمائة فحفظهما السلطان سنجر عنده حتى ردهما في هذه السنة. وفيها كملت المدرسة الكمالية المنسوبة إلى كمال الدين، أبي الفتوح حمزة بن طلحة، صاحب المخزن، ودرس فيها الشيخ أبو الحسن الحلي، وحضر عنده الأعيان.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إسماعيل بن محمد

ابن علي، أبو القاسم الطلحي الأصبهاني، سمع الكثير، ورحل وكتب وأملى بأصبهان، قريباً من ثلاثة آلاف مجلس، وكان إماماً في الحديث والفقه والتفسير واللغة، حافظاً متقناً، توفي ليلة عيد الأضحى وقد قارب الثمانين، ولما أراد الغاسل تنحية الخرقة عن فرجه ردها بيده، وقيل: إنه وضع يده على فرجه.

محمد بن عبد الباقي

ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن

مسجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، سمع الحديث وتفرد عن جماعة من المشايخ، وأملى الحديث في جامع القصر، وكان مشاركاً في علوم كثيرة، وقد أسر في صغره في أيدي الروم فأرادوه على أن يتكلم بكلمة الكفر فلم يفعل، وتعلم منهم خط الروم، وكان يقول من خدم المحابر خدمته المنابر، ومن شعره الذي أورده له ابن الجوزي عنه وسمعه منه قوله:

احْفَظْ لِسَانَكَ لا تَبُحْ بِثَلاثَةٍ ... سِنٍّ وَمَالٍ، إنْ سُئِلْتَ، وَمَذْهَبِ

فَعَلَى الثَّلاثَةِ تُبْتَلَى بِثَلاثَةٍ ... بِمُكَفِّرٍ وَبِحَاسِدٍ وَمُكَذِّبِ

وقوله:

لي مُدَّةٌ لا بُدَّ أَبْلُغُهَا ... فَإذا انْقَضَتْ في وقتها مِتُّ

لَوْ عَانَدَتْنِي الأُسْدُ ضَارِيَةً ... ما ضَرَّنِي ما لَمْ يَجِي الوَقْتُ

قال ابن الجوزي: بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة، لم تتغير حواسه ولا عقله، توفي ثاني رجب منها وحضر جنازته الأعيان والناس، ودفن قريباً من قبر بشر.

يوسف بن أيوب

ابن الحسن بن زهرة، أبو يعقوب الهمذاني، تفقه بالشيخ أبي إسحاق، وبرع في الفقه والمناظرة ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة، وصحب الصالحين، وأقام بالجبال، ثم عاد إلى بغداد فوعظ بها، وحصل له قبول. توفي في ربيع الأول ببعض قرى هراة.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة

فيها كانت حروب كثيرة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه، فاستحوذ خوارزم شاه على مرو بعد هزيمة سنجر ففتك بها، وأساء التدبير بالنسبة إلى الفقهاء الحنفية الذين بها، وكان جيش خوارزم ثلاثمائة ألف مقاتل. وفيها تحمل عمل دمشق النهروز، وخلع نهروز شحنة بغداد على حباب صباغ الحرير الرومي، وركب هو والسلطان مسعود في سفينة في ذلك النهر، وفرح السلطان بذلك، وكان قد صرف السلطان على ذلك النهر سبعين ألف دينار. وفيها حج كمال الدين بن طلحة صاحب المخزن، وعاد فتزهد وترك العمل ولزم داره. وفيها عقدت الجمعة بمسجد العباسيين بإذن الخليفة. وحج بالناس قطز.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إسماعيل بن أحمد بن عمر

ابن [أبي][1] الأشعث، أبو القاسم بن أبي بكر السمرقندي الدمشقي ثم البغدادي، سمع الكثير وتفرد بمشايخ، وكان سماعه صحيحاً، وأملى بجامع المنصور مجالس كثيرة نحو ثلاثمائة مجلس، توفي وقد جاوز الثمانين.

---

(١) سقط في ط.

يحيى بن علي

ابن محمد بن علي، أبو محمد بن الطراح المدبر، ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وسمع الكثير وأسمع، وكان شيخاً حسناً مهيباً كثير العبادة، توفي في رمضان منها [من هذه السنة عن مائة وسبع سنين][1].

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فيها ملك عماد الدين زنكي الحديثة، ونقل آل مهارش منها إلى الموصل، ورتب فيها نواباً من جهته.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

فيها تجهز السلطان مسعود ليأخذ الموصل والشام من زنكي، فصالحه على مائة ألف دينار، فدفع إليه منها عشرين ألف دينار، وأطلق له الباقي، وسبب ذلك أن ابنه سيف الدين غازي كان لا يزال في خدمة السلطان مسعود. وفيها ملك زنكي بعض بلاد بكر. وفيها حصر الملك سنجر خوارزم شاه، ثم أخذ منه مالاً وأطلقه. وفيها وجد رجل يفسق بصبي فألقي من رأس منارة، وفي ليلة الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي القعدة زلزلت الأرض. وحج بالناس قطز.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عبد الوهاب بن المبارك

ابن أحمد، أبو البركات الأنماطي، الحافظ الكبير كان ثقة ديّناً ورعاً، طليق الوجه، سهل الأخلاق، توفي في المحرم عن ست وتسعين سنة.

علي بن طراد

ابن محمد الزينبي، الوزير العباسي، أبو القاسم نقيب النقباء على الطائفتين، في أيام المستظهر، ووزر للمسترشد وتوفي في رمضان عن ست وسبعين سنة.

الزمخشري محمود

ابن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم الزمخشري، صاحب الكشاف في التفسير، والمفصل في النحو وغير ذلك من المصنفات المفيدة، وقد سمع الحديث وطاف البلاد، وجاور بمكة مدة، وكان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك في تفسيره، ويناظر عليه، وكانت وفاته بخوارزم ليلة عرفة منها، عن ست وسبعين سنة.

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

فيها أخذ العماد زنكي الرها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدي الفرنج، وقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى نساء كثيرة، وغنم أموالاً جزيلة، وأزاح عن المسلمين كرباً شديداً. وحج بالناس قطز الخادم وتنافس هو وأمير مكة فنهب الحجيج وهم يطوفون.

وفيها توفي من الأعيان:

إبراهيم بن محمد بن منصور

ابن عمر أبو الوليد الكرخي، تفقه بأبي إسحاق وأبي سعد المتولي، حتى صار أوحد زمانه فقهاً وصلاحاً، مات هذه السنة.

سعد بن محمد

ابن عمر أبو منصور البزار، سمع الحديث وتفقه بالغزالي والشاشي والمتولي والكيا وولي تدريس النظامية، وكان له سمت حسن، ووقار وسكون، وكان يوم جنازته مشهوداً، ودفن عند أبي إسحاق.

عمر بن إبراهيم

ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي العلوي، أبو البركات الكوفي، ثم البغدادي، سمع الكثير وكتب كثيراً، وأقام بدمشق مدة، وكانت له معرفة جيدة بالفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب، وله تصانيف في النحو، وكان خشن العيش، صابراً محتسباً، توفي في شعبان من هذه السنة عن سبع وتسعين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة

فيها حصر علي بن دبيس أخاه محمداً ولم يزل يحاصره حتى اقتلع من يده الحلة وملكها، وفي رجب منها دخل السلطان مسعود بغداد خوفاً من اجتماع عباس صاحب الري، ومحمد شاه بن محمود، ثم خرج منها في رمضان، وحج بالناس أرجوان مملوك أمير الجيوش بسبب ما كان وقع بين قطز وأمير مكة في السنة الماضية.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد

ابن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان، أبو سعد الأصبهاني، ثم البغدادي، سمع الحديث وكان على طريقة السلف، حلو الشمائل، مطرح الكلفة، ربما خرج إلى السوق بقميص وقلنسوة. وحج أحد عشر حجة، وكان يملي الحديث ويكثر الصوم، توفي بنهاوند في ربيع الأول من هذه السنة، وقد قارب الثمانين.

علي بن أحمد

ابن الحسين بن أحمد، أبو الحسن اليزدي، تفقه بأبي بكر الشاشي، وسمع الحديث وأسمعه، وكان له ولأخيه قميص واحد، إذا خرج هذا لبسه وجلس الآخر في البيت عرياناً، وكذا الآخر.

موهوب بن أحمد

ابن محمد بن الخضر، أبو منصور الجواليقي، شيخ اللغة في زمانه، باشر مشيخة اللغة بالنظامية بعد شيخه أبي زكريا التبريزي، وكان يؤم بالمقتفي، وربما قرأ عليه الخليفة شيئاً من الكتب، وكان عاقلاً متواضعاً في ملبسه، طويل الصمت كثير التفكر، وكانت له حلقة بجامع القصر أيام الجمع، وكانت فيه لكنة[١]، وكان يجلس إلى جانبه المغربي معبر المنامات، وكان فاضلا لكنه كان كثير النعاس في مجلسه، فقال فيهما بعض الأدباء:

بَغْدَادُ عِنْدِي ذَنْبُهَا لَنْ يُغْفَرَا ... وَعُيُوبُهَا مَكْشُوفَةٌ لَنْ تُسْتَرَا
كَوْنُ الجَوَالِيقِيِّ فِيهَا مُمْلِياً ... لُغَةً وَكَوْنُ المَغْرِبِيِّ مُعَبِّرَا
مَأْسُورُ لُكْنَتِهِ يَقُولُ فَصَاحَةً ... وَلِيَوْمِ يَقْظَتِهِ يُعَبِّرُ فِي الكَرَا[٢]

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

في ليلة مستهل ربيع الأول منها احترق القصر الذي بناه المسترشد، وكان في غاية الحسن، وكان الخليفة المقتفي قد انتقل بجواريه وحظاياه إليه ليقيم فيه ثلاثة أيام، فما هو إلا أن ناموا احترق عليهم القصر بسبب أن جارية أخذت في يدها شمعة فعلق لهبها ببعض الأخشاب، فاحترق القصر وسلم الله الخليفة وأهله، فأصبح فتصدق بأشياء كثيرة، وأطلق خلقاً من المحبسين. وفي رجب منها وقع بين الخليفة والسلطان مسعود واقع فبعث الخليفة إلى الجوامع والمساجد فأغلقت ثلاثة أيام، حتى اصطلحا. وفي يوم الجمعة نصف ذي القعدة جلس ابن العبادي الواعظ فتكلم والسلطان مسعود حاضر، وكان قد وضع على الناس في البيع مكساً فاحشاً، فقال في جملة وعظه: يا سلطان العالم، أنت تطلق في بعض الأحيان للمغني إذا طربت قريباً مما وضعت على المسلمين من هذا المكس، فهبني مغنياً وقد طربت فهب لي هذا المكس شكراً لنعم الله عليك. فأشار السلطان بيده أن قد فعلت، فضج الناس بالدعاء له، وكتب بذلك سجلات، ونودي في البلد بإسقاط ذلك المكس، ففرح الناس بذلك ولله الحمد والمنة. وفيها قل المطر جداً، وقلت مياه الأنهار، وانتشر جراد عظيم، وأصاب الناس داء في حلوقهم، فمات بذلك خلائق كثيرة فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها قتل الملك عماد الدين زنكي بن قيم الدولة التركي صاحب الموصل،

---

(١) اللكنة: العجمة والعيّ في اللسان. (٢) الكرا: النوم.

وحلب وغيرها من البلاد الشامية والجزيرة، وكان محاصراً قلعة جعبر، وفيها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي، فبرطل بعض مماليك زنكي حتى قتلوه في الليلة الخامسة من ربيع الأول من هذه السنة.

قال العماد الكاتب: وكان سكراناً فالله أعلم. وقد كان زنكي من خيار الملوك وأحسنهم سيرة وشكلاً، وكان شجاعاً مقداماً حازماً، خضعت له ملوك الأطراف، وكان من أشد الناس غيرة على نساء الرعية، وأجود الملوك معاملة، وأرفقهم بالعامة، وقام بالأمر من بعده بالموصل ولده سيف الدولة، وبحلب نور الدين محمود، فاستعاد نور الدين هذا مدينة الرها، وكان أبوه قد فتحها. فلما مات عصوا فقهرهم نور الدين. وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب وخادم ابن تومرت جزيرة الأندلس، بعد حروب طويلة. وفيها ملكت الفرنج مدينة طرابلس الغرب، وفيها استعاد صاحب دمشق مدينة بعلبك. وفيها جاء نجم الدين أيوب إلى صاحب دمشق فسلمه القلعة وأعطاه إمرته عنده بدمشق. وفيها قتل السلطان مسعود حاجبه عبد الرحمن بن طغرلبك وقتل عباساً صاحب الري، وألقى رأسه إلى أصحابه فانزعج الناس ونهبوا خيام عباس هذا، وقد كان عباس هذا من الشجعان المشهورين، قاتل الباطنية مع مخدومه جوهر، فلم يزل يقتل منهم حتى بنى مأذنة من رؤوسهم بمدينة الري. وفيها مات نقيب النقباء ببغداد محمد بن طراد الزينبي، فتولى بعده علي بن طلحة الزينبي. وفيها سقط جدار على ابنة الخليفة، وكانت قد بلغت مبالغ النساء، فماتت فحضر جنازتها الأعيان. وحج بالناس قطز الخادم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

زنكي بن آقسنقر

تقدم ذكر شيء من ترجمته، وهو أبو نور الدين محمود الشهيد، وقد أطنب الشيخ أبو شامة في الروضتين في ترجمته، وما قيل فيه من نظم ونثر رحمه الله.

سعد الخير

ابن محمد بن سهل بن سعد، أبو الحسن المغربي الأندلسي الأنصاري، رحل وحصل كتباً نفيسة، وروى عنه ابن الجوزي وغيره، وقد أوصى عند وفاته أن يصلي عليه الغزنوي، وأن يدفن عند قبر عبد الله ابن الإمام أحمد، وحضر جنازته خلائق من الناس.

شافع بن عبد الرشيد

ابن القاسم، أبو عبد الله الجيلي الشافعي، تفقه على الكيا وعلى الغزالي، وكان يسكن الكرخ، وله حلقة بجامع المنصور في الرواق.

قال ابن الجوزي: وكنت أحضر حلقته.

عبد الله بن علي

ابن أحمد بن عبد الله، أبو محمد سبط أبي منصور الزاهد، قرأ القراءات وصنف فيها،

وسمع الحديث الكثير، واقتنى الكتب الحسنة، وأم في مسجده نيفاً وخمسين سنة، وعلم خلقاً القرآن.

قال ابن الجوزي: ما سمعت أحداً أحسن قراءة منه، وحضر جنازته خلق كثير.

عباس [بن][1] شحنة الريّ

توصل إلى أن ملكها ثم قتله مسعود، وقد كان كثير الصدقات والإحسان إلى الرعية، وقتل من الباطنية خلقاً حتى بنى من رؤوسهم منارة بالريّ، وتأسف الناس عليه رحمه الله.

محمد بن طراد

ابن محمد الزينبي، أبو الحسن نقيب النقباء، وهو أخو علي بن طراد الوزير، سمع الكثير من أبيه ومن عمه أبي نصر وغيرهما، وقارب السبعين.

وجيه بن طاهر

ابن محمد بن محمد، أبو بكر الشحامي، أخو زاهر، وقد سمع الكثير من الحديث، وكانت له معرفة به، وكان شيخاً حسن الوجه، سريع الدمعة، كثير الذكر، جمع السماع إلى العمل إلى صدق اللهجة توفي ببغداد في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة

فيها ملكت الفرنج عدة حصون من جزيرة الأندلس. وفيها ملك نور الدين بن محمود زنكي عدة حصون من يد الفرنج بالسواحل. وفيها خطب للمستنجد بالله بولاية العهد من بعد أبيه المقتفي. وفيها تولى عون بن يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام، وولي زعيم الدين يحيى بن جعفر صدرية المخزن المعمورة. وفيها اشتد الغلاء بإفريقيا وهلك بسببه أكثر الناس حتى خلت المنازل، وأقفلت المعاقل. وفيها تزوج سيف الدين غازي بنت صاحب ماردين حسام الدين تمرتاش بن أرتق، بعد أن حاصره فصالحه على ذلك، فحملت إليه إلى الموصل بعد سنتين، وهو مريض قد أشرف على الموت، فلم يدخل بها حتى مات، فتولى بعده على الموصل أخوه قطب الدين بن مودود فتزوجها.

قال ابن الجوزي: وفي صفر رأى رجل في المنام قائلاً يقول له: من زار قبر أحمد بن حنبل غفر له. قال: فلم يبق خاص ولا عام إلا زاره.

قال ابن الجوزي: وعقدت يومئذٍ ثم مجلساً فاجتمع فيه ألوف من الناس.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أسعد بن عبد الله

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو منصور سمع

---

(١) سقط في ط.

الحديث الكثير، وكان خيراً صالحاً ممتعاً بحواسه وقواه، إلى حين الوفاة. وقد جاوز المائة بنحو من سبع سنين رحمه الله.

أبو محمد عبد الله بن محمد

ابن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي الأندلسي، الرياطي الحافظ، مصنف كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار، في أنساب الصحابة ورواة الآثار، وهو من أحسن التصانيف الكبار، قتل شهيداً صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى بالبرية.

نصر الله بن محمد

ابن عبد القويّ، أبو الفتح اللاذقي المصيصي الشافعي، تفقه بالشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي، بصور، وسمع بها منه ومن أبي بكر الخطيب، وسمع ببغداد والأنبار، وكان أحد مشايخ الشام، فقيهاً في الأصول والفروع، توفي فيها وقد جاوز التسعين بأربع سنين.

هبة الله بن علي

ابن محمد بن حمزة أبو السعادات بن الشجري النحوي، ولد سنة خمسين وأربعمائة، وسمع الحديث وانتهت إليه رياسة النحاة.

قال: سمعت بيتاً في الذم أبلغ من قول مكويه:

وَمَا أَنَا إلاّ المِسْكُ قَدْ ضَاعَ عِنْدَكُمْ يَضِيعُ وَعِنْدَ الأَكْثَرِينَ يَضُوعُ[1]

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

فيها استغاث مجير الدين بن أتابك دمشق بالملك نور الدين صاحب حلب على الفرنج، فركب سريعاً فالتقى معهم بأرض بصرى فهزمهم، ورجع فنزل على الكسوة، وخرج ملك دمشق مجير الدين أرتق فخدمه واحترمه وشاهد الدماشقة حرمة نور الدين حتى تمنوه. وفيها ملكت الفرنج المهدية وهرب منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن منصور بن يوسف بن بلكين بأهله وخاف على أمواله فتمزقت في البلاد، وتمزق هو أيضاً في البلاد، وأكلتهم الأقطار، وكان آخر ملوك بني باديس، كان ابتداء ملكهم في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، فدخل الفرنج إليها وخزائنها مشحونة بالحواصل والأموال والعدد وغير ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها حاصرت الفرنج وهم في سبعين ألف مقاتل، ومعهم ملك الألمان في خلق لا يعلمهم إلا الله عز وجل، دمشق عليها مجير الدين أرتق وأتابكه معين الدين، وهو مدبر المملكة، وذلك يوم السبت سادس ربيع الأول، فخرج إليهم أهلها في مائة ألف وثلاثين ألفاً، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً، قتل من المسلمين في أول يوم نحو من مائتي رجل، ومن الفرنج خلق كثير لا

---

(١) ضاع المسك: فاح وانتشر.

يحصون، واستمر الحرب مدة، وأخرج مصحف عثمان إلى وسط صحن الجامع، واجتمع الناس حوله يدعون الله عز وجل، والنساء والأطفال مكشفي الرؤوس يدعون ويتباكون، والرماد مفروش في البلد، فاستغاث أرتق بنور الدين محمود صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل، فقصداه سريعاً في نحو من سبعين ألفاً بمن انضاف إليهم من الملوك وغيرهم، فلما سمعت الفرنج بقدوم الجيش تحولوا عن البلد، فلحقهم الجيش فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً، وقتلوا قسيساً معهم اسمه إلياس، وهو الذي أغراهم بدمشق، وذلك أنه أفتى مناماً عن المسيح أنه وعده فتح دمشق، فقتل لعنه الله، وقد كادوا يأخذون البلد، ولكن الله سلم، وحماها بحوله وقوته. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠]. ومدينة دمشق لا سبيل للأعداء من الكفرة عليها، لأنه المحلة التي أخبر رسول الله ﷺ عنه أنها معقل الإسلام عند الملاحم والفتن، وبها ينزل عيسى ابن مريم وقد قتل الفرنج خلقاً كثيراً من أهل دمشق، وممن قتلوا الفقيه الكبير الملقب حجة الدين شيخ المالكية بها، أبو الحجاج يوسف بن درناس الفندلاوي، بأرض النيرب، ودفن بمقابر باب الصغير، وكان مجير الدين قد صالح الفرنج عن دمشق ببانياس، فرحلوا عنها وتسلموا بانياس. وفيها وقع بين السلطان مسعود وأمرائه ففارقوه، وقصدوا بغداد فاقتتلوا مع العامة، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً من الصغار والكبار، ثم اجتمعوا قبال التاج وقبلوا الأرض واعتذروا إلى الخليفة مما وقع، وساروا نحو النهروان فتفرقوا في البلاد، ونهبوا أهلها، فغلت الأسعار بالعراق بسبب ذلك. وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن الدامغاني، بعد وفاة الزينبي. وفيها ملك سولي بن الحسين ملك الغور مدينة غزنة، فذهب صاحبها بهرام شاه بن مسعود من أولاد سبكتكين إلى فرغانة فاستغاث بملكها، فجاء بجيوش عظيمة فاقتلع غزنة من سولي، وأخذه أسيراً فصلبه، وقد كان كريماً جواداً، كثير الصدقات.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إبراهيم بن محمد

ابن نهار بن محرر الغنوي الرقي، سمع الحديث وتفقه بالشاشي والغزالي، وكتب شيئاً كثيراً من مصنفاته، وقرأها عليه، وصحبه كثيراً، وكان مهيباً كثير الصمت، توفي في ذي الحجة منها وقد جاوز الثمانين.

شاهان شاه بن أيوب

ابن شادي، استشهد مع نور الدين، وهو والد الست عذار، واقفة العذارية، وتقي الدين عمر واقف التقوية.

علي بن الحسين

ابن محمد بن علي الزينبي، أبو القاسم الأكمل بن أبي طالب نور الهدى بن أبي

الحسن نظام الحضرتين ابن نقيب النقباء أبي القاسم أبي تمام العباسي، قاضي القضاة ببغداد وغيرها، سمع الحديث، وكان فقيهاً رئيساً، وقوراً حسن الهيئة والسمت[١]، قليل الكلام، سافر مع الخليفة الراشد إلى الموصل، وجرت له فصول ثم عاد إلى بغداد فمات بها في هذه السنة، وقد جاوز الستين، وكانت جنازته حافلة.

أبو الحاج يوسف بن درباس

الفندلاوي، شيخ المالكية بدمشق، قتل يوم السبت سادس ربيع الأول قريباً من الربوة في أرض النيرب، هو والشيخ عبد الرحمن الجلجولي، أحد الزهاد رحمهما الله تعالى، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة

فيها كانت وفاة القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، قاضيها أحد مشايخ العلماء المالكية، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة، منها الشفا، وشرح مسلم، ومشارق الأنوار، وغير ذلك، وله شعر حسن، وكان إماماً في علوم كثيرة، كالفقه واللغة والحديث والأدب، وأيام الناس، ولد سنة ست وستين وأربعمائة، ومات يوم الجمعة في جمادى الآخرة، وقيل في رمضان من هذه السنة، بمدينة سبتة. وفيها غزا الملك نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وكان فيمن قتل البرنس صاحب أنطاكية، وفتح شيئاً كثيراً من قلاعهم ولله الحمد. وكان قد استنجد بمعين الدين بن أتابك دمشق، فأرسل إليه بفريق من جيشه صحبة الأمير مجاهد الدين بن مروان بن ماس، ونائب صرخد فأبلوا بلاء حسناً، وقد قال الشعراء في هذه الغزوة أشعاراً كثيرة، منهم ابن القيسراني وغيره، وقد سردها أبو شامة في الروضتين. وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر استوزر للخلافة أبو المظفر يحيى بن هبيرة، ولقب عون الدين، وخلع عليه. وفي رجب قصد الملك شاه بن محمود بغداد ومعه خلق من الأمراء، ومعه علي بن دبيس وجماعة من التركمان وغيرهم، وطلبوا من الخليفة أن يخطب له فامتنع من ذلك، وتكررت المكاتبات، وأرسل الخليفة إلى السلطان مسعود يستحثه في القدوم، فتمادى[٢] عليه وضاق النطاق، واتسع الخرق على الراقع، وكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يتوعده إن لم يسرع إليه الخليفة، فما جاء إلا في أواخر السنة، فانقشعت تلك الشرور كلها، وتبدلت سروراً أجمعها. وفي هذه السنة زلزلت الأرض زلزالاً شديداً، وتموجت الأرض عشر مرات، وتقطع جبل بحلوان، وانهدم الرباط النهر جوري، وهلك خلق كثير بالبرسام[٣]، لا يتكلم المرضى به حتى يموتوا. وفيها مات

(١) السمت: الهيئة والمذهب.
(٢) تمادى عليه: تطاول.
(٣) البرسام: داء الجنب، وهو التهاب يصيب غشاء الرئة.

سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل، وملك بعده أخوه قطب الدين مودود بن زنكي، وتزوج بامرأة أخيه التي لم يدخل بها، الخاتون بنت تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق، صاحب ماردين، فولدت له أولاداً كلهم ملكوا الموصل، وكانت هذه المرأة تضع خمارها بين خمسة عشر ملكاً. وفيها سار نور الدين إلى سنجار ففتحها، فجهز إليه أخوه قطب الدين مودود جيشاً ليرده عنها، ثم اصطلحا فعوضه منها الرحبة وحمص، واستمرت سنجار لقطب الدين، وعاد نور الدين إلى بلده. ثم غزا فيها الفرنج فقتل منهم خلقاً وأسر البرنس صاحب أنطاكية، فمدحه الشعراء منهم الفتح القيسراني بقصيدة يقول في أولها:

هٰذِي العَزَائِمُ لا مَا تَنْعقُ القُضُبُ[1] ... وَذِي المَكَارِمُ لا مَا قَالَتِ الكُتُبُ
وَهٰذِهِ الهِمَمُ اللاتِي مَتَى خَطَبَتْ ... تَعَثَّرَتْ خَلْفَهَا الأَشْعَارُ وَالخُطَبُ
صَافَحْتَ يا بْنَ عِمَادِ الدِّينِ ذِرْوَتَهَا ... بِرَاحَةٍ لِلْمَسَاعِي دُونَهَا تَعَبُ
مَا زَالَ جَدُّكَ يَبْنِي كُلَّ شَاهِقَةٍ ... حَتَّى بَنَى قُبَّةً أَوْتَادُهَا الشُّهُبُ[2]

وفيها فتح نور الدين حصن فاميا وهو قريب من حماه. وفيها مات صاحب مصر الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر، فقام بالأمر من بعده ولده الظافر إسماعيل، وقد كان أحمد بن الأفضل ابن أمير الجيوش قد استحوذ على الحافظ وخطب له بمصر ثلاثاً، ثم آخر الأمر أذن بحيّ على خير العمل، والحافظ هذا هو الذي وضع طبل القولنج الذي إذا ضربه من به القولنج يخرج منه القولنج والريح الذي به، وخرج بالحجاج الأمير قطز الخادم فمرض بالكوفة فرجع واستخلف على الحجاج مولاه قيماز، وحين وصوله إلى بغداد توفي بعد أيام، فطمعت العرب في الحجاج فوقفوا لهم في الطريق وهم راجعون، فضعف قيماز عن مقاومتهم فأخذ لنفسه أماناً وهرب وأسلم إليهم الحجيج، فقتلوا أكثرهم وأخذوا أموال الناس، وقل من سلم فيمن نجا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها مات معين الدين بن أتابك العساكر بدمشق، وكان أحد مماليك طغتكين، وهو والد الست خاتون زوجة نور الدين، وهو واقف المدرسة المعينية، داخل باب الفرج، وقبره في قبة قتلى الشامية البرانية، بمحلة العونية، عند دار البطيخ. ولما مات معين الدين قويت شوكة الوزير الرئيس مؤيد الدولة على ابن الصوفي وأخيه زين الدولة حيدرة، ووقعت بينهما وبين الملك مجير الدين أرتق وحشة، اقتضت أن جندا من العامة والغوغاء ما يقاومه فاقتتلوا فقتل خلق من الفريقين. ثم وقع الصلح بعد ذلك.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن نظام الملك

أبو الحسن بن علي بن نصر الوزير للمسترشد، والسلطان محمود، وقد سمع الحديث، وكان من خيار الوزراء رحمه الله.

---

(١) القضب: السيوف القاطعة.

(٢) الجد: الجهد والتشمير، والشهب: النجوم.

أحمد بن محمد

ابن الحسين الأرجاني، قاضي تستر، روى الحديث وكان له شعر رائق يتضمن معاني حسنة فمن ذلك قوله:

وَلَمَّا بَلَوْتُ[1] النَّاسَ أَطْلُبُ عِنْدَهُمْ أَخَا ثِقَةٍ عِنْدَ اعْتِرَاضِ الشَّدَائِدِ
تَطَعَّمْتُ في حَالَيْ رَخَاءٍ وَشِدَّةٍ وَنَادَيْتُ في الأَحْيَاءِ هَلْ مِنْ مُسَاعِدِ؟
فَلَمْ أَرَ فِيمَا سَاءَنِي غَيْرَ شَامِتٍ وَلَمْ أَرَ فِيمَا سَرَّنِي غَيْرَ حَاسِدِ
فَطَلَّقْتُ وُدَّ العَالَمِينَ جَمِيعهمْ وَرُحْتُ فَلا أَلْوِي عَلَى غَيْرِ وَاحِدِ
تَمَتَّعْتُمَا يا نَاظِرَيَّ بِنَظْرَةٍ وَأَوْرَدْتُمَا قَلْبِي أَمَرَّ المَوَارِدِ
أَعَيْنَيَّ كُفَّا عَنْ فُؤَادِي فَإِنَّهُ مِنَ البَغْيِ سَعْيُ اثْنَيْنِ في قَتْلِ وَاحِدِ

القاضي عياض

والقاضي عياض بن موسى السبتي صاحب التصانيف المفيدة ومن شعره قوله:

الله يَعْلَمُ أَنِّي مُنْذُ لَمْ أَرَكُمْ كَطَائِرٍ خَانَهُ رِيشُ الجَنَاحَيْنِ
وَلَوْ قَدَرْتُ رَكِبْتُ الرِّيحَ نَحْوَكُمُ فَإِنَّ بُعْدَكُمُ عَنِّي جَنَى حَيْنِي[2]

وقد ترجمه ابن خلكان ترجمة حسنة.

عيسى بن هبة الله

ابن عيسى، أبو عبد الله النقاش، سمع الحديث، ومولده سنة سبع وخمسين وأربعمائة.

قال ابن الجوزي: وكان ظريفاً خفيف الروح، له نوادر حسنة قد رأى الناس، وعاشر الأكياس[3]، وكان يحضر مجلسي ويكاتبني وأكاتبه، كتبت إليه مرة فعظمته في الكتاب فكتب إلي: قد زدتني في الخطاب حتى خشيت نقصاً من الزيادة وله:

إذا وَجَدَ الشَّيْخُ في نَفْسِهِ نَشَاطاً فَذَلِكَ مَوْتٌ خَفِي
أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ ضَوْءَ السِّرَاجِ لَهُ لَهَبٌ قَبْلَ أَنْ يَنْطَفِي

غازي بن آقسنقر

الملك سيف الدين صاحب الموصل، وهو أخو نور الدين محمود، صاحب حلب ثم دمشق فيما بعد، وقد كان سيف الدين هذا من خيار الملوك وأحسنهم سيرة، وأجودهم سريرة، وأصبحهم صورة، شجاعاً كريماً، يذبح كل يوم لجيشه مائة من الغنم، ولمماليكه ثلاثين رأساً، وفي يوم العيد ألف رأس سوى البقر والدجاج، وهو أول من حمل على رأسه

(١) بلوت: اختبرت. (٢) الحَيْن: الهلاك. (٣) الأكياس: العقلاء.

سنجق من ملوك الأطراف، وأمر الجند أن لا يركبوا إلا بسيف ودبوس، وبنى مدرسة بالموصل ورباطاً للصوفية وامتدحه الحيص بيص[١] فأعطاه ألف دينار عيناً، وخلعة. ولما توفي بالحمى في جمادى الآخرة دفن في مدرسته المذكورة، وله من العمر أربعون سنة، وكانت مدة ملكه بعد أبيه ثلاث سنين وخمسين يوماً، رحمه الله تعالى.

قطز الخادم

أمير الحاج مدة عشرين سنة وأكثر، سمع الحديث وقرأ على ابن الزاغوني، وكان يحب العلم والصدقة، وكان الحاج معه في غاية الدعة والراحة والأمن، وذلك لشجاعته ووجاهته عند الخلفاء والملوك، توفي ليلة الثلاثاء الحادي عشر من ذي القعدة ودفن بالرصافة.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة

فيها فتح نور الدين محمود حصن فامية، وهو من أحصن القلاع، وقيل فتحه في التي قبلها. وفيها قصد دمشق ليأخذها فلم يتفق له ذلك، فخلع على ملكها مجير الدين أرتق، وعلى وزيره ابن الصوفي، وتقررت الخطبة له بها بعد الخليفة والسلطان، وكذلك السكة. وفيها فتح نور الدين حصن إعزاز وأسر ابن ملكها ابن جوسليق، ففرح المسلمون بذلك، ثم أسر بعده والده جوسليق الفرنجي، فتزايدت الفرحة بذلك، وفتح بلاداً كثيرة من بلاده. وفي المحرم منها حضر يوسف الدمشقي تدريس النظامية، وخلع عليه، ولما لم يكن ذلك بإذن الخليفة بل بمرسوم السلطان وابن النظام، منع من ذلك فلزم بيته ولم يعد إلى المدرسة بالكلية، وتولاها الشيخ أبو النجيب بإذن الخليفة ومرسوم السلطان

قال ابن الجوزي: في هذه السنة وقع مطر باليمن كله دم، حتى صبغ ثياب الناس.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن ذي النون

ابن أبي القاسم، بن أبي الحسن، أبو المفاخر النيسابوري، قدم بغداد فوعظ بها، وجعل ينال من الأشاعرة فأحبته الحنابلة، ثم اختبروه فإذا هو معتزلي ففتر سوقه[٢]، وجرت بسببه فتنة ببغداد، وقد سمع منه ابن الجوزي شيئاً من شعره، من ذلك:

مَاتَ الكِرَامُ وَمَرُّوا وَانْقَضَوْا وَقَضَوْا ... وَمَاتَ مِنْ بَعْدِهِمْ تِلْكَ الكَرَامَاتُ

وَخَلَّفُونِيَ فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ ... لَوْ أَبْصَرُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الكَرَى مَاتُوا

---

(١) الحيص بيص: هو سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي. شاعر مشهور من أهل بغداد، كان يلقب بأبي الفوارس، نشأ فقيهاً، وغلب عليه الشعر والأدب. وكان يلبس زي أمراء البادية، توفي ببغداد.

(٢) فتر سوقه: ضعف.

عبد الملك بن عبد الوهاب

الحنبلي القاضي بهاء الدين، كان يعرف مذهب أبي حنيفة وأحمد، ويناظر عنهما، ودفن مع أبيه وجده بقبور الشهداء.

عبد الملك بن أبي نصر بن عمر

أبو المعالي الجيلي، كان فقيهاً صالحاً ديّناً متعبّداً فقيراً، ليس له بيت يسكنه، وإنما يبيت في المساجد المهجورة، وقد خرج مع الحجيج بمكة يعبد ربه ويفيد العلم، فكان أهلها يثنون عليه خيراً.

الفقيه أبو بكر بن العربي

المالكي، شارح الترمذي، كان فقيهاً عالماً، وزاهداً عابداً، وسمع الحديث بعد اشتغاله في الفقه، وصحب الغزالي وأخذ عنه، وكان يتهمه برأي الفلاسفة، ويقول دخل في أجوافهم فلم يخرج منها والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة

فيها أغار السلطان على بلاد الإسماعيلية، فقتلوا خلقاً ورجعوا سالمين. وفيها حاصر نور الدين دمشق شهوراً ثم ترحل عنها إلى حلب، وكان الصلح على يدي البرهان البلخي. وفيها اقتتل الفرنج وجيش نور الدين فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولما وقع هذا الأمر شق ذلك على نور الدين وترك الترفُّه وهجر اللذة حتى يأخذ بالثأر، ثم إن أمراء التركمان ومعهم جماعة من أعوانهم ترصدوا الملك جوسليق الإفرنجي، فلم يزالوا به حتى أسروه في بعض متصيداته فأرسل نور الدين فكبس التركمان وأخذ منهم جوسليق أسيراً، وكان من أعيان الكفرة، وأعظم الفجرة، فأوقفه بين يديه في أذل حال، ثم سجنه. ثم سار نور الدين إلى بلاده فأخذها كلها بما فيها. وفي ذي الحجة جلس ابن العبادي في جامع المنصور وتكلم، وعنده جماعة من الأعيان، فكادت الحنابلة يثيرون فتنة ذلك اليوم، ولكن لطف الله وسلم. وحج بالناس فيها قيماز الأرجواني.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الشيخ برهان الدين أبو الحسن بن علي البلخي

شيخ الحنفية بدمشق، درس بالبلخية ثم بالخاتونية البرانية، وكان عالماً عاملاً، ورعاً زاهداً، ودفن بمقابر باب الصغير.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة

فيها توفي السلطان مسعود وقام بالأمر من بعده أخوه ملكشاه بن محمود، ثم جاء السلطان محمد وأخذ الملك واستقر له، وقتل الأمير خاص بك، وأخذ أمواله وألقاه

للكلاب، وبلغ الخليفة أن واسط قد تخبطت أيضاً، فركب إليها في الجيش في أبهة عظيمة، وأصلح شأنها، وكر على الكوفة والحلة، ثم عاد إلى بغداد فزينت له البلد. وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب بجاية وهي بلاد بني حماد، فكان آخر ملوكهم يحيى بن عبد العزيز بن حماد، ثم جهز عبد المؤمن جيشاً إلى صنهاجة فحاصرها، وأخذ أموالها. وفيها كانت وقعة عظيمة بين نور الدين محمود الشهيد وبين الفرنج، فكسرهم وقتل منهم خلقاً ولله الحمد. وفيها اقتتل السلطان سنجر وملك الغور علاء الدين الحسين بن الحسين أول ملوكهم، فكسر سنجر وأسره، فلما أحضره بين يديه قال له: ماذا كنت تصنع بي لو أسرتني؟ فأخرج قيداً من فضة وقال: كنت أقيّدك بهذا. فعفا عنه وأطلقه إلى بلاده، فسار إلى غزنة فانتزعها من يد صاحبها بهرام شاه السبكتكيني، واستخلف عليها أخاه سيف الدين فغدر به أهل البلد وسلموه إلى بهرام شاه فصلبه، ومات بهرام شاه قريباً فسار إليه علاء الدين فهرب خسرو بن بهرام شاه عنها فدخلها علاء الدين فنهبها ثلاثة أيام، وقتل من أهلها بشراً كثيراً، وسخر أهلها فحملوا تراباً في مخالي إلى محلة هنالك بعيدة عن البلد، فعمر من ذلك التراب قلعة معروفة إلى الآن، وبذلك انقضت دولة بني سبكتكين عن بلاد غزنة وغيرها، وقد كان ابتداء أمرهم في سنة ست وستين وثلاثمائة إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وكانوا من خيار الملوك، وأكثرهم جهاداً في الكفرة، وأكثرهم أموالاً ونساء وعدداً وعدداً، وقد كسروا الأصنام وأبادوا الكفار، وجمعوا من الأموال ما لم يجمع غيرهم من الملوك، مع أن بلادهم كانت من أطيب البلاد وأكثرهم ريفاً ومياهاً ففني جميعه وزال عنهم ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦] ثم ملك الغور والهند وخراسان، واتسعت ممالكهم وعظم سلطان علاء الدين بعد الأسر وحكى ابن الجوزي أن في هذه السنة باض ديك بيضة واحدة، ثم باض بازي بيضتين، وباضت نعامة من غير ذكر، وهذا شيء عجيب والله سبحانه وتعالى أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

المظفر بن أردشير

أبو منصور العبادي، الواعظ، سمع الحديث ودخل إلى بغداد فأملى ووعظ، وكان الناس يكتبون ما يعظ به، فاجتمع له من ذلك مجلدات.

قال ابن الجوزي: لا تكاد تجد في المجلد خمس كلمات جيدة، وتكلم فيه وأطال الحط عليه، واستحسن من كلامه قوله: وقد سقط مطر وهو يعظ الناس، وقد ذهب الناس إلى تحت الجدران، فقال لا تفروا من رشاش ماء رحمة قُطِر من سحاب نعمة، ولكن فروا من رشاش نار اقتدح من زناد الغضب. توفي وقد جاوز الخمسين بقليل.

مسعود السلطان بن [ملك شاه][١]

صاحب ملك العراق وغيرها، وحصل له من التمكن والسعادة شيء كثير لم يحصل لغيره، وجرت له خطوب طويلة، كما تقدم بعض ذلك، وقد أسر في بعض حروبه الخليفة المسترشد كما تقدم، توفي يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة منها.

يعقوب الخطاط الكاتب

توفي بالنظامية، فجاء ديوان الحشر ليأخذوا ميراثه فمنعهم الفقهاء فجرت فتنة عظيمة آل الحال إلى عزل المدرِّس الشيخ أبي النجيب وضربه في الديوان تعزيراً[٢].

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

فيها وقع الحرب بين السلطان سنجر وبين الأتراك، فقتل الأتراك من جيشه خلقاً كثيراً بحيث صارت القتلى مثل التلول العظيمة، وأسروا السلطان سنجر وقتلوا من كان معه من الأمراء صبراً، ولما أحضروه قاموا بين يديه وقبلوا الأرض له، وقالوا نحن عبيدك، وكانوا عدة من الأمراء الكبار من مماليكهم، فأقام شهرين ثم أخذوه وساروا به فدخلوا مرو، وهي كرسي مملكة خراسان، فسأله بعضهم أن يجعلها له إقطاعاً، فقال سنجر هذا لا يمكن، هذه كرسي المملكة، فضحكوا منه وضربوا به فنزل عن سرير المملكة ودخل خانقاه، وصار فقيراً من جملة أهلها، وتاب عن الملك واستحوذ أولئك الأتراك على البلاد فنهبوها، وتركوها قاعاً صفصفاً[٣]، وأفسدوا في الأرض فساداً عريضاً، وأقاموا سليمان شاه ملكاً، فلم تطل أيامه حتى عزلوه، وولوا ابن أخت سنجر الخاقان محمود بن كوخان، وتفرقت الأمور واستحوذ كل إنسان منهم على ناحية من تلك الممالك، وصارت الدولة دولاً. وفيها كانت حروب كثيرة بين عبد المؤمن وبين العرب ببلاد المغرب. وفيها أخذت الفرنج مدينة عسقلان من ساحل غزة. وفيها خرج الخليفة إلى واسط في جحفل فأصلح شأنها وعاد إلى بغداد، وحج بالناس فيها قيماز الأرجواني والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفيها كانت وفاة الشاعرين القرينين الشهيرين في الزمان الأخير بالفرزدق وجرير.

وهما أبو الحسن أحمد بن منير الجوني بحلب، وأبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني الحلبي بدمشق، وعلي بن السلار الملقب بالعادل وزير الظافر صاحب مصر، وهو باني المدرسة بالإسكندرية للشافعية للحافظ أبي طاهر السلفي، وقد كان العادل هذا ضد اسمه كان ظلوماً غشوماً حطوماً، وقد ترجمه ابن خلكان.

---

(١) سقط في ط.
(٢) التعزير: التأديب، وهو أقل من الحد في الشريعة الإسلامية.
(٣) قاعاً صفصفاً: أي خراباً لا أثر للحياة فيها.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة

فيها ركب الخليفة المقتفي في جيش كثيف إلى تكريت فحاصر قلعتها، ولقي هناك جمعاً من الأتراك والتركمان، فأظفره الله بهم، ثم عاد إلى بغداد.

ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق

وجاءت الأخبار بأن مصر قد قتل خليفتها الظافر، ولم يبق منهم إلا صبي صغير ابن خمس شهور، وقد ولوه عليهم ولقبوه الفائز، فكتب الخليفة عهداً إلى نور الدين محمود بن زنكي بالولاية على بلاد الشام والديار المصرية، وأرسله إليها. وفيها هاجت ريح شديدة بعد العشاء فيها نار فخاف الناس أن تكون الساعة، وزلزلت الأرض وتغير ماء دجلة إلى الحمرة، وظهر بأرض واسط بالأرض دم لا يعرف ما سببه، وجاءت الأخبار عن الملك سنجر أنه في أسر الترك، وهو في غاية الذل والإهانة، وأنه يبكي على نفسه كل وقت. وفيها انتزع نور الدين محمود دمشق من يد ملكها نور الدين أرتق وذلك لسوء سيرته وضعف دولته، ومحاصرة العامة له في القلعة، مع وزيره مؤيد الدولة علي بن الصوفي، وتغلب الخادم عطاء على المملكة مع ظلمه وغشمه، وكان الناس يدعون ليلاً ونهاراً أن يبدلهم بالملك نور الدين، واتفق مع ذلك أن الفرنج أخذوا عسقلان فحزن نور الدين على ذلك، ولا يمكنه الوصول إليهم، لأن دمشق بينه وبينهم، ويخشى أن يحاصروا دمشق فيشق على أهلها، ويخاف أن يرسل مجير الدين إلى الفرنج فيخذلونه كما جرى غير مرة، وذلك أن الفرنج لا يريدون أن يملك نور الدين دمشق فيقوى بها عليهم ولا يطيقونه، فأرسل بين يديه الأمير أسد الدين شيركوه في ألف فارس في صفة طلب الصلح، فلم يلتفت إليه مجير الدين ولا عدَّه شيئاً، ولا خرج إليه أحد من أعيان أهل البلد، فكتب إلى نور الدين بذلك، فركب الملك نور الدين في جيشه فنزل عيون الفاسريا من أرض دمشق، ثم انتقل إلى قريب من الباب الشرقي، ففتحها قهراً ودخل من الباب الشرقي بعد حصار عشرة أيام، وكان دخوله في يوم الأحد عاشر صفر من هذه السنة وتحصن مجير الدين في القلعة فأنزله منها وعوضه مدينة حمص ودخل نور الدين إلى القلعة واستقرت يده على دمشق ولله الحمد. ونادى في البلد بالأمان والبشارة بالخير، ثم وضع عنهم المكوس وقرئت عليهم التواقيع على المنابر، ففرح الناس بذلك وأكثروا الدعاء له، وكتب ملوك الفرنج إليه يهنونه بدمشق ويتقربون إليه، ويخضعون له. وممن توفي فيها من الأعيان.

الرئيس مؤيد الدولة

علي بن الصوفي وزير دمشق لمجير الدين، وقد ثار على الملك غير مرة، واستفحل أمره، ثم يقع الصلح بينهما كما تقدم.

عطاء الخادم

أحد أمراء دمشق، وقد تغلب على الأمور بأمر مجير الدين، وكان ينوب على بعلبك

في بعض الأحيان، وقد كان ظالماً غاشماً وهو الذي ينسب إليه مسجد عطاء خارج الباب الشرقي والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة هجرية

فيها خرج الخليفة في تجمل إلى دقوقا فحاصرها فخرج إليه أهلها أن يرحل عنهم فإن أهلها قد هلكوا بين الجيشين، فأجابهم ورحل عنهم، وعاد إلى بغداد بعد شهرين ونصف، ثم خرج نحو الحلة والكوفة والجيش بين يديه، وقال له سليمان شاه أنا وليّ عهد سنجر، فإن قررتني[١] في ذلك وإلا فأنا كأحد الأمراء، فوعده خيراً، وكان يحمل الغاشية[٢] بين يدي الخليفة على كاهله، فمهد الأمور ووطدها، وسلم على مشهد على إشارة بأصبعه،وكأنه خاف عليه غائلة الروافض أو أن يعتقد في نفسه من القبر شيئاً أو غير ذلك، والله أعلم.

فتح بعلبك بيد نور الدين الشهيد

وفيها افتتح نور الدين بعلبك عوداً على بدء وذلك أن نجم الدين أيوب كان نائباً بها على البلد والقلعة فسلمها إلى رجل يقال له الضحاك البقاعي، فاستحوذ عليها وكاتب نجم الدين لنور الدين، ولم يزل نور الدين يتلطف حتى أخذ القلعة أيضاً واستدعى بنجم الدين أيوب إليه إلى دمشق فأقطعه إقطاعاً حسناً، وأكرمه من أجل أخيه أسد الدين، فإنه كانت له اليد الطولى في فتح دمشق، وجعل الأمير شمس الدولة بوران شاه بن نجم الدين شحنة[٣] دمشق، ثم من بعده جعل أخاه صلاح الدين يوسف هو الشحنة، وجعله من خواصه لا يفارقه حضراً ولا سفراً، لأنه كان حسن الشكل حسن اللعب بالكرة، وكان نور الدين يحب لعب الكرة لتمرين الخيل وتعليمها الكر والفر، وفي شحنة صلاح الدين يوسف يقول عرقلة [وهو حسان بن نمير الكلبي] الشاعر:

رُوَيْــدَكُــمْ يــا لُــصُــوسَ الــشَّــآمِ ... فَــإنِّــي لَــكُــمْ نَــاصِــحٌ فــي مَــقَــالــي
فَــإيَّــاكُــمُ وَسَــمِــيَ الــنَّــبِــيِّ ... يُــوسُــفَ ربّ الــحِــجَــا وَالــكَــمَــالِ
فَــذَاكَ مُــقَــطِّــعُ أيْــدِي الــنِّــسَــاءِ ... وَهٰــذا مُــقَــطِّــعُ أيْــدِي الــرِّجَــالِ

وقد ملك أخاه بوران شاه بلاد اليمن فيما بعد ذلك، وكان يلقب شمس الدولة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

محمد بن ناصر

ابن محمد بن علي الحافظ، أبو الفضل البغدادي. ولد ليلة النصف من شعبان سنة

---

(١) قررتني: أي وافقت على تعييني.

(٢) الغاشية: الغطاء، أو جلد ألبس جفن السيف من أسفل شاربه إلى نعله.

(٣) الشحنة: قائد الجيش.

سبع وستين وأربعمائة، وسمع الكثير، وتفرد بمشايخ، وكان حافظاً ضابطاً مكثراً من أهل السنّة كثير الذكر، سريع الدمعة. وقد تخرج به جماعة منهم أبو الفرج بن الجوزي، سمع بقراءته مسند أحمد وغيره من الكتب الكبار، وكان يثني عليه كثيراً، وقد ورد على أبي سعد السمعاني في قوله: محمد بن ناصر يحب أن يقع في الناس.

قال ابن الجوزي: والكلام في الناس بالجرح والتعديل ليس من هذا القبيل، وإنما ابن السمعاني يحب أن يتعصب على أصحاب الإمام أحمد، نعوذ بالله من سوء القصد والتعصب. توفي محمد بن ناصر ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شعبان منها، عن ثلاث وثمانين سنة، وصلى عليه مرات، ودفن بباب حرب رحمه الله.

مجلي بن جميع أبو المعالي

المخزومي الأرسوفي ثم المصري قاضيها، الفقيه الشافعي، مصنف الذخائر وفيها غرائب كثيرة وهي من الكتب المفيدة.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

في المحرم دخل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه إلى بغداد وعلى رأسه الشمسية، فتلقاه الوزير ابن هبيرة وأدخله على الخليفة، فقبل الأرض وحلفه على الطاعة وصفاء النية والمناصحة والمودة، وخلع عليه خلع الملوك، وتقرر أن للخليفة العراق ولسليمان شاه ما يفتحه من خراسان، ثم خطب له ببغداد بعد الملك سنجر، ثم خرج منها في ربيع الأول فاقتتل هو والسلطان محمد بن محمود بن ملكشاه، فهزمه محمد وهزم عسكره، فذهب مهزوماً فتلقاه نائب قطب الدين مودود بن زنكي، صاحب الموصل، فأسره وحبسه بقلعة الموصل، وأكرمه مدة حبسه وخدمه، وهذا من أغرب الاتفاقات. وفيها ملكت الفرنج المهدية من بلاد المغرب بعد حصار شديد. وفيها فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة تل حارم واقتلعها من أيدي الفرنج، وكانت من أحصن القلاع وأمنع البقاع، وذلك بعد قتال عظيم ووقعة هائلة كانت من أكبر الفتوحات، وامتدحه الشعراء عند ذلك. وفيها هرب الملك سنجر من الأسر وعاد إلى ملكه بمرو، وكان له في يد أعدائه نحو من خمس سنين. وفيها ولي عبد المؤمن ملك الغرب أولاده على بلاده، استناب كل واحد منهم على بلد كبير وإقليم متسع.

ذكر حصار بغداد

وسبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه أرسل إلى الخليفة المقتفي يطلب منه أن يخطب له في بغداد، فلم يجبه إلى ذلك، فسار من همذان إلى بغداد ليحاصرها، فانجفل الناس وحصن الخليفة البلد، وجاء السلطان محمد فحصر بغداد، ووقف تجاه التاج من دار الخلافة في جحفل عظيم، ورموا نحوه النشاب، وقاتلت العامة مع

الخليفة قتالاً شديداً بالنفط وغيره، واستمر القتال مدة، فبينما هم كذلك إذ جاءه الخبر أن أخاه قد خلفه في همذان، فانشمر[١] عن بغداد إليها في ربيع الأول من سنة اثنتين وخمسين، وتفرقت عنه العساكر الذين كانوا معه في البلاد، وأصاب الناس بعد ذلك القتال مرض شديد، وموت ذريع، واحترقت محال كثيرة من بغداد، واستمر ذلك فيها مدة شهرين. وفيها أطلق أبو الوليد البدر ابن الوزير ابن هبيرة من قلعة تكريت، وكان معتقلاً فيها من مدة ثلاث سنين، فتلقاه الناس إلى أثناء الطريق، وامتدحه الشعراء، وكان من جملتهم الأبله الشاعر، أنشد الوزير قصيدة يقول في أولها:

بِـأَيِّ لِـسَـانٍ لِـلْـوُشَـاةِ أُلامُ وَقَـدْ عَـلِـمُـوا أَنِّـي سَـهِـرْتُ وَنَـامُـوا؟

إلى أن قال:

وَيَسْتَكْثِرُونَ الوَصْلَ لِي لَيْلَةً وَقَدْ مَرَّ عَامٌ بِالصُّدُودِ وَعَامُ[٢]

فطرب الوزير عند ذلك. وخلع عليه ثيابه وأطلق له خمسين ديناراً.

وحجّ بالناس قيماز.

وممن توفي فيها من الأعيان:

علي بن الحسين

أبو الحسن الغزنوي الواعظ، كان له قبول كثير من العامة، وبنت له الخاتون زوجة المستظهر رباطاً بباب الأزج، ووقفت عليه أوقافاً كثيرة، وحصل له جاه عريض وزاره السلطان. وكان حسن الإيراد مليح الوعظ، يحضر مجلسه خلق كثير وجم غفير من أصناف الناس. وقد ذكر ابن الجوزي أشياء من وعظه، قال وسمعته يوماً يقول: حزمة حزن خير من أعدال[٣] أعمال. ثم أنشد:

كَـمْ حَـسْـرَةٍ لِـي فِـي الـحَـشَـا مِـنْ وَلَـدٍ إذا نَـشَـا

أَمَّـلْـتُ فِـيـهِ رُشْـدَهُ فَـمَـا نَـشَـا كَـمَـا نَـشَـا

قال وسمعته يوماً ينشد:

يَـحْـسُـدُنِـي قَـوْمِـي عَـلَـى صَـنْـعَـتِـي لأنَّـنِـي فِـي صَـنْـعَـتِـي فَـارِسُ

سَـهِـرْتُ فِـي لَـيْـلِـيَ وَاسْـتَـنْـعَـسُـوا وَهَـلْ يَـسْـتَـوِي الـسَّـاهِـرُ وَالـنَّـاعِـسُ؟

قال: وكان يقول: تولون اليهود والنصارى فيسبون نبيكم في يوم عيدكم، ثم يصبحون يجلسون إلى جانبكم؟ ثم يقول: ألا هل بلغت؟ قال: وكان يتشيع، ثم سعى في منعه من الوعظ ثم أذن له، ولكن ظهر للناس أمر العبادي، وكان كثير من الناس يميلون إليه، وقد

---

(١) انشمر: تراجع.

(٢) الوصل: اللقاء، والصدود: الإعراض.

(٣) الأعدال: جمع عدل، وهو الكيس الكبير.

كان السلطان يعظمه ويحضر مجلسه، فلما مات السلطان مسعود ولي الغزنوي بعده، وأهين إهانة بالغة، فمرض ومات في هذه السنة.

قال ابن الجوزي: وبلغني أنه كان يعرق في نزعه ثم يفيق وهو يقول: رضى وتسليم، ولما مات دفن في رباطه الذي كان فيه.

محمود بن إسماعيل بن قادوس

أبو الفتح الدمياطي، كاتب الإنشاء بالديار المصرية، وهو شيخ القاضي الفاضل، كان يسميه ذا البلاغتين، وذكره العماد الكاتب في الجريدة. ومن شعره فيمن يكرر التكبير ويوسوس في نية الصلاة في أولها:

وَفَاتِرُ النِّيَّةِ عِنِّيْنُهَا ... مَعْ كَثْرَةِ الرَّعْدَةِ وَالهَمْرَةِ[1]
يُكَبِّرُ السَّبْعِينَ فِي مَرَّةٍ ... كَأَنَّهُ يُصلى عَلَى جَمْرَةِ[2]

الشيخ أبو البيان

بنا بن محمد المعروف بابن الحوراني، الفقيه الزاهد العابد الفاضل الخاشع، قرأ القرآن وكتاب التنبيه على مذهب الشافعي، وكان حسن المعرفة باللغة، كثير المطالعة، وله كلام يؤثر عنه، ورأيت له كتاباً بخطه فيه النظائم التي يقولها أصحابه وأتباعه بلهجة غريبة، وقد كان من نشأته إلى أن توفي على طريقة صالحة، وقد زاره الملك نور الدين محمود في رباطه داخل درب الحجر، ووقف عليه شيئاً، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة، ودفن بمقابر الباب الصغير، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً. وقد ذكرته في طبقات الشافعية رحمه الله.

عبد الغافر بن إسماعيل

ابن عبد القادر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن سعيد، الفارسي الحافظ، تفقه بإمام الحرمين وسمع الكثير على جده لأمه أبي القاسم القشيري، ورحل إلى البلاد وأسمع، وصنف المفهم في غريب مسلم وغيره، وولي خطابة نيسابور، وكان فاضلاً ديّناً حافظاً.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة

استهلت هذه السنة ومحمد شاه بن محمود محاصر بغداد والعامة والجند من جهة الخليفة المقتفي يقاتلون أشد القتال، والجمعة لا تقام لعذر القتال، والفتنة منتشرة، ثم يسّر الله بذهاب السلطان، كما تقدم في السنة التي قبلها، وقد بسط ذلك ابن الجوزي في هذه السنة فطول. وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام، هلك بسببها خلق كثير لا يعلمهم إلا الله،

(١) الفاتر: الضعيف، والعنين: الذي يأتي النساء عجزاً.

(٢) يُصلى: يحرق.

وتهدم أكثر حلب وحماه وشيزر وحمص وكفرطاب وحصن الأكراد واللاذقية والمعرة وفامية وأنطاكية وطرابلس. قال ابن الجوزي: وأما شيزر فلم يسلم منها إلا امرأة وخادم لها، وهلك الباقون، وأما كفرطاب فلم يسلم من أهلها أحد، وأما فاميه فساحت قلعتها، وتل حران انقسم نصفين فأبدى نواويس وبيوتاً كثيرة في وسطه. قال: وهلك من مدائن الفرنج شيء كثير، وتهدم أسوار أكثر مدن الشام، حتى أن مكتباً من مدينة حماه انهدم على من فيه من الصغار فهلكوا عن آخرهم، فلم يأت أحد يسأل عن أحد منهم، وقد ذكر هذا الفصل الشيخ أبو شامة في كتاب الروضتين مستقصى، وذكر ما قاله الشعراء من القصائد في ذلك. وفيها ملك السلطان محمود بن محمد بعد خاله سنجر جميع بلاده. وفيها فتح السلطان محمود زنكي حصن شيزر بعد حصار، وأخذ مدينة بعلبك، وكان بها الضحاك البقاعي، وقد قيل إن ذلك كان في سنة خمسين كما تقدم فالله أعلم، وقد تقدم ذلك. وفيها مرض نور الدين فمرض الشام بمرضه ثم عوفي ففرح المسلمون فرحاً شديداً، واستولى أخوه قطب الدين مودود صاحب الموصل على جزيرة ابن عمر. وفيها عمل الخليفة باباً للكعبة مصفحاً بالذهب، وأخذ بابها الأول فجعله لنفسه تابوتاً. وفيها أغارت الإسماعيلية على حجاج خراسان فلم يبقوا منهم أحداً، لا زاهداً ولا عالماً. وفيها كان غلاء شديد بخراسان حتى أكلوا الحشرات، وذبح إنسان منهم رجلاً علوياً فطبخه وباعه في السوق، فحين ظهر عليه قتل. [وذكر أبو شامة أن فتح بانياس كان في هذه السنة على يد نور الدين بنفسه، وقد كان معين الدين سلمها إلى الفرنج حين حاصروا دمشق، فعوضهم بها، وقيل ملكها وغنم شيئاً كثيراً]. وفيها قدم الشيخ أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي، فسمعوا عليه البخاري في دار الوزير ببغداد.

وحج بالناس قيماز.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد

ابن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو الليث النسفي من أهل سمرقند، سمع الحديث وتفقه ووعظ، وكان حسن السمت، قدم بغداد فوعظ الناس، ثم عاد إلى بلده فقتله قطّاع الطريق رحمه الله تعالى.

أحمد بن بختيار

ابن علي بن محمد، أبو العباس المارداني الواسطي قاضيها، سمع الحديث وكانت له معرفة تامة في الأدب واللغة، وصنف كتباً في التاريخ وغير ذلك، وكان ثقة صدوقاً توفي ببغداد وصلي عليه بالنظامية.

السلطان سنجر

ابن الملك شاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، أبو الحارث واسمه

أحمد، ولقب بسنجر، مولده في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وأقام في الملك نيفاً وستين سنة، من ذلك استقلال إحدى وأربعين سنة، وقد أسره الفرنج[1] نحواً من خمس سنين، ثم هرب منهم وعاد إلى ملكه بمرو، ثم توفي في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن في قبة بناها سماها دار الآخرة رحمه الله.

محمد بن عبد اللطيف

ابن محمد بن ثابت، أبو بكر الخجندي الفقيه الشافعي، ولي تدريس النظامية ببغداد، وكان يناظر حسناً ويعظ الناس وحوله السيوف مسللة.

قال ابن الجوزي: ولم يكن ماهراً في الوعظ، وكانت حاله أشبه بالوزراء من العلماء، وتقدم عند السلاطين حتى كانوا يصدرون عن رأيه، توفي بأصبهان فجأة فيها.

محمد بن المبارك

ابن محمد بن الخل أبو الحسن بن أبي البقاء، سمع الحديث وتفقه على الشاشي، ودرس وأفتى، وتوفي في محرم هذه السنة، وتوفي أخوه الشيخ أبو الحسين بن الخل الشاعر في ذي القعدة منها.

يحيى بن عيسى

ابن إدريس أبو البركات الأنباري الواعظ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه ووعظ الناس على طريقة الصالحين، وكان يبكي من أول صعوده إلى حين نزوله، وكان زاهداً عابداً ورعاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ورزق أولاداً صالحين سماهم بأسماء الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحفظهم القرآن كلهم بنفسه، وختم خلقاً كثيراً، وكان هو وزوجته يصومان الدهر، ويقومان الليل، ولا يفطران إلا بعد العشاء، وكانت له كرامات ومنامات صالحة، ولما مات قالت زوجته: اللهم لا تحيني بعده، فماتت بعده بخمسة عشر يوماً وكانت من الصالحات رحمهما الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

فيها كثر فساد التركمان من أصحاب ابن برجم الإيواني، فجهز إليهم الخليفة منكورس[2] المسترشدي في جيش كثيف، فالتقوا معهم فهزمهم أقبح هزيمة، وجاؤوا بالأسارى والرؤوس إلى بغداد. وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان محمود وبين الغز فكسروه ونهبوا البلاد، وأقاموا بمرو ثم طلبوه إليهم فخاف على نفسه فأرسل ولده بين يديه فأكرموه، ثم قدم السلطان عليهم فاجتمعوا عليه وعظموه. وفيها وقعت فتنة كبيرة بمرو بين

(١) في ط: الغز.

(٢) كذا بالأصل: وفي ابن الأثير: خطلو برس.

فقيه الشافعية المؤيد بن الحسين، وبين نقيب العلويين بها أبي القاسم زيد بن الحسن، فقتل منهم خلق كثير، وأحرقت المدارس والمساجد والأسواق، وانهزم المؤيد الشافعي إلى بعض القلاع. وفيها ولد الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله، وفيها خرج المقتفي نحو الأنبار متصيّداً وعبر الفرات وزار الحسين ومضى إلى واسط وعاد إلى بغداد، ولم يكن معه الوزير. وحج بالناس فيها قيماز الأرجواني. وفيها كسر جيش مصر الفرنج بأرض عسقلان كسروهم كسرة فجيعة صحبة الملك صالح أبو الغارات، فارس الدين طلائع بن رزيك، وامتدحه الشعراء. وفيها قدم الملك نور الدين من حلب إلى دمشق وقد شفي من المرض ففرح به المسلمون، وخرج إلى قتال الفرنج، فانهزم جيشه وبقي هو في شرذمة قليلة من أصحابه في نحر العدو، فرموهم بالسهام الكثيرة، ثم خاف الفرنج أن يكون وقوفه في هذه الشرذمة القليلة خديعة لمجيء كمين إليهم، ففروا منهزمين ولله الحمد.

وممن توفي فيها من الأ عيان:

عبد الأول بن عيسى

ابن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق، أبو الوقت السجزي الصوفي الهروي، راوي البخاري ومسند الدارمي، والمنتخب من مسند عبد بن حميد، قدم بغداد فسمع عليه الناس هذه الكتب، وكان من خيار المشايخ وأحسنهم سمتاً وأصبرهم على قراءة الحديث.

قال ابن الجوزي: أخبرني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال أسندته إليّ فمات، وكان آخر ما تكلم به أن قال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٧].

نصر بن منصور

ابن الحسين بن أحمد بن عبد الخالق العطار، أبو القاسم الحراني كان كثير المال، يعمل من صدقاته المعروف الكثير من أنواع القربات الحسنة، ويكثر تلاوة القرآن، ويحافظ على الصلوات في الجماعة، ورئيت له منامات صالحة، وقارب الثمانين رحمه الله.

يحيى بن سلامة

ابن الحسين أبو الفضل الشافعي، الحصكفي نسبة إلى حصن كيفا، كان إماماً في علوم كثيرة من الفقه والآداب، ناظماً ناثراً، غير أنه كان ينسب إلى الغلو في التشيع، وقد أورد له ابن الجوزي قطعة من نظمه، فمن ذلك قوله في جملة قصيدة له:

تَقَاسَمُوا يَوْمَ الوَدَاعِ كَبِدِي ... فَلَيْسَ لِي مُنْذُ تَوَلَّوْا كَبِدُ
عَلَى الجُفُونِ رَحَلُوا وَفِي الحَشَاءِ ... نَزَلُوا وَمَاءَ عَيْنِي وَرَدُوا
وَأَدْمُعِي مَسْفُوحَةٌ وَكَبِدِي ... مَقْرُوحَةٌ وَعِلَّتِي مَا قد بدوا

وَصَبْوَتِي[(١)] دَائِمَةٌ ومقلتي دامية ونومها مشرّدُ
تَيَّمَنِي مِنْهُمْ غَزَالٌ أَغْيَدُ يَا حَبَّذا ذَاكَ الغَزَالُ الأَغْيَدُ
حُسَامُهُ مُجَرَّدٌ وَصَرْحُهُ مُمَرَّدٌ وَخَدُّهُ مُوَرَّدُ
وَصُدْغُهُ فَوْقَ احْمِرَارِ خَدِّهِ مُبَلْبَلٌ معقبٌ مُجَعَّدُ
كَأَنَّمَا نَكْهَتُهُ وَرِيقُهُ مِسْكٌ وَخَمْرٌ وَالثَّنَايَا بَرَدُ[(٢)]
يَعْقِدُه عِنْدَ القِيَامِ رِدْفُهُ وَفي الحَشَا مِنْهُ المُقِيمُ المُقْعِدُ[(٣)]
لَهُ قِوَامٌ كَقَضِيبِ بَانَةٍ يَهْتَزُّ قَصْداً لَيْسَ فِيهِ أَوَدُ[(٤)]

وهي طويلة جداً، ثم خرج من هذا التغزل إلى مدح أهل البيت والأئمة الاثني عشر رحمهم الله:

وَسَائِلِي عَنْ حُبِّ أَهْلِ البَيْتِ هَلْ أُقِرُّ إعْلاناً بِهِ أَمْ أَجْحَدُ؟
هَيْهَاتِ مَمْزُوجٌ بِلَحْمِي وَدَمِي حُبُّهُمُ وَهُوَ الهُدَى وَالرَّشَدُ
حَيْدَرَةٌ وَالحَسَنَانِ بَعْدَهُ ثُمَّ عَلِيٌّ وَابْنُهُ مُحَمَّدُ[(٥)]
وَجَعْفَرُ الصَّادِقِ وَابنِ جَعْفَرٍ مُوسَى وَيَتْلُوهُ عَلِيُّ السَّيِّدُ
أَعْنِي الرِّضَى ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ ثُمَّ عَلِيٌّ وَابْنُهُ المُسَدَّدُ
وَالحَسَنُ الثَّانِي وَيَتْلُو تِلْوَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ المُفْتَقَدُ
فَإِنَّهُمْ أَئِمَّتِي وَسَادَتِي وَإِنْ لَحَانِي مَعْشَرٌ وَفَنَّدُوا[(٦)]
أَئِمَّةٌ أَكْرِمْ بِهِمْ أَئِمَّةً أَسْمَاؤُهُمْ مَسْرُودَةٌ تَطَّرِدُ
هُمْ حُجَجُ الله عَلَى عِبَادِهِ وَهُمْ إِلَيْهِ مَنْهَجٌ وَمَقْصَدُ
قَوْمٌ لَهُمْ فَضْلٌ وَمَجْدٌ بَاذِخٌ يَعْرِفُهُ المُشْرِكُ وَالمُوَحِّدُ
قَوْمٌ لَهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَشْهَدٌ لا بَلْ لَهُمْ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَشْهَدُ
قَوْمٌ مِنًى وَالمَشْعَرَانِ لَهُمْ وَالمَرْوَتَانِ لَهُمُ وَالمَسْجِدُ
قَوْمٌ لَهُمْ مَكَّةُ وَالأَبْطَحُ وَالخَيْفُ وَجَمْعٌ وَالبَقِيعُ الغَرْقَدُ[(٧)]

ثم ذكر بالطف مقتل الحسين بألطف عبارة إلى أن قال:

---

(١) الصبوة: العشق وحرقته.
(٢) الثنايا: الأسنان.
(٣) الردف: العجز.
(٤) الأود: الاعوجاج.
(٥) حيدرة: عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. والحسنان: الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً.
(٦) لحاني: لامني. وفندوا: ردوا عليّ قولي ولاموني.
(٧) بقيع الغرقد: موضع في المدينة.

يَـا أَهْـلَ بَـيْـتِ الـمُـصْـطَـفَـى يَـا عُـدَّتِـي وَمَـنْ عَـلَـى حُـبِّـهِـم أَعْـتَـمِـدُ
أَنْـتُـمْ إِلَـى اللهِ غَـداً وَسِـيـلَـتِـي وَكَـيْـفَ أَخْـشَـى وَبِـكُـمْ أَعْـتَـضِـدُ
وَلِـيُّـكُـمْ فِـي الـخُـلْـدِ حَـيٌّ خَـالِـدٌ وَالـضِّـدُّ فِـي نَـارِ لَـظَـى مُـخَـلَّـدُ
وَلَـسْـتُ أَهْـوَاكُـمْ بِـبُـغْـضِـي غَـيْـرَكُـمْ إِنِّـي إِذاً أَشْـقَـى بِـكُـمْ لا أَسْـعَـدُ
فَـلاَ يَـظُـنُّ رَافِـضِـيٌّ أَنَّـنِـي وَافَـقْـتُـهُ أَوْ خَـارِجِـيٌّ مُـفْـسِـدُ
مُـحَـمَّـدٌ وَالـخُـلَـفَـاءُ بَـعْـدَهُ أَفْـضَـلُ خَـلْـقِ اللهِ فِـيـمَـا أَجِـدُ
هُـمْ أَسَّـسُـوا قَـوَاعِـدَ الـدِّيـنِ لَـنَـا وَهُـمْ بَـنَـوْا أَرْكَـانَـهُ وَشَـيَّـدُوا
وَمَـنْ يَـخُـنْ أَحْـمَـدَ فِـي أَصْـحَـابِـهِ فَـخَـصْـمُـهُ يَـوْمَ الـمَـعَـادِ أَحْـمَـدُ(١)
هٰـذا اعْـتِـقَـادِي فَـالْـزَمُـوهُ تَـفْـلَـحُـوا هٰـذا طَـرِيـقِـي فَـاسْـلُـكُـوهُ تَـهْـتَـدُوا
وَالـشَّـافِـعِـيُّ مَـذْهَـبِـي مَـذْهَـبَـهُ لأَنَّـهُ فِـي قَـوْلِـهِ مُـؤَيَّـدُ
أَتْـبَـعُـهُ فِـي الأَصْـلِ وَالـفَـرْعِ مَـعـاً فَـلْـيَـتَّـبِـعْـنِـي الـطَّـالِـبُ الـمُـسْـتَـرْشِـدُ
إِنِّـي بِـإِذْنِ اللهِ نَـاجٍ سَـابِـقٌ إِذا وَنَـى الـظَّـالِـمُ ثُـمَّ الـمُـفْـسِـدُ

ومن شعره أيضاً:

إذا قَـلَّ مَـالِـي لَـمْ تَـجِـدْنِـي جـازِعـاً كَـثِـيـرَ الأَسَـى مُـغْـرًى بِـعَـضِّ الأَنَـامِـلِ
وَلا بَـطِـراً إِنْ جَـدَّدَ اللهُ نِـعْـمَـةً وَلَـوْ أَنَّ مـا أُوتِـي جَـمِـيـعُ الـنَّـاسِ لِـي

[توفي رحمه الله في ربيع الأول من هذه السنة بميافارقين](٢).

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة

فيها مرض الخليفة المقتفي مرضاً شديداً، ثم عوفي منه فزينت بغداد أياماً، وتصدق بصدقات كثيرة. وفيها استعاد عبد المؤمن مدينة المهدية من أيدي الفرنج وقد كانوا أخذوها من المسلمين في سنة ثلاث وأربعين. وفيها قاتل عبد المؤمن خلقاً كثيراً من الغرب حتى صارت عظام القتلى هناك كالتل العظيم فإنا لله وإنا إليه راجعون، وفي صفر منها سقط برد بالعراق كبار، زنة البردة قريب من خمسة أرطال، ومنها ما هو تسعة أرطال بالبغدادي، فهلك بذلك شيء كثير من الغلات، وخرج الخليفة إلى واسط فاجتاز بسوقها ورأى جامعها، وسقط عن فرسه فشج جبينه، ثم عوفي. وفي ربيع الآخر زادت دجلة زيادة عظيمة، فغرق بسبب ذلك محال كثيرة من بغداد، حتى صار أكثر الدور بها تلولاً، وغرقت تربة أحمد، وخسفت هناك القبور، وطفت الموتى على وجه الماء. قاله ابن الجوزي: وفي هذه السنة كثر المرض والموت، وفيها أقبل ملك الروم في جحافل كثيرة قاصداً بلاد الشام فرده الله

(١) المعاد: القيامة.
(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

خائباً خاسئاً، وذلك لضيق حالهم من الميرة، وأسر المسلمون ابن أخته ولله الحمد.

وحج بالناس فيها قيماز الأرجواني.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن معالي

ابن بركة الحربي، تفقه بأبي الخطاب الكلوذاني الحنبلي، وبرع وناظر ودرس وأفتى، ثم صار بعد ذلك شافعياً، ثم عاد حنبلياً، ووعظ ببغداد وتوفي في هذه السنة، وذلك أنه دخلت به راحلته في مكان ضيق فدخل قربوس[1] سرجه في صدره فمات.

السلطان محمد شاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه

لما رجع من محاصرة بغداد إلى همذان أصابه مرض السل فلم ينج منه، بل توفي في ذي الحجة منها، وقبل وفاته بأيام أمر أن يعرض عليه جميع ما يملكه ويقدر عليه، وهو جالس في المنظرة، فركب الجيش بكماله وأحضرت أمواله كلها، ومماليكه حتى جواريه وحظاياه، فجعل يبكي ويقول: هذه العساكر لا يدفعون عني مثقال ذرة من أمر ربي، ولا يزيدون في عمري لحظة، ثم ندم وتأسف على ما كان منه إلى الخليفة المقتفي، وأهل بغداد وحصارهم وأذيتهم، ثم قال: وهذه الخزائن والأموال والجواهر لو قبلهم ملك الموت مني فداء لجدت بذلك جميعه له، وهذه الحظايا والجواري الحسان والمماليك لو قبلهم فداء مني لكنت بذلك سمحاً له. ثم قال: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٨] ثم فرق شيئاً كثيراً من ذلك من تلك الحواصل والأموال، وتوفي عن ولد صغير رحمه الله، واجتمعت العساكر والأمراء على عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، وكان مسجوناً بالموصل فأفرج عنه وانعقدت له السلطنة، وخطب له على منابر تلك البلاد سوى بغداد والعراق. والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

فيها كانت وفاة الخليفة المقتفي بأمر الله.

أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله

مرض بالتراقي[2] وقيل بدمل خرج بحلقه، فمات ليلة الأحد ثاني ربيع الأول منها عن ست وستين سنة، إلا ثمانية وعشرين يوماً، ودفن بدار الخلافة، ثم نقل إلى التراب، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة وعشرين يوماً، وكان شهماً شجاعاً مقداماً، يباشر الأمور بنفسه، ويشاهد الحروب ويبذل الأموال الكثيرة لأصحاب الأخبار، وهو أول

---

(١) القربوس: حنو السرج، أي قسمه المقوس المرتفع من قدام المقعد ومن مؤخره.

(٢) التراقي: مرض يصيب الترقوة، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر.

من استبد بالعراق منفرداً عن السلطان، من أول أيام الديلم إلى أيامه، وتمكن في الخلافة وحكم على العسكر والأمراء، وقد وافق أباه في أشياء: من ذلك مرضه بالتراقي، وموته في ربيع الأول، وتقدم موت السلطان محمد شاه قبله بثلاثة أشهر، وكذلك أبوه المستظهر مات قبله السلطان محمود بثلاثة أشهر، وبعد غرق بغداد بسنة مات أبوه، وكذلك هذا.

قال عفيف الناسخ: رأيت في المنام قائلاً يقول: إذا اجتمعت ثلاث خاءات مات المقتفي - يعني خمساً وخمسين وخمسمائة والله تعالى أعلم.

خلافة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي

لما توفي أبوه كما ذكرنا بويع بالخلافة في صبيحة يوم الأحد ثاني ربيع الأول من هذه السنة، بايعه أشراف بني العباس، ثم الوزير والقضاة والعلماء والأمراء وعمره يومئذٍ خمس وأربعون سنة، وكان رجلاً صالحاً، وكان ولي عهد أبيه من مدة متطاولة، ثم عمل عزاء أبيه، ولما ذكر اسمه يوم الجمعة في الخطبة نثرت الدراهم والدنانير على الناس، وفرح المسلمون به بعد أبيه، وأقر الوزير ابن هبيرة على منصبه ووعده بذلك إلى الممات، وعزل قاضي القضاة ابن الدامغاني وولي مكانه أبا جعفر بن عبد الواحد، وكان شيخاً كبيراً، له سماع بالحديث، وباشر الحكم بالكوفة، ثم توفي في ذي الحجة منها. وفي شوال من هذه السنة اتفق الأتراك بباب همذان على سليمان شاه، وخطبوا لأرسلان شاه بن طغرل.

وفيها توفي:

الفائز خليفة مصر الفاطمي [صاحب مصر](١)

وهو أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر، وكانت وفاته في صفر منها وعمره يومئذٍ إحدى عشرة سنة، ومدة ولايته من ذلك ست سنين وشهران، وكان مدبر دولته أبو الغارات. ثم قام بعده العاضد آخر خلفائهم، وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن الحافظ، ولم يكن أبوه خليفة، وكان يومئذٍ قد ناهز الاحتلام، فقام بتدبير مملكته الملك الصالح طلائع بن رزيك الوزير، أخذ له البيعة وزوجه بابنته، وجهزها بجهاز عظيم يعجز عنه الوصف، وقد عمرت بعد زوجها العاضد ورأت زوال دولة الفاطميين على يد الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب [بن شاذي](٢)، في سنة أربع وستين كما سيأتي فصلاً [إن شاء الله تعالى](٣). وفيها كانت وفاة السلطان الكبير صاحب غزنة.

خسرو شاه بن ملكشاه

ابن بهرام شاه بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين، من بيت ملك ورياسة باذخة، يرثونها كابراً عن كابر، وكان من سادات الملوك وأحسنهم سيرة، يحب العلم وأهله، توفي في رجب منها، وقام بعده ولده ملكشاه، فسار إليه علاء الدين الحسين بن

---

(١) و(٢) و(٣) سقط في ط.

الغور فحاصر غزنة فلم يقدر عليها، ورجع خائباً. وفيها مات:

ملك شاه ابن السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه [بن ألب أرسلان](١)

السلجوقي بأصبهان مسموماً، فيقال إن الوزير عون الدين بن هبيرة دس إليه من سقاه إياه والله أعلم. وفيها مات أمير الحاج:

قيماز بن عبد الله الأرجواني

سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة بميدان الخليفة، فسال دماغه من أذنه فمات من ساعته، وقد كان من خيار الأمراء، فتأسف الناس عليه، وحضر جنازته خلق كثير، مات في شعبان منها، فحج بالناس فيها الأمير برغش مقطّع الكوفة. وحج فيها الأمير الكبير شيركوه بن شاذي، مقدم عساكر الملك نور الدين، وتصدق بأموال كثيرة. وفيها استعفى القاضي زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى أبو الحسن القرشي من القضاء بدمشق، فأعفاه نور الدين، وولى مكانه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري، وكان من خيار القضاة وأكثرهم صدقة، وله صدقات جارية بعده، وكان عالماً، وإليه الشباك الكمالي الذي يجلس فيه الحكام بعد صلاة الجمعة من المشهد الغربي بالجامع الأموي، والله أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الأمير مجاهد الدين

نزار بن مامين الكردي، أحد مقدمي جيش الشام، قبل نور الدين وبعده، وقد ناب في مدينة صرخد، وكان شهماً شجاعاً كثير البرّ والصدقات، وهو واقف المدرسة المجاهدية بالقرب من الغورية جوار الخيميين، وله أيضاً المدرسة المجاهدية داخل باب الفراديس البراني، وبها قبره. وله السبع المجاهدي داخل باب الزيادة من الجامع بمقصورة الخضر، توفي بداره في صفر منها، فحمل إلى الجامع وصلي عليه ثم أعيد إلى مدرسته ودفن بها داخل باب الفراديس، وتأسف الناس عليه رحمه الله.

الشيخ عدي بن مسافر

ابن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري، شيخ الطائفة العدوية، أصله من البقاع غربي دمشق، من قرية بيت نار، ثم دخل إلى بغداد فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر والشيخ حماد الدباس، والشيخ عقيل المنبجي، وأبي الوفا الحلواني، وأبي النجيب السهروردي وغيرهم، ثم انفرد عن الناس وتخلى بجبل هكار وبنى له هناك زاوية واعتقده أهل تلك الناحية اعتقاداً بليغاً، حتى أن منهم من يغلو غلواً كثيراً منكراً ومنهم

(١) سقط في ط.

من يجعله إلٰهاً أو شريكاً، وهذا اعتقاد فاحش يؤدي إلى الخروج من الدين جملة. مات في هذه السنة بزاويته وله تسعون سنة رحمه الله.

عبد الواحد بن أحمد

ابن محمد بن حمزة، أبو جعفر الثقفي، قاضي قضاة بغداد، وليها بعد أبي الحسن الدامغاني في أول هذه السنة، وكان قاضياً بالكوفة قبل ذلك، توفي في ذي الحجة منها وقد ناهز الثمانين، وولي بعده ابنه جعفر والفائز صاحب مصر، وقيماز تقدما في الحوادث.

محمد بن يحيى

ابن علي بن مسلم أبو عبد الله الزبيدي، ولد بمدينة زبيد باليمن سنة ثمانين تقريباً، وقدم بغداد سنة تسع وخمسمائة، فوعظ وكانت له معرفة بالنحو والأدب، وكان صبوراً على الفقر لا يشكو حاله إلى أحد، وكانت له أحوال صالحة رحمه الله، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

فيها قتل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، وكان عنده استهزاء وقلة مبالاة بالدين، يدمن شرب الخمر في رمضان، فثار عليه مدبر مملكته يزديار الخادم فقتله، وبايع بعده السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه. وفيها قتل الملك الصالح فارس الدين أبو الغارات طلائع بن رزيك الأرمني، وزير العاضد صاحب مصر، ووالد زوجته، وكان قد حجر على العاضد لصغره واستحوذ على الأمور والحاشية، ووزر بعده ولده رزيك، ولقّب بالعادل، وقد كان أبوه الصالح كريماً أديباً، يحب أهل العلم ويحسن إليهم، كان من خيار الملوك والوزراء، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء. وقال ابن خلكان: كان أولاً متولياً بمنية بني الخصيب، ثم آل به الحال إلى أن صار وزير العاضد والفائز قبله، ثم قام في الوزارة بعده ولده العادل رزيك بن طلائع، فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور كما سيأتي.
قال: والصالح هذا هو باني الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة، قال: ومن العجائب أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر ونقل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر، وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر. قال ومن شعره رواه عنه زين الدين علي بن نجا الحنبلي وهو قوله:

مَشِيبُكَ قَدْ مَحَا صُنْعَ الشَّبَابِ ... وَحَلَّ البَازُ فِي وَكْرِ الغُرَابِ
تَنَامُ وَمُقْلَةُ الحَدَثَانِ يَقْظَى ... وَمَا نَابُ النَّوَائِبِ عَنْكَ نَابِ
وَكَيْفَ نَفَاذُ عُمْرِكَ وَهْوَ كَنْزٌ ... وَقَدْ أَنْفَقْتَ مِنْهُ بِلا حِسَابِ

وله:

كَمْ ذَا يُرِينَا الدَّهْرُ مِنْ أَحْدَاثِهِ ... عِبَراً وَفِينَا الصَّدُّ وَالإِعْرَاضُ

نَنْسَى المَمَاتَ وَلَيْسَ يَجْرِي ذِكْرُهُ فِينَا فَتُذْكِرُنَا بِهِ الأَمْرَاضُ

ومن شعره أيضاً قوله:

أَبى اللهُ إلاَّ أَنْ يدومَ لَنَا الدَّهْرُ وَيَخْدُمَنَا في مُلْكِنَا العِزُّ وَالنَّصْرُ

عَلِمْنَا بِأَنَّ المَالَ تَفْنَى أُلُوفُهُ وَيَبْقَى لَنَا مِنْ بَعْدِهِ الأَجْرُ وَالذِّكْرُ

خَلَطْنَا النَّدَى بِالبَأْسِ حَتَّى كَأَنَّنَا سَحَابٌ لَدَيْهِ البَرْقُ وَالرَّعْدُ وَالقَطْرُ

وله أيضاً وهو مما نظمه قبل موته بثلاث ليال:

[نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ وَنَوْمٍ وَلِلْمَوْ تِ عُيُونٌ يَقْظَانَةٌ لا تَنَامُ]

قَدْ رَحَلْنَا إِلَى الحِمَامِ سِنِينـاً لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ الحِمَامُ؟

ثم قتله غلمان العاضد في النهار غيلة وله إحدى وستون سنة، وخلع على ولده العادل بالوزارة ورثاه عمارة التميمي بقصائد حسان، ولما نقل إلى تربته بالقرافة سار العاضد معه حتى وصل إلى قبره فدفنه في التابوت.

قال ابن خلكان: فعمل الفقيه عمارة في التابوت قصيدة فجار فيها في قوله:

وَكَأَنَّهُ تَابُوتُ مُوسَى أُودِعَتْ فِي جَانِبَيْهِ سَكِينَةٌ وَوَقَارُ

وفيها كانت وقعة عظيمة بين بني خفاجة وأهل الكوفة، فقتلوا من أهل الكوفة خلقاً، منهم الأمير قيصر وجرحوا أمير الحاج برغش جراحات، فنهض إليهم وزير الخلافة عون الدين بن هبيرة، فتبعهم حتى أوغل خلفهم في البرية في جيش كثيف، فبعثوا يطلبون العفو. وفيها ولي مكة الشريف عيسى بن قاسم بن أبي هاشم، وقيل قاسم، بن أبي فليتة بن قاسم بن أبي هاشم. وفيها أمر الخليفة بإزالة الدكاكين التي تضيق الطرقات، وأن لا يجلس أحد من الباعة في عرض الطرقات، لئلا يضر ذلك بالمارة. وفيها وقع رخص عظيم ببغداد جداً. وفيها فتحت المدرسة التي بناها ابن الشمحل في المأمونية ودرس فيها أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني الحنبلي، وقد توفي من آخر هذه السنة، ودرس بعده فيها أبو الفرج بن الجوزي، وقد كان عنده معيداً، ونزل عن تدريس آخر بباب الأزج عند موته والله تعالى أعلم بالصواب.

وممن توفي فيها من الأعيان:

حمزة بن علي بن طلحة

أبو الفتوح الحاجب، وكان خصيصاً عند المسترشد والمقتفي، وقد بنى مدرسة إلى جانب داره، وحج فرجع متزهداً ولزم بيته معظماً نحواً من عشرين سنة. وقد امتدحه الشعراء فقال فيه بعضهم:

يَا عَضُدَ الإِسْلامِ يَا مَنْ سَمَتْ إِلَى العُلا هِمَّتُهُ الفَاخِرَةْ

كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَرْضَهَا مِلْكاً فَأَخْلَدْتَ إِلَى الآخِرَةْ

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة

فيها دخلت الكرج بلاد المسلمين فقتلوا خلقاً من الرجال وأسروا من الذراري، فاجتمع ملوك تلك الناحية: ايلدكز صاحب أذربيجان وابن سكمان صاحب خلاط، وابن آقسنقر صاحب مراغة، وساروا إلى بلادهم في السنة الآتية فنهبوها، وأسروا ذراريهم، والتقوا معهم فكسروهم كسرة فظيعة منكرة، مكثوا يقتلون فيهم ويأسرون ثلاثة أيام. وفي رجب أعيد يوسف الدمشقي إلى تدريس النظامية بعد عزل ابن نظام الملك بسبب أن امرأة ادعت أنه تزوجها فأنكر ثم اعترف، فعزل عن التدريس. وفيها كملت المدرسة التي بناها الوزير ابن هبيرة بباب البصرة، ورتب فيها مدرساً وفقيهاً، وحج بالناس أمير الكوفة برغش.

وممن توفي فيها من الأعيان:

شجاع شيخ الحنفية

ودفن عند المشهد وكان شيخ الحنفية بمشهد أبي حنيفة وكان جيد الكلام في النظر أخذ عنه الحنفية.

صدقة ابن وزير الواسطي

دخل بغداد ووعظ بها وأظهر تقشفاً، وكان يميل إلى التشيّع وعلم الكلام، ومع هذا كله راج عند العوام وبعض الأمراء، وحصل له فتوح كثير، ابتنى منه رباطاً ودفن فيه سامحه الله تعالى آمين.

زمرد خاتون

بنت جاولي أخت الملك دقماق بن تتش لأمه، وهي بانية الخاتونية ظاهر دمشق عند قرية صنعاء بمكان يقال له تل الثعالب، غربي دمشق، على جانب الشرق القبلي بصنعاء الشام، وهي قرية معروفة قديماً، وأوقفتها على الشيخ برهان الدين علي بن محمد البلخي الحنفي المتقدم ذكره، وكانت زوجة الملك بوري بن طغتكين، فولدت له ابنيه شمس الملوك إسماعيل المذكور، وقد ملك بعد أبيه وسار سيرته، ومالأ الفرنج على المسلمين وهم بتسليم البلد والأموال إليهم فقتلوه، وتملّك أخوه وذلك بعد مراجعتها ومساعدتها، وقد كانت قرأت القرآن، وسمعت الحديث، وكانت حنفية المذهب تحب العلماء والصالحين، وقد تزوجها الأتابكي زنكي صاحب حلب طمعاً في أن يأخذ بسببها دمشق فلم يظفر بذلك، بل ذهبت إليه إلى حلب ثم عادت إلى دمشق بعد وفاته، وقد دخلت بغداد وسارت من هناك إلى الحجاز، وجاورت بمكة سنة، ثم جاءت فأقامت بالمدينة النبوية حتى ماتت بها ودفنت بالبقيع في هذه السنة، وقد كانت كثيرة البر والصدقات والصلاة والصوم.

قال السبط: ولم تمت حتى قل ما بيدها، وكانت تغربل القمح والشعير وتتقوّت بأجرته، وهذا من تمام الخير والسعادة وحسن الخاتمة رحمها الله تعالى، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

فيها مات صاحب المغرب عبد المؤمن بن علي بن التومرتي، وخلفه في الملك من بعده ابنه يوسف وحمل أباه إلى مراكش على صفة أنه مريض، فلما وصلها أظهر موته فعزاه الناس وبايعوه على الملك من بعد أبيه، ولقبوه أمير المؤمنين، وقد كان عبد المؤمن هذا حازماً شجاعاً، جواداً معظماً للشريعة، وكان من لا يحافظ على الصلوات في زمانه يقتل، وكان إذا أذن المؤذن وقبل الأذان يزدحم الخلق في المساجد، وكان حسن الصلاة ذا طمأنينة فيها، كثير الخشوع. ولكن كان سفّاكاً للدماء، حتى على الذنب الصغير، فأمره إلى الله يحكم فيه بما يشاء. وفيها قتل سيف الدين محمد بن علاء الدين الغزي، قتله الغز، وكان عادلاً. وفيها كبست الفرنج نور الدين وجيشه فانهزم المسلمون لا يلوي أحد على أحد، ونهض الملك نور الدين فركب فرسه والشبحة في رجله فنزل رجل كردي فقطعها فسار نور الدين فنجا، وأدركت الفرنج ذلك الكردي فقتلوه رحمه الله، فأحسن نور الدين إلى ذريته، وكان لا ينسى ذلك له. وفيها أمر الخليفة بإجلاء بني أسد عن الحلة وقتل من تخلف منهم، وذلك لإفسادهم ومكاتبتهم السلطان محمد شاه، وتحريضهم له على حصار بغداد، فقتل من بني أسد أربعة آلاف، وخرج الباقون منها، وتسلم نواب الخليفة الحلة. وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير:

وممن توفي فيها من الأعيان السلطان الكبير.

أبو محمد عبد المؤمن بن علي

القيسي الكوفي تلميذ ابن التومرت، كان أبوه يعمل في الطين فاعلاً، فحين وقع نظر ابن التومرت عليه أحبه وتفرس فيه أنه شجاع سعيد، فاستصحبه فعظم شأنه، والتفت عليه العساكر التي جمعها ابن التومرت من المصامدة وغيرهم، وحاربوا صاحب مراكش علي بن يوسف بن تاشفين، ملك الملثمين، واستحوذ عبد المؤمن على وهران وتلمسان وفاس وسلا وسبتة، ثم حاصر مراكش أحد عشر شهراً فافتتحها في سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة، وتمهدت له الممالك هنالك، وصفا له الوقت وكان عاقلاً وقوراً شكلاً حسناً محباً للخير، توفي في هذه السنة ومكث في الملك ثلاثاً وثلاثين سنة، وكان يسمي نفسه أمير المؤمنين رحمه الله.

طلحة بن علي

ابن طراد، أبو أحمد الزينبي، نقيب النقباء، مات فجأة وولي النقابة بعده ولده أبو الحسن علي وكان أمرد فعزل وصودر في هذه السنة.

محمد بن عبد الكريم

ابن إبراهيم، أبو عبد الله المعروف بابن الأنباري كاتب الإنشاء ببغداد، كان شيخاً

حسناً ظريفاً وانفرد بصناعة الإنشاء، وبعث رسولاً إلى الملك سنجر وغيره، وخدم الملوك والخلفاء، وقارب التسعين. ومن شعره في محبّي الدنيا والصور:

يَا مَنْ هَجَرْتَ وَلا تُبَالِي هَلْ تَرْجِعُ دَوْلَةُ الوِصَالِ
هَلْ أَطْمَعُ يَا عَذَابَ قَلْبِي أَنْ يَنْعُمَ فِي هَوَاكِ بَالِي
مَا ضَرَّكِ أَنْ تُعَلِّلِينِي فِي الوَصْلِ بِمَوْعِدِ المُحَالِ
أَهْوَاكِ وَأَنْتِ حَظُّ غَيْرِي يَا قَاتِلَتِي فَمَا احْتِيَالِي
أَيَّامُ عَنَائِي قَبْلُ سُودٌ مَا أَشْبَهَهُنَّ بِاللَّيَالِي
العُذَّلُ فِيكِ يَعْذِلُونِي عَنْ حُبِّكِ مَا لَهُمْ وَمَا لِي
يَا مُلْزِمِنِي السُّلُوَّ عَنْهَا الصَّبُّ أَنَا وَأَنْتَ سَالِي
وَالقَوْلُ بِتَرْكِهَا صَوَابٌ مَا أَحْسَنَهُ لَوِ اسْتَوَى لِي
طَلَّقْتُ تَجَلُّدِي ثَلاثاً وَالصَّبْوَةُ بَعْدُ فِي خَيَالِي[1]

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة

فيها قدم شاور بن مجير الدين أبو شجاع السعدي الملقّب بأمير الجيوش، وهو إذ ذاك وزير الديار المصرية بعد آل رزيك، لما قتل الناصر رزيك بن طلائع، وقام في الوزارة بعده، واستفحل أمره فيها، ثار عليه أمير يقال له الضرغام بن سوار، وجمع له جموعاً كثيرة، واستظهر عليه وقتل ولديه طيباً وسليمان، وأسر الثالث وهو الكامل بن شاور، فسجنه ولم يقتله، ليدٍ كانت لأبيه عنده، واستوزر ضرغام ولقب بالمنصور، فخرج شاور من الديار المصرية هارباً من العاضد ومن ضرغام، ملتجئاً إلى نور الدين محمود، وهو نازل بجوسق[2] الميدان الأخضر، فأحسن ضيافته وأنزله بالجوسق المذكور، وطلب شاور منه عسكراً ليكونوا معه ليفتح بهم الديار المصرية، وليكون لنور الدين ثلث مغلّها، فأرسل معه جيشاً عليه أسد الدين شيركوه بن شادي، فلما دخلوا بلاد مصر خرج إليهم الجيش الذي بها فاقتتلوا أشد القتال، فهزمهم أسد الدين وقتل منهم خلقاً، وقتل ضرغام بن سوار وطيف برأسه في البلاد، واستقر أمر شاور في الوزارة، وتمهد حاله، ثم اصطلح العاضد وشاور على أسد الدين، ورجع عما كان عاهد عليه نور الدين، وأمر أسد الدين بالرجوع فلم يقبل منه، وعاث في البلاد، وأخذ أموالاً كثيرة، وافتتح بلداناً كثيرة من الشرقية وغيرها، فاستغاث شاور عليهم بملك الفرنج الذي بعسقلان، واسمه مري، فأقبل في خلق كثير فتحول أسد الدين إلى بلبيس وقد حصنها وشحنها بالعدد والآلات وغير ذلك، فحصروه فيها ثمانية أشهر، وامتنع أسد

(١) الصبة: حدة الشباب وطيشه.

(٢) الجوسق: القصر.

الدين وأصحابه أشد الامتناع، فبينما هم على ذلك إذ جاءت الأخبار بأن الملك نور الدين قد اغتنم غيبة الفرنج فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقاً كثيراً، وفتح حارم وقتل من الفرنج بها خلقاً، وسار إلى بانياس، فضعف صاحب عسقلان الفرنجي، وطلبوا من أسد الدين الصلح فأجابهم إلى ذلك، وقبض من شاور ستين ألف دينار، وخرج أسد الدين وجيشه فساروا إلى الشام في ذي الحجة منها.

وقعة حارم

فتحت في رمضان من هذه السنة، وذلك أن نور الدين استغاث بعساكر المسلمين فجاؤوه من كل فج [عميق][1] ليأخذ ثأره من الفرنج، فالتقى معهم على حارم فكسرهم كسرة فظيعة، وأسر البرنس بيمند صاحب أنطاكية، والقومص صاحب طرابلس، والدوك صاحب الروم، وابن جوسليق، وقتل منهم عشرة آلاف، وقيل عشرين ألفاً، وفي ذي الحجة منها فتح نور الدين مدينة بانياس، وقيل إنه إنما فتحها في سنة ستين فالله أعلم. وكان معه أخوه نصر الدين أمير أميران، فأصابه سهم في إحدى عينيه فأذهبها، فقال له الملك نور الدين: لو نظرت لما أعد الله لك من الأجر في الآخرة لأحببت أن تذهب الأخرى. وقال لابن معين الدين: إنه اليوم بردت جلدة والدك من نار جهنم، لأنه كان سلمها للفرنج، فصالحه عن دمشق. وفي شهر ذي الحجة احترق قصر جيرون حريقاً عظيماً، فحضر في تلك الليلة الأمراء منهم أسد الدين شيركوه، بعد رجوعه من مصر، وسعى سعياً عظيماً في إطفاء هذه النار وصون حوزة الجامع منها.

وممن توفي فيها من الأعيان:

جمال الدين

وزير صاحب الموصل، قطب الدين مودود بن زنكي، كان كثير المعروف، واسمه محمد ابن علي بن أبي منصور، أبو جعفر الأصبهاني، الملقب بالجمال، كان كثير الصدقة والبر، وقد أثر آثاراً حسنة بمكة والمدينة، من ذلك أنه ساق عيناً إلى عرفات، وعمل هناك مصانع، وبنى مسجد الخيف ودرجه، وعملها بالرخام، وبنى على المدينة النبوية سوراً، وبنى جسراً على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت، والحديد والرصاص، وبنى الربط الكثيرة، وكان يتصدق كل يوم في بابه بمائة دينار، ويفتدي من الأسارى في كل سنة بعشرة آلاف دينار، وكان لا تزال صدقاته، وافدة إلى الفقهاء والفقراء، حيث كانوا من بغداد وغيرها من البلاد، وقد حبس في سنة ثمان وخمسين، فذكر ابن الساعي في تاريخه عن شخص كان معه في السجن أنه نزل إليه طائر أبيض قبل موته فلم يزل عنده وهو يذكر الله حتى توفي في شعبان من هذه السنة، ثم طار عنه ودفن في رباط بناه لنفسه بالموصل، وقد كان بينه وبين أسد الدين شيركوه بن شادي مواخاة

(١) سقط في ط.

وعهد أيهما مات قبل الآخر أن يحمله إلى المدينة النبوية، فحمله إليها من الموصل على أعناق الرجال، فما مروا به على بلدة إلا صلوا عليه وترحموا عليه، وأثنوا خيراً، فصلوا عليه بالموصل وتكريت وبغداد والحلة و الكوفة وفيد ومكة وطيف به حول الكعبة، ثم حمل إلى المدينة النبوية فدفن بها في رباط بناه شرقي مسجد النبي ﷺ.

قال ابن الجوزي وابن الساعي: ليس بينه وبين حرم النبي ﷺ وقبره سوى خمسة عشر ذراعاً.

قال ابن الساعي: ولما صلي عليه بالحلة صعد شابٌ نشزاً[1] فأنشد:

سَرَى نَعْشُه فَوْقَ الرِّقَابِ وَطَالَمَا ... سَرَى جُودُهُ فَوْقَ الرِّكَابِ وَنَائِلُهُ[2]

يَمُرُّ عَلَى الوَادِي فَتُثْنِي رِمَالُهُ ... عَلَيْهِ وَبِالنَّادِي فَتُثْنِي أَرَامِلُهْ

وممن توفي بعد الخمسين.

ابن الخازن الكاتب

أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق أبو الفضل المعروف بابن الخازن الكاتب البغدادي الشاعر. كان يكتب جيداً فائقاً، اعتنى بكتابة الختمات، وأكثر ابنه أبو الفتح نصر الله من كتابة المقامات، وجمع لابنه ديوان شعر أورد منه ابن خلكان قطعة كبيرة.

ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة [من الهجرة النبوية][3]

في صفر منها وقعت بأصبهان فتنة عظيمة بين الفقهاء بسبب المذاهب دامت أياماً، وقتل فيها خلق كثير. وفيها كان حريق عظيم ببغداد فاحترقت محالّ كثيرة جداً، وذكر ابن الجوزي أن في هذه السنة ولدت امرأة ببغداد أربع بنات في بطن واحد.

وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عمر بن بهليقا

الطحان الذي جدد جامع العقيبة ببغداد، واستأذن الخليفة في إقامة الجمعة فيه، فأذن له في ذلك، وكان قد اشترى ما حوله من القبور فأضاف ذلك إليه، ونبش الموتى منها، فقيض الله له من نبشه من قبره بعد دفنه، جزاءً وفاقاً.

محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد

أبو عبد الله الحراني، كان آخر من بقي من الشهود المقبولين عند أبي الحسن

---

(١) النشز: المكان المرتفع من الأرض. (٢) النائل: العطاء.

(٣) سقط في ط.

الدامغاني، وقد سمع الحديث، وكان لطيفاً ظريفاً، جمع كتاباً سماه روضة الأدباء، فيها نتف حسنة.

قال ابن الجوزي: زرته يوماً فأطلت الجلوس عنده فقلت: أقوم فقد ثقلت، فأنشدني:

لَـئِـنْ سَـئِـمـت إبْـرَامـاً وَثِـقْـلاً ... زَيَـاراتٍ رَفَـعْـتَ بِـهِـنَّ قَـدْرِي[١]

فَـمَـا أَبْـرَمْـتَ[٢] إلاّ حَـبْـلَ وُدِّي ... وَلا ثَـقَّـلْـتَ إلا ظَـهْـرَ شُـكْـرِي

مرجان الخادم

كان يقرأ القراءات، وتفقه لمذهب الشافعي، وكان يتعصب على الحنابلة، ويكرههم، ويعادي الوزير ابن هبيرة وابن الجوزي معاداة شديدة، ويقول لابن الجوزي: مقصودي قلع مذهبكم، وقطع ذكركم. ولما توفي ابن هبيرة في هذه السنة قوي على ابن الجوزي وخافه ابن الجوزي، فلما توفي في هذه السنة فرح ابن الجوزي فرحاً شديداً، توفي في ذي القعدة منها.

ابن التلميذ

الطبيب الحاذق الماهر، اسمه هبة الله بن صاعد توفي عن خمس وتسعين سنة، وكان موسعاً عليه في الدنيا، وله عند الناس وجاهة كبيرة، وقد توفي قبحه الله على دينه، ودفن بالبيعة العتيقة، لا رحمه الله، إن كان مات نصرانياً، فإنه كان يزعم أنه أسلم، ثم مات على دينه.

الوزير ابن هبيرة

يحيى بن محمد بن هبيرة، أبو المظفر الوزير للخلافة عون الدين، مصنف كتاب الإفصاح، قد قرأ القرآن وسمع الحديث، وكانت له معرفة جيدة بالنحو اللغة والعروض، وتفقه على مذهب الإمام أحمد، وصنف كتباً جيدة مفيدة، من ذلك الإفصاح في مجلدات، شرح فيه الحديث وتكلم على مذاهب العلماء، وكان على مذهب السلف في الاعتقاد، وقد كان فقيراً لا مال له، ثم تعرض للخدمة إليه أن وزّر للمقتفي ثم لابنه المستنجد، وكان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة، وأبعدهم عن الظلم، وكان لا يلبس الحرير، وكان المقتفي يقول ما وزر لبني العباس مثله، وكذلك ابنه المستنجد، وكان المستنجد معجباً به، قال مرجان الخادم سمعت أمير المؤمنين المستنجد ينشد لابن هبيرة وهو بين يديه من شعره:

صَـفَـتْ نِـعْـمَـتَـان خَـصَّـتَـاك وَعَـمَّـتَـا ... ذكْـرُهُـمَـا حَـتَّـى الـقِـيَـامَـةِ يُـذْكَـرُ

وُجُـودُكَ وَالـدُّنْـيَـا إلَـيْـكَ فَـقِـيـرَةٌ ... وَجُـودُكَ وَالـمَـعْـرُوفُ فـي الـنَّـاسِ يُـنْـكَـرُ

فَـلَـوْ رَامَ يَـا يَـحْـيَـى مَـكَـانَـكَ جَـعْـفَـرٌ ... وَيَـحْـيَـى لَـكَـفَّـا عَـنْـهُ يَـحْـيَـى وَجَـعْـفَـرُ[٣]

وَلَـمْ أرَ مَـنْ يَـنْـوِي لَـكَ الـسُّـوءَ يـا أبـا الـ ... مُـظَـفَّـرِ إلاّ كُـنْـتَ أَنْـتَ الـمُـظَـفَّـرُ

وقد كان يبالغ في إقامة الدولة العباسية، وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل

(١) البرم: الملل. (٢) أبرمت: عقدت. (٣) رام: أراد وتمني.

ممكن، حتى استقرت الخلافة في العراق كله، ليس للملوك معهم حكم بالكلية ولله الحمد. وكان يعقد في داره للعلماء مجلساً للمناظرة يبحثون فيه ويناظرون عنده يستفيد منهم ويستفيدون منه، فاتفق يوماً أنه كلم رجلاً من الفقهاء كلمة فيها بشاعة قال له: يا حمار، ثم ندم فقال: أريد أن تقول لي كما قلت لك، فامتنع ذلك الرجل، فصالحه على مائتي دينار. مات فجأة، ويقال إنه سمه طبيب فسم ذلك الطبيب بعد ستة أشهر، وكان الطبيب يقول سممته فسممت. مات يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى من هذه السنة، عن إحدى وستين سنة، وغسله ابن الجوزي، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير جداً، وغلقت الأسواق، وتباكى الناس عليه، ودفن بالمدرسة التي أنشأها بباب البصرة رحمه الله. وقد رثاه الشعراء بمراثٍ كثيرة.

ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمائة

فيها فتح نور الدين محمود حصن المنيطرة [من الشام] وقتل عنده خلق كثير من الفرنج، وغنم أموالاً جزيلة. وفيها هرب عز الدين ابن الوزير ابن هبيرة من السجن، ومعه مملوك تركي، فنودي عليه في البلد من رده فله مائة دينار، ومن وجد عنده هدمت داره وصلب على بابها، وذبحت أولاده بين يديه، فدلهم رجل من الأعراب عليه فأخذ من بستان فضرب ضرباً شديداً وأعيد إلى السجن وضيق عليه. وفيها أظهر الروافض سب الصحابة وتظاهر بأشياء منكرة، ولم يكونوا يتمكنون منها في هذه الأعصار المتقدمة، خوفاً من ابن هبيرة، ووقع بين العوام كلام فيما يتعلق بخلق القرآن. وحج بالناس برغش والله أعلم.

وممن توفي من الأعيان:

الحسن بن العباس

ابن أبي الطيب بن رستم، أبو عبد الله الأصبهاني، كان من كبار الصالحين البكائين، قال: حضرت يوماً مجلس ما شاده وهو يتكلم على الناس فرأيت رب العزة في تلك الليلة وهو يقول لي: وقفت على مبتدع وسمعت كلامه؟ لأحرمنّك النظر في الدنيا، فأصبح لا يبصر وعيناه مفتوحتان كأنه بصير.

عبد العزيز بن الحسن

ابن الحباب الأغلبي السعدي القاضي، أبو المعالي المصري، المعروف بابن الجليس، لأنه كان يجالس صاحب مصر، وقد ذكره العماد في الخريدة، وقال: وكان له فضل مشهور وشعر مأثور فمن ذلك قوله:

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ السُّيُوفَ لَدَيْهِمُ ... تَحِيضُ دِمَاءً وَالسُّيُوفُ ذُكُورُ

(١) أي أن سيوفهم تقطر دماً، وشبه ذلك بأنها تحيض مع أن السيف مذكر.

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهَا فِي أَكُفِّهِمْ تَأَجَّجُ نَاراً وَالأَكُفُّ بُحُورُ

الشيخ عبد القادر الجيلي

ابن أبي صالح أبو محمد الجيلي، ولد سنة سبعين وأربعمائة، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي، وكان قد بنى مدرسة ففوضها إلى الشيخ عبد القادر، فكان يتكلم على الناس بها، ويعظهم، وينتفع به الناس انتفاعاً كثيراً، وكان له سمت حسن، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان فيه تزهد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات أكثرها مغالاة، وقد كان صالحاً ورعاً، وقد صنف كتاب الغنية وفتوح الغيب، وفيهما أشياء حسنة، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة، وبالجملة كان من سادات المشايخ، [الكبار قدس الله روحه ونوَّر ضريحه[١]، كانت وفاته ليلة السبت ثامن شهر ربيع الآخر من هذه السنة][٢] وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له.

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة

فيها أقبلت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية، وساعدهم المصريون فتصرفوا في بعض البلاد، فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها، وكان كثير الحنق على الوزير شاور، فأذن له فسار إليها في ربيع الآخر ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد وقع في النفوس أنه سيملك الديار المصرية، وفي ذلك يقول عرقلة المسمى بحسان الشاعر:

وذي الأتْرَاكُ قَدْ أَزْمَعَتْ[٣] مِصْرَ إِلَى حَرْبِ الأَعَارِيبِ
رَبُّ كَمَا مَلَّكْتَهَا يُوسُفَ الصِّدِّيقَ مِنْ أَوْلادِ يَعْقُوبِ
فَمَلِّكْهَا فِي عَصْرِنَا يُوسُفَ الصَّادِقَ مِنْ أَوْلادِ أَيُّوبِ
مَنْ لَمْ يَزَلْ ضَرَّابَ هَامِ العِدَا حَقّاً وَضَرَّابَ العَرَاقِيبِ[٤]

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه بعث إلى الفرنج فجاؤوا من كل فجٍّ[٥] إليه، وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم، وإنما معه ألفا فارس، فاستشار من معه من الأمراء فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى نور الدين، لكثرة الفرنج، إلا أميراً واحداً يقال له شرف الدين برغش، فإنه قال: من خاف القتل والأسر فليقعد في بيته عند زوجته، ومن أكل أموال [المسلمين][٦] فلا يسلم بلادهم إلى العدو، وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين

(١) الضريح: القبر. (٢) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٣) أزمعت: قصدت.
(٤) العراقيب: جمع عرقوب، وهو عصب غليظ فوق العقب، ومن الدابة في رجلها كالركبة في يدها.
(٥) الفج: الناحية والمكان. (٦) في ط: الناس.

يوسف الدين أيوب، فعزم الله لهم فساروا نحو الفرنج فاقتتلوا هم وإياهم قتالاً عظيماً، فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة، [فكسروا الفرنج][1] وهزموهم، ثم قتلوا منهم خلقاً لا يعلمهم إلا الله عزّ وجلّ، ولله الحمد والمنة.

فتح الإسكندرية على يدي أسد الدين شيركوه

ثم أشار أسد الدين بالمسير [إلى الإسكندرية] فملكها وجبى أموالها، واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف وعاد إلى الصعيد فملكه، وجمع منه أموالاً جزيلة جداً، ثم إن الفرنج والمصريين اجتمعوا على حصار الإسكندرية ثلاثة أشهر لينتزعوها من يد صلاح الدين، وذلك في غيبة عمه في الصعيد، وامتنع بها صلاح الدين أشد الامتناع، ولكن ضاقت عليهم الأقوات وضاق عليهم الحال جداً، فسار إليهم أسد الدين فصالحه شاور الوزير عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار، فأجابه إلى ذلك، وخرج صلاح الدين منها وسلمها إلى المصريين، وعاد إلى الشام في منتصف شوال، وقرر شاور للفرنج على مصر في كل سنة مائة ألف دينار، وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة، وعادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين أعقبهم في بلادهم، وفتح من بلادهم حصوناً كثيرة، وقتل منهم خلقاً من الرجال، وأسر جماً غفيراً من النساء والأطفال، وغنم شيئاً كثيراً من الأمتعة والأموال ولله الحمد. وكان معه أخوه قطب الدين مودود فأطلق له الرقة فسار فتسلمها. وفيها في شعبان منها كان قدوم العماد الكاتب من بغداد إلى دمشق، وهو أبو حامد محمد بن محمد الأصبهاني، صاحب الفتح القدسي، والبرق الشامي، والخريدة، وغير ذلك من المصنفات، فأنزله قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري بالمدرسة النورية الشافعية داخل باب الفرج، فنسبت إليه لسكناه بها، فيقال لها العمادية، ثم ولي تدريسها في سنة سبع وستين بعد الشيخ الفقيه ابن عبد[2] وأول من جاء للسلام عليه نجم الدين أيوب كانت له به معرفة من تكريت، فامتدحه العماد بقصيدة ذكرها أبو شامة، وكان أسد الدين وصلاح الدين بمصر فبشره فيها بولاية صلاح الدين الديار المصرية حيث يقول:

وَيَسْتَقِرُّ بِمِصْرَ يُوسُفُ وَبِهِ ... تَقَرُّ بَعْدَ التَّنَائِي عَيْنُ يَعْقُوبِ
وَيَلْتَقِي يُوسُفٌ فِيهَا بِإِخْوَتِهِ ... وَاللهُ يَجْمَعُهُمْ مِنْ غَيْرِ تَثْرِيبِ[3]

ثم تولى عماد الدين كتابة الإنشاء للملك نور الدين محمود رحمه الله بمنه وكرمه.

وممن توفي فيها من الأعيان:

برغش أمير الحاج سنين متعددة:

كان مقدماً على العساكر، خرج من بغداد لقتال شملة التركماني فسقط عن فرسه فمات.

---

(١) سقط في ط.
(٢) بياض بنسخة الأستانة، ولم يكن بالمصرية بياض.
(٣) التثريب: اللوم.

أبو المعالي الكاتب

محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، صاحب التذكرة الحمدونية، وقد ولي ديوان الزمام مدة، توفي في ذي القعدة ودفن بمقابر قريش.

الرشيد الصدفي

كان يجلس بين يدي العبادي على الكرسي، كانت له شيبة وسمت ووقار، وكان يدمن حضور السماعات، ويرقص، فاتفق أنه مات وهو يرقص في بعض السماعات سامحه الله سبحانه وتعالى.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة

في صفر منها وصل شرف الدين أبو جعفر بن البلدي من واسط إلى بغداد، فخرج الجيش لتلقيه والنقيبان والقاضي، ومشى الناس بين يديه إلى الديوان فجلس في دست الوزارة، وقرىء عهده [وكان يوماً مشهوداً][١] ولقب بالوزير شرف الدين جلال الإسلام معز الدولة سيد الوزراء صدر الشرق والغرب. وفيها أفسدت خفاجة في البلاد ونهبوا القرى، فخرج إليهم جيش من بغداد فهربوا في البراري فانحسر الجيش عنهم خوفاً من العطش، فكروا على الجيش فقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين، وكان قد أسر الجيش منهم خلقاً فصلبوا على الأسوار. وفي شوال منها وصلت امرأة الملك نور الدين محمود بن زنكي إلى بغداد تريد الحج من هناك، وهي الست عصمة الدين خاتون بنت معين الدين ومعها الخادم والخدام وفيهم صندل الخادم، وحملت لها الأمانات وأكرمت غاية الإكرام. وفيها مات قاضي قضاة بغداد جعفر فشغر البلد عن حاكم ثلاثاً وعشرين يوماً، حتى ألزموا روح بن الحدثني قضاء القضاة في رابع رجب.

[وحج بالناس والله تعالى أعلم][٢].

وممن توفي فيها من الأعيان:

جعفر بن عبد الواحد

أبو البركات الثقفي، قاضي قضاة بغداد بعد أبيه، ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وسبب وفاته أنه طلب منه مال وكلمه الوزير ابن البلدي كلاماً خشناً فخاف فرمى الدم ومات رحمه الله وأباه.

أبو سعد السمعاني

عبد الكريم بن محمد بن منصور، أبو سعد السمعاني، رحل إلى بغداد فسمع بها

---

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

وذيل على تاريخها للخطيب البغدادي، وقد ناقشه ابن الجوزي في المنتظم، وذكر عنه أنه كان يتعصب على أهل مذهبه، ويطعن في جماعة منهم، وأنه يترجم بعبارة عامية، مثل قوله عن بعض الشيخات إنها كانت عفيفة. وعن الشاعر المشهور بحيص بيص إنه كانت له أخت يقال لها دخل خرج، وغير ذلك.

عبد القاهر بن محمد

ابن عبد الله أبو النجيب السهروردي، كان يذكر أنه من سلالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سمع الحديث وتفقه وأفتى ودرس بالنظامية وابتنى لنفسه مدرسة ورباطاً، وكان مع ذلك متصوفاً يعظ الناس، ودفن بمدرسته.

محمد بن عبد الحميد

ابن أبي الحسين أبو الفتح الرازي، المعروف بالعلاء العالم، وهو من أهل سمرقند، وكان من الفحول في المناظرة، وله طريقة في الخلاف والجدل، يقال لها التعليقة العالمية.

قال ابن الجوزي: وقد قدم بغداد وحضر مجلسي.

وقال أبو سعد السمعاني: كان يدمن شرب الخمر. وقال وكان يقول ليس في الدنيا أطيب من كتاب المناظرة وباطية[1] من خمر أشرب منها.

وقال ابن الجوزي: ثم بلغني عنه أنه أقلع عن شرب الخمر والمناظرة وأقبل على النسك والخير رحمه الله تعالى.

يوسف بن عبد الله

ابن بندار الدمشقي، مدرس النظامية ببغداد، تفقه على أسعد الميهني، وبرع في المناظرة، يتعصب للأشعرية، وقد بعث رسولاً في هذه السنة إلى شملة التركماني فمات في تلك البلاد.

ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة

فيها كان فتح مصر على يدي الأمير أسد الدين شيركوه وفيها طغت الفرنج بالديار المصرية، وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة لهم بها، وتحكموا في أموالها ومساكنها أفواجاً أفواجاً، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين، وقد سكنها أكثر شجعانهم، فلما سمع الفرنج بذلك جاؤوا إليها من كل فج وناحية صحبة مري ملك عسقلان في جحافل هائلة، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس وقتلوا من أهلها خلقاً وأسروا آخرين، ونزلوا بها وتركوا بها أثقالهم، وجعلوها موئلاً ومعقلاً لهم، ثم ساروا فنزلوا على القاهرة من ناحية باب البرقية، فأمر الوزير شاور الناس أن يحرقوا مصر، وأن ينتقل الناس

---

(١) الباطيّة: وعاء الخمر وإناؤه.

منها إلى القاهرة، فنهبوا البلد وذهب للناس أموال كثيرة جداً، وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوماً، فإنا لله وإنا إليه راجعون فعند ذلك أرسل صاحبها العاضد يستغيث بنور الدين، وبعث إليه بشعور نسائه يقول أدركني واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج، والتزم له بثلث خراج مصر على أن يكون أسد الدين مقيماً بها عندهم، والتزم له بإقطاعات زائدة على الثلث، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش إلى مصر، فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين أرسل إلى ملك الفرنج يقول له قد عرفت محبتي ومودتي لكم، ولكن العاضد والمسلمين لا يوافقوني على تسليم البلد، وصالحهم ليرجعوا عن البلد بألف ألف دينار، وعجل لهم من ذلك ثمانمائة ألف دينار، فانشمروا راجعين إلى بلادهم خوفاً من عساكر نور الدين، وطمعاً في العودة إليها مرة ثانية، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران:٥٤]. ثم شرع الوزير شاور في مطالبة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج وتحصيله، وضيق على الناس مع ما نالهم من الضيق والحريق والخوف، فجبر الله مصابهم بقدوم عساكر المسلمين عليهم وهلاك الوزير على يديهم، وذلك أن نور الدين استدعى الأمير أسد الدين من حمص إلى حلب فساق إليه هذه المسافة وقطعها في يوم واحد، فإنه قام من حمص بعد أن صلى الصبح ثم دخل منزله فأصاب فيه شيئاً من الزاد، ثم ركب وقت طلوع الشمس فدخل حلب على السلطان نور الدين من آخر ذلك اليوم، ويقال إن هذا لم يتفق لغيره إلا للصحابة، فسر بذلك نور الدين فقدمه على العساكر وأنعم عليه بمائتي ألف دينار وأضاف إليه من الأمراء الأعيان، كل منهم يبتغي بمسيره رضى الله والجهاد في سبيله، وكان من جملة الأمراء ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولم يكن منشرحاً لخروجه هذا بل كان كارهاً له، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦]، وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان، وجعل أسد الدين مقدماً على هذه العساكر كلها، فسار بهم من حلب إلى دمشق ونور الدين معهم، فجهزه من دمشق إلى الديار المصرية، وأقام نور الدين بدمشق، ولما وصلت الجيوش النورية إلى الديار المصرية وجدوا الفرنج قد انشمروا عن القاهرة راجعين إلى بلادهم بالصفقة الخاسرة، وكان وصوله إليها في سابع ربيع الآخر، فدخل الأمير أسد الدين على العاضد في ذلك اليوم فخلع عليه خلعة سنية فلبسها وعاد إلى مخيمه بظاهر البلد، وفرح المسلمون بقدومه، وأجريت عليهم الجرايات، وحملت إليهم التحف والكرامات، وخرج وجوه الناس إلى المخيم خدمة لأسد الدين، وكان فيمن جاء إليه المخيم الخليفة العاضد متنكراً، فأسر إليه أموراً مهمة منها قتل الوزير شاور، وقرر ذلك معه وأعظم أمر الأمير أسد الدين، ولكن شرع يماطل بما كان التزمه للملك نور الدين، وهو مع ذلك يتردد إلى أسد الدين، ويركب معه، وعزم على عمل ضيافة له فنهاه أصحابه عن الحضور خوفاً عليه من غائلته، وشاوروه في قتل شاور فلم يمكنهم الأمير أسد الدين من ذلك، فلما كان في بعض الأيام جاء شاور إلى منزل أسد الدين فوجده قد ذهب لزيارة قبر الشافعي، وإذا ابن أخيه يوسف هنالك فأمر صلاح الدين يوسف بالقبض على الوزير شاور،

ولم يمكنه قتله إلا بعد مشاورة عمه أسد الدين وانهزم أصحابه فأعلموا العاضد لعله يبعث ينقذه، فأرسل العاضد إلى الأمير أسد الدين يطلب منه رأسه، فقتل شاور وأرسلوا برأسه إلى العاضد في سابع عشر ربيع الآخر، ففرح المسلمون بذلك وأمر أسد الدين بنهب دار شاور، فنهبت، ودخل أسد الدين على العاضد فاستوزره وخلع عليه خلعة عظيمة، ولقبه الملك المنصور، فسكن دار شاور وعظم شأنه هنالك، ولما بلغ نور الدين خبر فتح مصر فرح بذلك وقصدته الشعراء بالتهنئة، غير أنه لم ينشرح لكون أسد الدين صار وزيراً للعاضد، وكذلك لما انتهت الوزارة إلى ابن أخيه صلاح الدين، فشرع نور الدين في إعمال الحيلة في إزالة ذلك فلم يتمكن، ولا قدر عليه، ولا سيما أنه بلغه أن صلاح الدين استحوذ على خزائن العاضد كما سيأتي بيانه إن شاء الله، والله أعلم. وأرسل أسد الدين إلى القصر يطلب كاتباً فأرسلوا إليه القاضي الفاضل رجاء أن يقبل منه إذا قال وأفاض فيما كانوا يؤملون، وبعث أسد الدين العمال في الأعمال وأقطع الإقطاعات، وولى الولايات، وفرح بنفسه أياماً معدودات، فأدركه حِمامه[1] في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة، وكانت ولايته شهرين وخمسة أيام، فلما توفي أسد الدين رحمه الله أشار الأمراء الشاميون على العاضد بتولية صلاح الدين يوسف الوزارة بعد عمه، فولاه العاضد الوزارة وخلع عليه خلعة سنية، ولقبه الملك الناصر.

صفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين يومئذ

مما ذكره أبو شامة في الروضتين عمامة بيضاء بطرف ذهب، وثوب دبيقي بطراز ذهب وجبة بطراز ذهب، وطيلسان بطراز مذهبه، وعقد جوهر بعشرة آلاف دينار، وسيف محلى بخمسة آلاف دينار، وحجزة بثمانية آلاف دينار، وعليها طوق ذهب وسرفسار[2] ذهب مجوهر، وفي رأسها مائتا حبة جوهر، وفي قوائمها أربعة عقود جوهر، وفي رأسها قصبة ذهب فيها تندة[3] بيضاء بأعلام بيض ومع الخلعة عدة بقج[4]، وخيل وأشياء أخر، ومنشور الوزارة ملفوف في ثوب أطلس أبيض، وكان ذلك في يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة، من هذه السنة، وكان يوماً مشهوداً، وسار الجيش بكماله في خدمته، لم يتخلف عنه سوى عين الدولة الياروقي وقال: لا أخدم يوسف بعد نور الدين، ثم سار بجيشه إلى الشام فلامه نور الدين على ذلك، وأقام الملك صلاح الدين بمصر بصفة نائب للملك نور الدين، يخطب له على المنابر بالديار المصرية، ويكاتبه بالأمير الاسفهلار صلاح الدين ويتواضع له صلاح الدين في الكتب والعلامة، لكن قد التفت عليه القلوب، وخضعت له النفوس، واضطهد العاضد في أيامه غاية الاضطهاد، وارتفع قدر صلاح الدين بين العباد بتلك البلاد، وزاد في إقطاعات الذين معه فأحبوه واحترموه وخدموه، وكتب إليه

(١) الحمام: الموت. (٢) سرفسار: عقد.
(٣) تندة: مرتفع. (٤) البقجة: الصرة من الثياب ونحوها.

نور الدين يعنفه على قبول الوزارة بدون مرسومه، وأمره أن يقيم حساب الديار المصرية، فلم يلتفت صلاح الدين إلى ذلك وجعل نور الدين يقول في غضون ذلك: ملك ابن أيوب. وأرسل [صلاح الدين] إلى الملك نور الدين يطلب منه أهله وإخوته وقرابته، فأرسلهم إليه وشرط عليهم السمع والطاعة له، فاستقر أمره بمصر وتوطأت دولته بذلك، وكمل أمره وتمكن سلطانه وقويت أركانه. وقد قال بعض الشعراء في قتل صلاح الدين لشاور الوزير:

هَنِيًّا لِمِصْرَ حَوزُ يُوسُفَ مُلْكَهَا بِأَمْرٍ مِنَ الرَّحْمٰن كَانَ مَوْقُوتَا
وَمَا كَانَ فِيهَا قَتْلُ يُوسُفَ شَاوراً يُمَاثِلُ إلا قَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَا

قال أبو شامة: وقتل العاضد في هذه السنة أولاد شاور وهم شجاع الملقب بالكامل والطاري الملقب بالمعظم، وأخوهما الآخر الملقب بفارس المسلمين، وطيف برؤوسهم ببلاد مصر.

ذكر مقتل الطواشي

مؤتمن الخلافة وأصحابه على يدي صلاح الدين، وذلك أنه كتب من دار الخلافة بمصر إلى الفرنج ليقدموا إلى الديار المصرية ليخرجوا منها الجيوش الإسلامية الشامية، وكان الذي يفد بالكتاب إليهم الطواشي، مؤتمن الخلافة، مقدم العساكر بالقصر، وكان حبشياً، وأرسل الكتاب مع إنسان أمن إليه، فصادفه في بعض الطريق من أنكر حاله، فحمله إلى الملك صلاح الدين فقرره، فأخرج الكتاب ففهم صلاح الدين الحال فكتمه، واستشعر الطواشي مؤتمن الدولة أن صلاح الدين قد اطلع على الأمر فلازم القصر مدة طويلة خوفاً على نفسه، ثم عنّ له في بعض الأيام أن خرج إلى الصيد، فأرسل صلاح الدين إليه من قبض عليه وقتله وحمل رأسه إليه، ثم عزل جميع الخدام الذين يلون خدمة القصر، واستناب على القصر عوضهم بهاء الدين قراقوش، وأمره أن يطالعه بجميع الأمور، صغارها وكبارها.

وقعة السودان

وذلك أنه لما قتل الطواشي مؤتمن الخلافة الحبشي، وعزل بقية الخدام غضبوا لذلك، واجتمعوا قريباً من خمسين ألفاً، فاقتتلوا هم وجيش صلاح الدين بين القصرين، فقتل خلق كثير من الفريقين، وكان العاضد ينظر من القصر إلى المعركة، وقد قذف الجيش الشامي من القصر بحجارة، وجاءهم منه سهام فقيل كان ذلك بأمر العاضد، وقيل لم يكن بأمره. ثم إن أخا الناصر نور شاه شمس الدولة ـ وكان حاضراً للحرب قد بعثه نور الدين لأخيه ليشد أزره ـ أمر بإحراق منظرة العاضد، ففتح الباب ونودي أن أمير المؤمنين يأمركم أن تخرجوا هؤلاء السودان من بين أظهركم، ومن بلادكم، فقوي الشاميون وضعف جأش السودان جداً، وأرسل السلطان إلى محلة السودان المعروفة بالمنصورة، التي فيها دورهم وأهلوهم وأولادهم بباب زويلة فأحرقها، فولوا عند ذلك مدبرين، وركبهم السيف فقتل منهم خلقاً

كثيراً، ثم طلبوا الأمان فأجابهم إلى ذلك، وأخرجهم إلى الجيزة، ثم خرج إليهم شمس الدولة نور شاه أخو الملك صلاح الدين فقتل أكثرهم أيضاً، ولم يبق منهم إلا القليل، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا.

وفيها افتتح الملك نور الدين قلعة جعبر وانتزعها من يد صاحبها شهاب الدين مالك بن علي العقيلي وكانت في أيديهم من أيام السلطان ملكشاه. وفيها احترق جامع حلب فجدده نور الدين.

وفيها مات ماروق الذي تنسب إليه المحلة بظاهر حلب.

وممن توفي فيها من الأعيان:

سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي

أبو الحسن الواعظ الحنبلي، ولد سنة ثمانين وأربعمائة، وسمع الحديث وتفقه ووعظ، وكان لطيف الوعظ، وقد أثنى عليه ابن الجوزي في ذلك، وذكر أنه سئل مرة عن أحاديث الصفات فنهى عن التعرض لذلك وأنشد:

أَبَى الغَائِبِ الغَضْبَانُ يا نَفْسُ أَنْ يَرْضَى ... وَأَنْتِ الَّتِي صَيَّرْتِ طَاعَتَهُ فَرْضَا

فَلا تَهْجُرِي مَنْ لا تُطِيقِينَ هَجْرَهُ ... وَإِنْ هَمَّ بِالهِجرانِ خَدَّيْكِ وَالأَرْضَا

وذكر ابن الجوزي عنه أنه قال: خفت مرة من الخليفة فهتف بي هاتف في المنام وقال لي اكتب:

ادْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ الأَيَّامِ ... وَتَرَجَّ لُطْفَ الوَاحِدِ العَلَّامِ

لا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ تَضَايَقَ كَرْبُهَا ... وَرَمَاكَ رَيْبُ صُرُوفِهَا بِسِهَامِ(١)

فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فُرْجَةٌ ... تَخْفَى عَلَى الأَفْهَامِ وَالأَوْهَامِ(٢)

كَمْ مَنْ نَجَا مِنْ بَيْنِ أَطْرَافِ القَنَا ... وَفَرِيسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ الضِّرْغَامِ(٣)

توفي في شعبان منها عن أربع وثمانين سنة، ودفن عند رباط الزوري ثم نقل إلى مقبرة الإمام أحمد.

شاور بن مجير الدين

أبو شجاع السعدي، الملقب أمير الجيوش، وزير الديار المصرية أيام العاضد، وهو الذي انتزع الوزارة من أيدي بني رزيك، وهو أول من استكتب القاضي الفاضل، استدعى به من إسكندرية من باب السدرة فحظي عنه وانحصر منه الكتاب بالقصر، ولما رأوا من فضله وفضيلته. وقد امتدحه الشعراء منهم عمارة اليمني حيث يقول:

(١) الكرب: الهم، والصروف: الغير والحدثان.
(٢) الفرجة: المتسع. (٣) الضرغام: الأسد.

ضَجِرَ الحَدِيدُ مِنَ الحَدِيدِ وَشَاوِرٌ ... فِي نَصْرِ دِينِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَضْجَرِ
حَلَفَ الزَّمَانُ لَيَأْتِيَنَّ بِمِثْلِهِ ... حَنِثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفِّرِ[1]

ولم يزل أمره قائماً إلى أن ثار عليه ضرغام بن سوار فالتجأ إلى نور الدين فأرسل معه الأمير أسد الدين شيركوه فنصروه على عدوه، فنكث عهده[2] فلم يزل أسد الدين حنقاً عليه حتى قتله في هذه السنة، على يدي ابن أخيه صلاح الدين، ضرب عنقه بين يدي الأمير جردنك في السابع عشر من ربيع الآخر، واستوزر بعده أسد الدين، فلم تطل مدته بعده إلا شهرين وخمسة أيام.

قال ابن خلكان: هو أبو شجاع شاور بن مجير الدين بن نزار بن عشائر بن شاس بن مغيث بن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن مخيس بن أبي ذؤيب عبد الله وهو والد حليمة السعدية، كذا قال، وفيما قال نظر لقصر هذا النسب لبعد المدة والله أعلم.

شيركوه بن شاذي

أسد الدين الكردي الزرزاري وهم أشرف شعوب الأكراد، وهو من قرية يقال لها درين من أعمال أذربيجان، خدم هو وأخوه نجم الدين أيوب ـ وكان الأكبر ـ الأمير مجاهد الدين نهروز الخادم شحنة العراق، فاستناب نجم الدين أيوب على قلعة تكريت، فاتفق أن دخلها عماد الدين زنكي هارباً من قراجا الساقي، فأحسنا إليه وخدماه، ثم اتفق أنه قتل رجلاً من العامة فأخرجهما نهروز من القلعة فصارا إلى زنكي بحلب فأحسن إليهما، ثم حظيا عند ولده نور الدين محمود، فاستناب أيوب على بعلبك، وأقره ولده نور الدين، وصار أسد الدين عند نور الدين أكبر أمرائه، وأخصهم عنده وأقطعه الرحبة وحمص مع ما له عنده من الإقطاعات، وذلك لشهامته وشجاعته وصرامته وجهاده في الفرنج، في أيام معدودات ووقعات معتبرات، ولا سيما يوم فتح دمشق، وأعجب من ذلك ما فعله بديار مصر، بلّ الله بالرحمة ثراه وجعل الجنة مأواه، وكانت وفاته يوم السبت فجأة بخانوق حصل له، وذلك في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة رحمه الله.

قال أبو شامة: وإليه تنسب الخانقاة الأسدية بالشرق القبلي، ثم آل الأمر من بعده إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف، ثم استوسق له الملك والممالك هنالك ولله الحمد والمنة.

محمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن أحمد[3]

ابن سليمان المعروف بابن البطي، سمع الحديث الكثير، وأسمع، ورحل إليه، وقارب التسعين رحمه الله تعالى.

---

(١) حنثت: أخطأت، والتكفير: دفع الكفارة عند الإثم.

(٢) نكث العهد: تحلل منه وأخلفه.

(٣) في ط: شاذي.

محمد الفارقي

أبو عبد الله الواعظ، يقال إنه كان يحفظ نهج البلاغة ويعبر ألفاظه، وكان فصيحاً بليغاً يكتب كلامه ويروى عنه كتاب يعرف بالحكم الفارقية.

المعمر بن عبد الواحد

ابن رجاء أبو أحمد الأصبهاني أحد الحفاظ الوعاظ، روى عن أصحاب أبي نعيم، وكانت له معرفة جيدة بالحديث، توفي وهو ذاهب إلى الحج بالبادية رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة

في صفر منها حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر خمسين يوماً، بحيث ضيقوا على أهلها، وقتلوا أمماً كيرة جاؤوا إليها من البر والبحر رجاء أن يملكوا الديار المصرية وخوفاً من استيلاء المسلمين على القدس، فكتب صلاح الدين إلى نور الدين يستنجده عليهم، ويطلب منه أن يرسل إليه بإمداد من الجيوش، فإنه إن خرج من مصر خلف أهلها بسوء، وإن قعد عن الفرنج أخذوا دمياط وجعلوها معقلاً لهم يتقوون به على أخذ مصر. فأرسل إليه نور الدين ببعوث كثيرة، يتبع بعضها بعضاً ثم إن نور الدين اغتنم غيبة الفرنج عن بلدانهم فصمد إليهم في جيوش كثيرة فجاس خلال ديارهم، وغنم من أموالهم وقتل وسبى شيئاً كثيراً، وكان من جملة من أرسله إلى صلاح الدين أبوه الأمير نجم الدين أيوب، في جيش من تلك الجيوش، ومعه بقية أولاده، فتلقاه الجيش من مصر، وخرج العاضد لتلقيه إكراماً لولده، وأقطعه الإسكندرية ودمياط، وكذلك لبقية أولاده، وقد أمد العاضد صلاح الدين في هذه الكائنة بألف ألف دينار حتى انفصلت الفرنج عن دمياط، وأجلت الفرنج عن دمياط لأنه بلغهم أن نور الدين قد حاصر بلادهم، وقتل خلقاً من رجالهم، وسبى كثيراً من نسائهم وأطفالهم وغنم من أموالهم، فجزاه الله عن المسلمين خيراً. ثم سار نور الدين في جمادى الآخرة إلى الكرخ ليحاصرها ـ وكانت من أمنع البلاد ـ وكان أن يفتحها ولكن بلغه أن مقدمين من الفرنج قد أقبلا نحو دمشق، فخاف أن يلتف عليهما الفرنج فترك الحصار وأقبل نحو دمشق فحصنها، ولما انجلت الفرنج عن دمياط فرح نور الدين فرحاً شديداً، وأنشد الشعراء كل منهم في ذلك قصيداً، وقد كان الملك نور الدين شديد الاهتمام قوي الاغتمام بذلك، حتى قرأ عليه بعض طلبة الحديث جزءاً في ذلك فيه حديث مسلسل بالتبسم، فطلب منه أن يتبسم ليصل التسلسل، فامتنع من ذلك، وقال: إني لأستحي من الله أن يراني متبسماً والمسلمون يحاصرهم الفرنج بثغر دمياط. وقد ذكر الشيخ أبو شامة أن إمام مسجد أبي الدرداء بالقلعة المنصورة رأى في تلك الليلة التي أجلي فيها الفرنج عن دمياط رسول الله ﷺ وهو يقول: سلم على نور الدين وبشره بأن الفرنج قد رحلوا عن دمياط، فقلت: يا رسول الله بأيّ علامة؟ فقال: بعلامة ما سجد يوم تل حارم وقال في سجوده:

اللهمَّ انصر دينك ومن هو محمود الكلب؟ فلما صلى نور الدين عنده الصبح بشره بذلك وأخبره بالعلامة، فلما جاء إلى عند ذكر «من هو محمود الكلب» انقبض من قول ذلك، فقال له نور الدين: قل ما أمرك به رسول الله ﷺ. فقال ذلك: فقال: صدقت، وبكى نور الدين تصديقاً وفرحاً بذلك، ثم كشفوا فإذا الأمر كما أخبر في المنام.

قال العماد الكاتب: وفي هذه السنة عمر الملك نور الدين جامع داريا، وعمر مشهد أبي سليمان الداراني بها، وشتى بدمشق. وفيها حاصر الكرك أربعة أيام، وفارقه من هناك نجم الدين أيوب والد صلاح الدين، متوجهاً إلى ابنه بمصر، وقد وصاه نور الدين أن يأمر ابنه صلاح الدين أن يخطب بمصر للخليفة المستنجد بالله العباسي، وذلك أن الخليفة بعث يعاتبه في ذلك. وفيها قدم الفرنج من السواحل ليمنعوا الكرك مع ثبيب بن الرقيق وابن القنقري، وكانا أشجع فرسان الفرنج، فقصدهما نور الدين ليقابلهما فحادا عن طريقه. وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وعمت أكثر الأرض، وتهدمت أسوار كثيرة بالشام، وسقطت دور كثيرة على أهلها، ولا سيما بدمشق وحمص وحماه وحلب وبعلبك، سقطت أسوارها وأكثر قلعتها، فجدد نور الدين عمارة أكثر ما وقع بهذه الأماكن.

وفيها توفي

الملك قطب الدين مودود بن زنكي

أخو نور الدين محمود صاحب الموصل، وله من العمر أربعون سنة، ومدة ملكه منها إحدى وعشرون سنة، وكان من خيار الملوك، محبباً إلى الرعية، عطوفاً عليهم، محسناً إليهم، حسن الشكل. وتملك من بعده ولده سيف الدين غازي من الست خاتون بنت تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق أصحاب ماردين، وكان مدير مملكته والمتحكم فيها فخر الدين عبد المسيح، وكان ظالماً غاشماً. وفيها كانت حروب كثيرة بين ملوك الغرب بجزيرة الأندلس، وكذلك كانت حروب كثيرة بين ملوك الشرق أيضاً. وحج بالناس فيها وفيما قبلها الأمير برغش الكبير ولم أرَ أحداً من أكابر الأعيان توفي فيها.

ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة

فيها كانت وفاة المستنجد وخلافة ابنه المستضيء، وذلك أن المستنجد كان قد مرض في أول هذه السنة، ثم عوفي فيما يبدو للناس، فعملت ضيافة عظيمة بسبب ذلك، وفرح الناس بذلك، ثم أدخله الطبيب إلى الحمام وبه ضعف شديد فمات في الحمام، ويقال: إن ذلك كان بإشارة بعض الدولة على الطبيب، استعجالاً لموته، توفي يوم السبت بعد الظهر ثاني ربيع الآخر عن ثمان وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً، وكان من خيار الخلفاء وأعدلهم وأرفقهم بالرعايا، ومنع عنهم المكوس والضرائب، ولم يترك بالعراق مكساً، وقد شفع إليه بعض أصحابه في رجل شرير، وبذل فيه عشرة آلاف دينار، فقال له الخليفة أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وائتني بمثله لأريح المسلمين من شره، وكان

المستنجد أسمر طويل اللحية، وهو الثاني والثلاثين من العباسيين وذلك في الجمل لام باء ولهذا قال فيه بعض الأدباء:

أَصْبَحْتَ «لُبَّ» بَنِي العَبَّاسِ جُمْلَتهـا ... إنْ عُدِّدَتْ بِحِسَابِ الجُمَّلِ الخُلَفَا

وكان أمّاراً بالمعروف نهّاء عن المنكر، وقد رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول له: «قُلِ اللَّهُمَّ اهدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ»، دعاء القنوت بتمامه. وصلي عليه يوم الأحد قبل الظهر، ودفن بدار الخلافة، ثم نقل إلى الترب من الرصافة رحمه الله تعالى.

خلافة المستضيء

وهو أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي، وأمه أرمنية تدعى عصمت، وكان مولده في شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة. بويع بالخلافة يوم مات أبوه بكرة الأحد تاسع ربيع الآخر، وبايعه الناس، ولم يل الخلافة أحد اسمه الحسن بعد الحسن بن علي غير هذا، ووافقه في الكنية أيضاً، وخلع يومئذٍ على الناس أكثر من ألف خلعة، وكان يوماً مشهوداً، وولى قضاء قضاة بغداد روح بن الحدثني يوم الجمعة حادي عشرين ربيع الآخر، وخلع على الوزير وهو الأستاذ عضد الدولة، وضربت على بابه الدبابات ثلاثة أوقات الفجر والمغرب والعشاء، وأمر سبعة عشر أميراً من المماليك وأذن للوعاظ فتكلموا بعد ما منعوا مدة طويلة، لما كان يحدث بسبب ذلك من الشرور الطويلة، ثم كثر احتجابه، ولما جاءت البشارة بولايته إلى الموصل قال العماد الكاتب:

قَدْ أَضَاءَ الزَّمَانُ بِالمُسْتَضِيءِ ... وَارِثِ البُرْدِ وَابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ
جَاءَ بِالحَقِّ وَالشَّرِيعَةِ وَالعَدْ ... لِ فَيَا مَرْحَباً بِهٰذَا المَجِيِّ
فَهَنِيئاً لأَهْلِ بَغْدَادَ فَازُوا ... بَعْدَ بُؤْسٍ بِكُلِّ عَيْشٍ هَنِيِّ
وَمَضَى إنْ كَانَ فِي الزَّمَنِ المُظْـ ... ـلِمِ بِالعَوْدُ فِي الزَّمَانِ المُضِيِّ

وفيها سار الملك نور الدين إلى الرقة فأخذها، وكذا نصيبين والخابور وسنجار، وسلمها إلى زوج ابنته ابن أخيه مودود بن عماد الدين، ثم سار إلى الموصل فأقام بها أربعة وعشرين يوماً، وأقرها على ابن أخيه سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود، مع الجزيرة، وزوجه ابنته الأخرى، وأمر بعمارة جامعها وتوسعته، ووقف على تأسيسه بنفسه، وجعل له خطيباً ومدرساً للفقه، وولي التدريس للفقيه أبي بكر البرقاني، تلميذ محمد بن يحيى تلميذ الغزالي، وكتب له منشوراً بذلك، ووقف على الجامع قرية من قرى الموصل، وذلك كله بإشارة الشيخ الصالح العابد عمر الملا، وقد كانت له زاوية يقصد فيها، وله في كل سنة دعوة في شهر المولد، يحضر فيها عنده، الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك، وقد كان الملك نور الدين صاحبه، وكان يستشيره في أموره، وممن يعتمده في مهماته وهو الذي أشار عليه في مدة مقامه في الموصل بجميع ما فعله من الخيرات، فلهذا

حصل بقدومه لأهل الموصل كل مسرة، واندفعت عنهم كل مضرة، وأخرج من بين أظهرهم الظالم الغاشم فخر الدين عبد المسيح، وسماه عبد الله، وأخذه معه إلى دمشق فأقطعه إقطاعاً حسناً، وقد كان عبد المسيح هذا نصرانياً فأظهر الإسلام، وكان يقال إن له كنيسة في جوف داره، وكان سيىء السيرة خبيث السريرة في حق العلماء والمسلمين خاصة، ولما دخل نور الدين الموصل كان الذي استأمن له نور الدين الشيخ عمر الملا، وحين دخل نور الدين الموصل خرج إليه ابن أخيه فوقف بين يديه فأحسن إليه وأكرمه، وألبسه خلعة جاءته من الخليفة فدخل فيها إلى البلد في أبهة عظيمة، ولم يدخل نور الدين الموصل حتى قوي الشتاء فأقام بها كم ذكرنا، فلما كان في آخر ليلة من إقامته بها رأى رسول الله ﷺ يقول له: طابت لك بلدك وتركت الجهاد وقتال أعداء الله؟ فنهض من فوره إلى السفر، وما أصبح إلا وهو سائر إلى الشام، واستقضى الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون، وكان معه على سنجار ونصيبين والخابور، فاستناب فيها بن أبي عصرون نواباً وأصحاباً.

وفيها عزل الملك صلاح الدين قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة، وولى قضاء القضاة بها لصدر الدين عبد الملك بن درباس المارداني الشافعي، فاستناب في سائر المعاملات قضاة شافعية، وبنى مدرسة للشافعية، وأخرى للمالكية، واشترى ابن أخيه تقي الدين عمر داراً تعرف بمنازل العز، وجعلها مدرسة للشافعية ووقف عليها الروضة وغيرها. وعمر صلاح الدين أسوار البلد، وكذلك أسوار الإسكندرية، وأحسن إلى الرعايا إحساناً كثيراً. وركب فأغار على بلاد الفرنج بنواحي عسقلان وغزة وضرب قلعة كانت لهم على أيلة، وقتل خلقاً كثيراً من مقاتلتهم، وتلقى أهله وهم قادمون من الشام، واجتمع شمله بهم بعد فرقة طويلة. وفيها قطع صلاح الدين الأذان بحيّ على خير العمل من ديار مصر كلها، وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر.

وممن توفي فيها من الأعيان:

طاهر بن محمد بن طاهر

أبو زرعة المقدسي الأصل، الرازي المولد، الهمذاني الدار، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وأسمعه والده الحافظ محمد بن طاهر الكثير، ومما كان يرويه مسند الشافعي، توفي بهمذان يوم الأربعاء سابع ربيع الآخر، وقد قارب التسعين.

يوسف القاضي

أبو الحجاج بن الخلال صاحب ديوان الإنشاء، وهو شيخ القاضي الفاضل في هذا الفن، اشتغل عليه فيه فبرع حتى قدر أنه صار مكانه حين ضعف عن القيام بأعباء الوظيفة لكبره، وكان القاضي الفاضل يقوم به وبأهله حتى مات، ثم كان بعد موته كثير الإحسان إلى أهله رحمهم الله.

يوسف بن الخليفة

المستنجد بالله بن المقتفي بن المستظهر، تقدم ذكر وفاته وترجمته، وقد توفي بعد

عمه أبو نصر بن المستظهر بأشهر، ولم يبق بعده أحد من ولد المستظهر، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي القعدة منها.

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة فيها كانت وفاة العاضد صاحب مصر

في أول جمعة منها، فأمر صلاح الدين بإقامة الخطبة لبني العباس بمصر وعمالها في الجمعة الثانية، وكان ذلك يوماً مشهوداً، ولما انتهى الخبر إلى الملك نور الدين أرسل إلى الخليفة يعلمه بذلك، مع ابن أبي عصرون شهاب الدين أبي المعالي، فزينت بغداد وغلقت الأسواق، وعملت القباب وفرح المسلمون فرحاً شديداً، وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع العباسي، حين تغلب الفاطميون على مصر أيام المعز الفاطمي، باني القاهرة، إلى هذا الأوان، وذلك مائتا سنة وثمان سنين. قال ابن الجوزي: وقد ألفت في ذلك كتاباً سميته النصر على مصر.

موت العاضد آخر الخلفاء العبيديين

والعاضد في اللغة القاطع، «لا يعضد شجرها» لا يقطع، وفيه قطعت دولتهم، واسمه عبد الله ويكنى بأبي محمد بن يوسف الحافظ ابن المستنصر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور القاهري، أبي الغنائم بن المهدي أولهم، كان مولد العاضد في سنة ست وأربعين، فعاش إحدى وعشرين سنة وكانت سيرته مذمومة، وكان شيعياً خبيثاً، لو أمكنه قتل كل من قدر عليه من أهل السنة، واتفق لما استقر أمر الملك صلاح الدين رسم بالخطبة لبني العباس عن مرسوم الملك نور الدين، وذلك أن الخليفة بعث إلى نور الدين فعاتبه في ذلك قبل وفاته، وكان المستنجد إذ ذاك مدنفاً مريضاً، فلما مات تولى بعده ولده، فكانت الخطبة بمصر له، ثم إن العاضد مرض فكانت وفاته في يوم عاشوراء، فحضر الملك صلاح الدين جنازته وشهد عزاءه، وبكى عليه وتأسف، وظهر منه حزن كثير عليه، وقد كان مطيعاً له فيما يأمره به، وكان العاضد كريماً جواداً سامحه الله. ولما مات استحوذ صلاح الدين على القصر بما فيه، وأخرج منه أهل العاضد إلى دار أفردها لهم، وأجرى عليهم الأرزاق والنفقات الهنية، والعيشة الرضية، عوضاً عما فاتهم من الخلافة، وكان صلاح يتندم على إقامة الخطبة لبني العباس بمصر قبل وفاة العاضد، وهلا صبر بها إلى بعد وفاته، ولكن كان ذلك قدراً مقدوراً. ومما نظمه العماد في ذلك:

تُوُفِّي العَاضِدُ الدَّعِيُّ فَمَا ... يَفْتَحُ ذُو بِدْعَةٍ بِمِصْرَ فَمَا
وَعَصْرُ فِرْعَوْنِهَا انْقَضَى وَغَدَا ... يُوسُفُهَا فِي الأُمُورِ مُحْتَكِمَا
قَد طَفِئَت جَمْرَةُ الغُوَاةِ وَقَدْ ... دَاخَ مِنَ الشِّرْكِ كُلُّ مَا اضْطَرَمَا[1]

---

(١) اضطرم: اتقد.

وَصَارَ شَمْلُ الصَّلاحِ مُلْتَئِماً ... بِهَا وَعِقْدُ السَّدَادِ مُنْتَظِمَا
لما غدا مُشعراً شِعَارُ بَنِي الـ ... ـعَبَّاسِ حَقّاً وَالبَاطِلُ اكْتَتَمَا
وَبَاتَ دَاعِي التَّوْحِيدِ منتظراً ... وَمِنْ دُعَاةِ الإِشْرَاكِ مُنْتَقِمَا
وَظَلَّ أَهْلُ الضَّلالِ فِي ظُلَلٍ ... دَاجِيَةٍ مِن غَبَاءة وَعَمَى
وَارْتَكَسَ الجَاهِلُونَ فِي ظُلَمٍ ... لَمَّا أَضَاءَتْ مَنَابِرُ العُلَمَا(١)
وَعَادَ بِالمُسْتَضِيءِ مُعْتَلِياً ... بِنَاءُ حَقٍّ قَدْ كَانَ مُنْهَدِمَا
أُعِيدَتْ الدَّوْلَةُ الَّتِي اضْطُهِدَتْ ... وَانْتَصَرَ الدِّينُ بَعْدَمَا اهْتُضِمَا
وَاهْتَزَّ عِطْفُ الإِسْلامِ مِنْ جَلَلٍ ... وافْتَرَّ ثَغْرُ الإِسْلامِ وَابْتَسَمَا(٢)
وَاسْتَبْشَرَتْ أَوْجُهُ الهُدَى فَرَحاً ... فَلْيَقْرَعِ الكُفْرُ سِنَّهُ نَدَمَا
عَادَ حَرِيمُ الأَعْدَاءِ مُنْتَهَكَ الـ ... ـحِمَى وَفَيءُ الطُّغَاةِ مُنْقَسِمَا
قُصُورُ أَهْلِ القُصُورِ أَخْرَبَهَا ... عَامِرُ بَيْتٍ مِنَ الكَمَالِ سَمَا
أُزْعِجَ بَعْدَ السُّكُوتِ سَاكِنُهَا ... وَمَاتَ ذُلاً وَأَنْفُهُ رَغِمَا

ومما قيل من الشعر ببغداد يبشر الخليفة المستضيء بالخطبة له بمصر وأعمالها:

ليهنيك يا مَوْلايَ فَتْحٌ تَتَابَعَتْ ... إِلَيْكَ بِهِ خُوصُ الرَّكَائِبِ تُوجِفُ(٣)
أَخَذْتَ بِهِ مِصْراً وَقَدْ حَالَ دُونَهَا ... مِنَ الشِّرْكِ يَأْسٌ فِي لهَا الحَقِّ يُقْذَفُ(٤)
فَعَادَتْ بِحَمْدِ الله بِاسْمِ إِمَامِنَا ... تَتِيهُ عَلَى كُلِّ البِلادِ وَتُشْرِفُ
وَلا غَرْوَ إِنْ ذَلَّتْ لِيُوسُفَ مِصْرُهُ ... وَكَانَتْ إِلى عَلْيَائِهِ تَتَشَوَّفُ(٥)
فَشَابَهَهُ خُلْقاً وَخَلْقاً وَعِفَّةً ... وَكلٌّ عَنِ الرَّحْمٰنِ فِي الأَرْضِ يخلفُ
كَشَفْتَ بِهَا عَنْ آلِ هَاشِمَ سُبَّةً(٦) ... وَعَاراً أَبَى إِلاَّ بِسَيْفِكَ يُكْشَفُ

وقد ذكر ذلك أبو شامة في الروضتين، وهي أطول من هذه، وذكر أن أبا الفضائل الحسين بن محمد بن بركات الوزير أنشدها للخليفة المستنجد عند موته بعد منام رآه وأراد بيوسف الثاني المستنجد، وهكذا ذكر ابن الجوزي: أنها أنشدت في حياة المستنجد، ولم يخطب بها إلا لابنه المستضيء، فجرى المقال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن

(١) ارتكس: انتكس.
(٢) العطف: الجانب، والجلل: من الأضداد، للعظيم والمهين.
(٣) توجف: تضطرب، تسرع.
(٤) اللها: جمع لهاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
(٥) تشوف: تتطلع.
(٦) السبة: العار.

أيوب، وقد أرسل الخليفة إلى الملك نور الدين معظمة لما بشر بالخطبة له بمصر، وكذلك للملك صلاح الدين إلى الديار المصرية ومعها أعلام سود ولواء معقود، ففرقت على الجوامع بالشام وبمصر. قال ابن أبي طي في كتابه: ولما تفرغ صلاح الدين من توطيد المملكة وإقامة الخطبة والتعزية، استعرض حواصل القصرين فوجد فيهما من الحواصل والأمتعة والآلات والملابس والمفارش شيئاً باهراً، وأمراً هائلاً، من ذلك سبعمائة يتيمة من الجوهر، وقضيب زمرد طوله أكثر من شبر وسمكه نحو الإبهام، وحبل من ياقوت، وإبريق عظيم من الحجر المانع، وطبل للقولنج إذا ضرب عليه أحد فيه ريح غليظة أو غيرها خرج منه ذلك الريح من دبره، وينصرف عنه ما يجده من القولنج، فاتفق أن بعض أمراء الأكراد أخذه في يده ولم يدر ما شأنه، فضرب عليه فحبق - أي ضرط - فألقاه من يده على الأرض فكسره فبطل أمره. وأما القضيب الزمرد فإن صلاح الدين كسره ثلاث فلق فقسمه بين نسائه، وقسم بين الأمراء شيئاً كثيراً من قطع البلخش[1] والياقوت والذهب والفضة والأثاث والأمتعة وغير ذلك، ثم باع ما فضل عن ذلك وجمع عليه أعيان التجار، فاستمر البيع فيما بقي هنالك من الأثاث والأمتعة نحواً من عشر سنين، وأرسل إلى الخليفة ببغداد من ذلك هدايا سنية نفيسة، وكذلك إلى الملك نور الدين، أرسل إليه من ذلك جانباً كثيراً صالحاً، ولم يدخر لنفسه شيئاً مما حصل له من الأموال، بل كان يعطي ذلك من حوله من الأمراء وغيرهم، فكان مما أرسله إلى نور الدين ثلاث قطع بلخش زنة الواحدة أحد وثلاثون مثقالاً، والأخرى ثمانية عشر مثقالاً، والثالثة دونهما عشرة مثاقيل، وقيل أكثر مع لآلىء كثيرة، وستون ألف دينار، وعطر لم يسمع بمثله، ومن ذلك حمارة عتابي وفيل عظيم جداً، فأرسلت الحمارة إلى الخليفة في جملة هدايا وتحف هائلة. قال ابن أبي طي: ووجد خزانة كتب ليس لها في مدائن الإسلام نظير، تشتمل على ألفي مجلد، قال ومن عجائب ذلك أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري، وكذا قال العماد الكاتب: كانت الكتب قريبة من مائة وعشرين ألف مجلد. وقال ابن الأثير: كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد، وقد تسلمها القاضي الفاضل، فأخذ منها شيئاً كثيراً مما اختاره وانتخبه، قال وقسم القصر الشمالي بين الأمراء فسكنوه، وأسكن أباه نجم الدين أيوب في قصر عظيم على الخليج، يقال له اللؤلؤة، الذي فيه بستان الكافوري وأسكن أكثر الأمراء في دور من كان ينتمي إلى الفاطميين، ولا يلقى أحد من الأتراك أحداً من أولئك الذين كانوا بها من الأكابر إلا شلحوه ثيابه ونهبوا داره، حتى تمزق كثير منهم في البلاد، وتفرقوا شذر مذر[2] وصاروا أيادي سبا[3].

وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسراً، فصاروا كأمس الذاهب

---

(١) البلخش: نوع من الجوهر يأتي من بلدة تركية تدعى بلخشان.

(٢) شذر مذر: أي في كل ناحية وصوب.

(٣) تفرقوا أيدي سبا: أي تشردوا.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ﴾ [هود:٩٥]. وكان أول من ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حداداً اسمه عبيد، وكان يهودياً، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه إنه المهدي كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة بعد الأربعمائة كما قد بسطنا ذلك فيما تقدم، والمقصود أن هذا الدعي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد، ووازره جماعة من الجهلة، وصارت له دولة وصولة، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهدية نسبة إليه، وصار ملكاً مطاعاً، يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض. ثم كان من بعده ابنه القائم محمد، ثم ابنه المنصور إسماعيل، ثم ابنه المعز معد، وهو أول من دخل ديار مصر منهم، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران، ثم ابنه العزيز نزار، ثم ابنه الحاكم منصور، ثم ابنه الظاهر علي، ثم ابنه المستنصر معد، ثم ابنه المستعلي أحمد، ثم ابنه الآمر منصور، ثم ابن عمه الحافظ عبد المجيد، ثم ابنه الظافر إسماعيل، ثم الفائز عيسى، ثم ابن عمه العاضد عبد الله وهو آخرهم، فجملتهم أربعة عشر ملكاً، ومدتهم مائتان ونيف وثمانون سنة، وكانت عدة خلفاء بني أمية أربعة عشر أيضاً، ولكن كانت مدتهم نيفاً وتسعين سنة، وقد نظمت أسماء هؤلاء وهؤلاء بأرجوزة تابعة لأرجوزة بني العباس عند انقضاء دولتهم ببغداد، في سنة ست وخمسين وستمائة، كما سيأتي. وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصيرية والدرزية والحشيشية[(١)]، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس الشريف ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وأنطاكية وجميع ما والى ذلك، إلى بلاد إياس وسيس، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقاً وأمماً لا يحصيهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان ما لا يحد ولا يوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم، وحين زالت أيامهم وانتقض إبرامهم[(٢)] أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته وقد قال الشاعر المعروف عرقلة[(٣)]:

أَصْبَحَ الْمُلْكُ بَعْدَ آلِ عَلِيٍّ ... مُشْرِقاً بِالْمُلُوكِ مِنْ آلِ شَادِي
وَغَدَا الشَّرْقُ يَحْسُدُ الغَرْ ... بَ لِلْقَوْمِ فَمِصْرُ تَزْهُو عَلَى بَغْدَادِ

(١) الحشيشية: فرقة إسماعيلية كانت كثيرة البطش والثورات.

(٢) انتقض إبرامهم: تهدم ما بنوه وانفرط عقدهم.

(٣) عرقلة: هو حسان بن نمير بن عجل الكلبي، من سكان دمشق، مدح صلاح الدين الأيوبي ونادمه مات فجأة.

مَـا خَـوْضُهَـا إلا بِـعَـزْمٍ وَحَـزْمٍ وَصَلِيلِ الفُولاذِ فـي الأَكْبَادِ[1]
لا كِـفِـرْعَـوْنَ وَالـعَـزِيـزِ وَمَـنْ كَـانَ بِـهَـا كَـالـخَـطِـيـبِ وَالأُسْـتَـادِ

قال أبو شامة: يعني بالأستاد كافور الإخشيدي، وقوله آل علي يعني الفاطميين على زعمهم ولم يكونوا فاطميين، وإنما كانوا ينسبون إلى عبيد، وكان اسمه سعيداً، وكان يهودياً حداداً بسلمية، ثم ذكر ما ذكرناه من كلام الأئمة فيهم وطعنهم في نسبهم. قال وقد استقصيت الكلام في مختصر تاريخ دمشق في ترجمة عبد الرحيم بن الياس، ثم ذكر في الروضتين في هذا الموضع أشياء كثيرة في غضون ما سقته من قبائحهم، وما كانوا يجهرون به في بعض الأحيان من الكفريات، وقد تقدم من ذلك شيء كثير في تراجمهم، قال أبو شامة: وقد أفردت كتاباً سميته «كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر الكذب والمكر والكيد» وكذا صنف العلماء في الرد عليهم كتباً كثيرة، من أجل ما وضع في ذلك كتاب القاضي أبي بكر الباقلاني، الذي سماه «كشف الأسرار وهتك الأستار» وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في بني أيوب يمدحهم على ما فعلوه بديار مصر:

أَبَـدْتُـمْ مَـنْ بِـلـى دَوْلَـةَ الـكُـفْـرِ مِـنْ بَنِي عُبَيْدٍ بِمِصْرِ إنَّ هٰذا هُوَ الفَضْلُ
زَنَـادِقَـةٌ شِـيـعِـيَّـةٌ بَـاطِـنِـيَّـةٌ مَجُوسٌ وَمَا في الصَّالِحِينَ لَهُمْ أَصْلُ
يُـسِـرُّونَ كُـفْـراً يُـظْـهِـرُونَ تَـشَـيُّـعـاً لـيـسـتـروا سـابـور[2] عَـمَّـهُـمُ الـجَـهْـلُ

وفيها أسقط الملك صلاح الدين عن أهل مصر المكوس والضرائب، وقرىء المنشور بذلك على رؤوس الأشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر. وفيها حصلت نفرة بين نور الدين وصلاح الدين، وذلك أن نور الدين غزا في هذه السنة بلاد الفرنج في السواحل فأحلّ بهم بأساً شديداً، وقرر في أنفسهم منه نقمة ووعيداً، ثم عزم على محاصرة الكرك وكتب إلى صلاح الدين أن يلتقيه بالعساكر المصرية إلى بلاد الكرك، وليجتمعا هنالك ويتفقا على المصالح التي يعود نفعها على المسلمين، فتوهم من ذلك صلاح الدين وخاف أن يكون لهذا الأمر غائلة يزول بها ما حصل له من التمكن من بلاد مصر، ولكنه مع ذلك ركب في جيشه من مصر لأجل امتثال المرسوم، فسار أياماً، ثم كرَّ راجعاً معتلاً بقلة الظهر، والخوف على اختلال الأمور إذا بعد عن مصر واشتغل عنها، وأرسل يعتذر إلى نور الدين. فوقع في نفسه منه واشتد غضبه عليه، وعزم على الدخول إلى مصر وانتزاعها من صلاح الدين وتوليتها غيره، ولما بلغ هذا الخبر صلاح الدين ضاق بذلك ذرعه، وذكر ذلك بحضرة الأمراء والكبراء، فبادر ابن أخيه تقي الدين عمر وقال: والله لو قصدنا نور الدين لنقاتلنه، فشتمه الأمير نجم الدين أيوب والد صلاح الدين وسبه وأسكته، ثم قال لابنه: اسمع ما أقول لك، والله ما ههنا أحد أشفق عليك مني ومن خالك هذا ـ يعني شهاب الدين الحارمي ـ ولو رأينا

(١) صليل الفولاذ: صوت قعقعة السلاح.

(٢) السابور: الجهل والعداوة.

نور الدين لبادرنا إليه ولقبلنا الأرض بين يديه، وكذلك بقية الأمراء والجيش، ولو كتب إليّ أن أبعثك إليه مع نجّاب[1] لفعلت، ثم أمر من هنالك بالانصراف والذهاب، فلما خلا بابنه قال له: أمَا لَكَ عقل؟ تذكر مثل هذا بحضرة هؤلاء فيقول عمر مثل هذا الكلام فتقره عليه، فلا يبقى عند نور الدين أهم من قصدك وقتالك وخراب ديارنا، وأعمارنا، ولو قد رأى الجيش كلهم نور الدين لم يبق معك واحد منهم، ولذهبوا كلهم إليه، ولكن ابعث إليه وترفق له وتواضع عنده، وقل له: وأي حاجة إلى مجيء مولانا السلطان إلى قتالي؟ ابعث إلي بنجّاب أو جمال حتى أجيء معه إلى بين يديك. فبعث إليه بذلك فلما سمع نور الدين مثل هذا الكلام لانَ قلبه له، وانصرفت همته عنه، واشتغل بغيره، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وفيها اتخذ نور الدين الحمام الهوادي، وذلك لامتداد مملكته واتساعها، فإنه ملك من حد النوبة إلى همذان لا يتخللها إلا بلاد الفرنج، وكلهم تحت قهره وهدنته، ولذلك اتخذ في كل قلعة وحصن الحمام التي تحمل الرسائل إلى الآفاق في أسرع مدة، وأيسر عدة، وما أحسن ما قال فيهن القاضي الفاضل: الحمام ملائكة الملوك، وقد أطنب في ذلك العماد الكاتب، وأطرب وأعجب وأغرب.

وممن توفي فيها من الأعيان:

عبد الله بن أحمد

ابن أحمد أبو محمد بن الخشاب، قرأ القرآن وسمع الحديث، واشتغل بالنحو واللغة حتى ساد أهل زمانه فيهما، وشرح الجمل لعبد القاهر [الجرجاني] وكان رجلاً صالحاً متطوعاً، وهذا نادر في النحاة، وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة ودفن قريباً من الإمام أحمد، ورئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي وأدخلني الجنة إلا أنه أعرض عني وعن جماعة من العلماء تركوا العمل واشتغلوا بالقول، قال ابن خلكان: كان مصرحاً للكلفة في مأكله وملبسه، وكان لا يبالي بمن شرق أو غرب.

محمد بن محمد بن محمد

أبو المظفر الدوي، تفقه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالي، وناظر ووعظ ببغداد، وكان يظهر مذهب الأشعري، ويتكلم في الحنابلة مات في رمضان منها.

ناصر بن الجوني الصوفي

كان يمشي في طلب الحديث حافياً، توفي ببغداد.

قال أبو شامة: وفيها توفي.

(١) النجّاب: الذي يقود النجب، وهي الجمال.

نصر الله [بن عبد] لله أبو الفتوح

الإسكندري المعروف بابن قلاقس الشاعر بعيذاب، توفي عن خمس وأربعين سنة.

والشيخ أبو بكر

يحيى بن سعدون القرطبي نزيل الموصل المقري النحوي.

قال: وفيها ولد العزيز والظاهر ابنا صلاح الدين، والمنصور محمد بن تقي الدين عمر.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة

فيها أرسل نور الدين إلى صلاح الدين ـ وكان الرسول الموفق خالد بن القيسراني ـ ليقيم حساب الديار المصرية، وذلك لأن نور الدين استقل الهدية التي أرسل بها إليه من خزائن العاضد، ومقصوده أن يقرر له على الديار المصرية خراجاً منها في كل عام. وفيها حاصر صلاح الدين الكرك والشوبك فضيق على أهلها، وخرب أماكن كثيرة من معاملاتها، ولكن لم يظفر بها عامه ذلك. وفيها اجتمعت الفرنج بالشام لقصد مدينة درع[1] فوصلوا إلى سمسكين فبرز إليهم نور الدين فهربوا منه إلى الغور، ثم إلى السواد، ثم إلى الشلالة، فبعث سرية إلى طبرية فعاثوا هنالك وسبوا وقتلوا وغنموا وعادوا سالمين، ورجع الفرنج خائبين. وفيها أرسل السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة نور شاه إلى بلاد النوبة فافتتحها، واستحوذ على معقلها وهو حصن يقال به إبريم، ولما رآها بلدة قليلة الجدوى لا يفي خراجها بكلفتها، استخلف على الحصن المذكور رجلاً من الأكراد يقال له إبراهيم، فجعله مقدماً مقرراً بحصن إبريم، وانضاف إليه جماعة من الأكراد البطالين، فكثرت أموالهم وحسنت أحوالهم هنالك وشنوا الغارات وحصلوا على الغنائم.

وفيها كانت وفاة الأمير نجم الدين أيوب بن شادي والد صلاح الدين، سقط عن فرسه فمات وسنأتي على ترجمته في الوفيات. وفيها سار الملك نور الدين إلى بلاد عز الدين قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان السلجوقي، وأصلح ما وجده فيها من الخلل. ثم سار فافتتح مرعش وبهسنا، وعمل في كل منهما بالحسنى.

قال العماد: وفيها وصل الفقيه الإمام الكبير قطب الدين النيسابوري، وهو فقيه عصره ونسيج وحده، فسر به نور الدين وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق، ثم أتى به إلى دمشق فدرس بزاوية جامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي، ثم نزل بمدرسة الحاروق، وشرع نور الدين بإنشاء مدرسة كبيرة للشافعية، فأدركه الأجل قبل ذلك.

قال أبو شامة: هي العادلية الكبيرة التي عمرها بعد ذلك الملك العادل أبو بكر بن

(١) كذا في الأصول. في الكامل في التاريخ لابن الأثير: قصدوا بلاد حوران من أعمال دمشق.

أيوب. وفيها رجع شهاب الدين بن أبي عصرون من بغداد وقد أدى الرسالة بالخطبة العباسية بالديار المصرية، ومعه توقيع من الخلافة بإقطاع درب هارون وصريفين لنور الدين، وقد كانتا قديماً لأبيه عماد الدين زنكي، فأراد نور الدين أن ينشىء ببغداد مدرسة على حافة الدجلة، ويجعل هذين المكانين وقفاً عليها فعاقه القدر عن ذلك. وفيها وقعت بناحية خوارزم حروب كثيرة بين سلطان شاه وبين أعدائه، استقصاها ابن الأثير وابن الساعي. وفيها هزم ملك الأرمن مليح بن اليون عساكر الروم، وغنم منهم شيئاً كثيراً، وبعث إلى نور الدين بأموال كثيرة، وثلاثين رأساً من رؤوس كبارهم، فأرسلها نور الدين إلى الخليفة المستضيء. وفيها بعث صلاح الدين سرية صحبة قراقوش مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه إلى بلاد إفريقية، فملكوا طائفة كثيرة منها، من ذلك مدينة طرابلس الغرب وعدة مدن معها.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إيلدكز التركي الأتابكي

صاحب أذربيجان وغيرها، كان مملوكاً للكمال السمري، وزير السلطان محمود، ثم علا أمره وتمكن وملك بلاد أذربيجان وبلاد الجبل وغيرها، وكان عادلاً منصفاً شجاعاً محسناً إلى الرعية؛ توفي بهمذان.

الأمير نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادي

ابن مروان، زاد بعضهم بعد مروان بن يعقوب، والذي عليه جمهورهم أنه لا يعرف بعد شادي أحد في نسبهم، وأغرب بعضهم وزعم أنهم من سلالة مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وهذا ليس بصحيح، والذي نسب إليه ادعاء هذا هو أبو الفداء إسماعيل بن طغتكين بن أيوب بن شادي ويعرف بابن سيف الإسلام، وقد ملك اليمن بعد أبيه فتعاظم في نفسه وادعى الخلافة وتلقب بالإمام الهادي بنور الله ولهجوا بذلك وقال هو في ذلك:

وَأَنَا الهَادِي الخَلِيفَةُ وَالَّذِي ... أَدُوسُ رِقَابَ الغُلْبِ بِالضُّمَّرِ الجُرْدِ[1]
وَلا بُدَّ مِنْ بَغْدَادَ أَطْوِي رُبُوعَهَا ... وَأَنْشُرُهَا نَشْرَ السَّمَاسِ عَلَى البُرْدِ
وَأَنْصُبُ أَعْلامِي عَلَى شُرُفَاتِهَا ... وَأُحْيِي بِهَا مَا كَانَ أَسَّسَهُ جَدِّي
وَيُخْطَبُ لِي فِيهَا عَلَى كُلِّ مِنْبَرٍ ... وَأُظْهِرُ أَمْرَ اللهِ فِي الغَوْرِ وَالنَّجْدِ[2]

وما ادعاه ليس بصحيح، ولا أصل له يعتمد عليه، ولا مستند يستند إليه، والمقصود أن الأمير نجم الدين كان أسن من أخيه أسد الدين شيركوه، ولد بأرض الموصل، كان الأمير

(١) الضمّر: جمع ضامر. وهو الجواد الضامر الخصر. والجُرْد: جمع أجرد، وهو القصير الشعر. وكلتا الصفتين دليل على قوة الحصان وسرعته.

(٢) الغور: المنخفض من الأرض. والنجد: المرتفع من الأرض.

نجم الدين شجاعاً، خدم الملك محمد بن ملكشاه فرأى فيه شهامة وأمانة، فولاه قلعة تكريت، فحكم فيها فعدل، وكان من أكرم الناس، ثم أقطعها الملك مسعود لمجاهد الدين نهروز شحنة العراق، فاستمر فيها، فاجتاز به في بعض الأحيان الملك عماد الدين زنكي منهزماً من قراجا الساقي فآواه وخدمه خدمة بالغة تامة، وداوى جراحاته وأقام عنده مدة خمسة عشر يوماً، ثم ارتحل إلى بلده الموصل، ثم اتفق أن نجم الدين أيوب عاقب رجلاً نصرانياً فقتله، وقيل إنما قتله أخوه أسد الدين شيركوه، وهذا بخلاف الذي ذكره ابن خلكان، فإنه قال: رجعت جارية من بعض الخدم فذكرت له أنه تعرض لها اسفهسلار الذي بباب القلعة، فخرج إليه أسد الدين فطعنه بحربة فقتله، فحبسه أخوه نجم الدين أيوب وكتب إلى مجاهد الدين بهروز يخبره بصورة الحال، فكتب إليه يقول: إن أباكما كانت له عليّ خدمة، وكان قد استنابه في هذه القلعة قبل ابنه نجم الدين أيوب، وإني أكره أن أسوءكما، ولكن انتقلا منها. فأخرجهما نهروز من قلعته. وفي ليلة خروجه منها ولد له الملك الناصر صلاح الدين يوسف. قال فتشاءمت به لفقدي بلدي ووطني، فقال له بعض الناس: قد نرى ما أنت فيه من التشاؤم بهذا المولود فما يؤمنك أن يكون هذا المولود ملكاً عظيماً له صيت؟ فكان كما قال، فاتصلا بخدمة الملك عماد الدين زنكي أبي نور الدين، ثم كانا عند نور الدين متقدمان عنده، وارتفعت منزلتهما وعظما، فاستناب نور الدين نجم الدين أيوب على بعلبك، وكان أسد الدين من أكبر أمرائه، ولما تسلم بعلبك أقام مدة طويلة، وولد له فيها أكثر أولاده، ثم كان من أمره ما ذكرنا في دخوله الديار المصرية. ثم إنه في ذي الحجة سقط عن فرسه فمات بعد ثمانية أيام في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة، وكان ابنه صلاح الدين محاصر الكرك غائباً عنه، فلما بلغه خبر موته تألم لغيبته عن حضوره، وأرسل يتحرق ويتحزن، وأنشد:

وَتَخَطَّفَهُ يَدُ الرَّدَى في غَيْبَتِي هَبْنِي حَضَرْتُ، فَكُنْتُ مَاذا أَصْنَعُ؟

وقد كان نجم الدين أيوب كثير الصلاة والصدقة والصيام، كريم النفس جواداً ممدحاً. قال ابن خلكان: وله خانقاه بالديار المصرية، ومسجد وقناة خارج باب النصر من القاهرة، وقفها في سنة ست وستين. قلت: وله بدمشق خانقاه أيضاً، تعرف بالنجمية وقد استنابه ابنه على الديار المصرية حين خرج إلى الكرك، وحكمه في الخزائن، وكان من أكرم الناس، وقد امتدحه الشعراء كالعماد وغيره ورثوه بمراث كثيرة، وقد ذكر ذلك مستقصًى الشيخ أبو شامة في الروضتين، ودفن مع أخيه أسد الدين بدار الإمارة، ثم نقلا إلى المدينة النبوية في سنة ثمانين، فدفنا بتربة الوزير جمال الدين الموصلي، الذي كان مواخياً لأسد الدين شيركوه، وهو الجمال المتقدم ذكره، الذي ليس بين تربته ومسجد النبي ﷺ إلا مقدار سبعة عشر ذراعاً، فدفنا عنده. قال أبو شامة: وفي هذه السنة توفي ملك الرافضة والنحاة.

الحسن بن صافي بن يزدن التركي

كان من أكابر أمراء بغداد المتحكمين في الدولة، ولكنه كان رافضياً خبيثاً متعصباً

للروافض، وكانوا في خفارته وجاهه، حتى أراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذي الحجة منها، ودفن بداره ثم نقل إلى مقابر قريش ولله الحمد والمنة. وحين مات فرح أهل السنة بموته فرحاً شديداً، وأظهروا الشكر لله، فلا تجد أحداً منهم إلا يحمد الله، فغضب الشيعة من ذلك، ونشأت بينهم فتنة بسبب ذلك. وذكر ابن الساعي في تاريخه أنه كان في صغره شاباً حسناً مليحاً معشوقاً للأكابر من الناس. قال ولشيخنا أبي اليمن الكندي فيه، وقد رمدت عينه:

بِكُلِّ صَبَاحٍ لِي وَكُلِّ عَشِيَّةٍ ... وُقُوفٌ عَلَى أَبْوَابِكُم وَسَلَامُ

وَقَدْ قِيلَ لِي يَشْكُو سقاماً بِعَيْنِهِ ... فَهَا نَحْنُ مِنْهَا نَشْتَكِي وَنُضَامُ (١)

ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

قال ابن الجوزي في المنتظم: إنه سقط عندهم ببغداد برد كبار كالنارنج، ومنه ما وزنه سبعة أرطال، ثم أعقب ذلك سيل عظيم، وزيادة عظيمة في دجلة، لم يعهد مثلها أصلاً، فخرب أشياء كثيرة من العمران والقرى والمزارع، حتى القبور، وخرج الناس إلى الصحراء، وكثر الضجيج والابتهال إلى الله حتى فرج الله عز وجل، وتناقصت زيادة الماء بحمد الله ومنّه، قال: أما الموصل فإنه كان بها نحو ما كان ببغداد وانهدم بالماء نحو من ألف دار، واستهدم بسببه مثل ذلك، وهلك تحت الهدم خلق كثير، وكذلك الفرات زادت زيادة عظيمة، فهلك بسببها شيء كثير من القرى، وغلت الأسعار بالعراق في هذه السنة في الزروع والثمار، ووقع الموت في الغنم، وأصيب كثير ممن أكل منها بالعراق وغيرها. قال ابن الساعي: وفي شوال منها توالت الأمطار بديار بكر والموصل أربعين يوماً وليلة لم يروا الشمس سوى مرتين لحظتين يسيرتين، ثم تستر بالغيوم، فتهدمت بيوت كثيرة، ومساكن على أهلها، وزادت الدجلة بسبب ذلك زيادة عظيمة، وغرق كثير من مساكن بغداد والموصل، ثم تناقص الماء بإذن الله. قال ابن الجوزي: وفي رجب وصل ابن الشهرزوري من عند نور الدين ومعه ثياب مصرية، وحمارة ملونة جلدها مخطط مثل الثوب العتابي. وفيها عزل الشاشي عن تدريس النظامية ووليها أبو الخير القزويني. قال: وفي جمادى الآخرة اعتقل المجير الفقيه ونسب إلى الزندقة والانحلال وترك الصلاة والصوم، فغضب له ناس وزكوه وأخرج، وذكر أنه وعظ بالحديثة فاجتمع عنده قريباً من ثلاثين ألفاً. قال ابن الساعي: وفيها سقط أحمد ابن أمير المؤمنين المستضيء من قبة شاهقة إلى الأرض فسلم، ولكن نبت يده اليمنى وساعده اليسرى، وانسلخ شيء من أنفه، وكان معه خادم أسود يقال له نجاح، فلما رأى سيده قد سقط ألقى هو نفسه أيضاً خلفه، وقال: لا حاجة لي في الحياة بعده، فسلم أيضاً، فلما صارت الخلافة إلى أبي العباس الناصر ـ وهو هذا الذي سقط ـ لم ينسها لنجاح

(١) نضام: من الضيم، وهو الظلم.

هذا، فحكمه في الدولة وأحسن إليه، وقد كانا صغيرين لما سقطا. وفيها سار الملك نور الدين نحو بلاد الروم وفي خدمته الجيش وملك الأرمن وصاحب ملطية، وخلق من الملوك والأمراء، وافتتح عدة من حصونهم، وحاصر قلعة الروم فصالحه صاحبها بخمسين ألف دينار جزية، ثم عاد إلى حلب وقد وجد النجاح في كل ما طلب، ثم أتى دمشق مسروراً محبوراً. وفيها كان فتح بلاد اليمن للملك صلاح الدين، وكان سبب ذلك أن صلاح الدين بلغه أن بها رجلاً يقال له عبد النبي بن مهدي، وقد تغلب عليها ودعا إلى نفسه وتسمى بالإمام، وزعم أنه سيملك الأرض كلها، وقد كان أخوه علي بن مهدي قد تغلب قبله عليها، وانتزعها من أيدي أهل زبيد، ومات سنة ستين فملكها بعده أخوه هذا، وكل منهما كان سيىء السيرة والسريرة، فعزم صلاح الدين لكثرة جيشه وقوته على إرسال سرية إليه، وكان أخوه الأكبر شمس الدولة شجاعاً مهيباً بطلاً وكان ممن يجالس عمارة اليمني الشاعر، وكان عمارة ينعت له بلاد اليمن وحسنها وكثرة خيرها، فحداه ذلك على أن خرج في تلك السرية في رجب من هذه السنة، فورد مكة فاعتمر بها ثم سار منها إلى زبيد، فخرج إليه عبد النبي فقاتله فهزم توران شاه، وأسره وأسر زوجته الحرة، وكانت ذات أموال جزيلة فاستقرها على أشياء جزيلة، وذخائر جليلة، ونهب الجيش زبيد، ثم توجه إلى عدن فقاتله ياسر ملكها فهزمه وأسره، وأخذ البلد بيسير من الحصار، ومنع الجيش من نهبها، وقال ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لعمارتها وملكها، ثم سار في الناس سيرة حسنة عادلة فأحبوه، ثم تسلم بقية الحصون والمعاقل والمخالف، واستوسق له ملك اليمن بحذافيره[1] وألقى إليه أفلاذ كبده ومطاميره، وخطب للخليفة العباسي المستضيء، وقتل الدعي المسمى بعبد النبي، وصفت اليمن من أكدارها، وعادت إلى ما سبق من مضمارها، وكتب بذلك إلى أخيه الملك الناصر يخبره بما فتح الله عليه، وأحسن إليه، فكتب الملك صلاح الدين بذلك إلى نور الدين، فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة يبشره بفتح اليمن والخطبة بها له. وفيها خرج الموفق خالد بن القيسراني من الديار المصرية، وقد أقام بها الملك الناصر حساب الديار المصرية وما خرج من الحواصل حسب ما رسم به الملك نور الدين كما تقدم، وقد كاد صلاح الدين لما جاءته الرسالة بذلك يظهر شق العصا ويواجه بالمخالفة والإباء، لكنه عاد إلى طباعه الحسنة وأظهر الطاعة المستحسنة، وأمر بكتابة الحساب وتحرير الكتاب والجواب، فبادر إلى ذلك جماعة الدواوين والحساب والكتاب، وبعث مع ابن القيسراني بهدية سنية وتحف هائلة هنية، فمن ذلك خمس ختمات شريفات مغطات بخطوط مستويات؛ ومائة عقد من الجواهر النفيسات، خارجاً عن قطع البلخش واليواقيت، والفصوص والثياب الفاخرات، والأواني والأباريق والصحاف الذهبيات والفضيات، والخيول المسومات[2]، والغلمان والجواري الحسان والحسنات، ومن الذهب عشرة صناديق مقفلات مختومات، مما لا يدرى كم فيها من مئين ألوف ومئات، من الذهب المصري المعد للنفقات. فلما فصلت العير من الديار

---

(١) بحذافيره: بكل جوانبه.

(٢) الخيول المسومة: الخيول المعلمة.

المصرية لم تصل إلى الشام حتى أن نور الدين مات رحمه الله رب الأرضين والسماوات، فأرسل صلاح الدين من ردها إليه وأعادها عليه، ويقال إن منها ما عدى عليه وعلم بذلك حين وضعت بين يديه.

مقتل عمارة بن أبي الحسن

ابن زيدان الحكمي من قحطان، أبو محمد الملقب بنجم الدين اليمني الفقيه الشاعر الشافعي، وسبب قتله أنه اجتمع جماعة من رؤوس الدولة الفاطمية الذين كانوا فيها حكاماً فاتفقوا فيما بينهم أن يردوا الدولة الفاطمية، فكتبوا إلى الفرنج يستدعونهم إليهم، وعينوا خليفة من الفاطميين، ووزيراً وأمراء وذلك في غيبة السلطان ببلاد الكرك، ثم اتفق مجيئه فحرض عمارة اليمني شمس الدولة توران شاه على المسير إلى اليمن ليضعف بذلك الجيش عن مقاومة الفرنج، إذا قدموا لنصرة الفاطميين، فخرج توران شاه ولم يخرج معه عمارة، بل أقام بالقاهرة يفيض في هذا الحديث، ويدخل المتكلمين فيه ويصافيهم، وكان من أكابر الدعاة إليه والمحرضين عليه، وقد أدخلوا معهم فيه بعض من ينسب إلى صلاح الدين، وذلك من قلة عقولهم وتعجيل دمارهم، فخانهم أحوج ما كانوا إليه وهو الشيخ زين الدين علي بن نجا الواعظ، فإنه أخبر السلطان بما تمالؤوا وتعاقدوا عليه، فأطلق له السلطان أموالاً جزيلة، وأفاض عليه حللاً جميلة، ثم استدعاهم السلطان واحداً واحداً فقررهم فأقروا بذلك، فاعتقلهم ثم استفتى الفقهاء في أمرهم فأفتوه بقتلهم، ثم عند ذلك أمر بقتل رؤوسهم وأعيانهم، دون أتباعهم وغلمانهم، وأمر بنفي من بقي من جيش العبيديين إلى أقصى البلاد، وأفرد ذرية العاضد وأهل بيته في دار، فلا يصل إليهم إصلاح ولا إفساد، وأجرى عليهم ما يليق بهم من الأرزاق والثياب، وكان عمارة معادياً للقاضي الفاضل، فلما حضر عمارة بين يدي السلطان قام القاضي الفاضل إلى السلطان ليشفع فيه عنده فتوهم عمارة أنه يتكلم فيه، فقال: يا مولانا السلطان لا تسمع منه، فغضب الفاضل وخرج من القصر، فقال له السلطان: إنه إنما كان يشفع فيك، فندم ندماً عظيماً. ولما ذهب به ليصلب مر بدار الفاضل فطلبه فتغيب عنه فأنشد:

عَبْدُ الرَّحِيمِ قَدِ احْتَجَبْ إنَّ الخَلاصَ هُوَ العَجَبْ

قال ابن أبي طيّ: وكان الذين صلبوا:

الفضل بن الكامل القاضي، وهو أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل قاضي قضاة الديار المصرية زمن الفاطميين، ويلقب بفخر الأمناء، فكان أول من صلب فيما قاله العماد، وقد كان ينسب إلى فضيلة وأدب، وله شعر رائق، فمن ذلك قوله في غلام رفّاء:

يَا رَافِياً خَرْقَ كُلِّ ثَوْبِ وَمَا رَفَا حُبُّهُ اعْتِقَادِي

عَسَى بِكَفِّ الوِصَالِ تَرفو مَا مَزَّقَ الهَجْرُ مِنْ فُؤَادِي

وابن عبد القوي: داعي الدعاة، وكان يعلم بدفائن القصر فعوقب ليدل عليه، فامتنع من ذلك فمات واندرست.

والعويرس وهو ناظر الديوان، وتولى مع ذلك القضاء.
وشبريا وهو كاتب السر.
وعبد الصمد الكاتب وهو أحد أمراء المصريين.
ونجاح الحمامي ومنجم نصراني كان قد بشرهم بأن هذا الأمر يتم بعلم النجوم.

وعمارة اليمني الشاعر

وكان شاعراً منطقياً بليغاً فصيحاً، لا يلحق شأوه في هذا الشأن، وله ديوان شعر مشهور وقد ذكرته في طبقات الشافعية لأنه كان يشتغل بمذهب الشافعي، وله تصنيف في الفرائض، وكتاب الوزراء الفاطميين، وكتاب جمع فيه سيرة نفيسة التي كان يعتقدها عوام مصر، وقد كان أديباً فاضلاً فقيهاً، غير أنه كان ينسب إلى موالاة الفاطميين، وله فيهم وفي وزرائهم وأمرائهم مدائح كثيرة جداً وأقل ما كان ينسب إلى الرفض، وقد اتهم بالزندقة والكفر المحض، وذكر العماد في الخريدة أنه قال في قصيدته التي يقول في أولها:

العِلْمُ مُذْ كَانَ مُحْتَاجٌ إلى العَلَمِ ... وَشَفْرَةُ السَّيْفِ تَسْتَغْنِي عَنِ القَلَمِ

وهي طويلة جداً فيها كفر وزندقة كثيرة. قال وفيها:

قَدْ كَانَ أَوَّلُ هٰذا الدِّينِ مِنْ رَجُلٍ ... سَعَى إِلَى أَنْ دَعَوْهُ سَيِّدَ الأُمَمِ

قال العماد فأفتى أهل العلم من أهل مصر بقتله، وحرضوا السلطان على المثلة به وبمثله، قال ويجوز أن يكون هذا البيت معمولاً عليه والله أعلم. وقد أورد ابن الساعي شيئاً من رقيق شعره فمن ذلك قوله يمدح بعض الملوك:

وإذا أَنَا قَبَّلْتُ بِشْرَ جَبِينِهِ ... فَارَقْتُهُ وَالبِشْرُ فَوْقَ جَبِينِي
وَإِذا لَثَمْتُ يَمِينَهُ وَخَرَجْتُ مِنْ ... أَبْوَابِهِ لَثَمَ المُلُوكُ يَمِينِي

ومن ذلك قوله:

لي في هَوَى الرَّشَأِ العُذْرِيِّ إعْذَارُ ... لَمْ يَبْقَ لي مُذْ أَقَسَرَ الدَّمْعُ إِنْكَارُ
لي في القُدُودِ وَفي لَثْمِ الخُدُو ... دِ وفي ضَمِّ النُّهُودِ لُبَانَاتٌ وَأَوْطَارُ[1]
هٰذا اخْتِيَارِي فَوَافِقْ إنْ رَضِيتَ بِهِ ... وَإلاّ فَدَعْنِي لِمَا أَهْوَى وَأَخْتَارُ

ومما أنشده الكندي في عمارة اليمني حين صلب:

عمارةُ في الإِسْلامِ أَبْدَى جِنَايَةً ... وَبَايَعَ فِيهَا بيعَةً وَصَلِيبَا
وَأَمْسَى شَرِيكَ الشِّرْكِ فِي بَغْضِ أَحْمَدٍ ... وَأَصْبَحَ في حُبِّ الصَّلِيبِ صَلِيبَا
سَيَلْقَى غَداً ما كَانَ يَسْعَى لِنَفْسِهِ ... وَيُسْقَى صَدِيداً في لَظَى وَصَلِيبا[2]

---

(١) لبانات أوطار: حاجات ومآرب.
(٢) الصديد: القيح. ولظى: جهنم. والصليب: دسم الشحم.

قال الشيخ أبو شامة: فالأول صليب النصارى، والثاني بمعنى مصلوب، والثالث بمعنى القوي، والرابع ودك العظام. ولما صلب الملك الناصر هؤلاء يوم السبت الثاني من شهر رمضان من هذه السنة بين القصرين من القاهرة، كتب إلى الملك نور الدين يعلمه بما وقع منهم وبهم من الخزي والنكال، قال العماد: فوصل الكتاب بذلك الأمر يوم توفي الملك نور الدين رحمه الله تعالى، وكذلك قتل صلاح الدين رجلاً من أهل الإسكندرية يقال له قديد القفاجي، كان قد افتتن به الناس، وجعلوا له جزءاً من أكسابهم، حتى النساء من أموالهن، فأحيط به فأراد القفاجي الخلاص ولات حين مناص، فقتل أسوة فيمن سلف، ومما وجد من شعر عمارة يرثي العاضد ودولته وأيامه.

أَسَفِي عَلَى زَمَنِ الإِمَامِ العَاضِدِ ... أَسَفَ العَقِيمِ عَلَى فِرَاقِ الوَاحِدِ
لَهْفِي عَلَى حُجُرَاتِ قَصْرِكَ إذ خَلَتْ ... يا ابْنَ النَّبِيِّ مِنِ ازْدِحَامِ الوَافِدِ
وَعَلَى انْفِرَادِكَ فِي عَسَاكِرِكَ الَّتِي ... كَانُوا كَأَمْوَاجِ الخِضَمِّ الرَّاكِدِ
قَلَّدْتَ مُؤْتَمَنَ الخِلافَةِ أَمْرَهُمْ ... فَكَبَا وَقَصَّرَ عَنْ صَلاحِ الفَاسِدِ
فَعَسَى اللَّيَالِي أَنْ تَرُدَّ إِلَيكُم ... مَا عَوَّدَتْكُمْ مِنْ جَمِيلِ عَوَائِدِ

وله من جملة قصيدة:

يا عَاذِلِي فِي هَوَى أَبْنَاءِ فَاطِمَةٍ ... لَكَ المَلامَةُ إنْ قَصَّرْتَ فِي عَذَلِي
بِاللهِ زُرْ سَاحَةَ القَصْرَيْنِ وَابْكِ مَعِي ... لِيس البكاء عَلَى صِفِّينَ وَالجَمَلِ
وَقُلْ لأَهْلِهِمَا وَاللهِ ما الْتَحَمَتْ ... فِيكُمْ قُرُوحِي وَلا جُرْحِي بِمُنْدَمِلِ
مَاذا تَرَى كَانَتِ الإِفْرَنْجُ فَاعِلَةً ... فِي نَسْلِ ابني أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِي

وقد أورد له الشيخ أبو شامة في الروضتين أشعاراً كثيرة من مدائحه في الفاطميين، وكذا ابن خلكان.

ابن قرقول إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي

صاحب كتاب مطالع الأنوار، وضعه على كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض، وكان من علماء بلاده وفضلائهم المشهورين، مات فجأة بعد صلاة الجمعة سادس شوال منها عن أربع وستين سنة قاله ابن خلكان والله سبحانه وتعالى أعلم.

فَصل في وفاة الملك نور الدين محمود زنكي في هذه السنة وذكر شيء من سيرته العادلة

هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود ابن الملك الأتابك قسيم الدولة عماد الدين أبي سعيد زنكي الملقب بالشهيد ابن الملك آقسنقر الأتابك الملقب بقسيم الدولة التركي السلجوقي مولاهم، ولد وقت طلوع الشمس من يوم الأحد السابع عشر من شوال

سنة إحدى عشرة وخمسمائة بحلب، ونشأ في كفالة والده صاحب حلب والموصل وغيرهما من البلدان الكثيرة الكبيرة، وتعلم القرآن والفروسية والرمي، وكان شهماً شجاعاً ذا همة عالية، وقصد صالح، وحرمة وافرة وديانة بينة، فلما قتل أبوه سنة إحدى وأربعين وهو محاصر جعبر كما ذكرنا، صار الملك بحلب إلى ابنه نور الدين هذا، وأعطاه أخوه سيف الدين غازي الموصل، كما تقدم، ثم افتتح دمشق في سنة تسع وأربعين فأحسن إلى أهلها وبنى لهم المدارس والمساجد والربط، ووسع لهم الطرق على المارة، وبنى عليها الرصافات ووسع الأسواق، ووضع المكوس بدار الغنم والبطيخ والعرصد، وغير ذلك، وكان حنفي المذهب يحب العلماء والفقراء ويكرمهم ويحترمهم، ويحسن إليهم، وكان يقوم في أحكامه بالمعدلة الحسنة، واتباع الشرع المطهر، ويعقد مجالس العدل ويتولاها بنفسه، ويجتمع إليه في ذلك القاضي والفقهاء والمفتيون من سائر المذاهب، ويجلس في يوم الثلاثاء بالمسجد المعلق، الذي بالكشك، ليصل إليه كل أحد من المسلمين وأهل الذمة، حتى يساويهم، وأحاط السور على حارة اليهود، وكان خراباً، وأغلق باب كسان وفتح باب الفرج، ولم يكن قبله هناك باب بالكلية، وأظهر ببلاده السنة وأمات البدعة، وأمر بالتأذين بحيّ على الصلاة حي على الفلاح، ولم يكن يؤذن بها في دولتي أبيه وجده وإنما كان يؤذن بحيّ على خير العمل لأن شعار الرفض كان ظاهراً بها، وأقام الحدود وفتح الحصون، وكسر الفرنج مراراً عديدة، واستنقذ من أيديهم معاقل كثيرة من الحصون المنيعة، التي كانوا قد استحوذوا عليها من معاقل المسلمين، كما تقدم بسط ذلك في السنين المتقدمة، وأقطع العرب إقطاعات لئلا يتعرضوا للحجيج، وبنى بدمشق مارستاناً لم يبن في الشام قبله مثله ولا بعده أيضاً، ووقف وقفاً على من يعلم الأيتام الخط والقراءة، وجعل لهم نفقة وكسوة، وعلى المجاورين بالحرمين وله أوقاف دارة على جميع أبواب الخير، وعلى الأرامل والمحاويج، وكان الجامع دائراً [1] فولي نظره القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري الموصلي، الذي قدم به فولاه قضاء قضاة دمشق، فأصلح أموره وفتح المشاهد الأربعة، وقد كانت حواصل الجامع بها من حين احترقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة، وأضاف إلى أوقاف الجامع المعلومة الأوقاف التي لا يعرف واقفوها، ولا يعرف شروطهم فيها، وجعلها قلماً واحداً، وسماه مال المصالح، ورتب عليه لذوي الحاجات الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام وما أشبه ذلك. وقد كان رحمه الله حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية، متبعاً للآثار النبوية، محافظاً على الصلوات في الجماعات، كثير التلاوة محباً لفعل الخيرات، عفيف البطن والفرج مقتصداً في الإنفاق على نفسه وعياله في المطعم والملبس، حتى قيل: إنه كان أدنى الفقراء في زمانه أعلى نفقة منه من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا ولم يسمع منه كلمة فحش قط، في غضب ولا رضى، صموتاً وقوراً. قال ابن الأثير: لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين، ولا أكثر تحرياً للعدل والإنصاف منه، وكانت له دكاكين

(١) الدائر: الخالي، والبالي.

بحمص قد اشتراها مما يخصه من المغانم، فكان يقتات منها، وزاد امرأته من كراها على نفقتها عليها، واستفتى العلماء في مقدار ما يحل له من بيت المال فكان يتناوله ولا يزيد عليه شيئاً، ولو مات جوعاً، وكان يكثر اللعب بالكرة فعاتبه رجل من كبار الصالحين في ذلك فقال: إنما الأعمال بالنيات، وإنما أريد بذلك تمرين الخيل على الكر والفر، وتعليمها ذلك، ونحن لا نترك الجهاد، وكان لا يلبس الحرير، وكان يأكل من كسب يده بسيفه ورمحه، وركب يوماً مع بعض أصحابه والشمس في ظهورهما والظل بين أيديهما لا يدركانه ثم رجعا فصار الظل وراءهما ثم ساق الملك نور الدين فرسه سوقاً عنيفاً وظله يتبعه، فقال لصاحبه: أتدري ما شبهت هذا الذي نحن فيه؟ شبهته بالدنيا تهرب ممن يطلبها، وتطلب من يهرب منها، وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى:

مَثَلُ الرِّزْقِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكْ
أَنْتَ لا تُدْرِكُهُ مُسْتَعْجِلاً فَإذا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكْ

وكان فقيهاً على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث وأسمعه، وكان كثير الصلاة بالليل من وقت السحر إلى أن يركب:

جَمَعَ الشَّجَاعَةَ وَالخُشُوعَ لِديهِ مَا أَحْسَنَ الشُّجْعَانَ فِي المِحْرَابِ

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون بنت الأتابك معين الدين تكثر القيام في الليل فنامت ذات ليلة عن وردها فأصبحت وهي غضبى، فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها، فأمر نور الدين عن ذلك بضرب طبلخانة في القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجراً جزيلاً وجراية كثيرة.

فَأَلْبَسَ اللهُ هَاتِيكَ العِظَامَ وَإِنْ بَلِينَ تَحْتَ الثَّرَى عَفْواً وَغُفْرَانَا
سَقَى ثَرَى أُودِعُوهُ رَحْمَةً مَلأَتْ مَثْوَى قُبُورِهِمْ رَوْحاً وَرَيْحَانَا

وذكر ابن الأثير أن الملك نور الدين بينما هو ذات يوم يلعب بالكرة إذ رأى رجلاً يحدث آخر ويومىء إلى نور الدين، فبعث الحاجب ليسأله ما شأنه! فإذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم، وهو يزعم أن له على نور الدين حقاً يريد أن يحاكمه عند القاضي، فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه بذلك ألقى الجوكان[1] من يده، وأقبل مع خصمه ماشياً إلى القاضي الشهرزوري، وأرسل نور الدين إلى القاضي أن لا تعاملني إلا معاملة الخصوم، فحين وصلا وقف نور الدين مع خصمه بين يدي القاضي، حتى انفصلت الخصومة والحكومة، ولم يثبت للرجل على نور الدين حق، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل، فلما تبين ذلك قال السلطان إنما جئت معه لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا دعي إليه، فإنما نحن معاشر الحكام أعلانا وأدنانا، شحنكية[2] لرسول الله ﷺ ولشرعه فنحن

(١) الجوكان: ما تضرب به الكرة.
(٢) الشحنكية: الخدم أو الحرس.

قائمون بين يديه طوع مراسيمه، فما أمر به امتثلناه، وما نهانا عنه اجتنبناه، وأنا أعلم أنه لا حق للرجل عندي، ومع هذا أشهدكم أني قد ملكته ذلك الذي ادعى به ووهبته له قال ابن الأثير: وهو أول من ابتنى داراً للعدل، وكان يجلس فيها في الأسبوع مرتين، وقيل أربع مرات، وقيل خمس. ويحضر القاضي والفقهاء من سائر المذاهب، ولا يحجبه يومئذٍ حاجب ولا غيره بل يصل إليه القوي والضعيف، فكان يكلم الناس ويستفهمهم ويخاطبهم بنفسه، فيكشف المظالم، وينصف المظلوم من الظالم، وكان سبب ذلك أن أسد الدين بن شادي كان قد عظم شأنه عند نور الدين، حتى صار كأنه شريكه في المملكة، واقتنى الأملاك والأموال والمزارع والقرى، وكان ربما ظلم نوابه جيرانه في الأراضي والأملاك العدل، وكان القاضي كمال الدين ينصف كل من استعداه على جميع الأمراء إلا أسد الدين هذا فما كان يهجم عليه، فلما ابتنى نور الدين دار العدل تقدم أسد الدين إلى نوابه أن لا يدعوا لأحد عنده ظلامة، وإن كان عظيماً، فإن زوال ما له عنده أحب إليه من أن يراه نور الدين بعين ظالم، أو يوقفه مع خصم من العامة، ففعلوا ذلك، فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متطاولة ولم يرَ أحداً يستعدي على أسد الدين، سأل القاضي عن ذلك، فأعلمه بصورة الحال، فسجد نور الدين شكراً لله، وقال الحمد لله الذي أصحابنا ينصفون من أنفسهم. وأما شجاعته فيقال: إنه لم ير على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه، وكان حسن اللعب بالكرة وكان ربما ضربها ثم يسوق وراءها ويأخذها من الهواء بيده، ثم يرميها إلى آخر الميدان، ولم ير جوكانه يعلو على رأسه، ولا يرى الجوكان في يده، لأن الكم ساتر لها، ولكنه استهانة بلعب الكرة، وكان شجاعاً صبوراً في الحرب، يضرب المثل به في ذلك، وكان يقول: قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لي ذلك ولو كان في خير ولي عند الله قيمة لرزقنيها، والأعمال بالنية. وقال له يوماً قطب الدين النيسابوري: بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك فإنك لو قتلت قتل جميع من معك، وأخذت البلاد، وفسد المسلمين. فقال: له اسكت يا قطب الدين فإن قولك إساءة أدب على الله، ومن هو محمود؟ من كان يحفظ الدين والبلاد قبلي غير الذي لا إله إلا هو؟ ومن هو محمود؟ قال: فبكى من كان حاضراً رحمه الله.

وقد أسر بنفسه في بعض الغزوات بعض ملوك الإفرنج فاستشار الأمراء فيه هل يقتله أو يأخذ ما يبذل له من المال؟ وكان قد بذل له في فداء نفسه مالاً كثيراً، فاختلفا عليه ثم حسن في رأيه إطلاقه وأخذ الفداء منه، فبعث إلى بلده من خلاصته من يأتيه بما اقتدى به نفسه، فجاء به سريعاً فأطلقه نور الدين، فحين وصل إلى بلاده مات ذلك الملك ببلده، فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه، وبنى من ذلك المال المارستان الذي بدمشق، وليس له في البلاد نظير، ومن شرطه أنه وقف على الفقراء والمساكين وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء، ومن جاء إليه فلا يمنع من شرابه، ولهذا جاء إليه نور الدين وشرب من شرابه رحمه الله.

قلت: ويقول بعض الناس إنه لم تخمد منه النار منذ بني إلى زماننا هذا فالله أعلم. وقد بنى الخانات الكثيرة في الطرقات والأبراج، ورتب الخفراء في الأماكن المخوفة، وجعل فيها الحمام الهوادي التي تطلعه على الأخبار في أسرع مدة، وبنى الربط والخانقات، وكان يجمع الفقهاء عنده والمشايخ والصوفية للزيارة ويكرمهم ويعظمهم، وكان يحب الصالحين، وقد نال بعض الأمراء عنده من بعض الفقهاء وهو قطب الدين النيسابوري، فقال له نور الدين: ويحك إن كان ما يقول حقاً فله من الحسنات الكثيرة الماحية لذلك ما ليس عندك مما يكفر عنه سيئات ما ذكرت إن كنت صادقاً، على أني والله لا أصدقك، وإن عدت ذكرته أو أحداً غيره عندي بسوء لأؤذينك، فكف عنه ولم يذكره بعد ذلك. وقد ابتنى بدمشق داراً لاستماع الحديث وإسماعه. قال ابن الأثير: وهو أول من بنى دار حديث، وقد كان مهيباً وقوراً شديد الهيبة في قلوب الأمراء، لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا بإذنه، ولم يكن أحد من الأمراء يجلس بلا إذن سوى الأمير نجم الدين أيوب، وأما أسد الدين شيركوه ومجد الدين بن الداية نائب حلب، وغيرهما من الأكابر فكانوا يقفون بين يديه، ومع هذا كان إذا دخل أحد من الفقهاء أو الفقراء قام له ومشى خطوات وأجلسه معه على سجادته في وقار وسكون، وإذا أعطى أحداً منهم شيئاً مستكثراً يقول: هؤلاء جُند الله وبدعائهم ننصر على الأعداء، ولهم في بيت المال حق أضعاف ما أعطيهم، فإذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنة علينا. وقد سمع عليه جزء حديث وفيه «فخرج رسول الله ﷺ متقلداً السيف» فجعل يتعجب من تغيير عادات الناس لما ثبت عنه عليه السلام، وكيف يربط الأجناد والأمراء على أوساطهم ولا يفعلون كما فعل رسول الله ﷺ، ثم أمر الجند بأن لا يحملوا السيوف إلا متقلديها، ثم خرج هو في اليوم الثاني إلى الموكب وهو متقلد السيف وجميع الجيش كذلك، يريد بذلك الاقتداء برسول الله ﷺ فرحمه الله.

وقص عليه وزيره موفق الدين خالد بن محمد بن نصر القيسراني الشاعر أنه رأى في منامه كأنه يغسل ثياب الملك نور الدين، فأمره بأن يكتب مناشير بوضع المكوس والضرائب عن البلاد، وقال له هذا تأويل رؤياك. وكتب إلى الناس ليكون منهم في حل مما كان أخذ منهم، ويقول لهم إنما صرف ذلك في قتال أعدائكم من الكفرة والذّب عن بلادكم ونسائكم وأولادكم. وكتب بذلك إلى سائر ممالكه وبلدان سلطانه، وأمر الوعاظ أن يستحلوا له من التجار، وكان يقول في سجوده: اللهم ارحم المكاس العشار الظالم محمود الكلب، وقيل إن برهان الدين البلخي أنكر على الملك نور الدين في استعانته في حروب الكفار بأموال المكوس، وقال له مرة: كيف تنصرون وفي عساكركم الخمور والطبول والزمور؟ ويقال إن سبب وضعه المكوس عن البلاد أن الواعظ أبا عثمان المنتخب ابن أبي محمد الواسطي - وكان من الصالحين الكبار، وكان هذا الرجل ليس له شيء ولا يقبل من أحد شيئاً، إنما كانت له جبة يلبسها إذا خرج إلى مجلس وعظه، وكان يجتمع في مجلس وعظه الألوف من الناس أنشد نور الدين أبياتاً تتضمن ما هو متلبس به في ملكه، وفيها تخويف وتحذير شديد له:

مَـثَـلْ وُقُـوفَـكَ أَيُّـهَـا الـمَـغْـرُورُ ... يَـوْمَ الـقِـيَـامَـةِ وَالـسَّـمَـاءُ تَـمُـورُ(١)
إِنْ قِـيـلَ نُـورَ الـدِّيـنِ رُحْـتَ مُـسَـلِّـمـاً ... فَـاحْـذَرْ بِـأَنْ تَـبْـقَـى وَمَـا لَـكَ نُـورُ
أَنَـهَـيْـتَ عَـنْ شُـرْبِ الـخُـمُـورِ وَأَنْـتَ فِـي ... كَـأْسِ الـمَـظَـالِـمِ طَـائِـشٌ مَـخْـمُـورُ
عَـطَّـلْـتَ كَـاسَـاتِ الـمُـدَامِ تَـعَـفُّـفـاً ... وَعَـلَـيْـكَ كَـاسَـاتُ الـحَـرَامِ تَـدُورُ
مَـاذَا تَـقُـولُ إِذَا نُـقِـلْـتَ إِلَـى الـبِـلَـى ... فَـرْداً وَجَـاءَكَ مُـنْـكَـرٌ وَنَـكِـيـرُ؟
مَـاذَا تَـقُـولُ إِذَا وَقَـفْـتَ بِـمَـوْقِـفٍ ... فَـرْداً ذَلِـيـلاً وَالـحِـسَـابُ عَـسِـيـرُ؟
وَتَـعَـلَّـقَـتْ فِـيـكَ الـخُـصُـومُ وَأَنْـتَ فِـي ... يَـوْمِ الـحِـسَـابِ مُـسَـلْـسَـلٌ مَـجْـرُورُ
وَتَـفَـرَّقَـتْ عَـنْـكَ الـجُـنُـودُ وَأَنْـتَ فِـي ... ضِـيـقِ الـقُـبُـورِ مُـوَسَّـدٌ مَـقْـبُـورُ
وَوَدِدْتَ أَنَّـكَ مَـا وَلِـيـتَ وِلَايَـةً ... يَـوْمـاً وَلَا قَـالَ الأَنَـامُ أَمِـيـرُ
وَبَـقِـيـتَ بَـعْـدَ الـعِـزِّ رَهْـنَ حَـفِـيـرَةٍ ... فِـي عَـالَـمِ الـمَـوْتَـى وَأَنْـتَ حَـقِـيـرُ
وَحُـشِـرْتَ عُـرْيَـانـاً حَـزِيـنـاً بَـاكِـيـاً ... قَـلِـقـاً وَمَـا لَـكَ فِـي الأَنَـامِ مُـجِـيـرُ
أَرَضِـيـتَ أَنْ تَـحْـيَـا وَقَـلْـبُـكَ دَارِسٌ ... عَـافِـي الـخـراب وَجِـسْـمُـكَ الـمَـعْـمُـورُ
أَرَضِـيـتَ أَنْ يَـحْـظَـى سِـوَاكَ بِـقُـرْبِـهِ ... أَبَـداً وَأَنْـتَ مُـعَـذَّبٌ مَـهْـجُـورُ
مَـهِّـدْ لِـنَـفْـسِـكَ حُـجَّـةً تَـنْـجُـو بِـهَـا ... يَـوْمَ الـمَـعَـادِ وَيَـوْمَ تَـبْـدُو الـعُـورُ

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاء شديداً وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر البلاد. وكتب إليه الشيخ عمر الملا من الموصل ـ وكان قد أمر الولاة والأمراء بها أن لا يفصلوا بها أمراً حتى يعلموا الملا به، فما أمرهم به من شيء امتثلوه، وكان من الصالحين الزاهدين، وكان نور الدين يستقرض منه في كل رمضان ما يفطر عليه، وكان يرسل إليه بفتيت ورقاق فيفطر عليه جميع رمضان ـ فكتب إليه الشيخ عمر بن الملا هذا: إن المفسدين قد كثروا، ويحتاج إلى سياسة ومثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب، وإذا أخذ إنسان في البرية من يجيء يشهد له؟ فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتابه: إن الله خلق الخلق وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم، ولو علم أن في الشريعة زيادة في المصلحة لشرعها لنا، فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرع الله تعالى فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه، والعقول المظلمة لا تهتدي، والله سبحانه يهدينا وإياك إلى صراط مستقيم فلما وصل الكتاب إلى الشيخ عمر الملا جمع الناس بالموصل وقرأ عليهم الكتاب وجعل يقول: انظروا إلى كتاب الزاهد إلى الملك، وكتاب الملك إلى الزاهد.

وجاء إليه أخو الشيخ أبي البيان يستعديه على رجل أنه سب ورماه بأنه يرائي(٢) وأنه وأنه، وجعل يبالغ في الشكاية عليه فقال له السلطان: أليس الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

---

(١) تمور: تضطرب، تموج.

(٢) المراءاة: التملق، وعدم الصدق والنصيحة.

ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان:٦٣] وقال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩] فسكت الشيخ ولم يحر جواباً. وقد كان نور الدين يعتقده ويعتقد أخاه أبا البيان، وأتاه زائراً مرات، ووقف عليه وقفاً وقال الفقيه أبو الفتح الأشعري ـ معيد النظامية ببغداد، وكان قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين، قال: وكان نور الدين محافظاً على الصلوات في أوقاتها في جماعة بتمام شروطها والقيام بها بأركانها والطمأنينة في ركوعها وسجودها، وكان كثير الصلاة بالليل، كثير الابتهال في الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل في أموره كلها. قال: وبلغنا عن جماعة من الصوفية ممن يعتمد على قولهم إنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام أخذ القدس الفرنج فسمعهم يقولون: إن القسيم ابن القسيم ـ يعنون نور الدين ـ له مع الله سر، فإنه لم يظفر وينصر علينا بكثرة جنده وجيشه، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل، فإنه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو فإنه يستجيب له ويعطيه سؤله فيظفر علينا. قال: فهذا كلام الكفار في حقه.

وحكى الشيخ أبو شامة أن نور الدين وقف بستان الميدان سوى الغيضة التي تليه نصفه على تطييب جامع دمشق، والنصف الآخر يقسم عشرة أجزاء جزآن على تطييب المدرسة التي أنشأها للحنفية، والثمانية أجزاء الأخرى على تطييب المساجد التسعة، وهي مسجد الصالحين بجبل قيسون وجامع القلعة، ومسجد عطية، ومسجد ابن لبيد بالعسقار، ومسجد الرماحين المعلق، ومسجد العباس بالصالحية، ومسجد دار البطيخ المعلق، والمسجد الذي جدده نور الدين جوار بيعة اليهود، لكل من هذه المساجد جزء من إحدى عشرة جزء من النصف. ومناقبه ومآثره كثيرة جداً. وقد ذكرنا نبذة من ذلك يستدل بها على ما وراءها.

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين في أول الروضتين كثيراً من محاسنه، وذكر ما مدح به من القصائد وذكر أنه لما فتح أسد الدين الديار المصرية ثم مات، ثم تولى صلاح الدين هم بعزله عنها واستنابه غيره فيها غير مرة، ولكن يعوقه عن ذلك ويصده قتال الفرنج، واقتراب أجله، فلما كان في هذه السنة ـ وهي سنة تسع وستين وخمسمائة ـ وهي آخر مدته، أضمر على الدخول إلى الديار المصرية وصمم عليه، وأرسل إلى عساكر بلاد الموصل وغيرها ليكونوا ببلاد الشام حفظاً لها من الفرنج في غيبته ويركب هو في جمهور الجيش إلى مصر، وقد خاف منه الملك صلاح الدين خوفاً شديداً، فلما كان يوم عيد الفطر من هذه السنة ركب إلى الميدان الأخضر القبلي وصلى فيه صلاة عيد الفطر، وكان ذلك نهار الأحد، ورمى العتق في الميدان الأخضر الشمالي، والقدر يقول له: هذا آخر أعيادك، ومد في ذلك اليوم سماطاً حافلاً وأمر بانتهابه، وطهر ولده الملك الصالح إسماعيل في هذا اليوم، وزينت له البلد، وضربت البشائر للعيد والختان، ثم ركب في يوم الاثنين وأكب على العادة ثم لعب بالكرة في ذلك اليوم، فحصل له غيظ من بعض الأمراء ـ ولم يكن ذلك من سجيته ـ فبادر إلى القلعة وهو كذلك في غاية الغضب، وانزعج ودخل في حيز سوء المزاج، واشتغل بنفسه وأوجاعه، وتنكرت عليه جميع حواسه وطباعه، واحتبس أسبوعاً عن الناس، والناس في

شغل عنه بما هم فيه من اللعب والانشراح في الزينة التي نصبوها لأجل طهور ولده، فهذا يجود بروحه، وهذا يجود بموجوده، سروراً بذلك، فانعكست تلك الأفراح بالأتراح، ونسخ الجد ذلك المزاح، وحصلت للملك خوانيق في حلقه منعته من أداء النطق، وهذا شأن أوجاع الحلق، وكان قد أشير عليه بالفصد فلم يقبل، وبالمبادرة إلى المعالجة فلم يفعل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً [وكان ذلك في الكتاب المسطور][1] . فلما كان يوم الأربعاء الحادي من شوال من هذه السنة قبض إلى رحمة الله تعالى عن ثمان وخمسين سنة، مكث منها في الملك ثمان وعشرين سنة رحمه الله، وصلي عليه بجامع القلعة بدمشق، ثم حول إلى تربته التي أنشأها للحنفية بين باب الخواصين، وباب الخيميين على الدرب، وقبره بها يزار، ويحلق بشباكه، ويطيب ويتبرك به كل مارّ، فيقول قبر نور الدين الشهيد، لما حصل له في حلقه من الخوانيق، وكذا كان يقال لابنه الشهيد ويلقب بالقسيم، وكانت الفرنج تقول له القسيم ابن القسيم. وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة قد أوردها أبو شامة، وما أحسن ما قاله العماد:

عَجِبْتُ مِنَ المَوْتِ لَمَّا أَتَى ... إِلَى مَلِكٍ فِي سَجَايَا مَلَكْ[2]
وَكَيْفَ ثَوَى الفَلَكُ المُسْتَدِ ... يرُ فِي الأَرْضِ وَسْطَ فَلَكْ

وقال حسان الشاعر الملقب بالعرقلة في مدرسة نور الدين لما دفن بها رحمه الله تعالى:

وَمَدْرَسَةٍ سَتَدْرُسُ كُلُّ شَيْءٍ ... وَتَبْقَى فِي حِمَى عِلْمٍ وَنُسْكِ
تَضَوَّعَ ذِكْرُهَا شَرْقاً وَغَرْباً ... بِنُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِي
يَقُولُ وَقَوْلُهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ ... بِغَيْرِ كِنَايَةٍ وَبِغَيْرِ شَكٍّ
دِمَشْقٌ فِي المَدَائِنِ بَيْتُ مُلْكِي ... وَهٰذِي فِي المَدَارِسِ بِنْتُ مُلْكِي

[وقبره مشهور بدمشق يزار ويخلق شباكه فيطيب بريحه كل مار وإنما يقول الناس نور الدين الشهيد لما حصل له من الخوانيق وكذلك كان يقال لأبيه الشهيد يلقب بالقسيم وكان الفرنج يقولون ابن القسيم][3] .

صفة نور الدين رحمه الله تعالى

كان طويل القامة أسمر اللون حلو العينين واسع الجبين، حسن الصورة، تركي الشكل، ليس له لحية إلا في حنكه، مهيباً متواضعاً عليه جلالة ونور، يعظم الإسلام وقواعد الدين، ويعظم الشرع.

فصل

لما مات نور الدين في شوال من هذه السنة بويع من بعده بالملك لولده الصالح

---

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٢) السجايا: جمع سجية، وهي الصفة، والمزية.
(٣) سقط في ط.

إسماعيل، وكان صغيراً، وجعل أتابكه الأمير شمس الدين بن مقدم، فاختلف الأمراء وحاذت الآراء وظهرت الشرور، وكثرت الخمور، وقد كانت لا توجد في زمنه ولا أحد يجسر أن يتعاطى شيئاً منها، ولا من الفواحش، وانتشرت الفواحش وظهرت حتى أن ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود صاحب الموصل لما تحقق موته ـ وكان محصوراً منه ـ نادى مناديه بالبلد بالمسامحة باللعب واللهو والشراب والمسكر والطرب، ومع المنادي دف وقدح ومزمار الشيطان، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد كان ابن أخيه هذا وغيره من الملوك والأمراء الذين له حكم عليهم، لا يستطيع أحد منهم أن يفعل شيئاً من المنكر والفواحش، فلما مات مرج أمرهم وعاثوا في الأرض فساداً وتحقق قول الشاعر:

أَلاَ فَاسْقِنِي خَمْراً وَقُلْ لِي هِيَ الخَمْرُ وَلاَ تَسْقِنِي سِرّاً وَقَدْ أَمْكَنَ الجَهْرُ

وطمعت الأعداء من كل جانب في المسلمين، وعزم الفرنج على قصد دمشق وانتزاعها من أيدي المسلمين، فبرز إليهم ابن مقدم الأتابك فواقعهم عند بانياس فضعف عن مقاومتهم، فهادنهم مدة، ودفع إليهم أموالاً جزيلة عجلها لهم، ولولا أنه خوفهم بقدوم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما هادنوه.. ولما بلغ ذلك صلاح الدين كتب إلى الأمراء وخاصة ابن مقدم يلومهم على ما صنعوا من المهادنة ودفع الأموال إلى الفرنج، وهم أقل وأذل، وأخبرهم أنه عزم قصد البلاد الشامية ليحفظها من الفرنج، فردوا إليه كتاباً فيه غلظة، وكلام فيه بشاعة، فلم يلتفت إليهم، ومن شدة خوفهم منه كتبوا إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل ليملكوه عليهم ليدفع عنهم كيد الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر، فلم يفعل لأنه خاف أن يكون مكيدة منهم له، وذلك أنه كان قد هرب منه الطواشي سعد الدولة مستكين الذي كان قد جعله الملك نور الدين عيناً عليه، وحافظاً له من تعاطي ما لا يليق من الفواحش والخمر واللعب واللهو. فلما مات نور الدين ونادى في الموصل تلك المناداة القبيحة خاف منه الطواشي المذكور أن يمسكه فهرب منه سرّاً، فلما تحقق غازي موت عمه بعث في إثر هذا الخادم ففاته فاستحوذ على حواصله، ودخل الطواشي حلب ثم سار إلى دمشق فاتفق مع الأمراء على أن يأخذوا ابن نور الدين الملك الصالح إسماعيل إلى حلب فيربيه هنالك مكان ربي والده، وتكون دمشق مسلمة إلى الأتابك شمس الدولة بن مقدم، والقلعة إلى الطواشي جمال الدين ريحان. فلما سار الملك الصالح من دمشق خرج معه الكبراء والأمراء من دمشق إلى حلب، وذلك في الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة، وحين وصلوا حلب جلس الصبي على سرير ملكها واحتاطوا على بني الداية شمس الدين بن الداية أخو مجد الدين الذي كان رضيع نور الدين وإخوته الثلاثة، وقد كان شمس الدين بن الداية يظن أن ابن نور الدين يسلم إليه فيربيه، لأنه أحق الناس بذلك، فخيبوا ظنه وسجنوه وإخوته في الجب، فكتب الملك صلاح الدين إلى الأمراء [يلومهم] على ما فعلوا من نقل الولد من دمشق إلى حلب، ومن حبسهم بني الداية وهم من خيار الأمراء ورؤوس الأمراء، ولم لا يسلموا الولد إلى مجد الدين بن الداية الذي هو أحظى عند

نور الدين وعند الناس منهم. فكتبوا إليه يسيئون الأدب عليه، وكل ذلك يزيده حنقاً عليهم، ويحرضه على القدوم إليهم، ولكنه في الوقت في شغل شاغل لما دهمه ببلاد مصر من الأمر الهائل، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في أول السنة الآتية.

وممن توفي فيها من الأعيان والمشاهير:

الحسن بن الحسن

ابن أحمد بن محمد العطار، أبو العلاء الهمداني الحافظ، سمع الكثير ورحل إلى بلدان كثيرة، اجتمع بالمشايخ وقدم بغداد وحصل الكتب الكثيرة، واشتغل بعلم القراءات واللغة، حتى صار أوحد زمانه في علمي الكتاب والسنة، وصنف الكتب الكثيرة المفيدة، وكان على طريقة حسنة سخياً عابداً زاهداً صحيح الاعتقاد حسن السمت، له ببلده المكانة والقبول التام، وكانت وفاته ليلة الخميس الحادي عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين بأربعة أشهر وأيام. وقال ابن الجوزي: وقد بلغني أنه رأى في المنام أمه في مدينة جميع جدرانها كتب وحوله كتب لا تعد ولا تحصى، وهو مشتغل بمطالعتها، فقيل له، ما هذا؟ فقال سألت الله أن يشغلني بما كنت أشتغل به في الدنيا فأعطاني وفيها توفي:

الأهوازي

خازن كتب مشهد أبي حنيفة ببغداد، توفي فجأة في ربيع الأول من هذه السنة.

محمود بن زنكي بن آقسنقر

السلطان الملك العادل نور الدين، صاحب بلاد الشام وغيرها من البلدان الكثيرة الواسعة، كان مجاهداً في الفرنج، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، محبّاً للعلماء والفقراء والصالحين، مبغضاً للظلم، صحيح الاعتقاد مؤثراً لأفعال الخير، لا يجسر أحد أن يظلم أحداً في زمانه، وكان قد قمع المناكر وأهلها، ورفع العلم والشرع، وكان مدمناً لقيام الليل يصوم كثيراً، ويمنع نفسه عن الشهوات، وكان يحب التيسير على المسلمين، ويرسل البر إلى العلماء والفقراء والمساكين والأيتام والأرامل، وليست الدنيا عنده بشيء رحمه الله وبلّ ثراه بالرحمة والرضوان قال ابن الجوزي: استرجع نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى من أيدي الكفار نيّفاً وخمسين مدينة، وقد كان يكاتبني وأكاتبه، قال: ولما حضرته الوفاة أخذ العهد على الأمراء من بعده لولده ـ يعني الصالح إسماعيل ـ وجدد العهد مع صاحب طرابلس أن لا يغير على الشام في المدة التي كان مادّه عليها، وذلك أنه كان قد أسره في بعض غزواته وأسر معه جماعة من أهل دولته، فافتدى نفسه منه بثلاثمائة ألف دينار وخمسمائة حصان وخمسمائة وردية[1] ومثلها برانس، أي لبوست وقنطوريات[2] وخمسمائة أسير من المسلمين، وعاهده أن لا يغير على بلاد المسلمين إلى سبع سنين وسبعة أشهر

---

(١) الوردية: نوع من الثياب.

(٢) القنطوريات: النساء من أصل تركي.

وسبعة أيام، وأخذ منه رهائن عل ذلك مائة من أولاده وأولاد أكابر الفرنج وبطارقتهم، فإن نكث أراق دماءهم، وكان قد عزم على فتح بيت المقدس شرفه الله، فوافته المنية في شوال من هذه السنة، والأعمال بالنيات، فحصل له أجر ما نوى، وكانت ولايته ثمان وعشرين سنة وأشهراً، وقد تقدم ذلك. وهذا مقتضى ما ذكره ابن الجوزي ومعناه. [وفي هذه السنة كانت وفاة ملك الفرنج مري لعنه الله وباطنه ملك بلاد عسقلان ونحوها وكان قارب أن يملك الديار المصرية لولا فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين][1].

الخضر بن نصر

علي بن نصر الأربلي الفقيه الشافعي، أول من درس بأربل في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وكان فاضلاً ديناً، انتفع به الناس، وكان قد اشتغل على الكيا الهراسي وغيره ببغداد، وقدم دمشق فأرّخه ابن عساكر في هذه السنة، وترجمه ابن خلكان في الوفيات، وقال قبره يزار، وقد زرته غير مرة، ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبركون به، وهذا الذي قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور. وفيها هلك ملك الفرنج مري لعنه الله، وأظنه ملك عسقلان ونحوها من البلاد، وقد كان قارب أن يملك الديار المصرية لولا فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين.

ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة

استهلت [هذه السنة] والسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب قد عزم على الدخول إلى بلاد الشام لأجل حفظه من الفرنج، ولكن دهمه أمر شغله عنه، وذلك أن الفرنج قدموا إلى الساحل المصري في أسطول لم يسمع بمثله، وكثرة مراكب وآلات من الحرب والحصار والمقاتلة، من جملة ذلك مائتين شيني[2] في كل منها مائة وخمسون مقاتلاً، وأربعمائة قطعة أخرى، وكان قدومهم من صقلية إلى ظاهر إسكندرية قبل رأس السنة بأربعة أيام، فنصبوا المنجنيقات والدبابات حول البلد، وبرز إليهمَ أهلها فقاتلوهم دونها قتالاً شديداً أياماً، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير، ثم اتفق أهل البلد على حريق المنجانيق والدبابات ففعلوا ذلك، فأضعف ذلك قلوب الفرنج، ثم كبسهم المسلمون فقتلوا منهم جماعة وغنموا منهم ما أرادوا، فانهزم الفرنج في كل وجه، ولم يكن لهم ملجأ إلا البحر أو القتل أو الأسر، واستحوذ المسلمون على أموالهم وعلى وخيولهم وخيامهم، وبالجملة قتلوا خلقاً من الرجال وركب من بقي منهم في أسطول إلى بلادهم خائبين.

ومما عوق الملك الناصر عن الشام أيضاً أنّ رجلاً يعرف بالكنز سماه بعضهم عباس بن شادي وكان من مقدمي الديار المصرية والدولة الفاطمية، كان قد استند إلى بلد يقال له أسوان، وجعل يجمع عليه الناس، فاجتمع عليه خلق كثير من الرعاع من الحاضرة

---

(١) سقط في ط.

(٢) الشيني: المركب.

والغربان والرعيان، وكان يزعم إليهم أنه سيعيد الدولة الفاطمية، ويدحض الأتابكة التركية، فالتف عليه خلق كثير، ثم قصدوا قوص وأعمالها، وقتل طائفة من أمرائها ورجالها، فجرد إليه صلاح الدين طائفة من الجيش وأمر عليهم أخاه الملك العادل [سيف الدين][(1)] أبا بكر الكردي، فلما التقيا هزمه أبو بكر وأسر أهله وقتله.

فصل

فلما تمهدت البلاد ولم يبق بها رأس من الدولة العبيدية، برز السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف في الجيوش التركية قاصداً البلاد الشامية، وذلك حين مات سلطانها نور الدين محمود بن زنكي وأخيف سكانها وتضعضعت أركانها، واختلف حكامها، وفسد نقضها وإبرامها، وقصده جمع شملها والإحسان إلى أهلها، وأمن سهلها وجبلها، ونصرة الإسلام ودفع الطغام وإظهار القرآن وإخفاء سائر الأديان، وتكسير الصلبان في رضى الرحمن، وإرغام الشيطان. فنزل البركة في مستهل صفر وأقام بها حتى اجتمع عليه العسكر واستناب على مصر أخاه أبا بكر، ثم سار إلى بلبيس في الثالث عشر من ربيع الأول، فدخل مدينة دمشق في يوم الاثنين سلخ ربيع الأول، ولم ينتطح فيها عنزان، ولا اختلف عليه سفيان، وذلك أن نائبها شمس الدين بن مقدم كان قد كتب إليه أولاً فأغلظ له في الكتاب، فلما رأى أمره متوجهاً جعل يكاتبه ويستحثه على القدوم إلى دمشق، ويعده بتسليم البلد، فلما رأى الجد لم يمكنه المخالفة، فسلم البلد إليه بلا مدافعة، فنزل السلطان أولاً في دار والده دار العقيلي وهي التي بناها الملك الظاهر بيبرس مدرسة، وجاء أعيان البلد للسلام عليه فرأوا منه غاية الإحسان، وكان نائب القلعة إذ ذاك الطواشي ريحان، فكاتبه وأجزل نواله حتى سلمها إليه، ثم نزل إليه فأكرمه واحترمه، ثم أظهر السلطان أنه أحق الناس بتربية ولد نور الدين؛ لما لنور الدين عليهم من الإحسان المبين[(2)]، وذكر أنه خطب لنور الدين بالديار المصرية، ثم إن السلطان عامل الناس بالإحسان وأمر بإبطال ما أحدث بعد نور الدين من المكوس والضرائب، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ولله عاقبة الأمر.

فصل

فلما استقرت له دمشق بحذافيرها نهض إلى حلب مسرعاً لما فيها من التخبيط والتخليط، واستناب على دمشق أخاه طغتكين بن أيوب الملقب بسيف الإسلام، فلم اجتاز حمص أخذ ربضها ولم يشتغل بقلعتها، ثم سار إلى حماه فتسلمها من صاحبها عز الدين بن جبريل، وسأله أن يكون سفيره بينه وبين الحلبيين، فأجابه إلى ذلك، فسار إليهم فحذرهم بأس صلاح الدين فلم يلتفتوا إليه، بل أمروا بسجنه واعتقاله، فأبطأ الجواب على السلطان، فكتب إليهم كتاباً بليغاً يلومهم فيه على ما هم فيه من الاختلاف، وعدم الائتلاف، فردوا

---

(١) سقط في ط.
(٢) في ط: المتين.

عليه أسوأ جواب، فأرسل إليهم يذكرهم أيامه وأيام أبيه وعمه في خدمة نور الدين في المواقف المحمودة التي شهد لهم بها أهل الدين، ثم سار إلى حلب فنزل على جبل جوشن، ثم نودي في أهل حلب بالحضور في ميدان باب العراق، فاجتمعوا فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين فتودد إليهم وتباكى لديهم وحرضهم على قتال صلاح الدين، وذلك عن إشارة الأمراء المقدمين، فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته على كل أحد، وشرط عليه الروافض منهم أن يعاد الأذان بحي على خير العمل، وأن يذكر في الأسواق، وأن يكون لهم في الجامع الجانب الشرقي، وأن يذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بين يدي الجنائز، وأن يكبروا على الجنازة خمساً، وأن تكون عقود أنكحتهم إلى الشريف أبي طاهر بن أبي المكارم حمزة بن زاهر الحسيني، فأجيبوا إلى ذلك كله، فأذن بالجامع وسائر البلد بحيَّ على خير العمل، وعجز أهل البلد عن مقاومة الناصر، وأعملوا في كيده كل خاطر، فأرسلوا أولاً إلى شيبان صاحب الحسبة فأرسل نفراً من أصحابه إلى الناصر ليقتلوه فلم يظفر منه بشيء، بل قتلوا بعض الأمراء، ثم ظهر عليهم فقتلوا عن آخرهم، فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجي، ووعدوه بأموال جزيلة إن هو رحل عنهم الناصر، وكان هذا القومص قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين، ثم افتدى نفسه بمائة ألف دينار وألف أسير من المسلمين، وكان لا ينساها لنور الدين، بل قصد لحمص ليأخذها فركب إليه السلطان الناصر، وقد أرسل السلطان إلى بلده طرابلس سرية فقتلوا وأسروا وغنموا، فلما اقترب الناصر منه نكص[1] على عقبيه راجعاً إلى بلده، ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا منه، فلما فصل الناصر إلى حمص لم يكن قد أخذ قلعتها فتصدى لأخذها، فنصب عليها المنجنيقات فأخذها قسراً وملكها قهراً، ثم كرّ راجعاً إلى حلب، فأناله الله في هذه الكرّة ما طلب، فلما نزل بها كتب إليهم القاضي الفاضل على لسان السلطان كتاباً بليغاً فصيحاً فائقاً رائقاً، على يدي الخطيب شمس الدين يقول فيه: «فإذا قضي التسليم حق اللقا فاستدعى الإخلاص جهد الدعا، فليَعُدَّ وليُعِدَّ حوادث ما كان حديثاً يفترى، وجواري أمور إن قال فيها كثيراً فأكثر منه ما قد جرى، ويشرح صدر منها لعله يشرح منها صدراً، وليوضح الأحوال المستبشرة فإن الله لا يعبد سرّاً.

وَمِنَ الـعَـجَـائِـبِ أَنْ تَـسِـيـرَ غَـرَائِـبٌ ... فـي الأَرْضِ لَـمْ يَـعْـلَـمْ بِـهَـا الـمَـأْمُـولُ
كَـالعِـيـسِ أَقْـتَـلُ مـا يَـكُـونُ لَـهَـا الـصَّـدَى ... وَالـمـاءُ فَـوْقَ ظُـهُـورِهـا مَـحْـمُـولُ[2]

فإنا كنا نقتبس النار بأكفنا، وغيرنا يستنير، ونستنبط[3] الماء بأيدينا وسوانا يستمير[4]، ونلتقي السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير، والأبدان تسترد بضاعتنا بموقف العدل الذي

(١) نكص: تراجع.
(٢) العيس: النوق. الصدى: الظمأ.
(٣) نستنبط: نستخرج.
(٤) يستمير: يطلب الميرة والمؤونة.

يرد به المغصوب ونظهر طاعتنا فتأخذ بحظ [الألسن][١] كما أخذ بحظ القلوب، وكان أول أمرنا أنا كنا في الشام نفتح الفتوح بمباشرتنا أنفسنا، ونجاهد الكفار متقدمين بعساكرنا، نحن ووالدنا وعمنا، فأي مدينة فتحت أو أي معقل للعدو أو عسكر أو مصاف للإسلام معه ضرب؟ فما يجهل أحد صنعنا، ولا يجحد عدونا أن يصطلي الجمرة، ونملك الكرة، ونقدم الجماعة ونرتب المقاتلة، وندبر التعبئة، إلى أن ظهرت في الشام الآثار التي لنا أجرها، ولا يضرنا أن يكون لغيرنا ذكرها» ثم ذكر ما صنعوا بمصر من كسر الكفر وإزالة المنكر وقمع الفرنج وهدم البدع، وما بسط من العدل ونشر من الفضل، وما أقامه من الخطب العباسية ببلاد مصر واليمن والنوبة وإفريقية وغير ذلك، بكلام بسيط حسن.

فلما وصلهم الكتاب أساؤوا الجواب، وقد كانوا كاتبوا صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود أخي نور الدين محمود بن زنكي، فبعث إليهم أخاه عز الدين في عساكره، وأقبل إليهم في دساكره، وانضاف إليهم الحلبيون وقصدوا حماه في غيبة الناصر واشتغاله بقلعة حمص وعمارتها، فلما بلغه خبرهم سار إليهم في فل من الجيش، فانتهى إليهم وهم في جحافل كثيرة، فواقفوه وطمعوا فيه لقلة من معه، وهموا بمناجزته فجعل يداريهم ويدعوهم إلى المصالحة لعل الجيش يلحقونه، حتى قال لهم في جملة ما قال: أنا أقنع بدمشق وحدها وأقيم بها الخطبة للملك الصالح إسماعيل، وأترك ما عداها من أرض الشام، فامتنع من المصالحة الخادم سعد الدولة كمشتكين، إلا أن يجعل لهم الرحبة التي هي بيد ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين، فقال ليس لي ذلك، ولا أقدر عليه، فأبوا الصلح وأقدموا على القتال، فجعل جيشه كردوساً[٢] واحداً، وذلك يوم الأحد التاسع عشر من رمضان عند قرون حماه، وصبر صبراً عظيماً، وجاء في أثناء الحال ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ومعه أخوه فروخ شاه في طائفة من الجيش، وقد ترجح دسته عليهم، وخلص رعبه إليهم، فولوا هنالك هاربين، وتولوا منهزمين، فأسر من أسر من رؤوسهم، ونادى أن لا يتبع مدبر ولا يذفف[٣] على جريح ثم أطلق من وقع في أسره وسار على الفور إلى حلب، وقد انعكس عليهم الحال وآلوا إلى شر مآل فبالأمس كان يطلب منهم المصالحة والمسالمة، وهم اليوم يطلبون منه أن يكف عنهم ويرجع، على أن المعرة وكفرطاب وماردين له زيادة على ما بيده من أراضي حماه وحمص [وبعلبك مع دمشق][١]، فقبل ذلك وكف عنهم وحلف على أن لا يغزو بعدها الملك الصالح، وأن يدعو له على سائر منابر بلاده، وشفع في بني الداية أخوه مجد الدين، على أن يخرجوا، ففعل ذلك ثم رجع مؤيداً منصوراً.

فلما كان بحماه وصلت إليه رسل الخليفة المستضيء بأمر الله بالخلع السنية

(١) سقط في ط.

(٢) الكردوس: القطعة.

(٣) يذفف: يجهز ويقضي.

والتشريفات العباسية والأعلام السود، والتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام، وأفيضت الخلع على أهله وأقاربه وأصحابه وأعوانه، وكان يوماً مشهوداً. واستناب على حماه ابن خاله وصهره الأمير شهاب الدين محمود، ثم سار إلى حمص فأطلقها ابن عمه ناصر الدين، كما كانت من قبله لأبيه شيركوه أسد الدين، ثم بعلبك على البقاع إلى دمشق في ذي القعدة.

وفيها ظهر رجل من قرية مشغرا من معاملة دمشق وكان مغربياً فادعى النبوة، وأظهر شيئاً من المخاريق والمحايل والشعبذة والأبواب النارنجية، فافتتن به طوائف من الهمج والعوام، فتطلبه السلطان فهرب [في الليل][1] إلى معاملة حلب، فالتف عليه كل مقطوع الذنب، وأضل خلقاً من الفلاحين، وتزوج امرأة أحبها، وكانت من أهل تلك البطائح فعلمها أن ادعت النبوة، فأشبها قصة مسيلمة وسجاج. [لعنهما الله كلما غب الحمام وهدر وكلما صب الغمام وقطر][2] وفيها هرب وزير الخليفة ونهبت داره. وفيها درس الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي بمدرسة أنشئت للحنابلة فحضر عنده قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغاني والفقهاء والكبراء، وكان يوماً مشهوداً، وخلعت عليه خلعة سنية.

وممن توفي فيها من الأعيان:

روح بن أحمد

أبو طالب الحدثني قاضي القضاة ببغداد في بعض الأحيان، وكان ابنه في أرض الحجاز، فلما بلغه موت أبيه مرض بعده فمات بعد أيام، وكان ينبذ بالرفض.

شملة التركماني

كان قد تغلب على بلاد فارس واستحدث قلاعاً وتغلب على السلجوقية، وانتظم له الدست نحواً من عشرين سنة، ثم حاربه بعض التركمان فقتلوه.

قيماز بن عبد الله

قطب الدبن المستنجدي، وزر للخليفة المستضيء، وكان مقدماً على العساكر كلها، ثم خرج على الخليفة وقصد أن ينهب دار الخلافة فصعد الخليفة فوق سطح في داره وأمر العامة بنهب دار قيماز، فنهبت، وكان ذلك بإفتاء الفقهاء، فهرب فهلك وهو ومن معه في المهامه والقفار والله تعالى اعلم بالصواب.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

فيها طلب الفرنج من السلطان صلاح الدين وهو مقيم بمرج الصفر أن يهادنهم فأجابهم إلى ذلك، لأن الشام كان مجدباً، وأرسل جيشه صحبة القاضي الفاضل إلى الديار المصرية

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.

ليستغلوا المغل ثم يقبلوا، وعزم هو على المقام بالشام، واعتمد على كاتبه العماد عوضاً عن القاضي [الفاضل قدوة العلماء والأفاضل ورحلة الطالبين وزين المحافل زين الإسلام ومن لسانه أحد من الحسام ولكن احتاج إلى إرساله إلى الديار المصرية ليكون عيناً وعوناً له بها ولساناً فصيحاً يعبر عنه فاحتاج إلى أن يتعوض عنه](١) ولم يكن أحد أعز عليه منه:

وَمَا عَنْ رِضًى كَانَتْ سُلَيْمَى بَدِيلَةً ... ولكنها لِلضَّرُورَاتِ أَحْكَامُ

وكانت إقامة السلطان بالشام وإرسال الجيش صحبة القاضي الفاضل غاية الحزم والتدبير، ليحفظ ما استجد من الممالك خوفاً عليه مما هنالك، فلما أرسل الجيوش إلى مصر وبقي هو في طائفة يسيرة والله قد تكفل له بالنصر، كتب صاحب الموصل سيف الدين غازي ابن أخي نور الدين إلى جماعة الحلبيين يلومهم على ما وقع بينهم وبين الناصر من المصالحة، وقد كان إذ ذاك مشغولاً بمحاربة أخيه ومحاصرته وهو عماد الدين زنكي بسنجار، وليست هذه بفعلة صالحة، وما كان سبب قتاله لأخيه إلا لانتمائه لطاعة(٢) الملك الناصر، فاصطلح مع أخيه حين عرف قوة الناصر وناصريه، ثم حرض الحلبيين على نقض العهود ونبذها إليه، فأرسلوا إليه بالعهود التي عاهدوه عليها ودعوه إليها، فاستعان عليهم بالله وأرسل إلى الجيوش المصرية ليقدموا عليه، فأقبل صاحب الموصل بعساكره ودساكره، واجتمع بابن عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، وسار في عشرين ألف مقاتل على الخيول المضمرة الجرد الأبابيل، وسار نحوهم الناصر وهو كالهزبر الكاسر، وإنما معه ألف فارس من الحماة، ﴿وكم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله﴾، ولكن الجيوش المصرية قد خرجوا إليه قاصدين، وله ناصرين في جحافل كالجبال، فاجتمع الفريقان وتداعوا إلى النزال، وذلك في يوم الخميس العاشر من شوال فاقتتلوا قتالاً هائلاً، حتى حمل الملك الناصر بنفسه الكريمة، وكانت بإذن الله الهزيمة، فقتلوا خلقاً من الحلبيين والمواصلة، وأخذوا مضارب الملك سيف الدين غازي وحواصله، وأسروا جماعة من رؤوسهم فأطلقهم الناصر بعدما أفاض الخلع على أبدانهم ورؤوسهم، وقد كانوا استعانوا بجماعة من الفرنج في حال القتال، وهذا ليس من أفعال الأبطال، وقد وجد السلطان في مخيم السلطان غازي سبتاً من الأقفاص التي فيها الطيور المطربة، وذلك في مجلس شرابه المسكر، وكيف من هذا حاله ومسلكه ينتصر، فأمر السلطان بردها عليه وتسييرها إليه، وقال للرسول قل له بعد وصولك إليه وسلامك عليه: اشتغالك بهذه الطيور أحب إليك مما وقعت فيه من المحذور، وغنم منهم شيئاً كثيراً ففرقه على أصحابه غيباً وحضوراً، وأنعم بخيمة سيف الدين غازي على ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن نجم الدين، ورد ما كان في وطاقه من الجواري والمغنيات، وقد كان معه أكثر من مائة مغنية، ورد آلات اللهو واللعب إلى حلب، وقال

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.

(٢) في ط: لكونه أبى طاعة.

قولوا لهم هذه أحب إليكم من الركوع والسجود، ووجد عسكر المواصلة كالحانة من كثرة الخمور والبرابط والملاهي، وهذه سبيل كل فاسق ساه لاهي.

فَصل

فلما رجعت الجيوش إلى حلب وقد انقلبوا شر منقلب، وندموا على ما نقضوا من الأيمان، وشقهم العصا على السلطان، حصنوا البلد خوفاً من الأسد، وأسرع صاحب الموصل فوصلها، وما صدق حتى دخلها، فلما فرغ الناصر مما غنم أسرع المسير إلى حلب وهو في غاية القوة، فوجدهم قد حصنوها، فقال المصلحة أن نبادر إلى فتح الحصون التي حول البلد، ثم نعود إليهم فلا يمتنع علينا منهم أحد، فشرع بفتحها حصناً حصناً، ويهدم أركان دولتهم ركناً ركناً، ففتح مراغة ومنبج ثم سار إلى إعزاز فأرسل الحلبيون إلى سنان فأرسل جماعة لقتل السلطان، فدخل جماعة منهم في جيشه في زي الجند فقاتلوا أشد القتال، حتى اختلطوا بهم فوجدوا ذات يوم فرصة والسلطان ظاهر للناس فحمل عليه واحد منهم فضربه بسكين على رأسه فإذا هو محترس منهم باللأمة[1]، فسلمه الله، غير أن السكين مرت على خده فجرحته جرحاً هيناً، ثم أخذ الفداوي رأس السلطان فوضعه إلى الأرض ليذبحه، ومن حوله قد أخذتهم دهشة، ثم ثاب إليهم عقلهم فبادروا إلى الفداوي فقتلوه وقطعوه، ثم هجم عليه آخر في الساعة الراهنة فقتل، ثم هجم آخر على بعض الأمراء فقتل أيضاً، وهرب الرابع فأدرك فقتل، وبطل القتال ذلك اليوم، ثم صمم السلطان على البلد ففتحها وأقطعها ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وقد اشتد حنقه على أهل حلب لما أرسلوا إليه من الفداوية وإقدامهم على ذلك منه، فجاء فنزل تجاه البلد على جبل جوشن، وضربت خيمته على رأس البادوقية، وذلك في خامس عشر ذي الحجة، وجبى الأموال وأخذ الخراج من القرى، ومنع أن يدخل البلد شيء أو يخرج منه شيء، واستمر محاصراً لها حتى انسلخت السنة.

وفي ذي الحجة من هذه السنة عاد نور الدين [توران شاه][2] أخو السلطان من بلاد اليمن شوقاً إليه إلى أخيه [وذويه إلى الشام وطيبه وظلاله لأنه ضجر من سحر اليمن، وإن كان][3] قد حصل أموالاً جزيلة، ففرح به السلطان، فلما اجتمعا قال السلطان البر التقي: أنا يوسف وهذا أخي، وقد استناب [شمس الدولة][4] على بلاد اليمن، من ذوي القربة فلما استقر عند أخيه استنابه على دمشق وأعمالها، وقيل إن قدومه كان قبل وقعة المواصلة، وكان من أكبر أسباب الفتح والنصر، لشجاعته وفروسيته. وفيها أنفذ تقي الدين عمر ابن أخي الناصر مملوكه بهاء الدين قراقوش في جيشه إلى بلاد المغرب ففتح بلاداً كثيرة، وغنم أموالاً جزيلة، ثم عاد إلى مصر، وفيها قدم إلى دمشق أبو الفتوح الفتح عبد السلام بن يوسف بن

(١) اللأمة: الدرع.
(٢) سقط في ط.
(٣) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٤) سقط في ط.

محمد بن مقلد التنوخي الدمشقي الأصل، البغدادي المنشأ، ذكره العماد في الخريدة. وقال: كان صاحبي، وجلس للوعظ وحضر عنده السلطان صلاح الدين، وأورد له مقطعات أشعار، فمن ذلك ما كان يقول:

يا مَالِكاً مُهْجَتِي يا مُنْتَهَى أَمَلِي ... يا حَاضِراً شَاهِداً في القَلْبِ وَالفِكَرِ
خَلَقْتَنِي مِنْ تُرَابٍ أَنْتَ خَالِقُهُ ... حَتَّى إذا صِرْتُ تِمْثَالاً مِنَ الصُّوَرِ
أَجْرَيْتَ فِي قَالَبِيَ رُوحاً مُنَوَّرَةً ... تَمُرُّ فِيهِ كَجَرْيِ المَاءِ فِي الشَّجَرِ
جَمَعْتَنِي مِنْ صَفَا رُوحٍ مُنَوَّرَةٍ ... وَهَيْكَلٍ صُغْتَهُ مِنْ مَعْدِنٍ كَدِرِ
إنْ غِبْتُ فِيكَ فَيَا فَخْرِي وَيَا شَرَفِي ... وَإنْ حَضَرْتُ فَيَا سَمْعِي وَيَا بَصَرِي
أَوِ احْتَجَبْتُ فَسِرِّي فِيكَ فِي وَلَهٍ ... وَإنْ خَطَرْتُ فَقَلْبِي مِنْكَ فِي خَطَرِ
تَبْدُو فَتَمْحُو رُسُومِي ثُمَّ تُثْبِتُهَا ... وَإنْ تَغَيَّبْتَ عَنِّي عِشْتُ بِالأَثَرِ[١]

وممن توفي فيها من الأعيان الحافظ أبو القاسم بن عسكر.

علي بن الحسن بن هبة الله

ابن عساكر أبو القاسم الدمشقي أحد أكابر حفاظ الحديث ومن عني به سماعاً وجمعاً وتصنيفاً واطلاعاً وحفظاً لأسانيده ومتونه، وإتقاناً لأساليبه وفنونه، صنف تاريخ الشام في ثمانين مجلداً، فهي باقية بعده مخلدة، وقد ندر على من تقدمه من المؤرخين، وأتعب من يأتي بعده من المتأخرين، فحاز فيه قصب السبق، ومن نظر فيه وتأمله رأى ما وصفه فيه وأصله، وحكم بأنه فريد دهره، في التواريخ، وأنه الذروة العليا من الشماريخ، هذا مع ما له في علوم الحديث من الكتب المفيدة، وما هو مشتمل عليه من العبادة والطرائق الحميدة، فله أطراف الكتب الستة، والشيوخ النبل، وتبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار، والأجزاء والأسفار، وقد أكثر في طلب الحديث من الترحال والأسفار، وجاب المدن والأقاليم والأمصار، وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الحفاظ نسخاً واستنساخاً، ومقابلة وتصحيح الألفاظ، وكان من أكابر سروات[٢] الدماشقة، ورياسته فيهم عالية باسقة، من ذوي الأقدار والهيئات، والأموال الجزيلة، والصلاة والهبات، كان وفاته في الحادي عشر من رجب، وله من العمر ثنتان وسبعون سنة، وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى. وكان الذي صلى عليه الشيخ قطب الدين النيسابوري. قال ابن خلكان وله أشعار كثيرة منها:

أَيَا نَفْسُ وَيْحَكِ جَاءَ المَشِيبُ ... فَمَاذَا التَّصَابِي وَمَاذَا الغَزَلْ؟
تَوَلَّى شَبَابِي كَأَنْ لَمْ يَكُنْ ... وَجَاءَ المَشِيبُ كَأَنْ لَمْ يَزَلْ

(١) الأثر: البقايا والذكريات.
(٢) السروات: السادة.

كَـأَنِّـي بِـنَـفْـسِـي عَـلَـى غِـرَّةٍ وَخَـطْـبُ الـمَـنُـونِ بِـهَـا قَـدْ نَـزَلْ[١]

فَـيَـا لَـيْـتَ شِـعْـرِيَ مِـمَّـنْ أَكُـون وَمَـا قَـدَّرَ الله لِـي فِـي الأَزَلْ

قال: وقد التزم فيها بما لا يلزم وهو الزاي قبل اللام. قال: وكان أخوه صائن الدين هبة الله بن الحسن محدثاً فقيهاً، اشتغل ببغداد على أبي أسعد المهيني، ثم قدم دمشق فدرس بالغزالية، وتوفي بها عن ثلاث وستين سنة.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والناصر محاصر حلب وقد أشرف منها على نيل الطلب، فسألوه وتوسلوا إليه أن يصالحهم، فصالحهم على أن تكون حلب وأعمالها للملك الصالح فقط، فكتبوا بذلك الكتاب، فلما كان المساء بعث السلطان الصالح إسماعيل يطلب منه زيادة قلعة إعزاز، وأرسل بأخت له صغيرة وهي الخاتون بنت نور الدين ليكون ذلك أدعى له بقبول السؤال، وأنجع[٢] في حصول النوال، فحين رآها السلطان قام قائماً، وقبل الأرض وأجابها إلى سؤالها، وأطلق لها من الجواهر والتحف شيئاً كثيراً، ثم ترحل عن حلب فقصد الفداوية الذين اعتدوا عليه فحاصر حصنهم مصبات فقتل وسبى وحرق وأخذ بقارهم وخرب ديارهم ثم شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تتش صاحب حماه، لأنهم جيرانه، فقبل شفاعته، وقد أحضر إليه نائب بعلبك الأمير شمس الدين محمد بن الملك مقدم، الذي كان نائب دمشق، جماعة من أسارى الفرنج الذين عاثوا في البقاع في غيبته، فجدد ذلك له الغزو في الفرنج، فصالح الفداوية الإسماعيلية أصحاب سنان، ثم كر راجعاً [إلى دمشق فتلقاه أخوه شمس الدولة إلى دمشق في سابع عشر صفر وفوضها إلى أخيه شمس الدولة توران شاه][٣]، فلقبه الملك المعظم، وعزم الناصر على دخول مصر، وكان القاضي كمال الدين محمد الشهروزي قد توفي في السادس من المحرم من هذه السنة، وقد كان من خيار القضاة وأخص الناس بنور الدين الشهيد، فوض إليه نظر الجامع ودار الضرب وعمارة الأسوار والنظر في المصالح العامة. ولما حضرته الوفاة أوصى بالقضاء لابن أخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشهروزري، [فأمضى ذلك السلطان الملك الناصر صلاح الدين رعاية لحق الكمال الشهرزوري][٤] مع أنه كان يجد عليه، لما كان بينه وبينه حين كان صلاح الدين سجنه بدمشق، وكان يعاكسه ويخالفه، ومع هذا أمضى وصيته لابن أخيه، فجلس في مجلس القضاء على عادة عمه وقاعدته، وبقي في نفس السلطان من تولية شرف الدين أبي سعيد عبد الله بن أبي عصرون الحلبي، وكان قد هاجر إلى السلطان إلى دمشق فوعده أن يوليه قضاءها، وأسر بذلك إلى القاضي الفاضل، فأشار الفاضل على الضياء أن يستعفى من القضاء

(١) على غرة: على غفلة.

(٢) أنجع: أفضل وأحسن للوصل للهدف.

(٣) و(٤) ما بين معقوفين سقط في ط.

فاستعفى فأعفي، وترك له وكالة بيت المال، وولي السلطان ابن أبي عصرون على أن يستنيب القاضي محيي الدين أبا المعالي محمد بن زكي الدين، ففعل ذلك، ثم بعد ذلك استقل بالحكم محيي الدين أبو حامد بن أبي عصرون عوضاً عن أبيه شرف الدين، بسبب ضعف بصره.

وفي صفر منها وقف السلطان الناصر قرية حزم على الزاوية الغزالية، ومن يشتغل بها بالعلوم الشرعية، أو ما يحتاج إليه الفقيه، وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري مدرسها. وفي هذا الشهر تزوج السلطان بالست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أُنُر، وكانت زوجة نور الدين محمود، وكانت مقيمة بالقلعة، وولي تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين بن أُنُر، وحضر القاضي ابن عصرون العقد ومن معه من العدول، وبات الناصر عندها تلك الليلة والتي بعدها، ثم سافر إلى مصر بعد يومين [من الدخول بها][1]، ركب يوم الجمعة قبل الصلاة فنزل مرج الصفر، ثم سار فعشا قريباً من الصفين، ثم سار فدخل مصر يوم السبت سادس عشر ربيع الأول من هذه السنة، وتلقاه أخوه ونائبه عليها الملك العادل سيف الدين أبو بكر إلى عند بحر القلزم، ومعه من الهدايا والتحف شيء كثير من المآكل المتنوعة وغيرها، وكان في صحبة السلطان العماد الكاتب، ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك، فجعل يذكر محاسنها وما اختصت به من بين البلدان، وذكر الهرم وشبههما بأنواع من التشبيهات، وبالغ في ذلك حسب ما ذكر في الروضتين.

وفي شعبان منها ركب الناصر إلى الإسكندرية فأسمع ولديه الفاضل علي والعزيز عثمان على الحافظ السلفي، وتردد بهما إليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان، وعزم الناصر على تمام الصيام بها، وقد كمل عمارة السور على البلد، وأمر بتجديد الأسطول وإصلاح مراكبه وسفنه وشحنه بالمقاتلة وأمرهم بغزو جزائر البحر، وأقطعهم الإقطاعات الجزيلة على ذلك، وأرصد للأسطول من بيت المال ما يكفيه لجميع شؤونه، ثم عاد إلى القاهرة في أثناء رمضان فأكمل صومه.

وفيها أمر الناصر ببناء مدرسة للشافعية على قبر الشافعي، وجعل الشيخ نجم الدين الخبوشاني مدرسها وناظرها. وفيها أمر ببناء المارستان بالقاهرة ووقف عليه وقوفاً كثيرة. وفيها بنى الأمير مجاهد الدين قيماز نائب قلعة الموصل جامعاً حسناً ورباطاً ومدرسة ومارستاناً متجاورات بظاهر الموصل وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمس وتسعين وخمسمائة رحمه الله. وله عدة مدارس وخوانقات وجوامع غير ما ذكرنا، وكان ديناً خيراً فاضلاً حنفي المذهب، يذاكر في الأدب والأشعار والفقه، كثير الصيام وقيام الليل [قدس الله روحه]. وفيها أمر الخليفة بإخراج المجذومين من بغداد إلى ناحية منها ليتميزوا عن أهل العافية، نسأل الله العافية. وذكر ابن الجوزي في المنتظم عن امرأة قالت: كنت أمشي في الطريق

(١) ما بين معقوفين سقط في ط

وكان رجلاً يعارضني كلما مررت به، فقلت له: إنه لا سبيل إلى هذا الذي ترومه مني إلا بكتاب وشهود، فتزوجني عند الحاكم، فمكثت معه مدة ثم اعتراه انتفاخ ببطنه فكنا نظن أنه استسقاء[1] فنداويه لذلك، فلما كان بعد مدة ولد ولداً كما تلد النساء، وإذا هو خنثى مشكل، وهذا من أغرب الأشياء والله أعلم.

وفيها توفي من الأعيان:

علي ابن عساكر

ابن المرجب بن العوام أبو الحسن البطائحي المقري اللغوي، سمع الحديث وأسمعه، وكان حسن المعرفة بالنحو واللغة، ووقف كتبه بمسجد ابن جرارة ببغداد، توفي في شعبان وقد نيف على الثمانين رحمه الله.

محمد بن عبد الله

ابن القاسم أبو الفضل، قاضي القضاة بدمشق، كمال الدين الشهرزوري، الموصلي، وله بها مدرسة على الشافعية، وأخرى بنصيبين، وكان فاضلاً ديّناً أميناً ثقة، ولي القضاء بدمشق لنور الدين الشهيد محمود بن زنكي، واستوزره أيضاً فيما حكاه ابن الساعي. قال وكان يبعثه في الرسائل، كتب مرة على قصة إلى الخليفة المقتفي: محمد بن عبد الله الرسول، فكتب الخليفة تحت ذلك: ﷺ. قلت: وقد فوض إليه نور الدين نظر الجامع ودار الضرب والأسوار، وعمر له المارستان والمدارس وغير ذلك وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة بدمشق.

الخطيب شمس الدين

ابن الوزير أبي الضياء خطيب الديار المصرية، وابن وزيرها، كان أول من خطب بديار مصر للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي، بأمر الملك صلاح الدين، ثم حظي عنده حتى جعله سفيراً بينه وبين الملوك والخلفاء، وكان رئيساً مطاعاً كريماً ممدحاً، يقرأ عليه الشعراء والأدباء. ثم جعل الناصر مكانه [في السفارة وأداء الرسائل ضياء الدين ابن قاضي القضاة][2] الشهرزوري المتقدم بمرسوم السلطان، وكانت وظيفة مقررة.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

فيها أمر الملك الناصر ببناء قلعة الجبل وإحاطة السور على القاهرة ومصر، فعمر قلعة للملك لم يكن في الديار المصرية مثلها على شكلها، وولي عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وفيها كانت وقعة الرملة على المسلمين، وفي جمادى الأولى منها سار السلطان الناصر صلاح الدين من مصر قاصداً غزو

(١) استسقاء: أي انتفاخ من الماء والسِّقاء. (٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

الفرنج، فانتهى إلى بلاد الرملة فسبى وغنم، ثم تشاغل جيشه بالغنائم وتفرقوا في القرى والمحال. وبقي هو في طائفة من الجيش منفرداً فهجمت عليه الفرنج في جحفل من المقاتلة فما سلم إلا بعد جهد جهيد، [ولله الحمد والمنة](١) ثم تراجع الجيش إليه واجتمعوا عليه بعد أيام، ووقعت الأراجيف في الناس بسبب ذلك، وما صدق أهل مصر حتى نظروا إليه وصار الأمر كما قيل - رضيتُ من الغنيمة بالإياب - ومع هذا دقت البشائر في البلدان فرحاً بسلامة السلطان، ولم تجر هذه الوقعة إلا بعد عشر سنين، وذلك يوم حطين، وقد ثبت السلطان في هذه الوقعة ثباتاً عظيماً، وأسر للملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي السلطان ولده شاهنشاه، فبقي عندهم سبع سنين، وقتل ابنه الآخر، وكان شاباً قد طرّ شاربه(٢). فحزن على المقتول والمفقود، وصبر تأسياً بأيوب، وناح كما ناح داود، وأسر الفقيهان الأخوان ضياء الدين عيسى وظهير الدين فافتداهما السلطان بعد سنتين بتسعين ألف دينار.

وفيها تخبطت دولة حلب وقبض السلطان الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين على الخادم كمشتكين، وألزمه بتسليم قلعة حارم، وكانت له، فأبى من ذلك فعلّقه منكوساً(٣) ودخن تحت أنفه حتى مات من ساعته [وقصدت الفرنج حارم فامتنعت عليهم ثم سلمت إلى الملك الصالح](٤)، وفيها جاء ملك كبير من ملوك الفرنج يروم أخذ الشام لغيبة السلطان واشتغال نوابه ببلدانهم. قال العماد الكاتب: ومن شرط هدنة الفرنج أنه متى جاء ملك كبير من ملوكهم لا يمكنهم دفعه أنهم يقاتلون معه ويؤازرونه وينصرونه، فإذا انصرف عنهم عادت الهدنة كما كانت، فقصد هذا الملك وجملة الفرنج مدينة حماه وصاحبها شهاب الدين محمود خال السلطان مريض، ونائب دمشق ومن معه من الأمراء مشغولون ببلدانهم، فكادوا يأخذون البلد ولكن هزمهم الله بعد أربعة أيام، فانصرفوا إلى حارم فلم يتمكنوا من أخذها وكشفهم عنها الملك الصالح صاحب حلب، وقد دفع إليهم الأموال والأسرى ما طلبوه منه. وتوفي صاحب حماه شهاب الدين محمود خال السلطان الناصر، وتوفي قبله ولده تتش بثلاثة أيام، ولما سمع الملك الناصر بنزول الفرنج على حارم خرج من مصر قاصداً بلاد الشام، [نغزو الفرنج عليهم لعائن الملك العلام](٥) فدخل دمشق في رابع عشر من شوال، وصحبته العماد الكاتب، وتأخر القاضي الفاضل بمصر لأجل الحج.

وفيها جاء كتاب القاضي الفاضل الناصر يهنئه بوجود مولود له هو أبو سليمان داود، وبه كمل له اثني عشر ذكراً، وقد ولد له بعده عدة أولاد ذكور، فإنه توفي عن سبعة عشر ذكراً وابنة صغيرة اسمها مؤنسة، التي تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفيها جرت فتنة عظيمة بين اليهود والعامة ببغداد، بسبب أن مؤذناً أذن عند كنيسة

(١) سقط في ط.
(٢) طرّ شاربه: ظهر.
(٣) منكوساً: مقلوباً.
(٤) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٥) سقط في ط.

اليهود فنال منه بعض اليهود بكلام أغلظ له فيه، فشتمه المسلم فاقتتلا، فجاء المؤذن يشتكي منه إلى الديوان، فتفاقم الحال، وكثرت العوام، وأكثروا الضجيج، فلما حان وقت الجمعة منعت العامة الخطباء في بعض الجوامع، وخرجوا من فورهم فنهبوا سوق العطارين الذي فيه اليهود، وذهبوا إلى كنيسة اليهود فنهبوها، ولم يتمكن الشرط من ردهم، فأمر الخليفة بصلب بعض العامة، فأخرج في الليل جماعة من الشطار الذين كانوا في الحبوس وقد وجب عليهم القتل فصلبوا، فظن كثير من الناس أن هذا كان بسبب هذه الكائنة، فسكن الناس ولله الحمد. وفيها خرج الوزير الخليفة عضد الدولة ابن رئيس الرؤساء ابن المسلمة قاصداً الحج، وخرج الناس في خدمته ليودعوه، فتقدم إليه ثلاثة من الباطنية في صورة فقراء ومعهم قصص، فتقدم أحدهم ليناوله قصة فاعتنقه وضربه بالسكين ضربات، وهجم الثاني وكذلك الثالث فهبروه وجرحوا جماعة حوله، وقتل الثلاثة من فورهم [وحرقوا](1)، ورجع الوزير إلى منزله محمولاً فمات في يومه [سامحه الله]، [وهذا] الوزير هو الذي قتل ولدي الوزير ابن هبيرة وأعدمهما، فسلط الله عليه من قتله، وكما تدين تدان، جزاء وفاقاً [وما ربك بظلام للعبيد والله تعالى بالصواب](2).

وممن توفي فيها من الأعيان:

صدقة بن الحسين

أبو الفرج الحداد، قرأ القرآن وسمع الحديث، وتفقه وأفتى، وقال الشعر وقال في الكلام، وله تاريخ ذيل على شيخه ابن الزاغوني، وفيه غرائب وعجائب. وقال ابن الساعي: كان شيخاً عالماً فاضلاً وكان فقيراً يأكل من أجرة النسخ، وكان يأوي إلى مسجد ببغداد عند البدرية يؤم فيه، وكان يعتب على الزمان وبنيه، ورأيت ابن الجوزي في المنتظم يذمه ويرميه بالعظائم، وأورد له من أشعاره ما فيه مشابهة لابن الراوندي في الزندقة فالله أعلم. توفي في ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وسبعين سنة، ودفن بباب حرب، ورئيت له منامات غير صالحة، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

[محمد بن أحمد بن عبد الجبار أبو المظفر الحنفي المعروف بالمشطب كان من الفضلاء المشاهير. تفقه ودرس وأفتى وناظر توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين](3).

محمد بن أسعد بن محمد

أبو منصور العطار، المعروف بحفدة، سمع الكثير وتفقه وناظر وأفتى ودرس، وقدم بغداد فمات بها [في هذه السنة والله أعلم](4).

محمود بن تتش شهاب الدين الحارمي

خال السلطان صلاح الدين، كان من خيار الأمراء وشجعانهم، أقطعه ابن أخته حماه،

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) سقط في ط.

وقد حاصره الفرنج وهو مريض فأخذوا حماه وقتلوا بعض أهلها، ثم تناخى[١] أهلها فردوهم خائبين ولله الحمد.

فاطمة بنت نصر العطار

كانت من سادات النساء، وهي من سلالة أخت صاحب المخزن، وكانت من العابدات المتورعات المخدرات، يقال إنها لم تخرج من منزلها سوى ثلاث مرات، وقد أثنى عليها الخليفة وغيره والله أعلم.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل من مصر إلى الناصر وهو بالشام يهنئه بسلامة أولاده الملوك الاثني عشر، يقول: وهم بحمد الله بهجة الحياة وزينتها، وريحانة القلوب والأرواح وزهرتها، إن فؤاداً وسع فراقهم لواسع، وإن قلباً قنع بأخبارهم لقانع، وإن طرفاً نام عن البعد عنهم لهاجع، وإن ملكاً ملك صبره عنهم لحازم، وإن نعمة الله بهم لنعمة بها العيش ناعم، أما يشتاق جيدُ[٢] المولى أن تطوق بدرهم؟ أما تظمأ عينه أن تروى بنظرهم؟ أما يحن قلبه للقيّهم؟ أما يلتقط هذا الطائر بتقبيلهم؟ وللمولى أبقاه الله أن يقول:

وَمَا مِثْلُ هٰذا الشَّوْقِ يُحْمَلُ بَعْضُهُ وَلٰكِنَّ قَلْبِي في الهَوَى يَتَقَلَّبُ

وفيها أسقط صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة، وقد كان يؤخذ من حجاج الغرب شيء كثير، ومن عجز عن أدائه حبس فربما فاته الوقوف بعرفة، وعوض أمير مكة بمال أقطعه إياه بمصر، وأن يحمل إليه في كل سنة ثمانية آلاف إردب إلى مكة، ليكون عوناً له ولأتباعه، ورفقاً بالمجاورين، وقررت للمجاورين أيضاً غلات تحمل إليهم رحمه الله. وفيها عصى الأمير شمس الدين بن مقدم ببعلبك، ولم يجىء إلى خدمة السلطان، وهو نازل على ظاهر حمص، وذلك أنه بلغه أن أخا السلطان توران شاه طلب بعلبك منه فأطلقها له، فامتنع ابن المقدم من الخروج منها حتى جاء السلطان بنفسه فحصره فيها من غير قتال، [حتى جاءت الأمطار والبرد فعاد إلى دمشق في رجب ووكل بالبلد من يحضره من غير قتال][٣] ثم عوض ابن المقدم عنها بتعويض كثير خير مما كان بيده، فخرج منها وتسلمها وسلمها توران شاه. قال ابن الأثير: وكان في هذه السنة غلاء شديد بسبب قلة المطر، عم العراق والشام وديار مصر، واستمر إلى سنة خمس وسبعين، فجاء المطر ورخصت الأسعار ثم عقب ذلك وباء شديد، وعم البلاد مرض آخر وهو البرسام، فما ارتفع إلا في سنة ست وسبعين، فمات بسبب ذلك خلق كثير، وأمم لا يعلم عددهم إلا الله. وفي رمضان منها

---

(١) تناخى: من النخوة، وهي الحمية.

(٢) الجيد: العنق.

(٣) ما بين معقوفين سقط في ط.

وصلت خلع الخليفة إلى الملك صلاح الدين وهو بدمشق، وزيد في ألقابه معز أمير المؤمنين، وخلع على أخيه توران شاه ولقب بمصطفى أمير المؤمنين.

وفيها جهز الناصر ابن أخيه فروخ شاه بن شاهنشاه بين يديه لقتال الفرنج الذين عاثوا في نواحي دمشق، فنهبوا ما حولها، وأمره أن يداريهم حتى يتوسطوا البلاد ولا يقاتلهم حتى يقدم عليه، فلما رأوه عاجلوه بالقتال فكسرهم وقتل من ملوكهم صاحب الناصرة والهنفري، وكان من أكابر ملوكهم وشجعانهم، لا ينهنهه اللقاء، فكبته الله في هذه الغزوة، ثم ركب الناصر في إثر ابن أخيه فما وصل إلى الكسوة حتى تلقته الرؤوس على الرماح، والغنائم والأسارى وفيها بنت الفرنج قلعة عند بيت الأحزان للداوية فجعلوها مرصداً لحرب المسلمين، وقطع طريقهم، ونقضت ملوكهم العهود التي كانت بينهم وبين صلاح الدين، وأغاروا على نواحي البلدان من كل جانب، ليشغلوا المسلمين عنهم، وتفرقت جيوشهم فلا تجتمع في بقعة واحدة، فرتب السلطان ابن أخيه عمر على حماه ومعه ابن مقدم وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب بنواحي البقاع وغيرها، وثغر حمص ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه، وبعث إلى أخيه الملك أبي بكر العادل نائبه بمصر أن يبعث إليه ألفاً وخمسمائة فارس يستعين بهم على قتال الفرنج وكتب إلى الفرنج يأمرهم بتخريب هذا الحصن الذي بنوه للداوية فامتنعوا إلا أن يبذل لهم ما غرموه عليه، فبذل لهم ستين ألف دينار فلم يقبلوا، ثم أوصلهم إلى مائة ألف دينار، فقال له ابن أخيه تقي الدين عمر: ابذل هذا إلى أجناد المسلمين وسر إلى هذا الحصن فخربه، فأخذ بقوله في ذلك وخربه في السنة الآتية كما سنذكره [إن شاء الله تعالى].

وفيها أمر الخليفة المستضيء بكتابة [لوح] على قبر الإمام أحمد بن حنبل فيه آية الكرسي، وبعدها: هذا قبر تاج السنة، وحبر الأمة العالي الهمة العالم العابد، الفقيه الزاهد، وذكروا تاريخ وفاته، رحمه الله تعالى.

وفيها احتيط ببغداد على شاعر ينشد للروافض أشعاراً في ثلب الصحابة وسبهم، وتهجين من يحبهم، فعقد له مجلس بأمر الخليفة ثم استنطق فإذا هو رافضي خبيث داعية إليه، فأفتى الفقهاء بقطع لسانه ويديه، ففعل به ذلك، ثم اختطفته العامة فما زالوا يرمونه بالآجر حتى ألقى نفسه في دجلة فاستخرجوه منها فقتلوه حتى مات، فأخذوا شريطاً وربطوه في رجله وجروه على وجهه حتى طافوا به البلد وجميع الأسواق، ثم ألقوه في بعض الأتونة مع الآجر والكلس، وعجز الشرط عن تخليصه منهم.

وفيها توفي من الأعيان:

أسعد بن بلدرك الجبريلي

سمع الحديث وكان شيخاً ظريف المذاكرة جيد المبادرة، توفي عن مائة سنة وأربع سنين.

الحيص بيص

سعد بن محمد بن سعد [الملقب] شهاب الدين، [الصيفي][(١)] أبو الفوارس المعروف بحيص بيص، له ديوان شعر مشهور، توفي يوم الثلاثاء خامس شهر شعبان من هذه السنة، وله ثنتان وثمانون سنة، وصلي عليه بالنظامية، ودفن بباب التبن، ولم يعقِبْ[(٢)]، ولم يكن له في المراسلات بديل، كان يتقعر[(٣)] فيها ويتفاصح جداً، فلا تواتيه إلاّ وهي معجرفة، وكان يزعم أنه من بني تميم، فسئل أبوه عن ذلك فقال ما سمعته إلا منه، فقال بعض الشعراء يهجوه فيما ادعاه من ذلك:

كَمْ تُبَادِي وَكَمْ تُطِيلُ طَرْطُو رَكَ وما فِيكَ شَعْرَةٌ مِنْ تَمِيم
فَكُلِ الضَّبَّ وَاقرطِ الحَنْظَلَ اليَا بِسَ وَاشْرَبْ إن شِئْتَ بَوْلَ الظَّلِيم[(٤)]
فلَيْسَ ذا وَجْهُ مَنْ يُضِيفُ ولا يَقْـ ـرِي وَلا يَدْفَعَ الأذَى عَنْ حَرِيمِ

ومن شعر الحيص بيص الجيد:

سَلامَةُ المَرْءِ سَاعَةً عَجَبُ وَكُلُّ شَيْءٍ لِحَتْفِهِ سَبَبُ
يَفِرُّ وَالحَادِثَاتُ تَطْلُبُهُ يَفِرُّ مِنْهَا وَنَحْوَهَا الهَرَبُ
وَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى تَقَلُّبِهِ مُسَلَّماً مَنْ حَيَاتِهِ العَطَبُ

ومن شعره أيضاً:

لا تَلْبَسِ الدَّهْرَ عَلَى غِرَّةٍ فَمَا لِمَوْتِ الحَيِّ مِنْ بُدِّ
وَلا يُخَادِعْكَ طَوِيلُ البَقَا فَتَحْسَبَ التَّطْوِيلَ مِنْ خُلْدِ
يَقْرُبُ مَا كَانَ لَنَا آخِراً مَا أَقْرَبَ المَهْدَ مِنَ اللَّحْدِ

ويقرب من هذا ما ذكره صاحب العقد أحمد بن عبد ربه الأندلسي في عقده:

أَلاَ إنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارةُ أَيْكَةٍ إذا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
وَمَا الدَّهْرُ وَالآمَالُ إلاّ فَجَائِعٌ عَلَيْهَا وَمَا اللَّذَّاتُ إلا مَصَائِبُ
فَلا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ مِنْهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإنَّكَ ذَاهِبُ

وقد ذكر أبو سعد السمعاني حيص بيص هذا في ذيله وأثنى عليه، وسمع عليه ديوانه ورسائله، وأثنى على رسائله القاضي ابن خلكان، وقال: كان فيه تيه وتعاظم، ولا يتكلم إلا معرباً، وكان فقيهاً شافعي المذهب، واشتغل بالخلاف وعلم النظر، ثم تشاغل عن ذلك كله

---

(١) سقط في ط.

(٢) لم يعقب: لم يترك أولاداً.

(٣) يتقعر: يتفاصح ويطلب العويص.

(٤) الحنظل: شجرة ثمره شديد المرارة، والظليم: ذكر النعام.

بالشعر، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب، واختلاف لغاتهم. قال: وإنما قيل له الحيص بيص، لأنه رأى الناس في حركة واختلاط، فقال: ما للناس في حيص بيص، أي في شر وهرج، فغلبت عليه هذه الكلمة، وكان يزعم أنه من ولد أكثم بن صيفي طبيب العرب، ولم يترك عقباً. كانت له حوالة بالحلة فذهب يتقاضاها فتوفي ببغداد في هذه السنة.

محمد بن نسيم

أبو عبد الله الخياط، عتيق الرئيس أبي الفضل بن عبسون، سمع الحديث وقارب الثماني، سقط من درجة فمات. قال: أنشدني مولى الدين يعني ابن علام الحكيم بن عبسون:

لَلْقَارِئُ الـمَحْزُونُ أَجْدَرُ بِالتُّقَى ... مِنْ رَاهِبٍ فِي دَيْرِهِ مُتَقَوِّسِ[1]
وَمُرَاقِبُ الأَفْلاكِ كَانَتْ نَفْسُهُ ... بِعِبَادَةِ الرَّحْمٰنِ أَحْرَى الأَنْفُسِ
وَالمَاسِحُ الأَرَضِينَ وَهِيَ فَسِيحَةٌ ... أَوْلَى بِمَسْحٍ فِي أَكُفِّ اللُّمَّسِ
أَوْلَى بِخَشْيَةِ رَبِّهِ مِنْ جَاهِلٍ ... بِمُثَلَّثٍ وَمُرَبَّعٍ وَمُخَمَّسِ

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

وفيها كانت وقعة مرج عيون استهلت هذه السنة والسلطان صلاح الدين الناصر نازل بجيشه على تل القاضي ببانياس، ثم قصده الفرنج بجمعهم فنهض إليهم فما هو إلا أن التقى الفريقان واصطدم الجندان، فأنزل الله نصره وأعز جنده، فولت ألوية الصلبان ذاهبة وخيل الله لركابهم راكبة، فقتل منهم خلق كثير، وأسر من ملوكهم جماعة، وأنابوا إلى السمع والطاعة، منهم مقدم الداوية ومقدم الابسباتارية وصاحب الرملة وصاحب طبرية وقسطلان ويافا وآخرون من ملوكهم، وخلق من شجعانهم وأبطالهم، ومن فرسان القدس جماعة كثيرون تقريباً من ثلاثمائة أسير من أشرافهم، فصاروا يهانون في القيود. قال العماد: فاستعرضهم السلطان في الليل حتى أضاء الفجر، وصلى يومئذٍ الصبح بوضوء العشاء، وكان جالساً ليلتئذٍ في نحو العشرين والفرنج كثير، فسلمه الله منهم، ثم أرسلهم إلى دمشق ليعتقلوا بقلعتها، فافتدى ابن (البارزاني) صاحب الرملة نفسه بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية، وإطلاق ألف أسير من بلاده، فأجيب إلى ذلك، وافتدى جماعة منهم أنفسهم بأموال جزيلة، ومنهم من مات في السجن، واتفق أنه في اليوم الذي ظفر فيه السلطان بالفرنج بمرج عيون، ظهر أسطول المسلمين على بطشة للفرنج في البحر وأخرى معها فغنموا منها ألف رأس من السبي، وعاد إلى الساحل مؤيداً منصوراً، وقد امتدح الشعراء السلطان في هذه الغزوة بمدائح كثيرة، وكتب بذلك إلى بغداد فدقت البشائر بها فرحاً وسروراً، وكان الملك المظفر تقي

---

(١) متقوس: قابع.

الدين عمر غائباً عن هذه الوقعة مشتغلاً بما هو أعظم منها، وذلك أن ملك الروم قرار سلان بعث يطلب حصن رعنان، وزعم أن نور الدين اغتصبه منه، وأن ولده قد عصى، فلم يجبه إلى ذلك السلطان، فبعث صاحب الروم عشرين ألف مقاتل يحاصرونه، فأرسل السلطان تقي الدين عمر في ثمانمائة فارس منهم سيف الدين علي بن أحمد المشطوب، فالتقوا معهم فهزموهم بإذن الله تعالى، واستقرت يد صلاح الدين على حصن رعنان، وقد كان مما عوض به ابن مقدم عن بعلبك، وكان تقي الدين عمر يفتخر بهذه الوقعة ويرى أنه قد هزم عشرين ألفاً، وقيل ثلاثين ألفاً بثمانمائة فارس، وكان السبب في ذلك أنه بيَّتهم وأغار عليهم، فما لبثوا بل فروا منهزمين عن آخرهم، فأكثر فيهم القتل واستحوذ على جميع ما تركوه في خيامهم، ويقال إنه كسرهم يوم كسر السلطان الفرنج بمرج عيون والله أعلم.

ذكر تخريب حصن الأحزان

وهو قريب من صفد. ثم ركب السلطان إلى الحصن الذي كانت الفرنج قد بنوه في العام الماضي وحفروا فيه بئراً وجعلوه لهم عيناً، وسلموه إلى الداوية، فقصده السلطان فحاصره ونقبه من جميع جهاته، وألقى فيه النيران وخربه إلى الأساس، وغنم جميع ما فيه، فكان فيه مائة ألف قطعة من السلاح، ومن المأكل شيء كثير، وأخذ منه سبعمائة أسير فقتل بعضاً وأرسل إلى دمشق الباقي، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً، غير أنه مات من أمرائه عشرة بسبب ما نالهم من الحر والوباء في مدة الحصار، وكانت أربعة وعشرين يوماً، ثم إن الناس زاروا مشهد يعقوب على عادتهم، وقد امتدحه الشعراء فقال بعضهم:

بِجِدِّكَ أَعْطَافُ القَنَا قد تعطفتْ ... وَطَرْفُ الأَعَادِي دُونَ مَجْدِكَ يَطْرِفُ[1]

شِهَابُ هُدًى في ظُلْمَةِ الليلِ ثَاقِبٌ ... وَسَيْفٌ إذَا مَا هَزَّهُ الله مُرْهَفُ[2]

وَقَفْتَ عَلَى حِصْنِ المخاضِ وَإِنَّهُ ... لَمَوْقِفُ حَقٍّ لا يُوَازِيهِ مَوْقِفُ

فَلَمْ يَبْدُ وَجْهُ الأَرْضِ بَلْ حَالَ دُونَهُ ... رِجَالٌ كَآسَادِ الشَّرَى وَهْيَ ترجفُ

وَجُرْدٌ سَلاهِبَةٌ وَدِرْعٌ مُضَاعَفٌ ... وَأَبْيَضُ هِنْدِيٌّ وَلَدْنٌ مهفهفُ[3]

وَمَا رَجَعَتْ أَعْلامُكَ البِيضُ سَاعَةً ... إلاّ غَدَتْ أَكْبَادُهَا السُّودُ تَرْجُفُ

كَنَائِسُ أَغْيَادٍ صَلِيبٌ وَبِيعَةٌ ... وَشَادَ بِهِ دِينٌ حَنِيفٌ وَمُصْحَفُ

صَلِيبٌ وَعُبَّادُ الصَّلِيبِ وَمَنْزِلٌ ... لمنوال قَدْ غَادَرْتَهُ وَهْوَ صَفْصَفُ

أَتَسْكُنُ أَوْطَانَ النَّبِيِّينَ عُصْبَةٌ ... تَمِينُ لَدَى أَيْمَانِهَا وَهْيَ تَحْلِفُ[4]

(١) القنا: الرماح. (٢) المرهف: القاطع.

(٣) الجرد: الخيول. والسلاهبة: الطويلة الأجسام. واللدن: الرمح. والمثقف الرمح الذي ثقف وخلص من اعوجاجه.

(٤) تمين: تكذب.

نَصَحْتُكُمُ وَالنُّصْحُ في الدِّينِ وَاجِبٌ ذَرُوا بَيْتَ يَعْقُوبٍ فَقَدْ جَاءَ يُوسُفُ

وقال آخر:

هَلاكُ الفِرَنْجِ أَتَى عَاجِلاً وَقَدْ آنَ تَكْسِيرُ صُلْبَانِهَا

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ دَنَا حَتْفُهَا لَمَا عَمَّرَتْ بَيْتَ أَحْزَانِهَا

ومن كتاب (كتبه القاضي) الفاضل إلى بغداد في خراب هذا الحصن. وقد قيس عرض حائطه فزاد على عشرة أذرع وقطعت له عظام الحجارة كل فص منها سبعة أذرع، إلى ما فوقها وما دونها، وعادتها تزيد على عشرين ألف حجر، لا يستقر الحجر في بنيانه إلا بأربعة دنانير فما فوقها، وفيما بين الحائطين حشو من الحجارة الضخمة الصّمّ، أتوا بها من رؤوس الجبال الشم، وقد جعلت شعبيته بالكلس الذي إذا أحاطت بالحجر مازجه بمثل جسمه، ولا يستطيع الحديد أن يتعرض إلى هدمه. وفيها أقطع السلطان صلاح الدين ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بعلبك. وأغار فيها على صفد وأعمالها، فقتل طائفة كبيرة من مقاتليها، وكان فروخ شاه من الصناديد الأبطال.

وفيها حج القاضي الفاضل من دمشق وعاد إلى مصر فقاسى في الطريق أهوالاً، ولقي ترحاً[1] وتعباً وكلالاً، وكان في العام الماضي قد حج من مصر وعاد إلى الشام، وكان ذلك العام في حقه أسهل من هذا العام. وفيها كانت زلزلة عظيمة انهدم بسببها قلاع وقرى، ومات خلق كثير فيها من الورى، وسقط من رؤوس الجبال صخور كبار، وصادمت بين الجبال في البراري والقفار، مع بعد ما بين الجبال من الأقطار. وفيها أصاب الناس غلاء شديد وفناء شديد وجهد جهيد، فمات خلق كثير بهذا وهذا، [ولله الأمر من قبل ومن بعد][2] فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة المستضيء بأمر الله وشيء من ترجمته رحمه الله

كان ابتداء مرضه أواخر شوال فأرادت زوجته أن تكتم ذلك فلم يمكنها، ووقعت فتنة كبيرة ببغداد ونهبت العامة دوراً كثيرة، وأموالاً جزيلة، فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال خطب لولي العهد أبي العباس أحمد بن المستضيء، وهو الخليفة الناصر لدين الله، وكان يوماً مشهوداً نثر الذهب فيه على الخطباء والمؤذنين، ومن حضر ذلك، عند ذكر اسمه على المنبر: وكان مرضه بالحمى ابتدأ فيها يوم عيد الفطر، ولم يزل الأمر يتزايد به حتى استكمل في مرضه شهراً، ومات سلخ شوال، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً، وغسل وصلي عليه من الغد. ودفن بدار النصر التي بناها، وذلك عن وصيته التي أوصاها، وترك من بعده ولدين أحدهما ولي العهد وهو عدة الدين والدنيا، أبو العباس أحمد الناصر لدين الله، والآخر أبو منصور

---

(١) الترح: الحزن.

(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

هاشم، وقد وزر له جماعة من الرؤساء، وكان من خيار الخلفاء، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مزيلاً عن الناس المكوسات والضرائب، مبطلاً للبدع والمعائب، وكان حليماً وقوراً كريماً [فرحمه الله وبلّ ثراه وجعل الجنة مثواه آمين]، وبويع بالخلافة من بعده لولده الناصر [والله تعالى أعلم].

وممن توفي فيها من الأعيان:

إبراهيم بن علي

أبو إسحاق الفقيه الشافعي، المعروف بابن الفراء الأموي ثم البغدادي، كان فاضلاً مناظراً فصيحاً بليغاً شاعراً، توفي عن أربع وسبعين سنة، وصلى عليه أبو الحسن القزويني مدرس النظامية.

إسماعيل بن موهوب

ابن محمد بن أحمد الخضر أبو محمد الجواليقي، حجة الإسلام، أحد أئمة اللغة في زمانه والمشار إليه من بين أقرانه بحسن الدين وقوة اليقين، وعلم اللغة والنحو، وصدق اللهجة وخلوص النية، وحسن السيرة في مرباه ومنشئه ومنتهاه، سمع الحديث وسمع الأثر واتبع سبيله ومرماه، رحمه الله تعالى.

المبارك بن علي بن الحسن

أبو محمد بن الطباخ البغدادي، نزيل مكة ومجاورها، وحافظ الحديث بها والمشار إليه بالعلم فيها. كان يوم جنازته يوماً مشهوداً.

خلافة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء

لما توفّي أبوه في سلخ شوال من سنة خمس وسبعين وخمسمائة، بايعه الأمراء والوزراء والكبراء والخاصة والعامة، وكان قد خطب له على المنابر في حياة أبيه قبل موته بيسير، فقيل إنه إنما عهد له قبل موته بيوم، وقيل بأسبوع، ولكن قدر الله أنه لم يختلف عليه اثنان بعد وفاة أبيه، ولقب بالناصر، ولم يل الخلافة من بني العباس قبله أطول مدة منه، فإنه مكث خليفة إلى سنة وفاته في سنة ثلاث وعشرين وستمائة؛ وكان ذكياً شجاعاً مهيباً وسيأتي ذكر سيرته عند وفاته إن شاء الله تعالى.

وفي سابع ذي القعدة من هذه السنة عزل صاحب المخزن ظهير الدين أبو بكر بن العطار، وأهين غاية الإهانة، هو وأصحابه وقتل خلق منهم، وشهر في البلد، وتمكن أمر الخليفة الناصر وعظمت هيبته في البلاد، وقام قائم الخلافة في جميع الأمور. ولما حضر عيد الأضحى أقيم على ما جرت به العادة والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة

فيها هادن السلطان صلاح الدين الفرنج وسار إلى بلاد الروم فأصلح بين ملوكها، من بين أرتق وكرّ على بلاد الأرمن فأقام عليها وفتح بعض حصونها، وأخذ منها غنائم كثيرة جدّاً، من أواني الفضة والذهب، لأن ملكها كان قد غدر بقوم التركمان، فرده إلى بلاده ثم صالحه على مال يحمله إليه وأسارى يطلقهم من أسره، وآخرين يستنقذهم من أيدي الفرنج ثم عاد مؤيداً منصوراً فدخل حماه في أواخر جمادى الآخرة، وامتدحه الشعراء على ذلك، ومات صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود، وكان شاباً حسناً مليح الشكل تام القامة، مدور اللحية، مكث في الملك عشر سنين، ومات عن ثلاثين سنة، وكان عفيفاً في نفسه، مهيباً وقوراً، لا يلتفت إذا ركب وإذا جلس، وكان غيوراً لا يدع أحداً من الخدم الكبار يدخل على النساء، وكان لا يقدم على سفك الدماء، وكان ينسب إلى شيء من البخل سامحه الله، توفي في ثالث صفر، وكان قد عزم على أن يجعل الملك من بعده لولده عز الدين سنجر شاه، فلم يوافقه الأمراء خوفاً من صلاح الدين لصغر سنه، فاتفقوا كلهم على أخيه فأجلس مكانه في المملكة، وكان يقال له عز الدين مسعود، وجعل مجاهد الدين قايماز نائبه ومدبر مملكته. وجاءت رسل الخليفة يلتمسون من صلاح الدين أن يبقى سروج والرها والرقة، وحران والخابور ونصيبين في يده كما كانت في يد أخيه، فامتنع السلطان من ذلك، وقال: هذه البلاد هي حفظ ثغور المسلمين، وإنما تركتها في يده ليساعدنا على غزو الفرنج، فلم يفعل ذلك، وكتب إلى الخليفة يعرفه أن المصلحة في (ترك ذلك عوناً للمسلمين) تركها بيده.

وفاة السلطان توران شاه [رحمه الله]

فيها توفي السلطان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب، [الذي فتح بلاد اليمن][(١)] أخي الملك صلاح الدين، وهو الذي افتتح بلاد اليمن عن أمر أخيه، فمكث فيها حيناً واقتنى منها أموالاً جزيلة، ثم استناب فيها وأقبل إلى الشام شوقاً إلى أخيه، وقد كتب إليه في أثناء الطريق شعراً عمله له بعض الشعراء، يقال له ابن المنجم، وكانوا قد وصلوا إلى سما:

وَهَلْ لأَخِي بَلْ مَالِكِي عِلْمُ ذا الذي ... إلَيْهِ وَإنْ طَالَ التَّرَدُّدُ رَاجِعُ
وَإنِّي بِيَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ لِقَائِهِ ... عَلَيَّ وإنْ قَدْ عُظِّمَ المَوْتُ بَايِعُ
وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ دُونَ عِشْرِينَ لَيْلَةً ... وَيُحْيِي اللِّقَا أَبْصَارَنَا وَالمَسَامِعُ
إلى مَلِكٍ تَعْنُو المُلوكُ إذا بدا ... وتخشعُ إعظاماً له وهو خاشعُ

(١) سقط في ط.

كَتَبْتُ وَأَشْوَاقِي إِلَيْكَ بِبَعْضِهَا تَعَلَّمَتِ النَّوْحَ الحَمَامُ السَّوَاجِعُ(١)
وَمَا المُلْكُ إِلاَّ رَاحَةٌ أَنْتَ زَنْدُهَا تُضَمُّ عَلَى الدُّنْيَا وَنَحْنُ الأَصَابِعُ

وكان قدومه على أخيه سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، فشهد معه مواقف مشهودة محمودة، واستنابه على دمشق مدة، ثم سار إلى مصر فاستنابه على الإسكندرية فلم توافقه، وكانت تعتريه القوالنج فمات في هذه السنة، ودفن بقصر الإمارة فيها، ثم نقلته أخته ست الشام بنت أيوب فدفنته بتربتها التي بالشامية البرانية، فقبره القبلي، والوسطاني قبر زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه، صاحب حماه (والرحبة)، والمؤخر قبرها، والتربة الحسامية منسوبة إلى ولدها حسام الدين عمر بن لاشين، وهي إلى جانب المدرسة من غربها، وقد كان توران شاه هذا كريماً شجاعاً عظيم الهيبة كبير النفس، واسع النفقة والعطاء، قال فيه ابن سعدان الحلبي:

هُوَ المَلْكُ إنْ تَسْمَعْ بِكِسْرَى وَقَيْصَرِ فَإِنَّهُمَا فِي الجُودِ وَالبَأْسِ عَبْدَاهُ
وما خَاتِمٌ مِمَّنْ يُقَاسُ بِجُودِهِ فَخُذْ مَا رَأَيْنَاهُ وَدَعْ مَا رَوَيْنَاهُ
وَلُذْ بِعُلاهُ مُسْتَجِيراً فَإِنَّهُ يُجِيرُكَ مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ وَعَدْوَاهُ(٢)
ولا تَحْمِلْ لِلسَّحَائِبِ مِنَّهُ إِذَا هَطَلَتْ جُوداً سَحَائِبُ كفاه
فترسلُ كفاه بما اشْتَقَّ مِنْهُمَا فَلِلْيُمْنِ يُمْنَاهُ وَلِلْيُسْرِ يُسْرَاهُ

ولما بلغ موته أخاه صلاح الدين بن أيوب وهم مخيم بظاهر حمص، حزن عليه حزناً شديداً، وجعل ينشد باب المراثي من الحماسة وكانت محفوظة.

وفي رجب منها قدمت رسل الخليفة الناصر وخلع وهدايا إلى الناصر صلاح الدين، فلبس خلعة الخليفة بدمشق، وزينت له البلد، وكان يوماً مشهوداً. وفي رجب أيضاً منها سار السلطان إلى مصر لينظر في أحوالها ويصوم بها رمضان، ومن عزمه أن يحج عامه ذلك، واستناب على الشام ابن أخيه عز الدين فروخ شاه، وكان عزيز المثل غزير الفضل، فكتب القاضي الفاضل عن الملك العادل أبي بكر إلى أهل اليمن والبقيع ومكة يعلمهم بعزم السلطان الناصر على الحج في هذا العام، ومعه صدر الدين أبو القاسم عبد الرحيم شيخ الشيوخ ببغداد، الذي قدم من جهة الخليفة في الرسالة، وجاء بالخلع ليكون في خدمته إلى الديار المصرية، وفي صحبته إلى الحجاز، فدخل السلطان مصر وتلقاه الجيش، وأما شيخ الشيوخ فإنه لم يقم بها إلا قليلاً حتى توجه إلى الحجاز في البحر، فأدرك الصيام في المسجد الحرام.

وفيها سار قراقوش التقوي إلى المغرب فحاصر بها فاس وقلاعاً كثيرة حولها، واستحوذ على أكثرها، واتفق له أنه أسر في بعض الحصون غلاماً أسود فأراد قتله فقال له

(١) السواجع: المرددة أصواتها.
(٢) يجيرك: يحميك.

أهل الحصن لا تقتله وخذ لك ديته عشرة آلاف دينار، فأبى فأوصله إلى مائة ألف، فأبى إلا قتله فقتله، فلما قتله نزل صاحب الحصن وهو شيخ كبير ومعه مفاتيح ذلك الحصن، فقال له خذ هذه فإني شيخ كبير، وإنما كنت أحفظه من أهل هذا الصبي الذي قتلته، ولي أولاد أخ أكره أن يملكوه بعدي، فأقره فيه وأخذ منه أموالاً كثيرة.

وفيها توفي من الأعيان:

الحافظ أبو طاهر السلفي

أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفة الحافظ الكبير المعمر، أبو طاهر السلفي الأصبهاني، وإنما قيل له السلفي لجده إبراهيم سلفة، لأنه كان مشقوق إحدى الشفتين، فكان له ثلاث شفاه فسمته الأعاجم بذلك. قال ابن خلكان: وكان يلقب بصدر الدين، وكان شافعي المذهب، ورد بغداد واشتغل بها على الكيا الهراسي، وأخذ اللغة عن الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي سمع الحديث الكثير ورحل في طلبه إلى الآفاق ثم نزل ثغر الإسكندرية في سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وبنى له العادل أبو الحسن علي بن السلار وزير الخليفة الظافر مدرسة، وفوضها إليه، فهي معروفة به إلى الآن. قال ابن خلكان: وأما أماليه وكتبه وتعاليقه فكثيرة جداً، وكان مولده فيما ذكر المصريون سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة، ونقل الحافظ عبد الغني القدسي عنه أنه قال أذكر مقتل نظام الملك في سنة خمس وثمانين وأربعمائة ببغداد، وأنا ابن عشر تقريباً، ونقل أبو القاسم الصفراوي أنه قال: مولدي بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين، فيكون مبلغ عمره ثمانياً وتسعين سنة، لأنه توفي ليلة الجمعة خامس ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بثغر الإسكندرية والله أعلم، ودفن بوعلة، وفيها جماعة من الصالحين. وقد رجح ابن خلكان قول الصفراوي، قال ولم يبلغنا من ثلاثمائة سنة أن أحداً جاوز المائة إلا القاضي أبا الطيب الطبري، وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه ترجمة حسنة، وإن كان قد مات قبله بخمس سنين فذكر رحلته في طلب الحديث ودورانه في الأقاليم، وأنه كان يتصوف أولاً ثم أقام بثغر الإسكندرية وتزوج بامرأة ذات يسار، فحسنت حاله، ووقفت عليه مدرسة هناك، وذكر طرفاً من أشعاره منها:

أَتَأْمَنُ إِلْمَامَ الْمَنِيَّةِ بَغْتَةً ... وَأَمْنُ الْفَتَى جَهْلٌ وَقَدْ خَبَرَ الدَّهْرَا
وَلَيْسَ يُحَابِي الدَّهْرُ فِي دَوَرَانِهِ ... أَرَاذِلَ أَهْلِيهِ وَلا السَّادَةَ الزُّهْرَا[1]
وَكَيْفَ وَقَدْ مَاتَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ ... وَأَزْوَاجُهُ طُرّاً وَفَاطِمَةُ الزَّهْرَا

وله أيضاً:

يَا قَاصِداً عِلْمَ الْحَدِيثِ لِدِينِهِ ... إذا ضَلَّ عَنْ طُرُقِ الْهِدَايَةِ وَهْمُهُ
إِنَّ الْعُلُومَ كَمَا عَلِمْتَ كَثِيرَةٌ ... وَأَجَلُّهَا فِقْهُ الْحَدِيثِ وَعِلْمُهُ

(١) يحابي: من المحاباة، وهو الميل والانحراف.

مَـنْ كَـانَ طَـالِـبَـهُ وَفِـيـهِ تَـيَـقُّـظٌ فَـأَتَـمُّ سَـهْـمٍ فـي الـمـعَـالِـي سَـهْـمُـهُ
لَـوْلا الـحَـدِيـثُ وَأَهْـلُـهُ لَـمْ يَـسْـتَـقِـمْ دِيـنُ الـنَّـبِـيِّ وَشَـذَّ عَـنَّـا حُـكْـمُـهُ
وَإذا اسْـتَـرَابَ بِـقَـوْلِـنَـا مُـتَـحَـذْلِـقٌ مَـا كُـلُّ فَـهْـمٍ فـي الـبَـسِـيـطَـةِ فَـهْـمُـهُ(١)

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

استهلت وصلاح الدين مقيم بالقاهرة مواظب على سماع الحديث، وجاءه كتاب من نائبه بالشام عز الدين فروخ شاه يخبره فيه بما منَّ الله به على الناس من ولادة النساء بالتوأم جبراً لما كان أصابهم من الوباء بالعام الماضي والفناء، وبأن الشام مخصبة بإذن الله لما كان أصابهم من الغلاء. وفي شوال توجه الملك صلاح الدين إلى الإسكندرية لينظر ما أمر به من تحصين سورها وعمارة أبراجها وقصورها، وسمع بها موطأ مالك على الشيخ أبي طاهر بن عوف، عن الطرطوشي، وسمع معه العماد الكاتب، وأرسل القاضي الفاضل رسالة إلى السلطان يهنته بهذا السماع والله تعالى أعلم.

وفاة الملك الصالح بن نور الدين [الشهيد] صاحب حلب وما جرى بعده من الأمور

كانت وفاته في الخامس والعشرين من رجب من هذه السنة بقلعة حلب، ودفن بها، وكان سبب وفاته فيما قيل إن الأمير علم الدين سليمان بن حيدر سقاه سمّاً في عنقود عنب في الصيد، وقيل بل سقاه ياقوت الأسدي في شراب فاعتراه قولنج فما زال كذلك حتى مات رحمه الله وهو شاب حسن الصورة بهي المنظر ولم يبلغ عشرين سنة، وكان من أعف الملوك ومن أشبه أباه فما ظلم، وصف له الأطباء في مرضه شرب الخمر فاستفتى الفقهاء في شربها تداوياً فأفتوه بذلك، فقال له: أيزيد شربها في أجلي أو ينقص منه تركها شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فوالله لا أشربها وألقى الله وقد شربت ما حرمه عليّ. ولما يئس من نفسه استدعى الأمراء فحلفهم لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل، لقوة سلطانه وتمكنه، ليمنعها من صلاح الدين، وخشي أن يبايع لابن عمه الآخر عماد الدين زنكي، صاحب سنجار، وهو زوج أخته وتربية والده، فلا يمكنه حفظها من صلاح الدين، فلما مات استدعى الحلبيون عز الدين مسعود بن قطب الدين، صاحب الموصل، فجاء إليهم فدخل حلب في أبهة عظيمة، وكان يوماً مشهوراً، وذلك في العشرين من شعبان، فتسلم خزائنها وحواصلها. وما فيها من السلاح، وكان تقي الدين عمر في مدينة منبج فهرب إلى حماه فوجد أهلها قد نادوا بشعار صاحب الموصل وأطمع الحلبيون مسعوداً بأخذ دمشق لغيبة صلاح الدين عنها، وأعلموه محبة أهل الشام لهذا البيت الأتابكي نور الدين، فقال لهم: بيننا وبين صلاح الدين أيمان

---

(١) استراب: شك، والمتحذلق: الذي يدعي الحذق وهو لا يوجد فيه، والبسيطة: الأرض.

وعهود، وأنا لا أغدر به، فأقام بحلب شهوراً وتزوج بأم الملك الصالح في شوال، ثم سار إلى الرقة فنزلها وجاءه رسل أخيه عماد الدين زنكي يطلب منه أن يقايضه من حلب إلى سنجار، وألح عليه في ذلك، وتمنع أخوه ثم فعل على كره منه، فسلم إليه حلب وتسلم عز الدين سنجار والخابور والرقة ونصيبين وسروج وغير ذلك من البلاد.

ولما سمع الملك صلاح الدين بهذه الأمور ركب من الديار المصرية في عساكره فسار حتى أتى الفرات فعبرها، وخامر إليه بعض أمراء صاحب الموصل، وتقهقهر صاحب الموصل عن لقائه، واستحوذ صلاح الدين على بلاد الجزيرة بكمالها، وهم بمحاصرة الموصل فلم يتفق له ذلك، ثم جاء إلى حلب فتسلمها من عماد الدين زنكي لضعفه من ممانعتها، ولقلة ما ترك فيها عز الدين من الأسلحة، وذلك في السنة الآتية.

وفيها عزم البرنس صاحب الكرك على قصد تيماء من أرض الحجاز، ليتوصل منها إلى المدينة النبوية، فجهز له صلاح الدين سرية من دمشق تكون حاجزة بينه وبين أرض الحجاز، فصده ذلك عن قصده ولله الحمد والمنة. وفيها ولي السلطان صلاح الدين أخاه سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب نيابة اليمن، وأرسله إليها، وذلك لاختلاف نوابها واضطراب أصحابها، بعد وفاة المعظم أخي السلطان، فسار إليها طغتكين فوصلها في سنة ثمان وسبعين، فسار فيها أحسن سيرة، واحتاط على أموال حطان بن منقذ صاحب زبيد، وكانت تقارب ألف ألف دينار أو أكثر، وأما نائب عدن فخر الدين عثمان [الزنجبيلي] فإنه خرج من اليمن قبل قدوم طغتكين فسكن الشام، وله أوقاف مشهورة باليمن ومكة، وإليه تنسب المدرسة الزنجبلية، خارج باب توما، تجاه دار المطعم، وكان قد حصل من اليمن أموالاً جزيلة جداً.

وفيها غدرت الفرنج ونقضت عهودها، وقطعوا السبل على المسلمين براً وبحراً وسراً وجهراً، فأمكن الله من لطيشة[1] عظيمة فيها نحو من ألفين وخمسمائة من مقاتلتهم المعدودين، ألقاها الموج إلى ثغر دمياط قبل خروج السلطان من مصر، فأحيط بها فغرق بعضهم وحصل في الأسر نحو ألف وسبعمائة ولله الحمد والمنة. وفيها سار قراقوش إلى بلاد إفريقية ففتح بلاداً كثيرة، وقاتل عسكر ابن عبد المؤمن صاحب المغرب، واستفحل أمره هناك، وقراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين، ثم عاد إلى مصر فأمره صلاح الدين أن يتم السور المحيط بالقاهرة ومصر، وذلك قبل خروجه منها في هذه السنة، وكان آخر عهده بها حتى توفاه الله بعد أن أناله الله بلوغ مناه، ففتح عليه بيت المقدس وما حوله، ولما خيم بارزاً، من مصر وأولاده حوله جعل يشمهم ويقبلهم ويضمهم فأنشد بعضهم في ذلك:

تمتع من شميم عرارِ نجدٍ فما بعدَ العشيةِ من عرارِ[2]

(١) اللطيشة: السفينة. (٢) العرار: نبات طيب الرائحة.

وكان الأمر كما قال، لم يعد إلى مصر بعد هذا العام، بل كان مقامه بالشام. وفيها ولد السلطان ولدان أحدهما المعظم توران شاه، والملك المحسن أحمد، وكان بين ولادتهما سبعة أيام، فزينت البلاد واستمر الفرح أربعة عشر يوماً [والله تعالى أعلم].

وفيها توفي من الأعيان:

الشيخ كمال الدين أبو البركات

عبد الرحمن بن محمد بن أبي السعادات، عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الأنباري النحوي الفقيه العابد الزاهد كان خشن العيش، ولا يقبل من أحد شيئاً، ولا من الخليفة، وكان يحضر نوبة الصوفية بدار الخلافة، ولا يقبل من جوائز الخليفة ولا فلساً، وكان مثابراً على الاشتغال، وله تصانيف مفيدة، توفي في شعبان من هذه السنة. قال ابن خلكان: له كتاب أسرار العربية مفيد جدّاً، وطبقات النحاة، مفيد جدّاً، وكتاب الميزان في النحو أيضاً، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

في خامس محرمها كان بروز السلطان من مصر قاصداً دمشق لأجل الغزو والإحسان إلى الرعايا وكان ذلك آخر عهده بمصر وأغار بطريقه على بعض نواحي بلاد الفرنج، وقد جعل أخاه تاج الملوك بوري بن أيوب على الميمنة، فالتقوا على الأزرق بعد سبعة أيام، وقد أغار عز الدين فروخ شاه على بلاد طبرية وافتتح حصوناً جيدة، وأسر منهم خلقاً، واغتنم عشرين ألف رأس من الأنعام ودخل الناصر دمشق سابع صفر ثم خرج منها في العشر الأول من ربيع الأول، فاقتتل مع الفرنج في نواحي طبرية وبيسان تحت حصن كوكب، فقتل خلق من الفريقين، وكان النصرة للمسلمين على الفرنج، [والحمد لله رب العالمين] ورجع مؤيداً منصوراً، ثم ركب قاصداً حلب وبلاد الشرق ليأخذها وذلك أن المواصلة والحلبيين كاتبوا الفرنج على حرب المسلمين، مغارات الفرنج على بعض أطراف البلاد ليشغلوا الناصر عنهم بنفسه، فجاء إلى حلب فحاصرها ثلاثاً، ثم رأى العدول عنها إلى غيرها أولى، فسار حتى بلغ الفرات، واستحوذ على بلاد الجزيرة والرها والرقة ونصيبين، وخضعت له الملوك، ثم عاد إلى حلب فتسلمها من صاحبها عماد الدين زنكي، فاستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً، وتمكن حينئذٍ من قتال الفرنج [لعنهم الله وأمكنهم الله من نواصيهم فللّه الحمد على ما أولاه والله أعلم][1].

فَصل

ولما عجز إبرنس الكرك عن إيصال الأذى إلى المسلمين في البر، عمل مراكب في

(١) سقط في ط.

بحر القلزم ليقطعوا الطريق على الحجاج والتجار، فوصلت أذيتهم إلى عيذاب، وخاف أهل المدينة النبوية من شرهم، فأمر الملك العادل الأمير حسام الدين لؤلؤ صاحب الأسطول أن يعمل مراكبه في بحر القلزم ليحارب أصحاب الإبرنس، ففعل ذلك فظفر بهم في كل موطن، فقتلوا منهم وحرقوا وغرقوا وسبوا في مواطن كثيرة، ومواقف هائلة، وأمن البر والبحر بإذن الله تعالى، وأرسل الناصر إلى أخيه العادل ليشكر ذلك عن مساعيه، وأرسل إلى ديوان الخليفة يعرفهم بذلك [بما أنعم الله به عليه من الفتوحات براً وبحراً وبما هو متقلب فيه من أنعم الله عليه وأحسن به أليست سراً وجهراً والحمد لله على ذلك][(١)].

فصل في وفاة المنصور عز الدين

فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك ونائب دمشق لعمه الناصر، وهو والد الأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك بعد أبيه، وإليه تنسب المدرسة الفروخ شاهية بالشرق الشمالي بدمشق، وإلى جانبها التربة الأمجدية لولده، وهما وقف على الحنفية والشافعية، وقد كان فروخ شاه شجاعاً شهماً عاقلاً ذكياً كريماً ممدحاً، امتدحه الشعراء لفضله وجوده، وكان من أكبر أصحاب الشيخ تاج الدين أبي اليمن الكندي، عرفه من مجلس القاضي الفاضل، فانتمى إليه، وكان يحسن إليه، وله وللعماد الكاتب فيه مدائح، وكان ابنه الأمجد شاعراً جيداً، ولاه عم أبيه صلاح الدين بعلبك بعد أبيه، واستمر فيها مدة طويلة، ومن محاسن فروخ شاه صحبته لتاج الدين الكندي وله شعر رائق:

أَنَــا فِــي أَسْــرِ الـسَّــقَــامِ ... وَهُــوَ فِــي هَـذا الـمَـقَـام
رَشَــأٌ تَــرْشُــقُ عَــيْــنَــا ... هُ فُــؤَادِي بِــسِـهَــام
كُــلَّــمَــا أَرْشَــفَــنِــي فَــا ... هُ عَــلَــى حَــرِّ الأُوام[(٢)]
ذُقْــتُ مِــنْــهُ الــشُّــهْــدَ فِــي ... أَضْــفَــى مَــذَاقَــاتِ الـمُـدَام

وقد دخل يوماً الحمام فرأى رجلاً كان يعرفه من أصحاب الأموال، وقد نزل به الحال حتى أنه كان يستتر ببعض ثيابه لئلا تبدو عورته، فرق له وأمر غلامه أن ينقل بقجة وبساطاً إلى موضع الرجل، وأمره فأحضر ألف دينار وبغلة وتوقيعاً له في كل شهر بعشرين ألف دينار، دخل الرجل الحمام فقيراً وخرج منه غنياً، فرحمة الله على الأجواد الجياد.

وفيها توفي من الأعيان:

الشيخ [أحمد الرفاعي][(٣)]

أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي، شيخ الطائفة الأحمدية الرفاعية البطائحية، لسكناه أم عبيدة من قرى البطائح، وهي بين البصرة وواسط،

---

(١) سقط في ط. (٢) الأوام: العطش. (٣) في ط: أبو العباس.

كان أصله من العرب فسكن هذه البلاد، والتف عليه خلق كثير، ويقال: إنه حفظ التنبيه في الفقه على مذهب الشافعي. قال ابن خلكان: ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية، والدخول في النار في التنانير وهي تضطرم، ويلعبون بها وهي تشتعل، ويقال إنهم في بلادهم يركبون الأسود. وذكر ابن خلكان أنه قال وليس للشيخ أحمد عقب، وإنما النسل لأخيه وذريته يتوارثون المشيخة بتلك البلاد. وقال: ومن شعره على ما قيل:

إذا جَنَّ[1] لَيْلِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِكُمْ ... أَنُوحُ كَمَا نَاحَ الحَمَامُ المُطَوَّقُ
وَفَوْقِي سَحَابٌ يُمْطِرُ الهَمَّ وَالأَسَى ... وَتَحْتِي بِحَارٌ بِالأَسَى تَتَدَفَّقُ
سَلُوا أُمَّ عَمْرٍو كَيْفَ بَاتَ أَسِيرُهَا ... تُفَكُّ الأَسَارَى دُونَهُ وَهُوَ مُوثَقُ
فَلا هُوَ مَقْتُولٌ فَفِي القَتْلِ رَاحَةٌ ... وَلا هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فَيطلقُ

ومن شعره قوله:

أَغَارُ عَلَيْهَا مِنْ أَبِيهَا وَأُمِّهَا ... وَمِنْ كُلِّ مَنْ يَدْنُو إِلَيْهَا وَيَنْظُرُ
وَأَحْسُدُ لِلْمِرْآةِ أيضاً بِكَفِّهَا ... إذا نَظَرَتْ مِثْلَ الَّذِي أَنَا أَنْظُرُ

قال: ولم يزل على تلك الحال إلى أن توفي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة.

خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال

أبو القاسم القرطبي الحافظ المحدث المؤرخ، صاحب التصانيف، له كتاب الصلة جعله ذيلاً على تاريخ أبي الوليد بن الفرضي، وله كتاب المستغيثين بالله، وله مجلدة في تعيين الأسماء المبهمة على طريق الخطيب، وله أسماء من روى الموطأ على حروف المعجم، بلغوا ثلاثة وسبعين رجلاً، مات في رمضان عن أربع وثمانين سنة.

العلامة قطب الدين أبو المعالي

مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري، تفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالي، قدم دمشق ودرس بالغزالية والمجاهدية، وبحلب بمدرسة نور الدين وأسد الدين، ثم بهمذان، ثم رجع إلى دمشق ودرس الغزالية وانتهت إليه رياسة المذهب، ومات بها في سلخ رمضان يوم العيد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، عن ثلاث وتسعين سنة، وعنه أخذ الفخر ابن عساكر وغيره، وهو الذي صلى على الحافظ ابن عساكر والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة

في رابع عشر محرمها تسلم السلطان الناصر مدينة آمد صلحاً بعد حصار طويل، من

---

(١) جن: ستر وعم.

يد صاحبها ابن بيسان، بعد حمل ما أمكنه من حواصله وأمواله مدة ثلاثة أيام، ولما تسلم البلد وجد فيه شيئاً كثيراً من الحواصل وآلات الحرب، حتى أنه وجد برجاً مملوءاً بنصول النشاب، وبرجاً آخر فيه مائة ألف شمعة، وأشياء يطول شرحها، ووجد فيها خزانة كتب ألف ألف مجلد، وأربعون ألف مجلد، فوهبها كلها للقاضي الفاضل، فانتخب منها حمل سبعين حمارة. ثم وهب السلطان البلد بما فيه لنور الدين محمد بن قرا أرسلان ـ وكان قد وعده بها ـ فقيل له: إن الحواصل لم تدخل في الهبة، فقال: لا أبخل بها عليه وكان في خزانتها ثلاثة آلاف دينار، فامتدحه الشعراء على هذا الصنيع. ومن أحسن ذلك قول بعضهم:

قُلْ لِلْمُلُوكِ تَنَحَّوْا عَنْ مَمَالِكِكُمْ فَقَدْ أَتَى آخِذُ الدُّنْيَا وَمُعْطِيهَا

ثم سار السلطان في بقية المحرم إلى حلب فحاصرها وقاتله أهلها قتالاً شديداً، فجرح أخو السلطان تاج الملوك بوري بن أيوب جرحاً بليغاً، فمات منه بعد أيام، وكان أصغر أولاد أيوب، لم يبلغ عشرين سنة، وقيل إنه جاوزها بسنتين، وكان ذكياً فهماً، له ديوان شعر لطيف، فحزن عليه أخوه صلاح الدين حزناً شديداً، ودفنه بحلب، ثم نقله إلى دمشق، ثم اتفق الحال بين الناصر وبين صاحب حلب عماد الدين زنكي بن آقسنقر على عوض أطلقه له الناصر، بأن يرد عليه سنجار ويسلمه حلب، فخرج عماد الدين من القلعة إلى خدمة الناصر وعزاه في أخيه ونزل عنده في المخيم، ونقل أثقاله إلى سنجار، وزاده السلطان الخابور والرقة ونصيبين وسروج واشترط عليه إرسال العسكر في الخدمة لأجل الغزاة في الفرنج، ثم سار وودعه السلطان ومكث السطان في المخيم يرى حلب أياماً غير مكترث بحلب ولا وقعت منه موقعاً، ثم صعد إلى قلعتها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر، وعمل له الأمير طهمان وليمة عظيمة، فتلا هذه الآية وهو داخل في بابها: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦] الآية. ولما دخل دار الملك تلا قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ [الأحزاب:٢٧] الآية. ولما دخل مقام إبراهيم صلى فيه ركعتين وأطال السجود به، والدعاء والتضرع إلى الله، ثم شرع في عمل وليمة وضربت البشائر، وخلع على الأمراء، وأحسن إلى الرؤساء والفقراء، ووضعت الحرب أوزارها، وقد امتدحه الشعراء بمدائح حسان. ثم إن القلعة وقعت منه بموقع عظيم، ثم قال: ما سررت بفتح قلعة أعظم سروراً من فتح مدينة حلب، وأسقطت عنها وعن سائر بلاد الجزيرة المكوس والضرائب، وكذلك عن بلاد الشام ومصر، [فجزاه الله عن نفسه وعن الإسلام خيراً][1] وقد عاث الفرنج في غيبته في الأرض فساداً، [واغتنمت الثعالب بغيبة الأسد فجالت حول العرين وهي تظن ذلك خيالاً][2] فأرسل إلى عساكره فاجتمعوا إليه، وكان قد بشر بفتح بيت المقدس حين فتح حلب، وذلك أن الفقيه مجد الدين بن جهبل الشافعي رأى في تفسير أبي الحكم العربي عند قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الروم:١و٢] الآية. البشارة بفتح بيت المقدس في

(١) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٢) ما بين معقوفين سقط في ط.

سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، واستدل على ذلك بأشياء، فكتب ذلك في ورقة وأعطاها للفقيه عيسى الهكاري، ليبشر بها السلطان، فلم يتجاسر على ذلك خوفاً من عدم المطابقة، فأعلم بذلك القاضي محيي الدين بن الزكي، فنظم معناها في قصيدة يقول فيها:

وَفَتْحُكُمْ حَلَبَ الشَّهْبَاءَ فِي صَفَرٍ قَضَى لَكُمْ بِافْتِتَاحِ القُدْسِ فِي رَجَبِ(١)

وقدمها إلى السلطان فتاقت نفسه إلى ذلك، فلما افتتحها كما سيأتي أمر ابن الزكي فخطب يومئذٍ وكان يوم جمعة، ثم بلغه بعد ذلك أن [ابن] جهبل هو الذي قال ذلك أولاً؛ فأمره فدرس على نفس الصخرة درساً عظيماً، فأجزل له العطاء، وأحسن عليه الثناء.

فصل

ثم رحل السلطان من حلب في أواخر ربيع الآخر واستخلف على حلب ولده الظاهر غازي، وولى قضاءها لابن الزكي، فاستناب له فيها نائباً، وسار مع السلطان، فدخلوا دمشق في ثالث جمادى الأولى وكان ذلك يوماً مشهوداً، ثم برز منها خارجاً إلى قتال الفرنج في أول جمادى الآخرة قاصداً نحو بيت المقدس، فانتهى إلى بيسان فنهبها، ونزل على عين جالوت، وأرسل بين يديه سرية هائلة فيها بردويل وطائفة من النورية، وجاء مملوك عمه أسد الدين فوجدوا جيش الفرنج قاصدين إلى أصحابهم نجدة، فالتقوا معهم فقتلوا من الفرنج خلقاً وأسروا مائة أسير، ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد، ثم عاد في آخر ذلك اليوم، وبلغ السلطان أن الفرنج قد اجتمعوا لقتاله، فقصدهم وتصدى لهم لعلهم يصافونه، فالتقى معهم فقتل منهم خلقاً كثيراً من أطرافهم، وجرح مثلهم فرجعوا ناكصين على أعقابهم خائفين منه غاية المخافة، ولا زال جيشه خلفهم يقتل ويأسر حتى غزوا في بلادهم فرجعوا عنهم، وكتب القاضي الفاضل إلى الخليفة يعلمه بما منّ الله عليه وعلى المسلمين من نصرة الدين، وكان لا يفعل شيئاً ولا يريد أن يفعله إلا أطلع عليه الخليفة أدباً واحتراماً وطاعة واحتشاماً.

فصل

وفي رجب سار السلطان إلى الكرك فحاصرها وفي صحبته تقي الدين عمر ابن أخيه، وقد كتب لأخيه العادل ليحضر إليه ليوليه حلب وأعمالها وفق ما كان طلبه منه، واستمر الحصار على الكرك مدة شهر رجب، ولم يظفر منها بطلب، وبلغه أن الفرنج قد اجتمعوا كلهم ليمنعوا منه الكرك فكرّ راجعاً إلى دمشق - وذلك من أكبر همته - وأرسل ابن أخيه تقي الدين إلى مصر نائباً، وفي صحبته القاضي الفاضل، وبعث أخاه على مملكة حلب وأعمالها، واستقدم ولده الظاهر إليه، وكذلك نوابه ومن يعز عليه، وإنما أعطى السلطان أخاه حلب

---

(١) رواية البيت في النجوم الزاهرة:

وفتحه حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

ليكون قريباً منه، فإنه كان لا يقطع أمراً دونه، واقترض السلطان من أخيه العادل مائة ألف دينار، وتألم الظاهر بن الناصر على مفارقة حلب، وكانت إقامته بها ستة أشهر، ولكن لا يقدر أن يظهر ما فيه نفسه لوالده، لكن يظهر ذلك على صفحات وجهه ولفظات لسانه والله تعالى أعلم بالصواب.

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة

فيها أرسل الناصر إلى العساكر الحلبية والجزرية والمصرية والشامية أن يقدموا عليه لقتال الفرنج، فقدم عليه تقي الدين عمر من مصر ومعه الفاضل، ومن حلب العادل، وقدمت ملوك الجزيرة وسنجار وغيرها، فأخذ الجميع وسار نحو الكرك فأحدقوا بها في رابع عشر جمادى الأولى، وركب عليها المنجنيقات، وكانت تسعة، وأخذ في حصارها، وذلك أنه رأى أن فتحها أنفع للمسلمين من غيرها، فإن أهلها يقطعون الطريق على الحجاج، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الفرنج قد اجتمعوا له كلهم فارسهم وراجلهم، ليمنعوا من الكرك، فانشمر عنها وقصدهم فنزل على حسان تجاههم، ثم صار إلى ماعر، فانهزمت الفرنج قاصدين الكرك، فأرسل وراءهم من قتل منهم مقتلة عظيمة، وأمر السلطان بالإغارة على السواحل لخلوها من المقاتلة، فنهبت نابلس وما حولها من القرى والرساتيق[١]، ثم عاد السلطان إلى دمشق فأذن للعساكر في الانصراف إلى بلادهم، وأمر ابن أخيه عمر الملك المظفر أن يعود إلى مصر، وأقام هو بدمشق ليؤدي فرض الصيام، وليجل[٢] الخيل ويحدّ الحسام، وقدمت على السلطان خلع الخليفة فلبسها، وألبس أخاه العادل، وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ثم خلع الخليفة فلبسها وألبس أخاه العادل وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه.، ثم خلع خلعته على ناصر الدين بن قرا أرسلان، صاحب حصن كيفا وآمد التي أطلقها له السلطان. وفيها مات صاحب المغرب يوسف بن عبد المؤمن بن علي وقام في الملك بعده ولده يعقوب. وفي أواخرها بلغ صلاح الدين أن صاحب الموصل نازل أربل فبعث صاحبها يستصرخ به، فركب من فوره إليه، فسار إلى بعلبك ثم إلى حمص ثم إلى حماه، فأقام بها أياماً ينتظر وصول العماد إليه، وذلك لأنه حصل له ضعف فأقام ببعلبك، وقد أرسل إليه الفاضل من دمشق طبيباً يقال له أسعد بن المطران، فعالجه مداواة من طب لمن حب والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان مخيم بظاهر حماه، ثم سار إلى حلب، ثم خرج منها في صفر قاصداً الموصل فجاء إلى حران فقبض على صاحبها مظفر الدين، وهو أخو زين الدين

---

(١) الرساتيق: البلدان والقرى والمزارع.

(٢) أجال الخيل: أراحها وأبعدها، أو أراد تدريبها.

صاحب إربل، ثم رضي عنه وأعاده إلى مملكته حتى يتبين خبث طويته، ثم سار إلى الموصل فتلقاه الملوك من كل ناحية، وجاء إلى خدمته عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان، وسار السلطان فنزل على الإسماعيليات قريباً من الموصل، وجاءه صاحب إربل نور الدين الذي خضعت له ملوك تلك الناحية، ثم أرسل صلاح الدين ضياء الدين الشهرزوري إلى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل، وإنما مقصوده ردهم إلى طاعة الخليفة، ونصرة الإسلام، فحاصرها مدة ثم رحل عنها ولم يفتحها، وسار إلى خلاط واستحوذ على بلدان كثيرة، وأقاليم جمة ببلاد الجزيرة وديار بكر، وجرت أمور استقصاها ابن الأثير في الكامل، وصاحب الروضتين، ثم وقع الصلح بينه وبين المواصلة، على أن يكونوا من جنده إذا ندبهم لقتال الفرنج، وعلى أن يخطب له وتضرب له السكة، ففعل ذلك في تلك البلاد كلها، وانقطعت خطبة السلاجقة والأزيقية بتلك البلاد كلها، ثم اتفق مرض السلطان بعد ذلك مرضاً شديداً، فكان يتجلد ولا يظهر شيئاً من الألم حتى قوي عليه الأمر وتزايد الحال، حتى وصل إلى حران فخيم هنالك من شدة ألمه، وشاع ذلك في البلاد، وخاف الناس عليه وأرجف الكفرة والملحدون بموته، وقصده أخوه العادل من حلب بالأطباء والأدوية، فوجده في غاية الضعف، وأشار عليه بأن يوصي، فقال: ما أبالي وأنا أترك من بعدي أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً ـ يعني أخاه العادل وتقي الدين عمر صاحب حماه وهو إذ ذاك نائب مصر، وهو بها مقيم، وابنيه العزيز عثمان والأفضل علياً ـ ثم نذر لئن شفاه الله من مرضه هذا ليصرفن همته كلها إلى قتال الفرنج، ولا يقاتل بعد ذلك مسلماً، وليجعل أكبر همه فتح بيت المقدس، ولو صرف في سبيل الله جميع ما يملكه من الأموال والذخائر، وليقتلن البرنس صاحب الكرك بيده، لأنه نقض العهد وتنقص الرسول ﷺ، وذلك أنه أخذ قافلة ذاهبة من مصر إلى الشام، فأخذ أموالهم وضرب رقابهم، وهو يقول: أين محمدكم؟ دعوه ينصركم، وكان هذا النذر كله بإشارة القاضي الفاضل، وهو أرشده إليه وحثه عليه، حتى عقده مع الله عز وجل، فعند ذلك شفاه الله وعافاه من ذلك المرض الذي كان فيه، كفارة لذنوبه، وجاءت البشارات بذلك من كل ناحية، فدقت البشائر وزينت البلاد ولله الحمد والمنة، وكتب الفاضل من دمشق وهو مقيم بها إلى المظفر عمر أن العافية الناصرية قد استقامت واستفاضت أخبارها، وطلعت بعد الظلمة أنوارها، وظهرت بعد الاختفاء آثارها، وولت العلة والله الحمد والمنة، وطفئت نارها، وانجلى غبارها، وخمد شرارها، وما كانت إلا فلتة وقى الله شرها وشنارها[1]، وعظيمة كفى الله الإسلام عارها، وتوبة امتحن الله بها نفوسنا، فرأى أقل ما عندها صبرنا، وما كان الله ليضيع الدعاء وقد أخلصته القلوب، ولا تتوقف الإجابة وإن سدت طريقها الذنوب، ولا ليخلف وعد فرج وقد أيس الصاحب والمصحوب:

نَعِيٌّ زادَ فِيهِ الدَّهْرُ مِيماً ... فَأَصْبَحَ بَعْدَ بُؤْسَاهُ نَعِيمَا

(١) الشنار: العار، والأمر القبيح والشنيع.

وَمَـا صَـدَقَ الـنَّـذِيـرُ بِـهِ لأَنـي   رَأَيْـتُ الـشَّـمْـسَ تَـطْـلُـعُ وَالـنُّـجُـومَـا

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر غضة جديدة، والعزة ماضية حديدة، والنشاط إلى الجهاد، والتوبة لرب العباد، والجنة مبسوطة البساط، وقد انقضى الحساب وجزنا الصراط، وعرضنا نحن على الأهوال التي من خوفها كاد الجمل يلج بسم الخياط. ثم ركب السلطان من حران بعد العافية فدخل حلب، ثم ركب فدخل دمشق، وقد تكاملت عافيته، وقد كان يوماً مشهوداً.

وفيها توفي من الأعيان الفقيه مهذب الدين.

عبد الله بن أسعد الموصلي

مدرس حمص، وكان بارعاً في الفنون، ولا سيما في الشعر والأدب، وقد أثنى عليه العماد، والشيخ شهاب الدين أبو شامة.

الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه

صاحب حمص والرحبة، وهو ابن عم صلاح الدين، وزوج أخته ست الشام بنت أيوب، توفي بحمص فنقلته زوجته إلى تربته بالشامية البرانية، وقبره الأوسط بينها وبين أخيها المعظم توران شاه صاحب اليمن، وقد خلف من الأموال والذخائر شيئاً كثيراً، ينيف على ألف ألف دينار توفي يوم عرفة فجأة فولي من بعده مملكة حمص ولده أسد الدين شيركوه بأمر صلاح الدين.

المحمودي بن محمد بن علي بن إسماعيل

ابن عبد الرحيم الشيخ جمال الدين أبو الثناء محمود بن الصابوني، كان أحد الأئمة المشهورين، وإنما يقال له المحمودي لصحبة جده السلطان محمود بن زنكي، فأكرمه واحترمه ثم سار إلى مصر فنزلها، وكان صلاح الدين يكرمه، وأوقف عليه، وعلى ذريته أرضاً، فهي لهم إلى الآن.

الأمير سعد الدين مسعود

ابن معين الدين، كان من كبار الأمراء أيام نور الدين وصلاح الدين، وهو أخو الست خاتون وحين تزوجها صلاح الدين زوّجه أخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب، التي تنسب إليها المدرسة الصاحبية بسفح قاسيون على الحنابلة، وقد تأخرت مدتها فتوفيت في سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وكان آخر من بقي من أولاد أيوب لصلبه، وكانت وفاته بدمشق في جمادى الآخرة من جرح أصابه وهو في حصار ميافارقين.

الست خاتون عصمت الدين

بنت معين الدين، نائب دمشق، وأتابك عساكرها قبل نور الدين كما تقدم، وقد كانت

زوجة نور الدين ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وكانت من أحسن النساء وأعفهن وأكبرهن صدقة، وهي واقفة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب، وخانقات خاتون ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس، ودفنت بتربتها في سفح قيسون قريباً من قباب السركسية، وإلى جنبها دار الحديث الأشرفية والأتابكية، ولها أوقاف كثيرة غير ذلك، وأما الخاتونية البرانية التي على القنوات بمحلة صنعاء الشام، ويعرف ذلك المكان التي هي فيه بتل الثعالب، وهي من إنشاء الست زمرد خاتون بنت جاولي، وهي أخت الملك دقماق لأمه، وكانت زوجة زنكي والد نور الدين محمود، صاحب حلب، وقد ماتت قبل هذا الحين كما تقدمت وفاتها.

الحافظ الكبير أبو موسى المديني

محمد بن عمر بن محمد الأصبهاني الحافظ الموسوي المديني، أحد حفاظ الدنيا الرحالين الجوالين له مصنفات عديدة، وشرح أحاديث كثيرة رحمه الله والله أعلم.

السهيلي أبو القاسم

وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح ـ وهو الداخل إلى الأندلس ـ الخثعمي السهيلي، حكى القاضي ابن خلكان أنه أملى عليه نسبه كذلك، [قال ابن خلكان][1] قال والسهيلي نسبة إلى قرية بالقرب من مالقة اسمها سهيل، لأنه لا يرى سهيل النجم في شيء من تلك البلاد إلا منها من رأس جبل شاهق عندها، وهي من قرى المغرب، ولد السهيلي سنة ثمان وخمسمائة، وقرأ القراءات واشتغل وحصل حتى برع وساد أهل زمانه بقوة القريحة وجودة الذهن وحسن التصنيف، وذلك من فضل الله تعالى ورحمته، وكان ضريراً مع ذلك، له الروض الأنف يذكر فيه نكتاً حسنة على السيرة لم يسبق إلى شيء منها أو إلى أكثرها، وله كتاب الأعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام، وكتاب نتائج الفكر، ومسألة في الفرائض بديعة، ومسألة في سر كون الدجال أعور، وأشياء فريدة كثيرة بديعة مفيدة، وله أشعار حسنة، وكان عفيفاً فقيراً، وقد حصل له مال كثير في آخر عمره من صاحب مراكش، مات يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من هذه السنة، وله قصيدة كان يدعو الله بها ويرتجي الإجابة فيها وهي:

يـا مَـنْ يَـرَى مَـا فـي الـضَّـمِـيـرِ وَيَـسْـمَـعُ ... أَنْـتَ الـمُـعَـدُّ لِـكُـلِّ مَـا يُـتَـوَقَّـعُ
يَـا مَـنْ يُـرَجَّـى لِـلـشَّـدَائِـدِ كُـلِّـهَـا ... يَـا مَـنْ إِلَـيْـهِ الـمُـشْـتَكَـى وَالْـمَـفْـزَعُ
يَـا مَـنْ خَـزَائِـنُ رِزْقِـهِ فـي قَـوْلِ كُـنْ ... امْـنُـنْ فَـإِنَّ الـخَـيْـرَ عِـنْـدَكَ أَجْـمَـعُ
مَـا لِـي سِـوَى فَـقْـرِي إِلَـيْـكَ وَسِـيـلَـةٌ ... فَـبِـالافْـتِـقَـارِ إِلَـيْـكَ فَـقْـرِي أَدْفَـعُ

(١) سقط في ط.

مَا لي سِوَى قَرْعِي لِبَابِك حِيلَةٌ فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ؟
وَمَنْ ذا الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ إنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِك يُمْنَعُ؟
حَاشَا لِمَجْدِكَ أنْ تُقَنِّطَ عَاصِياً الفَضْلُ أَجْزَلُ وَالمَوَاهِبُ أَوْسَعُ[1]

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

في ثاني ربيع الأول منها كان دخول الناصر دمشق بعد عافيته، وزار القاضي الفاضل، واستشاره، وكان لا يقطع أمراً دونه وقرر في نيابة دمشق ولده الأفضل علي، ونزل أبو بكر العادل عن حلب لصهره زوج ابنته الملك الظاهر غازي بن الناصر، وأرسل السلطان أخاه العادل صحبة ولده عماد الدين عثمان الملك العزيز على ملك مصر، ويكون الملك العادل أتابكه، وله إقطاع عظيم جداً، وعزل عن نيابتها تقي الدين عمر، فعزم على الدخول إلى إفريقية، فلم يزل الناصر يتلطف به ويترفق له حتى أقبل بجنوده نحوه، فأكرمه واحترمه وأقطعه حماه وبلاداً كثيرة معها، وقد كانت له قبل ذلك، وزاد له على ذلك مدينة ميافارقين، وامتدحه العماد بقصيدة ذكرها في الروضتين.

وفيها هادن قومس طرابلس السلطان وصالحه وصافاه، حتى كان يقاتل ملوك الفرنج أشد القتال وسبى منهم النساء والأطفال، وكاد أن يسلم ولكن صده السلطان فمات على الكفر والطغيان، وكانت مصالحته من أقوى أسباب النصر على الفرنج، ومن أشد ما دخل عليهم في دينهم. قال العماد الكاتب: وأجمع المنجمون على خراب العالم في شعبان، لأن الكواكب الستة تجتمع فيه في الميزان، فيكون طوفان الريح في سائر البلدان، وذكر أن ناساً من الجهلة تأهبوا لذلك بحفر مغارات في الجبال ومدّخلات وأسراب في الأرض خوفاً من ذلك، قال: فلما كانت تلك الليلة التي أشاروا إليها وأجمعوا عليها لم ير ليلة مثلها في سكونها وركودها وهدوئها، وقد ذكر ذلك غير واحد من الناس في سائر أقطار الأرض، وقد نظم الشعراء في تكذيب المنجمين في هذه الواقعة وغريبها أشعاراً كثيرة حسنة منها:

مَزِّقِ التَّقْوِيمَ وَالزِّيجَ فَقَدْ بَانَ الخطا إنَّمَا التَّقْوِيمُ وَالزِّيجُ هَبَاءٌ وَهَوَا[2]
وَيَثُورُ الرَّمْلُ حَتَّى يَمْتَلِي مِنْهُ الصَّفَا وَيَعُمُّ الأَرْضَ رَجْفٌ وَخَرَابٌ وَبِلَى
قُلْتُ لِلسَّبْعَةِ إبْرَامٌ وَمَنْعٌ وَعَطَا وَمَتَى يَنْزِلْنَ في الميزانِ يَسْتَوْلِي الهَوَا
وَيصِيرُ القَاعُ كَالقفِّ وَكَالطَّوْدِ العدا وَحَكَمْتُم فَأَبَى الحاكِمُ إلاّ مَا يَشَا
مَا أَتَى الشَّرْعُ ولا جَاءَتْ بِهٰذا الأَنْبِيَا فَبَقِيتُمْ ضُحْكَةً يَضْحَكُ مِنهَا العُلَمَا
حَسْبُكُمْ خِزْياً وَعَاراً ما يَقُولُ الشُّعَرَا مَا الَّذِي أَطْمَعَكُمْ في الحُكْمِ إلاَّ الأُمَرَا

(١) القنوط: اليأس وعدم الأمل.

(٢) التقويم والزيج: جدول يستخدم في علم الفلك.

لَيْتَ إذْ لَم يُحْسِنُوا في الدِّينِ طغاما(١) أَسَا فَعَلَى اصْطِرْلابِ بَطْلِيمُوسَ وَالزِّيجِ العَفَا(٢)
وَعَلَيْهِ الخِزْيُ ما جَادَتْ عَلَى الأَرْضِ السَّمَا

وممن توفي فيها من الأعيان:

أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش

بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي ثم المصري، أحد أئمة اللغة والنحو في زمانه، وكان عليه تعرض الرسائل بعد ابن بابشاد، وكان كثير الاطلاع عالماً بهذا الشأن، مطرحاً للتكليف في كلامه، لا يلتفت ولا يعرج على الإعراب فيه إذا خاطب الناس، وله التصانيف المفيدة، توفي وقد جاوز الثمانين بثلاث سنين رحمه الله تعالى، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

فيها كانت وقعة حطين التي كانت أمارة وتقدمة وإشارة لفتح بيت المقدس، واستنقاذه من أيدي الكفرة. قال ابن الأثير: كان أول يوم منها يوم السبت، وكان يوم النيروز، وذلك أول سنة الفرس، واتفق أن ذلك كان أول سنة الروم، وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس برج الحمل، وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضاً، وهذا شيء يبعد وقوع مثله، وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه، فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى فخيم على قصر أبي سلام، ينتظر قدوم الحجاج، وفيهم أخته ست الشام وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين، ليسلموا من معرة برنس الكرك، فلما جاز الحجيج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار، ورعى الزرع وأكلوا الثمار، وجاءت العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلمت ورجعت، فبشر بمقدمات الفتح والنصر، وجاء السلطان بجحافله فالتفت عليه جميع العساكر، فرتب الجيوش وسار قاصداً بلاد الساحل، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفاً غير المتطوعة، فتسامعت الفرنج بقدومه فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم، وصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر، وجاؤوا بحدهم وحديدهم واستصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت، وضلال الناسوت، في خلق لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، يقال كانوا خمسين ألفاً وقيل ثلاثاً وستين ألفاً، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك فقال له لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم، وسترى غب ما أقول لك، فتقدموا نحو المسلمين وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك،

(١) الطغام: أرذال الناس.

(٢) الاصطرلاب والزيج: آلات معرفة الفلك والنجوم ووضع التقويم، والعفا: النهاية والإمحاء.

وتحصنت منه القلعة فلم يعبأ بها، وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة، حتى صاروا في عطش عظيم، فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها حطين، التي يقال إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام، وجاء العدو المخذول، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان، وأسفَر وجه الإيمان واغبرّ وأقتم وأظلم وجه الكفر والطغيان، ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان، وذلك عشية يوم الجمعة، فبات الناس على مصافهم وأصبح صباح يوم السبت الذي كان يوماً عسيراً على أهل الأحد[1] وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوي بهم العطش، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيماً، وكان ذلك عليهم مشؤوماً، فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط، فرموه فتأجج ناراً تحت سنابك خيولهم، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال، وتبارز الشجعان، ثم أمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة فحملوا وكان النصر من الله عز وجل، فمنحهم الله أكتافهم فقتل منهم ثلاثون ألفاً في ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفاً من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم سوى قومس طرابلس فإنه انهزم في أول المعركة، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم، وهو الذي يزعمون أنه صلب عليه المصلوب، وقد غلفوه بالذهب واللآلىء والجواهر النفسية ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله، ودمغ[2] الباطل وأهله، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم وهو يقود نيفاً وثلاثين أسيراً من الفرنج، وقد ربطهم بطنب خيمة، وباع بعضهم أسيراً بنعل ليلبسها في رجله، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين، فلله الحمد دائماً كثيراً طيباً مباركاً.

فلما تمت هذه الوقعة ووضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم، وجلس فيه على سرير المملكة وعن يمينه أسرة وعن يساره مثلها، وجيء بالأسارى تتهادى بقيودها، فأمر بضرب أعناق جماعة من مقدمي الداوية ـ والأسارى بين يديه ـ صبراً، ولم يترك أحداً منهم فمن كان يذكر الناس عنه شرّاً، ثم جيء بملوكهم فأجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم، فأجلس ملكهم الكبير عن يمينه، وأجلس أرياط برنس الكرك وبقيتهم عن شماله، ثم جيء إلى السلطان بشراب من الجلاب مثلوجاً، فشرب ثم ناول الملك فشرب، ثم ناول أرياط صاحب الكرك فغضب السلطان وقال له: إنما ناولتك ولم آذن لك أن تسقيه، هذا لا عهد له عندي، ثم تحول السلطان إلى خيمة داخل تلك الخيمة واستدعى بأرياط صاحب الكرك، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ودعاه إلى الإسلام فامتنع، فقال له: نعم أنا أنوب عن رسول الله ﷺ في الانتصار لأمته، ثم قتله وأرسل برأسه إلى الملوك وهم في الخيمة، وقال: إن هذا تعرض لسبِّ رسول الله ﷺ، ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والاسبتارية صبراً وأراح المسلمين من هذين الجنسين الخبيثين، ولم

(١) أهل الأحد: أي النصارى. (٢) دمغ الباطل: دحضه.

يسلم ممن عرض عليه الإسلام إلا القليل، فيقال إنه بلغت القتلى ثلاثين ألفاً، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفاً، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفاً، وكان من سلم مع قلتهم وهرب أكثرهم جرحى فماتوا ببلادهم، وممن مات كذلك قومس طرابلس، فإنه انهزم جريحاً فمات بها بعد مرجعه، ثم أرسل السلطان برؤوس أعيان الفرنج ومن لم يقتل من رؤوسهم، وبصليب الصلبوت صحبة القاضي ابن أبي عصرون إلى دمشق ليودعوا في قلعتها، فدخل بالصليب منكوساً وكان يوماً مشهوداً.

ثم سار السلطان إلى قلعة طبرية فأخذها، وقد كانت طبرية تقاسم بلاد حوران والبلقاء وما حولها من الجولان وتلك الأراضي كلها بالنصف، فأراح الله المسلمين من تلك المقاسمة، ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن، فتسلم تلك البلاد كلها، وهي قرى كثيرة كبار وصغار ثم سار إلى عكا فنزل عليها يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر، فافتتحها صلحاً يوم جمعة، وأخذ ما كان بها من حواصل الملوك وأموالهم وذخائرهم ومتاجر وغيرها، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين، فوجد فيها أربعة آلاف أسير، ففرج الله عنهم، وأمر بإقامة الجمعة بها، وكانت أول جمعة أقيمت بالساحل بعد أخذه الفرنج، نحواً من سبعين سنة. ثم سار منها إلى صيدا وبيروت وتلك النواحي من السواحل يأخذها بلداً بلداً، لخلوها من المقاتلة والملوك، ثم رجع سائراً نحو غزة وعسقلان ونابلس وبيسان وأراضي الغور، فملك ذلك كله، واستناب على نابلس ابن أخيه حسام الدين عمر بن محمد بن لاشين، وهو الذي افتتحها، وكان جملة ما افتتحه السلطان في هذه المدة القريبة خمسين بلداً كباراً كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعة، وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن شيئاً كثيراً، وسبوا خلقاً.

ثم إن السلطان أمر جيوشه أن ترتع في هذه الأماكن مدة شهور ليستريحوا وتحمو أنفسهم وخيولهم لفتح بيت المقدس، وطار في الناس أن السلطان عزم على فتح بيت المقدس، فقصده العلماء والصالحون تطوعاً، وجاؤوا إليه، ووصل أخوه العادل بعد وقعة حطين، وفتح عكا ففتح بنفسه بلاداً كثيرة، فاجتمع من عبّاد الله ومن الجيوش شيء كثير جداً، فعند ذلك قصد السلطان القدس بمن معه كما سيأتي. وقد امتحده الشعراء بسبب وقعة حطين فقالوا وأكثروا، وكتب إليه القاضي الفاضل من دمشق ـ وهو مقيم بها لمرض اعتراه ـ «ليهن المولى أن الله قد أقام به الدين، وكتب المملوك هذه الخدمة والرؤوس لم ترفع من سجودها، والدموع لم تمسح من خدودها، وكلما ذكر المملوك أن البيع تعود مساجد، والمكان الذي كان يقال فيها إن الله ثالث ثلاثة يقال فيه اليوم إنه واحد، جدد الله شكراً تارة يفيض من لسانه، وتارة يفيض من جفنه سروراً بتوحيد الله، تعالى الملك الحق المبين، وأن يقال محمد رسول الله الصادق الأمين، وجزى الله يوسف خيراً عن إخراجه من سجنه، والمماليك ينتظرون المولى وكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق قد عزم على دخول حمام طبرية.

تِـلْـكَ الـمَـكَـارِمُ لا قَـعْـبَانِ(١) مِـنْ لَـبَـنٍ ... وَذٰلِـكَ الـسَّـيْـفُ لا سَـيْـفُ ابْـنِ ذِي يَـزَنِ

ثم قال: «وللألسنة بعد في هذا الفتح تسبيح طويل وقول جميل جليل».

فتح بيت المقدس في هذه السنة

«واستنقاذه من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وتسعين سنة».

لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدم، أمر العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس، فنزل غربي بيت المقدس في الخامس عشر من رجب من هذه السنة ـ أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ـ فوجد البلد قد حصنت غاية التحصين، وكانوا ستين ألف مقاتل، دون بيت المقدس أو يزيدون، وكان صاحب القدس يومئذٍ رجلاً يقال له باليان بن بازران، ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقى الجمعان، من الداوية والاسبتارية أتباع الشيطان، وعبدة الصلبان، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور وأبراجه، ثم تحول السلطان إلى ناحية الشام لأنه رآها أوسع للمجال، والجلاد والنزال، وقاتل الفرنج دون البلد قتالاً هائلاً، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في نصرة دينهم وقمامتهم، واستشهد في الحصار بعض أمراء المسلمين، فحنق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين، واجتهدوا في القتال ونصب المجانيق والعرادات(٢) على البلد، وغنت السيوف والرماح الخطيات، والعيون تنظر إلى الصلبان منصوبة فوق الجدران، وفوق قبة الصخرة صليب كبير، فزاد ذلك أهل الإيمان حنقاً وشدةً للتشمير، وكان ذلك يوماً عسيراً على الكافرين غير يسير، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فنقبها وعلقها وحشاها وأحرقها، فسقط ذلك الجانب وخرّ البرج برمته فإذا هو واجب(٣)، فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع، والخطب المؤلم الوجيع، قصد أكابرهم السلطان وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان فامتنع من ذلك وقال: لا أفتحها إلا عنوة، كما افتتحتموها أنتم عنوة، ولا أترك بها أحداً من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين، فطلب صاحبها باليان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمنه، فلما حضر ترقق للسلطان وذل ذلاً عظيماً، وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم، فقالوا إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا ـ وكانوا قريباً من أربعة آلاف ـ وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا، وخربنا الدور والأماكن الحسنة، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال، وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما نقدر عليه، ولا نبقي ممكناً في إتلاف ما نقدر عليه، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت، ولا خير في حياتنا بعد ذلك، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعداداً منكم، فماذا ترتجي بعد هذا من الخير؟.

فلما سمع السلطان ذلك أجاب إلى الصلح وأناب، على أن يبذل كل رجل منهم عن

---

(١) العقب: قدح غليظ.

(٢) العرادات: مثل المجانيق تستعمل في الحصار.

(٣) واجب: متضعضع وساقط.

نفسه عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل صغير وصغيرة دينارين، ومن عجز عن ذلك كان أسيراً للمسلمين، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين، وأنهم يتحولون منها إلى مأمنهم وهي مدينة صور. فكتب الصلح بذلك، وأن من لم يبذل ما شرط عليه إلى أربعين يوماً فهو أسير، فكان جملة من أسر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب. قال العماد: وهي ليلة الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. قال أبو شامة: وهو أحد الأقوال في الإسراء، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذٍ خلافاً لمن زعم أنها أقيمت يومئذٍ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذٍ لضيق الوقت، وإنما أقيمت في الجمعة المقبلة، وكان الخطيب محيي الدين بن محمد بن علي القرشي بن الزكي كما سيأتي قريباً.

ولكن نظفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير، وخربت دور الداوية وكانوا قد بنوها غربي المحراب الكبير، واتخذوا المحراب مشتاً لعنهم الله، فنظف من ذلك كله، وأعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية، وغسلت الصخرة بالماء الطاهر، وأعيد غسلها بماء الورد والمسك الفاخر، وأبرزت للناظرين، وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين، ووضع الصليب عن قبتها وعادت إلى حرمتها، وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعاً فباعوها من أهل البحور الجوانية بزنتها ذهباً، فتعذر استعادة ما قطع منها.

ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال، وأطلق السلطان خلقاً منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال، ووقعت المسامحة في كثير منهم، وشفع في أناس كثير فعفا عنهم، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في العسكر، ولم يأخذ منه شيئاً مما يقتنى ويدخر، وكان رحمه الله حليماً كريماً مقداماً شجاعاً رحيماً.

أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه

لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان والنواقيس والرهبان والقساقس، ودخله أهل الإيمان، ونودي بالأذان وقرىء القرآن، ووحد الرحمن، كان أول جمعة أقيمت في اليوم الرابع من شعبان، بعد يوم الفتح بثمان، فنصب المنبر إلى جانب المحراب، وبسطت البسط وعلقت القناديل وتلي التنزيل، وجاء الحق وبطلت الأباطيل، وصفت السجادات وكثرت السجدات، وتنوعت العبادات، وارتفعت الدعوات، ونزلت البركات، وانجلت الكربات، وأقيمت الصلوات، وأذن المؤذنون، وخرس القسيسون، وزال البؤس وطابت النفوس، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس، وعبد الله الأحد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤] وكبره الراكع والساجد،

والقائم والقاعد، وامتلأ الجامع وسالت لرقة القلوب المدامع، ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال كادت القلوب تطير من الفرح في ذلك الحال، ولم يكن عين خطيب فبرز من السلطان المرسوم الصلاحي وهو في قبة الصخرة ان يكون القاضي محيي الدين بن الزكي اليوم خطيباً، فلبس الخلعة السوداء وخطب للناس خطبة سنية فصيحة بليغة، ذكر فيها شرف البيت المقدس، وما ورد فيه من الفضائل والترغيبات، وما فيه من الدلائل والأمارات، وقد أورد الشيخ أبو شامة الخطبة في الروضتين بطولها وكان أول ما قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

ثم أورد تحميدات القرآن كلها، ثم قال: «الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاض على العباد من طلّه وهطله[1] [الذي] أظهر دينه على الدين كله، والقهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خليقته فلا ينازع، والآمر بما يشاء فلا يراجع، والحاكم بما يريد فلا يدافع، أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره، ومطهر بيت المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حمد، من استشعر الحمد باطن سره وظاهر اجهاره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشك وداحض الشرك[2]، ورافض الإفك، الذي أسري به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٥ ـ ١٧] ﷺ وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك، ومكسر الأصنام، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان».

ثم ذكر الموعظة وهي مشتملة على تغبيط الحاضرين بما يسّره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس، الذي من شأنه كذا وكذا، فذكر فضائله ومآثره، وأنه أول القبلتين، وثاني المسجدين وثالث الحرمين، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه، وإليه أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام، وصلى فيه بالأنبياء والرسل الكرام، ومنه كان المعراج إلى السموات، ثم عاد إليه ثم سار منه إلى المسجد الحرام على البراق، وهو أرض المحشر والمنشر يوم التلاق، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء، وقد أسس على التقوى من أول يوم.

قلت: ويقال إن أول من أسسه يعقوب عليه السلام بعد أن بنى الخليل المسجد

(١) الطل والهطل: الندى والمطر. (٢) داحض الشرك: مزيله ومهلكه.

الحرام بأربعين سنة، كما جاء في الصحيحين، ثم جدد بناءه سليمان بن داود عليهما السلام، كما ثبت فيه الحديث بالمسند والسنن، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم، وسأل سليمان عليه السلام الله عند فراغه منه خلالاً ثلاثاً، حكماً يصادف حكمه؛ وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأنه لا يأتي أحد إلى هذا المسجد لا يَنهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وثم ذكر تمام الخطبتين، ثم دعا للخليفة الناصر العباسي، ثم دعا للسلطان الناصر صلاح الدين، وبعد الصلاة جلس الشيخ زين الدين أبو الحسن بن علي نجا المصري على كرسي الوعظ بإذن السلطان، فوعظ الناس، واستمر القاضي ابن الزكي يخطب بالناس في أيام الجمع أربع جمعات، ثم قرر السلطان للقدس خطيباً مستقراً، وأرسل إلى حلب فاستحضر المنبر الذي كان يملك العادل نور الدين الشهيد قد استعمله لبيت المقدس، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه، فما كان إلا على يدي بعض أتباعه صلاح الدين بعد وفاته رحمه الله.

نكتة غريبة

قال أبو شامة في الروضتين: وقد تكلم شيخنا أبو الحسن علي بن محمد السخاوي في تفسيره الأول فقال: وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي - يعني ابن برجان - في أول سورة الروم أخبار عن فتح بيت المقدس، وأنه ينزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة - قال السخاوي: ولم أره أخذ ذلك، من علم الحروف، وإنما أخذه فيما زعم من قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: ١ - ٤] فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون، فذكر أنهم يغلبون في سنة كذا وكذا، ويُغلبون في سنة كذا وكذا، على ما تقتضيه دوائر التقدير، ثم قال: وهذه نجابة وافقت إصابة، إن صح، قال ذلك قبل وقوعه، وكان في كتابه قبل حدوثه، قال: وقد ذكر في تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذي يرفع فيه.

قلت: ابن برجان ذكر هذا في تفسيره في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة، ويقال إن الملك نور الدين أوقف على ذلك فطمع أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، لأن مولده في سنة إحدى عشر وخمسمائة، فتهيأ لأسباب ذلك حتى أنه أعد منبراً هائلاً لبيت المقدس إذا فتحه والله أعلم.

وأما الصخرة المعظمة فإن السلطان أزال ما حولها من المنكرات والصور والصلبان، وطهرها بعدما كانت جيفة، وأظهرها بعدما كانت خفية مستورة غير مرئية، وأمر الفقيه عيسى الهكاري أن يعمل حولها شبابيك من حديد، ورتب لها إماماً راتباً، وقف عليه رزقاً جيداً، وكذلك إمام الأقصى، وعمل للشافعية مدرسة يقال لها الصلاحية والناصرية أيضاً، وكان

موضعها كنيسة على قبر حنة أم مريم، ووقف على الصوفية رباطاً كان للبترك إلى جنب القمامة، وأجرى على الفقهاء والفقراء والجوامك[١]، وأرصد الختم والربعات في أرجاء المسجد الأقصى والصخرة، ليقرأ فيها المقيمون والزائرون وتنافس بنو أيوب فيما يفعلونه ببيت المقدس وغيره من الخيرات إلى كل أحد، وعزم السلطان على هدم القمامة[٢] وأن يجعلها دكاً لتنحسم مادة النصارى من بيت المقدس، فقيل [له] إنهم لا يتركون الحج إلى هذه البقعة، ولو كانت قاعاً صفصفاً، وقد فتح هذه البلد قبلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وترك هذه الكنيسة بأيديهم، ولك في ذلك أسوة. فأعرض عنها وتركها على حالتها تأسياً بعمر رضي الله عنه، ولم يترك من النصارى فيها سوى أربعة يخدمونها، وحال بين النصارى وبينها، وهدم المقابر التي كانت لهم عند باب الرحمة، وعفا آثارها، وهدم ما كان هناك من القباب.

وأما أسارى المسلمين الذين كانوا بالقدس فإنه أطلقهم جميعهم، وأحسن إليهم، وأطلق لهم إعطاءات سنية، وكساهم وانطلق كل منهم إلى وطنه: وعاد إلى أهله ومسكنه، فالله الحمد على نعمه ومننه.

فَصل

فلما فرغ السلطان صلاح الدين من القدس الشريف انفصل عنها في الخامس والعشرين من شعبان قاصداً مدينة صور بالساحل، وكان فتحها قد تأخر، وقد استحوذ عليها بعد وقعة حطين رجل من تجار الفرنج يقال له المركيس، فحصنها وضبط أمرها وحفر حولها خندقاً من البحر إلى البحر، فجاء السلطان فحاصرها مدة، ودعا بالأسطول من الديار المصرية في البحر، فأحاط بها براً وبحراً، فعدت الفرنج في بعض الليالي على خمس شواني[٣] من أسطول المسلمين فملكتها، فأصبح المسلمون واجمين حزناً وتأسفاً، وقد دخل عليهم فصل البرد وقلت الأزواد، وكثرت الجراحات وكلّ الأمراء من المحاصرات، فسألوا السلطان أن ينصرف بهم إلى دمشق حتى يستريحوا ثم يعودوا إليها بعد هذا الحين، فأجابهم إلى ذلك على تمنّع منه، ثم توجه بهم نحو دمشق واجتاز في طريقه على عكا، وتفرقت العساكر إلى بلادها. وأما السلطان فإنه لما وصل إلى عكا نزل بقلعتها وأسكن ولده الأفضل برج الداوية، وولي نيابتها عز الدين حرديل، وقد أشار بعضهم على السلطان بتخريب مدينة عكا خوفاً من عود الفرنج إليها، فكاد ولم يفعل وليته فعل، بل وكل بعمارتها وتجديد محاسنها بهاء الدين قراقوش التقوي، ووقف دار الاسبتارية بصفين على الفقهاء والفقراء، وجعل دار الأسقف

(١) الجوامك: الرزق.

(٢) القمامة: أي كنيسة القمامة، وهي كنيسة القيامة.

(٣) الشواني: السفن.

مارستاناً ووقف على ذلك كله أوقافاً دارة، وولي نظر ذلك إلى قاضيها جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب.

ولما فرغ من هذه الأشياء عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً، وأرسل إليه الملوك بالتهاني والتحف والهدايا من سائر الأقطار والأمصار، وكتب الخليفة إلى السلطان يعتب عليه في أشياء، منها أنه بعث إليه في بشارة الفتح بوقعة حطين شاباً بغدادياً كان وضيعاً عندهم، لا قدر له ولا قيمة، وأرسل بفتح القدس مع نجاب، ولقب نفسه بالناصر مضاهاة للخليفة فتلقى ذلك بالبشر واللطف والسمع والطاعة، وأرسل يعتذر مما وقع. وقال: الحرب كانت شغلته عن التروي في كثير من ذلك، وأما لقبه بالناصر فهو من أيام الخليفة المستضيء، ومع هذا فمهما لقبني أمير المؤمنين فلا أعدل عنه، وتأدب مع الخليفة غاية الأدب مع غناه عنه.

وفيها كانت وقعة عظيمة ببلاد الهند بين الملك شهاب الدين الغوري صاحب غزنة، وبين ملك الهند الكبير، فأقبلت الهنود في عدد كثير من الجنود، ومعهم أربعة عشر فيلاً، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم، فقيل للملك انج بنفسك، فما زاده ذلك إلا إقداماً، فحمل على الفيلة فجرح بعضها ـ وجرح الفيل لا يندمل. فرماه بعض الفيالة بحربة في ساعده فخرجت من الجانب الآخر فخرّ صريعاً، فحملت عليه الهنود ليأخذوه فجاحف عنه أصحابه فاقتتلوا عنده قتالاً شديداً، وجرت حرب عظيمة لم يسمع بمثلها بموقف، فغلب المسلمون الهنود وخلصوا صاحبهم وحملوه على كواهلهم في محفة عشرين فرسخاً، وقد نزفه الدم، فلما تراجع إليه جيشه أخذ في تأنيب الأمراء، وحلف ليأكلن كل أمير عليق فرسه، وما أدخلهم غزنة إلا مشاة.

وفيها ولدت امرأة من سواد بغداد بنتاً لها أسنان. وفيها قتل الخليفة الناصر استاذ داره أبا الفضل بن الصاحب، وكان قد استحوذ على الأمور ولم يبق للخليفة معه كلمة تطاع، ومع هذا كان عفيفاً عن الأموال، جيد السيرة، فأخذ الخليفة منه شيئاً كثيراً من الحواصل والأموال. وفيها استوزر الخليفة أبا المظفر جلال الدين، ومشى أهل الدولة في ركابه حتى قاضي القضاة ابن الدامغاني وقد كان أبو يونس هذا شاهداً عند القاضي، وكان يقول وهو يمشي في ركابه لعن الله طول العمر، فمات القاضي في آخر هذه السنة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الشيخ عبد المغيث بن زهير الحربي

كان من صلحاء الحنابلة، وكان يزار، وله مصنف في فضل يزيد بن معاوية، أتى فيه بالغرائب والعجائب، وقد رد عليه أبو الفرج بن الجوزي فأجاد وأصاب، ومن أحسن ما اتفق لعبد المغيث هذا أن بعض الخلفاء ـ وأظنه الناصر ـ جاءه زائراً مستخفياً، فعرفه الشيخ عبد المغيث ولم يعلمه بأنه قد عرفه، فسأله الخليفة عن يزيد أيلعن أم لا؟ فقال لا أسوغ لعنه لأني لو فتحت هذا الباب لأفضى الناس إلى لعن خليفتنا. فقال الخليفة: ولم؟ قال:

لأنه يفعل أشياء منكرة كثيرة، منها كذا وكذا، ثم شرع يعدد على الخليفة أفعاله القبيحة، وما يقع منه من المنكر لينزجر عنها، فتركه الخليفة وخرج من عنده وقد أثر كلامه فيه وانتفع به، مات في المحرم من هذه السنة. وفيها توفي الشيخ.

علي بن خطاب بن خلف

العابد الناسك، أحد الزهاد، وذوي الكرامات، وكان مقامه بجزيرة ابن عمر. قال ابن الأثير في الكامل: ولم أر مثله في حسن خلقه وسمته وكراماته وعبادته.

الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن مقدم

أحد نواب صلاح الدين، لما افتتح الناصر بيت المقدس أحرم جماعة في زمن الحج منه إلى المسجد الحرام، وكان ابن مقدم أمير الحاج في تلك السنة، فلما وقف بعرفة ضرب الدبادب ونشر الألوية، وأظهر عز السلطان صلاح الدين وعظمته، فغضب طاشتكين أمير الحاج من جهة الخليفة، فزجره عن ذلك فلم يسمع، فاقتتلا فجرح ابن مقدم ومات في اليوم الثاني بمنى، ودفن هنالك، وجرت خطوب كثيرة، وليم طاشتكين على ما فعل، وخاف معرة ذلك من جهة صلاح الدين والخليفة، وعزله الخليفة عن منصبه.

محمد بن عبيد الله

ابن عبد الله سبط ابن التعاويذي الشاعر، ثم أضر في آخر عمره وجاز الستين توفي في شوال.

نصر بن فتيان بن مطر

الفقيه الحنبلي المعروف بابن المنى، كان زاهداً عابداً، مولده سنة إحدى وخمسمائة، وممن تفقه عليه من المشاهير الشيخ موفق الدين بن قدامة، والحافظ عبد الغني، ومحمد بن خلف بن راجح، والناصح عبد الرحمن بن النجم بن عبد الوهاب، وعبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي وغيرهم توفي خامس رمضان.

وفيها توفي قاضي القضاة:

أبو الحسن بن الدامغاني

وقد حكم في أيام المقتفي ثم المستنجد ثم عزل وأعيد في أيام المستضيء، وحكم للناصر حتى توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة

في محرمها حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب فرآه منيعاً صعباً، فوكل به الأمير قايماز البجمي في خمسمائة فارس يضيقون عليهم المسالك، وكذلك وكل لصفت

[الصغد] وكانت الداوية خمسمائة فارس مع طغرلبك الجامدار يمنعون الميرة والتقاوي أن تصل إليهم وبعث إلى الكرك الشوبك يضيقون على أهلها ويحاصرونها، ليفرغ من أموره لقتال هذه الأماكن، ولما رجع السلطان من هذه الغزوة إلى دمشق وجد الصفي بن الفايض، وكيل الخزانة قد بنى له داراً بالقلعة هائلة مطلة على الشرف القبلي، فغضب عليه وعزله وقال: إنا لم نخلق للمقام بدمشق ولا بغيرها من البلاد، وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد في سبيله، وهذا الذي عملته مما يثبط النفوس ويقعدها عما خلقت له. وجلس السلطان بدار العدل فحضرت عنده القضاة وأهل الفضل، وزار القاضي الفاضل في بستانه على الشرف في جوسق ابن الفراش، وحكى له ما جرى من الأمور، واستشاره فيما يفعل في المستقبل من المهمات والغزوات، ثم خرج من دمشق فسلك على بيوس وقصد البقاع، وسار إلى حمص وحماه وجاءت الجيوش من الجزيرة وهو على العاصي، فسار إلى السواحل الشمالية ففتح انطرطوس وغيرها من الحصون، وجبلة واللاذقية، وكانتا من أحصن المدن عمارة ورخاماً ومحالاً، وفتح صهيون وبكاس والشغر وهما قلعتان على العاصي حصينتان، فتحهما عنوة، وفتح حصن بدرية وهي قلعة عظيمة على جبل شاهق منيع، تحتها أودية عميقة يضرب بها المثل في سائر بلاد الفرنج والمسلمين، فحاصرها أشد حصار وركب عليها المجانيق الكبار، وفرق الجيش ثلاث فرق، كل فريق يقاتل، فإذا كلوا وتعبوا خلفهم الفريق الآخر، حتى لا يزال القتال مستمراً ليلاً ونهاراً، فكان فتحها في نوبة السلطان أخذها عنوة في أيام معدودات، ونهب جميع ما فيها، واستولى على حواصلها وأموالها، وقتل حماتها ورجالها، واستخدم نساءها وأطفالها، ثم عدل عنها ففتح حصن دربساك وحصن بغراس، كل ذلك يفتحه عنوة فيغنم ويسلم، ثم سمت به همته العالية إلى فتح أنطاكية، وذلك لأنه أخذ جميع ما حولها من القرى والمدن، واستظهر عليها بكثرة الجنود، فراسله صاحب أنطاكية يطلب منه الهدنة على أن يطلق من عنده من أسرى المسلمين، فأجابه إلى ذلك لعلمه بتضجر من معه من الجيش، فوقعت الهدنة على سبعة أشهر، ومقصود السلطان أن يستريح من تعبها، وأرسل السلطان من تسلم منه الأسارى وقد ولت بقلعتها دولة النصارى، ثم سار فسأله ولده الظاهر أن يجتاز بحلب فأجابه إلى ذلك، فنزل بقلعتها ثلاثة أيام، ثم استقدمه ابن أخيه تقي الدين إليه إلى حماه فنزل عنده ليلة واحدة، وأقطعه جبلة واللاذقية، ثم سار فنزل بقلعة بعلبك، ودخل حمامها، ثم عاد إلى دمشق في أوائل رمضان، وكان يوماً مشهوداً، وجاءته البشائر بفتح الكرك وإنقاذه من أيدي الفرنج، وأراح الله منهم تلك الناحية، وسهل حزنها على السالكين من التجار والغزاة والحجاج ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

فصل في فتح صفد وحصن كوكب

لم يقم السلطان بدمشق إلا أياماً حتى خرج قاصداً صفد فنازلها في العشر الأوسط من رمضان، وحاصرها بالمجانيق والشجعان، وكان البرد شديداً يصبح الماء فيه جليداً، فما زال

حتى فتحها صلحاً في ثمان شوال، ثم سار إلى صور فألقت إليه بقيادها، وتبرأت من أنصارها وأجنادها وقوادها، وتحققت لما فتحت صفد أنها مقرونة معها في أصفادها، ثم سار منها إلى حصن كوكب ـ وهي معقل الاسبتارية كما أن صفد كانت معقل الداوية ـ وكانوا أبغض أجناس الفرنج إلى السلطان، لا يكاد يترك منهم أحداً إلا قتله إذا وقع في المأسورين، فحاصر قلعة كوكب حتى أخذها، وقتل من بها وأراح المارة من شر ساكنيها، وتمهدت تلك السواحل واستقر بها منازل قاطنيها. هذا والسماء تصب، والرياح تهب، والسيول تعب، والأرجل في الأوحال تخب[1] وهو في كل ذلك صابر مصابر، وكان القاضي الفاضل معه في هذه الغزوة، وكتب القاضي الفاضل إلى أخي السلطان صاحب اليمن يستدعيه إلى الشام لنصرة الإسلام، وأنه قد عزم على حصار أنطاكية، ويكون تقي الدين عمر محاصراً طرابلس إذا انسلخ هذا العام، ثم عزم القاضي الفاضل على الدخول إلى مصر، فودعه السلطان فدخل القدس فصلى به الجمعة وعيد فيه عيد الأضحى، ثم سار ومعه أخوه السلطان العادل إلى عسقلان، ثم أقطع أخاه الكرك عوضاً عن عسقلان، وأمره بالانصراف ليكون عوناً لابنه العزيز على حوادث مصر، وعاد السلطان فأقام بمدينة عكا حتى انسلخت هذه السنة.

وفيها خرجت طائفة بمصر من الرافضة ليعيدوا دولة الفاطميين، واغتنموا غيبة العادل عن مصر، واستخفوا أمر العزيز عثمان بن صلاح الدين، فبعثوا اثني عشر رجلاً ينادون في الليل يا آل علي، يا آل علي، بنياتهم على أن العامة تجيبهم، فلم يجبهم أحد ولا التفت إليهم، فلما رأوا ذلك انهزموا فأدركوا وأخذوا وقيدوا وحبسوا، ولما بلغ أمرهم إلى السلطان صلاح الدين ساءه ذلك واهتم له، وكان القاضي الفاضل عنده بعد لم يفارقه، فقال له: أيها الملك ينبغي أن تفرح ولا تحزن، حيث لم يصغ إلى هؤلاء الجهلة أحد من رعيتك، ولو أنك بعثت جواسيس من قبلك يختبرون الناس لسرّك ما بلغك عنهم، فَسُرِّي عنه ما كان يجد[2]، ورجع إلى قوله وأرسله إلى مصر ليكون له عيناً وعوناً.

وفيها توفي من الأعيان:

الأمير الكبير سلالة الملوك والسلاطين

الشيزري مؤيد الدولة أبو الحارث وأبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن [مقلد بن نصر بن] منقذ أحد الشعراء المشهورين، المشكورين، بلغ من العمر ستاً وتسعين سنة، وكان عمره تاريخاً مستقلاً وحده، وكانت داره بدمشق، مكان العزيزية، وكانت معقلاً للفضلاء، ومنزلاً للعلماء وله أشعار رائقة، ومعان فائقة، ولديه علم غزير، وعنده جود وفضل كثير، وكان من أولاد ملوك شيزر، ثم أقام بمصر مدة في أيام الفاطميين، ثم عاد إلى الشام فقدم على الملك صلاح الدين في سنة سبعين وأنشده:

حَمِدْتُ عَلَى طُولِ عُمْرِي المَشِيبَا وَإِنْ كُنْتُ أَكْثَرْتُ فِيهِ الذُّنُوبَا

---

(١) تخب: تسير وتتعثر.

(٢) سُرِّي عنه ما كان يجد: أي زال عنه همه.

لأنّــي خَـبِــيـتُ إلــى أَنْ لَــقِـيــتُ ... بَـعْـدَ الـعَـدُوِّ صَـدِيـقـاً خَـبِـيـبَـا

وله في سنٍّ قلعها وفقد نفعها:

وَصَـاحِـبٍ لا أَمَـلُّ الـدَّهْـرَ صُـحْـبَـتَـهُ ... يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدِ

لَـمْ أَلْـقَـهُ مُـذْ تَـصَـاحَـبْـنـا فَـحِـيـنَ بَـدَا ... لِـنَـاظِـرِي افْـتَـرَقْـنَـا فـرقـةَ الأَبَـدِ

وله ديوان شعر كبير، وكان صلاح الدين يفضله على سائر الدواوين، وقد كان مولده في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وكان في شبيبته شهماً شجاعاً، قتل الأسد وحده مواجهة، ثم عمر إلى أن توفي في هذه السنة ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان، ودفن شرقي جبل قاسيون. قال وزرت قبره وأنشدت له:

لا تَـسْـتَـعِـرْ جَـلَـداً عَـلَـى هُـجْـرَانِـهِـمْ ... فَـقُـوَاكَ تَـضْـعُـفُ عَـنْ صُـدُودٍ دَائِـمِ[1]

وَاعْـلَـمْ بِـأَنَّـكَ إِنْ رَجَـعْـتَ إِلَـيْـهِـمُ ... طَـوْعـاً وَإلاّ عُـدْتَ عَـوْدَةَ نَـادِمِ

وله أيضاً:

وَاعْجَبْ لِضَعْفِ يَدِي عَنْ حَمْلِهَا قَلَماً ... مِنْ بَعْدِ حَطْمِ القَنَا فِي لَبَّةِ الأَسَدِ[2]

وَقُـلْ لِـمَـنْ يَـتَـمَـنَّـى طُـولَ مُـدَّتِـهِ ... هٰـذِي عَـوَاقِـبُ طُـولِ الـعُـمْـرِ وَالـمُـدَدِ

قال ابن الأثير: وفيها توفي شيخنا.

أبو محمد عبد الله بن علي

ابن عبد الله بن سويد التكريتي، كان عالماً بالحديث وله تصانيف حسنة.

الحازمي الحافظ

قال أبو شامة: وفيها توفي الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمداني ببغداد، صاحب التصانيف، على صغر سنه، منها العجالة في النسب، والناسخ والمنسوخ وغيرها ومولده سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة، وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

فيها قدم من جهة الخليفة رسل إلى السلطان يعلمونه بولاية العهد لأبي نصر الملقب بالظاهر ابن الخليفة الناصر، فأمر السلطان خطيب دمشق أبا القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي أن يذكره على المنبر، ثم جهز السلطان مع الرسل تحفاً كثيرة، وهدايا سنية، وأرسل بأسارى الفرنج على هيئتهم في حال حربهم، وأرسل بصليب الصلبوت فدفن تحت عتبة باب النوى، من

(١) استعر: اصطلى، وأسعر النار: أوقدها.

(٢) حطم القنا: كسر الرماح وتحطيمها. ولبة الأسد: صدره ونحره.

دار الخلافة، فكان بالأقدام يداس، بعدما كان يعظم ويباس، والصحيح أن هذا الصليب كان منصوباً على الصخرة وكان من نحاس مطلياً بالذهب، فحطه الله إلى أسفل العتب.

قصة عكا وما كان من أمرها

لما كان شهر رجب اجتمع من كان بصور من الفرنج وساروا إلى مدينة عكا، فأحاطوا بها يحاصرونها فتحصن من فيها من المسلمين، وأعدوا للحصار ما يحتاجون إليه، وبلغ السلطان خبرهم فسار إليهم من دمشق مسرعاً، فوجدهم قد أحاطوا بها إحاطة الخاتم بالخنصر، فلم يزل يدافعهم عنها ويمانعهم منها، حتى جعل طريقاً إلى باب القلعة يصل إليه كل من أراده، من جندي وسوقي، وامرأة وصبي، ثم أدخل إليها ما أراد من الآلات والأمتعة، ودخل هو بنفسه، فعلا على سورها ونظر إلى الفرنج وجيشهم وكثرة عددهم وعددهم، والميرة تفد إليهم في البحر، في كل وقت، وكل ما لم لهم في ازدياد، وفي كل حين تصل إليهم الأمداد، ثم عاد إلى مخيمه والجنود تفد إليه، وتقدم عليه من كل جهة ومكان، منهم رجال وفرسان، فلما كان في العشر الأخير من شعبان برزت الفرنج من مراكبها إلى مواكبها، في نحو من ألفي فارس وثلاثين ألف راجل، فبرز إليهم السلطان فيمن معه من الشجعان فاقتتلوا بمرج عكا قتالاً عظيماً، وهزم جماعة من المسلمين في أول النهار، ثم كانت الدائرة على الفرنج فكانت القتلى بينهم أزيد من سبعة آلاف قتيل، ولما تناهت هذه الوقعة تحول السلطان عن مكانه الأول إلى موضع بعيد من رائحة القتلى، خوفاً من الوخم والأذى، وليستريح الخيالة والخيل، ولم يعلم أن ذلك كان من أكبر مصالح العدو المخذول، فإنهم اغتنموا هذه الفرصة فحفروا حول مخيمهم خندقاً من البحر محدقاً بجيشهم، واتخذوا من ترابه سوراً شاهقاً، وجعلوا له أبواباً يخرجون منها إذا أرادوا وتمكنوا في منزلهم ذلك الذي اختاروا وارتادوا، وتفارط[1] الأمر على المسلمين، وقوي الخطب وصار الداء عضالاً، وازداد الحال وبالاً، اختباراً من الله وامتحاناً، وكان رأي السلطان أن يناجزوا بعد الكرة سريعاً، ولا يتركوا حتى يطيب البحر فتأتيهم الأمداد من كل صوب، فتعذر عليه الأمر بإملال الجيش والضجر وكل منهم لأمر الفرنج قد احتقر، ولم يدر ما قد حتم في القدر، فأرسل السلطان إلى جميع الملوك يستنفر ويستنصر، وكتب إلى الخليفة بالبث، وبث الكتب بالتحضيض والحث السريع، فجاءته الأمداد جماعات وآحاداً، وأرسل إلى مصر يطلب أخاه العادل ويستعجل الأسطول، فقدم عليه فوصل إليه خمسون قطعة في البحر مع الأمير حسام الدين لؤلؤ، وقدم العادل في عسكر المصريين، فلما وصل الأسطول حادت مراكب الفرنج عنه يمنة ويسرة، وخافوا منه، واتصل بالبلد الميرة والعدد والعدد، وانشرحت الصدور بذلك، وانسلخت هذه السنة والحال ما حال بل هو على ما هو عليه ولا ملجأ من الله إلا إليه.

وفيها توفي من الأعيان:

---

(١) تفارط: ازداد وعظم.

القاضي شرف الدين أبو سعد

عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون أحد أئمة الشافعية، له كتاب الانتصاف، وقد ولي قضاء القضاة بدمشق، ثم أضر قبل موته بعشر سنين، فجعل ولده نجم الدين مكانه بطيب قلبه وقد بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة ونصفاً، ودفن بالمدرسة العصرونية، التي أنشأها عند سويقة باب البريد، قبالة داره، بينهما عرض الطريق، وكان من الصالحين والعلماء العاملين. وقد ذكره ابن خلكان فقال: كان أصله من حديثة عانة الموصل، ورحل في طلب العلم إلى بلدان شتى، وأخذ عن أسعد الميهني وأبي علي الفارقي وجماعة، وولي قضاء سنجار وحران، وباشر في أيام نور الدين تدريس الغزالية، ثم انتقل إلى حلب فبنى له نور الدين بحلب مدرسة وبحمص أخرى، ثم قدم دمشق في أيام صلاح الدين، فولي قضاءها في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة إلى أن توفي في هذه السنة، وقد جمع جزءاً في قضاء الأعمى، وأنه جائز، وهو خلاف المذهب، وقد حكاه صاحب البيان وجهاً لبعض الأصحاب. قال: ولم أره في غيره، ولكن حبك الشيء يعمي ويصم، وقد صنف كتباً كثيرة، منها صفوة المذهب في نهاية المطلب، في سبعة مجلدات، والانتصاف في أربعة، والخلاف في أربعة، والذريعة [في معرفة الشريعة] والمرشد وغير ذلك، و[كتاباً سماه مأخذ النظر، ومختصراً] في الفرائض، وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه والعماد فأثنى عليه، وكذلك القاضي الفاضل. وأورد له العماد أشعاراً كثيرة وابن خلكان، منها:

أُؤَمِّلُ أَنْ أَحْيَا وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ ... تَمُرُّ بِيَ المَوْتَى يهزُّ نُعُوشُهَا

وَمَا أَنَا إلاَّ مِثْلَهُمْ غَيْرَ أَنَّ لي ... بَقَايَا لَيَالٍ فِي الزَّمَانِ أَعِيشُهَا

أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان

أبو العباس المعروف بابن أفضل الزمان، قال ابن الأثير: كان عالماً متبحراً في علوم كثيرة من الفقه، والأصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك، وقد جاوز بمكة وأقام بها إلى أن مات بها، وكان من أحسن الناس صحبة وخلقاً.

الفقيه الأمير ضياء الدين عيسى الهكاري

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه، دخل معه إلى مصر، وحظي عنده، ثم كان ملازماً للسلطان صلاح الدين حتى مات في ركابه بمنزلة الخروبة قريباً من عكا، فنقل إلى القدس فدفن به، كان ممن تفقه على الشيخ أبي القاسم بن البرزي الجزري، كان من الفضلاء والأمراء الكبار.

المبارك بن المبارك الكرخي

مدرس النظامية، تفقه بابن الخل وحظي بمكانة عند الخليفة والعامة، وكان يضرب بحسن خطه المثل. ذكرته في الطبقات.

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان محاصر لحصن عكا، وأمداد الفرنج تفد إليهم من البحر في كل وقت، حتى أن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال، ومنهم من تأتي بنية راحة الغرباء لينكحوها في الغربة، فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطر، قدم إليهم مركب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء وأجملهن بهذه النية، فإذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب والغربة، حتى أن كثيراً من فسقة المسلمين تحيزوا إليها من أجل هذه النسوة، واشتهر الخبر بذلك. وشاع بين المسلمين والفرنج بأن ملك الألمان قد أقبل بثلاثمائة ألف مقاتل، من ناحية القسطنطينية، يريد أخذ الشام وقتل أهله، انتصاراً لبيت المقدس فعند ذلك حمل السلطان والمسلمون هماً عظيماً، وخافوا غاية الخوف، مع ما هم فيه من الشغل والحصار الهائل، وقويت قلوب الفرنج بذلك، واشتدوا للحصار والقتال، ولكن لطف الله وأهلك عامة جنده في الطرقات بالبرد والجوع والضلال في المهالك، على ما سيأتي بيانه. وكان سبب قتال الفرنج وخروجهم من بلادهم ونفيرهم ما ذكره ابن الأثير في كامله أن جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا ببيت المقدس وغيره، ركبوا من صور في أربعة مراكب، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى، ويحرضون الفرنج ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس، وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه، فإذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح؟ قالوا هذا نبي العرب يضربه وقد جرحه ومات، فينزعجون لذلك ويحمون ويبكون ويحزنون فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم، وموضع حجهم على الصعب والذلول، حتى النساء المخدرات والزواني والزانيات الذين هم عند أهليهم من أعز الثمرات.

وفي نصف ربيع الأول تسلم السلطان شعيف أربون بالأمان، وكان صاحبه مأسوراً في الذل والهوان، وكان من أدهى الفرنج وأخبرهم بأيام الناس، وربما قرأ في كتب الحديث وتفسير القرآن، وكان مع هذا غليظ الجلد قاسي القلب، كافر النفس. ولما انفصل فصل الشتاء وأقبل الربيع جاءت ملوك الإسلام من بلدانها بخيولها وشجعانها، ورجالها وفرسانها، وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحمالاً من النفط والرماح، ونفاطة ونقابين، كل منهم متقن في صنعته غاية الإتقان، ومرسوماً بعشرين ألف دينار، وانفتح البحر وتواترت مراكب الفرنج والنصارى من كل جزيرة، لأجل نصرة أصحابهم، يمدونهم بالقوة والميرة، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد، عليها جلود مسقاة بالخل، لئلا يعمل فيها النفط، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل، وهي أعلى من أبرجة البلد، وهي مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاؤوا، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا، وحصل لهم ضيق منها، فأعمل السلطان فكره بإحراقها وأحضر النفاطين، ووعدهم بالأموال الجزيلة إن هم أحرقوها،

فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين، والتزم بإحراقها، فأخذ النفط الأبيض وخلطه بأدوية يعرفها، وغلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار ناراً تأجج، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت ناراً بإذن الله لها ألسنة في الجو متصاعدة واحترق من كان فيها، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل، واحترق في كل برج منها سبعون كفوراً، وكان يوماً على الكافرين عسيراً، وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، وكان الفرنج قد تعبوا في عملها سبعة أشهر، فاحترقت في يوم واحد ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣] ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنية، وأموال كثيرة فامتنع أن يقبل شيئاً من ذلك، وقال: إنما عملت هذا ابتغاء وجه الله، ورجاء ما عنده سبحانه لا أريد ﴿مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان:٩].

وأقبل الأسطول المصري وفيه الميرة الكثيرة لأهل البلد، فعبّى الفرنج أسطولهم ليقاتلوا أسطول المسلمين، نهض السلطان بجيشه ليشغلهم عنهم، وقاتلهم أهل البلد أيضاً واقتتل الأسطولان في البحر، وكان يوماً عسيراً، وحرباً في البر والبحر، فظفرت الفرنج بشيني واحد من الأسطول الذي للمسلمين، وسلم الله الباقي فوصل إلى البلد بما فيه من الميرة، وكانت حاجتهم قد اشتدت إليها جداً بل إلى بعضها.

وأما ملك الألمان المتقدم ذكره فإنه أقبل في عدد كثير جداً، قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل، من نيته خراب البلد وقتل أهلها من المسلمين، والانتصار لبيت المقدس، وأن يأخذ البلاد إقليماً بعد إقليم، حتى مكة والمدينة، فما نال من ذلك شيئاً بعون الله وقوته، بل أهلكهم الله عز وجل في كل مكان وزمان، فكانوا يتخطفون كما يتخطف الحيوان، حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية فدعته نفسه أن يسبح فيه، فلما صار فيه حمله الماء إلى شجرة فشجت رأسه، وأخمدت أنفاسه، وأراح الله منه العباد والبلاد، فأقيم ولده الأصغر في الملك، وقد تمزق شملهم، وقلت منهم العدة، ثم أقبلوا لا يجتازون ببلد إلا قتلوا فيه، فما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا في ألف فارس، فلم يرفعوا بهم رأساً ولا لهم قدراً ولا قيمة بينهم، ولا عند أحد من أهل ملتهم ولا غيرهم، وهكذا شأن من أراد إطفاء نور الله وإذلال دين الإسلام. وزعم العماد في سياقه أن الألمان وصلوا في خمسة آلاف، وأن ملوك الإفرنج كلهم كرهوا قدومهم عليهم، لما يخافون من سطوة ملكهم، وزوال دولتهم بدولته، ولم يفرح به إلا المركيس صاحب صور، الذي انشأ هذه الفتنة وأثار هذه المحنة، فإنه تقوى به وبكيده، فإنه كان خبيراً بالحروب، وقد قدم بأشياء كثيرة من آلات الحرب لم تخطر لأحد ببال نصب دبابات أمثال الجبال، تسير بعجل ولها زوام من حديد، تنطح السور فتخرقه، وتثلم جوانبه، فمنّ الله العظيم بإحراقها، وأراح الله المسلمين منها، ونهض صاحب الألمان بالعسكر الفرنجي فصادم به جيش المسلمين [فجاءت جيوش المسلمين] برمتها إليه، فقتلوا من الكفرة خلقاً كثيراً وجماً غفيراً، وهجموا مرة على مخيم السلطان بغتة فنهبوا بعض

الأمتعة، فنهض الملك العادل أبو بكر ـ وكان رأس الميمنة ـ فركب، في أصحابه وأمهل الفرنج حتى توغلوا بين الخيام، ثم حمل عليهم بالرماح والحسام، فهربوا بين يديه فما زال يقتل منهم جماعة بعد جماعة، وفرقة بعد فرقة، حتى كسوا وجه الأرض منهم حللاً أزهى من الرياض الباسمة، وأحب إلى النفوس من الخدود الناعمة، وأقل ما قيل إنه قتل منهم خمسة آلاف، وزعم العماد أنه قتل منهم فيما بين الظهر إلى العصر عشرة آلاف والله أعلم.

هذا وطرف الميسرة لم يشعر بما جرى ولا درى، بل هم نائمون وقت القائلة[1] في خيامهم، وكان الذين ساقوا وراءهم أقل من ألف، وإنما قتل من المسلمين عشرة أو دونهم، وهذه نعمة عظيمة، وقد أوهن هذا جيش الفرنج وأضعفهم، وكادوا يطلبون الصلح وينصرفون عن البلد، فاتفق قدوم مدد عظيم إليهم من البحر مع ملك يقال له كيدهرى، ومعه أموال كثيرة فأنفق فيهم وغرم عليهم وأمرهم أن يبرزوا معه لقتال المسلمين. ونصب على عكا منجنيقين، غرم على كل واحد منهما ألفاً وخمسمائة دينار، فأحرقهما المسلمون من داخل البلد، وجاءت كتب صاحب الروم من القسطنطينية يعتذر لصلاح الدين من جهة ملك الألمان، وأنه لم يتجاوز بلده باختيار، وأنه تجاوزه لكثرة جنوده، ولكن ليبشر السلطان بأن الله سيهلكهم في كل مكان، وكذلك وقع، وأرسل إلى السلطان يخبره بأنه يقيم للمسلمين عنده جمعة وخطباً، فأرسل السلطان مع رسله خطيباً ومنبراً، وكان يوم دخولهم إليه يوماً مشهوداً، ومشهداً محموداً، فأقيمت الخطبة بالقسطنطينية، ودعا للخليفة العباسي، واجتمع فيها من هناك من المسلمين من التجار والمسلمين الأسرى والمسافرين إليها والحمد لله رب العالمين.

فَصل

وكتب متولي عكا من جهة السلطان صلاح الدين وهو الأمير بهاء الدين قراقوش، في العشر الأول من شعبان إلى السلطان: إنه لم يبق عندهم في المدينة من الأقوات إلا ما يبلغهم إلى ليلة النصف من شعبان، فلما وصل الكتاب إلى السلطان ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف: ٧٧]، خوفاً من إشاعة ذلك فيبلغ العدو فيقدموا على المسلمين، وتضعف القلوب، وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالديار المصرية أن يقدم بالميرة إلى عكا، فتأخر سيره، ثم وصلت ثلاث بطش[2] ليلة النصف، فيها من الميرة ما يكفي أهل البلد طول الشتاء، وهي صحبة الحاجب لؤلؤ، فلما أشرفت على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد، ويتلف ما فيها، فاقتتلوا في البحر قتالاً شديداً، والمسلمون في البر يبتهلون إلى الله عز وجل في سلامتها، والفرنج أيضاً تصرخ براً وبحراً، وقد ارتفع الضجيج، فنصر الله المسلمين وسلم مراكبهم، وطابت الريح للبطش فسارت فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء، ودخلت البلد سالمة، ففرح بها أهل البلد والجيش فرحاً شديداً، وكان السلطان قد جهز قبل هذه البطش الثلاث بطشة كبيرة من

(١) القائلة: وقت القيلولة عند اشتداد الحر. (٢) البطش: السفن.

بيروت، فيها أربعمائة غرارة[1]، وفيها من الجبن والشحم والقديد النشاب والنفط شيء كثير، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة، وأمر من فيها من التجار أن يلبسوا زي الفرنج حتى أنهم حلقوا لحاهم، وشدوا الزنانير، واستصحبوا في البطشة معهم شيئاً من الخنازير، وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا أنهم منهم وهي سائرة كأنها السهم إذا خرج من كبد القوس، فحذرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية البلد، فاعتذروا بأنهم مغلوبون عنها، ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح، وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهم من الميرة، والحرب خدعة، فعبرت الميناء فامتلأ الثغر بها خيراً، فكفتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية. وكانت البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما برج الديان، فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيها محركات إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والأبرجة قلبوه إلى ما أرادوا، فعظم أمر هذه البطشة على المسلمين، ولم يزالوا في أمرها محتالين، حتى أرسل الله عليها شواظاً[2] من نار فأحرقها وأغرقها، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطاً كثيراً وحطباً جزلاً، وأخرى خلفها فيها حطب محض، فلما أراد المسلمين المحافظة على الميناء أرسلوا النفط على بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين، واحترقت الأخرى، وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها، فلما أرسلوا النفط على برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدرة الله تعالى، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة، فما تعدت النار بطشتهم فاحترقت، وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت، وهلك من فيها، فأشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين، في قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢].

فَصل

وفي ثالث رمضان اشتد حصار الفرنج للمدينة حتى نزلوا إلى الخندق، فبرز إليهم أهل البلد فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وتمكنوا من حريق الكيس والأسوار، وسرى حريقه إلى السقوف، وارتفعت له لهبة عظيمة في عنان السماء، ثم اجتذبه المسلمون إليهم بكلاليب من حديد في سلاسل، فحصل عندهم وألقوا عليه الماء البارد فبرد بعد أيام، فكان فيه من الحديد مائة قنطار بالدمشقي، ولله الحمد والمنة.

وفي الثامن والعشرين من رمضان توفي الملك زين الدين صاحب إربل في حصار عكا مع السلطان، فتأسف الناس عليه لشبابه وغربته وجودته، وعزى أخاه مظفر الدين فيه، وقام بالملك من بعده وسأل من صلاح الدين أن يضيف إليه شهرزور وحران والرها وسميساط وغيرها، وتحمل مع ذلك خمسين ألف دينار نقداً، فأجيب إلى ذلك، وكتب له تقليداً، وعقد له لواء، وأضيف ما تركه إلى الملك المظفر تقي الدين ابن أخيه السلطان صلاح الدين.

---

(١) الغرارة: كيس كبير من صوف أو شعر توضع فيه الحبوب أو غيرها.

(٢) شواظاً من نار: قطعاً ملتهبة.

فصل

وكان القاضي الفاضل بمصر يدبر الممالك بها، ويجهز إلى السلطان ما يحتاج إليه من الأموال، وعمل الأسطول والكتب السلطانية، فمنها كتاب يذكر فيه أن سبب هذا التطويل في الحصار كثرة الذنوب، وارتكاب المحارم بين الناس، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا يفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه، وامتثال أمره فكيف لا يطول الحصار والمعاصي في كل مكان فاشية، وقد صعد إلى الله منها ما يتوقع بعده الاستعاذة منه، وفيه أنه قد بلغه أن بيت المقدس قد ظهر فيه المنكرات والفواحش والظلم في بلاده ما لا يمكن تلافيه إلا بكلفة كثيرة. ومنها كتاب يقول فيه إنما أتينا من قبل أنفسنا، ولو صدقنا لعجل الله لنا عواقب صدقنا، ولو أطعناه لما عاقبنا بعدونا، ولو فعلنا ما نقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا نقدر عليه إلا به، فلا يختصم أحد إلا نفسه وعمله، ولا يرج إلا ربه ولا يغتر بكثرة العساكر والأعوان، ولا فلان الذي يعتمد عليه أن يقاتل ولا فلان، فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها، وإنما النصر من عند الله، ولا نأمن أن يكلنا الله إليها، والنصر به واللطف منه، ونستغفر الله تعالى من ذنوبنا، فلولا أنها تسد طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد نزل، وفيض دموع الخاشعين قد غسل، ولكن في الطريق عائق، خار الله لمولانا في القضاء السابق واللاحق. ومنها كتاب آخر يتألم فيه لما عند السلطان من الضعف في جسمه بسبب ما حمل على قلبه مما هو فيه من الشدائد، أثابه الله بقوله: وما في نفس المملوك شائنة إلا بقية هذا الضعف الذي في جسم مولانا فإنه بقلوبنا، ونفديه بأسماعنا وأبصارنا ثم قال:

بِنَا مَعْشَرَ الخُدَّامِ مَا بِكَ مِنْ أذًى وإن أشفقوا مما أقولُ فبي وحدي

وقد أورد الشيخ شهاب الدين صاحب الروضتين ها هنا كتباً عدة من الفاضل إلى السلطان، فيها فصاحة وبلاغة ومواعظ وتحضيض على الجهاد، فرحمه الله من إنسان ما أفصحه، ومن وزير ما كان أنصحه، ومن عقل ما كان أرجحه.

فصل

وكتب الفاضل كتاباً على لسان السلطان إلى ملك المغرب أمير المسلمين، وسلطان جيش الموحدين، يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، يستنجده في إرسال مراكب في البحر تكون عوناً للمسلمين على المراكب الفرنجية في عبارة طويلة فصيحة بليغة مليحة، حكاها أبو شامة بطولها. وبعث السلطان صلاح الدين مع الكتاب بهدية سنية من التحف والألطاف، صحبة الأمير الكبير شمس الدين أبي الحزم عبد الرحمن بن منقذ، وسار في البحر في ثامن ذي القعدة، فدخل على سلطان المغرب في العشرين من ذي الحجة، فأقام عنده إلى عاشوراء من المحرم من سنة ثمان وثمانين، ولم يفد هذا الإرسال شيئاً، لأنه تغضب إذ لم يلقب بأمير المؤمنين، وكانت إشارة الفاضل إلى عدم الإرسال إليه، ولكن وقع ما وقع بمشيئة الله.

فصل

وفيها حصل للناصر صلاح الدين سوء مزاج من كثرة ما يكابده من الأمور، فطمع العدو المخذول في حوزة الإسلام، فتجرد جماعة منهم للقتال، وثبت آخرون على الحصار، فأقبلوا في عدد كثير وعدد، فرتب السلطان الجيوش يمنة ويسرة، وقلباً وجناحين، فلما رأى العدو الجيش الكثيف فروا فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجماً غفيراً.

فصل

ولما دخل فصل الشتاء وانشمرت مراكب الفرنج عن البلد خوفاً من الهلاك بسبب اغتلام البحر، سأل من بالبلد من المسلمين من السلطان أن يريحهم مما هم فيه من الحصر العظيم، والقتال ليلاً ونهاراً، وأن يرسل إلى البلد بدلهم، فرق لهم السلطان، وعزم على ذلك، وكانوا قريباً من عشرين ألف مسلم ما بين أمير ومأمور، فجهز جيشاً آخر غيرهم، ولم يكن ذلك برأي جيد، ولكن ما قصد السلطان إلا خيراً، وأن هؤلاء يدخلون البلد بهمم حدة[1] شديدة، ولهم عزم قوي، وهم في راحة بالنسبة إلى ما أولئك ولكن أولئك الذين كانوا بالبلد وخرجوا منه كانت لهم خبرة بالبلد وبالقتال وكان لهم صبر، وجلد وقد تمونوا فيها مؤنة تكفيهم سنة، فانمحقت بسبب ذلك، وقدم بطش من مصر فيه ميرة تكفي أهل البلد سنة كاملة، فقدر الله العظيم ـ وله الأمر من قبل ومن بعد ـ أنها لما توسطت البحر واقتربت من المينا هاجت عليها ريح عظيمة فانقلبت تلك البطش وتغلبت على عظمها فاختبطت واضطربت وتصادمت فتكسرت وغرقت، وغرق ما كان فيها من الميرة والبحارة، فدخل بسبب ذلك وهن عظيم على المسلمين، واشتد الأمر جداً، ومرض السلطان وازداد مرضاً إلى مرضه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان ذلك عوناً للعدو المخذول على أخذ البلد، ولا قوة إلا بالله، وذلك في ذي الحجة من هذه السنة، وكان المقدم على الداخلين إلى عكا الأمير سيف الدين علي بن أحمد بن المشطوب.

وفي اليوم السابع من ذي الحجة سقطت ثلمة عظيمة من سور عكا، فبادر الفرنج إليها فسبقهم المسلمون إلى سدها بصدورهم وقاتلوا دونها بنحورهم، وما زالوا يمانعون عنها حتى بنوها أشد مما كانت، وأقوى وأحسن. ووقع في هذه السنة وباء عظيم في الجيشين في المسلمين والكافرين، فكان السلطان يقول في ذلك:

اقْتُلُوني وَمَالِكاً ... وَاقْتُلُوا مَالِكاً مَعِي

واتفق موت ابن ملك الألمان لعنه الله في ثاني ذي الحجة. وجماعة من كبراء الكندقرية، وسادات الفرنج لعنهم الله، فحزن الفرنج على ابن ملك الألمان وأوقدوا ناراً عظيمة في كل خيمة، وصار كل يوم يهلك من الفرنج المائة والمائتان، واستأمن السلطان

(١) الحدة: النشيطة. قصمت: قطعت.

جماعة منهم من شدة ما هم فيه من الجوع والضيق والحصر، وأسلم خلق كثير منهم وفيها قدم القاضي الفاضل من مصر على السلطان، وكان قد طال شوق كل منهما إلى صاحبه، فأفضى كل منهما إلى صاحبه ما كان يسره ويكتمه من الآراء التي فيها مصالح المسلمين .

وفيها توفي من الأعيان:

ملك الألمان: وقد تقدم أنه قدم في ثلاثمائة ألف مقاتل فهلكوا في الطرقات، فلم يصل إلى الفرنج إلا في خمسة آلاف وقيل في ألفي مقاتل، وكان قد عزم على دمار الإسلام، واستنقاذ البلاد بكمالها من أيدي المسلمين، انتصاراً في زعمه إلى بيت المقدس، فأهلكه الله بالغرق كما أهلك فرعون، ثم ملك بعده ابنه الأصغر فأقبل بمن بقي معه من الجيش إلى الفرنج، وهم في حصار عكا، ثم مات في هذه السنة فلله الحمد والمنة.

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو حامد قاضي القضاة بالموصل، كمال الدين الشهرزوري الشافعي، أثنى عليه العماد الكاتب وأنشد له من شعره قوله:

قَـامَـتْ بِـإِثْـبَـاتِ الـصِّـفَـاتِ أدِلَّـةٌ ... قَـصَـمَـتْ ظُـهُـورَ أَئِـمَّـةِ الـتَّـعْـطِـيـلِ[1]
وَطَـلائِـعُ الـتَّـنْـزِيـهِ لَـمَّـا أَقْـبَـلَـتْ ... هَـزَمَـتْ ذَوِي الـتَّـشْـبِـيـهِ وَالـتَّـمْـثِـيـلِ
فَـالْـحَـقُّ مَـا صِـرْنـا إِلَـيْـهِ جَـمِـيـعُـنَـا ... بِـأَدِلَّـةِ الأَخْـبَـارِ وَالـتَّـنْـزِيـلِ
مَـنْ لَـمْ يَـكُـنْ بِـالـشَّـرْعِ مُـقْـتَـدِيـاً فَـقَـدْ ... أَلْـقَـاهُ فَـرْطُ الـجَـهْـلِ فـي الـتَّـضْـلِـيـلِ[2]

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

فيها قدم ملك الفرنسيس وملك انكلترا وغيرهما من ملوك البحر الفرنج، على أصحابهم الفرنج إلى عكا، وتمالؤوا على أخذ عكا في هذه السنة كما سيأتي تفصيله، وقد استهلت هذه السنة والحصار الشديد على عكا، من الجانبين، وقد استكمل دخول العدو إلى البلد والملك العادل مخيم إلى جانب البحر، ليتكامل دخولهم ودخول ميرتهم، وفي ليلة مستهل ربيع الأول منها خرج المسلمون من عكا فهجموا على مخيم الفرنج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وسبوا وغنموا شيئاً كثيراً، سبوا اثني عشر امرأة، وانكسر مركب عظيم للفرنج فغرق ما فيه منهم وأسر باقيهم، وأغار صاحب حمص أسد الدين بن شيركوه على سرح الفرنج بأراضي طرابلس، فاستاق منهم شيئاً كثيراً من الخيول والأبقار والأغنام، وظفر الترك بخلق كثير من الفرنج فقتلوهم، ولم يقتل من المسلمين سوى طواش صغير عثر به فرسه. وفي ثاني عشر ربيع الأول وصل إلى الفرنج ملك الفرنسيين في قريب من ستين بطش ملعونة مشحونة بعبدة الصليب، فحين وصل إليهم وقدم عليهم لم يبق لأحد من ملوكهم معه كلام

(١) قصمت: قطعت. (٢) فرط الجهل: كثرته.

ولا حكم، لعظمته عندهم، وقدم معه باز عظيم أبيض وهو الأشهب، هائل، فطار من يده فوقع على سور عكا فأخذه أهلها وبعثو إلى السلطان صلاح الدين، فبذل الفرنجي فيه ألف دينار فلم يجبه إلى ذلك، وقدم بعده كيدهرير وهو من أكابر ملوكهم أيضاً. ووصلت سفن ملك الإنكليز، ولم يجيء ملكهم لاشتغاله بجزيرة قبرص وأخذها من يد صاحبها، وتواصلت ملوك الإسلام أيضاً من بلدانها في أول فصل الربيع، لخدمة الملك الناصر. قال العماد: وقد كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام الفرنج فيسرقون، حتى أنهم كانوا يسرقون الرجال، فاتفق أن بعضهم أخذ صبياً رضيعاً من مهده ابن ثلاثة أشهر، فوجدت عليه أمه وجداً شديداً، واشتكت إلى ملوكهم فقالوا لها: إن سلطان المسلمين رحيم القلب، وقد أذنا لك أن تذهبي إليه فتشتكي أمرك إليه، قال العماد فجاءت إلى السلطان فأنهت إليه حالها، فرق لها رقة شديدة حتى دمعت عينه. ثم أمر بإحضار ولدها فإذا هو قد بيع في السوق، فرسم بدفع ثمنه إلى المشتري، ولم يزل واقفاً حتى جيء بالغلام فأخذته أمه وأرضعته ساعة وهي تبكي من شدة فرحها وشوقها إليه، ثم أمر بحملها إلى خيمتها على فرس مكرمة رحمه الله تعالى وعفا عنه.

فصل في كيفية أخذ العدو عكا من يدي السلطان

لما كان شهر جمادى الأولى اشتد حصار الفرنج لعنهم الله لمدينة عكا، وتمالؤوا عليها من كل فج عميق، وقدم عليهم ملك الإنكليز في جم غفير، وجمع كثير، في خمسة وعشرين قطعة مشحونة بالمقاتلة وابتلي أهل الثغر منهم ببلاء لا يشبه ما قبله، فعند ذلك حركت الكؤوسات في البلد، وكانت علامة ما بينهم وبين السلطان، فحرك السلطان كؤوساته فاقترب من البلد وتحول إلى قريب منه، ليشغلهم عن البلد، وقد أحاطوا به من كل جانب، ونصبوا عليه سبعة مجانيق، وهي تضرب في البلد ليلاً ونهاراً، ولا سيما على برج عين البقر، حتى أثرت به أثراً بيناً، وشرعوا في ردم الخندق بما أمكنهم من دواب ميتة، ومن قتل منهم، ومن مات أيضاً ردموا به، وكان أهل البلد يلقون ما ألقوه فيه إلى البحر. وتلقى ملك الإنكليز بطشة عظيمة للمسلمين قد أقبلت من بيروت مشحونة بالأمتعة والأسلحة فأخذها، وكان واقفاً في البحر في أربعين مركباً لا يترك شيئاً يصل إلى البلد بالكلية، وكان بالبطشة ستمائة من المقاتلين الصناديد الأبطال، فهلكوا عن آخرهم رحمهم الله. فإنه لما أحيط بهم وتحققوا إما الغرق أو القتل، خرقوا جوانبها كلها فغرقت، ولم يقدر الفرنج على أخذ شيء منها لا من الميرة ولا من الأسلحة، وحزن المسلمون على هذا المصاب حزناً عظيماً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولكن جبر الله سبحانه هذا البلاء بأن أحرق المسلمون في هذا اليوم دبابة كانت أربع طبقات، الأولى من الخشب، والثانية من رصاص، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، وهي مشرفة على السور والمقاتلة فيها، وقد قلق أهل البلد منها بحيث حدثتهم أنفسهم من خوفهم من شرها بأن يطلبوا الأمان من الفرنج، ويسلموا البلد، ففرج الله

عن المسلمين وأمكنهم من حريقها، اتفق لهم ذلك في هذا اليوم الذي غرقت فيه البطشة المذكورة، فأرسل أهل البلد يشكون إلى السلطان شدة الحصار وقوته عليهم، منذ قام ملك الإنكليز لعنه الله، ومع هذا قد مرض هو وجرح ملك الإفرنسيين أيضاً ولا يزيدهم ذلك إلا شدة وغلظة، وعتواً وبغياً، وفارقهم المركيس وسار إلى بلده صور خوفاً منهم أن يخرجوا ملكها من يده. وبعث ملك الإنكليز إلى السلطان صلاح الدين يذكر له أن عنده جوارح قد جاء بها من البحر، وهو على نية إرسالها إليه، ولكنها قد ضعفت وهو يطلب دجاجاً وطيراً لتقوى به، فعرف أنه إنما يطلب ذلك لنفسه يلطفها به، فأرسل إليه شيئاً كثيراً من ذلك كرماً، ثم أرسل يطلب منه فاكهة وثلجاً فأرسل إليه أيضاً، فلم يفد معه الإحسان، بل لما عوفي عاد إلى شر مما كان، واشتد الحصار ليلاً ونهاراً، فأرسل أهل البلد يقولون للسلطان إما أن تعملوا معنا شيئاً غداً وإلا طلبنا من الفرنج الصلح والأمان، فشق ذلك على السلطان، وذلك أنه كان قد بعث إليها أسلحة الشام والديار المصرية وسائر السواحل، وما كان غنمه من وقعة حطين ومن القدس، فهي مشحونة بذلك، فعند ذلك عزم السلطان على الهجوم على العدو، فلما أصبح ركب في جيشه فرأى الفرنج قد ركبوا من وراء خندقهم، والرجالة منهم قد ضربوا سوراً حول الفرسان، وهم قطعة من حديد صماء لا ينفذ فيهم شيء، فأحجم عنهم لما يعلم من نكول[1] جيشه عما يريده، وتحدوه[2] عليه شجاعته رحمه الله.

هذا وقد اشتد الحصار على البلد ودخلت الرجالة منهم إلى الخندق وعلقوا بدنة في السور وحشوها وأحرقوها، ودخلت الفرنج إلى البلد، فمانعهم المسلمون وقاتلوهم أشد القتال، وقتلوا من رؤوسهم ستة أنفس، فاشتد حنق الفرنج على المسلمين جداً بسبب ذلك، وجاء الليل فحال بين الفريقين، فلما أصبح الصباح خرج أمير المسلمين بالبلد أحمد بن علي ابن المشطوب فاجتمع بملك الافرنسيين وطلب منهم الأمان على أنفسهم، ويتسلمون منه البلد، فلم يجبهم إلى ذلك، وقال له: بعدما سقط السور جئت تطلب الأمان؟ فأغلظ له ابن المشطوب في الكلام، ورجع إلى البلد في حالة الله بها عليم، فلما أخبر أهل البلد بما وقع خافوا خوفاً شديداً، وأرسلوا إلى السلطان يعلمونه بما وقع، فأرسل إليهم أن يسرعوا الخروج من البلد في البحر ولا يتأخروا عن هذه الليلة، ولا يبقى بها مسلم، فتشاغل كثير ممن كان بها لجمع الأمتعة والأسلحة، وتأخروا عن الخروج تلك الليلة، فما أصبح الخبر إلا عند الفرنج من مملوكين صغيرين سمعا بما رسم به السلطان، فهربا إلى قومهما فأخبروهم بذلك، فاحتفظوا على البحر احتفاظاً عظيماً، فلم يتمكن أحد من أهل البلد أن يتحرك بحركة، ولا خرج منها شيء بالكلية، وهذان المملوكان كانا أسيرين قد أسرهما السلطان من أولاد الفرنج وعزم السلطان على كبس العدو في هذه الليلة، فلم يوافقه الجيش على ذلك، وقالوا لا نخاطر بعسكر المسلمين، فلما أصبح بعث إلى ملوك الفرنج يطلب منهم الأمان لأهل البلد على أن يطلق عدتهم من الأسرى الذين تحت يده من الفرنج

---

(١) نكول الجيش: تراجعه.

(٢) تحدوه: تحمله وتجعله يسرع.

ويزيدهم صليب الصلبوت، فأبوا إلا أن يطلق لهم كل أسير تحت يده، ويطلق لهم جميع البلاد الساحلية التي أخذت منهم، وبيت المقدس، فأبى ذلك، وترددت المراسلات في ذلك، والحصار يتزايد على أسوار البلد. وقد تهدمت منه ثلم كثيرة، وأعاد المسلمون كثيراً منها، وسدوا ثغر تلك الأماكن بنحورهم رحمهم الله، وصبروا صبراً عظيماً، وصابروا العدو، ثم كان آخر الأمر وصولهم إلى درجة الشهادة، وقد كتبوا إلى السلطان في آخر أمرهم يقولون له: يا مولانا لا تخضع لهؤلاء الملاعين، الذين قد أبوا عليك الإجابة إلى ما دعوتهم فينا، فإنا قد بايعنا الله على الجهاد حتى نقتل عن آخرنا، وبالله المستعان.

فلما كان وقت الظهر في اليوم السابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة، ما شعر الناس إلا وأعلام الكفار قد ارتفعت، وصلبانهم ونارهم على أسوار البلد، وصاح الفرنج صيحة واحدة، فعظمت عند ذلك المصيبة على المسلمين، واشتد حزن الموحدين، وانحصر كلام الناس في إنا لله وإنا إليه راجعون، وغشي الناس بهتة(١) عظيمة، وحيرة شديدة، ووقع في عسكر السلطان الصياح والعويل، ودخل المركيس لعنه الله وقد عاد إليهم من صور بهدايا فأهداها إلى الملوك، فدخل في هذا اليوم عكا بأربعة أعلام الملوك فنصبها في البلد، واحداً على المأذنة يوم الجمعة، وآخر على القلعة، وآخر على برج الداوية، وآخر على برج القتال، عوضاً عن أعلام السلطان، وتحيز المسلمون الذين بها إلى ناحية من البلد معتقلين، محتاط بهم مضيق عليهم، وقد أسروا النساء والأبناء، وغنمت منهم أموالهم، وقيدت الأبطال وأهين الرجال والحرب سجال(٢)، والحمد لله على كل حال.

فعند ذلك أمر السلطان الناس بالتأخر عن هذه المنزلة، وثبت هو مكانه لينظر ماذا يصنعون وما عليه يعولون، والفرنج في البلد مشغولون مدهوشون، ثم سار السلطان إلى العسكر وعنده من الهم ما لا يعلمه إلا الله، وجاءت الملوك الإسلامية، والأمراء وكبراء الدولة يعزونه فيما وقع، ويسلونه على ذلك، ثم راسل ملوك الفرنج في خلاص من بأيديهم من الأسارى فطلبوا منه عدتهم من أسراهم ومائة ألف دينار، وصليب الصلبوت إن كان باقياً، فأرسل فأحضر المال والصليب، ولم يتهيأ له من الأسارى إلا ستمائة أسير، فطلب الفرنج منه أن يريهم الصليب من بعيد، فلما رفع سجدوا له وألقوا أنفسهم إلى الأرض، وبعثوا يطلبون منه ما أحضره من المال والأسارى، فامتنع إلا أن يرسلوا إليه الأسارى أو يبعثوا له برهائن على ذلك، فقالوا، لا ولكن أرسل لنا ذلك وارض بأمانتنا، فعرف أنهم يريدون الغدر والمكر، فلم يرسل إليهم شيئاً من ذلك، وأمر برد الأسارى إلى أهليهم بدمشق، ورد الصليب إلى دمشق مهاناً، وأبرزت الفرنج خيامهم إلى ظاهر البلد وأحضروا ثلاثة آلاف من المسلمين فأوقفوهم بعد العصر وحملوا عليهم حملة رجل واحد فقتلوهم عن آخرهم في صعيد واحد، رحمهم الله وأكرم مثواهم. ولم يستبقوا بأيديهم من المسلمين إلا

(١) البهتة: الدهشة والحيرة.

(٢) سجال: أي مداورة، لك وعليك.

أميراً أو صبياً، أو من يرونه في عملهم قوياً أو امرأة. وجرى الذي كان، وقضي الأمر الذي فيه تستفتيان. وكان مدة إقامة صلاح الدين على عكا صابراً مصابراً مرابطاً سبعة وثلاثين شهراً، وجملة من قتل من الفرنج خمسين ألفاً.

فصل فيما حدث بعد أخذ الفرنج عكا

ساروا برمتهم قاصدين عسقلان، والسلطان بجيشه يسايرهم ويعارضهم منزلة منزلة، والمسلمون يتخطفونهم، ويسلبونهم في كل مكان، وكل أسير أتي به إلى السلطان يأمر بقتله في مكانه، وجرت خطوب بين الجيشين، ووقعات متعددات، ثم طلب ملك الإنكليز أن يجتمع بالملك العادل أخي السلطان يطلب منه الصلح والأمان. على أن يعاد لأهلها بلاد السواحل، فقال له العادل: إن دون ذلك قتل كل فارس منكم وراجل، فغضب اللعين ونهض من عنده غضبان، ثم اجتمعت الفرنج على حرب السلطان عند غابة أرسوف، فكانت النصرة للمسلمين، فقتل من الفرنج عند غابة أرسوف ألوف بعد ألوف، وقتل من المسلمين خلق كثير أيضاً، وقد كان الجيش فرَّ عن السلطان في أول الوقعة، ولم يبق معه سوى سبعة عشر مقاتلاً، وهو ثابت صابر، والكؤوسات لا تفتر والأعلام منشورة، ثم تراجع الناس فكانت النصرة للمسلمين، ثم تقدم السلطان بعساكره فنزل ظاهر عسقلان، فأشار ذوو الرأي على السلطان بتخريب عسقلان خشية أن يتملكها الكفار، ويجعلوها وسيلة إلى أخذ بيت المقدس، أو يجري عندها من الحرب والقتال نظير ما كان عند عكا، أو أشد، فبات السلطان ليلته مفكراً في ذلك، فلما أصبح وقد أوقع الله في قلبه أن خرابها هو المصلحة، فذكر ذلك لمن حضره، وقال لهم والله لموت جميع أولادي أهون عليّ من تخريب حجر واحد منها، ولكن إذا كان خرابها فيه مصلحة للمسلمين فلا بأس به، ثم طلب الولاة وأمرهم بتخريب البلد سريعاً، قبل وصول العدو إليها، فشرع الناس في خرابه، وأهله ومن حضره يتباكون على حسنه وطيب مقيله، وكثرة زورعه وثماره، ونضارة أنهاره وأزهاره، وكثرة رخامه وحسن بنائه. وألقيت النار في سقوفه وأتلف ما فيه من الغلات التي لا يمكن تحويلها، ولا نقلها، ولم يزل الخراب والحريق فيه من جمادى الآخرة إلى سلخ شعبان من هذه السنة.

ثم رحل السلطان منها في ثاني رمضان وقد تركها قاعاً صفصفاً ليس فيها معلمة[1] لأحد، ثم اجتاز بالرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد، وزار بيت المقدس وعاد إلى المخيم سريعاً؛ وبعث ملك الإنكليز إلى السلطان: إن الأمر قد طال وهلك الفرنج والمسلمون، وإنما مقصودنا ثلاثة أشياء لا سواها، رد الصليب وبلاد الساحل وبيت المقدس، لا نرجع عن هذه الثلاثة ومنّا عين تطرف، فأرسل إليه السلطان أشد جواب، وأسد مقال، فعزمت الفرنج على قصد بيت المقدس، فتقدم السلطان بجيشه إلى القدس، وسكن

(١) معلمة: أثر.

في دار القساقس قريباً من قمامة، في ذي القعدة، وشرع في تحصين البلد وتعميق خنادقه، وعمل فيه بنفسه وأولاده، وعمل فيه الأمراء والقضاة والعلماء والصالحون، وكان وقتاً مشهوداً، واليزك[١] حول البلد من ناحية الفرنج وفي كل وقت يستظهرون على الفرنج ويقتلون ويأسرون ويغنمون، ولله الحمد والمنة. وانقضت هذه السنة والأمر على ذلك.

وفيها على ما ذكره العماد تولى القاضي محيي الدين محمد بن الزكي بدمشق. وفيها عدا أمير مكة داود بن عيسى بن فليتة بن هاشم بن محمد بن أبي هاشم الحسني، فأخذ أموال الكعبة حتى انتزع طوقاً من فضة كان على دائرة الحجر الأسود، كان قد لم شعثه حين ضربه ذلك القرمطي بالدبوس، فلما بلغ السلطان خبره من الحجيج عزله وولّى أخاه بكيراً، ونقض القلعة التي كان بناها أخوه على أبي قبيس، وأقام داود بنخلة حتى توفي بها سنة سبع وثمانين.

وفيها توفي من الأعيان:

الملك المظفر

تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، كان عزيزاً على عمه صلاح الدين، استنابه بمصر وغيرها من البلاد، ثم أقطعه حماه ومدناً كثيرة حولها في بلاد الجزيرة، وكان مع عمه السلطان على عكا، ثم استأذنه أن يذهب ليشرف على بلاده المجاورة للجزيرة والفرات، فلما صار إليها اشتغل بها وامتدت عينه إلى أخذ غيرها من أيدي الملوك المجاورين له، فقاتلهم فاتفق موته وهو كذلك، والسلطان عمه غضبان عليه بسبب اشتغاله بذلك عنه، وحملت جنازته حتى دفنت بحماه، وله مدرسة هناك هائلة كبيرة، وكذلك له بدمشق مدرسة مشهورة، وعليها أوقاف كثيرة، وقد أقام بالملك بعده ولده المنصور ناصر الدين محمد، فأقره صلاح الدين على ذلك بعد جهد جهيد، ووعد ووعيد، ولولا السلطان العادل أخو صلاح الدين تشفع فيه لما أقره في مكان أبيه، ولكن سلم الله، توفي يوم الجمعة تاسع عشر رمضان من هذه السنة، وكان شجاعاً فاتكاً.

الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين

أمه ست الشام بنت أيوب، واقفة الشاميتين بدمشق، توفي في ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان أيضاً ففجع السلطان بابن أخيه وابن أخته في ليلة واحدة، وقد كانا من أكبر أعوانه، ودفن بالتربة الحسامية، وهي التي أنشأتها أمه بمحلة العونية، وهي الشامية البرانية.

الأمير علم الدين سليمان بن حيدر الحلبي

كان من أكابر الدولة الصلاحية، وفي خدمة السلطان حيث كان، وهو الذي أشار على السلطان بتخريب عسقلان، واتفق مرضه بالقدس فاستأذن في أن يمرض بدمشق، فأذن له، فسار منها فلما وصل إلى غباغب مات بها في أواخر ذي الحجة.

وفي رجب منها توفي الأمير الكبير نائب دمشق.

---

(١) اليزك: جماعات تغير عليهم من أجل السلب والغنيمة.

الصفي بن الفائض

وكان من أكبر أصحاب السلطان قبل الملك، ثم استنابه على دمشق حتى توفي بها في هذه السنة. وفي ربيع الأول توفي.

الطبيب الماهر أسعد بن المطران

وقد شرف بالإسلام، وشكره على طبه الخاص والعام.

الجيوشاني الشيخ نجم الدين

الذي بنى تربة الشافعي بمصر بأمر السلطان صلاح الدين، ووقف عليها أوقافاً سنية، وولاه تدريسها ونظرها، وقد كان السلطان يحترمه ويكرمه، وقد ذكرته في طبقات الشافعية، وما صنفه في المذهب من شرح الوسيط وغيره، ولما توفي الجيوشاني طلب التدريس جماعة فشفع الملك العادل عند أخيه في شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن حمويه، فولاه إياها، ثم عزله عنها بعد موت السلطان، واستمرت عليها أيدي بني السلطان واحداً بعد واحد، ثم عادت إليها الفقهاء والمدرسون بعد ذلك.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان صلاح الدين مخيم بالقدس، وقد قسم السور بين أولاده وأمرائه، وهو يعمل فيه بنفسه، ويحمل الحجر بين القربوسين[1] وبينه، والناس يقتدون بهم، والفقهاء والقراء يعملون، والفرنج لعنهم الله حول البلد من ناحية عسقلان وما والاها، لا يتجاسرون أن يقربوا البلد من الحرس واليزك الذين حول القدس، إلا أنهم على نية محاصرة القدس مصممون، ولكيد الإسلام مجمعون، وهم والحرس تارة يغلبون وتارة يغلبون، وتارة ينهبون وتارة ينهبون. وفي ربيع الآخر وصل إلى السلطان الأمير سيف الدين المشطوب من الأسر، وكان نائباً على عكا حين أخذت، فافتدى نفسه منهم بخمسين ألف دينار، فأعطاه السلطان شيئاً كثيراً منها، واستنابه على مدينة نابلس، فتوفي بها في شوال من هذه السنة. وفي ربيع الآخر قتل المركيس صاحب صور لعنه الله، أرسل إليه ملك الإنكليز اثنين من الفداوية فقتلوه. أظهرا التنصر ولزما الكنيسة حتى ظفرا به فقتلاه وقتلا أيضاً، فاستناب ملك الإنكليز عليها ابن أخيه بلام الكندهر، وهو ابن أخت ملك الافرنسيين لأبيه، فهما خالاه، ولما صار إلى صور بنى بزوجة المركيس بعد موته بليلة واحدة، وهي حبلى أيضاً، وذلك لشدة العداوة التي كانت بين الإنكليز وبينه، وقد كان السلطان صلاح الدين يبغضهما، ولكن المركيس كان قد صانعه بعض شيء، فلم يهن عليه قتله.

وفي تاسع جمادى الأولى استولى الفرنج لعنهم الله على قلعة الداروم فخربوها، وقتلوا

(١) القربوس: حنو السرج، أي قسمه المقوس المرتفع من قدّام المقعد ومن مؤخره.

خلقاً كثيراً من أهلها، وأسروا طائفة من الذرية، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم أقبلوا جملة نحو القدس الشريف فبرز إليهم السلطان في حزب الإيمان، فلما تراءى الجمعان نكص حزب الشيطان راجعين، فراراً من القتال والنزال، وعاد السلطان إلى القدس. ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ثم إن ملك الإنكليز لعنه الله ـ وهو أكبر ملوك الفرنج ذلك الحين ـ ظفر ببعض فلول المسلمين فكبسهم ليلاً فقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر منهم خمسمائة أسير، وغنم منهم شيئاً كثيراً من الأموال والجمال، والخيل والبغال، فكان جملة الجمال ثلاثة آلاف بعير، فتقوى الفرنج بذلك شيئاً كثيراً، وساء ذلك السلطان مساءة عظيمة جداً، وخاف من غائلة ذلك، واستخدم الإنكليز الجمالة على الجمال، والخربندية[1] على البغال، والسياس على الخيل، وأقبل وقد قويت نفسه جداً، وصمم على محاصرة القدس، وأرسل إلى ملوك الفرنج الذين بالساحل، فاستحضرهم ومن معهم من المقاتلة، فتعبأ السلطان لهم وتهيأ، وأكمل السور وعمر الخنادق ونصب المجانيق، وأمر بتغوير ما حول القدس من المياه، وأحضر السلطان أمراءه ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة: أبا الهيجاء المبسمين، والمشطوب، والأسدية، فاستشارهم فيما دهمه من هذا الأمر الفظيع، الموجع المؤلم، فأفاضوا في ذلك، وأشاروا كل برأيه، وأشار العماد الكاتب بأن يتحالفوا على الموت عند الصخرة، كما كانت الصحابة يفعلون، فأجابوا إلى ذلك. هذا كله والسلطان ساكت واجم مفكر، فسكت القوم كأنما على رؤوسهم الطير، ثم قال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله: اعلموا أنكم جند الإسلام اليوم ومنعته، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين وأموالهم وذراريهم في ذممكم معلقة والله عز وجل سائلكم يوم القيامة عنهم، وإن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن العباد والبلاد غيركم، فإن وليتم والعياذ بالله طوى البلاد وأهلك العباد، وأخذ الأموال والأطفال والنساء، وعبد الصليب في المساجد، وعزل القرآن منها والصلاة، وكان ذلك كله في ذممكم، فإنكم أنتم الذين تصديتم لهذا كله، وأكلتم بيت مال المسلمين لتدفعوا عنهم عدوهم، وتنصروا ضعيفهم، فالمسلمون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام.

فانتدب لجوابه سيف الدين المشطوب وقال: يا مولانا نحن مماليكك وعبيدك، وأنت الذي أعطيتنا وكبرتنا وعظمتنا، وليس لنا إلا رقابنا ونحن بين يديك، والله ما يرجع أحد منا عن نصرك حتى يموت. فقال الجماعة مثل ما قال، ففرح السلطان بذلك وطاب قلبه، ومد لهم سماطاً حافلاً، وانصرفوا من بين يديه على ذلك. ثم بلغه بعد ذلك أن بعض الأمراء قال: إنا نخاف أن يجري علينا في هذا البلد كما جرى على أهل عكا، ثم يأخذون بلاد الإسلام بلداً بلداً، والمصلحة أن نلتقيهم بظاهر البلد، فإن هزمناهم أخذنا بقية بلادهم، وإن

---

(١) الخربندية: البغالون.

تكن الأخرى سلم العسكر ومضى بحاله، ويأخذون القدس وتحفظ بقية بلاد الإسلام بدون القدس مدة طويلة، وبعثوا إلى السلطان يقولون له: إن كنت تريدنا نقيم بالقدس تحت حصار الفرنج، فكن أنت معنا أو بعض أهلك، حتى يكون الجيش تحت أمرك، فإن الأكراد لا تطيع الترك، والترك لا تطيع الأكراد. فلما بلغه ذلك شق عليه مشقة عظيمة، وبات ليلته أجمع مهموماً كئيباً يفكر فيما قالوا، ثم انجلى الأمر واتفق الحال على أن يكون الملك الأمجد صاحب بعلبك مقيماً عندهم نائباً عنه بالقدس، وكان ذلك نهار الجمعة، فلما حضر إلى صلاة الجمعة وأذن المؤذن الظهر قام فصلى ركعتين بين الأذانين، وسجد وابتهل إلى الله تعالى ابتهالاً عظيماً، وتضرع إلى ربه، وتمسكن وسأله فيما بينه وبينه كشف هذه الضائقة العظيمة.

فلما كان يوم السبت من الغد جاءت الكتب من الحرس الذين حول البلد بأن الفرنج قد اختلفوا فيما بينهم، فقال ملك الافرنسيين إنا إنما جئنا من البلاد البعيدة وأنفقنا الأموال العديدة في تخليص بيت المقدس ورده إلينا، وقد بقي بيننا وبينه مرحلة، فقال الإنكليز إن هذا البلد شق علينا حصاره، لأن المياه حوله قد عدمت، وإلى أن يأتينا الماء من المشقة البعيدة يعطل الحصار، وتلف الجيش، ثم اتفق الحال بينهم على أن حكموا منهم عليهم ثلاثمائة منهم، فردوا أمرهم إلى اثني عشر منهم، فردوا أمرهم إلى ثلاثة منهم، فباتوا ليلتهم ينظرون ثم أصبحوا وقد حكموا عليهم بالرحيل، فلم يمكنهم مخالفتهم فانسحبوا راجعين لعنهم الله أجمعين، فساروا حتى نزلوا على الرملة وقد طالت عليهم الغربة والزملة[1] وذلك في بكرة الحادي والعشرين من جمادى الآخرة، وبرز السلطان بجيشه إلى خارج القدس، وسار نحوهم خوفاً أن يسيروا إلى مصر، لكثرة ما معهم من الظهر والأموال، وكان الإنكليز يلهج بذلك كثيراً، فخذلهم الله عن ذلك، وترددت الرسل من الإنكليز إلى السلطان في طلب الأمان ووضع الحرب بينه وبينهم ثلاث سنين، وعلى أن يعيد لهم عسقلان ويهب لهم كنيسة بيت المقدس وهي القمامة، وأن يمكن النصارى من زيارتها وحجها بلا شيء، فامتنع السلطان من إعادة عسقلان وأطلق لهم قمامة، وفرض على الزوار مالاً يؤخذ من كل منهم، فامتنع الإنكليز إلا أن تُعاد لهم عسقلان، ويعمر سورها كما كانت، فصمم السلطان على عدم الإجابة... ثم ركب السلطان حتى وافى يافا فحاصرها حصاراً شديداً، فافتتحها وأخذوا الأمان لكبيرها وصغيرها، فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم مراكب الإنكليز على وجه البحر، فقويت رؤوسهم واستعصت نفوسهم، فهجم اللعين فاستعاد البلد وقتل من تأخر بها من المسلمين صبراً بين يديه، وتقهقر السلطان عن منزلة الحصار إلى ما ورائها خوفاً على الجيش من معرة الفرنج، فجعل ملك الإنكليز يتعجب من شدة سطوة السلطان، وكيف فتح مثل هذا البلد العظيم في يومين، وغيره لا يمكنه فتحه في عامين، ولكن ما ظننت أنه مع شهامته وصرامته يتأخر من منزلته بمجرد قدومي، وأنا ومن معي لم نخرج من البحر إلا

---

(١) الزملة: الاجتماع، أو البعد عن العيال.

جرائد[1] بلا سلاح، ثم ألح في طلب الصلح وأن تكون عسقلان داخلة في صلحهم، فامتنع السلطان، ثم إن السلطان كبس في تلك الليالي الإنكليز وهو في سبعة عشر مقاتلاً، وحوله قليل من الرجالة فأكب بجيشه حوله وحصره حصراً لم يبق معه نجاة، لو صمم معه الجيش، ولكنهم نكلوا كلهم عن الحملة، فلا قوة إلا بالله، وجعل السلطان يحرضهم غاية التحريض، فكلهم يمتنع كما يمتنع المريض عن شرب الدواء.

هذا وملك الإنكليز قد ركب في أصحابه وأخذ عدة قتاله، وأهبة نزاله، واستعرض الميمنة إلى آخر الميسرة، يعني ميمنة المسلمين وميسرتهم، فلم يتقدم إليه أحد من الفرسان، ولا نهره بطل من الشجعان، فعند ذلك كرّ السلطان راجعاً، وقد أحزنه أنه لم يرَ من الجيش مطيعاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولو أن له بهم قوة لما ترك أحداً منهم يتناول من بيت المال فلساً. ثم حصل لملك الإنكليز بعد ذلك مرض شديد، فبعث إلى السلطان يطلب فاكهة وثلجاً فأمده بذلك من باب الكرم، ثم عوفي لعنه الله وتكررت الرسل منه يطلب من السلطان المصالحة لكثرة شوقه إلى أولاده وبلاده، وطاوع السلطان على ما يقول وترك طلب عسقلان، ورضي بما رسم به السلطان، وكتب كتاب الصلح بينهما في سابع عشر شعبان، وأكدت العهود والمواثيق من كل ملك من ملوكهم، وحلف الأمراء من المسلمين وكتبوا خطوطهم، واكتفى من السلطان بالقول المجرد كما جرت به عادة السلاطين، وفرح كل من الفريقين فرحاً شديداً، وأظهروا سروراً كثيراً، ووقعت الهدنة على وضع الحرب ثلاثين سنة وستة أشهر، وعلى أن يقرهم على ما بأيديهم من البلاد الساحلية، وللمسلمين ما يقابلها من البلاد الجبلية، وما بينهما من المعاملات تقسم على المناصفة، وأرسل السلطان مائة نقاب صحبة أمير لتخريب سور عسقلان وإخراج من بها من الفرنج والألمان.

وعاد السلطان إلى القدس فرتب أحواله ووطدها، وسدد أموره وأكدها، وزاد وقف المدرسة سوقاً بدكاكينها وأرضاً ببساتينها، وزاد وقف الصوفية، وعزم على الحج عامه ذلك، فكتب إلى الحجاز واليمن ومصر والشام ليعلموا بذلك، ويتأهبوا له، فكتب إليه القاضي الفاضل ينهاه عن ذلك خوفاً على البلاد من استيلاء الفرنج عليها، ومن كثرة المظالم بها وفساد الناس والعسكر وقلة نصحهم وأن النظر في أحوال المسلمين خير لك عامك هذا، والعدو مخيم بعد بالشام، وأنت تعلم أنهم يهادون ليتقووا ويكثروا، ثم يمكروا ويغدروا، فسمع السلطان منه وشكر نصحه وترك ما عزم عليه وكتب به إلى سائر الممالك، واستمر مقيماً بالقدس جميع شهر رمضان في صيام وصلاة وقرآن، وكلما وفد أحد من رؤساء الفرنج للزيارة فعل معه غاية الإكرام، تأليفاً لقلوبهم، ولم يبق أحد من ملوكهم إلا جاء لزيارة القمامة متنكراً، ويحضر سماط السلطان فيمن حضر من جمهورهم، بحيث لا يرى. والسلطان لا يعلم ذلك جملة ولا تفصيلاً. ولهذا كان يعاملهم بالإكرام، ويريهم صفحاً جميلاً، وبراً جزيلاً.

---

(١) جرائد: أي مجردين.

فلما كان في خامس شوال ركب السلطان في العساكر فبرز من القدس قاصداً دمشق، واستناب على القدس عز الدين جوردبك، وعلى قضائها بهاء الدين بن يوسف بن رافع بن تميم الشافعي، فاجتاز على وادي الجيب وبات على بركة الداوية، ثم أصبح في نابلس فنظر في أحوالها، ثم ترحل عنها، فجعل يمر بالقلاع والحصون والبلدان فينظر في أحوالها ويكشف المظالم عنها، وفي أثناء الطريق جاء إلى خدمته بيمند صاحب أنطاكية فأكرمه وأحسن إليه، وأطلق له أموالاً جزيلة وخلعاً، وكان العماد الكاتب في صحبته، فأخبر عن منازله منزلة منزلة إلى إن قال: وعبر يوم الاثنين عين الحر إلى مرج بيوس، وقد زال البوس، وهناك وفد عليه أعيان دمشق وأماثلها، ونزل يوم الثلاثاء على العرادة، وجاءه هناك بالتحف والمتلقون على العادة، وأصبحنا يوم الأربعاء سادس عشر شوال بكرة بجنة دمشق داخلين، بسلام آمنين، وكانت غيبة السلطان عنها أربع سنين، فأخرجت دمشق أثقالها، وأبرزت نساءها وأطفالها ورجالها، وكان يوم الزينة، وخرج أكثر أهل المدينة، واجتمع أولاده الكبار والصغار، وقدم عليه رسل الملوك من سائر الأمصار، وأقام بقية عامه في اقتناص الصيد وحضور دار العدل، والعمل بالإحسان والفضل. ولما كان عيد الأضحى امتدحه بعض الشعراء بقصيدة يقول فيها:

وَأَبِيـهَـا لَـوْلا تَـغَـزُّلُ عَـيْـنَـيْـ ـهَا لَـمَـا قُـلْـتُ فـي الـتَّـغَـزُّلِ شِـعْـرَا
وَلَـكَـانَـتْ مَـدَائِـحُ الـمَـلِـكِ الـنَّـا صِـرِ وَإِلـى مـا فِـيـهِ أَعْـمَـلُ فِـكْـرَا
مَـلِـكٌ طَـبَّـقَ الـمَـمَـالِـكَ بِـالْـعَـدْ لِ مِـثْـلَـمَـا أَوْسَـعَ الـبَـرِيَّـةَ بِـرَّا
فَـيُـحِـلُّ الأَعْـيَـادَ صَـوْمـاً وَفِـطْـراً وَيُـلَـقَّـى الـهَـنَـاءَ بَـرّاً وَبَـحْـرا
يَـأْمُـرُ الـنَّـاسَ طَـاعَـةَ الله إنْ أَضْحَى مَلِيكٌ عَلَى المَنَاهِي مُصِرَّا
نِـلْـتَ مـا تَـبْـتَـغِـي مِـنَ الـدِّيـنِ وَالـدُّنْـيَـا فَـتِـيـهـاً عَـلَـى الـمُـلُـوكِ وَفَـخْـرَا
قَـدْ جَـمَـعْـتَ الـمَـجْـدَيْـنِ أَصْـلاً وَفَـرْعـاً وَمَـلَـكْـتَ الـدَّارَيْـنِ دُنْـيَـا وَأُخْـرَى

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث غزوة عظيمة بين صاحب غزنة شهاب الدين ملكها السبكتكيني وبين ملك الهند وأصحابه الذين كانوا قد كسروه في سنة ثلاث وثمانين، فأظفره الله بهم هذه السنة، فكسرهم وقتل خلقاً منهم وأسر خلقاً، وكان من جملة من أسره ملكهم الأعظم، وثمانية عشر فيلاً، من جملتها الذي كان جرحه، ثم أحضر الملك بين يديه فأهانه ولم يكرمه، واستحوذ على حصنه وأخبر بما فيه من كل جليل وحقير، ثم قتله بعد ذلك، وعاد إلى غزنة مؤيداً منصوراً، مسروراً محبوراً.

وفيها اتهم أمير الحج ببغداد وهو طاشتكين، وقد كان على إمرة الحج من مدة عشرين سنة، وكان في غاية حسن السيرة، واتهم بأنه يكاتب صلاح الدين بن أيوب في أخذ بغداد، فإنه ليس بينه وبينها أحد يمانعه عنها، وقد كان مكذوباً عليه، ومع هذا أهين وحبس وصودر.

فصل

وممن توفي فيها من الأعيان: القاضي شمس الدين.

محمد بن محمد بن موسى

المعروف بابن الفراش، كان قاضي العساكر بدمشق، ويرسله السلطان إلى ملوك الآفاق، ومات بملطية.

سيف الدين علي بن أحمد المشطوب

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه، حضر معه الوقعات الثلاث بمصر، ثم صار من كبراء أمراء صلاح الدين، وهو الذي كان نائباً على عكا لما أخذوها الفرنج، فأسروه في جملة من أسروا فافتدى نفسه بخمسين ألف دينار، وجاء إلى السلطان وهو بالقدس فأعطاه أكثرها، وولاه نابلس. توفي يوم الأحد ثالث وعشرين شوال بالقدس، ودفن في داره.

صاحب بلاد الروم عز الدين قلج أرسلان بن مسعود

ابن قلج أرسلان، وكان قد قسم جميع بلاده بين أولاده طمعاً في طاعتهم له، فخالفوه وتجبروا وعتوا عليه، وخفضوا قدره وارتفعوا، ولم يزل كذلك حتى توفي في عامه هذا. وفي ربيع الآخر توفي الشاعر أبو المرهف.

نصر بن منصور النميري

سمع الحديث واشتغل بالأدب، أصابه جدري وهو ابن أربع عشرة سنة فنقص بصره جداً، وكان لا يبصر الأشياء البعيدة، ويرى القريب منه، ولكنه كان لا يحتاج إلى قائد، فارتحل إلى العراق لمداواة عينيه فآيسته[1] الأطباء من ذلك، فاشتغل بحفظ القرآن ومصاحبة الصالحين فأفلح، وله ديوان شعر كبير حسن، وقد سئل مرة عن مذهبه واعتقاده فأنشأ يقول:

أُحِبُّ عَلِيّاً وَالبَتُولَ وَوُلْدَهَا ... وَلا أَجْحَدُ الشَّيْخَيْنِ فَضْلَ التَّقَدُّمِ
وَأَبْرَأُ مِمَّنْ نَالَ عُثْمَانَ بِالأَذَى ... كَمَا أَتَبَرَّا مِنْ وَلاءِ ابْنِ مُلْجَمِ
وَيُعْجِبُنِي أَهْلُ الحَدِيثِ لِصِدْقِهِمْ ... فَلَسْتُ إلى قَوْمٍ سِوَاهُمْ بِمُنْتَمِي

توفي ببغداد ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب رحمه الله تعالى.

---

(١) آيسته: أي جعلته ييأس من الشفاء.

فهرس المحتويات

سنة ست وأربعمائة

سنة سبع وأربعمائة

سنة ثمان وأربعمائة

سنة تسع وأربعمائة

سنة عشر وأربعمائة

سنة إحدى عشرة وأربعمائة

سنة اثنتي عشرة وأربعمائة

سنة ثمان عشرة وأربعمائة

سنة تسع عشرة وأربعمائة

سنة عشرين وأربعمائة

سنة إحدى وعشرين وأربعمائة

سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

سنة أربعين وأربعمائة

سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

سنة أربع وأربعين وأربعمائة

سنة خمس وأربعين وأربعمائة

سنة ست وأربعين وأربعمائة

سنة سبع وأربعين وأربعمائة

سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

سنة تسع وأربعين وأربعمائة

سنة خمسين وأربعمائة [من الهجرة النبوية]

سنة إحدى وخمسين وأربعمائة

سنة إحدى وستين وأربعمائة

سنة اثنتين وستين وأربعمائة

سنة ثلاث وستين وأربعمائة

سنة أربع وستين وأربعمائة

سنة خمس وستين وأربعمائة

سنة ست وستين وأربعمائة

سنة سبع وستين وأربعمائة

سنة ثمان وستين وأربعمائة

سنة تسع وستين وأربعمائة

سنة سبعين وأربعمائة

سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة

سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

سنة أربع وسبعين وأربعمائة

سنة خمس وسبعين وأربعمائة

سنة ست وسبعين وأربعمائة

سنة سبع وسبعين وأربعمائة

سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

سنة تسع وسبعين وأربعمائة

سنة ثمانين وأربعمائة

سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة

سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

سنة أربع وثمانين وأربعمائة

سنة خمس وثمانين وأربعمائة

سنة ثلاث وخمسمائة

سنة أربع وخمسمائة

سنة خمس وخمسمائة

سنة ست وخمسمائة

سنة سبع وخمسمائة

سنة ثمان وخمسمائة

سنة تسع وخمسمائة

سنة عشر وخمسمائة

سنة إحدى عشرة وخمسمائة

سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

سنة أربع عشرة وخمسمائة

سنة خمس عشرة وخمسمائة

سنة خمس وعشرين وخمسمائة

سنة ست وعشرين وخمسمائة

سنة سبع وعشرين وخمسمائة

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

سنة تسع وعشرين وخمسمائة

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

سنة أربعين وخمسمائة

سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة

سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

سنة أربع وأربعين وخمسمائة

سنة تسع وخمسين وخمسمائة

سنة ستين وخمسمائة

سنة إحدى وستين وخمسمائة

سنة ثنتين وستين وخمسمائة

سنة ثلاث وستين وخمسمائة

سنة أربع وستين وخمسمائة

سنة خمس وستين وخمسمائة

سنة ست وستين وخمسمائة

سنة سبع وستين وخمسمائة

سنة ثمان وستين وخمسمائة

سنة تسع وستين وخمسمائة

سنة سبعين وخمسمائة

سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة

سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

سنة أربع وسبعين وخمسمائة

سنة خمس وسبعين وخمسمائة

سنة ست وسبعين وخمسمائة

سنة سبع وسبعين وخمسمائة

سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

سنة تسع وسبعين وخمسمائة

سنة ثمانين وخمسمائة

سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

سنة أربع وثمانين وخمسمائة

سنة خمس وثمانين وخمسمائة

سنة ست وثمانين وخمسمائة

سنة سبع وثمانين وخمسمائة

سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

